

مِنْ  
وَصَايَا السُّوْلِ  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

المجلد الأول

الأجزاء من ١ - ١٠

شرح وتعليق  
طه عبد الله العفيفي

دار التراث العربي

جمادى الآخرة سنة ١٤٠١ هـ - أبريل سنة ١٩٨١ م

---

جميع الحقوق محفوظة

---

مطابع دار التراث العربى

ت ٩٣٦١٤٥ - القاهرة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الهدى

الى الحبيب المصطفى ، صلوات الله وسلامه عليه ،  
الذى أعطاه الله : صفوة آدم ، ومولد شيث ، وشجاعة  
نوح ، وحلم ابراهيم ، ولسان اسماعيل ، ورضا اسحاق ،  
وفصاحة صالح ، وحكمة لقمان ، وبشرى يعقوب ، وجمال  
يوسف ، وصبر أيوب ، وقوة موسى ، وتنسيح يونس ،  
وجهاد يوشع ، ونعمة داوود ، وهيبة سليمان ، ووقار  
الياس ، وزهد عيسى ، وعلم الخضر .

فكان أهلا لأن يخاطبه الله تعالى بقوله : « وانك لطفى  
خلق عظيم » (١) . أهدى هذه المجموعة المباركة من  
وصاياہ صلى الله عليه وسلم . . سائلا المولى سبحانه  
وتعالى أن يجعلها في صحيفة حسناتي ، وأن يجعل مثل  
رضيدي من الحسنات في صحيفة والدي السيد « عبد الله  
العفيفي » عليه رحمة الله ، الذي غرس في قلبي منذ  
نعومة أظفاري بأفعاله وأقواله وجهاده حب الرسول  
صلى الله عليه وسلم ، والعمل بسنته ، والدعوة اليها تحت  
لواء الجمعية الشرعية المباركة ، التي أسسها الامام الاكبر  
« الشيخ محمود خطاب السبكي » رحمه الله ، وبارك في  
ذريته وتلاميذه ومريديه الذين « صدقوا ما عاهدوا  
الله عليه » (٢) .

المؤلف





## مقدمة

الحمد لله « وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب » (١)  
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له « أرسل رسوله بالهدى  
ودين الحق » (٢) فكان بشيرا ونذيرا « وداعيا الى الله باذنه وسراجا  
منيرا » (٣) .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، وصفيه وخليه ، بلغ  
الرسالة ، وأدى الأمانة ، وهدى الأمة ، وكشف الغمة .  
اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين نهجوا نهجه  
وتأدبوا بأدابه ، فكانوا هداة مهديين ، وقادة منتصرين .  
أما بعد ..

فيا أبا الاسلام :

منذ عشر سنوات وأنا أجمع في وصايا المصطفى صلوات الله وسلامه  
عليه .. رغبة في حفظها ، والعمل بما فيها من توجيهات ونصائح ..  
وقد استطعت بتوفيق من الله سبحانه وتعالى بعد مجهود كبير أرجو الله  
سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه ، أن أجمع أكثر من مائة وصية  
من أندر الوصايا وأعظمها .

وقد رأيت بعد أن استخرت الله سبحانه وحتى يتمكن القارئ  
من دراستها واستيعاب ما فيها بدون جهد وملل أن أنشرها في أجزاء  
متتابعة بصورة موجزة اعتمدت فيها على الأدلة الثابتة بكتاب الله تعالى  
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. هذا بالاضافة الى بعض الحكم  
والآثار التي تجعل القارئ مرتبطا بالمعنى الذي أريد أن أصل اليه  
عند تعليقي على كل وصية .

فغش أبا الاسلام مع هذه الوصايا بكل وجدانك ومشاعرك .. و ..  
اعمل بآثار النبي فانها النور المبين  
واقبل نصيحتها ففيها الـ عز والشرف المكين

واشدد يمينك بالشرية سعة انها السبب المتين  
 خير البرية أحمد والحق يصحبه اليقين  
 ذو قوة عند الاله مقرب منه مكين  
 زان النبيون الوري ومحمد لهم يزين  
 هاد الى طرق النجاة مؤيد فيها أمين  
 فهذه وصية امامنا الأكبر الشيخ محمود خطاب السبكي صاحب  
 «المقامات العلية» رحمه الله رحمة واسعة، فاعمل بها .. وقل معه :

يا رب وسع رزقنا وأكثر يا رب أعل قدرنا وأظهر  
 ( اغفر لنا ذنوبنا وكفر ) وصف منا قلبنا وطهر  
 وجد لنا باليسر بعد العسر

يا ربنا وارفق بنا واجبرنا يا ربنا ومن واعف عنا  
 يا ربنا (واغفر لنا وارحمنا) يا ربنا وقونا وانصرنا

وامن بستريا جميل الستر

يا ربنا واشرح لنا صدرا يا ربنا أجزل لنا الأجر  
 يا (ربنا أفرغ علينا صبورا) يا ربنا سهل علينا الأمرا  
 يا ربنا واختم لنا بالخير

وقل مع والدي السيد عبد الله العفيفي رحمه الله وأسكنه فسيح  
 جناته :

وأصلح الهى لنا نسلنا وشفع الهى طه الرسول  
 فينا وفيهم وكن عوننا وهبنا جميعا حب الرسول  
 وصل وسلم الهى على أحمد محمد طه الرسول  
 وعلى الآل كذلك على كل نصير لطفه الرسول  
 وقل معى :

يا رب وارض عن الصجابة كلهم والتابعين وكل عبد هادى  
 وعن الأئمة والمشايخ واجزهم خير الجزاء وزد بفضلك زادى

\* \* \*

واجبر بفضلك كل من عرف الهدى وانصر الهى شرعتى وبلادى

\* \* \*

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

طه عبد الله العفيفي

\* \* \*

## صاحب الوصايا صلوات الله وسلامه عليه يقدم نفسه

- « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وببيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ : آدم فمن سواه الا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول شافع وأول مشفع » (١) .
- عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمع ناسا من أصحابه يتذاكرون في تفاضل الأنبياء فقال : « قد سمعت كلامكم وعجبكم .. ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجى الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك ، وادم اصطفاه الله وهو كذلك .. ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر » (٢) .
- فصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى وحبيبي يا رسول الله .
- يا من زكى الله عقلك فقال : « ما ضل صاحبكم وما غوى » (٣) .
- وزكى لسانك فقال : « وما ينطق عن الهوى » (٤) .
- وزكى جليبيك فقال : « علمه شديد القوى » (٥) .
- وزكى فؤادك فقال : « ما كذب الفؤاد ما رأى » (٦) .
- وزكى بصرك فقال : « ما زاغ البصر وما طغى » (٧) .
- وزكى صدرك فقال : « ألم نشرح لك صدرك » (٨) .
- وزكاك كلك فقال : « وانك لعلى خلق عظيم » (٩) .

(١) أخرجه احمد وابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٢) أخرجه الترمذى وقال : حديث غريب .

(٤) النجم : ٣

(٣) النجم : ٢

(٦) النجم : ١١

(٥) النجم : ٥

(٨) الشرح : ١

(٧) النجم : ١٧

(٩) التلم : ٤

فكنت لهذا ومن أجل كل هذا قدوة صالحة ، ر « أسوة حسنة  
لن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (١) .

وكنت اماما للأنبياء في ليلة الاسراء يوم وقفت خطيبا في بيت المقدس  
فقلت متحدثا بنعمة الله عليك وعلينا :

« الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا  
ونذيرا ، وأنزل القرآن فيه تبيان كل شيء ، وجعل أمتي وسطا ، وجعل  
أمتي هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى  
وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتما » .

أزكى صلاة مع سلام عاطر ينمو به يوم الحصاد حصادى (٢)

\* \* \*

ثم الصلاة مع السلام على الهدى خير البرية منحة المنان (٣)

\* \* \*

---

(١) الاحزاب : ٢١

(٢) من قصيدة دعاء ورجاء (للمؤلف) .

(٣) من قصيدة للمؤلف القيت في افتتاح مسجد الفتح بالمعادي .

# الوصية الأولى

عن الحارث الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكرياء عليهما السلام بخمس كلمات ان يعمل بها وأن يأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بها ، وأنه كاد أن يبطيء بها ، فقال له عيسى عليه السلام : ان الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بها وتامر بنى اسرائيل أن يعملوا بها ، فاما أن تأمرهم بها ، واما أن أمرهم بها . فقال يحيى عليه السلام : أخشى ان سبقتنى بها أن يخسف بى أو أعذب ، فجمع الناس في بيت المقدس فامتأ المسجد بهم وقعدوا على الشرف . فقال : ان الله أمرنى بخمس كلمات ، أن أعمل بهن وأن أمركم أن تعملوا بهن ، أولاهن : ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً فان مثل من أشرك بالله كمثـل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق ، وقال : هذه دارى ، وهذا عملى ، فاعمل وأد الى ، فكان يعمل ويؤدى الى غير سيده ، فايكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟ وان الله تعالى أمركم بالصلاة ، فاذا صليتم فلا تلتفتوا ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت . وأمركم بالصيام ، فان مثل ذلك كمثـل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك وان ربح فم الصائم أطيب عند الله من ربح المسك . وأمركم بالصدقة ، فان مثل ذلك كمثـل رجل أسره العدو فأوثقوا يديه الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال : أنا أفدى نفسى منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم . وأمركم أن تذكروا الله ، فان مثل ذلك كمثـل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله تعالى » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« وأنا آمركم بخمس - الله تعالى أمرني بهن :

السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة .  
فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الاسلام  
من عنقه الا أن يرجع ، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو  
في جهنم » .

فقال رجل : وان صام وصلى يا رسول الله !؟

قال : « وان صام وصلى . فادعوا بدعوى الله

الذى سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله تعالى » .

( أخرجه الترمذى وصححه وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان

في صحيحهما والحاكم ) .

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

عابدا حقيقيا ، واحذر أن تكون مشركا بالله لأنه سبحانه :  
« لا يفر أن يشرك به ويفخر ما دون ذلك لمن يشاء » (١) و « قل ان  
صلاتي ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » (٢) واذكر قوله تعالى :  
« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء . . . » (٣)  
واياك أن تكون كهذا العبد الذى يعمل ويؤدى الى غير سيده . . فانت  
لا ترضى أن تعامل كذلك .

وحافظ على أداء الصلاة التى فرضها الله عليك ، واحذر أن تكون من  
« الذين هم عن صلاتهم ساهون » (٤) وهم الذين يؤخرون الصلاة عن  
وقتها ، وكن من الرجال الذين « لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله  
واقام الصلاة وايتاء الزكاة » (٥) .

واياك أن تلتفت فى صلاتك . . فقد سئل المصطفى صلوات الله  
وسلامه عليه عن الالتفات فى الصلاة فقال : « اختلاس يختلسه الشيطان  
من صلاة العبد » (٦) ، وقال : « لا يزال الله مقبلا على العبد فى صلاته  
ما لم يلتفت ، فاذا صرف وجهه انصرف عنه » (٧) . . مع ملاحظة هزم  
الأحكام المتعلقة بالالتفات فى الصلاة :

(١) النساء : ٤٨

(٢) الأنعام : ١٦٢

(٣) البينة : ٥

(٤) الماعون : ٥

(٥) النور : ٣٧

(٦) رواه البخارى والنسائى .

(٧) رواه أحمد وأبو داود وأبو داود والنسائى .

قال الأحناف : يكره الالتفات بالعنق فقط ، أما الالتفات بالعين  
يميناً أو يسرة فمباح ، وبالصدر الى غير جهة القبلة قدر ركن كامل  
مبطل للصلاة .

وقال الشافعية : يكره الالتفات بالوجه ، أما بالصدر فمبطل  
مطلقاً ، لأن فيه انحرافاً عن القبلة .

وقال المالكية : يكره الالتفات مطلقاً ، ولو بجميع جسده ، ما دامت  
رجلاه للقبلة ، والابتطت الصلاة .

وقال الحنابلة : ان الالتفات مكروه ، وتبطل الصلاة به ان استدار  
بجملته ، أو استدبر القبلة ، ما لم يكن في الكعبة ، أو شدة الخوف  
فلا تبطل الصلاة ان التفت بجملته ، ولا تبطل لو التفت بصدرة ووجهه  
لأنه لم يستدبر بجملته .

وأد زكاة جسدك .. وذلك بأن تعود نفسك على الصيام ..  
فرضه ونقله . فقد قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لكل شيء  
زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر » (١) وقال :  
« ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى الا باعد الله بذلك اليوم  
وجهه عن النار سبعين خريفاً » (٢) .

وأد زكاة مالك كما فرض الله عليك ، وكن من « الذين ينفقون  
أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية » (٣) ، « وآت ذا القربى حقه  
والمسكين وابن السبيل » (٤) . واعلم أن « صنائع المعروف تقي مصارع  
السوء ، ومدقة السر تطفى غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في  
العمر » (٥) . وأن « السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من  
الجنة ، بعيد من النار . والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد  
من الجنة ، قريب من النار .. ولجاهل سخي أحب الى الله من عبد  
بخيل » (٦) . وأن « تبسك في وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمرء  
ونهيك عن المنكر صدقة ، وأرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ،  
واماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وتبصرك  
للرجل الرديء البصر لك صدقة » (٧) . وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة

(٢) أي سنة . رواه البخاري ومسلم .

(٤) الاسراء : ٢٦ .

(٦) رواه الترمذي .

(١) رواه ابن ماجه .

(٣) البقرة : ٢٧٤ .

(٥) رواه الطبراني .

(٧) رواه البخاري .

صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة .. « (١) » والكلمة الطيبة صدقة « (٢) » تاذكر ذلك جيدا ، واحذر أن تكون من الذين يبطلون صدقاتهم « بالإن والأذى كالذى ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقربون على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدي القوم الكافرين » (٣) »  
 « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٤) .  
 « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض » (٥) .. لأن الذكر ركن قوى في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة في هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر (٦) .

وحسبك أنك بذكرك لله تعالى تكون جليسا لملك الملوك سبحانه الذى يقول في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرنى » وأنت تفوز بخير عظيم مع « الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » (٧) الذين « أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » (٨) . وأنت تكون في حصانة من كيد الشيطان والا كان قرينا لك .. قال تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » (٩) .

واحذر أن تكون من هؤلاء الذين يذكرون الله بدون خشوع « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (١٠) واعلم أنه من آداب الذكر أن تكون حاضر القلب ، طاهرا ، مستقبلا للقبلة ، متطيبا .. فلاحظ كل هذا .

واذكر الله تعالى دائما وأبدا بكل جوارحك وبدون تحريف ، واستحضر عظمته سبحانه وتعالى وأنت في حضرته عسى أن تكون من أولى الألباب :

واغتتم ركعتين في ظلمة الليل      إذا كنت فارغا تستريحا  
 وإذا ما هممت بالخوض الباطل      فاجعل مكانه تسبيحا

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) البقرة : ٢٦٤ .

(٣) آل عمران : ١٩١ .

(٤) الأحزاب : ٣٥ .

(٥) الزخرف : ٣٦ .

(٦) رواه البخارى ومسلم .

(٧) البقرة : ٢٦٢ .

(٨) الإمام القشيري .

(٩) الأحزاب : ٣٥ .

(١٠) الكهف : ١٠٤ .



واغتنام السكوت أفضل من خو ض وان كنت بالحديث فصيحاً  
واسمع ، وأطع ، وجاهد في سبيل الله ، والزم الجماعة عملاً بوصية  
الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأمر الله تعالى في قوله :  
« واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم » (١) وقوله تعالى :  
« أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (٢) .  
واعلم أن الجهاد في سبيل الله ذروة سنام (٣) الاسلام ، وفي ذلك  
يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده  
انصالة ، وذروة سنامه الجهاد » (٤) .

وأن الهجرة قد تكون هرباً ، وقد تكون طلباً :

فهجرة الهرب تنقسم الى ستة أقسام :

١ - الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام .. وهي باقية  
الى يوم القيامة وهي التي انقطعت بالفتح في قوله صلى الله عليه وسلم :  
« لا هجرة بعد الفتح » (٥) .

٢ - الخروج من أرض البدعة .. قال ابن القاسم : سمعت مالكا  
يقول : لا يطل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف .

٣ - الخروج من أرض يغلب عليها الحرام .. فإن طلب الحلال  
فريضة على كل مسلم .

٤ - الفرار من الأذية في البدن .. وأول من فعل ذلك ابراهيم  
على نبينا وعليه الصلاة والسلام حين خاف من قومه فقال :  
« انى مهاجر الى ربى » (٦) ، وقال تعالى مخبراً عن موسى على نبينا  
وعليه الصلاة والسلام : « فخرج منها خائفاً يترقب » (٧) .

٥ - الخروج من خوف المرض الى بلد لا وباء فيها .

٦ - الخروج خوفاً من الأذية في المال .. فإن حرمة مال المسلم  
كحرمة دمه .

وأما هجرة الطلب .. فقد تكون طلباً للدين ، وقد تكون طلباً  
للدنيا ، وفي ذلك يقول تعالى : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض  
مراعماً كثيراً وسعة » (٨) .

(١) التغابن : ١٦

(٢) النساء : ٥٩

(٣) السنن واحداً أسنمة الابل . والمراد ذروته او اعلاه .

(٤) من حديث رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٥) العنكبوت : ٢٦

(٦) رواه البخارى ومسلم .

(٧) النساء : ١٠٠

(٨) القصص : ٢١

وهجرة الدين منها :

- ١ - سفر العبرة .. وفي ذلك يقول تعالى : « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم »<sup>(١)</sup> وقد طاف ذو القرنين في الدنيا ليرى عجائبها .
- ٢ - وسفر الحج .
- ٣ - وسفر الجهاد .
- ٤ - وسفر المعاش .
- ٥ - وسفر التجارة والكسب الزائد على القوت ولو في الحج .. وهو جائز لقوله تعالى : « ليس عليكم جناح<sup>(٢)</sup> أن تبتغوا فضلا من ربكم »<sup>(٣)</sup> وطلب العلم .
- ٦ - وقصد البقاع الشريفة وشد الرحال إليها وهي : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، والمسجد الأقصى .
- ٧ - وقصد الثغور<sup>(٤)</sup> للرباط بها .
- ٨ - وزيارة الاخوان لله تعالى .

\* \* \*

(٢) الجناح : بالضم أى الاثم .

(١) غاطر : {٤٤}

(٣) البقرة : ١٩٨

(٤) الثغور : موضع المخافة من فروج البلدان .

# الوصية الثانية

قال سويد الأزدي : وفدت سبع سبعة من قومي  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلنا عليه  
وكلمناه أعجبه ما رأى من سمنا وزينا ، فقال :

« من أنتم » ؟

فقلنا : مؤمنون .

فقال : « ان لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم ،  
وصدق ايمانكم » ؟

فقلنا : خمس عشرة خصلة ، خمس آمننا بها ،  
وخمس عملنا بها ، وخمس تخلقتنا بها في الجاهلية ،  
ونحن عليها الآن ، فان كرهتها تركناها .  
فقال عليه الصلاة والسلام :  
« فاذكروا ما عندكم » .

فقالوا : أما خمس الايمان فهي : أن تؤمن بالله ،  
وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، والبعث بعد الموت .  
وأما خمس العمل فهي : أن تشهد أن لا اله الا الله  
وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن نقيم الصلاة ، ونؤتي  
الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت ان استطعنا اليه  
سبيلا . وأما خمس الجاهلية فهي : الشكر عند الرخاء ،  
والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق  
والثبات عند الحرب واللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء .  
ومن عظم سرور النبي صلى الله عليه وسلم بهم  
وبايامانهم النقي وفطرتهم السليمة ، قال لهم :

« أنتم حكماء ، علماء ، فقهاء ، كدتم ان تكونوا  
انبياء ، وأنا ازيدكم خمسا ليطم لكم عشرون .  
ان كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ،  
ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تتنافسوا في شيء أنتم عنه

غدا زائلون ، واتقوا الله الذى اليه ترجعون ، وعليه  
تعرضون ، وارغبوا فيما أنتم عليه تقدمون ، وفيه  
تخلون» .

( اخرجہ ابو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى الزهد  
والخطيب فى التاريخ ) .

\* \* \*

فكن أذا الاسلام :

مؤمنًا حقيقيا وأكد ايمانك بالأقوال والأفعال ، واحذر أن تكون من  
الذين قالوا : « آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله  
والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض  
فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون » (١) . « الذين  
ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (٢) .

كن من : « الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم  
آياته زاتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما  
رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم  
ومغفرة ورزق كريم » (٣) و « الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين  
هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم  
حافظون . الا على أزواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن  
ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم  
راعون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون .  
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (٤) .

فيهذا تستحق رحمة الله تعالى الذى يقول :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف  
وينهون عن المنكر وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ،  
أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » (٥) .

وبهذا تكون من المبشرين فى قوله تعالى :

« وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » (٦) .

(٢) الكهف : ١٠٤

(١) البقرة : ٨ - ١٠

(٤) المؤمنون : ٢ - ١١

(٣) الانفال : ٢ - ٤

(٦) يونس : ٢

(٥) التوبة : ٧١

« الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة » (١) •

« وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين » (٢) •  
ثم اعمل بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم وهي :  
\* ( لا تجمعوا ما لا تأكلون ) :

أى لا تكونوا من هواة جمع المال ، الذين لا هم لهم الا أن يكونوا من ملاك الدنيا •• حتى ولو كان هذا على حساب الآخرين •• مع أنهم لو عرفوا حقيقة الدنيا لزهدوا فيها ، ولكانوا من أبناء الآخرة التى لا دوام للنعيم الا فيها « وان الدار الآخرة لهى الحيوان » (٣) لو كانوا يطمون » (٤) « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » (٥) •

فكن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا •• فان كل أم يتبعها ولدها و « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » •  
\* ( ولا تبنوا ما لا تسكنون ) :

أى لا تكونوا من هؤلاء الذين يريدون زينة الحياة الدنيا ، ويريدون أن يضعوا أيديهم على أكبر المساكن وأجملها اثبعا لأطعامهم ، وحرمانا لغيرهم •• وحسبكم ما يستركم ويحفظ أقواتكم ، وابنوا للآخرة فانه :  
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها الا التى كان قبل الموت يبنيتها  
\* ( ولا تتنافسوا فى شئ أنتم عنه غدا زائلون ) :

أى لا تكونوا من المتنازعين بسبب حطام الدنيا الزائل ،  
و « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما » (٦) •• الآية •

وما دنيائك الا مثل ظل أظلك ثم آذن بارتحال

وقد خاطبها الله تعالى فى صحف ابراهيم وموسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام بقوله : « يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين ترينت لهم •• انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصبر عنك •• ما خلقت خلقا أهون على منك •• انى قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ، ولا يدوم لك أحد » •

(٢) الصف : ١٣

(٤) العنكبوت : ٦٤

(٦) الحديد : ٢٠

(١) يونس : ٦٣ ، ٦٤

(٣) أى : لهى الحياة الحقيقية .

(٥) الحديد : ٢٠

فاذكر ذلك جيدا ، و « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما تحب  
الناس يحبك الناس » (١) .  
واعلم :

أن لله عبادا فظنوا ظلقوا الدنيا وخافوا الفتنا  
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي ووطنا  
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا  
فكن من هؤلاء الفطناء السعداء مع ملاحظة أنه :

« ليس الزاهد من لا مال عنده ، وإنما الزاهد من لم يشغل المال  
وإن أوتى مثل ما أوتى قارون » (٢) فلا تنس كل هذا . . .

« ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك » (٣) .  
\* (واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون) :

أى راقبوه سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان ، وفي السر  
والعلن . . . وأنتم توقنون بأنه « لا تخفى عليه خافية » (٤) وأنه :

يعلم السر وأخفى » (٥) و « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » (٦) .  
الله يدري كل ما تضرر يعلم ما تخفى وما تظهر  
إن خدعت الناس لم تستطع خداع من يطوى ومن ينشر  
وأنكم ستردون « إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم  
تعملون » (٧) .

\* (وارغبوا فيما أنتم عليه تقدمون وفيه تخلصون) :  
« أى اربحوا في أعمال الخير التي ستجدونها عند الله « يوم لا ينفع  
مال ولا بنون » (٨) « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه » (٩) .

فاذكر ذلك جيدا ، واعلم أن :  
زخارف الدنيا أساس الألم وطالب الدنيا نديم الندم  
فكن خلى البال من أمرها فكل ما فيها شقاء وهم

\* \* \*

(١) رواه ابن ماجه وغيره ، وهو حديث حسن .

(٢) من اقوال العلماء . (٣) القصص : ٧٧ .

(٤) الحاقة : ١٨ بلفظ : « لا تخفى منكم خافية » تأكيدا لهذا المعنى .

(٥) طه : ٧ (٦) غافر : ١٩ .

(٧) التوبة : ١٠٥ ، ٩٤ (٨) الشعراء : ٨٨ .

(٩) النبأ : ٤٠ .

الدرع لا تمنع سهم الأجل والمال لا يدفعه ان نزل  
وكل ما في عيشنا زائل لا شيء يبقى غير طيب العمل

ولا تنس كذلك قول القائل :

طلق الدنيا ثلاثا والتمس زوجا سواها  
انها زوجة سوء لا تبالي من اتاها

وليكن حديثك معها حديث على رضى الله تعالى عنه عندما أرادت  
أغراءه والوصول الى قلبه فقال لها :

« يا دنيا .. غرى غيرى ، ألى تعرضت ، أم الى تشوفت ..  
هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها .. فعمرك قصير ، وخطرك (١)  
حقير » .. فهذا هو جزاؤها .. لأنها ( اذا حلت أو حلت ، واذا كست  
أو كست ، واذا جلت أو جلت ، واذا دنت أو دنت ) .

\* \* \*

(١) الخطر : هو القدر والمقولة .

# الوصية الثالثة

• عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. ما كانت صحف ابراهيم؟ قال :

« كانت أمثالا كلها .. أيها الملك المسلط الجبلى المفرور : انى لم أبصتك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكنى بدبتك لترد عنى دعوة المظلوم ، فانى لا أردھا وان كانت من كافر . وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات : فساعة ينجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الطعام والمشرب . »

وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا لثلاث : تروء لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم . وعلى العاقل : أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، وحافظا للسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه . »

قلت : يا رسول الله .. فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال :

« كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن اليها ، عجبت لمن أيقن بالصليب غدا ثم لا يعمل . »

قلت : يا رسول الله .. أوصنى . قال :

« أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله . »

قلت : يا رسول الله .. زدنى . قال :

« عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل ، فانه

نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء . »



قلت : يا رسول الله .. زدنى . قال :  
**« اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ، ويذهب  
 بنور الوجه »** .

قلت : يا رسول الله .. زدنى . قال :  
**« عليك بالجهاد فانه رهبانية أمتي »** .  
 قلت : يا رسول الله .. زدنى . قال :  
**« أحب المساكين وجالسهم »** .  
 قلت : يا رسول الله .. زدنى . قال :  
**« انظر الى من هو تحتك ولا تنظر الى من هو فوقك  
 فانه أجدر أن لا تردى نعمة الله عليك »** .  
 قلت : يا رسول الله .. زدنى . قال :  
**« قل الحق وان كان مرا »** .

قلت : يا رسول الله .. زدنى . قال :  
**« ليردك عن الناس ما تطمه من نفسك ولا تجد  
 عليهم فيما تاتي ، وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس  
 ما تجهله من نفسك وتجد عليهم فيما تاتي »** .  
 ثم ضرب بيده على صدرى فقال :  
**« يا أبا نر .. لا عقل كالتببير ، ولا ورع كالكف ،  
 ولا حسب كحسن الخلق »** .

( رواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم ، وقل : صحيح  
 الاسناد ) .

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

شبهها بأبي ذر رضى الله تعالى عنه في حبه للعلم ، وحرصه على  
 طلبه ، ولا سيما اذا كان من أستاذ البشرية جمعاء صلوات الله وسلامه  
 عليه ، الذى أحبه أكثر من نفسه ، بل ومن كل شيء في هذا الملوكوت  
 الذى يعيش فيه .

وهو هنا في هذه الوصية يسأل أستاذه المصطفى صلى الله عليه  
 وسلم عن صحف ابراهيم وموسى على نبيينا وعليهما الصلاة والسلام ..  
 فيخبره صلى الله عليه وسلم أنها كانت أمثالا وعبرا كلها .. ثم يذكر  
 له بعض هذه الأمثال والعبر التى ان تعمقنا فيها وحققنا مغزاها لكانت  
 مشعلا مضيئا لنا على طريق الفلاح والوصول الى الله تعالى .

ثم كانت هذه الوصايا العظيمة التي زوده الرسول صلى الله عليه وسلم بها تلبية لرغبته عندما قال له : يا رسول الله أوصني .. فقال له صلوات الله وسلامه عليه :

❖ (أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله) :

وحسب الناقل أن يفهم هذا المعنى الكبير الذي ركر الرسول صلى الله عليه وسلم — عليه .. وهو أن التقوى بالنسبة للعبادة كالرأس بالنسبة للجسد .. فكما أنه لا حياة للإنسان بدون رأس .. كذلك لا معنى للعبادة بدون تقوى ..

وهي كما وصفها على رضى الله عنه :

« الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل » .

وهي .. المحافظة على آداب الشريعة .

وهي .. مجانبة كل شيء يبعدك عن الله .

وهي .. أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .  
وخلاصة معناها كما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (١) .  
والمؤمنون في هذه الدنيا كما وصفهم على رضى الله تعالى عنه :

« هم أهل الفضائل ، منطلقهم الصواب ، ومبلسهم الاقتصاد ، ومشيههم التواضع ، غشوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم الفاضل لهم ، لا يرضون من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون .. ومن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين ، وحرما في لين ، وإيمانا في يقين ، وحرما في علم ، وعلم في حلم ، وقسدا في غنى ، وخشوعا في عبادة ، وتجملا في فاقة ، وصبرا في شدة ، وطلبا في جلال ، وحيانا في هدى ، وتحرجا عن طمع ، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل » .

ولهذا .. ومن أجل هذه الصفات العظيمة ، إذا قرأنا كتاب الله

تعالى سنجد أنه سبحانه وتعالى قد وعد المتقين بكل فلاح ونجاح :

(١) من حديث رواه مسلم .

- وعدهم بالحفظ والحراسة من الأعداء فقال :
- « وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » (١) .
- وعدهم بالنصر والتأييد ، فقال :
- « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » (٢) .
- وعدهم بالنجاة من الشدائد والرزق الحلال ، فقال :
- « ومن يتق الله يجعل له مخرجا • ويرزقه من حيث لا يحتسب » (٣)
- وعدهم باصلاح العمل وغفران الذنوب ، فقال :
- « اتقوا الله وقولوا قولا سديدا • يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم » (٤) .
- وعدهم بنور يمشون به ، فقال :
- « اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به » (٥) .
- وعدهم بمحبته فقال :
- « ... فان الله يحب المتقين » (٦) .
- وعدهم بالاكرام ، فقال :
- « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (٧) .
- وعدهم بالبشرى في الدنيا والآخرة ، فقال :
- « الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » (٨) .
- وعدهم بالنجاة من النار ، فقال :
- « ثم ننجي الذين اتقوا » (٩) .
- وعدهم بالخلود في الجنة ، فقال :
- « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعنت للمتقين » (١٠) .
- وهم كما تحدث الله تعالى عنهم بعد ذلك بقوله :
- « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن

(٢) النحل : ١٢٨  
 (٤) الاحزاب : ٧١ ، ٧٠  
 (٦) آل عمران : ٧٦  
 (٨) يونس : ٦٣ ، ٦٤  
 (١٠) آل عمران : ١٢٢

(١) آل عمران : ١٢٠  
 (٣) الطلاق : ٢ ، ٣  
 (٥) الحديد : ٢٨  
 (٧) الحجرات : ١٣  
 (٩) مريم : ٧٢

الناس ، والله يحب المحسنين • والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يطمون • أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين» (١) .. فكن منهم حتى تفوز معهم بكل هذه الامتيازات العظيمة :

ولا تمش الا مع رجال قلوبهم تحن الى التقوى وترتاح للذكر \* ( عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فانه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء ) :

وحسبك هذا المعنى المحمدى الذى يحتاج الى عمق فى التفكير والفهم السليم •

واعلم أن القرآن فضلا عن أنه كلام الله الذى « لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (٢) هو آية الله الكبرى ، وحجته الخالدة ، والرسول الأمين ، والواعظ الناطق ، والبرهان القاطع ، والعقيدة الثابتة ، والآية الساطعة •  
وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال فى حديثه عنه وعن فضله :

« .. فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تریغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : « انا سمعنا قرآنا عجبا • يهدى الى الرشده » (٣) .. من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم » (٤)  
ولهذا أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بتلاوة القرآن ، وحث على ذلك فقال : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » (٥) •

(١) آل عمران : ١٣٤ - ١٣٦ (٢) فصلت : ٤٢

(٣) الجن : ٢٠١ (٤) أخرجه الترمذى •

(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب •

وقال : « يقول الرب سبحانه وتعالى : من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين .. وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه » (١) .

وقال : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » (٢) .

وقال : « البيت الذي يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض » (٣) .

وقال : « نوروا منازلكم بالصلاة وتلاوة القرآن » (٤) .

وقال : « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن » (٥) .

هذا وللتلاوة آداب منها :

أنه يستحب الوضوء لقراءة القرآن .. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يذكر الله الا على طهر ، وأما الجنب والحائض فتحرم عليهما القراءة وان كان يجوز لهما النظر في المصحف .  
وأما متنجس (٦) فتركه له القراءة ، وقيل : يحرم لمس المصحف باليد النجسة .

وتسن القراءة في مكان نظيف وأفضله المسجد .

ويستحب أن يجلس القارئ مستقبلا القبلة ، متخشعا بسكينة ووقار ، مطرقا رأسه .

ويسن أن يستاك القارئ تعظيما وتطهيرا .

ويسن التعوذ قبل القراءة .

وأن يحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة غير سورة براءة ، كما يستحب ذلك اذا قرأ من أثناء السورة .

ويسن الترتيل في قراءة القرآن .. وقد كانت قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم مفسرة حرفا حرفا (٧) قال تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا » (٨) .

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال : حسن غريب .

(٢) أخرجه مسلم . (٣) أخرجه البيهقي من حديث عائشة .

(٤) أخرجه البيهقي من حديث أنس .

(٥) أخرجه السهقي من حديث النعمان بن بشير .

(٦) وهو شارب الخمر أو أكل الميتة أو لحم الخنزير .

(٧) ورد في هذا المعنى حديث صحيح . (٨) المزمل : ٤

وتسن القراءة بالتدبر والتفهم .. فهو المقصود الأعظم ، والمطلوب الأهم . وبه تشرح الصدور ، وتستتير القلوب .. قال تعالى :  
« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (١) .

ويستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكي لمن لا يقدر على البكاء مع الحزن والخشوع : قال تعالى : « ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » (٢) .

ويسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها .. ففى الحديث : « زينوا القرآن بأصواتكم » (٣) .

ويسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغظ والحديث بحضور القراءة .

ويسن السجود عند قراءة آية السجدة وهي أربع عشرة :  
فى الأعراف ، والرعد ، والفرقان ، والنمل ، والسجدة ، وفصلت ، والنجم ، والنحل ، والاسراء ، ومريم ، وفى الحج : سجدتان ، وإذا السماء انشقت ، واقرأ باسم ربك ، وأما سورة ص فمستحبة وليست من عزائم السجود أى متأكداته ، وزاد بعضهم آخر سورة الحجر .  
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى سجود القرآن بالليل : « سجد وجهى للذى خلقه وصوره وخلق سمعه وبصره بحوله وقوته » (٤) .

وفى رواية الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما :  
« جاء رجل فقتل : يا رسول الله .. رأيتنى اليوم وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها تقول : اللهم اكتب لى بها أجرا وحط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داوود .. قال ابن عباس : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة فقال فيها مثل ما أخبره أنرجل عن قول الشجرة » .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان

(١) سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٢٤

(٢) الاسراء : ١٠٩

(٣) رواه أبو داوود والنسائى وابن ماجه وهو حديث حسن أو صحيح .

(٤) أخرجه أصحاب السنن .

ميكى ! يقول : يا وليتا .. أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار» (١) .

واعلم أن القراءة في المصحف أفضل من قراءته حفظا .. لأن النظر فيه عبادة مطلوبة .. وذلك بالنسبة للتأمل في المصحف» (٢) .

ويكره الآتى :

قطع القراءة لكاملة أحد .. لأن كلام الله تعالى لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره .

والضحك والعبث والنظر الى ما يلهى .

والتنكيس في القراءة بمعنى أن تقرأ مثلاً سورة « ألم نشرح » قبل سورة « والضحي » .. وقد سئل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن رجل يفعل ذلك فقال : ذلك منكوس القلب .

والخط بين سورة وسورة .. لأن ذلك ليس من آداب التلاوة ، والأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف .

ولا يجوز قراءة القرآن بغير العربية مطلقا .. سواء أكان في الصلاة أو خارجها .

ولا تجوز القراءة بالشاذ .. نقل ابن عبد البر الاجماع على ذلك .. وهى القراءة التى لم يثبتها قراء الأمصار .. مثل ابن كثير قارئ مكة ، ونافع قارئ المدينة .. ولذلك قالوا : انها ليست قرآنا ولا تصح بها الصلاة .

ومثال هذه القراءة الشاذة : « فاليوم ننحك بيدك لتكون لمن خلقك آية » (٣) بالحاء بدلا من الجيم .. كما قال ابن الجزرى .

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أما بالنسبة لحفظ القرآن فقد ورد فيه حديث رواه الترمذى وحسنه ابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح الإسناد .. يقول فيه الرسول ﷺ : « يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن : يا رب حله ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه فيرضى عنه ، فيقول له : اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة » وفى حديث قدسى رواه أبو نعيم عن أبى سعيد : « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين جبرانى ؟ فتقول الملائكة : من هذا الذى ينبغي له أن يجاوزك ؟ فيقول : أين قرأ القرآن وعمار المساجد » ؟

(٣) يونس : ٩٢ بلفظ : « تنحك » .

والأوقات المختارة للقراءة أفضلها : ما كان في الصلاة ، ثم الليل  
ثم نصفه الأخير ، وهى بين المغرب والعشاء محبوبة ، وأفضل أوقات  
النهار بعد الصبح .

والمختار من الأيام : يوم عرفة ، ثم يوم الجمعة ، ثم يوم الاثنين  
والخميس .

ومن الأعشار : العشرة الأخيرة من رمضان ، والأول من ذى الحجة .  
ومن الشهور : رمضان .

والأفضل أن تبدأ قراءته يوم الجمعة وتختمه ليلة الخميس ، فقد  
روى أن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان يفعل ذلك .

والأفضل كذلك : ختمه أول النهار أو أول الليل .. قال فى « الاحياء » :  
« ويكون الختم فى أول النهار فى ركعتى الفجر ، وأول الليل فى ركعتى  
سنة المغرب » .

ويسن صوم يوم الختم .. وأخرج الطبرانى عن أنس أنه كان  
إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا .

وحسبك تعبير الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن  
الهُوى والذى ان تعمقت فيه لتبين لك بوضوح أن النبى صلى الله عليه  
وسلم لم يكن مجرد مبعوث من قبل الله تعالى .. وانما كان خبيراً  
ببواطن الأمور ، وطبيباً ماهراً فى معالجة أمراض القلوب التى إن صلحت  
صلح الجسد كله ، وان فسدت فسدت الجسد كله .

وذلك بالنسبة لداء الضحك الذى يعتبر من الأمراض الخبيثة التى  
ان أصيب القلب بها كان محروماً من الأنوار .. فقد ركز عليه الرسول  
صلى الله عليه وسلم لأنه كما قال فى حديث شريف : « استدرج من  
الشیطان واختداع من الهوى » .. وحسبك تحذير الرسول صلى الله  
عليه وسلم منه فى نص الوصية .

\* ولما كان المزاح من أهم الأسباب المؤدية الى كثرة الضحك ..  
كان لا بد وأن تشير اليه ، ونحذر منه كذلك .. وحسبنا ما قاله عمر  
ابن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : « اتقوا المزاح فإنه حمقة تورث  
ضعيفة » .

وما قاله أحد الحكماء : « انما المزاح سباب الا أن صاحبه يضحك » .  
وما قيل فى منثور الحكم : « المزاح يأكل الهيئة كما تأكل النار  
الحطب » كما قيل : « من كثر مزاحه زالت هيئته » وقيل : « من قل  
عقله كثر هزله » .



وقال سعيد بن العاص لابنه : « اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء ويجريء عليك السفهاء » .

هذا ولا مانع أن يكون هناك مزاح برىء ينفس عن النفس ما طرأ عليها من هم وملل .. فقد قيل : لا بد للمصدر أن ينفس عن نفسه والا هلك .. وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى المثار اليه :

أفد طبعك المكود بالجد راحة    يجسم وعله بشيء من المزح  
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن    بمقدار ما يعطى الطعام من الملح  
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « انى لأمزح ولا أقول  
الاحقا » ومن مزاحه صلى الله عليه وسلم :

أن عجوزا من الأنصار أتته فقالت : يا رسول الله .. ادع الله لى أن يخذلى الجنة ، فقال : « أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجائز » ؟  
فصرخت فتيسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أما قرأت من القرآن قول الله عز وجل : « انا أنشأناهن انشاءً • فجطناهن أبكارا • عريا أترابا » (١) .

وأنته أخرى في حاجة لزوجها فقالت لها : « ومن زوجك » ؟ فقالت : فلان ، فقال لها : « الذى فى عينيه بياض » ؟ فقالت : لا .. فقال : « بلى .. » فانصرفت عجلي الى زوجها وجعلت تتأمل عينيه . فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فى عينيك بياض .. فقال : أما ترين بياض عيني أكثر من سوادهما (٢) ؟  
واعلم أيها الأخ الكريم أن اعتياد الضحك شاغل عن النظر فى الأمور المهمة ، مذهب عن الفكر فى النوائب الملمة ، وليس لمن أكثر منه هية ولا وقار ، ولا لمن وسم به خطر ولا مقدار .. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « من كثر ضحكه قلت هيئته » وقال على رضى الله عنه : « اذا ضحك العالم ضحكة مج من العلم مجة » .. ولتكن دعابتك تبسما .. وهذا أبلغ فى الايناس من الضحك الذى قد يكون استهزاء وتعجبا .

وكن مقتديا برسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبتسم حتى تبدو نواجذه .. كما ثبت فى بعض الأحاديث الشريفة .

(١) الواقعة : ٣٥ - ٣٧

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث عبادة بن سهم الفيرى .

\* وعليك بالجهاد .. فهو خير لك من الدنيا وما فيها ، وحسبك حديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول فيه : « لعدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » (١) .. وهو من أفضل الأعمال .. فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : أى العمل أفضل ؟ قال : « ايمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » .. قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم المقانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله » (٣) وهذا هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فانه رهبانية أمتى » كما جاء في نص الوصية .

وحسب المجاهد في سبيل الله أنه بجهاده يكون قد تعاقد مع الله سبحانه وتعالى الذى يقول في كتابه العزيز :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بمهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » (٤) .

ويكون قد تاجر مع الله تعالى الذى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، نلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين » (٥) .

« واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » (٦) .

(١) رواه البخارى ومسلم عن انس .

(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم . (٤) التوبة : ١١١

(٥) الصف : ١٠ - ١٣ (٦) من حديث صحيح .

\* (وأحب المساكين وجالسهم) :  
 وحسبك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم أحينا مسكينا ، وأمتنى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين » (١) .  
 وقال لرجل شكاه إليه قسوة قلبه : « امسح رأس اليتيم ، وأطه المسكين » (٢) .

وكان سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس إليه ، وقال : « مسكين جالس مسكينا »  
 وقيل : كان سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يحب أن يقال له : « يا مسكين » .

وقال موسى عليه الصلاة والسلام مناجيا ربه : « الهى .. أير أبغيك » ؟ قال : « عند المنكسرة قلوبهم » . وقال الفضيل : بلغنى أ نبيا من الأنبياء قال : « يا رب .. كيف لى أن أعلم رضاك عنى »  
 قال : « انظر كيف رضا المساكين عنك » .

فكن من الذين يحبون المساكين أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذكر من الأنبياء والصالحين ، وكن محبا للمساكين « ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » (٣) ، وكن رحيفا باليتيم ، واذكر قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة » وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى (٤) .  
 وانظر الى من هو تحتك ولا تنظر الى من هو فوقك : حتى تكون راضيا بما قسم الله لك ، وحتى تكون من أغنى الناس ، واذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

وقد ورد فى الحديث القدسى عن رب العزة :

« عبدى .. ان رضيت بما قسمته لك أرحت نفسيك وبدنك وكنت عندى محمودا ، وان لم ترض بما قسمته لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية ولا ينالك منها الا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما » .

(١) رواد ابن ماجه والحاكم وأخرجه الترمذى عن انس باسناد ضعيف .

(٢) الكهف : ٢٨

(٣) رواد أحمد .

(٤) رواد البخارى .

\* واحذر أن تنظر الى من هو فوقك في الغنى المادى حتى لا تكون محقرًا لنعم الله عليك ، حاقدا على من أنعم الله عليه ، وانظر الى من هو أدنى منك ما لا حتى تكون شاكرًا نعمة الله تعالى الذى يقول :

«لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابي لشديد» (١) .

وانظر الى من هو فوقك في العلم واغبطه على ذلك « وقل رب زدنى علما» (٢) فهذا حسد محمود .

واعلم أنه بشكرك لله عز وجل على ما أعطاك ، وبعدك عن الطمع كما نهاك ، وطلبك للعلم كما أوصاك ، ستكون من أهل الفلاح والنجاح ، وستكون من « أولئك الذين هدى الله ، فبهدهم اقتده» (٣) .

\* ( وقل الحق وان كان مرا ، ولا تخف في الله لومة لائم ) :

حتى لا تكون من الذين لعنوا : « على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون» (٤) .

وحتى تكون من الذين : « يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون» (٥) .

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ...» (٦) .

و « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» (٧) .

واذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان» (٨) .

« الدين النصيحة » .. قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (٩) .

« ما من نبي بعثه الله في أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل» (١٠) .

(١) ابراهيم : ٧ (٢) طه : ١١٤ (٣) الانعام : ٦٠

(٤) المائدة : ٧٨ ، ٧٩ (٥) آل عمران : ١٠٤ (٦) طه : ١٣٢

(٧) النحل : ١٢٥ (٨) رواه مسلم . (٩) رواه مسلم .

(١٠) رواه مسلم .

« ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » (١) .

وفي الحديث القدسي : « يا ابن آدم .. لا تخف من سلطان ما دام سلطانى باقيا ، وسلطانى لا ينفد أبدا .. يا ابن آدم .. لا تأنس بغيرى وأنا لك ، فانك ان طلبتنى وجدتتى ، وان أنست بغيرى فتك وفاتك الخير كله .. يا ابن آدم .. خلقتك للعبادة فلا تلعب ، وقسمت لك رزقك فلا تتعب ، ان كثر فلا تفرح ، وان قل فلا تجزع » .

وفي حديث آخر : « أنا الله ، لا اله الا أنا ، مالك الملك ، وملك الملوك ، قلوب الملوك كلها فى يدي ، وان العباد اذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وان العباد اذا عصونى حولت قلوبهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتقرب أكفكم ملوكمم » (٢) .

ومن مواقف أهل الحق التى أرجو أن تنتفع بها هذين الموقفين :  
كان أبو هريرة رضى الله عنه واليا على البحرين أثناء خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان قد جاء الى المدينة ومعه عشرة آلاف درهم فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله وعدو كتابه ؟ ! فقال أبو هريرة : لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكن عدو من عاداهما .. قال : فمن أين هى لك ؟ فقال : خيل نتجت ، وغلة رقيق لى ، وأعطية تتابعت .. وبحث عمر الموضوع ، وبعد أن تحقق من مصادر هذا المال أجاز له ثم دعاه بعد ذلك ليوليه امانة فأبى .. فقال عمر : تكره العمل وقد طلبه خير منك : يوسف عليه السلام ؟ فرد أبو هريرة بقوله : يوسف نبى ابن نبى .. وأنا أبو هريرة ابن أميمة أختى أن أقول بغير علم ، وأن يضرب ظهري ، وأن ينزع مالى ، ويشتم عرضى .

ورأى أبو ذر الغفارى رضى الله عنه معاوية يوما وقد أنفق مالا كثيرا فقال له : ان كان هذا من بيت المال فأنت خائن « وأن الله لا يهدى

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء .

كيد الخائنين» (١) وان كان من مالك فأنت مسرف والله « لا يحب  
المسرفين» (٢) •

فكن من أهل الحق والداعين اليه والمدافعين عنه والمناصرين له •

\* (ثم كن مشغولاً بعيوبك عن عيوب الناس) :  
وهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ليردك  
عن الناس ما تعلمه من نفسك » •

وحسبك أن تفكر في أخطائك الكثيرة التي ربما لا تحصى ولا تعد ،  
والتي لو يؤاخذك الله بها لخسف بك الأرض ، ولكن يؤخرك ليوم تشخص  
فيه الأبصار ، عسى أن تتوب اليه وتصالح معه ، وتندم على ما كان  
منك من أخطاء •

واعلم أنه سبحانه وتعالى غفور رحيم ، أحسن على عبده من الوالدة  
على ولدها ، وأنه سبحانه « يفرغ الذنوب جميعاً » (٣) وقد ورد أن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة  
ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعامله من الأرض حتى يلتقى الله وليس  
عليه شاهد بذنب » (٤) •

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي غفر الله له ما تقدم  
من ذنبه وما تأخر يقول لأصحابه كما ورد في حديث رواه أبو هريرة :  
« والله انى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » (٥) •

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : كنا نعد لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة : « رب اغفر لى وتب  
على انك أنت التواب الرحيم » (٦) •

واعلم أن التوبة واجبة من كل ذنب بدليل قوله تعالى :  
« استغفروا ربكم ثم توبوا اليه » (٧) وقوله تعالى : « يا أيها الذين  
آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً » (٨) •

(٢) الأعراف : ٣١

(٤) رواه الأصبهاني بسند ضعيف •

(١) يوسف : ٥٢

(٣) الزمر : ٥٣

(٥) رواه البخارى •

(٦) رواه أبو داود والترمذى وهو حسن صحيح •

(٨) التحريم : ٨

(٧) هود : ٥٢

مع ملاحظة أنه إذا كانت المعصية بين العيد وبين الله تعالى ولا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية •

الثاني : أن يندم على فعلها •

الثالث : أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا •

فإذا فقد أحد الثلاثة لا تقبل توبته •

وان كانت المعصية تتعلق بآدمي فشرطها أربعة : هذه الثلاثة

السابقة ، وأن يبرأ من حق صاحبها •

فان كان مالا أو نحوه رده إليه ، وان كان حد قذف ونحوه مكنه

منه أو طلب عفوه ، وان كانت غيبة استحله منها •

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب •• فان تاب من بعضها صحت

توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي •

فيا أيها المغرور قم وانتهه قد فاتك المطلوب والركب سار

ان كنت أذنبت فقم واعتذر الى كريم يقبل الاعتذار

وانهض الى مولى عظيم الرجا يغفر بالليل ذنوب النهار

ومن أجمل ما قرأت في هذا :

أن لصا دخل بيت رابعة العدوية ليلا لكي يسرقه •• فلم يجد

فيه غير ابريق فيه ماء •• فلما أراد الخروج قالت له عندما رآته يتسلل

الى الباب : يا هذا •• ان كنت من الأذكيا فلا تخرج بغير شيء ••

فقال اللص : انى لم آخذ شيئا • فقالت له : يا مسكين •• توضع بهذا

الابريق وادخل في هذه الحجرة وصل ركعتين فانك ما تخرج الا بشيء ••

ففعل اللص ما أمرته به •• فلما قام يصلى رفعت رابعة بصرها

الى السماء وقالت : سيدى ومولاي •• هذا أتى بابى فلم يجد شيئا

عندى وقد أوقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك ••

فلما فرغ اللص من صلاة الركعتين لذت له العبادة •• فما برح

يصلى الى آخر الليل •• فلما كان وقت السحر دخلت عليه رابعة

فوجدته ساجدا وهو يقول في سجوده معاتباً نفسه :

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصينى

وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتيني

فما قولى له لى يعاتبينى ويقصينى

فلما انتهى الرجل من ليلته قالت له : كيف ليلتك ؟ فقال : بخير ••

وقفت بين يدي مولاي بذلي وافتقاري .. فقبل عذري ، وجبر كسري ،  
وغفر ذنبي ، وبلغني المطلوب .. ثم انطلق هائما على وجهه .

فرفعت رابعة كنفها الى السماء وقالت : سيدي ومولاي .. هذا  
وقف ببابك ساعة فقبلته ، وأنا قد عرفتك بين يديك أتراك قبلتني ؟  
واعلم أنه لا عقل كالتهجير ، ولا ورع كالكلف ، ولا حسب كحسن  
الخلق ..

وإذا كان التهجير في الأمر كما يقول علماء اللغة : هو النظر الى  
ما تؤول اليه عاقبته فالعاقل من فكر في الأمر قبل أن يفعل ما لا يحمده  
عقباه .. فكم من الناس هلكوا بسبب حماقتهم .. لأنهم يضعون الأمور  
في غير موضعها ، ويتصرفون بدون تفكير وطول نظر .. وذلك لفساد  
عقولهم ..

قال الأصمعي : قلت لغلام من أبناء العرب : أيسرك أن يكون لك  
مائة ألف درهم وأنت أحمق ؟ قال : لا والله .. قلت : ولم ؟ قال : أخاف  
أن يجنى على حمقى جناية فيذهب مالي ويبقى على حمقى .

وقال لقمان لابنه : لا تعاشر الأحمق وان كان ذا جمال .. فإنه  
كالسيف حسن مظهره ، قبيح أثره .

لكل داء دواء يستطب به الا الحماسة أعيت من يداويها

وكف أذاك عن المسلمين حتى تكون مسلما .. فقد قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه .. » (١) .  
ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من لم تكن فيه واحدة  
منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله .. تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل ،  
وحلم يكف به السفية ، وخلق يعيش به في الناس » (٢) .. فتمتع بهذه  
الصفات حتى تكون من أهل الورع وحتى تنجو « يوم يعرض الظالم  
على يديه » (٣) .

وحسن خلقك فهو حسبك ونسبك ، وبه يكمل إيمانك .. وهذا

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الطبراني وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة وقال : حسن

(٣) الفرقان : ٢٧ بلفظ : « ويوم » ٢



رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئل : أى المؤمنين أكمل إيماناً ؟  
قال : « أحسنهم أخلاقاً » (١) •

وقال : « ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »  
وفى رواية : « ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم  
النهار » •

وتذكر دائماً وأبداً أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم  
الأخلاق ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان على خلق عظيم •• ولهذا كان  
هدوة سالحة ، وأسوة حسنة لمن أراد الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ••  
فكن من المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم تكن من الفائزين فوزاً  
عظيماً •• وحسبك هذه الأقوال المأثورة :

« الحسن الخلق من نفسه منه فى راحة ، والناس منه فى سلامة ،  
والسوء الخلق الناس منه فى بلاء ، وهو من نفسه فى عناء » •

« ان الله تعالى جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلاً بينه وبينكم  
فحسب الرجل أن يتصل من الله تعالى بخلق منها » •

« والفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب ، لأن من ساء أديه  
ضاع نسبه ومن ضل عقله ضل أصله » •




---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه باللفظ الاول والرواية أخرجه الحاكم  
وقال صحيح على شرطها •

# الوصية الرابعة

قال أبو ذر رضى الله عنه :

أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث ، قال :  
« اسمع وأطع ولو لعبد مجدوع الأتف ، فان صنعت  
مركة فاكتر ماءها ثم انظر الى أهل بيت جيرانك فاصبهم  
منها بمرقتك ، وصل الصلاة لوقتها » •

( رواه مسلم مختصرا فى البر والصلة عن أبى ذر )

\*\*\*

فكن أخا الاسلام :

من العاملين بهذه الوصايا الثلاث (١) وهى :

• ( فاسمع وأطع ولو لعبد مجدوع الأتف ) :

وبهذا تكون قد نفذت أمر الله تعالى الذى يقول : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (٢) •  
وهذا هو المطلوب ذلك كمسلم •• فى الحديث : « على المسلم  
السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية فلا سمع  
ولا طاعة » (٣) وعن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه  
وسلم قال : « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن  
رأسه زبيبة » (٤) •

واحذر عدم السمع والطاعة والامت مية جاهلية •• فقد ثبت  
أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من خلع يدا من طاعة لقى  
الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة  
جاهلية » (٥) •

(١) راجع فى الوصية الأولى ما كتب فى هذا الموضوع •

(٢) النساء : ٥٩

(٣) متفق عليه ، أى رواه البخارى ومسلم •

(٤) رواه مسلم •

(٥) رواه البخارى •

\* (وان صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت جيرانك فأصبهم منها بمرقتك) :

فربما كانوا يتضورون جوعا وفي أشد الحاجة الى ما يسد رمقتهم ويطفىء نار جوعهم •

وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا : « اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك » (١) •

وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره » (٢) •  
وقال : « خير الجيران عند الله خيرهم لجاره » (٣) ولا سيما أقربهم اليك بابا • • فقد روى أن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قلت يا رسول الله • • ان لى جارين فالى أيهما أهدى ؟ قال : « الى أقربهما منك بابا » (٤) •

وذلك لأن جارك ولا سيما الأدنى منك حسيا ومعنويا ودينيا أقرب اليك من أهلك وعشيرتك ، وأسرع لنجدتك عند الشدائد والنوازل •  
فأحسن الى جارك وكن بارا ، ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (٥) \* (وصل الصلاة لوقتها) :

واحذر أن تجمع بين صلاتين حتى لا تأتى بابا من أبواب الكبائر • •  
فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث شريف :

« من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر » (٦) •

والويل لك ان فعلت ذلك • • وفي هذا يقول الله تعالى :

« فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون » (٧) •

وهم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها (٨) •  
وحسبك تشجيعا لك على أداء الصلاة في وقتها قول الله تعالى :

« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » (٩) •

(٢) رواه مسلم •

(١) رواه مسلم •

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن •

(٥) رواه البخارى ومسلم •

(٤) رواه البخارى •

(٧) الماعون : ٤ ، ٥

(٦) رواه الحاكم •

(٩) النساء : ١٠٣

(٨) رواه البزار •

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه في اجابته على سؤال وجهه اليه ابن مسعود رضى الله عنه :

أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة لوقتها » • قلت :

ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » • قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » (١) •

فاذا سمعت المؤذن ينادى : حى على الصلاة •• حى على الفلاح •• كن مليبيا لهذا النداء ، وتوضأ وأحسن وضوءك ، ثم اخرج الى الجماعة حتى تفوز بثواب صلاة الجماعة الذى أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا •• وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفع بها درجة ، وحطت عنه بها خطيئة •• فاذا صلى لم تنزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث •• تقول : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه •• ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة » (٢) •

واحذر ترك هذا فانه لا رخصة لك فيه ما دمت تسمع المؤذن وتتقوى على الذهاب الى المسجد •• فقد ورد أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال : يا رسول الله •• ليس لى قائد يقودنى الى المسجد •• فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلى فى بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال له : « هل تسمع النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم •• فقال : « فأجب » (٣) •

فحافظ على أداء الصلاة فى وقتها مع الجماعة ، ولب نداء المؤذن •• والا فلن ينادى المؤذن ؟ وما معنى أنك مسلم ؟ وتأمل قول القائل :

ألا فى الصلاة الخير والفضل أجمع  
وأول فرض فى شريعة ديننا  
فمن قام للتكبير لآفته رحمة  
وكان لرب العرش حين صلاته

لأن بها الرقاب لله تخضع  
وآخر ما يبقى أذ الدين يرفع  
وكان كعبد باب مولاه يقرع  
نجيا فيا طوبى له حين يخضع

\*\*\*

(٢) متفق عليه وهذا لفظ البخارى •

(١) رواه البخارى ومسلم •

(٣) رواه مسلم •

# الوصية الخامسة

عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« ستة أيام ثم أعقل يا أبا ذر ما يقال لك بعد » •

فلما كان اليوم السابع قال :

« أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته ، وإذا

أسأت فأحسن ، ولا تسألن أحدا شيئا وإن سقط سوطك ،

ولا تقبض أمانة » •

(رواه أحمد بإسناد جيد) •



فكن أخا الاسلام :

معتبرا ومحيطا بما في هذه الوصية الجامعة من أسرار ، وتأمل كيف استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوتى من حكمة أن يجعل أيا ذر مشغولا بما سيلقى عليه من الوصايا طوال هذه الأيام الست •• وذلك حتى يظل طوال حياته ذاكرا لها ومنفذا لها فيها ، وهى :

\* ( اتق الله في سر أمرك وعلانيته ) :

وكما قرأنا قبل ذلك في الحديث عن النقي ، وعلاوة على أنها رأس الأمر كله •• فهى السبيل الوحيد الى تكفير السيئات وغفران الذنوب •• قال تعالى : « أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكثر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم » (١) •

ولما كنا جميعا نرجو هذا ونتمناه ، كان لا بد وأن نراقب الله في السر والعلن •• فلاحظ ذلك يا أخا الاسلام ، واتق الله في سر أمرك وعلانيته و « اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك » (٢) •

\* (وإذا أسأت فأحسن) :

أى إذا فعلت السيئة بايعاذ من الشيطان الرجيم الذى يعمل دائما وأبدا على اغوائنا واغوائك ، وضياعنا وضياعك فى الدنيا والآخرة من

(٢) من حديث أخرجه مسلم •

يوم أن هبط مع أبويانا من الجنة ومنذ اللحظة التي قال فيها لرب العزة :  
 « فبعزتك لأعوينهم أجمعين » (١) ، « فبما أغويتني لأقعدن لهم  
 صراطك المستقيم . ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم  
 وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين » (٢) . . . إذا كان هذا الملعون قد  
 استطاع بحيله المتعددة أن يسيطر عليك ، ويقودك الى حيث غضب الله  
 تعالى الذي حذرنا من شره فقال لك ولجميع خلقه المكلفين : « الشيطان  
 يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » (٣) وقال أيضا في كتابه العزيز :  
 « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعو حزبه ليكونوا من  
 أصحاب السعير » (٤) . . . فقم سريعا من كبوتك . وعد الى الله الكريم  
 الذي يقول : « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة  
 الله ، ان الله يفر الذنوب جميعا » (٥) « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (٦) .  
 وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا فقال : « ان الحسنات يذهبن  
 السيئات » (٧) .

\* (ولا تسألن أحدا شيئا وان سقط سوطك) :  
 وذلك حتى تكون عزيزا مرفوع الهامة بين الناس الذين لا يحترمون .  
 ولا يجالون غير الأغنياء عنهم . . . وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم  
 حين قال :  
 « أحب الناس الى الناس من استغنى عن الناس ، وأبغض الناس  
 اليهم من احتاج اليهم ، وأحب الناس الى الله من احتاج الى الله »  
 وأبغض الناس اليه من استغنى عنه واحتاج الى غيره » .  
 ولما كان هذا الغنى عن الناس لا يتحقق الا بالسعى الجاد في  
 منابك الأرض طلبا للرزق الحلال فقد أمر الله تعالى به فقال : « فامشوا  
 في منابكها واكلوا من رزقه ، واليه النشور » (٨) .

حتى في يوم الجمعة لم يقل الله استريحوا فيه . . . وانما قال :  
 « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ، وانكروا »

(٢) الاعراف : ١٦ ، ١٧

(٤) فاطر : ٦

(١) سورة ص : ٨٢

(٣) البقرة : ٢٦٨

(٥) الزمر : ٥٣

(٦) من حديث رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٨) الملك : ٣٥

(٧) هود : ١١٤

«الله كثيرا لعلمكم تفلحون» (١) .. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب العمل ويدعو اليه : فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم بين أصحابه فذكروا له أن رجلا منهم يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر من الذكر ، وظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم سيفرح بهذا الرجل ثم سيطلب منهم أن يتشبهوا به .. ولكنه صلى الله عليه وسلم ما كاد يستمع الى مديحهم حتى قال لهم : « أياكم يَكْفِيهِ طعامه وشرابه » ؟ فقالوا : كلنا يا رسول الله .. فقال : « كلكم خير منه » عند ذلك اندفع الأصحاب يعملون وينشطون حتى قرن الله تعالى التجار منهم بالمجاهدين في سبيل الله في آية واحدة يقول فيها سبحانه وتعالى :

« وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون

يقاتلون في سبيل الله » (٢) وهذا شرف عظيم للعاملين ..

فلاحظ هذا أخا الاسلام ، وكن من أهل هذا الشرف ، واعمل على أن تكون من الصنف المنتج ، وحافظ على ماء وجهك وتدبر القول المأثور : « استغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، وأحسن الى من شئت تكن أميره » واحذر أن تكون أسيرا لأحد ، ولا تنس قول القائل الحكيم :

ان الغنى اذا تكلم بالخطأ	قالوا صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير اذا تكلم صادقا	قالوا كذبت وأبطلوا ما قالوا
ان الدراهم في المواطن كلها	تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة	وهى السلاح لمن أراد قتالا

ثم اليك هذا المثل الحى الذى أرجو أن يكون نصب عينيك دائما

وأبدا حتى تنتفع به :

يقول على رضى الله تعالى عنه : جعت يوما فذهبت الى عوالى المدينة أطلب عملا .. فوجدت امرأة قد جمعت ترابا متلبدا تريد بله بالماء فبادلتها كل ذنوب (٣) على تمره ، فملات لها ستة عشر ذنوبا حتى مجلت يدي — أى احمرت — فبسطت كفى لقرى أثر العمل فعدت لى ست عشرة تمره فأخذتها وذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما حدث ففرح وأكل معى منها ..

ولهذا كان رضى الله تعالى عنه يقول معبرا عن فخره وحيه للعمل :

(٢) المزمل : ٢٠

(١) الجمعة : ١٠

(٣) الذنوب : الحلو العظيمة .

لحمل الصخر على قمم الجبال أحب الى من من الرجال  
يقول الناس لى فى المكسب عار فقلت العار فى ذل السؤال  
ومن أجمل ما يروى فى هذا المجال أيضا أن سيدنا سليمان على نبينا  
وعليه الصلاة والسلام ناجى ربه فقال : يا رب .. قد أعطيتنى ما لم تعط  
أحدا قبلى ، وسألتك أن لا تعطيه أحدا بعدى فأعطيتنيه ، فان قصرت فى  
شكرك فدلنى على عبد هو أشكر لك منى .. فأوحى الله تعالى اليه :  
« يا سليمان .. عبد يكسب بيديه يسد جوعه ويستتر عورته ويعبدنى  
هو أشكر لى منك .. » فقال : يا رب .. اجعل كسبى بيدي .. فأتاه  
جبريل عليه السلام فعلمه الخوص يتخذ منه القفاف .. فأول من عمل  
الخوص سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ومن قصيدة للإمام الشافعى رضى الله عنه :

سافر تجد عوضا عن تفارقه وانصب فان لذى العيش فى النصب (١)  
انى رأيت وقوف الماء يفسده ان سال طاب وان لم يجز لم يطب  
الأسد لولا فراق الغاب ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب  
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة للمها الناس من عجم ومن عرب  
والتبر كالترب ملقى فى أماكنه والعود فى أرضه نوع من الحطب  
فان تغرب هذا عز مطلبه وان تغرب ذاك عز كالذهب  
\* (ولا تقبض أمانة) .. ما لم تكن أهلا لحفظ الأمانات ، أو تحمل  
المسئوليات التى هى مجموعها أمانة ، وحسبك ما فعله الرسول صلى الله  
عليه وسلم بأبى ذر رضى الله عنه عندما طلب منه أن يستعمله فى ولاية ..  
فضرب الرسول صلى الله عليه وسلم بيده على منكبه ثم قال له :  
« يا أبا ذر .. انك ضعيف وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة .. »  
إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها « (٢) .

أما اذا كنت ترى أنك كفاء لتحمل أعباء حفظ الأمانات دون طمع  
فيها ، أو نقصان منها فلا مانع من هذا ، وحسبك أن تعلم أن يوسف  
على نبينا وعليه الصلاة والسلام لم يرشح نفسه لادارة شؤون المال  
إلا لعلمه بأنه كفاء لهذا ، الى جانب علمه وتقواه .. ولهذا قل :  
« اجعلنى على خزائن الارض ، انى حفيظ عليم » (٣) .  
جعلنى الله واياك من الأمناء الشرفاء الأتقياء .

(٢) رواه مسلم .

(١) اى التعب .

(٣) يوسف : ٥٥



# الوصية السادسة

عن أبي ذر رضى الله عنه قال : أوصانى خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع :

« بحب المساكين وأن أدنوا منهم ، وأن أنظر الى من أسفل منى ، ولا أنظر الى من هو فوقى ، وأن أصل رحمى وأن جفانى وأن أكثر من قول : لا حول ولا قوة الا بالله ، وأن أتكلم بمر الحق ، ولا تأخذنى فى الله لومة لائم ، وأن لا أسأل الناس شيئاً » .  
( رواه أحمد والطبرانى من رواية للشعبي عن أبي ذر ) .

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

\* ( محبا للمساكين وادن منهم حتى تحشر معهم وفى زمرةهم ) :  
وحسبك أن الرسول صلى الله عليه وسلم تمنى هذا ، كما قال فى دعاء مأثور : « اللهم أحيى مسكينا وأميتى مسكينا واحشرنى فى زمرة 'لساكين' » (١) .

واعمل على أن يكون حبك لهم عطايا واحسانا ، واحذر أن يكون كلاما فقط .. فستان بين العمل والقول ، وحتى تعرف درجة الانفاق .. اليك هذا الحديث : عن أبي ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تعبد عابد من بنى اسرائيل فعبد الله فى صومعة ستين عاما ، فأمطرت الأرض واخضرت ، فأشرف الراهب من صومعته فقال : لو نزلت فذكرت الله فازددت خيرا ، فنزل ومعه رغيف - أو رغيفان - فبينما هو فى الأرض لقيته امرأة فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها .. ثم أغمى عليه .. فنزل الغدير يستحم ، فجاءه سائل ، فأوماً اليه أن يأخذ الرغيفين ، ثم مات ، فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية بحسناته ،

(١) رواه ابن ماجه والحاكم .

ثم وضع الرغيف — أو الرغيفان — مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له «(١)» «فأما اليتيم فلا تقهر • وأما السائل فلا تنهر • وأما ينعمة ربك فحدث» (٢) •

\* (وانظر الى من هو أسفل منك مالا ولا تنتظر الى من هو فوقك) • •  
حتى تعيش سعيدا قريير العين بما أنعم الله عليك ، واحذر أن تكون غير راض بما قسم الله لك • • ففي ذلك ضياعك وفقرك ، واشكر الله على ما أعطاك ، واذا أردت مزيدا فسل الله من فضله • • فهو واسع الكرم والعطاء •

واعلم أن « ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » (٣) وأن الدنيا لا تستحق أدنى تفكير ، وأنها ليست مقياسا على حب الله تعالى للعبد • • وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين الا لمن أحب » (٤) فكان من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » •

كن غنى القلب واقنع بالقليل      مت ولا تطلب معاشا من لئيم  
لا تكن للعيش مجروح الفؤاد      انما الرزق على الله الكريم

\* \* \*

إذا اشتدت بك البلوى      ففكر في ألم نشرح  
ففسر بين يسرين      إذا فكرته تفـرج

\* (وصل أقاربك وان جفوك) :

واعلم أن صلة الأرحام من أهم أسباب الصلة بينك وبين الله تعالى • • وفي ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

« الراحمون يرحمهم الله تعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الرحم شجنة من الرحمن ، ومن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعته الله » (٥) •

وعن عائشة رضی الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) الضحى : ٩ - ١١

(١) رواه ابن حبان •

(٣) رواه أحمد بسند صحيح •

(٤) رواه أحمد عن ابن مسعود بسند ضعيف •

(٥) رواه الترمذی •

قال : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعته الله » (١) .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله عز وجل : أنا الله .. وأنا الرحمن .. خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمي .. فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » (٢) .

ثم علاوة على ذلك فهي من أسباب سعة الرزق .. ففي الحديث : « من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه » (٣) . وهي أسرع الخير ثوابا .. قال صلى الله عليه وسلم : « أسرع الخير ثوابا : البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة : البغى وقطيعة الرحم » (٤) .

فصل رحمك وان قطعوك ولا تكن من « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ، أولئك هم الخاسرون » (٥) .

ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » (٦) .  
\* ( وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فهي كنز من كنوز الجنة ) :

وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى موسى رضى الله تعالى عنه : « قل لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » وفي رواية أخرى : « ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش .. لا حول ولا قوة الا بالله » (٧) .

وورد في حديث شريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قال العبد لا اله الا الله والله أكبر ، قال الله عز وجل : صدق عبدى لا اله الا أنا ، وأنا أكبر ، وإذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له ، قال تعالى : صدق عبدى لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى ، وإذا قال لا اله الا الله

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٤) أخرجه ابن ملجه .

(٦) رواه البخارى ومسلم .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٥) البقرة : ٢٧ .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

ولا حول ولا قوة الا بالله ، يقول سبحانه : صدق عبدى لا حول ولا قوة  
الابى ، ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار « (١) » .  
قال مجاهد : اذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ، قال الملك :  
هديت ، فاذا قال : توكلت على الله ، قال الملك : كفيت ، واذا قال :  
لا حول ولا قوة الا بالله ، قال الملك : وقيت .. ففتفرق عنه الشياطين  
فيقولون : ما تريدون من رجل قد هدى وكفى ووقى .. لا سبيل  
لكم اليه « (٢) » .

ثم هي من الباقيات الصالحات كما ورد في حديث يقول فيه الرسول  
صلى الله عليه وسلم : « الباقيات الصالحات هي : لا اله الا الله ،  
وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله » (٣) .  
وفي الحديث الصحيح : « ما على الأرض رجل يقول : لا اله الا الله ،  
والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثلك  
زيد البحر » (٤) .

✽ (وقل الحق وان كان مرا ولا تأخذك في الله لومة لائم) :  
فعن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال : بايعنا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط  
والمكره وعلى أثره علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله الا تروا كفرا  
بواحا — أى جهارا — عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق  
أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم « (٥) » .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على  
سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها اذا  
استنقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا  
خرقا ولم نؤذ من فوقنا .. فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ،  
وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » (٦) .

- 
- (١) رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهما .  
(٢) أخرجه بمعناه عن النبي صلى الله عليه وسلم والترمذى وحسنه  
والنسائى وابن حبان .  
(٣) أخرجه أحمد وأبو يعلى والنسائى وابن حبان والحديث صحيح .  
(٤) أخرجه النسائى والترمذى وقال : حديث حسن .  
(٥) رواه البخارى ومسلم .  
(٦) رواه البخارى والترمذى .

تكن من أهل الحق الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، ولا تتأثر  
 يغضب أهل الباطل عليك ، وارفح علم الحق يتبعك أهله .. مع ملاحظة  
 أنه ما قام الباطل الا لغفلة أهل الحق .. «وقل الحق من ريكم ، فمن شاء  
 فليؤمن ومن شاء فليكفر» (١) وليكن شعارك : « أنت صديقي والحق  
 صديقي .. فان تعارضا فالحق أولى بالصداقه » (٢) .  
 \* (ولا تسأل الناس شيئا) :

يقول أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : أة بليت لأسأل رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يقول :  
 « ومن يتصبر يصبره الله ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن  
 يعنه الله » قلت : فما أنا بسائلك اليوم (٣) .

وروى اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن  
 جده - رضوان الله عليهم - أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم  
 فقال : يا رسول الله .. أوصنى وأوجز .. فقال : « عليك باليأس مما في  
 أيدي الناس فإنه الغنى ، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ، وصل  
 صلاتك وأنت مودع ، وإياك وما يعتذر منه » (٤) .

وهذا معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب أن يكون  
 أصحابه متوكلين بهذا المعنى الذى وضحه سيدنا عمر رضى الله تعالى  
 عنه عندما مر عليه قوم من أهل اليمن فقال لهم : « من أنتم ؟ فقالوا :  
 متوكلون !! قال : « كذبتم .. ما أنتم متوكلون .. انما المتوكل : الذى  
 ألقى حبة فى الأرض وتوكل على الله » . وذلك مع تعهدا بالرعاية والعناية  
 كما جاء فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم للأعرابي : « اعقلها وتوكل » .  
 ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لأن يأخذ أحدكم  
 حبلأ فيذهب فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير له  
 من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » (٥) ويقول : « أخشى ما خشيت  
 على أمتي : كبر البطن ومداوعة النوم والكسل » (٦) وكان يدعو بالبركة  
 لمن يبكر فى السعى على رزقه فيقول :

(٢) لأحد الحكماء .

(١) الكهف : ٢٩ .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما بمعناه .

(٤) رواء الحاكم والبيهقى فى كتاب « الزهد » وصححه الحاكم .

(٥) رواء البخارى ومسلم .

(٦) رواء الدارقطنى عن جابر .

(٤ - من وصايا الرسول )

« اللهم بارك لأمتي في بكورها » (١) .. فكن من أهل هذه الدعوة المباركة وسل الله من فضله ، و « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » (٢) .

ومن أجل ما روى في هذا :

عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله .. ما يكفينى من الدنيا ؟

قال : « ما سد جوعتك ، ودارى عورتك ، وان كان لك بيت يظلك فذاك ، وان كان لك دابة فيخ بخ » .

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأصحابه وجلسائه ذات يوم : ألا أخبركم بما أستحق من مال الله تعالى ؟ قالوا : نعم .. قال : جلباب لثتائي وقيظى ، وما يسعفنى من الراحة لحجى وعمرتى ، وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش .. لست بأرفعهم ولا بأوضعهم .. ولا أدرى بعد ذلك أيحل ذلك أم لا .

فامش فى مناكب الأرض ، وكل من رزق الله امتثالا لأمره سبحانه وتعالى ، ولا تكن من عباد الدنيا ، وارضى بما قسم الله لك .. فقليلاً يكفيك خير من كثير يطعك « وما قل وكفى : خير مما كثر وألهى » (٣) .

لا تخضعن لمخلوق على طمع      فان ذاك مضر منك بالدين  
واسترزق الله مما فى خزائنه      فانما هى بين الكاف والنون  
وحسبك قول الله تبارك وتعالى : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » (٤) .

\* \* \*

(١) رواه النسائى وابو داوود وابن ماجه والترمذى وحسنه وصححه ابن حبان .

(٢) من حديث حسن صحيح رواه الترمذى .

(٣) رواه أحمد بإسناد صحيح - (٤) الذخائريات : ٢٢

# الوصية السابعة

عن أبي ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاه فقال له :

« زر القبور تفكر بها الآخرة ، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة ، وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فإن الحزين فى ظل الله يتعرض كل خير » .  
( رواء الحاكم وقال رواه ثقات والحديث صحيح ) .



فكن أخا الإسلام :

عاملاً بهذه الوصية :

• ( وز القبور تذكر بها الآخرة ) :

لأن القبر كما ورد أول منزل من منازل الآخرة .

وهى مستحبة للرجال من غير وطء للقبور ، ولا استعانة بأهلها ولا سؤالهم شيئاً ، ولا مس القبر ، ولا تقبيله ، ولا الطواف به فإنه من عادة أهل الكتاب ، ولم يعرف التقبيل فى الإسلام الا للحجر الأسود ، ولا الطواف الا للكعبة المشرفة .

ويقصد بزيارتها وجه الله تعالى ، واصلاح القلب ، ونفع الميت بإدعاء له وما يتلى عنده .. لأن زيارتها تحدث خشية فى القلب وتذكراً للموت .

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم فى أول الدعوة نهى أصحابه عن زيارة القبور لقرب عهد الجاهلية التى اعتادوا فيها فحش القول .. وبعد ذلك أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالزيارة بعد أن تطمأنا الآداب الشرعية المتعلقة بذلك .. كما ثبت فى حديث أخرجه الشافعى وأحمد بلفظ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً » (١) .  
وفى رواية أخرى : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها

(١) صحيح على شرط مسلم ، والهجر بضم فسكون : القول المنهى

فانها تذكركم الآخرة»<sup>(١)</sup> ، وفي رواية : « فان في زيارتها تذكرة » .  
والأمر في الروايات السابقة للندب عند الجمهور للتعليل الذي بعده .  
وقال ابن حزم انه للوجوب ولو مرة في العمر حملا للأمر على  
الوجوب .

أما زيارة النساء فانه يحرم عليهن الزيارة ان ارتكبن فيها ما يغضب  
الله وعليه تحمل الأحاديث الواردة في لعن زائرات القبور ، ومنها حديث  
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم زائرات القبور »<sup>(٢)</sup> . أى دعا عليهن بالطرد من رحمة الله تعالى .  
لما يحدث منهن حال الزيارة من الجزع ، وشق الجيوب ، ولطم  
الخدود ، والتبرج .

وخلاصة الكلام في هذا الموضوع جمعا بين الأحاديث الواردة  
فيه ، والأدلة المتعلقة به : هو أنه اذا كان هناك اذن لبعضهن بالزيارة  
فهو لمن خرجت متسترة خاشعة ، متذكرة أمر الآخرة ، معتبرة بما صار  
اليه أهل القبور ، تاركة النياحة وضرب الخدود ، وشق الجيوب وسوء  
القول .

أما من تفعل ذلك فيحرم عليها الزيارة . . ولما كانت عادة النساء  
في هذا الزمان هي الخروج على آداب الزيارة واظهار الفتنة الأمر  
الذى لا يضمن عدم ارتكاب الفجور وعبث الفساق وأهل الشرور . .  
فقد رأى العلماء العاملون استنادا الى كل ما ثبت لديهم من أدلة نقلية  
وعقلية عدم خروج النساء لزيارة القبور لا ليلا ولا نهارا . . لا فرق  
في ذلك بين ثيابه وغيرها — اذ لكل ساقطة لاقطة — وحسبنا ما نراه  
من غالب أهل الزمان من الفساد والافساد . . بل ويحرم عليهن الخروج  
الى المقابر بدون محرم لا سيما في المواسم والأعياد — التى ماجعلت  
الا للفرح والسرور . . لا للحزن والبكاء .

ومن القواعد المقررة أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح .  
وخلاصة ما ورد في كيفية الزيارة أنه :

يسن أن يخرج الزائر متواضعا مراقبا الله تعالى ، معتبرا بمن  
تقدمه من الموتى ، قاصدا وجه الله تعالى ، ونفع الميت بالسلام عليه

(١) أخرجه أحمد ومسلم والأربعة وابن حبان والحاكم والبيهقى .

(٢) أخرجه أحمد والأربعة والبزار والحاكم وحسنه والترمذى .



والدعاء له •• فإذا وصل القبر قام مسلماً داعياً مستقبلاً القبلة (١) •  
 يلا تمسح بالمقبر ، ولا طواف حوله ولا دعاء صاحبه ، وقيل : يستقبل  
 وجه الميت ، وهو قول الشافعي وكذا الكلام في زيارة النبي صلى الله  
 عليه وسلم •

ووضع اليد على المقبر بدعة منكورة من عادة أهل الكتاب — كما  
 قال أبو الليث — ويستحب للزائر أن يدنو من قبر صاحبه كما لو كان  
 حياً وزاره وهو بالخيار ان شاء زار قائماً ، وان شاء قعد ، كما يزور  
 الرجل أخاه في الحياة ، ولا يستلم المقبر ولا يقبله ، ومن قصد السلام  
 على الميت سلم عليه من قبل وجهه ، وإذا أراد الدعاء تحول عن موضعه  
 واستقبل القبلة •

ومن الأدعية الواردة والمأثورة عن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم :

« السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وأنا ان شاء  
 الله بكم لاحقون ، أنتم فرطنا ونحن لكم تبع ، ونسأل الله لنا ولكم  
 العافية » (٢) •  
 « السلام عليكم يا أهل القبور ، يغفر الله لنا ولكم ، أنتم سلفنا  
 ونحن بالآثر » (٣) •

« السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون •  
 وأنا ان شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيق الغرقد » (٤) :  
 مع ملاحظة تسمية المكان الذي تزوره اذا قرأت هذه الرواية •  
 « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم لنا فرط ، وأنا بكم لاحقون •  
 اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم » (٥) •

وقال أنس : مر رجل بالمقابر فقال : اللهم رب هذه الأرواح الفانية  
 والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها  
 روحاً (٦) منك وسلاماً منا •• فاستغفر له من مات من لدن آدم (٧) •

(١) على المشهور عند الحنفيين •

(٢) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه والبيهقي •

(٣) أخرجه الترمذي وحسنة • (٤) أخرجه مسلم •

(٥) أخرجه ابن ماجه • (٦) أي رحمة •

(٧) أخرجه ابن النجار •

ومن أجمل ما يروى من المواعظ في هذا الموضوع هذه الآثار الغالية  
التي أرجو أن تنتفع بها :

قال عبد الله بن عتبة : عدت رجلا مريضا فلما قدمت عنده قلت :  
كيف تجدك ؟ .. فأشدد يقول :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى      غداة أقل الحاملون جنازتى  
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا      خروجى وتعجيلى اليه كرامتى  
كانهم لم يعرفوا قط صورتى      غداة أتى يومى على وساعتى  
وقال ثابت البناني رحمه الله تعالى : دخلت المقابر لأزور القبور ،  
وأعتبر بالموتى ، وأتفكر في البعث والنشور ، وأعظ نفسى لعلها ترجع  
عن الغى والغرور .. فوجدت أهل القبور صموتا لا يتكلمون ، وفرادى ،  
لا يتزاورون .. فأيست من مقالهم ، واعتبرت بأحوالهم .. فلما أردت  
الخروج اذ أبصرت من يقول لى : يا ثابت .. لا يغرنك صموت أهلها  
فكم فيها من نفس معذبة أو منعمة .

ويروى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه .. فوقف  
عند رأسه وأشدد يقول :

مالي مررت على القبور مسلما      قبر الحبيب فلم يرد جوابى  
أحبيب مالك لا تجيب مناديا      أمللت بعدى خلة الأصحاب  
قال : فهتف بى رجل من جانب القبر يقول لى :

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم      وأنا رهين جنادل وتراب  
أكل التراب محاسنى فنسيتمكم      وحجبت عن أهلى وعن أصحابى  
وتمزقت تلك الجلود صفائحا      يا طالبا لبست رفيع ثياب  
وتساقطت تلك الأنامل من يدى      ما كان أحسنها لخط كتاب  
وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤا      ما كان أحسنها لرد جواب  
وتساقطت تلك العيون على الثرى      يا طالبا نظرت بهم أحببى  
وقال مالك بن دينار رضى الله عنه : أتيت القبور على سبيل الزيارة  
والتذكار ، والتفكر في الموت والاعتبار .. فتمنيت من يخبرنى عنهم  
خبرا ، أو يقص لى من آثارهم .. فقلت شعرا :

أتيت القبور فناديتها      فأين العظيم والمحتقر  
وأين المنديل بسلطانه      وأين العزيز إذا ما افتخر  
فرايت رجلا بين القبور يرد على بقوله :  
تفانوا جميعا فلا مخبر      وماتوا جميعا وأضحوا عبر

وساروا الى ملك عادل      عزيز مطاع اذا ما أمر  
فيا سائلى عن أناس مضوا      أما لك فيمضى معتبر  
قال مالك : فرجعت أبكى الدموع الغزار ، واعتبرت بذلك أي

اعتبار .

ولأبى العتاهية :

أنلها وأيامنا تذهب      ونلعب والموت لا يلعب ؟  
عجبت لذي لعب قد لها      عجبت ومالى لا أعجب ؟  
أيلها ويلعب من نفسه      تموت ومنزله يخرب ؟  
نرى كل ما ساءنا دائما      على كل ما سرنا يغلب ؟  
نرى الليل يطلبنا والنهار      ولم ندر أيهما أطلب ؟  
أحاط الجديدان جمعا بنا      فليس لنا عنهما مهرب ؟  
وكل له مدة تنقضى      وكل له أثر يكتب ؟

وكأنى بالأرض تتاديك في كل يوم بخمس كلمات فتقول :

يا ابن آدم .. تمشى على ظهري ومصيرك الى بطنى .  
يا ابن آدم .. تضحك على ظهري فسوف تبكى في بطنى .  
يا ابن آدم .. تقرح على ظهري فسوف تحزن في بطنى .  
يا ابن آدم .. تأكل الألوان على ظهري فسوف تأكلك الديدان ق

بطنى .

يا ابن آدم .. تتغيب على ظهري فسوف تعذب في بطنى .  
فاتعظ منه وأنذر      انه في الوعظ غاية  
واتخذ ما فيه ذكرى      ان في هذا كفاية

\* ( واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة ) (١) :

وغسل الميت علاوة على ما في ذلك من العظة والاعتبار .. فرضح  
كناية على الأحياء .. اذا ما قام به البعض سقط عن الباقيين .. والفروض  
غسله مرة واحدة بحيث يعم بها جميع بدنه ، وأما تكرار غسله وترا  
فهو سنة .

ويشترط لفرضية غسل الميت شروط (٢) :

(١) اذا لم يتيسر لك هذا فاحرص على مساعدة الغسل حتى لا تحرم  
من العظة والاعتبار وتخيل نفسك مكان الميت .

(٢) كما جاء في كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » طبعة وزارة

الأول : أن يكون مسلما .. فلا يفترض تفسيل الكافر .. بل يحرم •  
 وأن كان يجوز ذلك عند الشافعية .. لأن غسل الميت للظنفة  
 لا للتعبد •

الثاني : أن لا يكون سقطا .. فإنه لا يفترض غسل السقط على  
 تفصيل في المذاهب :

١ — قال الشافعية : ان السقط النازل قبل عدة تمام الحمل — وهي  
 ستة أشهر ولحظتان .. اما أن تعلم حياته فيكون كالكبير في افتراض  
 غسله ، واما أن لا تعلم حياته وفي هذه الحالة .. اما أن يكون قد ظهر  
 خلقه فيجب غسله أيضا دون الصلاة عليه ، واما أن لا يظهر خلقه  
 فلا يفترض غسله .. واما السقط النازل بعد المدة المذكورة فإنه يفترض  
 غسله وان نزل ميتا ، وعلى كل حال فإنه يسن تسميته بشرط أن تكون  
 قد نفخت فيه الروح •

٢ — وقال الحنفية : ان السقط اذا نزل حيا بأن سمع له صوت  
 أو رؤيت له حركة وان لم يتم نزوله وجب غسله .. سواء أكان قبل  
 تمام مدة الحمل أو بعده •

وإذا نزل ميتا .. فان كان تام الخلق فإنه يغسل كذلك ، وان  
 لم يكن تام الخلق بل ظهر بعض خلقه فإنه لا يغسل الغسل المعروف ،  
 وإنما يصب عليه الماء ويلف في خرقة .. وعلى كل حال فإنه يسمى  
 لأنه يحشر يوم القيامة •

٣ — وقال الحنابلة : السقط اذا أتم في بطن أمه أربعة أشهر  
 كاملة ونزل وجب غسله ، وأما اذا نزل قبل ذلك فلا يجب غسله •

٤ — وقال المالكية : اذا كان السقط محقق الحياة بعد نزوله  
 بعلامة تدل على ذلك كالصراخ والرضاع الكثير الذي يقول أهل المعرفة  
 انه لا يقع مثله الا ممن فيه حياة مستقرة وجب غسله ، والا كره •  
 الثالث : أن يوجد من جسد الميت مقدارا ولو كان قليلا •

قال الأحناف : لا يفرض الغسل الا اذا وجد من الميت أكثر البدن  
 أو وجد نصفه مع الرأس •

وقال المالكية : لا يفترض غسل الميت الا اذا وجد ثلثا بعنه  
 ولو مع الرأس فان لم يوجد ذلك كان غسله مكروها •  
 الرابع : ألا يكون شهيدا قتل في اعلاء كلمة الله .. لقوله صلى

الله عليه وسلم في قتلى أحد : « لا تغسلوهم فان كل جرح - أو كل دم - يفوح مسكا يوم القيامة » (١) .

ويقوم التيمم مقام غسل الميت عند فقد الماء أو تعذر الغسل ، كأن مات حريقا ويخشى أن يتقطع بدنه اذا غسل بذلك أو بصب الماء عليه بدون ذلك ، أما اذا كان لا يتقطع بصب الماء فلا ييمم بل يغسل بصب الماء بدون ذلك .

وكيفية غسل الميت عند الأحناف (٢) :

يوضع الميت على شيء مرتفع ساعة الغسل - كخشبة الغسل - ثم يينخر حالة غسله ثلاثا أو خمسا أو سبعا . . بأن تدار المجرمة حول الخشبة ثلاث مرات أو خمسا أو سبعا ، ثم يجرد من ثيابه ما عدا ساتر العورة ، ويندب أن لا يكون معه سوى الغاسل ومن يعينه (٣) ، ثم يلف الغاسل على يديه خرقة ، يأخذ بها الماء ، ويغسل بها قبله ودبره « الاستنجاء » ثم يوضأ ويبدأ في وضوئه بوجهه لأن البدء بغسل اليدين انما هو للأحياء الذين يغسلون أنفسهم فيحتاجون الى تنظيف أيديهم ، أما الميت فانه يغسله غيره ، ولأن المضمضة والاستنشاق لا يفعلان في غسل الميت ، ويقوم مقامهما تنظيف الأسنان والمنخرين بخرقة كما تقدم ، ثم يغسل رأسه ولحيته بمنظف كالصابون ونحوه . ان كان عليهما شعر فان لم يكن عليهما شعر لا يغسلان كذلك .

ثم يضجع الميت على يساره ليبدأ بغسل يمينه ، فيصب الماء على شقه الأيمن من رأسه الى رجليه ثلاث مرات حتى يعم الماء الجانب الأسفل ، ولا يجوز كب الميت على وجهه لغسل ظهره بل يحرك من جنبه حتى يعمه الماء . . وهذه هي الغسلة الأولى . . فاذا استوعبت جميع بدنه حصل بها فرض الكفاية ، أما السنة فانه يزداد على هذه الغسلة غسلتان أخريان . . وذلك بأن يضجع ثانيا على يمينه ثم يصب الماء على شقه الأيسر ثلاثا بالكيفية المتقدمة ، ثم يجلسه الغاسل ويسنده اليه ، ويمسح بطنه برفق ويغسل ما يخرج منه . . وهذه هي الغسلة الثانية ، ثم يضجع بعد ذلك على يساره ويصب الماء على

(١) رواه أحمد .

(٢) كما جاء في كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » طبعة وزارة

الأوقاف ص ٤٧٠

(٣) أو رجل صالح يرجى بركته .

يمينه ثلاثا بالكيفية المتقدمة .. وهذه هي الغسلة الثالثة .. وتكون للغسلتان الاوليان بماء ساخن مصحوب بمناظف كورق النبق والصابون .. اما الغسلة الثالثة فتكون بماء مصحوب بكافور ثم بعد ذلك يجفف الميت ويوضع عليه الطيب كما تقدم .

هذا ولا يشترط لصحة الغسل نية ، وكذلك لا يشترط للنية الاستسقاء فرض الكفاية على التحقيق . اما يشترط النية لتحصيل الثواب على القيام بفرض الكفاية .. وخالصة القول في غسل الميت أن (١) :

الواجب في غسل الميت أن يعمم بدنه بالماء مرة واحدة ولو كان جنبا أو حائضا ، والمستحب في ذلك أن يوضع الميت فوق مكان مرتفع ويجرد من ثيابه (٢) ، ويوضع عليه ساتر يستر عورته ما لم يكن صبيا ، ولا يحضر عند غسله الا من تدعو الحاجة الى حضوره ، وينبغي أن يكون الغاسل ثقة أمينا صالحا لينشر ما يراه من خير ، ويستتر ما يظهر له من الشر .

فعند ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليغسل موتاكم المأمون » .

وتجب النية عليه .. لأنه هو المخاطب بالغسل (٣) ثم يبدأ فيعصر بطن الميت عصرا رقيقا لاجرا ما عسى أن يكون بها ، ويزيل ما على بدنه من نجاسة على أن يلف يده خرقة يمسح بها عورته فان لمس العورة حرام ، ثم يوضئه وضوء الصلاة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ابدأ بيمينها ومواضع الوضوء منها » ولتجديد سمة المؤمنين في ظهور أثر الغرة والتحجيل ، ثم يغسله ثلاثا بالماء والصابون ، أو الماء القراح مبتدئا باليمين فان رأى الزيادة على الثلاث يعدم حصول الانقاء بها أو لشيء آخر غسله خمسا أو سبعا .

فقى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اغسلنها وترا : ثلاثا ، أو خمسا ، أو سبعا ، أو أكثر من ذلك ان رأيتن » (٤) .

فاذا كان الميت امرأة نذب نقض شعرها وغسله واعادة تضيفه

(١) كما جاء في الجزء الثاني من كتاب « فقه السنة » ص ٧٣

(٢) رأى الشافعي أن يغسل في قميصه افضل اذا كان رقيقا لا يعن

وصول الماء الى البدن .

(٤) رواه البخارى .

(٣) ولا يشترط التلفظ بالنية .

وارساله خلفها ، ففي حديث أم عطية أنهم جعلن رأس ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة قرون قلت : نقضه وجعلنه ثلاثة قرون (١) قالت : نعم .

فإذا فرغ من غسل الميت جفف بدنه بثوب نظيف لثلاث تبيات أكفانه ، ووضع عليه الطيب ، وإذا خرج من بطنه حدث بعد الغسل وقبل التكفين يجب غسل ما أصابه من نجاسة ، واختلفوا في إعادة طهارته فقيل : لا يجب (٢) ، وقيل : يجب الوضوء ، وقيل : إعادة الغسل .

وقال جمهور العلماء : يكره تقليم أظافر الميت وأخذ شيء من شعر شاربه أو إبطه أو عانته .. وإن كان هناك من جوز ذلك كابن حزم . مع ملاحظة أنه :

إذا ماتت المرأة بين الرجال الأجانب عنها ، وإذا مات الرجل بين النساء الأجنبية عنه .. فانهما ييممان ويدفنان .. وتلك هي اجابة المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن ذلك فقال :

« إذا ماتت المرأة مع الرجال ، ليس معهم امرأة غيرها والرجل مع النساء ، ليس معهن رجل غيره ، فانما ييممان ويدفنان ، وهما بمنزلة من لم يجد الماء » (٣) .

وييمم المرأة ذو رحم منها بيده ، فإن لم يوجد ييممها رجل أجنبي بخرقة يلفها على يده .. هذا مذهب أبي حنيفة وأحمد . وعند مالك والشافعي : أن كان بين الرجال ذو محرم منها غسلها لأنها كالرجل بالنسبة إليه في العورة والخوة .

وكيفية التيمم أن يمسح بوجهها وكفيها من الصعيد ( التراب ) . وإذا هلك الرجل ، وليس معه أحد الانساء ييممه أيضا .

ويرى بعضهم كابن حزم وغيره أنه إذا مات رجل بين نساء لا رجل معهن أو امرأة بين رجال لا نساء معهم غسل النساء الرجل وغسل للرجال المرأة على ثوب كسيف ، ويصب الماء على جميع الجسد دون مباشرة اليد (٤) .

ولا يجوز عندهم أن يعوض بالتيمم عن الغسل الا عند فقد الماء .

(١) قرون : أى صفائر .

(٢) هذا مذهب الاحناف والشافعية ومالك .

(٣) رواه أبو داوود في مراسيله والبيهقي عن مكحول .

(٤) راجع « فقه السنة » ج ٤ ص ٧٨

كما أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن تغسل المرأة الصبي الصغير كما قال ابن المنذر •

✽ ( وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين في ظل الله يتعرض كل خير ) :

وهي فرض كفاية لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولحافضة المسلمين عليها •

وقد روى الجماعة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط ، ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان ، أصغرهما مثل أحد - أو أحدهما مثل أحد - » (١) •

وروى مسلم عن خباب رضى الله عنه قال : يا عبد الله بن عمر •• ألا تسمع ما يقول أبو هريرة ؟ انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر ، كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع كان له مثل أحد » •

فأرسل ابن عمر رضى الله عنهما خبابا الى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع اليه فيخبره ما قالت •• فقال : قالت عائشة : « صدق أبو هريرة » فقال ابن عمر رضى الله عنهما : لقد فرطنا في قراريط كثيرة •

فحتى لا يفوتك هذا الخير العظيم ، وحتى لا تحرم من هذه القراريط الكثيرة صل على الجنائز •• بشرط أن تكون طاهرا من الحدث الأكبر والأصغر مستقبلا القبلة ، ساترا للعورة •• وهي تصلى في جميع الأوقات متى حضرت ، حتى في أوقات النهي (٢) خلافا لبعضهم (٣) إلا ان خيف عليها التغيير •

وكيفية صلاة الجنازة (٤) أن يقف المصلى بعد استكمال شروط الصلاة ناويا الصلاة على من حضر من الموتى ، رافعا يديه مع تكبيرة

(١) رواه الجماعة وهم البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى وابن ماجه والترمذى وأحمد •

(٢) عند الأحناف والشافعية •

(٣) وهم أحمد وابن المبارك واسحاق •

(٤) كما جاء في كتاب « فقه السنة » ج ٤ ص ٩٥ بتصرف •



الاحرام ، ثم يضع يده اليمنى على اليسرى ويشرع في قراءة الفاتحة ، ثم يكبر ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يكبر ويدعو للميت ، ثم يكبر ويدعو ، ثم يسلم .

ومن السنة أن يقوم الامام حذاء رأس الركن ، ووسط المرأة لحديث أنس رضى الله عنه أنه صلى على جنازة فقام عند رأسه فلما رفعت أتى بجنازة امرأة فصلى عليها فقام وسطها . فسئل عن ذلك وقيل له : هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الركن حيث قمت ، ومن المرأة حيث قمت ؟ قال : نعم (١) . وإذا اجتمع أكثر من ميت واحد وكانوا ذكورا أو اناثا صفوا واحدا بعد واحد بين الامام والقبلة ليكونوا جميعا بين يدي الامام ، ووضع الأفضل مما يلي الامام ، ويصلى عليهم جميعا صلاة واحدة . . وان كانوا رجالا ونساء جاز أن يصلى على الرجال وحدهم ، والنساء وحدهن ، وجاز أن يصلى عليهم جميعا وصفت الرجال امام الامام ، وجعلت النساء مما يلي القبلة ، وإذا صلى على الصبي مع امرأة كان الصبي مما يلي الامام ، والمرأة مما يلي القبلة (٢) ، ويستحب أن يصف المصلون على الجنازة ثلاثة صفوف . . أقل صف اثنان ، وأن تكون مستوية ، كما يستحب تكثير جماعة الجنازة .

وتجوز الصلاة على الميت بعد الدفن في أى وقت ولو صلى عليه قبل دفنه كما يجوز الصلاة على الغائب في بلد أخرى قريبا أم بعيدا ، ومن سبق في صلاة الجنازة بشيء من التكبير استحب له أن يقضيه متابعا فان لم يقض فلا بأس .

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله . . انى أصلى على الجنازة ويخفى على بعض التكبير . . قال : « ما سمعت فكبرى ، وما فاتك فلا قضاء عليك » هذا صريح ولأنها تكبيرات متواليات فلا يجب ما فاتته منها كتكبيرات العيدين ، واتفق الفقهاء على أن يصلى على المسلم ذكرا كان أم أنثى ، صغيرا كان أم كبيرا « والسقط يصلى عليه ويدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة » (٣) وإذا أتى عليه أربعة أشهر

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه وهو صحيح . .

(٢) وأن كان فيه رجال ونساء وصبيان كان الصبيان مما يلي الرجال . .

(٣) من حديث زواه أحمد . .

فصاعداً أو استهلاً<sup>(١)</sup> غسل وصلى عليه باتفاق ، أما إذا لم يأت عليه أربعة أشهر فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه ، ويلف في خرقه ، ويدفن من غير خلاف بين جمهور الفقهاء .. والشهداء ، فقد ورد أن يصلى عليهم ، وورد عكس هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصواب في المسألة أنه مخير بين العمل والترك ، ومن قتل في حد<sup>(٢)</sup> غسل وصلى عليه .

ويصلى على كل مسلم .. بر أو فاجر ، وكذلك المبتدع ما لم يبلغ حد الكفر ، وعلى من قتل نفسه وعلى من قتل غيره ما دام قد مات مسلماً مهما كان شره ، ولا يصلى على كافر .

مع ملاحظة أن أركان صلاة الجنازة التي لا تقبل إلا بها هي :  
 النية لقول الله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء »<sup>(٣)</sup> وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى »<sup>(٤)</sup> : ومحلها القلب والتلفظ ليس مشروعا بها .

القيام للقادر عليه . وهو ركن عند الجمهور .. فلا تصح الصلاة على الميت لمن صلى عليه راكباً أو قاعداً من غير عذر .. وهذا قول أبي حنيفة والشافعي وأبي ثور ، ويستحب أن يقبض بيمينه على شماله أثناء القيام كما يفعل في الصلاة ، وقيل : لا .. والأول أولى .  
 والتكبيرات الأربع : لما رواه البخاري ومسلم عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشي فكبر أربعاً .. قال الثرمذي : والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم يرون التكبير على الجنازة أربع تكبيرات<sup>(٥)</sup> .. والسنة عدم رفع اليدين في صلاة الجنازة إلا في الأولى .. أي في التكبيرة الأولى فقط لأنه لم يشرع في غيرها كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقراءة الفاتحة سرا ، والصلاة والسلام على الرسول صلى الله

(١) استهال : أي سمع له صوت أو عطاس .

(٢) البينة : هـ .

(٣) كحد الزنا أو القتل .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .

(٥) وهو قول سفيان ومالك وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق .

عليه وسلم فقد روى الشافعي في سنده عن أبي أمامة بن سهل أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة في الصلاة على الجنائز أن يكبر الإمام ، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا في نفسه ، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويخلص للدعاء في التكبيرات ، ولا يقرأ في شيء ممنون ، ثم يسلم سرا في نفسه . . . قال في «الفتح» : وأسناده صحيح .

ومذهب أبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما أنهما — أي الفاتحة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم — ليسا ركنين في صلاة الجنائز .

ويسن للإمام أن يجهر بالتكبير والتسليم للإعلان عند الجمهور .  
والصيغة الواردة في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنائز هي :

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد » (١) . ولو قال : « اللهم صل على محمد » لكفى . . . ولا مانع أن يصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم بأية صيغة ، والدعاء بالوارد أفضل .

والدعاء للميت ركن باتفاق الفقهاء لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » (٢) .  
ويتحقق بأي دعاء مهما قل ، والمستحب فيه أن يدعو بأية دعوة من الدعوات المأثورة الآتية :

قال أبو هريرة : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة على الجنائز فقال : « اللهم أنت ربها ، وأنت خلقتها ، وأنت رزقتها ، وأنت هديتها للإسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها ، جئنا شفعا له ، فاغفر له ذنبه » (٣) .

وعن واثلة بن الأسقع قال : صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فسمعتة يقول : « اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك

(١) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي والترمذي وصححه .

(٢) رواه أبو داود والبيهقي وابن حبان وصححه .

(٣) رواه أحمد وأبو داود .

وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق ، اللهم فاغفر له وارحمه فانك أنت الغفور الرحيم» (١) .

وعن عوف بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد صلى على جنازة — يقول : « اللهم اغفر له وارحمه ، واغفر عنه وعافه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بماء وثلج وبرد ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجته ، وقرنه فتنة القبر وعذاب النار» (٢) . . . وإذا كان المصلي عليه طفلاً استحَب أن يقول : « اللهم اجعله لنا سلفاً وفرطاً وذخراً» (٣) .

ويستحب الدعاء بعد التكبيرة الرابعة وإن كان المصلي دعا بعد التكبيرة الثالثة لما رواه أحمد عن عبد الله بن أبي أوفى أنه ماتت له ابنة فكبر عليها أربعاً ، ثم قام بعد الرابعة قدر ما بين التكبيرتين يدعو ثم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في الجنازة هكذا . . . وقال الشافعي يقول بعدها : « اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده » . . . والسلام . . . وهو متفق على فرضيته بين الفقهاء ما عدا أبا حنيفة فانهما — أى التسليمتين — وأجبتان عنده وليستا ركنين . . . وأقله : السلام عليكم ، أو سلام عليكم .

ولا بأس بالصلاة على الميت في المسجد إذا لم يخش تلوينه . . . لما يروى عن عائشة رضی الله تعالى عنها قالت : ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهيّل بن بيضاء إلا في المسجد (٤) . . . وصلى الصحابة على أبي بكر وعمر في المسجد بدون انكار من أحد لأنها صلاة كسائر الصلوات ، وأما كراهة ذلك عند مالك وأبي حنيفة فقد استدلا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء له » (٥) . . . قال أحمد بن حنبل : هذا حديث ضعيف تفرد به صالح مولى التوأمة ، وهو ضعيف .

وصحح العلماء هذا الحديث فقالوا : ان الذى فى النسخ الصحيحة المشهورة من سنن أبى داود بلفظ : « فلا شيء عليه » أى من الوزر . . .

(٢) رواه مسلم .

(١) رواه أحمد وأبو داود .

(٣) رواه البخارى والبيهقى من كلام الحسن .

(٥) أى لا شيء له من الثواب .

(٤) رواه مسلم .

وكانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبا على الميت خارج المسجد الا لعذر ، وربما صلى أحيانا على الميت داخل المسجد كما صلى على ابن بيضاء .. وكلا الأمرين جائز ، والأفضل الصلاة عليها خارج المسجد — كما قال ابن القيم — وكره الجمهور الصلاة على الجنازة في المقبرة بين القبور ، وفي رواية لأحمد : أنه لا بأس بها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على قبر (١) وهو في المقبرة وصلى أبو هريرة على عائشة وسط قبور البقيع ، وحضر ذلك ابن عمر وفعله عمر ابن عبد العزيز .

ويجوز للمرأة أن تصلى على الجنازة مثل الرجال ، سواء صلت منفردة أو صلت مع الجماعة .. فقد انتظر عمر أم عبد الله حتى صلت على عتبة ، وأمرت عائشة بأن يؤتى بسعد بن أبي وقاص لتصلى عليه .

وقال مالك : يصلين فرادى .. وقال الثوري : وينبغي أن تسن لهن الجماعة كما في غيرها (٢) .

وأولى الناس بالصلاة على الميت وأحقهم : الوصي ، ثم الأمير ، ثم الأب وان علا ، ثم الابن وان سفل ، ثم أقرب العصابة .. وإلى هذا ذهب المالكية والحنابلة .

وقيل : الأولى الأب ، ثم الجد ، ثم الابن ، ثم ابن الابن ، ثم الأخ ، ثم ابن الأخ ، ثم العم ، ثم ابن العم .. على ترتيب العصابات .. وهذا مذهب الشافعي وأبي يوسف .

ومذهب أبي حنيفة ومحمد بن الحسن أن الأولى : الوالى ان حضر ، ثم القاضى ، ثم امام الجهة ، ثم ولى المرأة الميتة ، ثم الأقرب فالأقرب على ترتيب العصابة ، الا الأب فانه يقدم على الابن اذا حضر .

\* \* \*

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبر رطب فصلى وصفوا خلفه وكبر اربعا . أخرجه البخارى وسلم واحمد .

(٢) وبه قال الحسن بن صالح وسفيان الثوري واحمد والاحناف .

(٥ — من وصايا الرسول )

# الوصية الثامنة

عن العزباض بن سارية رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل :

يا رسول الله .. كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد اليينا ؟ فقال :

« أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

( أخرجه أحمد وأبو داوود وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى والترمذى وقال : حسن صحيح ) .



فكن أذا الاسلام :

كأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يتأثرون بالمواظبة النافعة التي كانوا يستعمون اليها من مربيهم ومنقدهم صلوات الله وسلامه عليه لدرجة أنهم كانوا اذا جلسوا بين يديه كنت تراهم منصتين كأن على رؤوسهم الطير .

والسبب في ذلك هو حبهم له واقتناعهم به صلى الله عليه وسلم ، ولهذا عندما انتقل الى الرفيق الأعلى حدث أن كان هناك حزن شديد في قلوب هؤلاء الأصحاب بصورة لا يمكن لكاتب أن يصورها أو يتصورها .. وفي هذا يقول أحدهم :

لقد عظمت مصيبتنا ووجلت عشية قيل قد قبض الرسول  
فقدنا الوحي والتنزيل فينا يروح به ويغدو جبرائيل (١)  
نبي كان يجلو الشك عنا بما يوحى اليه وما يقول

(١) وهو أمين الوحي جبريل عليه السلام .

ونستطيع الآن أن نتصور لماذا تأثر الأصحاب بموعظة الرسول صلى الله عليه وسلم التي ذرقت منها العيون ، ووجلت منها القلوب بصورة فاقت جميع المواعظ السابقة .. الأمر الذي جعلهم يشعرون بهذا الاحساس المؤلم وهو قرب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا وقلوبهم تتمزق : يا رسول الله .. كأن هذه موعظة مودع .. ثم طلبوا منه ان صح توقعهم أن يزودهم بوصية تكون نصب أعينهم حتى يلتقوا به تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل الا ظله فقالوا : فماذا تعهد إلينا ؟ فقال :

\* (أوصيكم بتقوى الله) :

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بدأ بتقوى الله فتلك كانت عاداته في أغلب وصاياه .. لأن تقوى الله تعالى كما قرأت سابقا هي رأس الأمر كله .. وهي وصية الله تعالى التي أوصانا بها كما أوصى الذين أوتوا الكتاب من قبلنا فقال تعالى :

« ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » (١) ولأهمية التقوى ذكرها الله تعالى في آيات عديدة في محكم كتابه ، كما ذكرها مرتين في آية واحدة فقال تعالى :

« .. اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لعد ، واتقوا الله » (٢) .

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله عز وجل : يا أيها الناس .. انى جعلت لى نسباً وجعلتم لكم نسباً .. فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم .. قلت : « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » (٣) ، وأبيتم الا فلان بن فلان .. فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى .. أين المتقون .. ؟ فينصب للمتقين لواء فيتبعون لواءهم فيدخلون الجنة بغير حساب » (٤) .

وقال أكثر المفسرين في قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » (٥) : انها نزلت في عوف بن عوف ابن مالك الأشجعي .. أسر المشركون ابناً له يسمى سالماً .. فأتى

(٢) الحشر : ١٨

(١) النساء : ١٣١

(٣) الحجرات : ١٣

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » و « الصغير » والبيهقي مرفوعاً

(٥) الطلاق : ٢ ، ٣

وهو حسن صحيح .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا الفاقة اليه وقال : ان العدو أسر ابني وجزعت الأم فبماذا تأمرنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « اتق الله واصبر ، وأمرك واياها أن تكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » فعاد لبيته وقال لامرأته : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني واياك أن نكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .. قالت : فنعم ما أمرنا به .. فجعلا يقولانها فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى أبيه وهى أربعة آلاف شاة فنزلت الآية المذكورة (١) .

فاتق الله أخا الاسلام حتى تصل الى الله .

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرىء الا وصل

وحتى تكون بطلا من أبطال الاسلام كما يقول القائل :

ليس من يقطع طريقا بطلا انما من يتق الله البطل

واحذر أن تكون كهذا الذى : « .. اذا قيل له اتق الله أخذته

العزة بالاثم » (٢) حتى لا يكون حسبك جهنم مثله .

فمن الخير لك أن تكون تقيا « ولباس التقوى ذلك خير » (٣) .

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب عريانا ولو كان كاسيا

وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

\* (والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا) :

وفى ذلك يقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا

الرسول وأولى الأمر منكم » (٤) .

فطاعة الأمير واجبة .. لأنها أمر من الله تعالى بشرط أن تكون فى

طاعة الله والا فانه لا طاعة لخلق فى معصية الخالق .. وهذا هو ما قاله

الصديق رضى الله تعالى عنه بعد أن أصبح خليفة لرسول الله

صلى الله عليه وسلم .. قال فى خطبته : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله

.. فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم » (٥) وقال فى خطبة

أخرى : « ان استقمتم فتابعونى ، وان زغت فقومونى » (٦) ..

(١) رواه ابن جرير مرسلا . (٢) البقرة : ٢٠٦ بلفظ « واذا » .

(٣) الاعراف : ٢٦ (٤) النساء : ٥٩

(٥) رواه ابن كثير فى « البداية » وقال : هذا اسناد صحيح .

(٦) رواه ابن كثير فى « البداية » والطبرى فى تاريخه .



ثم بعد ذلك تنبأ الرسول صلوات الله وسلامه عليه بما سيحدث بعده من تغيرات واختلافات .. فقال وكأنه يرى .. بل وهو يرى :

\* (غانه من يعش منكم بعدى فسيري اختلافا كثيرا) :

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فما نحن نرى الآن في زماننا هذا ما يؤكد كلامه وتنبؤاته ، وما توقعته السيدة صفية بنت عبد المطلب رضی الله عنها عندما قالت ترثيه :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا      وكننت بنا برا ولم تك جافيا  
وكننت رحيمًا هاديا ومعلما      لييك عليك اليوم من كان باكيا  
لعمرك ما أبكى النبی لفقده      ولكن لما أخشى من الهرج آتيا  
وها هو الهرج قد جاء فعلا .. صلاة متروكة ، وزكاة ممنوعة ،  
وقرآن مهجور ، وتبرج ممقوت ، ونساء وفتيات في الأسواق والمنتديات  
على الدين خارجات ، وارتكاب لكل أنواع الموبقات .

بل وزادت المصيبة عندما تخنفس بعض الشباب حتى أصبح كالاناث المستهترات .. بل أشد .. ولا حول ولا قوة الا بالله ..  
ويا أرض ابلعى .

قد تعدى بنو الزمان وصاروا      في زوايا طغيانهم يعمهون  
واستحلوا ما يغيض الله جهرا      وعلى ما يرضى الورى عاكفون  
لا يرى جمعهم بغير نفاق      أو شقاق أو ذم عرض مصون  
فاضطرب صاح ان تكن في ارتياب      ثم ذرهم في خوضهم يلعبون  
وكأنى بالأصحاب رضوان الله عليهم عندما حدثهم الرسول  
صلى الله عليه وسلم عن هذا الزمان المريض وقد قالوا متسائلين  
ومشفقين : وماذا نعمل ان أدركناه ؟ فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم  
لهم ولن سيأتى بعدهم من أبناء الزمان الذى أدركناه :

\* (فعلیکم بسنتى) :

وهى بايجاز : اتباعه صلى الله عليه وسلم فى جميع أقواله وأفعاله ،  
والتأسى به فى سائر أحواله .. قال تعالى : « وما أتاكم الرسول  
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) .. وقال : « وأطيعوا الله وأطيعوا  
الرسول » (٢) .. وقال : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٣)  
وقال : « وان تطيعوه تهتدوا » (٤) ولن تكون صادقا فى حبك

(٢) المائدة : ٩٢

(٤) النور : ٥٤

(١) الحشر : ٧

(٣) النساء : ٨٠

الله الا اذا اتبعت الرسول صلى الله عليه وسلم .. فقد قال الله تعالى  
 في ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : « قل ان كنتم تحبون الله  
 فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » (١) .. كما أشار الله تعالى  
 الى هذا في كتابه العزيز .

وروى الحاكم عنه صلى الله عليه وسلم أنه خطب في حجة الوداع  
 فقال : « ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم .. ولكن رضى أن  
 يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا .. انى  
 تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا .. كتاب الله وسنة  
 نبيه » (٢) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « يا بنى ان قدرت أن تصبح وتمسى ليس في قلبك غش لأحد فافعل » .  
 ثم قال : « يا بنى وذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد أحببني ومن  
 أحببني كان معى في الجنة » (٣) .  
 وقال صلى الله عليه وسلم : « من تمسك بسنتى عند فساد أمتى  
 فله أجر مائة شهيد » (٤) .

### \* (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) :

وهم سيدنا أبو بكر ، وسيدنا عمر ، وسيدنا عثمان ، وسيدنا  
 على .. رضى الله تعالى عنهم أجمعين .. لأنهم ساروا على طريقته ،  
 واقتفوا أثره ، ولم يخرجوا عن صراطه المستقيم الذى خطه لهم ولغيرهم  
 من المؤمنين والمؤمنات الى قيام الساعة .

يقول سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عنه : « لست تاركا شيئا كان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به .. انى أخشى  
 ان تركت شيئا من أمره أن أزيغ » (٥) .

وروى الطبرانى والبيهقى عن عابسى بن ربيعة قال : رأيت عمر  
 ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقبل الحجر - يعنى الأسود - ويقول :  
 « انى أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أنى رأيت رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » متفق عليه .

(١) آل عمران : ٣١ (٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٤) رواه الطبرانى والبيهقى . (٥) أخرجه البخارى .

ويقول سيدنا علي رضي الله تعالى عنه : « لم أكن أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس » (١) . وقال : « انى لست بنبى ولا يوحى الى .. ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت » . وخلاصة القول فى هذا ما قاله عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وهو ما يسمى بخامس الخلفاء الراشدين لسيره على منوالهم عليه وعليهم رضوان الله .. يقول : ( سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاية الأمور — يعنى الخلفاء الراشدين — بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله — أى حيث قال : « وما آتاكم الرسول فخذوه » (٢) ) ( واستعمال لطاعة الله ) — أى فى طاعة رسوله — لقوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٣) .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » ( وقوة على الدين ) — أى على كمال ملته وجماله شريعته — ( ليس لأحد تغييرها ) — بزيادة أو نقصان فيها — ( ولا تبديلها ) — بغيرها ظنا أنه أحسن منها — ( ولا النظر فى رأى من خالفها ، ومن اقتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصله جهنم وساءت مصيرا ) .

ومن هنا كان ولا بد أن نتمسك بها ، ونعص عليها بالنواجذ — وهى الأضراس — وقيل : الأنياب .. والمراد بالعض : المسك بجميع الفم ، والنهش : المسك بمقدم الأسنان ، فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول : الزموا السنة واحرصوا عليها كما يحرص العاض على الشيء بنواجذه خوفا من ذهابه وتقلته .. ثم يحذر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أصحابه وجميع المؤمنين الى قيام الساعة بقوله :

✽ (واياكم ومحدثات الأمور) :

وذلك حين يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وتصير السنة بدعة والبدعة سنة .. وحسبنا ردعا وكرها للبدعة قول الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : « فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ، والبدعة : ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله صلى الله

(٢) الحشر : ٧

(١) أخرجه مسلم .

(٣) النساء : ٨٠

عليه وسلم ، وجعل ديننا قويمًا ، وصراطا مستقيما .. وتلك ضلالة ما بعدها ضلالة (١) .

وقد ورد : « وكل ضلالة في النار » فـ « يا أيها الذين آمنوا ! قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون » (٢) .  
 وتمسكوا بسنة حبيبيكم صلوات الله وسلامه عليه الذي يقول : « كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى » .. قالوا : يا رسول الله .. ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » (٣) .




---

(١) راجع الموضوع في كتاب « الابداع في مضار الابتداع » للشيخ  
 على محفوظ رحمه الله .  
 (٢) التحريم : ٦  
 (٣) رواه البخارى .

# الوصية التاسعة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها : أوصاني  
بالاخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والفضب ،  
والقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عن ظلمي ، وأعطى  
من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ،  
ونطقى نكرا ، ونظرى عبرا » .

(رواه رزين)

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

\* (مخلصا في السر والعلانية) :

حتى تكون مع المؤمنين .. وفي ذلك يقول سبحانه : « الا الذين تابوا  
وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ، وسوف  
يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما » (١) .

وحتى تنفذ أمر الله تعالى في قوله : « وما أمروا الا ليعبدوا الله  
مخلصين له الدين حنفاء » (٢) .

وهذا ما أمر به الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول على  
لسان ربه : « قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين » (٣) .

واعلم أن الاخلاص كما ورد في وصفه : « سر بين العبد وربيه »  
وكما يقول أحد الصالحين هو : « ما لا يكتبه الملكان ، ولا يفسده  
الشیطان ، ولا يطلع عليه الانسان » وكلما كان العمل بعيدا عن الرياء  
والسمعة كان مقبولا .. ولهذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم  
في حديث شريف : « قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ..  
فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشرك » (٤) .  
وعن أبى سعيد بن أبى فضالة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول : « اذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم

(٢) البينة : ٥

(٤) رواه ابن ماجه ورواه ثقات .

(١) النساء : ١٤٦

(٣) الزمر : ١١

لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك في عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك» (١) .

وفي الحديث : « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » (٢) . ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى . . فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينجسها فهجرته الى ما هاجر اليه » (٣) . وحسبى أيها الأخ المسلم أن أذكرك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك (٤) حتى استشهدت . . قال : كذبت . . ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جريء ، فقد قيل . . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أتى في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمت وقرأت فيك القرآن . . قال : كذبت . . ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء . . فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك . . قال : كذبت . . ولكنك فعلت ليقال هو جواد . . فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار » (٥) .

فاذكر ذلك جيدا ، وكن من المخلصين في أعمالهم والا كان للشيطان سلطان عليك وحرمت ثواب أعمالك .

\* (وكن عادلا في الرضا والغضب) :

والا فقدت رصيدك من الحسنات يوم القيامة ثم طرحت في النار

(١) رواه الترمذى وابن حبان والبيهقى وهو حسن أو صحيح .

(٢) رواه مسلم . (٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) أى في سبيلك .

(٥) رواه مسلم والنسائى والترمذى وحسنه وابن ماجه .

بسبب ظلمك وأكلك أموال الناس بالباطل كما ثبت في حديث يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع .. فقال : « ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة .. ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا .. فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته .. فان غنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحته عليه ثم طرح في النار » (١) فلا تظلم من أجل ذلك أحدا ، و « اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » (٢) و « انصر أخاك ظالما او مظلوما » .. فقال رجل : يا رسول الله .. أنصره اذا كان مظلوما .. أفرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : « تحجزه - أو تمنعه - عن الظلم فان ذلك نصره » (٣) واحذر أن تظلم أحدا في رضاك أو غضبك حتى لا تدخل في قوله تعالى : « ان الظالمين لهم عذاب أليم » (٤) ولا تنس هذا الحديث الشريف :- « ان الله يملئ للظالم فاذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ، ان أخذه أليم شديد » (٥) .

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا فالظلم ترجع عقباه الى الندم  
تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم  
ولا تنس قول الله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لظلمتكم تذكرون » (٦) .

\* (واقصد في غناك وفقرك) :

حتى لا تكون من المرفين الذين لا يحبهم الله .. لأنه سبحانه « لا يحب المرفين » (٧) كما يقول تعالى في كتابه العزيز : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » (٨) ، « ولا تبخر تبخيروا .. ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين » (٩) .

- |   |                          |
|---|--------------------------|
| (١) رواه مسلم .                                   | (٢) رواه البخارى ومسلم . |
| (٣) رواه البخارى .                                | (٤) ابراهيم : ٢٢         |
| (٥) رواه البخارى ومسلم ، والآية من سورة هود : ١٠٢ | (٧) الاعراف : ٣١         |
| (٦) النحل : ٩٠                                    | (٩) الاسراء : ٢٦ ، ٢٧    |
| (٨) الاسراء : ٢٩                                  |                          |

وقد ورد في الحديث : « ما عال من اقتصد »<sup>(١)</sup> وفي الحديث الشريف أيضا : « ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات . . فأما المنجيات : فالعدل في الغضب والرضا ، وخشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغنى والفقر . . وأما المهلكات : فشح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه »<sup>(٢)</sup> .

وقال بعض الحكماء : صديق الرجل قصده ، وعدوه سرفه .  
وروى أن أعرابيا قال لابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ان العرب تقول : حب التناهى شطط ، خير الأمور الوسط . . فهل هذا موجود في القرآن ؟ قال : نعم في أربعة مواضع : في قوله تعالى في وصف بقرة موسى : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك »<sup>(٣)</sup> أى وسط بين الكبير والصغر في السن . وفي قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط »<sup>(٤)</sup> أى فتوسط بين الأمرين في الانفاق .  
وفي قوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا »<sup>(٥)</sup> وهذا السبيل هو الوسط في القراءة .

وفي قوله تعالى في مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »<sup>(٦)</sup> . أى وسطا في المعيشة .

فكن من المقتصدين في الرخاء والشدة ، فالأقتصاد كما ورد :  
« نصف المعيشة »<sup>(٧)</sup> ولا تكن كهذا الذى يقول :

وكان المال يأتينا فكنا نبذره وليس لنا عقول  
فلما أن تولى المال عنا عقلنا حين ليس لنا فضول  
\* (واعف عن ظلمك) :

حتى تكون من « العافين عن الناس »<sup>(٨)</sup> و « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »<sup>(٩)</sup> .

- (١) رواه أحمد والطبرانى . (٢) رواه البزار والبيهقى وغيره .  
(٣) البقرة : ٦٨ . (٤) الاسراء : ٢٩ .  
(٥) الاسراء : ١١٠ . (٦) الفرقان : ٦٧ .  
(٧) رواه الديلمى في « مسند الفردوس » .  
(٨) آل عمران : ١٣٤ بلفظ « والعافين » .  
(٩) الاعراف : ١٩٩ .



وحسبك أن تتذكر موقف الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح الأكبر عندما دخل مكة في عشرة آلاف من جند الله ، وبعد أن حطم الأصنام ، وأذن بلال ، وقف أمام الكعبة .. فرأى أهل مكة الذين طردوه ، وأخرجوه من بلده ، ومن بين أهله وعشيرته ، يرتعدون أمامه .. لأنهم ظنوا أن محمدا سيفتك بهم في هذا اليوم .. ولكنه صلى الله عليه وسلم كان كما وصفه الله تعالى : « رحمة للعالمين » (١) . فقد نظر إليهم ثم قال لهم :

« ما تظنون أنى فاعل بكم » ؟ قالوا : خيرا .. أخ كريم ، وابن أخ كريم .. فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء « لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين » (٢) .

فكانت النتيجة لذلك أن دخل أكثرهم في دين الله أفواجا .. لأنه نفذ بهذا قول الله تعالى : « فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم » (٣) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرب مع الكفار الذين رأوا من المسلمين غرة .. فجاء رجل منهم حتى قام على رأس الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيف .. فقال : من يمنعك منى ؟ فقال : « الله » .. قال : فسقط السيف من يده .. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال : « من يمنعك منى » ؟ فقال : كن خير آخذ .. قال صلى الله عليه وسلم : « قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله » فقال : لا .. لا .. غير أنى لا أقاتك ، ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك .. فخلى سبيله .. فجاء أصحابه فقال : جئتم من عند خير الناس (٤) .

وروى عن أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها .. فجىء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك .. فقالت : أردت قتلك .. فقال : « ما كان الله ليسطك على ذلك » فقالوا : أفلا تقتلها ؟ فقال : « لا » (٥) .. وسحره رجله

(٢) يوسف : ٩٢

(٤) متفق عليه من حديث جابر .

(١) الأنبياء : ١٠٧

(٣) آل عمران : ١٥٩

(٥) رواه أبو هريرة .

من اليهود .. فأخبره بجزيل عليه السلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد .. فوجد لذلك خفة ، وما ذكر ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط (١) .. فلا تنس ذلك ، واذكر قوله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٢) .  
 وقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ، ويرفع به الدرجات » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله .. قل : « تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك » (٣) .

وفي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد : أين أهل الفضل ؟ فيقوم أناس وهم يسير ، فينطلقون سراعا الى الجنة فتلتقاهم الملائكة فيقولون لهم : انا نراكم سراعا الى الجنة .. فيقولون : نحن أهل الفضل .. فيقولون لهم : ما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنا اذا ظلمنا صبرنا ، واذا أسىء الينا غفرنا ، واذا جهل علينا حلمنا .. فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين » (٤) .

وفي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا : « اذا جثت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا : ليقم من كان له أجر على الله .. فلا يقوم الا العافون عن الناس في الدنيا » .

والى ذلك الاشارة في قوله تعالى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » (٥) . فكن أخا الاسلام من أهل الفضل ، وللعافين عن الناس في الدنيا حتى تفوز يوم القيامة بجزاء المحسنين « والله يحب المحسنين » (٦) .. الا اذا أهينت محارم الله .. فمن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك من محارم الله .. فاذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضبا ، وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما ..

خذ العفو عن جاهل قد بغى عليك تفز بالمقام الأمين  
 وبالعرف فأمر وكن محسنا وواصل وأعرض عن الجاهلين

(١) من حديث زين بن أرقم باسناد صحيح .

(٢) الأحزاب : ٢١ (٣) رواه أبو هريرة . (٤) رواه الاصبهاني .

(٥) الشورى : ٤٠ (٦) آل عمران : ١٤٨

\* (وأعط من حرمك) :

فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « .. من سألكم بالله فأعطوه .. » (١) واحذر أن تكون من الذين « يمنعون الماعون » (٢) مهما كانت الأسباب ما دام الله سبحانه وتعالى قد تفضل عليك وأعطاك ، واعتبر هذا بمثابة شكر لله سبحانه وتعالى على أن جعلك في هذه المنزلة التي مكنتك من اعطاء من حرمك ، وليكن عطاؤك لله تعالى وبدون من أو أذى حتى لا يكون كصفوان عليه تراب ، وليكن نصب عينيك قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « المسلم أخو المسلم .. لا يظلمه ولا ييألمه .. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة » (٣) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق .. كل خندق أبعد مما بين الخافقين » (٤) .

فاذكر ذلك وكن من الذين « يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (٥) واحذر الشح ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ منه فقال : « اللهم انى أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الحيا والمات » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم .. حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » (٧) واعلم أن « صنائع المعروف تقي مصارع السوء » (٨) « وأن صاحب المعروف لا يقع .. وان وقع وجد متكئاً » (٩) .. ولن يضيع جميل أينما وضع .

- 
- (١) من حديث أخرجه ابو داوود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .  
 (٢) الماعون : ٧ بلفظ « ويمنعون » .  
 (٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) . رواه الطبرانى في « الأوسط » .  
 (٥) الحشر : ٩ بلفظ : « ويؤثرون » .  
 (٦) رواه مسلم . (٧) رواه مسلم .  
 (٨) رواه الطبرانى في « الكبير » بسند حسن .  
 (٩) من كلام لسيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

\* (وصل من قطعك) :

فمن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »<sup>(١)</sup> ، وفي رواية لأبى داوود : « لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، فان مرت به ثلاث فليقله فليسلم عليه .. فان رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر ، وان لم يرد عليه بآء بالاثم وخرج المسلم من الهجرة »<sup>(٢)</sup> .

قال الحافظ المنذرى : قال أبو داوود : اذا كانت الهجرة لله فليست من هذا بشئ .. فان النبى صلى الله عليه وسلم هجر بعض نساءه أربعين يوما ، وابن عمر هجر ابنا له الى أن مات .. وهذا معناه أن الهجرة بين المؤمنين أو بين المسلمين يجب أن لا تستمر فوق ثلاث ليال .. والا كانت اثما وقطيعة لا يقرها الاسلام ولا سيما اذا كانت تتعلق بذوى الأرحام .. قال تعالى : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون »<sup>(٣)</sup> . فحتى لا نكون من الخاسرين .. يجب علينا أن نصل من قطعنا .. ولا سيما ذوى الأرحام .. حتى يصلنا سبحانه وتعالى الذى يقول فى حديث قدسى : « أنا الله .. وأنا الرحمن .. خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى .. فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته »<sup>(٤)</sup> . وفى الحديث الشريف : « من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه »<sup>(٥)</sup> فاذا ذكر ذلك جيدا ونفذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، واعلم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا<sup>(٦)</sup> .

\* (وليكن صمتك فكرا) :

واحذر كثرة الكلام « الا من حق توضحه أو خلل تصلحه ، أو كلمة تفسرها ، أو مكرمة تنتشرها فانه يستدل على عقل الرجل بقوله ، وعلى أصله بفعله » .. فان قبيح الكلام ينفر عنك الكرام ، ويغري عليك اللئام ، ويوجه اليك الملام .. وحسبك قول الرسول صلوات الله

(٢) رواه أبو داوود .

(٤) رواه أبو داود والترمذى .

(١) رواه البخارى .

(٣) البقرة : ٢٧

(٥) رواه البخارى ومسلم .

(٦) الكهف : ٣٠ ، بلفظ : « أنا لا نضيع » .

وسلامه عليه لأبى ذر رضى الله عنه : « عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان ، وعون على أمر دينك » (١) ، وقوله صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر رضى الله عنه عندما قال له : يا رسول الله .. ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » (٢) وحسبك كذلك وقبل كل هذا أن تكون من الذين فازوا بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : « رحم الله عبدا تكلم فغنم ، أو سكت فسلم » واعلم أن : « من أكثر كلامه أكثر خطؤه ، ومن أكثر خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار » (٣) .

ألا وان كلام العبد كله محسوب عليه الا ذكرا لله ، أو أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر ، أو اصلاحا بين الناس .. والى ذلك الاشارة في قوله تعالى : « لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس » (٤) « فطوبى لمن عقل لسانه وكفه ، وأطلق بالخير بنانه وكفه » و « طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ... » (٥) .

لأن اللسان هو أخطر الجوارح « وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم » (٦) فكان كالنحلة يرمونها بالأحجار فترميهم بالثمار .. وكن كالنحلة تأكل طيبا وتخرج طيبا :

وصمتك خير من اثاره فتنة فكان صامتا تسلم وان قلت فاعدل ولا تك في ذم الأخلاء مفرطا وان أنت أبغضت الصديق فأجمل فانك لا تدري متى أنت مبغض حبيبيك أو تهوى بغيبك فاعقل فنتك يا أخى هي أيسر العبادة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء رضى الله عنه : « ألا أدلك على أيسر العبادة وأهونها على البدن » ؟ قال : بلى يا رسول الله .. فقال : « عليك بالصمت وحسن الخلق فانك لن تعمل مثلهما » (٧) ففكر في ملكوت الله

(١) من حديث أخرجه الحاكم وصححه .

(٢) رواه الترمذى . (٣) من كلام سيدنا على .

(٤) النساء : ١١٤

(٥) من خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم رواها الطبرانى .

(٦) من حديث رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

(٧) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى وأبو يعلى وسنده جيد .

تعالى وأسرار عظمتة في صمت ، ولا تنس قوله تعالى : « ما يلفظ من قول  
الالديه رقيب عتيد » (١) .. فالمرء بأصغريه : قلبه ولسانه .

\* (وليكن نطقتك ذكرا) ١:

فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟  
فقال : « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل » (٢) وقال لأصحابه  
ذات يوم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكمم وأرفعها  
في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق (٣) وخير لكم من  
أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقكم ويضربوا أعناقكم » ؟ قالوا : بلى ..  
قال : « ذكر الله تعالى » (٤) .

وهو : ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقد ثبت أن  
أبا هريرة رضى الله تعالى عنه دخل السوق وقال : أراكم هاهنا وميراث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد ؟! فذهب الناس الى  
المسجد وتركوا السوق .. فلم يروا ميراثا .. فقالوا : يا أبا هريرة ..  
ما رأينا ميراثا يقسم في المسجد .. قال : فماذا رأيتم ؟ قالوا : رأينا  
قوما يذكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن .. قال : فذلك ميراث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) .. فاذا ذكر الله عز وجل :  
« ذكرا كثيرا » (٦) حتى تكون من الذين « أعد الله لهم مغفرة وأجرا  
عظيما » (٧) واحذر الغفلة عن الله تعالى إذا أردت أن تكون قريبا منه  
وجليسا له .. ففى حديث قدسى يقول سبحانه : « أنا جليس من ذكرنى »  
وما أجمل قول أحد الصالحين : انى أعلم متى يذكرنى ربي عز وجل ..  
ففزعوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك ؟ فقال : اذا ذكرته ذكرنى ..  
فهو القائل : « فانكرونى أنكركم » (٨) .

(١) سورة ق : ١٨

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والبزار والطبرانى وابن حبان فى صحيحه

وهو حسن صحيح .

(٣) الورق بكسر الراء : الدراهم المضروبة من الفضة .

(٤) رواه الترمذى وهو صحيح الاسناد .

(٥) رواه الطبرانى فى « الأوسط » باسناد حسن .

(٦) الأحزاب : ٣٥

(٧) الأحزاب : ٤١

(٨) البقرة : ١٥٢

قال الشبلي رحمه الله تعالى في مناجاة له مع موله عز وجل :  
 ذكرك لا أنى نسيك لحظة وأيسر كما في الذكر ذكر لساني  
 وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهان على القلب بالخفقان  
 فلما أراني الوجد أنك حاضري شهادتك موجودا بكل مكان  
 فخطبت موجودا بغير تكلم ولاحظت معلوما بكل عيان  
 \* (وليكن نظرك عبرا) :

وتأمل في كل شيء حولك حتى توحد خالقك سبحانه ..

غفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

\* \* \*

ولعل ما في الكون من آياته عجب عجاب لو ترى عيناك  
 لله في الآفاق آيات لعل أقلها هو ما إليه هداكا

\* \* \*

فتأمل يا أخی :

تأمل في نبات الأرض وانظر الى آثار ما صنع المليك  
 غصون من لجين شاخصات بأبصار هي الذهب السبيك  
 على قضب الزبرجد شهادات بأن الله ليس له شريك

\* \* \*

تأمل في الوجود بعين فكر ترى الدنيا الدنيئة كالخيال  
 ومن فيها جميعا سوف يفنى ويبقى وجه ربك ذي الجلال

فبالتأمل نصل الى معرفة الله صانع هذا الوجود بما فيه من  
 موجودات بدون شريك ولا معين .  
 وما أجمل قول الأعرابي عندما سئل عن الدليل على وجود الله تعالى  
 .. فقال بفطرته :

« البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير .. فسماء  
 ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج .. أفلا يدل كل ذلك على اللطيف  
 الخبير ؟! »

وقال بعض العارفين : النظر في المصنوعات من أقرب القربات ،  
 قال تعالى : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض » (١) .  
 فالمصنوعات المألومة بالضرورة شيئان : علوية وسفلية .. فالعلوية

كالشمس ، والقمر ، والسماوات السبع ، وسكانها من الملائكة على اختلافهم ، والعرش ، والكرسى ، والبيت المعمور وما فيه من الملائكة الذين يعبدون الله عز وجل ويسبحونه ولا يفترون عن عبادته طرفة عين ، والجنة وما فيها من القصور والأنهار ، والحدود والولدان ، والنعيم الذي أعدّه الله تعالى فيها لأولياؤه المؤمنين مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، والنار وما أعدّه الله تعالى فيها لأعدائه الكافرين من العذاب والنكال ، والسلاسل والأغلال ، والحيات والعقارب ، وغير ذلك مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من أنواع العذاب .. نسأل الله تعالى العافية والسلامة .

والمصنوعات السفلية كالأرضين السبع ، والجبال ، والأنهار ، والبحار ، والشجر ، والدواب ، وبنى آدم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم .. إلى غير ذلك مما خلق الله تعالى فيها وأوجده على ظهرها ، وأودعه في بطنها من الكنوز والمعادن والنبات وغير ذلك .. ففى كل جزء من هذه المصنوعات دلالة كافية على أن الله تعالى هو خالقها وموجدتها من غير شريك ولا معين .. وأقرب المصنوعات اليك نفسك .. قال تعالى : « وفي أنفسكم ، أفألا تبصرون » (١) .. ففى نظرك إلى نفسك وما اشتملت عليه من سمع وبصر ، وذوق وشم ، ورضا وغضب ، وكفر وإيمان ، وشهوة وعدمها ، كفاية فى الاعتبار ، ودلالة على أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ ، وبينه الإعطاء والمنع ، والوصل والقطع ، والخفض والرفع ، والضرب والنفخ .. ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . ولهذا قال بعض العارفين : من تفكر فى عجائب المخلوقات كان من

المقربين .

وقال بعضهم : تفكر ساعة خير من قيام ليلة فان الفكر حج العقل .

وقال بعضهم : الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وتدللك على أن الله تعالى هو الصانع المختار ، وغيره صائر إلى الزوال .

وقال بعضهم : البر فى ثلاثة : فى النطق ، والنظر ، والصمت .. فمن كان منطقته فى غير ذكر الله فقد لغا ، ومن كان نظره فى غير اعتبار خقد سها ، ومن كان ضمته فى غير فكر فقد لها ..



فانظر الى نفسك ثم انتقل للعالم العلوي ثم السفلي  
تجد به صنعا بديع الحكم لكن به قام دليل المدغم  
وكل ما جاز عليه العدم عليه قطعا يستحيل العدم  
وانظر الى السماء وارتفاعها ، والشمس وشماعها ، والأرض  
وأقطارها ، والبحار وأمواجها ، والفصول وأزمانها ، والأوقات واثباتها ،  
وما هو ظاهر وكامن ، ومتحرك وساكن ، ومستيقظ وراقد ، وراكم  
وساجد ، وما غاب وما حضر ، وما خفي وما ظهر (١) .

وانظر « ٠٠٠ الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت .  
والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت » (٣) . و :  
قل للطبيب تخطفته يد الردى  
قل للمريض نجا وعوفي بعدما  
قل للصحيح يموت لا من علة  
قل للبصير وكان يحذر حفرة  
بل سائل الأعمى خطا بين الزحام  
قل للجنين يعيش معزولا بلا  
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء  
وإذا ترى الثعبان ينفث سمة  
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو  
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت  
بل سائل اللبن المصفى كان بين  
يا شافى الأمراض من أرداكا (٣) ؟  
عجزت لغنون الطب من عافاكا ؟  
من بالمنايا يا صحيح دهلاكا ؟  
فهوى بها من ذا الذى أهولكا ؟  
بلا اصطدام من يقود خطاكا ؟  
راعى ومرعى ما الذى يبرعاكا ؟  
لدى الولادة ما الذى أبكاكا ؟  
فأسأله من ذا بالسموم حشاكا ؟  
تحيا وهذا السم يملا فاك ؟  
شهدا وقل للشهد من حلاكا ؟  
دم وفرث ما الذى صفاكا ؟

ثم قلّ مع أولى الألباب : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى  
جنبهم وينفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا  
سبحانك فقنا عذاب النار » (٤) .

\* \* \*

(١) جزء من حديث تدمى .  
(٢) الفاشية : ١٧ - ٢٠ بلفظ : « أفلا ينظرون » .  
(٣) من قصيدة « الشعر مع الله والذرة » للشيخ إبراهيم بدوى  
(من الوعى الإسلامى العدد ٥٤) .  
(٤) آل عمران : ١٩١

# الوصية العاشرة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو

يعظه :

« اغتتم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ،  
وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل  
شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

( رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، وقال شارح

« الجامع » : اسناده حسن ) .

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

هذا الرجل الذى وعظه الرسول صلوات الله وسلامه عليه بهذه  
الموعظة الجامعة ، التى جمعت فأوعت ، وجددت معالم الطريق ، كما  
بينت أسباب النجاة . وما أحوجنا جميعا الى هذه الأسباب التى  
ان لم نهتد اليها فسنظل فى متاهات الحياة الى أن نموت بعد حياة  
كحياة الأنعام بل أضل . . وياليتنا ان لم نعرفها نكون كالأنعام التى  
لم ترتكب ذنبا ولم تحدث خطيئة .

ومن هنا كان لا بد أن نكون أسمى من هذا المعنى ، وأن نكون  
أهلا لما خلقنا الله من أجله وهو العبادة « وما خلقت الجن والانس  
الا ليعبدون » (١) .

فاذكر ذلك جيدا ، ونفذ موعظة الحبيب المصطفى صلوات الله  
وسلامه عليه ، واغتتم خمسا قبل خمس :

\* ( شبابك قبل هرمك ) :

والرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الفقرة الأولى يشير الى  
ملاحظة هامة . . وهى أن الانسان لن يظل متمتعا بشبابه الى أرذل  
العمر . . وانما هو كالنبات الذى « يهيج فتراه مصفرا ثم يكون

**حطابا**» (١) والى ذلك يشير سبحانه وتعالى في قوله : « **والله أنبتكم من الأرض نباتا . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم أخرجاً** » (٢) ، وفي قوله تعالى : « **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** » (٣) وتستطيع أنت بنفسك الوصول الى هذه الحقيقة الملموسة ، وهى أن الانسان خلق من سلالة من طين ، ثم كان بعد ذلك نطفة في قرار مكين ، ثم تقرأ بعد ذلك قوله تعالى : « **ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضفة فخلقنا المضفة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين** » (٤) . وقوله تعالى في حديث قدسى :

« فلما أن تمت مدتك في بطن أمك أوحيت الى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه لا لك سن يقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسمى بها ، وأنبعت لك عرقين رقيقين في صدر أمك يجريان لبنا خالصا حارا في الشتاء باردا في الصيف ، وألقيت محبتك في قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد » .

وهكذا ينشأ الطفل في أحضان والديه وهو يلقي من حنان الأبوة

ما عبر عنه الشاعر العربي بقوله :

وانما أطفالنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض  
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمض

كما ينتقل الطفل من مرحلة الطفولة لكى نراه بعد ذلك غلاما ، ثم رجلا في سن الأربعين ثم شيخا كبيرا معمرا .. وعندما يصل الى هذا الحد لن نراه وقتئذ يقوى على السير الا وهو يتوكأ على العصا .. وفي هذا يقول أحدهم :

وكنت أمشى على رجلين معتدلا فصرت أمشى على أخرى من الشجر

وبعد ذلك اذا طال عمره سنراه لا يقوى على السير حتى على

العصا .. وانما سنراه اذا أراد أن ينتقل من مكان الى مكان يحبو

كما كان يحبو يوم أن كان طفلا . وصدق الله العظيم اذ يقول :

« **ومن نعمره ننكسه في الخلق** » (٥) .

ثم بعد ذلك سيموت بعد انتهاء أجله لكى يعود الى بطن الأرض

كما خرج من بطن الأم التى هى أصلا من سلالة من طين .. وصدق الله

(٣) طه : ٥٥

(٢) نوح : ١٧ ، ١٨

(١) الحديد : ٢٠

(٥) يس : ٦٨

(٤) المؤمنون : ١٤

.. فهو القائل أيضا بعد قوله : « فبارك الله أحسن الخالقين » (١)  
 « ثم انكم بعد ذلك لمتون » (٢) ولهذا كان لا بد أن يقف الشباب على حقيقة  
 هذه الحياة الدنيا حتى لا يجتر بها فيشغل عن الهدف الأسمى وهو الرجوع  
 الى الله تعالى قبل فوات الأوان .. فقد ورد في الحديث الشريف : « ما من  
 يوم تطلع الشمس فيه الا وهو ينادى : يا ابن آدم .. أنا خلق جديد ،  
 وعلى عملك شهيد ، فاغتنم منى فانى لن أعود الى يوم القيامة » وفي  
 الحديث القدسي : « يا ابن آدم .. لا تغتر بشبابك .. فكم من شاب  
 سبقك الى الموت .. يا ابن آدم .. لا تفرح بدنياك فلست بمخلد ..  
 يا ابن آدم .. استح منى عند معصيتك أستحى منك فلا أعذبك » .  
 فاذا ذكر ذلك وكن شابا صالحا تكون مع الشباب الذين سيظلمهم  
 الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل الا ظله (٣) .. فقد جاء في هذا الحديث  
 الشريف الذى تحدث عن هذا فى المرتبة الثانية : « وشاب نشأ فى  
 عبادة الله تعالى » (٤) .

وفى الحديث القدسي : « أحب ثلاثا وحبى ثلاث أشد .. أحب  
 أهل السخاء وحبى للفقير السخى أشد ، وأحب المتواضعين وحبى للغنى  
 المتواضع أشد ، وأحب التائبين وحبى للشباب التائب أشد .. » .  
 واياك أن تكون كهذا الشاب المخنث الذى يشك الانسان فى رجولته  
 بسبب « الخنفسة » التى أصبح بها لا يحمل غير صفة الذكورة فقط ..  
 وتلك مصيبة المصائب « فأقم عليهم مأتما وعويلا » وقل : « انا لله  
 وانا اليه راجعون » (٥) وان شئت فقل مع الشاعر معاتباً :

شباب النيل يا زين الشباب	ويا أشبال آساد غضاب
معى عتب أوجه اليكم	وقد تصفو المودة بالعتاب
لزهر النرد (٦) قد خلقت يداه	وليست لليراع (٧) وللكتاب
تقفن فى محاكاة العذارى	وخالفهن فى وضع النقاب
وأرسل شعره المضغوط يحكى	وميض البرق أو لمع السراب
له حلال تحاكى الطيف لونا	بأزرار من الذهب اللباب

(١) المؤمنون : ١٤

(٢) أى يوم لا ظل الا ظل عرشه سبحانه وتعالى .

(٣) من حديث شريف أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) النرد : الطاولة .

(٥) البقرة : ١٥٦

(٦) اليراع : القلم .

إذا الذئب استحال بمصر ظبيا فمن يحمى البلاد من الذئاب  
برثت من الفتى يبدو فتهبدو عليه نعومة البيض الكعاب  
فتب أيها الشاب المفرط الى الله تعالى قبل أن يشيب شعرك ، ويذهب  
عمرك ثم تقول : ليت الشباب يعود يوما .. واذكر قول القائل :

وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب في الرأس نازل  
ترحل عن الدنيا بزاد من التقى فعمرك أيام تعد قلائل

وذلك لأن الانسان كالوردة لابد أن يذبل ، ولا بد أن يمر بجميع  
مراحل الحياة بما فيها من صحة وعافية وسقم .. وقد ورد في  
الحديث الشريف :

« لابد للمرء من ثمانية : عسر ويسر ، وحزن وفرح ، واجتماع  
وفرقة ، وسقم وعافية » .. تلك طبيعة الحياة .. بل تلك هي سنة  
الله في خلقه ، « ولن تجد لسنة الله تبديلا » (١) .. ومن أجل هذا كان  
لابد أن يكون هناك انتهاز لفرصة عافية الانسان قبل أن يصاب بمرض  
لا يمكنه من عمل شيء يجده ثمرته عند الله تعالى يوم القيامة .. وما أحوطنا  
الى كل لحظة في حياتنا الأولى تقريبا في كل لحظة من السفر الطويل  
الذي سنحتاج فيه الى زاد كبير بدونه سنكون من أفقر الفقراء  
« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه » (٢) يوم يقول المرء المفرط :  
« يا ليتنى قدمت لحياتي » (٣) .

وقد روى أن أبا الدرداء — أو أبا ذر — رضى الله عنهما وقف ذات  
يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه : أليس إذا أراد أحدكم سفرا يستعد  
له بزاد ؟ قالوا : نعم .. قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ..  
فقالوا : دلنا على زاده ؟ فقال : « حجوا حجة لعظام الأمور ، وصلوا  
ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول  
يوم النشور » .

ولما كان كل هذا لا يمكن تحقيقه الا اذا كانت هناك عافية كان  
من الضروري ما دمنا أصحاء وما دمنا نقوى على العمل والانطلاق  
أن نتحرك في كل اتجاه ، وفي كل ميدان نثبت فيه ايماننا ونؤكد فيه  
اخلاصنا .

(١) الأحزاب : ٦٢ ، والفتح : ٢٣ ، وفاطر : ٤٣ بلفظ : « فلن تجد » .

(٢) الفجر : ٢٤

(٣) النبا : ٤٠

وتلك فرصة من ذهب لن نعرفها ولن ندرك قيمتها الا عندما نعجز عن التحرك كما كنا ونحن أصحاء .. والله در على رضى الله تعالى عنه .. فلقد قال : « من أمضى يومه في غير حق قضاء ، أو فرض أداء ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسسه فقد عرق يومه وظلم نفسه » .  
 فاحذر أن تعرق يومك وتظلم نفسك ، فأنت أحوج الى كل لحظة من عمرك .. ف :

ليس المصاب من فارق الأحاب ان المصاب من فقد الثواب

« ودار أنت اليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل » (١) .  
 وحتى يستمر نشاطك في طاعة الله تعالى بصورة جادة فأننى أوصيك بأن تحافظ على صحتك .. وذلك بالحد من الاسراف في الطعام والشراب .. فقد قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :  
 « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه .. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه : فان كان لا محالة فاعلا فثالث لطعامه ، وثالث لشرابه ، وثالث لنفسه » (٢) .

وان صح الحديث الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه عندما قبل (٣) الجارية والدابة ورد الطبيب : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع » (٤) ففيه من التوجيه والعلاج ما فيه الكفاية ..

فان السداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

ومن خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه :  
 « اياكم والبطنة .. فانها مكسلة عن الصلاة ، ومفسدة للجسم ، ومؤدية الى السقم وعليكم بالقصد في قوتكم .. فهو أبعد من السرف ، وأصح للبدن وأقوى على العبادة ، وان العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه » (٥) .

(١) من وصية لسيدنا لقمان الحكيم .

(٢) أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٣) قبل : بفتح القاف وكسر الباء المخففة وفتح اللام : من القول .

(٤) وكان ملك مصر في عهده قد أهدى اليه صلى الله عليه وسلم

جارية ودابة وطيبيا .

(٥) ذكره الشيخ حمزة في « المواهب » .

\* (وغناك قبل فقرك) :

وتلك أيضا كالثبابت والصحة لا ضمان لدوامها .. فكم من الناس كانوا يملكون وأصبحوا لا يملكون غير القوت الضرورى الذى ربما لا يحصلون عليه الا بشق الأنفس .. وكم من الناس كانوا لا يملكون القوت الضرورى وصاروا الآن يملكون « القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث » (١) .

وتلك هى طبيعة الدنيا .. ان طلبتها تركتك .. وان تركتها طلبتك .  
هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى فلا يغرركموا منى ابتسام غفولى مضحك والفعل مبكى وقد روى أن رجلا كان له صديق فقير .. فكان يعطيه من فضل الله الذى عنده .. وبمرور الزمن قلب الوضع وأصبح عكسيا - العنى أصبح فقيرا والفقير أصبح غنيا - غير أن الأخير لم يكن أصيلا ، ولم يذكر مروءة صديقه الذى كان يعطيه يوم أن كان محتاجا .. فكان اذا رآه حول وجهه حتى لا يراه فيضطر الى اعطائه .. وعندما ظهر هذا للصديق الأول قال له :

ترانى مقبلا فتصد عنى وترعم أننى أبغى رضاك  
سيغنينى الذى أغناك عنى فلا فقرى يدوم ولا غناك  
فاذا كنت غنيا ففى استطاعتك الآن أن تقدم خيرا لنفسك ينفعك  
يوم القيامة « يوم لا ينفع مال ولا بنون » (٢) وفى ذلك يقول الحكيم :

قدم لنفسك خيرا وأنت مالك مالك  
من قبل تصبح فردا ولون حالك حالك  
ولست والله تدرى أى المسالك سالك  
اما لجنة عدن أو فى المهالك هالك  
وحسبك قول الله تعالى :

« وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » (٣) و « ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق » (٤) وحافظ على غناك وذلك بعدم الاسراف والتبذير « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا » (٥) .

(١) آل عمران : ١٤ بلفظ : « والقناطير » .

(٣) المزل : ٢٠ .

(٢) الشعراء : ٨٨ .

(٥) الاسراء : ٢٩ .

(٤) النحل : ٩٦ .

واعلم أنه ما وقع تبذير في كثير الا هدمه ودمره ، ولا دخل  
تدبير في قليل الا كثره .. وقد كان الصديق رضى الله عنه يقول :  
« انى لأبغض أهل بيت ينفقون رزق الأيام الكثيرة في يوم واحد » .  
ويقول : معاوية رضى الله تعالى عنه : « ما رأيت سرفا قط الا والى  
جانبه حق مضيع » وكان للأعمش صديق متصرف في عمل السلطان  
فبقى عليه مال سجن من أجله .. فزاره الأعمش فرأى بين يديه  
سلة فيها ظلودج وهو يتعدى منه فقلل له : « والله ما لازمت الوثاق  
الا بأسرافك في الانفاق .. فلو قنعت نفسك وعفت يدك لم يكن مضيق  
السجن مقعدك » .

فأحرص على الدرهم والعين تسلم من العيلة<sup>(١)</sup> والدين  
فقوة العيين بانسانها وقوة الانسان بالعين



وأنفق بقدر ما استطعت ولا تسرف وعش صاح عيش مقتصد  
فهذا تكون من العقلاء الذين يحافظون على مكانتهم .. فقد ورد  
في الحديث الشريف : « ما عال من اقتصد »<sup>(٢)</sup> .. ومن كان سليم  
الجسد مطمئن النفس خالى البال اعتمادا على الله وعلى ذا ادخره من  
المال فان مثله كمثل القابض بيده على زمام الدنيا .. وقد قيل  
لهكيم : لم تجمع المال وأنت حكيم ؟ فقال : لأصون به العرض ،  
وأؤدى به الفرض ، وأستغنى به عن القرض .

فانما رجل الدنيا وواحدما من لا يعول في الدنيا على رجل  
فاذكر ذلك ، وضع نصب عينيك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :  
« اليد العليا خير من اليد السفلى »<sup>(٣)</sup> وقوله صلى الله عليه وسلم :  
« تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » و « أنفق ولا تخش من  
ذى العرش اقلا »<sup>(٤)</sup> .

\* (وفراغك قبل شغلك) :

ف « الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك » هكذا قال أحد  
الحكماء .. وهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله ..

(١) العيلة : الفقر . (٢) رواه أحمد والطبرانى .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) رواه البزار باسناد حسن والطبرانى في « الكبير » و « الأوسط »



وذلك لأن العمر قصير ، واللحظات محسوبة عليك ، والواجبات أكثر من الأوقات ، واللحظة التي تمضي لن تعود مرة أخرى ولن يعرف الانسان قيمتها الا في يوم الحساب الذي يجب أن يعمل له من الآن ألف حساب ولهذا كان لابد وأن يكون هناك اغتنام لفرصة فراغه .. فربما لا يستطيع بعد ذلك أن يعمل بنفس الطاقة التي كان يعمل بها قبل ذلك بسبب عدم فراغه ، وكبر سنه ، وكثرة مشاغله وأولاده .. الخ . ثم بعد ذلك ستنتقضى أيامه لكي يجد نفسه أمام الله في موقف له خطورته ، لأنه سيستل فيه عن كل شيء فعله في هذه الحياة الأولى وعن كل لحظة قضاها فيها .. وفي ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » (١) فاحذر ضياع الوقت .. فالوقت من ذهب ، واغتنام فرصة فراغك ، وقدم لنفسك ما ينفعك في حياتك الأخرى ، وما يترك لك أثرا صالحا في حياتك الأولى ، وتأمل قول القائل :

دقلت قلب المرء قائلة له ان الحياة دقائق وثوان  
فاعمل لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للانسان عمر ثان  
\* (وحياتك قبل موتك) :

وإذا أردنا أن نتحدث عن الموت الذي يشير اليه هذا العنصر الخامس .. فهو نهاية المطاف الدنيوي ، وهو حكم الله تعالى في جميع خلقه بعد انتهاء آجالهم .. قال تعالى : « لكل أجل كتاب » (٢) . وقال تعالى : « كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام » (٣) وقال تعالى لنبيه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه : « انك ميت وانهم ميتون » (٤) فالمت أذن هو نهايتنا جميعا وقد جعله الله تعالى من أعظم المصائب (٥) كما سماه بهذا في قوله تعالى : « فأصابكم مصيبة الموت » (٦) وذلك لأنه تبدل من حال الى حال ، وانتقال من دار الى دار .. من دار العمل الى دار الحساب .

(٢) الرعد : ٣٨

(٤) الزمر : ٣٠

(١) رواه الترمذى .

(٣) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧

(٥) هذا بالنسبة لغير المؤمن ، أما المؤمن فانه يفرح بلقاء الله تعالى

لأن « الموت راحة المؤمن » كما ورد في الحديث الشريف .

(٦) المائدة : ١٠٦

نزول كما زال آباؤنا ويبقى الزمان علي ما ترى  
نهار يمر وليل يكر ونجم يغور ونجم يرى

\* \* \*

سيصير المرء يوما جسدا ما فيه روح  
بين عيني كل حي علم الموت يلوح  
كنصا في غفلة والموت يغدو ويروح  
نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح  
لتموتن وان عمرت ما عمر نوح

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الكيس من دان نفسه وأعمل لما بعد الموت »<sup>(١)</sup> . وسئل صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أفضل ؟ قال : « أحسنهم خلقا » . قيل : أى المؤمنين أكيس<sup>(٢)</sup> ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا »<sup>(٣)</sup> . وكان يقول صلوات الله وسلامه عليه : « لو علمت البهائم ما تعلمون عن الموت ما أكلتم منها لحما سميئا أبدا » .

وليس الموت هو نهاية المطاف فقط .. وإنما هو أيضا مرحلة انتقال : كما رأينا .. وفى ذلك يقول تبارك وتعالى بعد أن حدثنا عن مراحل خلق الانسان : « ثم انكم بعد ذلك لميتون » ثم يقول تعالى : « ثم انكم يوم القيامة تبعثون »<sup>(٤)</sup> . وهذا هو أهم ما يجب علينا أن نركز عليه اذا أردنا أن نخرج من هذه الدنيا وقد رضى الله عنا ، وغفر لنا ، ولكي يكون هناك ايقاظ وتذكير قبل فوات الأوان ، وقبل انتقالنا من دار العمل الى دار الحساب بدون رصيد من الحسنات .. كان لابد وأن يكون هناك تذكير باليوم الآخر وهو « يوم القيامة » وأوله الموت .. لحديث هانىء مولى عثمان بن عفان قال : كان عثمان رضى الله عنه اذا وقف على قبر يبكى حتى يبيل لحيته .. فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة .. فان نجا منه فما بعده أيسر ، وان لم ينج منه فما بعده أشد منه » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما رأيت منظرا قط الا والقبر أظف

(٢) اكيس : اى أعقل .

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٤) المؤمنون : ١٥ ، ١٦ .

(٣) روى عن ابن مسعود رضى الله عنه .

منه» (١) وحتى تدرك خطورة ذلك وما بعده تعالوا بنا نستمع الى  
البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه وهو يقول : خرجنا مع النبي  
صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار .. فانتبهنا الى القبر  
ولما يلحد .. فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله  
وكان على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به في الأرض .. فرفع  
رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين - أو ثلاثا - »  
ثم قال : « ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع عن الدنيا واقبال على  
الآخرة ، نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس  
معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط (٢) من حنوط الجنة حتى يجلسوا  
منه مد البصر .. ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند  
رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة .. اخرجي الى مغفرة من الله  
ورضوان .. قال : فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء (٣) ..  
فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في  
ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت  
على وجه الأرض .. قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من  
الملائكة الا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان  
بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى  
السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها  
الى السماء التي تليها حتى ينتهي به الى السماء السابعة .. فيقول  
الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الأرض فاني  
منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .. قال :  
فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟  
فيقول : ربي الله .. فيقولان له : وما دينك ؟ فيقول : ديني الاسلام ..  
فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله  
صلى الله عليه وسلم .. فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله  
فأمنت به وصدقت . فينادى مناد في السماء : أن صدق عبدي  
فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، واقتجوا له بابا الى الجنة ..

(١) أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٢) طيب يخلط للميت خاصة ، وكل ما طيب به من مسك وغيره .

(٣) أى قم السقاء .

قال : فيأتيه من روحها<sup>(١)</sup> وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب طيب الريح .. فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعده .. فيقول له : من أنت .. فوجهك الوجه يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عمك الصالح .. فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي .. قال : وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا ، واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء سود الوجوه ، معهم المسوح<sup>(٢)</sup> فيجلسون منه مد البصر .. ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب .. فتفرق في جسده فينترعها كما ينترع السفود<sup>(٣)</sup> من الصوف المبلول .. فيأخذها ، فاذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة الا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا .. حتى ينتهي به الى السماء الدنيا ، فيستفتح له فلا يفتح له .. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط »<sup>(٤)</sup> . فيقول الله : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى .. فتطرح روحه طرحا ثم قال : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق »<sup>(٥)</sup> فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه .. لا أدري .. فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه .. لا أدري .. فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه .. لا أدري .. فينادى مناد من السماء : أن كذب فأفرشوه من النار ، وانفتحوا له بابا الى النار .. فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلفه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوءك .. هذا يومك الذي كنت توعده ، فيقول : فمن

(١) الرحمة . (٢) الثوب الخشن .

(٣) الحديدة التي يشوى بها اللحم .

(٤) الاعراف : ٤٠ ، وسم الخياط : ثقب الابرة .

(٥) الحج : ٣١

نتت .. فوجهك الوجه يجيء بالشر ؟ فيقول : أنا عمك الخبيث ..  
فيقول : « رب لا تقم الساعة » (١) .

هذا .. ومما تقدم يستفاد أن لأهل القبور حياة .. بها يدرك  
أثر النعيم والعذاب ، ولو تفتتت أجسادهم .. وهو أمر غيبي لا نبعث  
عن كفيته .. وحال صاحبه كحال النائم يرى الملاذ والمؤلمات ،  
ولا يرى من بجواره شيئاً .. وقد ستر عنا رحمة بنا لقوله صلى الله  
عليه وسلم : « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب  
القبور » (٢) .

فإن كان هذا هو حال أهل القبور .. فما بالك بما سيكون بعد  
ذلك من بعث ، وحشر ، وحساب ، وميزان ، وصراط .. الخ ..  
ثم ما بعد ذلك من جنة أو نار .. قال تعالى :  
« فأما من طغى .. وآثر الحياة الدنيا .. فإن الجحيم هي المساوى ..  
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .. فإن الجنة هي  
المساوى » (٣) .

ولهذا أخا الاسلام .. كانوا يعملون لهذا اليوم ألف حساب ،  
وكانوا يخافون من لقاء الله سبحانه وتعالى خوفاً شديداً :  
يقول الأصمعي رضى الله تعالى عنه : سمعت شاباً يقول هذه  
الآبيات :

ألا أيها المقصود في كل وجهة      شكوت إليك الضر فارحم شكايتي  
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي      فهبلى<sup>(٤)</sup> ذنوبي كلها واقض حاجتي  
أتيت بأعمال قباح رديئة      وما في الوري عبد جنى كجنايتي  
أتحرقني بالنار يا غاية المنى      فأين رجائي ثم أين مخالفتي ؟

ثم سقط مغشياً عليه .. فدنوت منه .. فاذا هو زين العابدين  
ابن الحسين بن علي رضى الله تعالى عنهم أجمعين .. فرفعت رأسه  
في حجرى وبكيت .. فقطرت دمة على خده فقال : من هذا الذى  
يهجم علينا ؟ فقلت : عبيدك الأصمعي .. سيدي .. ما هذا البكاء  
والنحيب وأنت من أهل بيت الصيب صلوات الله وسلامه عليه ..

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وابن خزيمة .

(٢) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي . (٣) النازعات : ٣٧ - ٤١

(٤) هبلى ذنوبي : أى تجاوز عنها بكرمك .

بوالله تعالى يقول : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت  
ويطهركم تطهيرا » (١) . فقال : هيهات هيهات . ان الله تعالى خلق  
الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان  
حرا قرشيا . ثم قال : أليس الله تعالى يقول : « فاذا نفخ في الصور  
فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك  
هم المفلحون » (٢) .

أليس الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « انى لأخوفكم  
من الله وأشدكم له خشية » (٣) ثم قال وهو يبكي : أنسيت يا هذا  
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها :  
« اعلمى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا » (٤) .

وأن الصديق عليه رضوان الله كان يقول : « لو كانت احدى رجلى  
فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله » .  
وأن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يخاف من لقاء الله  
خوفا شديدا وكان دائم البكاء لدرجة أنك كنت ترى على وجهه خطين  
أسودين من كثرة انحدار الدموع ، وكنت تشم من فمه رائحة الكبد  
المشوى وكان يقول : « ليت أمى لم تلدنى » و « ليتنى شعرة فى  
صدر أبى بكر » .

وأن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه كان يجمع الفقهاء  
فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .  
وجاءته مولاة له فقصت عليه أنها رأت فى المنام كأن الصراط قد مدا  
على جهنم وهى ترغر على أهلها ، وذكرت أنها رأت رجلا مروا على  
الصراط فأخذتهم النار . ثم قالت : ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جىء  
بك . فوقع مغشيا عليه ، وبقي زمانا يضطرب وهى تصيح فى أذنه :  
رأيتك والله قد نجوت .

ويقول منصور بن عمار رضى الله تعالى عنه : دخلت الكوفة فبينما  
أمشى فى ظلمة الليل اذ سمعت بكاء رجل بصوت شجى من داخل دار  
وهو يقول : الهى . وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ،  
ولكن عصيتك بجهل فالآن من ينقذنى من عذابك ؟ ويحبلى من أعتصم

(٢) المؤمنون : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٤) أخرجه البخارى وبسلم .

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٣) حديث حسن .

ان قطعت حبلك عنى ؟ واذنوباه .. واغوثاه .. يا الله .. قال منصور ابن عمار : فأبكاني كلامه فوقفت فقراءت : « يا أيها الذين آمنوا : قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (١) فسمعت للرجل اضطرابا شديدا وصياحا .. فوقفت حتى انقطع صوته ومضيت .. فلما أصبحت أتيت الى دار الرجل فوجدته قد مات ، والناس في تجهيزه ، وعجوز تبكى .. فسألت عنها .. فقيل : هي أمه .. فتقدمت اليها وسألتها عن حاله فقالت : كان يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويكتسب الحلال فيقسم كسبه أثلاثا : ثلث لنفقته ، وثلث لنفقتي ، وثلث يتصدق به .. فلما كان البارحة مر انسان وهو يقرأ فسمع آية من القرآن ففارق الدنيا .

وكان يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى يعاتب نفسه ويقول لها : ويحك يا نفس .. ما الذي يصلى عنك بعد الموت .. ما الذي يصوم عنك بعد الموت .. وهكذا ثم يقول : أيها الناس .. ألا تبكون وتنتحبون على أنفسكم بقية عمركم .. فمن كان الموت موعده ، والقبر بيته ، والثرى فخراشه ، والدود مؤنسه ، وخوف الفرع الأكبر يزعجه كيف يلتذ بمنام ؟ .. ثم يخبر مغشيا عليه .

وكان سفيان الثوري رضى الله تعالى عنه اذا ذكر الموت لا ينتفع احد به أياما عديدة ، ولا يأكل ولا يشرب .. وكان اذا سئل عن شئ يقول : لا أدري .

وكان على بن الفضيل بن عياض اذا ذكر الموت تكاد تنقطع مفاصله من الاضطراب .

وكان يوسف بن أسباط اذا شيع جنازة يكاد يموت .. فيرجعون به في النعش الى داره .

فاذكر ذلك جيدا ، ولا تتخذ الدنيا وطنا لك ، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ، ولا تتعلق منها الا بما يتعلق الغريب به في وطنه الذي يريد أن يذهب الى أهله منه .. فبهذا أوصى الرسول صلوات الله وسلامه عليه سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه الذي يقول : أمرنى خليلي صلى الله عليه وسلم أن لا أتخذ من الدنيا الا كمتاع الراكب .. ثم اليك هذه الخلاصة :

روى أن سفيان الثوري رضى الله تعالى عنه قال لأحد أصدقائه :  
 هلم بنا الى المؤدبة - يعنى رابعة العدوية - يقول جعفر بن سليمان  
 زرفيق سفيان فى هذه الزيارة : فلما دخلنا عليها رفع سفيان يديه وقال :  
 اللهم انى أسألك السلامة .. فما كان من رابعة حين سمعت هذا  
 الدعاء الا أن بكت .. وتعجب سفيان من بكائها فسألها : ما يبكيك  
 يا رابعة ؟ فقالت : أنت السبب .. لقد عرضتنى للبكاء .. أما علمت  
 يا سفيان أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها .. فكيف وأنت متلطح  
 بها ؟ قال سفيان : واحزنناه .. فقالت رابعة : لا تكذب .. قل : واقلة  
 حزنناه .. لو كنت محزوننا لما شغلتك الدنيا يا سفيان .. ثم قالت  
 تعظه : يا سفيان .. انما أنت أيام معدودة .. فاذا ذهب يوم ذهب  
 بعضك ، ويوشك اذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل ..  
 وكانت تقول : لو كانت الدنيا لرجل ما كان بها غنيا .. قيل لها :  
 وكيف ؟ قالت : لأنها تفنى .. وسألها متقلسف : من أين أتيت ؟ قالت :  
 من العالم الآخر .. قال : والى أين أنت ذاهبة ؟ قالت : الى العالم  
 الآخر .. قال : وماذا تفعلين فى هذه الدنيا ؟ قالت : أكل خبزها ،  
 وأعمل للأخرة .

\* \* \*

فاغتنم أخوا الاسلام فرصة وجودك فى هذه الدنيا ، واحذر أن  
 يفوتك القطار ، وكن مستعدا للقاء الله سبحانه وتعالى ، وتزود لهذا  
 اللقاء حتى اذا ما فارقت الدنيا كنت فرحا به كبلال رضى الله تعالى عنه ..  
 فقد روى أنه عندما كان يحتضر كانت ابنته تبكى وتقول : وأبتاه ..  
 واكرباه .. واحزنناه .. وعندما انتبه وهى تقول هذا الكلام زجرها ..  
 ثم قال لها : « لا تقولى ذلك .. لا كرب على أبيك بعد اليوم ..  
 اليوم نلقى الأحبة .. محمدا وحزبه » وكن محبا للقاء الله تعالى ..  
 فقد ورد فى الحديث :

« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره  
 الله لقاءه » .

\* \* \*



وبعد أذا الاسلام .. وقد وقفت على بعض هذه المواقف المثيرة  
التي تهرز المشاعر المؤمنة ، وتحرك القلوب السليمة .. لا يسعني بعد  
هذا العرض الموجز خوفاً عليك من اليأس من رحمة الله الرحمن الرحيم  
الذي يقول كما ورد في حديث قدسي : « وأنا أرحم بعبادي من الوالدة  
على ولدها » الا أن أسوق اليك هذا الحديث : عن أنس رضي الله تعالى  
عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله  
تعالى : يا ابن آدم .. انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك  
ولا أبالي .. يا ابن آدم .. لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني  
غفرت لك .. يا ابن آدم .. انك لو أتيتني بقراب<sup>(١)</sup> الأرض خطايا  
ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة »<sup>(٢)</sup> . فلا تقنط  
من رحمة الله تعالى وأكثر من الاستغفار — وهو طلب المغفرة منه سبحانه  
وتعالى — ثم التوبة اليه .. ففي ذلك يقول تعالى : « وأن استغفروا  
ريكم ثم توبوا اليه »<sup>(٣)</sup> وليكن مثلك في هذا هو سيد المستغفرين  
صلوات الله تعالى وسلامه عليه الذي كان يقول في المجلس الواحد مائة  
مرة : « رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم »<sup>(٤)</sup> . ويقول :  
« سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني  
وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر  
ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر  
الذنوب الا أنت »<sup>(٥)</sup> فلا تنس سيد الاستغفار ، وحسبك قول الله  
تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام : « استغفروا ليكم انه كان  
غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم  
جنات ويجعل لكم أنهارا »<sup>(٦)</sup> حتى لا تحرم من كل هذه الامتيازات  
.. وقتل مع سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كما أمره  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً<sup>(٧)</sup>

(١) أي بما يقارب ملء الأرض .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) هود : ٣ .

(٤) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) رواه البخارى . (٦) نوح : ١٠ - ١٢

(٧) وفي رواية أخرى : « ظلماً كبيراً » والحديث متفق عليه .

ولا يغفر الذنوب الا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى  
انك أنت الغفور الرحيم « وقل مع هذا الراجى عفوره :

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة	فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن	فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا	فلئن رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى اليك وسيلة الا الرجا	وجميل عفوك ثم انى مسلم

حتى تصلك هذه الاشارات من هذه الأبيات :

قل للذى ألف الذنوب وأجرما	وغدا على زلاته متندما
لا تياسن من الجميل فعندنا	فضل ينيل التائبين تكرما
يا معشر العاصين جودى واسع	توبوا ودونكم المنى والمغنا
لا تقنطوا فالذنب مغفور لكم	انى الجدير بأن أجود وأرحما

\* \* \*

## الجزء الثاني

# الوصية الحادية عشرة

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال :  
أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر  
كلمات فقال :

« لا تشرك بالله شيئاً وان قتلت وحرقت ، ولا تعقن  
والديك وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ، ولا تتركن  
صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا  
فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشربن خمرا فانه رأس كل  
فاحشة ، واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله ،  
واياك والفرار من الزحف وان هلك الناس ، وان أصاب  
الناس موت فأتيت ، وأنفق على أهلك من طولك ، ولا ترفع  
عنهم عصاك أبدا ، وأخفهم في الله » .

(رواه احمد والطبرانى فى الكبير)

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

بعيدا عن الشرك بالله<sup>(١)</sup> فقد حرمه الله علينا جميعا فقال :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، أن لا تشركوا به شيئاً »<sup>(٢)</sup>  
بل وتلك كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التى عليها خاتمه كما  
يقول ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد أن ينظر الى وصية محمد  
صلى الله عليه وسلم التى عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : « قل تعالوا  
أتل ما حرم ربكم عليكم ، أن لا تشركوا به شيئاً » الى قوله تعالى :  
« وان هذا صراطى مستقيما »<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

(١) الشرك هو عدم امراد الخالق بالعبادة ذاتا وصفة وانملا .

(٢) الأتعلم : ١٥٣

(٣) الأتعلم : ١٥١

وإذا كان الله تعالى قد حرم عليك الشرك وأمرك بأن تعبد به عبادة خالصة فهذا هو حقه سبحانه وتعالى عليك كما ورد في حديث شريف يرويه معاذ رضى الله عنه فيقول : « كنت رديف<sup>(١)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم فقال لى : « يا معاذ .. أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟ قلت : والله ورسوله أعلم . قال : « فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » . قلت : يا رسول الله .. أفلا أبشر الناس ؟ قال : « لا تبشروهم فيتكلوا »<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وحسبك ترغيباً لك في عبادة الله وتحذيراً لك من الوقوع في الشرك به سبحانه أن تقرأ قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :  
عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وعن عثمان رضى الله عنه : « فان الله حرم على النار من قال : لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله »<sup>(٤)</sup> فكان : من أجل كل هذا موحداً وجدد ايمانك بالاكثار من قول لا اله الا الله . فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم : « جددوا ايمانكم » قيل : وكيف نجدد ايماننا يا رسول الله ؟ قال : « أكثروا من قول لا اله الا الله »<sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

وحتى تعرف قدر كلمة التوحيد وتكثر من قولها بكل جوارحك اليك هذا الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : « قال موسى : يا رب .. علمنى ما أذكرك به وأدعوك به ، فقال : يا موسى .. قل لا اله الا الله . قال موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب .. كل

(١) أى كان يركب خلفه . (٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه احمد والطبرانى بإسناد حسن .

عبادك يقولون هذا • قال : قل لا اله الا الله • قال : لا اله الا أنت •  
انما أريد شيئا تخصني به • قال : يا موسى • لو أن السموات السبع  
وعامرهن غيري ، والأرضين السبع في كفة ، ولا اله الا الله في كفة ،  
بمالت بهن لا اله الا الله» (١) •

\*\*\*

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول :  
« أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » (٢)  
وكان يقول : « التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا اله الا الله  
ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه » (٣) •

\*\*\*

ولهذا قال علماء التوحيد :  
يجب على من نشأ مؤمنا ، أن يذكر كلمة التوحيد في العمر مرة  
فأويا أداء الواجب ، والا فهو عاص ، ثم ينبغي له الاكثار من ذكرها  
عارفا معناها ، مستحضرا ما احتوت عليه لينتفع بذكرها دنيا وأخرى •  
فتتفجر ينابيع الحكمة من قلبه ، ويرى لها من الأسرار والعجائب  
أن شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر :

لأن كل ما يتعلق بالعقيدة يندرج في كلمة التوحيد ، وذلك لأن  
معناها : « لا معبود بحق الا الله » ويلزم هذا المعنى أن يكون غنيا  
عن كل ما سواه ، وأن يفتقر اليه كل ما عداه •

يا واحدا في ملكه أنت الأحد      واقد علمت بأنك الفرد الصمد  
لا أنت بمولود ولست بوالد      كلا ولا لك في الورى كفوا أحد

\*\*\*

واعلم : أنه من أنواع الشرك بالله :  
الرياء في العمل طلبا للرفعة والمنزلة والجاه الى غير ذلك من أمور  
الدنيا وشهواتها • وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخشى علينا  
هذا فيقول :

« ان أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر » •

(١) أخرجه النسائي وابن حبان •

(٢) أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وقال : حسن غريب ، وابن ماجه

وابن حبان والحاكم وصححه • (٣) أخرجه الترمذي •

يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جزى الناس أعمالهم : « انظروا الى الذين كنتم تراءونهم ، هل تجدون عندهم جزاء ؟ وحسبك أن تقرأ قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا » (١) .

وقوله تعالى : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٢) .

مع ملاحظة : أن الرياء لا يتحقق الا بالنية ، فالشخص الذى يبدي الصدقة جهرا وعلنا ولم يقصد بذلك الرياء ليس مرائيا . لأن اظهار الصدقة تارة يكون محبوبا كالزكاة المفروضة ، وكالاقتداء واغراء الغير به : عندئذ سيكون له أجران : أجر السر وأجر العلانية .

وتعظيم غير الله ومشاركتهم له في الحب : وفي ذلك يقول تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » (٣) .

وقد وقع العرب في جاهليتهم في هذا الشرك ، فقد كانوا يعبدون الأصنام التى صنعوها بأيديهم بدعوى أنها تقربهم الى الله زلفى ، مع أنهم كانوا اذا سئلوا عن خلقهم ودبر شؤونهم يكون جوابهم : « الله » وقد أشار الله تعالى الى هذا فقال : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون » (٤) . وقال : « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون » (٥) .

ومن المؤسف أن هذه الجاهلية قد تكررت مرة أخرى في القرن العشرين وكتاب الله بين أيدينا ولا زالت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تهز مشاعرنا وتملا أسماعنا :

(٣) البقرة : ١٦٥

(٢) الكهف : ١١٠

(١) البقرة : ٢٦٤

(٥) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩

(٤) الزمر : ٣

فهناك الآن من يقدم النذور لعباد الله الصالحين ، وهذا خطأ جسيم ، لأن النذر عبادة من العبادات التي لا تكون الا لله وحده مثل الصلاة •

بل ويدعونهم من دون الله ، وهذا أيضا جرم كبير لأن « الدعاء من عبادة » كما جاء في الحديث الصحيح ، والعبادة لا تكون الا لله • قال تعالى :

« وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » (١) •

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (٢) •

ومن هذا النوع من الشرك : السجود لغير الله ، والطواف بغير بيته الحرام ، وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره ، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود ، أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها •

وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها لله • فكيف بمن اتخذوا القبور أوثانا يعبدونها من دون الله ، فقد ورد في الصحيحين : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٣) ، وفي الصحيح أيضا : « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » وفي مسند الامام أحمد رضى الله عنه وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وقال : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، وقال : « ان من كان قبلكم كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » •

(١) غافر : ٦٠ ، وداخرين : اى صاغرين اذلاء •

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح •

(٣) هذا لفظ مسلم •

فإذا كان هذا هو حال من سجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » (١) .

كما نرى أنه صلى الله عليه وسلم قد حمى جانب التوحيد أعظم حماية حين نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه وتعالى عند طلوع الشمس وعند غروبها ، لئلا يكون ذريعة إلى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين . كما منع الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس .

والشرك به في اللفظ كالحلف بغيره :

وهو أخف أنواع الشرك ، فلا يخرج الإنسان عن الإيمان وإن كان ينقسه قال صلى الله عليه وسلم : « من حلف بغير الله فقد أشرك » (٢) . ومن ذلك قول القائل للمخلوق : ما شاء الله وشئت ، فقد ثبت أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتني لله ندا . قل : ما شاء الله وحده » .

وكذلك من يقول : أنا متوكل على الله وعليك ، وأنا في حسب الله وحسبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وهذا من بركات الله وبركاتك ، والله في السماء وأنت في الأرض ، أو يقول : نذراً لفلان (٣) ، وكذلك من يشبهه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له وحده : كملك الملوك ، وحاكم الحكام .

وخلاصة القول : أن السجود والعبادة والتوكل والابانة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والطواف بالبيت والدعاء كل ذلك محض حق الله تعالى : لا يصلح لسواه من ملك مقرب أو نبي مرسل .

(١) رواه مالك في « الموطأ » . (٢) رواه أحمد وغيره .

(٣) فكل هذا يعتبر اعتماداً على غير الله ، والمفروض أن يكون الاعتماد والاتكال على الله وحده ولا مانع أن يكون هناك تعاون بين المؤمنين على البر والتقوى .



ومن أنواع الشرك أيضا :

تعليق التيممة<sup>(١)</sup> ، والودعة<sup>(٢)</sup> ، والرقى<sup>(٣)</sup> ، والتولة<sup>(٤)</sup> .  
فقد ورد في حديث عن عقبة بن عامر مرفوعا : « من تعلق تيممة  
فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وفي رواية : « من  
تعلق تيممة فقد أشرك » وفي رواية أخرى عن ابن مسعود رضى الله عنه :  
« ان الرقى والتولة شرك »<sup>(٥)</sup> .

فلا تنس ذلك ، واذكر قوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا  
الا اياه »<sup>(٦)</sup> .

وقوله : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا »<sup>(٧)</sup> .

و « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين .  
لا شريك له »<sup>(٨)</sup> .

واحذر : أن تكون من المشبهة ، أى الذين يشبهون الله تعالى  
بالحوادث لأنه سبحانه لا يشبهه أحد من خلقه في ذات ولا صفة :  
« ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير »<sup>(٩)</sup> ، « هو الأول والآخر  
والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم »<sup>(١٠)</sup> .

هو أول هو آخر هو ظاهر هو باطن ليس العيون تراه  
حجبه أسرار الجلال فدونه تقف الظنون وتخرس الأفواه  
صمد بلا كفاء ولا كيفية أبدا فما النظراء والأشباه  
سبحان من عنت الوجوه لوجهه وله سجود أوجه وجباه  
ما كان يعبد من اله غيره والكل تحت القهر وهو اله  
ولا تكن : من هؤلاء الذين يتكلمون في الاستواء وغيره وهم يجهلون  
حقيقتهم ، وحسبهم ما قاله جلال الدين السيوطى رحمه الله :

(١) التائم : شيء يعلق على الاولاد يتقون به العين .

(٢) الودعة : شيء ابيض يجلب من البحر يعلق في حلق الصبيان

وغيرهم . (٣) الرقى : هى التى تسمى بالعزائم .

(٤) التولة : شيء يصنعونه يزعمون انه يحجب المرأة الى زوجها والرجل

الى امراته .

(٥) وهذا بالنسبة لمن اعتقد تأثيرها بذاتها ، اما من اعتقد انها لا دخل

ايها فى ارادة الله تعالى واخذ بالاسباب بأن ذهب الى الطبيب مثلا بعد  
لجونه الى الله تعالى فليس بمشرك ، والحديث رواه أحمد وابو داوود .

(٦) الاسراء : ٢٣ (٧) النساء : ٣٦

(٨) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣ (٩) الشورى : ١١

(١٠) الحديد : ٣

قل لمن يفهم عنى ما أقول  
هو سر غامض من دونه  
أنت لا تعرف اياك ولا  
لا ولا تدري صفات ركبت  
أين منك الروح في جوهرها  
هذه الأنفاق هل تحصرها ؟  
أين منك العقل والفهم اذا  
أنت أكل الخبز لا تعرفه  
فاذا كانت طواياك التي  
كيف تدري من على العرش استوى  
كيف تجلى الله أم وكيف يرى  
هو لا كيف ولا أين له  
وهو فوق الفوق لا فوق له  
جل ذاتا وصفاتا وسما

قصر القول فذا شرح يطول  
ضربت والله أعناق الفحول  
قدر من أنت ولا كيف الوصول  
فيك حارت في خفاياها العقول  
هل تراها فتري كيف تجول ؟  
لا ولا تدري متى منك تزول  
غلب النوم ، فقل لى يا جهول  
كيف يجرى منك أم كيف تبول  
بين جنبيك كذا فيها خلول  
لا تقل كيف استوى كيف النزول  
فلعمري ليس ذا الا فضول  
وهو رب الكيف والكيف يحول  
وهو في كل النواحي لا يزول  
وتعالى قدره عما أقول

وإذا أردت اجابة على موضوع الاستواء فاليك :

دخل رجل على الامام مالك رضى الله عنه وسأله عن معنى الاستواء  
فقال له تعالى : «الرحمن على العرش استوى» (١) فأجابه بقوله :  
الاستواء معلوم - أى من القرآن - والكيف مجهول ، والسؤال عنه  
بدعة • ثم قال لجسائه : أخرجوا عنى هذا المبتدع •  
وسئل أبو حنيفة رضى الله عنه أيضا عن الاستواء فقال : من ادعى  
أن الله فوقية أو تحتية فقد كفر « ليس كمثله شيء ، وهو السميع  
البصير » (٢) •

وسئل الشافعى رضى الله عنه عن الاستواء فقال : آمنت بلا تشبيه  
ووجدت بلا تمثيل •

فلتكن : هذه اجابتك •

ولتكن : عقيدتك عقيدة أهل السنة •

وخلاصتها : أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقادا جازما بأن  
الله تعالى اله واحد منزه عن الشرك والمعين والصاحبة والولد ، موجود  
بعذاته من غير افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ، مستغن عن كل ما سواه ،

ومفتقر الى كل ما عداه ، قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيز فيحتاج الى مكان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا يجسم فيكون له الجهة والتقاء ، مقدس عن الجهات والأقطار ، مرئي للمؤمنين بالقلوب في الدنيا وفي الآخرة بالأبصار ، استوى على العرش كما قال وعلي المعنى الذي أراد ، له الآخرة والأولى ، لا يؤده حفظ المخلوقات • وهو موجود بعلمه في جميع الجهات ، مقدس عن القبل والبعد فان ذلك من صفات الزمان الذي أبدعه ، فهو سبحانه لا يحده زمان ولا يقفه مكان • بل كان ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن على ما عليه كان • السموات والأرض ومن فيهن جميعا منه • خلق اللوح والقلم وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه فلا تتحرك ذرة الا اليه وعنه : أوجد الكل من غير حاجة اليه ، ولا موجب ذلك عليه ، الا أن علمه قد سبق • فلذلك خلق من خلق لم تتعلق قدرته الا بما أراد كما أنه لم يرد الا ما علم ، وأحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عددا • يعظم السر وأخفى « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » (١) علم الأنبياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها ، مرید لجميع الكائنات في الأرضين والسموات ، فما في الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا متحرك ولا ساكن ، ولا ظاهر ولا باطن ، الا وهو مراد للحق جل وعلا ، ولا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، يوتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، أخرج العالم فريقين ، وأوجد لهم منزلتين • فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالي • وهؤلاء للنار ولا أبالي •

لم يتصرف في ملك غيره فلا ينسب اليه الظلم والحيث ، ولا يتوجه اليه من الغير سؤال بلم أو كيف • فهو سبحانه كما قال في كتابه المكنون : « **لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون** » (٢) •

فان رأيت من لم يخضع لهذا الاعتقاد فاصرف النظر عنهم وقل : « **فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** » (٣) يسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء ، ويبصر السواد في الظلماء ، متكلم لا عن صمت تقدم ، ولا عن سكوت متوهم ، بكلام قديم أزلى ، منزه عن الحروف والأصوات ، وعن جميع آلات النطق واللهاة ، كما أن سمعه من غير

أصمخة ولا آذان ، وبصره من غير حدقة ولا أجفان • وعلمه من غير نظر ولا برهان ، وحياته من غير بخار حدث عن امتزاج الأركان • وبالجملة • • فهو سبحانه وتعالى متصف بكل كمال • ومنزه عن كل نقص اذ هو الكبير المتعال ، فلا يشبه شيئا من الحوادث ، بل كل ما خطر ببالك فإله بخلاف ذلك •

وكذلك : يجب اعتقاد أن الله تعالى أنبياء ورسلا مبشرين ومنذرين ، وأن سيدنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين بعث الى كافة الخلق أجمعين وقد خاطبه الله بقوله : « يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » (١) فبلغ جميع ما أنزله الله اليه ، وأدى الأمانة ونصح الخليقة • • صلوات الله وسلامه عليه •

ويجب اعتقاد أن كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم حق ، ومن جملة ما جاء به أن الموت حق ، وأن سؤال القبر حق « وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور » (٢) وأن العرض على الله حق ، وأن الميزان حق ، وأن الحوض حق ، وأن الصراط حق ، وأن تطاير الصحف حق ، وأن الجنة والنار حق ، وأن فريقتا في الجنة وفريقتا في السعير ، وأن شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء وصالحى المؤمنين حق ، وأن كل ما جاءت به الأنبياء عن الله حق • فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة فاعمل بها ومت عليها • وليكن شعارك :

« ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين •

لا شريك له • • • » (٣)

ووطد صلتك بالله عن طريق التأمل فى ملكوته حتى تترداد معرفة به وتعلميما له كما حدث من كسرى الذى اضطجع ليلة على فراشه ثم نظر الى الفلك فتفكر فى هيئته واستدارته وقال : أيها الفلك • • ان بناء أنت سقفه لعظيم ، وان بيتا أنت غطاؤه لنظيم ، وان شيئا أنت تظله لكبير ، وان فيك لعجبا للمتعجبين ، فليت شعرى أعلى أعمدة من تحتك تتمسك ، أم بمعاليق من فوقك تتعلق ، ولعمري ان ملكا أمسكتك

قدرته ملك قدير ، وانه في استدارتك بتقديره لحكيم خبير • وان جهل  
من غفل عن التفكير في هذه العظمة لغير صغير ، وليت شعري كم أفنت  
هذه النجوم من القرون ؟ وكم سحقت قبلنا أمما في سالف العصور ،  
وليت شعري بم طلوعك حين تطلعين ؟ وبم سيرك حين تسيرين ؟  
وأفولك حين تأفلين ؟ وعلام سقوطك حين تغيبين ؟ وليت شعري أساكنة  
أنت أم تتحركين ؟ أم كيف صفتك التي بها تتصفين ؟ ولونك الذي به  
تتوسمين ؟ ومن سماك بأسمائك التي بها تعرفين ؟ فسبحان من لأمره  
تنقادين ، وبمشيئته تجرين ، وبصنعتة استقامتك حين تستقيمين ،  
ورجوعك حين ترجعين ، واستتارك حين تستترين ، وبروزك حين  
تبرزين •

\* (ولا تعقن والديك) :

فهما مصدر وجودك ، وأقرب الناس إليك ، ومهما أحسنت اليهما  
لن توفيهما حقهما ، وحسبك ترغيبا لك في اكرامهما واحترامهما وطاقتهما  
وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك أن تقرأ قول الله تعالى :  
« ووصينا الانسان بوالديه احسانا » (١) وقوله : « اما يبلغن  
عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تنل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما  
قولا كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ... » (٢) •

\* \* \*

ولا تنس بعد وفاتهما أمر الله تعالى في قوله : « وقل رب ارحمهما  
كما ربياني صغيرا » (٣) •  
وحتى لا تقع في هذا الذنب الكبير — وهو العقوق — الذي اعتبره  
الرسول صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر ، إليك هذه الأحاديث  
الصحيحة :

أخبر أبو بكر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » — ثلاثا ؟ قلنا : بلى يا رسول الله •  
قال : « الاشرأك بالله ، وعقوق الوالدين » وكان متكئا فجلس وقال :  
« ألا وقول الزور وشهادة الزور » — فما زال يكررها حتى قلنا :  
ليته سكت (٤) •

(٢) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤

(٤) رواه البخارى ومسلم •

(١) الإحقاف : ١٥

(٣) الاسراء : ٢٤

« ثلاث لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ،  
والفرار من الزحف » (١) .

« ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، وواد البنات ، ومنعا وهات ،  
وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » (٢) .

\* \* \*

فكن : من أجل كل هذا باراً بهما في حياتهما وبعد وفاتهما ، واحذر  
أن تكون سبباً في سبهما :

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا : يا رسول الله . .  
وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم ، يسب الرجل أباه ، الرجل  
فيسب أباه ويسب أمه » (٣) .

\* \* \*

وحتى تعرف ثمرة البر بالوالدين ، اليك هذه القصة التي ذكرها  
البنو وغيره في تفسير قوله تعالى : « وأذ قال موسى لقومه ان الله  
يأمركم أن تذبحوا بقرة » الى قوله تعالى : « فذبحوها وما كادوا  
يفعلون » (٤) وخلاصتها : أنه كان في بني إسرائيل رجل غنى وله ابن عم  
فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية  
أخرى فألقاه بفنائها ثم أصبح يطلب نأره ، وجاء بناس الى موسى  
عليه السلام — قال الكلبى : وذلك قبل نزول القسامة في التوراة —  
فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه أمر القتل فأمرهم بذبح  
بقرة قائلاً لهم : « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا أتتخذنا هزواً »  
رأى أتستهزىء بنا ونحن نسألك عن أمر القتل فتأمرنا بذبح البقرة ؟ —  
فقال موسى : « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » أى من المستهزئين  
بالمؤمنين . وقيل : من الجاهلين بالجواب لاعلى وفق السؤال — فلما  
علم الناس أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه . وكان تحت  
: حكمة عظيمة . وذلك لأنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل  
: وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال : اللهم انى أستودعتك هذه العجلة  
لابنى حتى يكبر .

(١) رواه الطبرانى في « الكبير » عن ثوبان .

(٢) رواه البخارى . (٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) البقرة : ٦٧ — ٧١

ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة أعواما وكانت تهرب  
من كل من رآها . فلما كبر الابن كان بارا بوالديه ، وكان يقسم الليل  
ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا ، وينام ثلثا ، ويجلس عند رأس أمه ثلثا ،  
فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى السوق فيبيعه بما شاء الله  
ثم يتصدق بثلثه ، ويأكل بثلثه ، ويعطى والدته ثلثه . فقالت له أمه  
يوما : ان أباك ورتك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق فادع  
اله ابراهيم واسماعيل واسحاق أن يردها عليك ، وعلامتها أنك اذا  
نظرت إليها تخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جدها - وكانت  
تسمى المذبة لحسنها وصفرتها - فأتى الغيضة فرآها ترعى فصاح  
بها وقال : أعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ،  
فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت  
البقرة باذن الله تعالى وقالت : أيها الفتى البار بوالديه اركبني فإن  
ذلك أهون عليك . فقال الفتى : ان أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت :  
خذ بعنقها .

فقالت البقرة : باله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على  
أبدا ، فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفل ،  
لبرك بأمك ، فسار الفتى بها الى أمه .

فقالت له أمه : أنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار  
والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة ، قال : بكم أبيعها ؟ قالت :  
بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى ، وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير ،  
فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه وقدرته وليختبر الفتى  
وكيف بره بأمه ، وكان الله به خبيرا فقال الملك : بكم تبع هذه البقرة ؟  
قال : بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى ، فقال الملك : لك ستة  
دنانير ولا تستأمر والدتك . فقال الفتى : لو أعطيتنى وزنها ذهبا  
لم أخذه الا برضا أمى ، فردها الى أمه وأخبرها بالثمن .

فقالت له : ارجع فبعها بستة دنانير على رضا منى ، فانطلق بها  
الى السوق وأتى الملك فقال : استأمرت أمك ؟ فقال الفتى : انها أمرتني  
أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها . فقال الملك : فانى  
أعطيك اثني عشر دينارا ، فأبى الفتى ورجع الى أمه وأخبرها بذلك  
فقالت : ان الذى يأتبك ملك في صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له :  
أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ؟

ففعل ، فقال الملك : اذهب الى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة .  
 فان موسى بن عمران سيشتريها منكم لقتيل يقتل من بنى اسرائيل .  
 فلا تبيعوها الا بملء ميسكها دنانير . فأمسكوها ، وقدر الله على  
 بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون حتى وصف  
 لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلا ورحمة فاشتروها بملء  
 مسكها ذهباً فذبحوها وضربوا القتل ببعض منها كما أمر الله تعالى فقام  
 القتل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال : قتلنى فلان  
 ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث .

\* ( ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا ، فان من ترك صلاة مكتوبة  
 متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ) :

وهذا تحذير من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلب منك أن  
 تلاحظه حتى لا تقع في هذا الذنب الكبير الذى يقطع صلتك بالله تعالى .

\* \* \*

وحسبك تحذيرا لك أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » (١) .

وقوله : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد  
 كفر » (٢) .

ولهذا كما يقول الحافظ المنذرى : ذهب جماعة من الصحابة ومن  
 بعدهم الى تكفير من ترك الصلاة متعمدا حتى يخرج جميع وقتها ،  
 منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ومعاذ  
 ابن جبل ، وجابر بن عبد الله ، وأبو الدرداء ، رضى الله عنهم .

ومن غير الصحابة : أحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ،  
 وعبد الله بن المبارك ، والنخعى ، والحكم بن عتبة ، وأيوب السختياني ،  
 وأبو داود الطيالسى ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وزهير بن حرب ،  
 وغيرهم .

كما ذهب بعضهم الى فسق تارك الصلاة عمدا من غير جحود  
 لفرضيتها .

ففرق أوجب تغديره وحسبه الى أن يصلى حتى لا يكون سيئة .

(١) رواه أحمد ومسلم .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي .



كما رأى أئمة المذاهب وجوب قتله ، فمنهم من أوجب قتله كفرا :  
 كأحمد وإسحاق وابن المبارك ، ومنهم من أوجبه حدا : وهو مذهب  
 مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابه . وكل هذا يؤكد أهمية الصلاة  
 وأنها عماد الدين بما يحتويه هذا المعنى الكبير من العمق والتركيز .

\* \* \*

وحسبك تأكيدا لهذا المعنى الكبير أن تلاحظ أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم جعل الصلاة الركن الثاني في أركان الاسلام الخمسة  
 بعد قوله : « شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » (١) .  
 وذلك لأن الصلاة هي الصلة الوثيقة بين العبد وربّه ، ولهذا كانت  
 بمثابة هدية من الله سبحانه وتعالى لعباده في ليلة الاسراء والمعراج ،  
 يقول أنس رضى الله عنه :

« فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به  
 خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودي : يا محمد .. انه  
 لا يبدل القول لى ، وان لك بهذه الخمس خمسين » (٢) .

\* \* \*

لهذا أيضا نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركز عليها  
 فقال لأصحابه :

« أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت  
 صلح سائر عمله ، وان فسدت فسدت سائر عمله » (٣) .  
 حتى وهو يلفظ : « انفسه الأخيرة قال لهم : « الصلاة الصلاة ..  
 وما ملكت أيمانكم » .

\* \* \*

فحافظ على أداء الصلاة في وقتها حتى لا تقع تحت طائلة العذاب  
 والطرده من رحمة الله تعالى ، وأنت تذكر قوله سبحانه : « ان الصلاة  
 كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » (٤) .

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم ونصه : « بنى الاسلام على خمس :  
 شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وقيام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،  
 وحج البيت ، وصوم رمضان » .

(٢) رواه احمد والنسائى والترمذى وصححه .

(٣) رواه الطبرانى . (٤) النساء : ١٠٣ .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف » (١) .

\* \* \*

وأيك أن تؤخر الصلاة عن وقتها حتى لا تكون من الذين :  
« اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا » (٢) ومن الذين :  
« هم عن صلاتهم ساهون » (٣) وهم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها (٤) .

وأيك أن تجمع بين صلاتين من غير عذر حتى لا تأتي بابا من أبواب الكبائر وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر » (٥) .  
واحرص على أداء الصلاة بسكينة وخشوع حتى تكون من الذين كتب الله لهم الفلاح في قوله : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » (٦) .

والا فان الله سبحانه وتعالى سيرفض صلاتك . هذا بالاضافة الى أنك لو داومت على عدم اتمامك لركوعك وسجودك مت على غير ملة أنك لو داومت على عدم اتمامك لركوعك وسجودك مت على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد عن عبد الله الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد - صلى الله عليه وسلم » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده ، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا » (٧) .  
واحرص كذلك على حضور صلاة الجماعة وحسبك ترغيبا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ

(١) رواه احمد باسناد جيد .

(٢) الماعون : ٥

(٣) رواه الحاكم .

(٤) المؤمنون : ٢٠١

(٥) مريم : ٥٩

(٦) رواه البزار .

(٧) رواه الطبراني في « الكبير » .

فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجها الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث (١) : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة» (٢) .

ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق من سمع منادى الله ينادى الى الصلاة فلا يجبه » (٣) . وقوله لعبد الله بن أم مكتوم وقد كان مكفوف البصر : « ان سمعت الأذان فأجب ولو جئوا أو زحفوا » (٤) .

\* \* \*

وحتى تحافظ على أداء الفرائض لابد وأن تتعود على صلاة السنن ولا سيما المؤكدة منها ، وهي كما يقول ابن عمر رضى الله عنهما : « حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ركعات : ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد العشاء في بيته ، وركعتين قبل صلاة الصبح » (٥) .

وعن أم حبيبة بنت أبي سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بنى له بيت في الجنة . » أربعا قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الفجر » (٦) .

أما غير المؤكدة : فمنها حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا » (٧) . ومنها حديث على : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى قبل العصر أربعا يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبیین ومن تبعهم من المؤمنین والمسلمین » (٨) .

(١) أى ما لم ينتقض وضوءه .

(٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) رواه أحمد .

(٤) رواه أحمد والطبرانى فى « الأوسط » .

(٥) رواه البخارى .

(٦) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ورواه مسلم مختصرا .

(٧) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه وابن حبان وصححه

وكذا صححه ابن خزيمة .

(٨) رواه أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه .

وأما الاختصار على ركعتين فقط فدليلة عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « بين كل أذانين صلاة » .  
 وعن عبد الله بن مغفلة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب » ثم قال في الثالثة : « إن شاء » كراهية أن يتخذها الناس سنة (١) .  
 وفي رواية لأبن حبان : أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلى قبل المغرب ركعتين » .



والخلاصة : أن المؤكدة هي :  
 ركعتان قبل الظهر : أو أربع ، وركعتان بعده ، أو أربع .  
 ركعتان بعد المغرب .  
 ركعتان بعد العشاء ، قبل صلاة الوتر .  
 ركعتان قبل الصبح .  
 وغير المؤكدة هي :  
 أربع قبل العصر ، أو ركعتان .  
 ركعتان قبل المغرب .  
 ركعتان قبل العشاء .

م ملاحظة : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لم يصل ركعتي الفجر حتى تطلع الشمس فليصلها » (٢) .  
 وظاهر هذا الحديث وغيره أنها تقضى قبل طلوع الشمس وبعد طلوعها سواء أكان فواتها لعذر أو لغير عذر ، وسواء فاتت وحدها أو مع الصبح .  
 عن عائشة رضى الله عنها : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا لم يصل أربعاً قبل الظهر صلاهن بعدها » (٣) .  
 وفي رواية أخرى عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فاتته الأربع قبل الظهر صلاهن بعد الركعتين بعد الظهر » (٤) .

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البيهقى قال النووى : اسناده جيد .

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٤) رواه ابن ماجه .

هذا في قضاء الراتبة القبليّة أما قضاء الراتبة البعديّة فقد جاء فيه ما رواه أحمد عن أم سلمة قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، وقد أتى بمال ، ففقد يقسمه حتى أتاه المؤذن بالعصر ، فصلى العصر ، ثم انصرف الى ، وكان يومى فركع ركعتين خفيفتين ، فقلنا : ما هاتان الركعتان يا رسول الله ، أمرت بهما ؟ قال : « لا ، ولكنهما ركعتان كنت أركعهما بعد الظهر فمستغنى قسم هذا المال حتى جاء المؤذن بالعصر ففكرت أن أدعهما » (١) .

وعن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر فقام رجل يصلى فرآه عمر فقال له : اجلس فانما هلك أهل الكتاب أنه لم يكن لصلاتهم فصل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحسن ابن الخطاب » (٢) .

ولهذا يستحب الفصل بين الفريضة والنافلة بمقدار ختم الصلاة .  
وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صلى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته فإن الله عز وجل جاعل في بيته من صلاته خيرا » (٣) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا » (٤) وذلك لأنه ليس في القبور صلاة .

وعن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا ، إلا المكتوبة » (٥) غفى هذه الأحاديث دليل واضح على استحباب صلاة التطوع في البيت ، وأن صلاته فيه أفضل من صلاته في المسجد ، وكما قال النووي : إنما حث على النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد عن الرياء وأصون من محبطات الأعمال ، وليتبرك البيت بذلك وتنزل فيه الرحمة والملائكة ، وينفر منه الشيطان .

والوتر : سنة مؤكدة حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ورغب فيها .

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود بلفظ آخر .

(٢) رواه أحمد بسند صحيح . (٣) رواه أحمد ومسلم .

(٤) رواه أحمد وأبو داود .

(٥) رواه أبو داود بأسناد صحيح .

فمن على رضى الله عنه قال : ان الوتر ليس بحتم كصلاتكم المكتوبة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتر ، ثم قال : « يا أهل القرآن أوتروا غان الله وتر (١) يحب الوتر » (٢) .

• ووقته من بعد صلاة العشاء الى الفجر .

فمن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر أول الليل » • وسطه وآخره » (٣) .

ويستحب تعجيله لمن ظن أنه لا يستيقظ آخر الليل ، وتأخيره لمن ظن أنه يستيقظ آخره :

فمن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ظن منكم أنه لا يستيقظ آخره - أى آخر الليل - فليوتر أوله ومن ظن منكم أنه يستيقظ آخره - فليوتر آخره - فان صلاة آخر الليل محضرة - أى تحضرها الملائكة - وهى أفضل » (٤) .

وعدد ركعات الوتر كما يقول الترمذى : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الوتر بثلاث عشرة ركعة ، واحدى عشرة ركعة ، وتسع ، وسبع ، وخمس ، وثلاث ، وواحدة •

يقول اسحاق بن ابراهيم : معنى ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يوتر بثلاث عشرة ركعة : أنه كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر ، يعنى من جعلتها فنسبت صلاة الليل الى الوتر ، ويجوز أداء الوتر ركعتين ركعتين وذلك بأن يسلم على رأس كل ركعتين ، ثم بعد ذلك يصلى ركعة بتشهد وسلام • كما يجوز صلاة الكل بتشهدين وسلام ، فيصل الركعات بعضها ببعض من غير أن يتشهد الا فى الركعة التى هى قبل الأخيرة فيتشهد فيها ثم يقوم الى الركعة الأخيرة فيصليها ويتشهد فيها ويسلم • ويجوز أداء الكل بتشهد واحد وسلام فى الركعة الأخيرة •

قال ابن القيم : وردت السنة الصحيحة الصريحة المحكمة فى الوتر بخمس متصلة ، وسبع متصلة •

(١) أى أنه واحد يحب صلاة الوتر ويثيب عليها ، قال نافع : وكان ابن عمر لا يصنع شيئاً الا وترا .

(٢) رواه أحمد واصحاب السنن وحسنه الترمذى ورواه الحاكم أيضا وصححه .

(٣) رواه أحمد بسند صحيح .

(٤) رواه أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه .

ومن صلى الوتر ثم بداله أن يصلى جاز ولا يعيد الوتر لما رواه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه : عن علي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا وتران في ليلة » .  
وقد ذهب جمهور العلماء الى مشروعية قضاء الوتر . لحديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أصبح أحدكم ولم يوتر فليوتر » (١) .

فاذكر كل هذا : وحافظ على أداء الفرائض والسنن حتى تكون من الرجال الذين : « لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » (٢) .  
وحتى تكون من المؤمنين : « الذين يقيمون الصلاة » (٣) .

\* (ولا تشربن خمرًا فإنه رأس كل فاحشة) :

وحسبك هذا التأكيد المحمدي الذي جاء في النص السابق والذي لا يحتاج الى اضافة أكثر وان كان في حاجة الى تعليق يضى اليه مزيدا من الايضاح وهو : أن شرب الخمر فيه عشر خصال مذمومة :  
أولها : أن شاربها يصير بمنزلة المجنون كما يصير مضحكة للصبيان ومذموما عند العقلاء كما ورد عن ابن أبي الدنيا أنه قال :

رأيت سكرانا في بعض سكك بغداد يبول ويمسح بثوبه ويقول :  
« اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » .

ثانيها : أنها مذهبة للعقل متلفة للمال كما قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : « اللهم أرنا رأيك في الخمر فإنها متلفة للمال مذهبة للعقل ... » .

ثالثها : أن شربها سبب للعداوة بين الاخوان والأصدقاء والناس ، كما قال تعالى : « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ... » (٤) .

رابعها : أن شربها يمنع من ذكر الله ومن الصلاة كما قال تعالى :  
« ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » (٥) .

(١) رواه البيهقي والحاكم وصححه على شرط الشيخين .

(٢) الأنفال : ٣

(٣) النور : ٣٧

(٥) المائدة : ٩١

(٤) المائدة : ٩١

خامسها : أن شربها يحمل على الزنا وعلى طلاق امرأته وهو لا يدري<sup>(١)</sup> .

سادسها : أن الخمر مفتاح كل شر لأنها تسهل ارتكاب المعاصي .  
 سابعها : أن شربها يؤدي الحفظة الكرام بالرائحة الكريهة .  
 ثامنها : أن شاربها أوجب على نفسه ثمانين جلدة فإن لم يضرب في الدنيا ضرب في الآخرة بسياط من نار على رؤوس الأشهاد والناس ينظرون اليه والآباء والأصدقاء والأبناء .  
 تاسعها : أن شاربها أغلق على نفسه باب السماء أربعين يوماً فلا ترفع حسناته ولا دعاؤه .

عاشرها : أن شاربها يخاطر بنفسه لأنه يخاف عليه أن ينزع الإيمان منه عند موته . أما العقوبات التي له في الآخرة فإنها لا تحصى كشرب الحميم والزقوم وفوت الثواب .



ولهذا حرم الله الخمر الذي ورد في تحريمه أن الله أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة :  
 « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا »<sup>(٢)</sup> .

فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يوهئذ ، الى أن ذهب عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الأنصار رضى الله عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله . . أفقتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال ، فأنزل الله تعالى :  
 « يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس »<sup>(٣)</sup> .  
 الى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا أناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا ، وحضرت صلاة المغرب وتقدم أحدهم ليصلى بهم فقرا : « قل يا أيها الكافرون . أعبد ما تعبدون »<sup>(٤)</sup> يحذف « لا » النافية ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها

(١) ويقع طلاق هذا السكران لانه هو الذى أهدر عقله ، بخلاف الجنون الذى يرفع عنه القلم . نرى بفيق كما ورد في حديث شريف .

(٢) النحل : ٦٧ (٣) البقرة : ٢١٩

(٤) الكافرون : ١ ، ٢ ، بلقظ : « لا أعبد ما تعبدون » .



الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» (١) ،  
فحرم السكر في أوقات الصلاة . فلما نزلت هذه الآية تركها قوم  
وقالوا : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة ، وتركها قوم في أوقات  
الصلاة ، وشربوها في غير أوقاتها حتى كان يشرب الرجل بعد صلاة  
العشاء فيصبح وقد زال السكر ، ويشرب بعد صلاة الصبح فيصبح  
إذا جاء وقت الظهر .

الى أن اتخذ عتبان بن مالك طعاما ودعا رجالا من المسلمين فيهم  
سعد بن أبي وقاص ، وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا  
الخمير حتى أخذت منهم ، ثم أنهم افتخروا عند عتبان وانتسبوا وتناشدوا  
الأشعار فأنشد سعد قصيدة فيها هجو للأنصار وفخر لقومه ، فأخذ  
رجل من الأنصار لحي البعير فضرب به رأس سعد فشق شجة موضحة ،  
فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الأنصارى .  
فقال عمر : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فأنزل الله تحريم الخمر  
في سورة المائدة في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر  
والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم  
تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر  
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » (٢) .

\* \* \*

وبعد أيها الأخ المسلم وقد وقفت على هذه الحقائق الهامة اليك  
أيضا بعض ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الخمر  
وشاربها :

« من زنى وشرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان  
القميص من رأسه » (٣) .

« لعن الله الخمر وشاربها وساقيتها ومبتاعها — مشتريها —  
وبائعها وعاصرها ومعتصمها وحاملها والمحمولة اليه » (٤) .

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين  
يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » (٥) .

(٢) المائدة : ٩٠ ، ٩١

(١) النساء : ٤٣

(٣) رواه الحاكم .

(٤) رواه ابن ماجه وزاد : « وأكل نمنها » .

(٥) أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة .

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر (١) .  
 « مدمن الخمر ان مات - أى من غير توبة - لقي الله كعابد وثن » (٢) .

« ثلاثة قد حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة ، مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذى يقر فى أهله الخبث » (٣) .  
 « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » (٤) .  
 « وكل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » (٥) .

\* \* \*

ومن أجمل ما قرأت فى هذا :

أن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قام خطيبا فقال : أيها الناس .. اتقوا الخمر فانها أم الخبائث ، وان رجلا كان قبلكم من العباد وكان يختلف الى مسجده فلقبته امرأة سوء فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل وأغلقت الباب وعندها خمر وصبى ، فقالت : لا تفارقتى حتى تشرب كأسا من هذا أو تواقعنى أو تقتل هذا الصبى والا صحت وقلت هذا دخل على بيتى فمن ذا الذى يصدقك ؟ فقال الرجل : أما الفاحشة فلا آتيتها ، وأما النفس فلا أقتلها ، فشرب كأسا من الخمر . والله ما برح حتى واقع المرأة وقتل الصبى .

ثم قال سيدنا عثمان رضى الله عنه : فاجتنبوها فانها أم الخبائث وانه والله لا يجتمع الايمان والخمر فى قلب رجل الا يوشك أن يذهب أحدهما الآخر :

وذلك لأن شارب الخمر تجرى على لسانه كلمة الكفر فيخاف عليه أن يقولها عند الموت فيخرج من الدنيا على الكفر فيبقى فى حسرة وندامة .

\* \* \*

(١) رواه الطبرانى .

(٢) رواه أحمد بسند رجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه أحمد واللفظ له والنسائى والبخارى وصححه .

(٤) رواه الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى .

(٥) رواه أبو داود .

هذا بالاضافة كما ورد في بعض الأخبار :  
أنه يخرج من القبر وهو أنتن من الجيفة وأنه يكون في النار قريناً  
فرعون وهامان .

وأنه يشرب في النار من طينة الخبال ، وهي صديد أهل النار .  
فلا تشرب الخمر ولا تقربه وكذا جميع أخواته ولا تنس قول  
الرسول صلى الله عليه وسلم : « فانه رأس كل فاحشة » .

\*\*\*

وإذا كنت قد وقعت في هذا الذنب ففي استطاعتك أن تكفر عن  
كل هذا بالتوبة والالاباة ، وحسبك قول الله تعالى : « ان الله يغفر  
الذنوب جميعا » (١) .

\*\*\*

ويدخل في كل هذا : الحشيش ، والأفيون ، وكل المخدرات ،  
وكذلك الدخان .

لأن في كل هذا تهلكة للإنسان واهداراً لعقله واتلافاً لماله الذي  
هو عصب الحياة بل هو من « زينة الحياة الدنيا » (٢) وفي ذلك  
يقول تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب  
المحسنين » (٣) .

« ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيمًا » (٤) .

« ولا تبدلوا الخبيث بالطيب » (٥) .

« فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً » (٦) .

« ولا تبذر تبذيراً . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين » (٧) .

ومن أجمل ما قرأت في مزار الدخان :

كم في الدخان معائب ومكاره دلت نتائجها على انكاره  
عمت بليته البرية كلها حتى غدا الجمهور تحت حصاره  
وعيوبه بين الأنعام كثيرة معلومة لكباره وصفاره  
فان انتهيت وما أظنك تنتهي ورغبت عنه نجوت من أضراره

(٢) الكهف : ٤٦

(٤) النساء : ٢٩

(٦) النحل : ١١٤

(١) الزمر : ٥٣

(٣) البقرة : ١٩٥

(٥) النساء : ٢

(٧) الاسراء : ٢٦ ، ٢٧

كم من نقود يا فتى وملابس  
وكذا الهوام اذا رآه بقربه  
والنحل لم تأكله حال سلوكها  
وامنع نساءك ما استطعت مبالغا  
عار على ذات القناع تلوكه  
فترى الثنايا اللؤلؤية أصبحت  
والمنع مذموم وقبح طعمه  
أتلقتها بشرائه وشراره  
ترك المكان وحاد عن أوكاره  
أبدا ولم تنزل على أزهاره  
في زجرهن وقل لهن حذاره  
وتشوب شهدة ريقها بعكاره  
مقلوحة بسواده وصفاره  
ما دامت الأطرون من أنصاره

\* \* \*

أما عن البيرة : فقد جاء في تقرير المؤتمر الدولي لمكافحة المسكرات عام ١٩٣٩ عن البيرة قوله : ان انتاج هذا الشراب وغيره من أنواع الخمر لا يستفيد منه الا صانعه وبائعه أما ضحاياه فهم أولئك الذين أغوتهم الأهواء بادمانه وتعاطيه .

وذلك لأنها كما تذكر التقارير تحتوى على نسبة من الكحول تتفاوت كثرة وقلة ، واذا لم يكن قليلا مسكرا فكثيرا لا شك مسكرا . وقال صلوات الله وسلامه عليه : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » (١) .

كما روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم « الخمر » وهو شراب كان يتخذه أهل اليمن من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد وهذا فى البيرة :

يقول صلوات الله وسلامه عليه : « ان فى الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا » (٢) .

ومن هذا يتبين أن البيرة خمر وأنها حرام ، وكذلك حكم الكينا المخلوطة بالخمر ولا عبرة باختلاف الأسماء فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « يشرب ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » .

وبالنسبة للاتجار بالبيرة فهو داخل فى نطاق اللعنة التى صبها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لعنت الخمر على عشرة أوجه : بعينها وعاصرها ومعتصرها وبائعها وصابغها وحاملها والمحمولة اليه وأكل ثمنها وشاربها وساقبها » .

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه والدارقطنى .

(٢) رواه ابن ماجه .

وبالنسبة لشربها للتداوى فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :  
« انه ليس بدواء ولكنه داء » .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يجعل شفاءكم في حرام » (١) .

وبالنسبة لشرب الحشيش ، وتعاطى الأفيون فقد أجمع العلماء على تحريم المخدرات جميعا قائلين : ان ما أفسد العقل يحرم تناوله ، مأكولا كان أو مشروبا كما قال ابن تيمية رحمه الله : « ان في الحشيش والأفيون ونحوهما من المفسد أكثر مما في الخمر » كما كان رحمه الله يسمي الحشيش « باللقمة الملعونة » أى أنها لقمة الفسق والفجور التى تحرك القلب الساكن الى أخبث الأماكن .

فعلى من استحل ذلك وزعم أنه حلال أن يتوب الى الله ويعقد العزم على أن لا يتناول مثل هذا أبدا والامات مرتدا والعياذ بالله ، وليتق الله فى نفسه وأهله وماله ، وليعلم أن وطنه فضلا عن نفسه وأهله فى أشد الحاجة الى هذا المال الضائع :

الخمير مذهبة الوقار	ومجال مضیعة العقار
كم موسر نقلته من	عز الى ذل افتقار
كم سالم فقرته أى	كسرت له عظم الفقار
كم من عظيم أسلمته	الى الصغار والاحتقار
كم عصمة وصمت وكم	شرف أضاعت فى شنار
كم ثوب عرض لم يكن	أبدا يباع ولا يعار
نادت عليه لبيعه	بيع الكساد بسوق عار

\* \* \*

وكذلك لعب الميسر وهو القمار : يعتبر مصيبة عظمى وطامة كبرى حاقت بأبناء الأغنياء فاستنفدت الأموال والعقارات التى انفطرت أكباد آبائهم فى تحصيلها وانتقلت اليهم غنيمة باردة : وهو داء عضال ست سمومه فى عروق أولاد الأغنياء فأضاعت نعمهم وسلبت ثروتهم وأضمحل أمرهم وسقطوا عن مراتب الجاه الى أسفل درجات الذل والهوان .

فكم خرب من بيوت عامرة ، وكم التهم من أموال لو استرجحها أصحابها فى الطببات لعادت عليهم بالمنافع الجمّة والفوائد المهمة .

(١) رواه ابن ماجه فى صحيحه .

ان لعب الميسر يولد الحسد والحقد والفناء لأن المقامر لا يقدم على الميسر الا وهو راغب في تحريك مال غيره اليه ، وهذا عين الحسد ، ثم ان أحدهما لا يربح حتى يخسر الثانى فيحقد الخاسر على الرابح ويتطايير شررا الشر ، وتستقر بينهم العداوة والبغضاء •  
وقد حرمه الله تعالى فقال :

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » (١) •  
ولله در القائل :

أخسر خلق الله منا صفقة من يطلب اليسر بلعب الميسر  
يجنى حراما ان جنى وقلما يبلغ الا حسرات المعسر  
فغنمه جرم وأما غرمه ففقد ميسور وفقد موسر  
كم خرب الميسر بيتا عامرا وكم أهان من وجيه وسرى

\* \* \*

\* (واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله) :

وحسبى قبل أن أعلق على هذا العنصر الهام أن أسوق اليك هذا الأثر الذى كثيرا ما تأثرت به وتأثر به كثير من سامعيه عسى أن يكون سببا كبيرا فى طاعتك لله والبعد عن معاصيه :  
ذهب رجل الى ابراهيم بن أدهم (٢) — وقد كان من أطباء القلوب — وقال له : انى مسرف على نفسى فاعرض على ما يكون زاجرا لها •

فقال له ابراهيم : ان قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة فقال الرجل — وقد كان متشوقا لسماع موعظته — هات ما عندك يا ابراهيم •• فقال :

الأولى : اذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئا من رزقه • فتعجب الرجل ثم قال متسائلا : كيف تقول ذلك يا ابراهيم والأرزاق كلها من عند الله ؟ فقال : اذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟ قال : لا يا ابراهيم •• هات الثانية •

الثانية : اذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده • فتعجب الرجل

أكثر من تعجبه السابق ثم قال : كيف تقول ذلك يا ابراهيم والبلاد كلها ملك الله ؟ فقال له : اذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه ؟ قال : لا يا ابراهيم .. هات الثالثة .

الثالثة : اذا أردت أن تعصى الله فانظر مكانا لا يراك فيه فاعصه فيه . قال : كيف تقول ذلك يا ابراهيم وهو أعلم بالسرائر (( يعلم السر وأخفى ))<sup>(١)</sup> ويسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ؟ فقال له : اذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه ؟ قال : لا يا ابراهيم .. هات الرابعة .

الرابعة : اذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له : أخرنى الى أجل معدود ، فقال الرجل : كيف تقول ذلك يا ابراهيم والله تعالى يقول : (( فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ))<sup>(٢)</sup> ؟ فقال له : اذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة ؟

قال : نعم يا ابراهيم .. هات الخامسة .  
الخامسة : اذا جاءك الزبانية - وهم ملائكة جهنم - ليأخذوك انى جهنم فلا تذهب معهم . فما كاد الرجل يستمع الى هذه الخامسة حتى قال باكيا : كفى يا ابراهيم .. أنا أستغفر الله وأتوب اليه ، ولزم العبادة حتى فارق الحياة .

فاذا كان الرجل قد أعلن توبته الى الله سبحانه وتعالى بعد الاستماع الى هذه الموعظة الجامعة التي وجهها اليه ابن آدم عليه رضوان الله : فكلنا كهذا الرجل الذي تبين له من خلال هذه الموعظة النافعة أنه لا يمكنه الاستغناء عن الله ، وأنه ان تخلى الله سبحانه وتعالى عنه كان من الهالكين .

وكيف نتصور عصياننا لله (( وقد هدانا سبلنا ))<sup>(٣)</sup> وهو ولى نعمتنا الذى يقول : (( وما بكم من نعمة فمن الله ))<sup>(٤)</sup> ويقول : (( وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ))<sup>(٥)</sup> ، ولهذا كان لا بد من امتثال أوامره سبحانه والابتعاد عن معصيته حتى يتحقق المعنى الحقيقي للعبودية التي تستلزم أن يكون العبد مطيعا لسيده ، والا فما معنى العبودية في مفهومه ؟ والله در القائل :

(٢) الأعراف : ٣٤

(٤) النحل : ٥٣

(١) طه : ٧

(٣) ابراهيم : ١٢

(٥) النحل : ١٨

تعصى الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع  
لو كان حبك صادقاً لأطعته ان المحب لمن يجب مطيع  
وكيف لا نطيعه سبحانه ونحن فى حاجة اليه وليس هو فى حاجة  
الينا ولا الى عبادتنا؟ وانما كل ذلك لنا أو علينا ، وفى ذلك يقول سبحانه :  
« من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » (١) « ان أحسنتم أحسنتم  
لأنفسكم ، وان أسأتم فلها » (٢) كما يقول فى حديث قدسى :

« يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى  
قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً ، ولو أن أولكم وآخركم  
وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من  
ملكى شيئاً » •

ومن هنا كان لابد اذا أردنا أن يكون الله معنا ولا سيما فى هذه  
الأيام التى نواجه فيها أعداءنا الملاعين — اليهود ومن وراءهم من  
أعداء العروبة والاسلام — أن نعود اليه سبحانه وتعالى ونجدد العهد  
معه حتى يكون نصيراً لنا كما كان الحال مع رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وأصحابه الأخيار الذين نصرهم سبحانه على أعدائهم فى جميع  
النبادين حتى دانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب وكان فضل  
الله عليهم عظيماً •

وحسبى أيها الأخ المسلم أن أقرأ معك ونحن نستعرض هذه  
الحقائق قول الله تعالى فى حديث قدسى :

« يا عبادى •• انى أتممت عليكم نعمتى ، وأرسلت اليكم الرسل الكرام  
لتعرفوا أحكام شريعتى ، فلماذا تعرضون عنى وأنا الغنى الكريم ؟  
فوعزتى وجلالى لو أطعتمونى لنصرتكم على أعدائكم ، واذا استعنتم بى  
فى الشدائد أعنتكم ، واذا سألتمونى كنت قريباً منكم مجيباً لكم ، ولكنكم  
عصيتمونى فأعرضت عنكم فوقعتم فى الذل والعذاب المهين » •

\* \* \*

فاذكر كل هذا ، ولا تنس قوله تعالى :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من  
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » (٣) •



ولا تنس كذلك قول أبو العتاهية :

فيا من بات ينمو بالخطايا وعين الله ساهرة تراه  
أما تخشى من الديان طردا بجرم دائما أبدا تراه  
أتعصى الله وهو يراك جهرا وتنسى في غد يوما تراه  
وتخلو بالمعاصي وهو دان اليك ولست تخشى من لقاءه  
أتنكر فعلها ولها شهود بمكتوب عليك وقد حواه  
فيا حزن الميء لشؤم ذنب وبعد الحزن يكفيه جزاه  
فيندب حسرة من بعد موت ويكي حيث لا يجدى بكاه  
فبادر بالصلاح وأنت حي لعلك أن تنال به رضاه

\* \* \*

\* (واياك والفرار من الزحف وان هلك الناس) :

وحسبك تحذيرا لك قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم ، وبئس المصير » (١) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات »  
قالوا : يا رسول الله . . وما هن ؟

قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله  
الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف » (٢) .  
وقوله عندما سئل عن الكبائر :

« الاشرار بالله ، وقتل النفس المسلمة ، وفرار يوم الزحف » (٣) .  
هذا بالاضافة الى أنه من الذنوب التي لا كفارة لها وفي ذلك يقول  
الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

« خمس لا كفارة لها : الشرك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وبهت  
مؤمن ، والفرار من الزحف ، ويمين صابرة يقطع بها مالا بغير حق » (٤) .  
واعلم أن القتال في سبيل الله هو التجارة التي لن تبور ، وهو الطريق  
الى الجنة التي « تحت ظلال السيوف » ، وحسبك أن تقرأ قول  
الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من

(٢) أخرجه الشيخان .

(١) الأنفال : ١٥ ، ١٦ .

(٤) رواه أحمد .

(٣) رواه أحمد والنسائي .

عذاب أليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم • وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين» (١) •

ثم تأمل معى هذه الصورة الحية التى ترينا كيف كان التنافس فى ميدان الشرف والنضال وكيف كان أبطال الاسلام يقبلون على القتال وهم ينشدون احدى الحسينيين : النصر أو الاستشهاد :

عندما رأى عمرو بن الجموح — وقد كان أعرجا — أولاده وقد خرجوا للقتال فى سبيل الله ، خرج يسبقهم ، فوقفوا جميعا فى وجهه يصدونه عن ذلك وهم يقولون له : أما نحن نكفيك الجهاد فى سبيل الله ؟ ان الله يعذرك لعرجتك (٢) فصاح فيهم قائلا : ما بالكم تمنعونى أن أدخل الجنة بعرجتى هذه ؟

ثم انطلق الى الميدان مع اخوانه المجاهدين ، وظل يقاتل بكل شجاعة واستبسال الى أن غاز بالشهادة •

فقال صلوات الله وسلامه عليه : « والله لكأنى أرى عمرو بن الجموح يمشى بعرجته هذه سليما فى الجنة » ، ثم قال :

« ان منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره ، ومنهم عمرو بن الجموح » •

وهذه أسماء بنت يزيد بن السكن ، الصحابية الجليلة ، المجاهدة البطلة — بنت عم معاذ بن جبل رضى الله عنهما — التى وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة الأولى للهجرة ، وبابعته بيعة الاسلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالآية الواردة فى سورة المتحنة ، وهى : « يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم » (٣) •

(١) الصف : ١٠ — ١٣ :

(٢) يقول الله تعالى فى سورة الفتح : « ليس على الأعمى حرج ولا على

(٣) المتحنة : ١٢

الأعرج حرج » الآية : ١٧

وفي هذا تقول أسماء : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ علينا : « ٠٠٠ أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ٠٠٠ » الآية .

وكانت أسماء تنوب عن نساء المسلمين في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بهن ، ولقد أتته ذات مرة فقالت له : يا رسول الله .. انى رسول من ورائى من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقرن بقولى ، وهن على مثل رأيى . ان الله تعالى بعثك الى الرجال والنساء ، فأما بك واتبعاك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات ، قواعد بيوت ، ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد واذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم ، وربينا أولادهم ، أفنشاركهم الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت رسول الله الى أصحابه فقال : « هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه ؟ »

فقالوا : بلى يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصرفى يا أسماء ، وأعلمى من وراءك من النساء أن حسن تبعل<sup>(١)</sup> احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقتة ، يعدل كل ما ذكرت للرجال » فانصرفت أسماء وهى تهلك وتكبر استبشارا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

غير أنها كانت تطوى فى صدرها التطلع الى المشاركة فى الجهاد الى أن أقبلت السنة الثالثة عشرة للهجرة — بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنوات — وأقبلت معركة « اليرموك » التى دارت رحاها على أرض العرب المغتصبة .

فى هذه المعركة اشتركت المرأة المسلمة بنصيب كبير من الجهاد ، وكما يقول ابن كثير فى الجزء السابع من « البداية والنهاية » وهو يتحدث عن المجاهدين المؤمنين فى المعركة : « فقاتلوا قتالا شديدا حتى قاتلت النساء من ورائهم أشد القتال » .

كما يقول : « واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس ، يضرينهم بالخشب والحجارة ، وجعلت خولة بنت ثعلبة تقول :

يا هاربا عن نسوة تقيات فغن قليل ما ترى سبيات

ولا حصيات ولا رضيات

(١) حسن المصاحبة فى الحياة الزوجية والمعايرة .

فتراجع الناس الى مواقفهم ، وفي هذه المعركة عندما اشتد الموقف نسيت أسماء بنت يزيد أنها أنثى ، ولم تذكر الا أنها مسلمة ومؤمنة ، تستطيع أن تجاهد بما في وسعها وطاقاتها ، ولم تجد أمامها الا عمود خيمة فحملته وانعمرت به في الصفوف ، وأخذت تضرب به الأعداء ذات اليمين وذات الشمال ، حتى قتلت منهم تسعة من الزوم ، وعاشت بعد ذلك دهرا .

فهاتان صورتان أردت بعرضهما الوقوف على المعنى الحقيقي للبطولة طمعا في درجة المجاهدين من المؤمنين الذين اشترى الله تعالى منهم : « أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » (١) .

فاحرص على أن تفوز بهذه الدرجة العظيمة حتى تكون منهم :  
وادع الله تعالى بقوله : « رينا أفرغ علينا صبورا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » (٢) .

\* \* \*

\* ( وان أصاب الناس موت فاثبت ) : في ميدان الشرف والنضال وواجه أعداء الله وأعداءك بكل شجاعة واستبسال .

وليكن هدفك الأسمى هو اعلاء كلمة الله ولسان حالك يقول :  
ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي

مع إيمانك القوي بأن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الاسلام .  
وحسبى في هذا الموقف أن أعرض عليك صورة للبطولة في ظل العقيدة حتى ترى حلاوة الجهاد والتضحية :

عندما تذهب أبناء الخنساء الأربعة للخروج مع الجيش المتوجه الى القادسية للقتال في سبيل الله قالت لهم أمهم : « يا بني .. تالله انكم لبنو أب واحد ، وأم واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت أخوالكم ، قد أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، فاذا أتيتم الحرب فخوضوا غمارها واندفعوا في أتونها ، وكونوا أول المبارزين وأمام الثابتين » .

وعندما التحم الجيشان وحمى الوطيس ، قال أولهم يحرض اخوته  
الثلاثة ويذكرهم نصيحة أمهم :

يا اخوتي ان العجوز الناصحة قد نصحتنا اذ دعتنا البارحة  
بمقالة ذات بيان واضحة وانما تلتقون عند الصابحة  
من آل ساسان كلابا نابحة

ثم قال الثاني كذلك محمسا اخوته :

ان العجوز ذات حزم وجلد قد أمرتنا بالسداد والرشد  
نصيحة منها وبراً بالولد فباكروا الحرب حماة في العهد  
ثم قال ثالثهم :

والله لا نعصى العجوز حرفا نصحا وبراً صادقا ولطفا  
فبادروا الحرب الضروس زحفا حتى تلتقوا آل كسرى لفا  
كما قال رابعهم :

لست لخنساء ولا للأخرم ولا لعمرى ذى النضال الأقدم  
ان لم أره في الجيش خنس الأعجم ماضى على الهول خضم حضرمي  
ثم اندفعوا بعد ذلك في غمار المعركة بكل شجاعة واستبسال الى  
أن أكرمهم الله بالشهادة التي حرصوا عليها ، وعندما علمت أمهم بالنبأ  
قالت ما لم يكن متوقعا في مثل هذا الظرف : « الحمد لله الذى شرفنى  
بقتلهم فى الاسلام ، وأرجو من ربي أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .  
فهذه هى البطولة يا أخى ، وتلك هى الشجاعة النادرة التى تؤكد  
لنا أن هؤلاء كانوا لا يهابون الموت ولا يفرون منه وانما كانوا يطلبونه  
حبا فى لقاء الله وطمعا فى رحمته ، وهم يعتقدون اعتقادا جازما بأنه  
لا مفر من الموت كما يقول تبارك وتعالى : « أينما تكونوا يدرككم الموت  
ولو كنتم فى بروج مشيدة ..... » (١) .

ولهذا نرى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه وهو سيف الله المسلول  
الذى قهر الفرس والروم ، وأبلى فى الجهاد بلاءا حسنا لدرجة أنه  
لم يكن فى جسده موضع طعنة رمح أو سيف ، لم يفز بالشهادة ،  
وانما مات على فراشه وهو يقول : « ... وهأنذا الآن أموت على  
فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

فكن بطلا حتى نهاية المعركة ، واثبت فى ميدان القتال كهؤلاء  
الرجال حتى تكون منهم أو على الأقل شبيها بهم :

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح  
و « اطلب الموت توهب لك الحياة » •

\*\*\*

\* ( وأنفق على أهلك من طولك ) : وهو ثمرة كفاحك الشريف  
وعرقك الطاهر ، فان الله سائلك عنهم ، كما ورد في حديث شريف قال  
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه ،  
حفظ أم ضيع » زاد في رواية : « حتى يسئلك الرجل عن أهل بيته » (١) •  
هذا بالاضافة الى أنها رسالة كبرى لها أهميتها في بناء المجتمع  
السليم والا كانت هناك مشاكل أخرى يصعب حلها وقد يستحيل •

ولهذا كان لابد وأن تساهم في بناء المجتمع السليم الذي لا يمكن  
أن يكون حقيقة ملموسة الا اذا كان هناك اهتمام بتربية الأبناء تربية  
سليمة أساسها الخلق الكريم ، والسعى الشريف ، حتى تكون قدوة  
صالحة لهؤلاء الأبناء لأنه كما يقولون : « لا يستقيم الظل والعود  
أعوج » فاذا كنت صاحب خلق كريم فان أبنائك سيتعودون منك هذا  
الخلق ، وفي هذا يقول القائل الحكيم :  
وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

أما اذا كنت عكس هذا فانه سينطبق عليك قول القائل :

اذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وهذا خطأ جسيم لا في حق نفسك أو في حق أولادك فحسب ،  
ولكن في حق مجتمعك الذي لا دوام له الا بالخلق الكريم •  
وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
ومن أهم عناصر هذا الخلق الكريم اختيار الزوجة الصالحة التي  
ستكون مدرسة لأبنائك :

الأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

وقد أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا فقال : « تخيروا  
لنطفكم فان العرق دساس » •

وقال : « اياكم وخضراء الدمن » قالوا : وما خضراء الدمن  
يا رسول الله ؟ قال : « المرأة الحسنة في المنبت السوء » وقال : « فاظفر

(١) رواه ابن حبان في صحيحه عن انس بن مالك •

بذات الدين تربيت يداك» (١) . فهذا حق من أهم حقوق الأبناء عليك  
والا كنت سببا كبيرا في شقائهم وتعاستهم وجلب المتاعب لهم ولا سيما  
بعد وفاتك .

وكذلك من حقوقهم عليك اختيار الأسماء الحسنة لهم — مثل :  
« عبد الله ، عبد الرحمن ، عبد الفتاح ، عبد الغفار ، محمد ، أحمد ،  
محمود ، ابراهيم ، واسماعيل ، وفاطمة ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم »  
ف « خير الأسماء ما عبد وحمد » ، كما قال الرسول صلى الله  
عليه وسلم .

أما غير هذه الأسماء الحميدة : مثل « ميمي ، حمادة ، زيزى ،  
شوشو ، خيشة ، فلفل ، فجلة » فهى أسماء رخيصة تجعل المسمى بها في  
نظر العقلاء مدللا لا يعتمد عليه في تحمل المسؤوليات بالاضافة الى  
أنه سيكون مثار تهكمات وسخرية مع ملاحظة أن الاستعمار الصهيونى  
استغل تهاوننا بأبنا وأمهاتنا فأخذ يعمل على الحط منها ،  
حتى أصبحنا نرى هذه الأسماء تطلق على الزحافات (٢) المستوردة :  
( مثل : زنوبة : تحقيرا لاسم زينب ، خدوجة : تحقيرا لاسم خديجة ،  
حسونة : تحقيرا لاسم الحسين ... ) فكن منتبها لكل هذا .

وكن أكلا للحلال واياك أن تخط مالك بمال حرام لأنه اذا اختلط  
بالحلال كان سببا في ضياعه وبعثرته ، وفي ذلك يقول أحدهم :

جمع الحرام على الحلال ليكثره دخل الحرام على الحلال فبعثره  
وليس هذا فحسب وانما سيكون كذلك سببا في شقائك وتعاسة

أولادك الذين حكمت عليهم بالضياع بسبب مشاركتهم لك في أكل الحرام  
وتعودهم عليه ، واياك أيضا أن تميز ابنا على آخر ماديا أو عاطفيا ،  
والا كنت سببا في نزاع مستمر بين الأبناء ، وقد يحدث ما حدث ليوסף  
عليه السلام عندما رأى اخوته حنان أبيهم عليه أكثر منهم فآلقوه  
في البئر .

ولا تؤثر ذكرا على أنثى في ميراث أو غيره ، لأن هذا يعتبر ظلما  
واستمرار للجاهلية الأولى ، وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :  
« من كان له أنثى فلم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة » (٣) .

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم ، ومعنى « تربيت يداك » :

أى انتقرتنا والتصقتا بالتراب من شدة الفقر اذ لم تفعل ، وهى جملة دعائية .

(٢) رواه ابو داوود .

(٣) أى الشبايب .

مع ملاحظة : أن هذه الأئمة قد تكون أنفع بكثير من هذا الابن الذى قد يكون عاقا وجاحدا وفاسقا ومتلغا لمخدراتك ، وجالبا لك اللعنات والعار بعد وفاتك ، وقبل ذلك فى حياتك .

وكن عادلا بين أولادك ، وإياك أن تفعل كما فعل هذا الصحابى الذى كان يسمى « بشيرا » فقد كان يحب ولده النعمان أكثر من أولاده ، فأراد أن يؤثره بعطية فأبى زوجته الا أن يشهد على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بهذا قال له : « أكلهم أعطيت مثلما أعطيت النعمان » ؟ قال : لا ، فقال له : « لا تشهدنى على جور » .

وكذلك احذر أن تتركهم فقراء<sup>(١)</sup> فقد ثبت أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه . وقد كانت له ابنة واحدة أراد أن يتصدق بثلثى ماله فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى بالثلث وهو يقول له : « والثلث كثير ، خير أن تدع ورثتك أغنياء من أن تدعهم عالة يتكفون الناس »<sup>(٢)</sup> .

واعلم أن سعيك على أولادك وأبويك يعتبر جهادا فى سبيل الله ففى الحديث عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل<sup>(٣)</sup> فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله . . لو كان هذا فى سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها<sup>(٤)</sup> فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان »<sup>(٥)</sup> .

وحسبك ترغيبا لك فى الانفاق على أهلك من طولك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت

(١) أى بحرمانهم من الميراث كله .

(٢) متفق عليه .

(٣) وفى بعض الروايات : شاب .

(٤) أى يغنيها عن السؤال .

(٥) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .



زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة» (١) وقوله :  
« اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول : أمك وأباك ، وأختك  
وأخاك ، وأدناك فأدناك » (٢) .

\* \* \*

\* (ولا ترفع عنهم عصاك أدبا) :

وليس معنى هذا أن تكون وحشا كاسرا ، وانما المراد ألا تكون  
متساهلا في تربيتهم بالصورة التي تفقدك مكانتك بينهم كمسئول عنهم  
وراع لهم ، فقد يؤدي هذا التساهل الى عصيانك وعدم الاستجابة  
لطالبك واهمال أوامرك وارتكاب نواهيك ، هذا بالاضافة الى أنك ستكون  
صفرا على اليسار لا قيمة لك ولا معنى لوجودك ، ولهذا كان ولا بد  
أن تنفذ قول القائل :

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما فليقس أحيانا على من يرحم

« لأن كل شيء اذا زاد عن حده انقلب الى ضده » .

مع ملاحظة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يأمرك بهذا :  
كان أرحم الناس وأشفقهم .. يقول سيدنا أنس رضى الله عنه : ما رأيت  
أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابراهيم  
مسترضعا في عوالى المدينة ، فكان ينطلق ونحن معه يدخل البيت وانه  
ليدخلن (٣) فيأخذه فيقبله ، ثم يرجع ولقد رأيت ابراهيم وهو يكيد  
بنفسه (٤) بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فدمعت عيناه ، وقال :  
« تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى ربنا .. والله  
يا ابراهيم انا عليك لمحزونون » .

وكان كثيرا ما يضم ابنته فاطمة الى صدره وهو يقول : « مرحبا  
بأم أبيها » .

ودخل الحسن رضى الله عنه والنبي صلى فركب الحسن ظهره  
وهو ساجد فأبطأ في سجوده حتى نزل فلما فرغ : قال بعض أصحابه :

(١) رواه أحمد باسناد جيد عن المقدم بن معد يكرب رضى الله عنه .

(٢) رواه الطبرانى باسناد حسن وهو فى الصحيح وغيرهما بنحو من

حديث حكيم بن خزام .

(٤) أى يجود بروحه .

(٣) لأن زوج مرضعته كان حدادا .

أقد أطلت سجودك • فقال : « ان ابني ارتحلنى فكرهت أن أعجله » •  
 وكان يقول للحسن والحسين عليهما رضوان الله : « أنا جملكما » •  
 وعندما سأله سيدنا عمر رضى الله عنه : يا رسول الله •• مالنا  
 نترق على أولادنا ولا يرقون علينا ؟ كان جوابه صلى الله عليه وسلم :  
 « لأننا ولدناهم ولم يلدونا » •

فلا تنس كل هذا : واذكر ما حدث عندما دخل أحد الولاة على  
 سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقبل أولاده ، فقال له :  
 ان لى عشرة أولاد ما قبيلت واحدا منهم ولا دنا أحد منى • فكان جواب  
 سيدنا عمر : وما جريرتنا نحن ان كان الله عز وجل قد نزع الرحمة  
 من قلبك ، انما يرحم الله من عباده الرحماء • ثم شطب اسمه بعد ذلك  
 من قائمة الولاة وهو يقول : انه لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية •  
 واذكر أيضا قول على رضى الله عنه : « علموا أنفسكم وأهليكم  
 الخير وأدبوهم ، أيها الناس •• من شب على شىء شاب عليه ، ومن  
 أدب ولده صغيرا سربه كبيرا » •

فكن مع هذه الرحمة رجلا بين أهلك حتى يطيعوك ، ولا تنس  
 قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لأن يؤدب<sup>(١)</sup> الرجل ولده خير  
 له من أن يتصدق بصاع<sup>(٢)</sup> » وقوله : « أكرموا أولادكم وأحسنوا  
 أدبهم<sup>(٣)</sup> » •

وانصح ولدك بهذه الوصية التى أوصى بها سيدنا على رضى الله  
 تعالى عنه ولده الحسن عليه رضوان الله : « يا بنى •• اجعل نفسك  
 ميزانا فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، وكره  
 له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب  
 أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارض  
 من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وكل ما تعلم ،  
 ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله  
 حرا •

وأعلم أن حفظ ما فى يدك أحب الى من طلب ما فى يد غيرك ، ولا تأكل

(١) أى يربيه على الفضيلة والاخلاق الحسنة وحسن المعاملة للناس •

(٢) رواه ابن ماجه •

(٣) رواه الترمذى •

من طعام ليس لك فيه حق ، فبئس الطعام الحرام ، وجد في تحصيل معاشك ، وإياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى» (١) .

\* \* \*

\* (وأخفهم في الله) :

أى لا تكن متساهلا في تطبيق تعاليم الاسلام عليهم وليكن أهم شيء تركز عليه هو الصلاة ، فقد ورد في الحديث الصحيح : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » (٢) .

هذا بالاضافة الى أن الصلاة ستوفر عليك مجهودا كبيرا في تربيتهم تربية سليمة ، لأنهم اذا تعودوا عليها في الصغر ، حافظوا عليها في الكبر ، فكانت وقاية لهم من الفحشاء والمنكر ، وفي ذلك يقول تعالى مؤكدا هذا المعنى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (٣) . مع ملاحظة أنهم اذا صلوا وقوى ارتباطهم بالله كانوا لك عونا وأثرا طيبا تستفيد به في حياتك وبعد مماتك ، ففى الحديث الشريف : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (٤) .

فاحرص على أن تكون قدوة صالحة لأبنائك حتى يتشبهوا بك ، وإياك أن تكون قدوة سيئة لهم فتخسر كل شيء ، وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يا رب .. أنى لى هذا ؟ فيقول : باستغفار ولدك » (٥) .

ومعلوم أن ولدك لن يستغفر لك ولن يدعو لك بالرحمة الا اذا كنت قد أحسنت تربيته وغرست في قلبه بذور الايمان ، واذا كنا نوصى الرجل بهذا فان زوجته تعتبر شريكة له في هذه المسئولية ، كما هى شريكة له في حياته المعيشية .

وقد رأيت في هذا العرض السريع أن أسوق الى كل أم فاضلة وصية جامعة أوصت بها أم عربية ابنتها في ليلة زفافها — وكانت قد خلت بها قبل أن تنتقل الى بيت زوجها — حتى تقثدى بها وتوصى بناتها بهذه الوصية التى تقول فيها :

(١) النوكى : أى الحمى . (٢) رواه البخارى . (٣) العنكبوت : ٢٥ .

(٤) رواه مسلم . (٥) رواه أحمد .

« بنيتي .. ان الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة حسب  
لتركت ذلك معك ، ولكنها تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل .

بنيتي .. انك فارقت بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه  
درجت الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، أصبح بملكه اياك  
عليك ملكا ، فكوني له أمة يكن لك عبدا ، وكوني له أرضا يكن لك سماء ،  
واحفظي له خصالا عشر اياك ذخرا :

أما الأولى والثانية : فصحبته بالقناعة ومعاشرته بحسن السمع  
له والطاعة ، فان في القناعة راحة القلب ، وفي المعاشرة بحسن السمع  
والطاعة رضا الرب .

وأما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموضع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ،  
فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا أطيب ريح .  
وأما الخامسة والسادسة : فالتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند  
مناومه ، فان حرارة الجو ملهية ، وتنغيص النوم مفضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والرعاية لحشمه وعياله  
فان حفظ المال من حسن التقدير ، والرعاية للحشم من حسن التدبير .  
وأما التاسعة والعاشر : فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا ،  
فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وان عصيت أمره أوغرت صدره .  
واياك والفرح بين يديه اذا كان في ترح (١) والحزن أمامه اذا كان  
في فرح ، فان الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير .

فعملت البنت بوصايا أمها الرشيدة وباركها الله فأنجبت الحارث  
ابن عمرو جد امرئ القيس الشاعر . فكوني أيتها الأم الفاضلة كهذه  
الأم العربية الأصيلة واغرسى في قلب أبنائك خصال الخير حتى يثمر  
غرسك ويسعد زوجك .

كما رأيت أيضا بعد هذا الايجاز السابق أن أسوق الى كل أب  
وكل أم بيغيان الحياة السعيدة الخالية من الخلافات الزوجية التي تؤثر  
على سلوك الأبناء وطباعهم ، وحتى يكونا قدوة صالحة لهم ، هذه  
الأحاديث الشريفة :

سألت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حق الزوج على  
زوجته . فقال :

« فان حق الزوج على زوجته : ان سألها نفسها وهي على ظهر قتب لا تمنعه نفسها . ومن حق الزوج على الزوجة ألا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاءت وعطشت ، ولا يقبل منها ، ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان فعلت لعنتها ملائكة السماء ، وملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب حتى ترجع الى بيتها » (١) .

« اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأت ، فبات غضبانا عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » (٢) .

وعن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله . . ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمهما اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح (٣) ، ولا تهجر الا في البيت » (٤) .

وفي حجة الوداع قال في خطبته صلى الله عليه وسلم : « ألا واستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم — الى أن قال : — ألا وان لكم على نسائكم حقا » (٥) .  
وتأمل قول الحكيم :

فزوجة المرء عون يستعين بها	على الحياة ونور في دياجيبها
مسلاة فكرته ان بات في كدر	مدت له لتواسيه أياديها
في الحزن فرحته تحنو فتجعله	ينسى بذلك آلاما يعانيتها
كم زوجة ذات عقل غير مسرفة	تدبر الأمر تدبيرا ينجيها
تعامل الزوج في أحوال عسرته	وفي اليسار بما في النفس يشفيها
والزوج يدأب في تحصيل عيشته	دأبا ويجهد منه النفس يشقيها
ان عاد للبيت يلقي ثغر زوجته	يفتر عما يسر النفس يحييها
هذي القرينة هذي من تحن لها	نفس الأبى ولكن أين تلفيها
وزوجها ملك والدار مملكة	والصفو والسعديجرى في نواحيها

\* \* \*

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائي وأحمد والبيهقى كلهم

عن أبى هريرة .

(٣) أى لا تقل لها : قبح الله وجهك .

(٤) رواه ابو داود وابن حبان في صحيحه .

(٥) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

# الوصية الثانية عشرة

روى اسماعيل بن رافع المدني عن ثعلبة بن صالح عن سليمان بن موسى عن معاذ قال : أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى قليلا ثم قال : يا معاذ :  
« أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء العهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، ورحم اليتيم ، وحفظ الجوار ، وكظم الغيظ ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، ولزوم الامام ، والتفقه في القرآن ، وحب الآخرة ، والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل .  
وأنهك أن تشتم مسلما ، أو تصدق كاذبا ، أو تكذب صادقا ، أو تعصى اماما عادلا ، وأن تفسد في الأرض .  
يا معاذ . . اذكر الله عند كل شجر وحجر ، وأحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر ، والعلانية بالعلانية » .

(رواه البيهقي في كتاب « الزهد »)

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :  
من أهل التقوى الذين : « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » (١) وهم أولياء الله وأحباؤه الذين تولاهم الله برعايته وتوفيقيه ، كما ورد في حديث قدسي أجاب الله تعالى فيه على استفسار لسيدنا داوود عليه السلام عندما ناجاه قائلا : أي العباد أحب اليك ؟ فقال سبحانه :

« يا داوود . . أحب عبادي الى تقى القلب نقى الكفين ، لا يأتي لأحد بسوء ولا يمشى بين الناس بالنميمة ، تزول الجبال ولا يزول ، أحبني وأحب من يحبني وحبيني الى عبادي . قال داوود : يا رب . . وكيف يحببك الى عبادك ؟ قال : يذكرهم بنعمي وآلائي ، يا داوود . . ما من عبد يعين مظلوما أو يمشى معه في مظلمته الا ثبت قدمه على الصراط يوم تزل الأقدام » .

وحسبك أن تعلم أن التقوى هي جماع أعمال البر الذي هو من أهم نتائج الصدق ، قال تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوى القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل والسائلین وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحین البأس ، أولئك الذین صدقوا ، وأولئك هم المتقون » (١) .

فكن منهم حتى تكون معهم « فى جنات ونهر » فى مقعد صدق عند ملك مقدر « (٢) .

واعلم : أن التقوى فى القرآن تطلق على ثلاثة أشياء :  
أحدها : بمعنى الخشية والهيبة ، قال تعالى : « وإياى فاتقون » (٣) ،  
وقال : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » (٤) .

والثانى : بمعنى الطاعة والعبادة ، قال تعالى : « يا أيها الذین آمنوا اتقوا الله حق تقاته » (٥) يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيرها : « أطيعوا الله حق طاعته » وكما يقول مجاهد : « أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر » .

والثالث : بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب ، وهذه حقيقة التقوى ، ألا ترى أن الله تعالى يقول : « ومن يطع الله ورسوله يخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » (٦) .

ومن أجمل ما قرأت فى تفسير هذه الآية أن عظيما من عظماء الروم أسلم بسببها ، وعندما التقى بسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال له : لقد وجدت فى كتابكم آية جمعت كل ما فى الكتب السماوية ، فقال عمر : ما هى ؟ فتلا الآية — السابقة — ثم قال : اليك تفسيرها يا أمير المؤمنين — كما فهمتها — « ومن يطع الله فى الفرائض ، ورسوله فى السنن ، ويخشى الله فيما مضى ، ويتقه فيما هو آت فقد فاز فوزا عظيما ، والفائز من زحزح عن النار وأدخل الجنة » فقال عمر : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد قال : « أوتيت جوامع الكلم » فكن من أجل كل هذا تقيا نقيا .

(٢) القمر : ٥٤ ، ٥٥

(٤) البقرة : ٢٨١

(٦) النور : ٥٢

(١) البقرة : ١٧٧

(٣) البقرة : ٤١

(٥) آل عمران : ١٠٢

ولا تنس قوله تعالى : « تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا » (١) .

وقوله : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » (٢) . وتأمل قول القائل :

ترود من التقوى فانك لا تدري  
فكم من صحيح مات من غير علة  
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم  
وكم من فتى يمسى ويصبح لاهيا  
وكم من عروس زينوها لزوجها  
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

إذا جن ليل هل تعيش الى الفجر  
وكم من عليل عاش حيناً من الدهر  
وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبر  
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري  
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

\* \* \*

\* وكن صادقاً في حديثك : حتى تكون من أهل البر الذي هو من أهم نتائج الصدق وحسبك أن تقبأ قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر ، والبر يهدي الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (٣) .

\* \* \*

وحتى ترغب في الصدق وتحذر الكذب اليك قول الله تعالى :  
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويفقر لكم ذنوبكم » (٤) وقوله : « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » (٥) .

« ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » (٦) .  
« انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله » (٧) .

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « اضمنوا لى استا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ،

(٢) البقرة : ١٩٧

(٤) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١

(٦) الزمر : ٦٠

(١) مريم : ٦٣

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٥) غافر : ٢٨

(٧) النحل : ١٠٥



وأدوا اذا ائتمتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم» (١) .

وقوله : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخف ، واذا عاهد غدر » (٢) .

وقوله : « أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا » (٣) . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم . قيل : أيكون بخيلا ؟ قال : نعم . قيل : أفيكون كذابا ؟ قال : لا » (٤) .



واعلم أن الصدق درجات :

الأولى : صدق اللسان • وحق على كل عبد أن يحفظ لسانه فلا يتكلم الا بالصدق : اللهم الا اذا كانت هناك مصلحة تقتضى هذا في بعض الأحوال كتأديب الصبيان ، والنساء ومن يجرى مجراهم ، وفي الحذر من الظلمة ، وفي قتال الأعداء والاحتراز على الأسرار •

وكما يقول النووي في « رياض الصالحين » باختصار : اعلم أن الكذب وان كان أصله محرما فيجوز في بعض الأحوال لأن الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه ، وان لم يمكن تحصيله الا بالكذب ، جاز الكذب ، ثم ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا كان الكذب مباحا ، وان كان واجبا كان الكذب واجبا •

فان اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله أو أخفى ماله وسئل عنه ، وجب الكذب باخفائه ، وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخذها وجب الكذب باخفائها •

واستدل العلماء بجواز الكذب في هذا الحال بحديث أم كلثوم

(١) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه عن عبادة بن الصامت .

(٢) رواه البخارى ومسلم وزاد في رواية له : « وان صام وزعم

انه مسلم » .

(٣) رواه البيهقى بإسناد حسن وابو داوود والترمذى وحسنه

(٤) رواه مالك هكذا مرسلا .

وابن ماجه .

رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا » (١) .

الدرجة الثانية : الصدق فى النية والارادة ، ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ألا يكون له فى الحركات والسكنات الا الله تعالى .  
الدرجة الثالثة : صدق العزم ، وهو الجزم فيه بقوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد .

الدرجة الرابعة : فى الوفاء بالعهد مهما كلفه هذا من مشقة .  
الدرجة الخامسة : الصدق فى الأعمال ، وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به ، والمراد استواء السريرة والعلانية بمعنى أن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره .

إذا السر والاعلان فى المؤمن استوى فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا فان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعناء

\* \* \*

\* وكن وغيأ لعهدك : حتى تكون من « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » (٢) ومن الذين « صدقوا ما عاهدوا الله عليه » (٣) .

وحسبك أن تعلم أن الوفاء بالوعد من صفات الله عز وجل الذى يقول : « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » (٤) ويقول : « وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله » (٥) .

ومن صفات الرسل الكرام ، قال تعالى : « أم لم ينبا بما فى صحف موسى . وابراهيم الذى وفى » (٦) وقال : « وانكر فى الكتاب اسماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » (٧) .  
وحتى تكون متصفا بهذه الصفة الحميدة اليك هذا الخبر الذى

(١) متفق عليه ، زاد مسلم فى رواية : « قالت أم كلثوم : ولم أسمعه يرخص فى شيء مما يقول الناس الا فى ثلاث ، يعنى : « الحرب ، والاصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امراته وحديث المرأة زوجها » .

(٢) الاحزاب : ٢٣

(٣) الرعد : ٢٠

(٤) التوبة : ١١١

(٥) ابراهيم : ٤٧

(٦) مريم : ٥٤

(٧) النجم : ٣٦ ، ٣٧

يحكى : أن رجلا اقتترض من غيره مالا ووعدته أن يرده اليه في ميعاد كذا ولم يحضر المستدين شاهدا وضامنا له الا الله ، ورضى صاحب المال بالله شاهدا وضامنا ، ولحسن نية المقتترض هذا في السداد قواه الله وأغناه ، وجاء ليرد ما عليه فتعذر عليه الوصول لبلد الدائن من أجل تلف القنطرة التي يعبر الناس عليها ، ولخوفه من الله ومن خلف الوعد ، هداه تفكيره الى أن يضع المال في جوف خشبة ثم سدها سدا محكما وقال : اللهم أنت الشاهد والضامن فأسألك أن توصل الحق لصاحبه ، ورمي بالخشبة في الماء . وشاءت ارادة الله اكراما لهذا الرجل الوفي أن يخرج الدائن الى البحر مصادفة فوجد الخشبة وفتحها فوجد فيها المال فحمد الله كثيرا وأثنى على المقتترض الوفي ودعاه بخير .

ولكن المقتترض لم تطب نفسه بما عمل وظن أن المال لم يصل الى صاحبه فأحضر غيره وجاء بعد اصلاح القنطرة . فقال له الدائن : يا أخى . . . بارك الله لك ، قد أدى الله عنك وأوصل المال الى لصحن نيتك وعزمك على السداد ، فانصرف راشدا .

وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله » .

فلا تنس هذا وكن وفيا لعهدك حتى لا تقع في شباك النفاق ففى الحديث : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدبها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (١) .

\* \* \*

\* وأد الأمانات الى أهلها : كما أمرك الله سبحانه وتعالى في قوله : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » (٢) حتى تكون من « . . . الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (٣) .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) النساء : ٥٨

(٣) المؤمنون : ٨ - ١١ بلفظ : « والذين » .

مع ملاحظة أن كل عضو من أعضاء الانسان أمانة : فأمانة اللسان  
ألا يستعمله في كذب أو غيبة أو نميمة أو بدعة ، أو نحو ذلك •

وأمانة العين : ألا ينظر بها الى محرم •

وأمانة الأذن : ألا يصنى بها الى استماع محرم •

وهكذا بالنسبة لسائر لأعضاء ، فكلها أمانات مع الله تعالى •

وأما مع الناس : فرد الودائع ، وترك التطفيف في كيل أو وزن •

وأمانة الأمراء : العدل في الرعية •

وأمانة العلماء في العامة : أن يحملوهم على الطاعة والأخلاق الحسنة

وينهوهم عن المعاصي وسائر القبائح •

وأمانة المرأة في حق زوجها : أن لا تخونه في فراشه أو ماله ولا تخرج

من بيته بغير اذنه •

وأمانة الزوج في حق زوجته : أن يوفر لها حقوقها الشرعية

ولا يلوث فراشها بفعل فاحشة والا خالفته ولوثت شرفه وعرضه (١) •

هذا بالاضافة الى أن : مراقبة الله في السر والعلن أمانة ، وطاعة

الرسول فيما تأخذ وتذر أمانة ، وهذا الدين الاسلامي بأصوله وفروعه

في عنقك أمانة تتطلب منك الدفاع عنها والدعوة اليها ، وأوطان المسلمين

كلها أمانة تطالبك بالذود عنها والدفاع عن حقوقها والعمل على رفع

شأنها •

وأولادك وزوجتك ووالداك والأسرة كلها أمانة ستسئل عنها أمام

خالقك ورازقك يوم العرض عليه سبحانه ، فاذا ذكر كل هذا ولا تنس

قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا

أماناتكم وأنتم تعلمون » (٢) •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « أد الأمانة الى من ائتمتكم ، ولا تخن

من خانك » •

ثم اليك في نهاية هذا الموضوع الحيوى هاتين القصتين اللتين

تأثرت بهما كثيرا : روى أن رجلا اشترى من آخر عقارا ، فوجد المشتري

في عقاره جرة ذهب ، فحملها بنفسه الى البائع ، قائلا : خذ ذهبك ،

فقال البائع — الأمين — : والله ما هي لي ، وما ينبغي أن آخذ ما لا أعلم ،

(١) من وزن بامراة بالفى درهم في بيته يزنى بغير الدرهم

(٢) الانفال : ٢٧

فترافعا الى مؤمن ليحكم في هذه القضية النادرة • فقال لهما الحكم :  
هل لكما من عيال ؟

فقال أحدهما : لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية ، فقال : زوجا  
الجارية للغلام وأنفقا عليهما من جرة المذهب ، فأنصرفا راضيين •  
وفي معركة القادسية عثر أحد أفراد الجيش الاسلامى — وقد كان  
مسكينا فقيرا — على صندوق به جواهر غالية فدفعه الى قائده ، فعجب  
من أمانته مع فقره وقال له : ما اسمك حتى أذكرك لعمر فيعطيك  
ويثنى عليك أمام الناس ؟ فغضب الجندى المؤمن ، ثم قال لقائده :  
لو أردت عمر ما رأيته أنت ولا عمر ، فدعا له بخير وأرسل الجواهر  
بحقها الى عمر رضى الله عنه ، فلما وقف سيدنا عمر على الخبر قال :  
أسكر الله أن جعل في جيشى مثل هذا الأمين ، فقال له أحد الحاضرين :  
يا أمير المؤمنين •• عفت ففعلوا ولو رتعت لرتعوا •  
فهل رأيت مثل هذا • وهل ستكون من الأمناء ؟  
أرجو أن يكون الجواب : نعم •

\* \* \*

\* واترك الخيانة :

وحسبك تحذيرا لك قول الله تعالى :

« ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما » (١) • « ان الله لا يحب  
الخائنين » (٢) • « وأن الله لا يهدى كيد الخائنين » (٣) • « ان الله  
لا يحب كل خوان كفور » (٤) •

وحتى لا تقع في هذا الشرك وتبتعد عن أسبابه وملحقاته التى من  
أهمها وأخطرها شهوات النفس الأمارة بالسوء اليك هذا الحديث  
الشريف :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم : « أتدرون  
من المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع • فقال :  
« المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى  
وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب  
هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فاذا فنيت حسناته

(٢) الانفال : ٥٨

(٤) الحج : ٢٨

(١) النساء : ١٠٧

(٣) يوسف : ٥٢

قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحته عليه ، ثم طرح  
في النار» (١) . فاعمل حسابا لهذا اليوم حتى لا تكون مفلسا ولا تنسى  
قوله تعالى : « فمن نكث فانما ينكث على نفسه » (٢) .

ولا تنس : « يوم يعرض الظالم على يديه » (٣) .  
واحذر كذلك « خائنة الأعين » (٤) وإذا كان الله تعالى قد جعل  
لك عينين تنظر بهما ، فقد جعل لهما غطاءين ، فانظر بعينيك الى ما أحل  
الله لك فان عرض عليك ما حرم الله عليك - من حبائل الشيطان - فأطبق  
عليهما غطاءهما .

وكذلك لا تخن صديقك بالتحدث عنه بما يكره أو بالاستماع الى  
من يفتابه ، ولا تخن زوجتك بالنظر بشهوة الى غيرها حتى لا تخونك  
بالنظر بشهوة الى غيرك . وقد يحدث ما هو أخطر من هذا ، ولا تخن  
أولادك باتلاف قوتهم في ملذاتك وشهواتك فتحطم مستقبلهم .

ولا تخن جارك بالنظر الى زوجته بشهوة فربما أدى هذا الى  
ارتكاب جريمة الزنا معها . فقد ورد في الحديث الشريف قول النبي  
صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ما تقولون في الزنا » ؟ قالوا : حرام  
حرمه الله عز وجل ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة ، فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر  
عليه أن يزنى بامرأة جاره » (٥) .

كما سئل صلوات الله وسلامه عليه : أى الذنب أعظم عند الله ؟  
قال : « أن تجعل لله ندا ، وهو خلقك » قلت : ان ذلك لعظيم ، ثم أى ؟  
قال : « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قلت : ثم أى ؟ قال :  
« أن ترائى حليلة جارك » (٦) .

فلا تخن جارك أو غيره وان خانك .

\*\*\*

\* وارحم اليتيم : وهو من مات أبوه من بنى آدم (٧) وهو دون

البلوغ .

(١) رواه مسلم . (٢) الفتح : ١٠ .

(٣) الفرقان : ٢٧ بلفظ : « ويوم » (٤) غافر : ١٩ .

(٥) رواه أحمد ورواته ثقات والطبرانى في « الكبير » و « الاوسط » .

(٦) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(٧) ومن ماتت أمه من الحيوانات .

وتذكر أنك في الطريق الى نهاية أبيه مهما طاللت اقامتك في هذه الحياة ، فنحن كما يقول الشافعى رضى الله عنه :

نزول كما زال آباؤنا ويبقى الزمان على ما ترى  
 نهار يمر وليل يكر ونجم يغور ونجم يرى  
 فبعطفك على اليتيم تضمن عطف غيرك بعد وفاتك على ولدك •  
 وحسبك قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « أنا وكافل  
 اليتيم كهاتين في الجنة - وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما - » (١)  
 وقوله عندما شكا اليه رجل قسوة قلبه : « امسح رأس اليتيم وأطعم  
 المسكين » (٢) •

واحذر أن تكون من « الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما »  
 فقد قال الله تعالى في نفس الآية : « انما يأكلون في بطونهم نارا ،  
 وسيصلون سعيرا » (٣) •

ونفذ قوله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث  
 بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا » (٤) •  
 واذا كنت تخاف على ذريتك من بعدك ففى استطاعتك من الآن  
 أن تؤمن ( على حياتهم ) ومستقبلهم وذلك بتقواك الله واصابتك في  
 القول وفي ذلك يقول تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم  
 ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً » (٥) •

\* \* \*

\* واحفظ جوارك : فقد أمرك الله تعالى بالاحسان اليهم في قوله :  
 « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا وبذى القربى  
 واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب  
 وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » (٦) •

وهم ثلاثة كما قرأت في هذه الآية :

- الأول : القريب منك في الجوار أو النسب
- الثانى : البعيد عنك في الجوار أو النسب

(١) رواه البخارى وأبو داوود والترمذى .

(٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) النساء : ١٠ (٤) النساء : ٢

(٥) النساء : ٩ (٦) النساء : ٣٦

الثالث : الرفيق في سفر أو صناعة • وقيل الزوجة •  
 ومن الجيران من له ثلاثة حقوق : وهو جارك القريب المسلم •  
 ومن له حقان : وهو جارك المسلم •  
 ومن له حق واحد : وهو جارك الذمي <sup>(١)</sup> •  
 ومن أجمل ما قرأت في هذا : يقول الحسن البصري رضى الله عنه :  
 حق الجار على الجار تسعة أشياء :

أولها : ان استقرضك أقرضته • وثانيها : وان دعاك أجبتة •  
 وثالثها : وان مرض عدته • ورابعها : وان استعان بك أعنته • وخامسها :  
 وان أصابته مصيبة عزيزته • وسادسها : وان أصابه خير هنتأته • وسابعها :  
 وان مات شيعته • وثامنها : وان مات احفظ منزله وعياله وواسمهم •  
 وتاسعها : ولا تؤذ •

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : ثلاث خصال مستحسنة كانت  
 في الجاهلية ، والمسلمون أولى بها :

أولها : لو نزل بهم ضيف اجتهدوا في بره •  
 الثاني : لو كانت لأحدهم امرأة كبيرة عنده لا يطلقها ويمسكها  
 مخافة أن تضيع •

والثالث : اذا لحق بجارهم دين أو أصابته شدة اجتهدوا حتى  
 يقضوا عنه دينه وأخرجوه من تلك الشدة •

وقال سفيان الثوري رضى الله عنه :

« من الجفاء أن يشبع الرجل وجاره جوعان لا يطعمه شيئاً » •

وقال آخر : تمام حسن الجوار في أربعة أشياء :

الأول : أن يواسيه بما عنده •

الثاني : أن لا يطمع فيما عند جاره •

الثالث : أن يمنع أذاه عنه •

الرابع : أن يصبر على أذاه •

فاذكر كل هذا ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » <sup>(٢)</sup> •

(١) غير المسلم من أهل الكتاب وهو من اعطاه المسلمون عهدا بالاتامة

(٢) متفق عليه •

بينهم أمنا •



« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » (١) .  
 « خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره » (٢) .

وان أساء اليك جارك فحسبك هذه الوصية المحمدية التي أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا ذهب اليه يشكو أخلاق جاره فقال له : « كف أذاك واصبر على أذاه ، وكفى بالموت مفرقا » .  
 « ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار ، ولكن حسن الجوار الصبر على أذى الجار » (٣) .

ثم اليك هذا الدعاء الذي كان سيدنا داوود عليه السلام يدعو الله تعالى به : « اللهم انى أسألك أربعا ، وأعوذ بك من أربع : أسألك لسانا صادقا ، وقلبا خائشا ، وبدنا صابرا ، وزوجة تعيننى على أمر دنياى وأمر آخرتى » .

وأعوذ بك : من ولد يكون على سيدا ، ومن زوجة تشيننى قبل وقت المشيب ، ومن مال يكون مشبعة لغيرى بعد موتى ويكون حسابه فى قبرى ، ومن جار سوء ان رأى حسنة كتمها ، وان رأى سيئة أذاعها وأفشاها » .



\* واكظم غيظك : حتى تكون من « الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » (٤)  
 وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء » (٥) . وقوله : « ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله » (٦) .

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٣) من كلام الحسن البصرى رضى الله عنه .

(٤) آل عمران : ١٣٤

(٥) رواه أبو داوود والترمذى وحسنه وابن ماجه .

(٦) رواه ابن ماجه ورواته محتج بهم فى الصحيح .

وليكن مثلك الأعلى هو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذي كان كما وصفه الله تعالى في قوله : « وانك لعلى خلق عظيم » (١) .  
فقد روى أنه كان ذات يوم يقسم الغنائم فقال له أعرابي جلف :  
اعدل فان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فما كان منه صلى الله عليه وسلم الا أن قال له : « ويحك .. فمن يعدل ان لم أعدل ؟ خبت .  
وخسرت ان لم أعدل » .

ونهى أصحابه أن يقتلوه حين هم بعضهم بذلك .

وعن أنس رضى الله عنه قال : « كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد (٢) نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة ، فنظرت الى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : يا محمد .. مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء » (٣) .

فهذه بطولة ورجولة أكدها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله :

« ما تعدون الصرعة فيكم » ؟ قالوا : الذى لا تصرعه الرجال .  
قال : « ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب » (٤) .  
فكن بطلا حتى لا يتمكن الشيطان منك فتفقد كل شيء .

\* \* \*

\* وكن لينا في كلامك : تنفيذاً لقول الله تعالى : « وقولوا للناس حسناً » (٥) وقوله : « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن » (٦) .  
وقوله : « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (٧) .

وحسبك أن تقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها » قالوا : لمن هى

(٢) نوع من الثياب .

(١) القلم : ٤

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه .

(٦) الاسراء : ٥٣

(٥) البقرة : ٨٣

(٧) فصلت : ٣٤

يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطعم الطعام ، وأطاب الكلام ، وصلى بالليل والناس نيام » (١) .

وقوله : « الكلمة الطيبة صدقة » (٢) . فتذكر كل هذا ، و :  
خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين  
ولن في الكلام لكل الأنام فمستحسن من ذوى الجاهلين

وإذا كنت جافا في طباعك فظا في قولك ، فحسبك أن تدعو الله تعالى بهذا الدعاء العمري الذى روى أن سيدنا عمر بن الخطاب دعا الله سبحانه وتعالى به عندما ولى الخلافة وكان قد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس انى داع فأمنوا : « اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة (٣) والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم . اللهم انى شحيح (٤) فسخنى (٥) فى نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة (٦) واجعلنى أبتغى بذلك الدار الآخرة . اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين .

اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال  
وذكر الموت فى كل حين .

اللهم انى ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقنى النشاط فيها والقوة  
عليها بالنية الحسنة التى لا تكون الا بعزتك وتوفيقك .

اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء  
منك وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى والمحاسبة لنفسى ، واصلاح  
الساعات (٧) والحذر من الشبهات .

اللهم ارزقنى التفكير والتدبير لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم  
له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت ، انك على  
كل شىء قدير .

(١) رواه الطبرانى والحاكم .

(٢) من حديث رواه البخارى ومسلم .

(٣) أهل الفساد والفسق . (٤) الشح : هو البخل .

(٥) أى جعلنى سخيا جوادا . (٦) السمعة : أى الرياء .

(٧) اصلاح أوقاتى واستعمالها فى النافع مع المفيد .

اللهم لا تدعنى فى غمرة (١) ولا تأخذنى على غرة ، ولا تجعلنى  
من الغافلين» (٢) .

\* \* \*

\* واقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف :

وحسبك أن تعلم أولا : أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الاسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » (٣) .

وأن تعلم ثانيا : أنه من موجبات الجنة كما ورد فى حديث شريف رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لأدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم » (٤) وفى رواية أخرى : « يا أيها الناس •• أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » (٥) .

وحتى تتقف على ثواب السلام بالاضافة الى ما سبق ، اليك هذا الحديث الشريف الذى يقول فيه عمران بن الحصين رضى الله عنهما : « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ثم جلس فقال النبى صلى الله عليه وسلم : عشر ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه ، ثم جلس فقال النبى صلى الله عليه وسلم : عشرون ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال : ثلاثون » (٦) .

وفى رواية أخرى لأبى داوود زيادة على هذا : « ثم أتى آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ، فقال : أربعون • وقال : هكذا تكون الفضائل » .

(١) الانهك فى الباطل .

(٢) ذكر فى « العقد الفريد » .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) روى فى مسند الدارمى وكتابى الترمذى وابن ماجه بالاسانيد الجيدة

وقال الترمذى : حديث صحيح .

(٦) روى فى مسند الدارمى وسنن أبى داوود والترمذى وقال الترمذى :

حديث حسن .

- فأحرص على هذا الفضل وهذا الثواب •
- فليس المصاب من فارق الأحباب — ان المصاب من فقد الثواب  
ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أشرط الساعة  
السلام بالمعرفة » (١) •
- وكيفية السلام : أن يقول المسلم : السلام عليكم ورحمة الله  
وبركاته ، فيأتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا •  
ويقول الجيب : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته •  
فيأتي بواو العطف في قوله : وعليكم •  
وهذا أفضل ، وان كان يجوز للمبتدئ أن يقول : السلام عليكم ،  
وان قال : السلام عليك ، أو سلام عليك حصل السلام أيضا •  
وأما الجواب فأقله : وعليك السلام أو وعليكم السلام ، فان  
حذف الواو فقتال : عليكم السلام • أجزأ ذلك وكان جوابا •  
ولو قال في الجواب : عليكم • لم يكن جوابا ، ولو قال : وعليكم  
— بالواو — ففيه وجهان ، ولو قال المبتدئ : سلام عليكم ، أو قال :  
السلام عليكم • فللمجيب أن يقول في الصورتين : سلام عليكم ، وله أن  
يقول : السلام عليكم ، وأقل السلام الذي يصير به مسلما مؤديا للسنة  
أن يرفع صوته بحيث يسمع المسلم عليه ، فان لم يسمع لم يكن آتيا  
بالسلام ولا يجب الرد عليه •
- وأقل ما يسقط به فرض السلام أن يرفع صوته بحيث يسمعه  
المسلم فان لم يسمعه لم يسقط عنه فرض الرد • والمستحب أن يرفع  
صوته رفعا يسمعه به المسلم عليه أو عليهم سماعا محققا ، واذا شكك  
في أنه يسمعهم زاد في رفعه واحتاط واستظهر •
- واذا سلم على أيقاظ عندهم نيام فالسنة أن يخفض صوته بحيث  
يحصل سماع الأيقاظ دون النيام •
- ويشترط أن يكون الجواب على الفور فان أخره ثم رد لم يعد  
جوابا وكان آثما بترك الرد •
- ويكره السلام : بالاشارة باليد أو بالأصابع لأن هذا يعتبر تشبها  
باليهود والنصارى •
- ويكره السلام : على المشتغل بالبول أو الجماع أو نحوهما •

(١) أخرجه أحمد •

ويكره السلام : على من كان نائما (١) أو ناعسا (٢) .

ويكره السلام : على من كان مصليا أو مؤذنا في حال أذانه واقامته الصلاة .

ويكره السلام : على من كان في حمام ، أو في مكان لا يؤثر السلام عليه فيه ، أو كان يأكل واللقمة في فمه .

فإن سلم عليه في هذه الأحوال لم يستحق جوابا ، أما إذا كان على الأكل وليست اللقمة في فمه فلا بأس بالسلام ويجب الجواب ، وكذلك في المبايعة وسائر المعاملات يسلم ويجب الجواب .

كما يكره على المشتغل بالبول ونحوه رد السلام .

وأما السلام في حال خطبة الجمعة فقد قال العلماء : يكره الابتداء به ، لأنهم مأمورون بالانصات للخطبة ، فإن خالف وسلم فهل يرد عليه ؟ فمن العلماء من قال : لا يرد عليه لتقصيره ، ومنهم من قال : إن قلنا إن الانصات واجب لا يرد عليه ، وإن قلنا إن الانصات سنة يرد عليه واحد من الحاضرين ولا يرد عليه أكثر من واحد على كل وجه .

وأما السلام على المشتغل بقراءة القرآن فقد قال أبو الحسن الواحدي : ترك السلام أولى لاشتغاله بالتلاوة ، فإن سلم عليه كفاه الرد بالاشارة وإن رد باللفظ استأنف الاستعاذة ، ثم عاد إلى التلاوة . وهذا الكلام فيه نظر ، والظاهر أنه يسلم عليه ويجب الرد باللفظ . أما إذا كان مشتغلا بالدعاء مستغرقا فيه ، مجمع القلب عليه فيحتمل أن يقال : هو كالمشتغل بالقراءة ، يقول الامام النووي : والأظهر عندي في هذا أنه يكره .

وأما الملبى في الأهرام فيكره أن يسلم عليه لأنه يكره له قطع التلبية فإن سلم عليه رد السلام باللفظ .

وأما المصلي فيجزم عليه أن يقول : وعليكم السلام فإن فعل ذلك بطلت صلاته إن كان عالما بتحريمه ، وإن كان جاهلا لم تبطل على أصح الوجهين عند النووي ، وإن قال : « عليه السلام » بلفظ الغيبة لم تبطل صلاته لأنه دعاء وليس بخطلب ، والمستحب أن يرد عليه في الصلاة باشارة ولا يتلفظ بشيء ، وإن رد بعد الفراغ من الصلاة باللفظ فلا بأس (٣) .

(١) النوم : معروف .

(٢) النعاس : السنة من النوم .

(٣) راجع كل هذا وما بعده في « الإنكار » للنووي .

وأما المؤذن فلا يكره له الرد باللفظ المعتاد لأنه يسير ولا يبطل الأذان ولا يخل به .

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة أن :

ابتداء السلام سنة مستحبة وليس واجبا وهو سنة على الكفاية .  
رد السلام ان كان المسلم عليه واحدا تعين عليه الرد ، وان كانوا جماعة كان رد السلام فرض كفاية عليهم : فان رد واحد سقط الحرج عن الباقيين وان تركوا كلهم أثموا جميعا ، وان ردوا كلهم فهو النهاية في الكمال والفضيلة ، وهكذا قال العلماء ، وهو ظاهر حسن ، ولو رد غيرهم لم يسقط عنهم الرد بل يجب عليهم أن يردوا ، فان اقتصروا على رد ذلك الأجنبي أثموا . ثم اليك كذلك هذه الأحكام :

إذا نادى انسان انسانا من خلف ستر أو حائط فقال : السلام عليك يا فلان ، أو السلام على فلان ، أو أرسل رسولا وقال : سلم على فلان . فبلغه الكتاب أو الرسول ، وجب عليه أن يرد السلام ، كما يستحب أن يرد على المبلغ أيضا فيقول : وعليك السلام . وإذا سلم على أصم لا يسمع ينبغي أن يتلفظ بلفظ السلام لقدرته عليه ويشير باليد حتى يحصل الافهام ويستحق الجواب ، ولو لم يجمع بينهما لا يستحق الجواب ، وكذا لو سلم عليه أصم وأراد الرد فيتلفظ باللسان ويشير بالجواب ليحصل الافهام ويسقط الجواب .

ولو سلم على أخرس فأشار الأخرس باليد سقط الفرض لأن اشارته قائمة مقام العبارة ، وكذا لو سلم عليه الأخرس بالاشارة يستحق الجواب .

ولو سلم على صبي ، لا يجب عليه الجواب ، لأن الصبي ليس من أهل الفرض والمستحب له الجواب أدبا .

ولو سلم الصبي على بالغ ، قيل : يجب على البالغ الرد ، وقيل : لا يجب ، والصحيح أنه يجب لقوله تعالى : « **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** » (١) .

ولو سلم بالغ على جماعة فيهم صبي فرد صبي ولم يرد منهم غيره . قيل : يسقط الفرض عنهم ، كما يصح أذانه للرجال ويسقط عنهم طلب الأذان .

وقيل : لا يسقط لأنه ليس أهلا للفرض ، والرد فرض فلا يسقط به ، كما لا يسقط به الفرض في الصلاة على الجنابة والصحيح الأول .  
 وإذا سلم على انسان ثم لقيه على قرب ، يسن له أن يسلم عليه ثانيا أو ثالثا أو أكثر ، كما ورد في حديث شريف قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فان حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه » (١) .

اذا تلاقى رجلان فسلم كل واحد منهما على صاحبه دفعة واحدة أو أحدهما بعد الآخر ، يجب على كل واحد منهما أن يرد على صاحبه لأنه يعتبر كل واحد منهما مبتدئا بالسلام ، وان رد أحدهما بعد الآخر كان جوابا وان كان دفعة واحدة لم يكن جوابا .

ولو سلم على رجل ظنه مسلما فظهر أنه كافر يستحب أن يسترد سلامه فيقول له : رد على سلامي ، والغرض من ذلك أن يوحشه ويظهر له أنه ليس بينهما ألفة كما فعل ابن عمر رضى الله عنهما بعد أن سلم على رجل قيل له انه يهودى فتبعه وقال : رد على سلامي .  
 مع ملاحظة أنه لا يجوز ابتداء أهل الذمة بالسلام ، وقال آخرون : ليس هو بحرام بل هو مكروه .

فان سلموا على مسلم قال في الرد : « وعليكم » ولا يزيد على هذا فعن أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا سلم أهل الكتاب فقولوا عليكم » (٢) ولو أراد تحية أهل الكتاب فعلها بغير السلام ، واذا مر على جماعة فيهم مسلمون أو مسلم وكفار فالسنة أن يسلم عليهم ويقصد المسلمين أو المسلم ، واذا كتب كتابا الى مشرك وكتب فيه سلاما أو نحوه ينبغي أن يكتب كما يكتب الرسول صلى الله عليه وسلم : « السلام على من اتبع الهدى » (٣) .

واذا مر على صبيان فمن السنة أن يسلم عليهم ، فقد ورد عن أنس رضى الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على صبيان فسلم عليهم » (٤) .

(١) رواه ابو داوود عن ابى هريرة .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) طه : ٤٧ بلفظ : « والسلام » .

(٤) رواه البخارى ومسلم .



وإذا مر على امرأة فإن كانت زوجته أو جاريتها أو محرما من محارمه فهي معه كالرجل فيستحب لكل واحد منهما ابتداء الآخر بالسلام ويجب على الآخر رد السلام عليه ، وإذا كانت أجنبية : فإن كانت جميلة يخاف الافتتان بها لم يسلم الرجل عليها ، ولو سلم لم يجز لها رد الجواب ، ولم تسلم عليه هي ابتداء ، فإن سلمت لم تستحق جوابا ، فإن أجابها كره له •

وإذا كان النساء جمعا جاز للرجل أن يسلم عليهن ، وإذا كان الرجال جمعا كثيرا فسلموا على المرأة الواحدة جاز أن لم يخف عليه ولا عليهن ولا عليها أو عليهم فتنة ، فإن خيفت الفتنة فإنه يحرم سلام الرجل على جمع النساء وسلام الرجال على المرأة مع ملاحظة : أن المرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل في هذه الأحكام •

وإذا دخل بيته فإنه يستحب أن يسلم وإن لم يكن فيه أحد وليقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، كما يستحب أن يقول : بسم الله ، وأن يكثر من ذكر الله تعالى ثم يسلم ، ففي حديث شريف يقول أنس رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني .. إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك » (١) •

\* \* \*

فاذكر كل هذا ولا تنس هذه الآيات القرآنية :  
 « فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة » (٢) •

• « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » (٣) •  
 • « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » (٤) •

\* \* \*

(١) رواه الترمذي وقال : حديث صحيح .

(٢) النساء : ٨٦ .

(٣) التور : ٦١ .

(٤) الحجرات : ١٣ .

وهذه الأحايث الشريفة :

« اذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم فاذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة » (١) .

« يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقيل على الكثير » (٢) .

و « يسلم الصغير على الكبير » (٣) .

« ما من مسلمين يلتقيان ويتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا » (٤) .

« لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » .

« حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعبادة المريض ، واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .  
« أفشوا السلام تسلموا » .

\* \* \*

\* والزم الامام : الذى ينطبق عليه قول الخليفة الأول — أبى بكر الصديق رضى الله عنه — فى خطبة الخلافة بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : « أما بعد .. أيها الناس ، فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله » (٥) تنفيذاً لأمر الله تعالى فى قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (٦) والا فانه « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم يريد بقوله : « ولزوم الامام »

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن .

(٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) من رواية البخارى .

(٤) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

(٥) ذكره الحافظ ابن كثير فى « البداية والنهاية » بسند صحيح .

(٦) النساء : ٥٩ .

المواظبة والمحافظة على صلاة الجماعة ، وذلك لأن : « صلاة الجماعة أفضل من الفذ<sup>(١)</sup> بسبع وعشرين درجة »<sup>(٢)</sup> ولذلك ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سمع النداء فلم يمنع من اتباعه عذر » قالوا : وما العذر ؟ قال : « خوف أو مرض ، لم تقبل منه الصلاة التى صلى »<sup>(٣)</sup> .

وفى حديث آخر : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقد هممت أن أمر فتيتى فيجمعوا لى حزما من حطب ، ثم أتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم » فقيل ليزيد بن الأصم : الجمعة عنى أو غيرها ؟ قال : صمتا أذناى ان لم أكن سمعت أبا هريرة يأتريه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر جمعة ولا غيرها<sup>(٤)</sup> .

فلا تنس هذه الأحاديث الشريفة حتى تحافظ على حضور صلاة الجماعة .



واحذر مسابقة الامام فى الصلاة فعن أنس رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « أيها الناس .. انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ، ولا بالقيام ولا بالانصراف فانى أراكم أمامى ومن خلفى ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده ، لو رأيتم ما رأيتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا : وما رأيتم يا رسول الله ؟ قال : رأيتم الجنة والنار »<sup>(٥)</sup> .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يأمن الذى يرفع رأسه فى صلاته قبل الامام أن يحول الله صورته فى صورة حمار »<sup>(٦)</sup> . وعنه أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذى يرفع رأسه ويخفضه قبل الامام انما ناصيته<sup>(٧)</sup> بيد شيطان »<sup>(٨)</sup> . وعنه أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- (١) الفذ : أى المنفرد .  
 (٢) رواه أبو داود وابن ماجه .  
 (٣) رواه البخارى ومسلم .  
 (٤) رواه مسلم وأبو داود .  
 (٥) رواه مسلم .  
 (٦) رواه مسلم .  
 (٧) مقدم رأسه .  
 (٨) أخرجه مالك .

« أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار — أو صورته صورة حمار » (١) .  
فلاحظ كل هذا مع مراعاة الاطمئنان في الصلاة ، ولا تركع حتى يركع الامام تماما ، ولا ترفع حتى يرفع ، ولا تسجد حتى يسجد ، ولا تسلم الا بعد التسليمين .

فقد روى أن رجلا من الفقهاء — عليهم جميعا رضوان الله — رأى رجلا يسابق الامام في صلاته فقال له بعد انتهاء الصلاة : « لا وحدك صليت ولا بامامك اقتديت » .

\* \* \*

ولعله صلى الله عليه وسلم أيضا يريد بقوله : « ولزوم الامام » مصادقته ومصاحبته لأنه لم يصل (٢) الى درجة الامامة الا بجدارة ، وحسبه جدارة وقدرا أنه من حملة القرآن ، ففي الحديث الشريف : « ليؤمكم أكثركم قرآنا » وفي حديث آخر : « اذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم وأحقهم بالامامة أقرؤهم » (٣) .  
وفي حديث آخر : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (٤) .

فاذا كانت هذه هي درجته ومنزلته فمن الخير ملازمته ومصاحبته تنفيذا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم التي قال فيها : « لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقي » هذا بالاضافة الى أنه مؤمن : « ... كله منقعة ، ان شلورته نفك ، وان شاركته نفك ، وان ماشيته نفك ، فأمره كله منقعة » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم .  
وأيضا : « رؤيته شفاء ، وموعظته دواء ، ينتفع برؤيته قبله روايته ، وخيره بادر ، وشره نادر » كما قال أحد الحكماء .

\* \* \*

\* وتفقه في القرآن : وذلك لأن القرآن مليء بالأسرار والآيات التي تحتاج الى مدارس تتطلب من كل مسلم ومسلمة ضرورة العمل على

(١) أخرجه الخمسة . (٢) اي الامم .

(٣) رواه احمد والنسائي ، والمراد بالاقراء : أكثرهم حفظا .

(٤) رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

وغيرهم عن عثمان بن عفان .

تحصيلها والوقوف على أسرارها • وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فقال :

« ... ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحققهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » (١) •

وحتى تعرف قدر القرآن وتجتهد في فهم آياته التي انزلها الله « هدى للمتقين » (٢) اليك ما قاله عنه أعداء الاسلام :

شهد الأنام بفضلته حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

يقول الدكتور « موريس بوكاي » الفرنسي في وصف القرآن :  
« انه بمثابة ندوة علمية للعلماء ، ومعجم لغة للغويين ، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه ، وكتاب عروض لمحبي الشعر وتهذيب العواطف ، ودائرة معارف للشرائع والقوانين ، وكل كتاب سماوي جاء قبله لا يساوي أدنى سورة من سوره في حسن المعاني وانسجام الألفاظ ، ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية في الأمة الاسلامية يزدادون قسما بهذا الكتاب واقتباسا لآياته يزينون بها كلامهم ويبنون عليها آراءهم كلما ازدادوا رفعة في القدر ونباهة في الفكر » •

ويقول القس « لوازون » :

« ليس في الاكتشافات العلمية الحديثة ولا في المسائل التي انتهت حلها ، والتي تحت الحل ما يغيّر الحقائق الاسلامية الوضاعة والسهولة المأخذ ، ولهذا فان التوفيق الذي نبذل كل جهدنا معاشر المسيحيين هو سابق موجود في الديانة الاسلامية » •

واضح أنه يعنى ما هو ثابت في القرآن من براهين •

ويقول المؤرخ الانجليزي الشهير « ولزآن » :

« ان الديانة الحقّة التي وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هي الديانة الاسلامية ، واذا أراد انسان أن يعرف شيئا من هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظريات علمية ، وقوانين وأنظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب علمي ، ديني ، علمي ، اجتماعي ، تهيبي ، خلقي ، تاريخي ،

أكثر أنظمته وقوانينه تستعمل في وقتنا الحالى وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة» •

هذا هو القرآن نبراس الهدى  
آياته نبع العلوم جميعها  
علم الطبيعة والحياة وحكمة الـ  
وسياسة الدنيا بأقوم شرعة  
فيه القضاء لحل كل قضية

دستورك الأسمى المنير المشرق  
من قال : لا فهو الغبى الأخرق  
ايجاد من تبيانه تتدفق  
بين الورى بسواه لا تتحقق  
عن حلها أهل السياسة أخفقوا

ومن أجل ذلك فـ :

نحن نبغى القرآن علما وغهما  
نحن نبغى القرآن لفظا ومعنى  
نحن نبغى القرآن دينا ودنيا  
نحن نبغى القرآن فى معهد الدر  
فهل سنتفقه فى القرآن ؟ وهل سنعمل على حفظه ونعلمه لأولادنا  
ونساءنا كما كان يفعل آباؤنا وأجدادنا ؟ وهل سننفذ تعاليمه حتى  
نكون حقا من أهله ؟

أرجو أن يكون الجواب نعم •• وحتى تقول نعم باقتناع تأمل  
قوله تعالى : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين  
الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » (١) •

\* \* \*

\* وكن محبا للخبرة : واعمل ليلا ونهارا على أن تكون من أبناءها  
حتى تكون مشكورا فى سعيك كما جاء فى قوله تعالى : « ومن أراد الآخرة  
وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » (٢) •  
وحسبك أن تذكر دائما وأبدا قول الله تعالى : « وان الدار الآخرة  
لهى الحيوان ، لو كانوا يعلمون » (٣) - أى لهى الحياة الحقيقية - •  
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى أول خطبة له بعد أن حمد الله  
وأثنى عليه بما هو أهله : « أما بعد أيها الناس •• فقدموا لأنفسكم ••  
تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن  
له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه » (٤) :

(٢) الاسراء : ١٩

(١) الاسراء : ٩

(٤) ترجمان : أى مفسر •

(٣) العنكبوت : ٦٤

« ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وأتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يميننا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشيق تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنه عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » (١) .

ولا تنس قوله تعالى : « بل تؤثرن الحياة الدنيا • والآخرة خير وأبقى » (٢) وقوله : « فأما من طفى • وآثر الحياة الدنيا • فان الجحيم هى المأوى • وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • فان الجنة هى المأوى » (٣) .

و :  
تأهب للذى لا بد منه فان الموت ميقات العباد  
أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

\* \* \*

\* واجزع من الحساب : الذى سيكون حتما « يوم يفر المرء من أخيه • وأمه وأبيه • وصاحبته وبنيه • لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » (٤) .

وحتى تعمل لهذا اليوم ألف حساب اليك هذه الأحاديث الشريفة :  
« لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال :  
عن عمره فميم أفناه ، وعن شبابه فميم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه  
وفميم أنفقه » (٥) .

« من نوقش الحساب عذب — تقول عائشة رضى الله عنها —  
فقلت : أليس يقول الله تعالى : « فأما من أوتى كتابه بيمينه • فسوف يحاسب حسابا يسيرا • وينقلب الى أهله مسرورا » (٦) ؟  
فقال : « انما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة  
الا هلك » (٧) .

(١) ذكرها ابن هشام فى سيرته واخرجها البيهقى .

(٢) الأعلى : ١٦ ، ١٧ (٣) النازعات : ٣٧ — ٤١

(٤) عبس : ٣٤ — ٣٧

(٥) رواه البزار والطبرانى بسند صحيح واللفظ له عن معاذ بن جبل .

(٦) الانشاق : ٧ — ٩

(٧) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

« لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلاء من الشاة القرناء ، ويسئل الحجر : لم انكب على الحجر ولم نكأ (١) الرجل الرجل » قال : وكنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول : كنت ترانى على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهاني (٢) .

\* \* \*

مع ملاحظة أنه سيشهد عليك في هذا اليوم المشهود أحد عشر شاهدا : اللسان ، واليد ، والرجل ، والسمع ، والبصر ، والجلد ، والأرض ، والليل ، والنهار ، والحفظة الكرام ، والمال .

قال تعالى تأكيداً لهذا : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » (٣) وقال : « ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون (٤) . حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون » (٥) . وقال : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » (٦) .

\* \* \*

واعلم : أن الحساب لغة : العد ، واصطلاحاً : توقف الخلائق على أعمالهم قبل انصرانهم من الحشر — وهو موقف الحساب الذي سيساق العباد اليه بعد بعثهم للقضاء بينهم ، وأحوال الناس في الحشر مختلفة فمنهم الراكب وهم المتقون ، ومنهم الماشى على رجليه وهم قليلو الأعمال ، ومنهم الماشى على وجهه وهم الكفار ، ومنهم الأعمى وهو الجائر في الحكم . ومنهم الأصم الأبكم وهو المعجب بطلمه ■ ومن يمضخ لسانه ويسيل القيح من فمه وهم الوعاظ الذين تخالف أعمالهم أقوالهم .

وأول من تتشق الأرض عنه ويبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أنه أول من يرد الحشر ، وأول من يدخل الجنة ، وقبل انصراف الناس من هذا الموقف سيقفون على جميع أعمالهم وسيكون سؤالهم عنها بكيفية يعلمها الله تعالى .

وسيكون الحساب للمؤمنين والكافرين انساباً وجنا بعد أخذ العباد

(١) أى جرحه . (٢) أخرجه مسلم والترمذى .

(٣) النور : ٢٤ (٤) يوزعون : أى يساقون .

(٥) فصلت : ١٩ ، ٢٠ .

(٦) سورة ق : ٢١ ، سائق : أى مالك يسوقها الى الحشر .



صحائف أعمالهم • ولا يكون للمعصومين ومن استثنى من الحساب وهم سبعون ألفاً أفضلهم أبو كبر الصديق رضى الله عنهم •  
وسيكون بصور مختلفة : فمنه السر ، ومنه العن ، ومنه اليسير ،  
ومنه العسير ، ومنه ما معه الفضل ، ومنه ما معه العدل •  
وحكمته مع علمه تعالى بأعمال العباد اظهار فضل المتقين ، وفضيحة  
الفجار على رؤوس الأشهاد ليس الأولون ويساء الآخرون •

\* \* \*

فاذكر كل هذا وحاسب نفسك قبل أن تحاسب<sup>(١)</sup> وقبل أن يجيء  
اليوم الذى سيقول الله تعالى فيه :  
« اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »<sup>(٢)</sup> وقوله كما ورد فى  
حديث قدسى : « ألم أجعل لك سمعا ، وبصرا ، ومالا ، وولدا ، وسخرت  
لك الأنعام والحرث ، وتركتك ترأس وترتع ؟ أكنت تظن أنك ملاقى  
يومك هذا ؟ فيقول : لا • فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتنى »<sup>(٣)</sup> •

\* \* \*

\* وقصر أمك : فى هذه الحياة الأولى حتى لا تتربح على قلبك  
فتنسيك الآخرة التى اليها ستنتقل مهما طالبت حياتك فى الدنيا كما ورد فى  
حديث قدسى يقول الله تبارك وتعالى فيه : « يا ابن آدم • لا تغتر بشبابك  
فكم من شاب سيقك الى الموت ، يا ابن آدم • لا تفرح بدينك فلست  
بمخلد ••• » •

ولهذا قال الحكماء : العاقل المصيب : من عرف الله تعالى فأطاعه ،  
وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه  
وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها ، العاقل المصيب : من  
ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبرا قبل أن يدخل فيه ، وأرضى  
خالقه قبل أن يلقاه •

ومن هنا كان من الحكمة أن يضع العاقل حدا لهذه الأمنى المتعلقة  
بهذه الدنيا الفانية حتى لا يكون مطية لها وحتى لا يكون من أهل  
الشقاء ، فقد ورد : « أربعة من الشقاء : جمود العين ، وقسوة القلب ،

(١) بفتح السين • (٢) الاسراء : ١٤

(٣) أخرجه الترمذى وقال : صحيح غريب •

وطول الأمل ، والحرص على الدنيا «<sup>(١)</sup> كما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه :

« اللهم انى أعوذ بك من ذنب يمنع خيرا الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خيرا الممات ، وأعوذ بك من حياة تمنع خيرا الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خيرا العمل » .  
مع ملاحظة أنه ليس كل أمل مدموما . وفي ذلك يقول ابن الجوزي رحمه الله : « الأمل مذموم الا للعلماء ، فلولا أملهم لما ألفوا ولا صنعوا ، وفي الأمل سر لطيف لأنه لولا الأمل لما تهنا أحد بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا » .

والله در المنفلوطي رحمه الله فلقده قال في هذا :

« لو علم الجامع أنه يجمع للوارث ، وهذا الوالد أنه يلد للموت ، وهذا الباني أنه يبني للخراب . ما جمع الجامع ، ولا ولد الوالد ، ولا بنى الباني . انما نحن أحياء بالآمال ، وان كانت باطلة ، وسعداء بالأمانى وان كانت كاذبة » .

فليست حياة المرء الا أمانيا اذا هي ضاعت فالحياة على الأثر ويؤكد هذا المعنى قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « انما الأمل رحمة من الله لأمتي ، ولولا الأمل ما أرضعت أم ولدها ، ولا غرس غارس شجرا »<sup>(٢)</sup> .

وحتى تدرك حقيقة الهدف بايجاز اليك ما قاله سيدنا على رضى الله عنه في خطبة له : « ان أخوف ما أخاف عليكم : اتباع الهوى ، وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة » .

ألا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة . ألا وان الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . فان اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل »<sup>(٣)</sup> .  
فاتق الله وقصر أملا ليس في الدنيا خلود للملا

\* \* \*

\* وأحسن عملك : حتى تكون من خير الناس وأحبهم الى الله : فقد ورد في حديث شريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات

(٢) رواه الخطيب عن أنس .

(١) رواه البزار عن أنس .

(٣) ذكره أبو نعيم في « الحلية » .

يوم : « ألا أنبئكم بخياركم » ؟ قالوا : نعم . قال : « خياركم أطولكم أعمارا ، وأحسنكم أعمالا » (١) كما ورد في حديث آخر : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » (٢) .

ولهذا كان لابد أن تراقب الله تعالى في كل أعمالك حتى يتحقق هذا الاحسان الذى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليه في قوله عندما سأله سيدنا جبريل عن الاحسان : « ... أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٣) .

والمطلوب منك : اذا كنت مدرسا ، أو موظفا ، أو تاجرا ، أو صانعا ، أو غارسا ، أو مصليا ، أو صائما ... الخ :

أن تراقب الله تعالى في كل هذه العبادات بمعنى أن تعتبر نفسك تحت مراقبة الله القائل : « لا يضيع أجر من أحسن عملا » (٤) .

انا وان كرمت أو ائلنا لسنا على الأحساب نتكل  
بنى كما كانت أو ائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

\* \* \*

فليس الفتى من يقول كان أبى بل الفتى من يقول هأنذا مع ملاحظة أن : « ... من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (٥) .

\* واياك أن تشتم مسلما : وحسبك تحذيرا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » (٦) . ومعنى فسوق : أى خروج عن طاعة الله تعالى لأنه سبحانه نهى عن هذا فقال : « ولا تتابزوا بالألقاب ، بنس الاسم الفسوق بعد الايمان » (٧) .

وحسبك أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يكون المؤمن لعانا » (٨) .

(١) رواه احمد ورواه رواية الصحيح ، وابن حبان في صحيحه والبيهقى .

(٢) حديث صحيح . (٣) جزء من حديث رواه مسلم .

(٤) الكهف : ٣٠ . بلنظ : « انا لا نضيع » .

(٥) جزء من حديث صحيح رواه مسلم .

(٦) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(٧) الحجرات : ١١ .

(٨) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

وقوله : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا » (١) .  
وتأمل معنى قول الشافعي رضى الله عنه :

إذا شئت أن تحيا سليما من الردى      ودينك موفور وعرضك صين  
فلا ينطقن منك اللسان بسوأة      فلك سوات وللناس السن  
وعينك ان أبدت اليك مساويا      لقول فقل يا عين للناس عين  
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى      ودافع ولكن بالتى هى أحسن

\*\*\*

\* أو تصدق كاذبا : وذلك لأنه فاجر ففى الحديث : « إذا كذب  
العبد فجر (٢) ، وإذا فجر كفر ، وإذا كفر دخل النار » (٣) ، وهو  
مناقق كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث :  
إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر » (٤) .  
فاذا كان هذا هو شأن الكاذب فكيف تصدقه ؟

فكن من أجل كل هذا مبغضا له وضع اصبعيك فى أذنيك حتى  
لا تستمع الى حديثه أو وشايته فتقع بسبب ذلك فى شبك الشيطان  
وتكون شريكا له فى الاثم .

\*\*\*

\* أو تكذب صادقا : وإذا كان الصادق من الذين ضمن الرسول  
صلى الله عليه وسلم لهم الجنة كما جاء فى الحديث الشريف الذى قرأناه  
سابقا فى موضوع الصدق والذى يقول فيه : « اضمنوا الى من أنفسكم  
ستا أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ،  
وأدوا إذا اتتمتم ، واحفظوا فرؤجكم ، وغضو أبصاركم ، وكفوا  
أيديكم » (٥) .

وإذا كان من الصديقين « الذين أنعم الله عليهم » (٦) فكيف تكذبه ؟

\*\*\*

(١) رواه مسلم وغيره والحاكم .

(٢) أى اتبعث فى المعاصى والمحرمات .

(٣) جزء من حديث رواه أحمد .

(٤) رواه البخارى ومسلم وزاد فى رواية له : « وان صام وصلى

حوزع أنه مسلم » .

(٥) رواه أحمد وابن أبى الدنيا وابن حبان فى صحيحه .

(٦) النساء : ٦٩

\* أو تعصى اماما عادلا : واذا كان الامام العادل : وهو الذى يتحرى العدل فى رعيته من السبعة الذين سيظلمهم الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل الا ظله بنص الحديث الشريف الذى يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم :

«سبعة يظلمهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله<sup>(١)</sup> : امام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل دعت امرأه ذات منصب وجمال ، فقال : انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»<sup>(٢)</sup> .

واذا كان من الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم بنص الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين»<sup>(٣)</sup> .

واذا كان من أحب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا كما جاء فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أحب الناس الى الله يوم القيامة ، وأدناهم منه مجلسا : امام عادل ، وأبعدهم منه مجلسا : امام جائر»<sup>(٤)</sup> واذا كان عدل ساعة منه أفضل من عبادة ستين سنة من غيره كما جاء فى حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة : « يا أبا هريرة .. عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها . ويا أبا هريرة .. جور ساعة فى حكم أشد وأعظم عند الله عز وجل من معاصى الله ستين سنة»<sup>(٥)</sup> فكيف تعصيه ؟

\* \* \*

- (١) أى لا ظل الا ظل عرشه سبحانه وتعالى .  
 (٢) رواه البخارى ومسلم .  
 (٣) رواه أحمد والترمذى وحسنه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما .  
 (٤) رواه الترمذى والطبرانى فى « الأوسط » مختصرا .  
 (٥) رواه الأصبهاتى .

\* وأن تفسد في الأرض : وحسبك تحذير الك قول الله تعالى :  
 « ٠٠٠ ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين » (١) .  
 وقوله : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض  
 فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا  
 من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (٢) ،  
 وحتى لا تقع في هذا الذنب اليك هذا الحديث الشريف : « ما طفف  
 قوم كيلا ، ولا بخسوا ميزانا الا منعهم الله عز وجل القطر ، وما ظهر  
 في قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت ، وما ظهر في قوم الربا الا سلب الله  
 عليهم الجنون ، ولا ظهر في قوم القتل ، يقتل بعضهم بعضا الا سلب  
 الله عليهم عدوهم ، ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط ، الا ظهر فيهم الخسف ،  
 وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا لم ترفع أعمالهم ،  
 ولم يسمع دعاؤهم » (٣) .

مع ملاحظة أن : « البدن مملكة النفس ومدينتها ، والقلب وسط  
 المملكة ، والأعضاء كالخدم ، والقوى الباطنة كضياع المدينة ، والعقل  
 كالوزير المشفق الناصح له ، والشهود كطالب أرزاق الخدام ، والغضب  
 صاحب الشرطة وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ، والقوى  
 المخيلة في مقدم الدماغ كالمخازن . والقوى المفكرة في وسط الدماغ ،  
 والقوى الحافظة في آخر الدماغ ، واللسان كالترجمان ، والحواس  
 الخمس جواسيس . وقد وكل كل واحد منهم بصنيع من الصناعات ،  
 فوكل العين بعالم الألوان ، والسمع بعالم الأصوات ، وكذلك سائرها  
 فانها أصحاب الاخبار .

ثم قيل : هي كالحجبة توصل الى النفس ما تدركه ، وقيل : ان  
 السمع والبصر والشم كالطاقات تنظر منها النفس . فالقلب هو كالملك  
 فاذا صلح الراعي صلحت الرعية ، واذا فسد فسدت الرعية ، وانما  
 يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنية . كالغل ، والحقذ ،  
 والحسد ، والشح ، والبخل ، والكبر ، والسخرية ، والرياء والسمعة ،  
 والمكر والمرض والحرص ، والطمع ، وعدم الرضا بالمقدور . . الخ » (٤)

(٢) المسائدة : ٣٣

(١) القصص : ٧٧

(٣) رواه الطبراني وغيره من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس

(٤) من اقوال الحكماء .

رضي الله عنهما .

فهل سنتخلص من هذه الأمراض حتى يصفو الجو من هذه المعاصي  
التي أحدثت في الأرض فسادا في المياه والهواء والزرع والثمار والمسكن  
فكان ما أشار الله تعالى إليه في قوله :

« ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم  
بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » (١) .

أرجو أن يكون الجواب نعم ، كما أرجو أن تتأمل قول ابن المبارك :  
رأيت الذنوب تमित القلوب وقد يورث الذل ادمانها  
وهل أفسد الدين الا الملو ك وأحبار سوء ورهبانها

\* \* \*

\* واذكر الله عند كل شجر وحجر : والمراد أن تذكر الله تعالى  
في كل مكان ولا سيما عندما تتأمل في آية من آياته الكونية التي  
لا حصر لها :

ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد  
وحسبك اذا أردت أن تدقق النظر في هذا الكون العجيب الذي  
لا تنتهي عجائبه والذي تتفأ أمامه عاجزا عن مواصلة التفكير فيه ،  
أن تقول مع هذا الرجل الموحد (٢) :

« تعاليت يا رب ما أجلك : خلقت الخلق وأجريت الرزق ، بك ينمو  
الزرع ، ويدر الضرع ، سبحانك اللهم ما أوسع ملكك ، وما أعظم  
سلطانك ، السماء والأرض لك ، والملائكة الأطهار جنودك ، والملوك  
المتوجون عبيدك .

تباركت وتعاليت : صنعت فأعجزت ، وصورت فأحسننت ، الجن  
والانس خلقك ، والجسم والروح عملك : لا اله الا أنت منحتنا بصائر  
لا تنكرك ، وأبصارا لا تدركك ، يسبح الرعد بحمديك ، ويترنم الطائر  
بمجدك .

البحار لا تقر من خشيتك ، والجبال جامدة من هيبتك ، ولقد  
جرى النسيم بلطفك ، وتقلب كل مخلوق في رحمتك .  
تباركت تباركت : لا أول قبلك ولا آخر بعدك .  
كيف تخفى والشمس بعض بيناتك ؟ وكيف تدرك والروح بعض  
أسرارك ، فأنت الأول والآخر والظاهر والباطن .

(١) الروم : ٤١

(٢) وهو الشاعر الأزهرى : الشيخ محمد الأسمر رحمه الله .

تعاليت تعاليت : آمن بك المؤمن ولم يرك ، وجحدك الجاحد  
 ووجوده شاهد بوجودك •

سبحانك •• سبحانك : بهرتنا الآؤك ، وغاب عنا لآؤك ، ماء  
 وحجر ، وأرض وقمر ، وزاحف وطائر ، وصاحح وباعم ، أنبت لنا من  
 الأرض عجبا ، نخيل وأشجار وأزاهير وثمار •

رب •• من أين للورد شذاه ؟ ومن أين للغصن عوده ولحاه ؟  
 ومن أين للثمار طعومها المختلفة ؟ وأشكالها المتباينة ؟ وألوانها المتغايرة ؟  
 من أين كل هذا يا رب ؟ سائغ وغير سائغ ، وناصع وفاقع •

تباركت : مخرج الخضراء من الغبراء • وخالق العجب من  
 طين وماء •

سبحانك اللهم سبحانك : جلت عظمتك ، وتعاليت قدرتك ، أعجزت  
 الانسان بالجبال والنمال ، بل أعجزت الانسان بذات الانسان •

عظم ولحم ، وعروق ودم ، وظفر وشعر ، وسمع وبصر • قلت  
 للسان : ذق ، وهو لحمه فذاق • وقلت للعين : أبصرى ، وهى شحمة  
 فأبصرت •

سبحانك اللهم : وهذا القلب الخافق بم يخفق؟! أشهد أن  
 لا اله الا أنت رب المشارق والمغرب والنجوم والكواكب ، تباعدت  
 فهى منفصلة ، وتحاذيت فهى متصلة •

عجزت عقولنا عن الاحاطة ببعض ما خلقت ، فكيف تحيط بك ؟  
 سبحانك سبحانك : هذه دنياك فكيف آخرتك ؟ وهذا شأن آثارك  
 فكيف شأنك ؟

تباركت من اله صادق ، وتعاليت من رب حق •  
 فكن شبيها بهذا الموحد اذا أردت أن تكون من أولى الأسباب  
 « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق  
 السموات والأرض » ثم يقولون : « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك  
 فقنا عذاب النار » (١) •

\* \* \*

\* وأحدث لكل ذنب توبة : وحسبك هذا الحديث الشريف الذبح



رواه أبو هريرة رضى الله عنه أنه سَمِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان عبدا أصاب ذنبا فقال : يا رب .. انى أذنبت ذنبا فأغفره . فقال له ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، فغفر له ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر — وربما قال : ثم أذنب ذنبا آخر — فقال : يا رب .. انى أذنبت ذنبا آخر فأغفر لى . قال ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، فغفر له . ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنبا آخر — وربما قال : ثم أذنب ذنبا آخر — فقال : يا رب .. انى أذنبت ذنبا فأغفر لى . فقال له ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، فقال ربه : « غفرت لعبدى فليعمل ما شاء » (١) .

هذا اذا لم يكن مصرا على الذنب . أما اذا كان مصرا فان توبته تعتبر كاذبة ، وليس المراد بقوله تعالى : « فليعمل ما شاء » أن الله تعالى يبيح له الوقوع فى الذنب ، وانما كان هذا لأن الله علم من حال هذا الرجل أنه كلما أذنب تاب وأنه لا يصر على الذنب بل يقر به ويطلب عفوانه من الله ، فغفر له مغفرة مطلقة .

وهذا الحديث كما يقول أبو العباس فى « الجهم » : « يدل على عظم فائدة الاستغفار وكثرة فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه . ولكن هذا الاستغفار هو الذى يثبت معناه فى القلب مقارنا لتحتل به عقدة الاصرار ويحصل معه الندم لا من قال : أستغفر الله بلسانه وقلبه مصر على تلك المعصية » .

فاذكر كل هذا بالاضافة الى هذه البشرى :

قال صلى الله عليه وسلم : « اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظته ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعامله من الأرض حتى يلتقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب » (٢) .  
وفقنى الله وإياك وهدانا سبيل الرشاد .

\* \* \*

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الأصبهاتى وكذلك ابن عسكرو والحكيم الترمذى عن أنس .

## الجزء الثالث

# الوصية الثالثة عشرة

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال :

« يا معاذ .. والله انى لأحبك ثم أوصيك : يا معاذ ..

لا تدعن فى دبر كل صلاة تقول :

اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »

(رواه ابو داوود والنسائى باسناد صحيح ) .

\*\*\*

فكن أخا الاسلام :

أهلا لهذه الوصية العظيمة التى ما فاز بها سيدنا معاذ رضى الله عنه الا لأنه كان حبيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . مع ملاحظة أن هذا الدعاء الوارد فى هذه الوصية : من الأدعية الواردة فى ختام الصلاة .

وحتى تقف على أصح هذه الروايات الواردة فى هذا الموضوع اليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن ثوبان مولى النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاکرام » (١) . وعن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ آية الكرسي فى دبر الصلاة المكتوبة كان فى ذمة الله » (٢) الى الصلاة الأخرى » (٣) .

(١) أخرجه السبعة الا البخارى وزاد مسلم : قال الوليد : نقلت للأوزاعى : كيفية الاستغفار ؟ قال : يقول : استغفر الله ، استغفر الله ، استغفر الله .  
(٢) أى فى حفظه وولايته .  
(٣) أخرجه الطبرانى بسند حسن .

وعن عقبه بن عامر رضى الله عنه قال : « أمرنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أن أقرأ بالمعوذتين <sup>(١)</sup> دبر كل صلاة » <sup>(٢)</sup> .  
يقول عقبه : بينما أسير مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتعوذ بأعوذ برب الملق ، وأعوذ برب الناس ويقول : « يا عقبه .. تعوذ بهما فما تعوذ متعوذا بمثلهما » <sup>(٣)</sup> .



### ما ورد في التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد

#### عقب الصلاة

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلک تسع وتسعون ، ثم قال فى تمام المائة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، غفرت خطاياهم ولو كانت مثل زبد البحر » <sup>(٤)</sup> .

عن سمي عن أبى صالح عن أبى هريرة أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ذهب أهل الدثور <sup>(٥)</sup> بالدرجات العلاء والنعيم المقيم . قال : وما ذاك ؟ قالوا : يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « تسبحون الله وتكبرون ، وتحمدون دبر <sup>(٦)</sup> كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة » فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

(١) وهما سورتا : الفلق والناس .

(٢) أخرجه أحمد والثلاثة .

(٣) أخرجه أبو داود والبيهقى .

(٤) أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود .

(٥) أى الأموال الكثيرة . (٦) أى بعد كل صلاة .

سمع اخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .  
قال سمي : فحدثت بعض أهلى بهذا الحديث فقال : وهمت انما قال لك : « تسبح ثلاثا وثلاثين ، وتحمد ثلاثا وثلاثين ، وتكبر أربعاً وثلاثين » .

فرجعت الى أبى صالح فقلت له ذلك ، فأخذ بيدي فقتل : الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله . حتى بلغ من جميعهن ثلاثا وثلاثين (١) .

وفي رواية أخرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« تكبر دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وتسبح ثلاثا وثلاثين ، وتحمد ثلاثا وثلاثين ، وتختتمها بلاء لله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » (٢) .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فاذا صليتم فقولوا : سبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة ، والله أكبر أربعاً وثلاثين ، ولا اله الا الله عشر مرات » (٣) .

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : « خلتان (٤) من حافظ عليهما أدخلتاه الجنة ، وهما يسيرون ومن يعمل بهما قليل » قالوا : وما هما يا رسول الله ؟ قال : « أن تحمد الله وتكبره وتسبحه في دبر كل صلاة مكتوبة عشرا عشرا ، واذا أتيت الى مضجعتك تسبح الله وتكبره وتحمده مائة مرة ، فتلك خمسون ومئتان باللسان (٥) وألفان وخمسمائة في الميزان ، فأيكمل يعمل في اليوم واللييلة ألفين وخمسمائة سيئة » ؟

(١) أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم .

(٢) أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود .

(٣) أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب .

(٤) خصلتان حميتان .

(٥) وهذا بالنسبة لجميع الصلوات المفروضة في اليوم واللييلة أى  
( ٣٠ × ٥ + ١٠٠ × ١٠ الحسنة بعشر أمثالها ) في الميزان فيكون العدد

قالوا : كيف من يعمل بها قليل ؟ قال : « يجيء أحدكم الشيطان في صلاته فيذكره حاجة كذا وكذا فلا يقولها ، ويأتيه عند منامه فينومه فلا يقولها » قال : ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدهن بيده (١) .

فمن هذه الروايات يتبين لك بوضوح أن التسبيح ، والتحميد ، والتكبير دبر كل صلاة وورد بأعداد مختلفة غير أن أقواها : رواية التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثا وثلاثين . كما علم من هذه الروايات المتعددة والمختلفة أن مراعاة العدد المخصوص في الأذكار عقب الصلوات معتبرة ، والمفروض أن لا يتعداها الذكر والا حرم ثوابها ، لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصة تفوت بمجاورة ذلك العدد . وقد بالغ القراني فقال : من البدع المكروهة الزيادة في المندوبات المحدودة شرعا ، لأن شأن العظماء اذا حدوا شيئا أحبوا أن يوقف عنده ، ويعد الخارج عنه مسيئا للأدب . وقد مثله بعضهم بالدواء يكون فيه مثلا أوقية من السكر فلو زيد فيه أوقية أخرى لتخلف الانتفاع به ، ولو اقتصر على الأوقية في الدواء ثم استعمل من السكر بعد ذلك ما شاء لم يتخلف الانتفاع كما ورد جواز عد الذكر بالنوى والحصى ، وكذا بالسبحة اذ لا فارق ، فقد ورد في حديث شريف : « نعم المذكر السبحة » (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري : « أنه كان يسبح بالحصى » (٣) .  
وعن أبي هريرة : « أنه كان معه كيس فيه حصى أو نوى فيسبح به حتى ينفد » (٤) ومحل جواز السبحة للذكر ما لم يترتب عليه رياء وسمعة والا منع كما يمنع وضعها في العنق وادارتها في اليد من غير ذكر كما يفعل بعض الجهلة المرائين الدجالين .

ولهذا قال بعض العلماء : السبحة : « اما مسبحة ، أو مروحة ، أو مشبحة ، أو مقبحة » .

فلاحظ هذا المعنى ، وتعمق في فهمه ، مع ملاحظة : أن التسبيح

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٢) أخرجه الديلمي في مستدرك الفردوس عن علي رضي الله عنه .

والسبحة : حرزات منظومة للتسبيح .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة .

على الأنامل<sup>(١)</sup> أفضل كما ورد في حديث ابن عمرو ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيمينه<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

### خلاصة ختام الصلاة

يسن للمصلي إذا سلم من صلاته ، وقبل أن يصفح أحدا : أن يستغفر الله ثلاثا ، ثم يقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك » .

ثم يقرأ آية الكرسي<sup>(٣)</sup> ، وقل هو الله أحد<sup>(٤)</sup> - والمؤذنين<sup>(٥)</sup> ثم يقول : سبحان الله ثلاثا وثلاثين ، والحمد لله ثلاثا وثلاثين ، والله أكبر ثلاثا وثلاثين ، ثم يختم المائة بقوله : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .  
ثم بعد ذلك يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة .

\* \* \*

ولما كان الدعاء بالمأثور أحب وأفضل فقد رأيت اتعابا لهذا الخبير أن أسوق اليك بعض هذه الأدعية المأثورة :  
كان سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر الصلاة :  
« اللهم انى أعوذ بك من البخل<sup>(٦)</sup> ، وأعوذ بك من اللجين<sup>(٧)</sup> ، وأعوذ بك أن أزد الى أزدل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر<sup>(٨)</sup> » .  
كما ورد في حديث مسلم بن أبى بكره عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة :

(١) أى عقل الأصابع .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم وصححه .

(٣) البقرة : ٢٥٥ (٤) سورة الاخلاص .

(٥) سورتى الفلق والناس .

(٦ ، ٧) البخل : هو الشح بالمال ، اللجين : هو الشح بالنفس .

(٨) أخرجه البخارى والترمذى وصححه .

« اللهم اغفنى في بصرى ، اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقير ،  
 اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، لا اله الا أنت » (١) .  
 كما ورد في حديث على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه  
 وسلم كان اذا سلم من الصلاة قال :  
 « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ،  
 وما أسرفت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر ،  
 لا اله الا أنت » (٢) .

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة : أن النبى صلى الله عليه وسلم  
 كان يقول بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب وقبل ختام الصلاة الذى  
 وقفت عليه : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد  
 وهو على كل شيء قدير » عشر مرات .

كما ورد في حديث أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال : « من قال اذا صلى الصبح : لا اله الا الله  
 وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر  
 مرات كى كعدل (٣) أربع رقاب ، وكتب له بهن عشر حسنات ، ومضى  
 عنه عشر سيئات ، ورفع له بهن عشر درجات وكن له حرسا من الشيطان  
 حتى يمسى . واذا قالها بعد المغرب فمثل ذلك » (٤) .

وفي حديث أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
 « من قال دبر كل صلاة الغداة (٥) : لا اله الا الله وحده لا شريك  
 له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير ، وهو على كل شيء  
 قدير مائة مرة قبل أن يثنى رجله (٦) كان يومئذ من أفضل أهل الأرض  
 عملا الا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال » (٧) .

وأنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اذا صليت الصبح فقل  
 قبل أن تتكلم : اللهم أجرنى من النار سبع مرات ، فانك ان مت من

(١) أخرجه ابو داوود والحاكم وصححه السيوطى .

(٢) أخرجه احمد ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وصححه

الترمذى .

(٣) أى مثل عتق أربع رقاب من العبيد .

(٤) أخرجه احمد . (٥) أى صلاة الصبح .

(٦) أى وهو على هيئة التشهد فى الصلاة .

(٧) أخرجه الطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » .

يومك ذلك كتب الله لك جوارا من النار ، واذا صليت المغرب فقل قبل  
أن تتكلم : اللهم انى أسألك الجنة ، اللهم أجرنى من النار سبع مرات ،  
فانك ان مت من ليلتك كتب الله لك جوارا من النار « (١) » .

\* \* \*

فاحرص على ختام الصلاة حتى تفوز بهذه الجوائز الربانية ،  
وتكفر عن كل ما حدث في صلاتك من وساوس شيطانية .  
واياك أن ترفع صوتك أثناء ختامك للصلاة حتى لا تكون مخالفا  
للسنة ، هذا بالإضافة الى التشويش على مأوم مسبوق قام بعد  
تسليم الامام لاتمام صلاته (٢) باتيان ما فاته من ركعات .  
اللهم اذا كنت اماما وتريد تعليم المأمومين ختام الصلاة الوارد  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا مانع حينئذ من رفع صوتك  
للتعليم (٣) دون ضجيج أو تهريج .

\* \* \*

ثم بعد ذلك وبعد أن وقفت على أهم ما ورد بالنسبة لختام الصلاة  
اليك هذا المعنى الذى تحتوى عليه كلمة : « اللهم أعنى » وخلاصته :  
أن الدنيا كثيرا ما تكون سببا فى انشغال الانسان عن ربه وكثيرا  
ما تكون سببا فى ضياعه وهلاكه ، ولهذا : كان من الحكمة أن نسال  
الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته حتى  
نكون فى حصانة من فتنتها وكيدها .

وهذا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله  
عنه عندما قال له : يا رسول الله .. أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة  
ويباعدنى عن النار .. قال : « لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على  
من يسره الله تعالى عليه » (٤) .

فافهم هذا المعنى وسل الله أن يعينك على ذكره حتى لا تكون من  
أهل الغفلة الذين « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » (٥) .

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى بسند جيد وابن ماجه وابن حبان  
وصححه .

(٢) التشويش على مثل هذا حرام لانك قد تقصد عليه صلاته بسبب  
رفع صوتك .

(٣) على أن لا يستمر هذا الفعل كما يحدث الآن من المتدعين .

(٤) من حديث حسن صحيح رواه الترمذى .

(٥) الحشر : ١٩



وحتى يكون الشيطان بعيدا عنك ، فقد قال الله تعالى :  
**« ومن يعش (١) عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » (٢) .**  
 مع ملاحظة أن الذكر في اللغة ضد النسيان ، وأنه لا يكون فقط  
 باللسان وإنما يجب أن يكون بجميع الجوارح ، ولهذا قال العلماء :  
 ذكر القلب : الخوف والرجاء ، وذكر اللسان : المدح والثناء ، وذكر  
 البدن : الوفاء ، وذكر الروح : التسليم والرضا .  
 واعلم أن قراءة القرآن ذكر . وهو أفضل الأذكار . . . والصلاة  
 على النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
 ذكر ، ومدارسة العلوم الدينية والتفقه فيها ذكر ، وكل ما يوصلك  
 إلى الله تعالى فهو ذكر .

\* \* \*

فكن من الذاكرين لله سبحانه وتعالى بكل جوارحك حتى تكون  
 من الذين : **« أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » (٣) وحسبك هذا الشرف**  
 الذي أشار الله تعالى إليه في حديث قدسي قال فيه : **« . . . فإذا ذكرني**  
**في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملاذكرته في ملاخير منهم » (٤) .**  
 وهم الملائكة الذين فازوا بشرف القرب منه سبحانه ، ثم حسبك كذلك  
 أن تعلم أن الذكر هو طب القلوب ودواؤها . وعافية الأبدان وشفائها ،  
 ونور الأبصار وضيائها : به تطمئن القلوب ، وتنفرج الكرب ، وتعفر  
 الخطايا والذنوب . ولهذا أمر الله تعالى به وحث عليه ، ورغب فيه  
 ومدح أهله فقال تعالى : **« ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (٥) .**  
 وقال : **« والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة**  
**وأجرا عظيما » (٦) .**

\* \* \*

أما الشكر : فهو الاقرار والاعتراف بما أنعم الله تعالى به عليك ،  
 وهو أيضا : الثناء على المحسن بذكر احسانه ، وهو : زيادة في النعم ،  
 وأمان من النقم فإذا كان الله تعالى قد أنعم عليك . . . وما أكثر هذه  
 النعم التي أشار الله سبحانه وتعالى إليها في قوله : **« وإن تعدوا نعمة**

(٢) الزخرف : ٣٦

(١) أي يغفل .

(٣) الأحزاب : ٣٥

(٤) من حديث رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٦) الأحزاب : ٣٥

(٥) الرعد : ٢٨

الله لا تحسوها» (١) وقوله : « وما بكم من نعمته فمن الله » (٢)  
 ولا سيما نعمة الايمان والاسلام ونعمة الصحة والعافية ، ونعمة الغنى  
 عن الناس . الخ ، فكل هذه النعم التي لا حصر لها تحتاج منا شكرا  
 للمنعم سبحانه الذى يقول :

« وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » (٣) .  
 « وترى الفلك مواخر فيه ولتبتفوا من فضله ولعلكم  
 تشكرون » (٤) .

« وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » (٥) .  
 « ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غنى  
 حميد » (٦) .

« لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » (٧) .  
 فتأمل هذه الآيات : « وكن من الشاكرين » (٨) .

مع ملاحظة أن شكرك من أجرى الله الخير على يديه يعتبر شكرا  
 لله سبحانه وتعالى كما ورد في الحديث القدسي الذى يقول فيه سبحانه :  
 « عبدى . . اذا لم تشكر من أجرى الخير على يديه لم تشكرنى »  
 وفي الحديث الشريف : « ان أشكر الناس لله تبارك وتعالى أشكرهم  
 للناس » (٩) وفي حديث آخر : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » (١٠) .  
 فلا تنس كل هذا ونفذه تنفيذا لأمر الله تعالى فى قوله : « فاذكرونى  
 أنكركم واشكروا لى ولا تكفرون » (١١) .

واعلم : أن الشكر كما يكون بالقلب واللسان يكون بجميع الجوارح :  
 فشكر اليدين العطاء ، وشكر العينين أن تستر عيب أخيك المسلم وأن  
 لا تنظر الى ما لا يحل ، وشكر الأذنين أن لا تسمع ما لا يحل ، وذكر  
 القلب أن تعمل على تطهيره من الأحقاد والأدران .  
 ثم تأمل معى معانى هذه الآثار : دخل سفيان الثورى رحمه الله

(٢) النحل : ٥٣

(٤) النحل : ١٤

(٦) لقمان : ١٢

(٨) الزمر : ٦٦

(١) النحل : ١٨

(٣) الانفال : ٢٦

(٥) النحل : ٧٨

(٧) ابراهيم : ٧

(٩) رواه أحمد بسند رواه ثقات .

(١١) البقرة : ١٥٢

(١٠) صححه الترمذى وغيره .

على جعفر الصادق رضى الله عنه وقال له : علمنى يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما علمك الله فقال له :

إذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار ، وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر ، وإذا تظاهرت الغموم ، فقل : « لا حول ولا قوة الا بالله » فخرج سفيان وهو يقول : ثلاث وأى ثلاث .

وقال بعض العارفين : من أعطى أربعاً لم يمنع من أربع : من أعطى الشكر لم يمنع الزيد لقوله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » (١) ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول لقوله تعالى : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده » (٢) ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » .

كما ورد أن داوود عليه السلام ، قال : « الهى .. كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك ؟ فأوحى الله اليه : الآن شكرتني » . ثم تأمل قول القائل :

وان طالت الأيام واتصل العمر	إذا كان شكرى نعمة الله نعمة
وان مس بالضرأ يعقبها الأجر	إذا مس بالسراء عم سرورها
تضيق بها الأوهام والسر والجهر	فما منهما الا له فيه نعمة
	والقائل :

لئن شكرتم لأزيدنكم      مقالة الله التى قالها  
فالكفر بالنعمة يدعو الى      زوالها والشكر أبقى لها

\*\*\*

وأما حسن العمل فهو اتقانه وتمامه حتى يكون فى درجة الكمال الذى يحبه الله سبحانه وتعالى الذى يقول : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (٣) .

فكن من هؤلاء الذين أحسنوا حتى تكون معهم فى جنة الخلد التى لا دوام للتعميم الا فيها . ولا تكن من الذين : « خرجوا من الدنيا

(٢) الشورى : ٢٥

(١) ابراهيم : ٧

(٣) يونس : ٢٦

ولا حسنة لهم ، يقولون : نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا ،  
لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل « كما ورد في الحديث الصحيح .  
وليكن أهم شيء تحرص على اتمامه واتقانه هو الصلاة ، فقد  
ورد في الحديث الشريف : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة  
الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر  
عمله » (١) .

كما ورد : « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته » ،  
قالوا : يا رسول الله .. وكيف يسرق من الصلاة ؟ قال : « لا يتم  
ركوعها ولا سجودها - أو قال : لا يقيم صلبه في الركوع  
والسجود - » (٢) .

كما ورد عن أبي عبد الله الأشعري : أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات  
على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم » ثم قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع  
يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا » (٣) .

كما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها ،  
وأتى لها قيامها وخشوعها وسجودها ، خرجت وهي بيضاء مسفرة (٤)  
تقول : حفظك الله كما حفظتني ، ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ  
لها وضوءها ولم يتم خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهي  
سوداء مظلمة تقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، حتى إذا كانت حينئذ  
شاعت لفت كما يلف الثوب الخلق (٥) ثم ضرب بها وجهه » (٦) .



(١) رواه الطبراني في « الأوسط » بأسناد لا بأس به .

(٢) رواه أحمد والحكم عن أبي قتادة رضى الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في « الكبيرين » .

(٤) من سفر الصبح أى اضاء ( أى مضيئة ) .

(٥) أى البلى القديم .

(٦) رواه الطبراني في « الأوسط » .

فلاحظ كل هذا ، وكذلك بالنسبة لسائر العبادات والأعمال الشريفة المشروعة ، فقد ورد أيضا في الحديث الشريف : عن أبي يعلى شداد ابن أوس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتل<sup>(١)</sup> واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة<sup>(٢)</sup> وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »<sup>(٣)</sup> .

وسل الله سبحانه وتعالى دائما وأبدا أن يسدد خطاك ويوفقك ويعينك على ذكره وشكره ، وحسن عبادته حتى تكون من الناجحين في الدارين فتفوز « فوزا عظيما »<sup>(٤)</sup> .

« يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم »<sup>(٥)</sup> .

« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »<sup>(٦)</sup> .

« يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل

أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه »<sup>(٧)</sup> .

« يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله »<sup>(٨)</sup> .

« يوم يقوم الناس لرب العالمين »<sup>(٩)</sup> .

\* \* \*

وتذكر دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى :

« وكل انسان ألزمناه طائره<sup>(١٠)</sup> في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة

كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »<sup>(١١)</sup> .

\* \* \*

(١) القتل بـ كسر القاف هيئة القتل ، أى : لا تعذبوا القتل بالتشيل به .

(٢) الذبحة بالكسر هيئة الذبح أى لا تعذبوا ما تذبحون من الحيوانات

والطيور . (٣) رواه مسلم .

(٥) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩

(٧) عبس : ٣٤ — ٣٧

(٩) المطففين : ٦

(١١) الاسراء : ١٣ ، ١٤

(٤) النساء : ٧٣

(٦) النبأ : ٤٠

(٨) الانفطار : ١٩

(١٠) أى عمله .

# الوصية الرابعة عشرة

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : يا رسول الله ..  
أوصنى . قال :

« اعبد الله كأنك تراه ، واعدد نفسك في الموتى  
وان شئت أنباتك بما هو أملك بك من هذا كله ... »  
قال : هذا ، وأشار بيده الى لسانه » .

(رواه ابن ابى الدنيا باسناد جيد)



فكن أخا الاسلام :

متعمقا في فهم هذه الوصية التي جمعت فأوعت ، والتي يوصيك  
الرسول صلى الله عليه وسلم فيها — في شخص معاذ رضى الله عنه —  
بعده أمور هامة وأساسية :

\* أولها : أن تعبد الله كأنك تراه : وهذه الأولى هي أهم عنصر  
في الوصية ، بل : وفي بناء العقيدة الاسلامية الراسخة ، وخلاصة هذه  
الأولى : أن تراقب الله سبحانه وتعالى في جميع أعمالك الدنيوية  
والأخروية حتى يتحقق الاحسان الذي عناه الرسول صلى الله عليه  
وسلم في اجابته عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الاحسان  
فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » (1) .  
وهذا هو مقام المشاهدة الذي لا يصل اليه ولا يفوز به الا كل صديق .  
وبيان ذلك وايضاحه كما قال العلماء : أن للعبد في عبادته ثلاثة  
مقامات :

الأول : أن يفعلها على الوجه الذي يسقط معه الطلب وذلك  
بأن تكون مستوفية للشروط والأركان .  
الثاني : أن يفعلها كذلك وقد استغرق في بحار المكاشفة حتى كأنه

---

(1) جزء من حديث صحيح رواه مسلم .

يرى الله تعالى ، وهذا هو مقامه صلى الله عليه وسلم كما جاء في قوله :  
« وجعلت قرّة عيني في الصلاة » .

الثالث : أن يفعلها كذلك وقد غلب عليه أن الله يشاهده ، وهذا هو مقام المراقبة :

فقوله : « فان لم تكن تراه » نزول عن مقام المكاشفة الى مقام المراقبة ، أى ان لم تعبدته وأنت من أهل الرؤية فاعبده سبحانه وأنت تعتقد أنه يراك ، فكل هذه المقامات الثلاثة احسان .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا مع حرصك على أن تنال شرف العبودية لله رب العالمين . وحسبك شرفا بها أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى قال عن حبيبه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه في ليلة الاسراء : « سبحانه الذى أسرى بعبده ٠٠٠ » (١) ، كما قال في مقام الوحي : « فإوحى الى عبده ٠٠٠ » (٢) وفي مقام التبليغ : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » (٣) .

فتأمل هذا المعنى الكبير حتى تقول متباها مع العبد الفخور بعبوديته لله :

ومما زادنى شرفا وتيها وكدت بأخمصى أطأ الثريا  
دخولى تحت قولك : يا عبادى وأن صيرت أحمد لى نبيا

واعلم : أنك بمراقبتك لله تعالى ستصل الى درجة العارفين به :  
التي ان وصلت اليها كنت من أسعد السعداء فى الدنيا والآخرة ،  
وحسبك قول القائل : الذى ذاق وعرف (٤) :

من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقى  
هذا بالاضافة الى أنك ستصل معهم الى بر الأمان فى سفينة  
الإيمان ، تحت راية الاحسان ، كما ورد فى الأثر الذى يقول :

« العلم نهر ، والحكمة بحر ، فالعلماء حول النهر يطوفون ،  
والحكماء وسط البحر يغوصون ، والعارفون فى سفن النجاة يسيرون » .

\* \* \*

وعنتى تعرف من هو العارف بالله : اليك هذه الصورة الحية التى

(٢) النجم : ١٠ .  
(٤) فمن ذاق عرف .

(١) الاسراء : ١  
(٣) الجن : ١٩

سترى من خلالها أن المعرفة من أهم أسباب الرقى والوصول التي الله تعالى : وخلاصة هذه الصورة الفريدة أن معاوية رحمه الله بعد استشهاد على بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال لضرار الصدائى - وقد كان من أحباب على - : يا ضرار .. صف لى عليا . قال : أعفنى يا أمير المؤمنين . قال : لتصفنه ، قال : أما اذ لا بد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحيسته ، وكان والله غزير العبرة<sup>(١)</sup> طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، وينبئنا اذا استبأناه ، ونحن مع تقريبه ايانا وقربه منا : لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيتة فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تملل السليم<sup>(٢)</sup> ، ويكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرى غبرى ، الى تعرضت ؟ أم الى تشوفت ، هيهات هيهات .. قد باينتك<sup>(٣)</sup> ثلاثا لا رجعة فيها ، فعمرك قصير وخطرك<sup>(٤)</sup> حقير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحيشة الطريق .

فبكى معاوية ، وقال : رحم الله أبا الحسن ، فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدها فى حجرها « . فهذه الصورة الحية يا أخى تريك بوضوح كيف ( لعبت ) المعرفة فى حياة على رضى الله عنه دورا كبيرا حتى أصبح بطلا من أبطال الاسلام وعلما من أعلامه ، وحتى أصبح أهلا لمصاهرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى زوجه ابنته الزهراء التى كان يحبها حبا جما لدرجة أنه كان يقول لها مرحبا : « مرحبا بأبى أبيها » .

فاذا أردت يا أخى أن تكون من العارفين بالله فإليك هذا التعريف حتى تكون منهم عملا لا قولاً : « العارف بالله : من اذا ذكر الله افتخر ، واذا ذكر نفسه احتقر ، واذا نظر فى آيات الله اعتبر ، واذا هم بمعصية ،

(٢) السليم : اللديغ .

(١) أى الدعوع .

(٣) أى طلتك طلاقا لا رجعة بعده . (٤) الخطر : هو القدر والمنزلة .



أو شهوة انزجر ، وإذا ذكر ذنوبه استعفر ، وإذا ذكر عفو الله استبشر » •  
 فكن من هؤلاء العارفين الذين انتفعوا وكانوا هداة مهديين ببركة  
 المراقبة لله في الظاهر والباطن حتى أصبحت الدنيا طوع اراداتهم وتحت  
 تصرفهم ، ودانت لهم الأمم ، وخضعت لسلطانهم الرقاب وكان فضل  
 الله عليهم عظيما •

\* \* \*

فلنكن من هؤلاء أو على الأقل شبيها بهم ، وتأمل قول القائل :  
 وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح

\* \* \*

وليكن تركيزك في ميدان المراقبة على الصلاة لأنها مركز الاشعاع  
 وجامعة الأركان التي تحمل بناء الاسلام •  
 ولعلك تلاحظ هذا وأنت تصلى : فأنت تحقق الركن الأول وأنت  
 تقول في التشهد : « أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده  
 ورسوله » •

وتحقق الركن الثاني : وهو الصلاة وأنت تقف بين يدي الله تعالى  
 مؤديا هذه الفريضة •

وتحقق الركن الثالث : وهو الزكاة وأنت تؤدي زكاة جسدك  
 بركوعك وسجودك ، وكذلك زكاة وقتك •

وتحقق الركن الرابع : وهو الصيام بامتناعك عن الطعام والشراب  
 وأنت في الصلاة والابطلت •

وتحقق الركن الخامس : وهو الحج وأنت تتجه الى الكعبة في  
 صلاتك فتكون مشوقا لرؤيتها والطواف حولها •

فهذه هي أركان الاسلام التي وردت في قوله صلى الله عليه وسلم :  
 « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ،  
 واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » (١)  
 ولهذا كانت الصلاة عماد الدين أو عمود الدين كما ورد في الحديث  
 الشريف •

\* \* \*

وقد اتفق العلماء على أنه يطلب من المصلى أن يكون خاشعا  
 خاضعا مستحضرا عظمة الله تعالى وهيئته حتى يتحقق الخشوع الذي

أشار الله اليه في قوله : « قد أفلح المؤمنون • الذين هم في صلاتهم خاشعون » (١) ذلك لأن الخشوع في الصلاة كالروح بالنسبة للجسد •

وهو قسمان : ظاهري ، وباطني :

فالظاهري : سكون الجوارح عن العبث وجعل بصره موضع سجوده •

والباطني : خوف القلب وخضوعه ورقته وسكونه وحفظه عن الاشتغال بغير ما هو فيه من التأمل في معاني القرآن ، فينشأ عنه سكون الجوارح ، لقوله صلى الله عليه وسلم في العابث بلحيته : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » (٢) ومن أجل ذلك فقد عد الامام الغزالي الخشوع من أركان الصلاة •

\* \* \*

ومن أجمل ما قرأت في هذا الموضوع : أن زين العابدين رضى الله عنه كان اذا توضأ وتهياً للصلاة ظهر الخوف والوجل على وجهه ، وعندما كانوا يسألونه : لماذا يحدث لك هذا ؟ كان يقول لهم : أما تدررون أمام من سأقف؟!

كما روى أن عصام بن يوسف رحمه الله مر بحاتم الأصم وهو يتكلم في مجلسه فقال : يا حاتم •• تحسن تصلى ؟ قال : نعم • قال : كيف تصلى ؟ قال : أقوم بالأمر ، وأمشى بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأكبر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكير ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ، وأجلس للتشهد بالتمام ، وأختتمها بالاخلاص لله عز وجل ، وأرجع على نفسى بالخوف أخاف أن لا يقبل منى ، وأحفظه بالجهد الى الموت • قال : تكلم •• فأنت تحسن تصلى •

\* \* \*

كما روى أن رجلا من الصالحين قرر الأطباء قطع ساقه — لأنه كان مريضا بمرض خبيث — فقال لهم : ان كان ولا بد فاقطعوها وأنا في الصلاة ، وفعلا قطعوها وهو ساجد فلم يشعر بالألم ، وذلك لأنه كان مع الله بكل جوارحه •

أما في زماننا هذا فكما تعلم لو مرت نملة على أقدامنا فاننا نشعر

(١) المؤمنون : ٢٠١

(٢) أخرجه الحكيم الترمذى عن أبى هريرة •

بها ، هذا بالاضافة الى الوسوس والأفكار الدنيوية التي يحرص الشيطان على تجميعها ونحن في الصلاة حتى لا نخرج بالثمرة المرجوة منها وهى البعد عن الفحشاء والمنكر ، ولهذا ترانا نخرج من الصلاة وكأننا لم نكن فيها ، لأنها لم تقبل ، ولو قبلت لنهتتنا عن الفحشاء والمنكر كما أكد الله تعالى هذا في قوله : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (١) .

فاذا كان هناك من يحتج بهذه الآية قائلا : ان الصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر بدليل أن بعض هؤلاء المسلمين يخرجون من الصلاة لكي يعودوا الى الفحشاء والمنكر كما نرى في هذا الزمان المريض فاننا نقول له : صدق الله وكذبت صلاتهم ، لأنه لو صدقت صلاتهم بهذا المعنى من مفهوم لنهتهم عن الفحشاء والمنكر كما قال رب العالمين .

فلا تنس كل هذا يا أبا الاسلام وكن من الصادقين مع الله في كل حركاتك وسكناتك حتى تكون قريبا منه وسعيدا به .

وحتى تكون من الرجال الذين قال الله تعالى في وصفهم : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » (٢) .

\* \* \*

\* وثانيها : « واعدد نفسك في الموتى » :

وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى الكبير في حديث صحيح قال فيه لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » (٣) .

ولهذا كان ابن عمر يقول بعد هذا واعظا لغيره : « اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » (٤) .

وهذا هو المعنى الكبير الذى أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلفت القلوب اليه حتى لا يكون هناك مكان للدنيا فيها : تلك الدنيا

(٢) النور : ٣٧ ، ٣٨

(١) العنكبوت : ٥٥

(٣) جزء من حديث صحيح رواه البخارى .

(٤) (٤ ، ٣)

التي قال الله سبحانه وتعالى في وصفها : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار (١) نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور » (٢) .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل دائما على التحقير من شأنها كما ورد في حديث رواه جابر رضى الله عنه فيقول : « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوق والناس كنفثيه (٣) فمرا بجدى أسك (٤) ميت ، فتناوله بأذنه ثم قال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به ؟ قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا لكان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت . فقال : والله للدنيا أهون على الله عز وجل من هذا عليكم » (٥) . كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ان الله عز وجل ليحرمي عبده المؤمن الدنيا ، وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب » (٦) ولهذا أيضا رفضها المصطفى صلى الله عليه وسلم كما ورد في حديث شريف قال فيه : « عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً . فقلت : لا يا رب . . ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، — أو قال : ثلاثاً . أو نحو هذا — فاذا جعت : تضرعت اليك وذكرتك ، واذا شبعت : شكرتك ، وحمدتك » (٧) .

وحسبك في النهاية ما قاله عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما لرجل من فقراء المهاجرين يشكو له الفقر : ألك امرأة تأوى اليها ؟ قال : نعم . قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم . قال : فأنت من الأغنياء . قال : فان لى خادما ؟ قال : فأنت من الملوك (٨) . ثم حسبك أيضا هذا الحديث الشريف : « طوبى لمن هدى الى

(١) المراد بالكفار هنا في هذه الآية : الزراع .

(٢) الحديد : ٢٠ (٣) أى عن يمينه وشماله .

(٤) والمراد أنه ليس فيه ما يرغب فيه ، أسك : أى صغير الأذن .

(٥) رواه مسلم .

(٦) رواه الحاكم وقال : صحيح الاستناد .

(٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٨) رواه مسلم موقوفا .

الاسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع « (١) • وهذا الحديث : « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه » (٢) •

\* \* \*

ومن النماذج الحية التي أرجو أن تنتفع بها — كما انتفعت — هذا الأثر الذي يحكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس ذات يوم بين أصحابه في جلسة نورانية أراد أن يخرج منها هؤلاء الأصحاب الفضلاء بدرس مفيد يستنبرون به في طريق الحق تبارك وتعالى حتى يصلوا اليه •

وبطريقة تربوية رائدة نظر صلوات الله وسلامه عليه الى صاحبه الصديق رضى الله عنه ثم قال له :

« أتحب من الدنيا شيئا يا أبا بكر » ؟

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا • قال : وما هي ؟ قال : نظرى اليك ، وجلوسى بين يديك ، وانفاق مالى عليك •

ثم نظر الى عمر رضى الله عنه وقال له :

« وأنت يا عمر •• أتحب من الدنيا شيئا » •

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا • قال : وما هي ؟ قال : أمر بمعروف ولو كان سرا ، ونهى عن منكر ولو كان جهرا ، وقول الحق ولو كان مرا • ثم نظر الى عثمان رضى الله عنه وقال له :

« وأنت يا عثمان •• أتحب من الدنيا شيئا » ؟

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا • قال : وما هي ؟ قال : اطعام الطعام ، واقشاء السلام ، وركعات بالليل والناس نيام • ثم نظر الى على رضى الله عنه وقال له :

« وأنت يا على •• أتحب من الدنيا شيئا » ؟

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا • قال : وما هي ؟ قال : اكرام الضيف ، والصيام في الصيف ، وضرب أعناق المشركين بالسيف • ثم بعد ذلك ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم معلقا :

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال :

صحيح على شرط مسلم •

(٢) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه •

« وأنا أحب من دنياكم ثلاثا : الطيب ، والنساء<sup>(١)</sup> ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة » .

كما روى أن جبريل عليه السلام هبط بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : « ربك يقرئك السلام ويقول لك : انه يحب ثلاثا : لسان ذاك ، وقلب شاكر ، وجسد على البلاء صابر » .  
كما قال جبريل عليه السلام بعد هذا : « وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : تبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، والمساكين » .

\* \* \*

وعندما علم الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم بهذه الثلاثيات المباركات ، قال أبو حنيفة : وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : تحصيل العلم في طول الليالي ، وترك الترفع والتعالى ، وقلب من حب الدنيا خالي .

وقال الامام مالك : وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : مجاورة روضته صلى الله عليه وسلم ، وملازمة تربته<sup>(٢)</sup> ، واحترام أهل بيته<sup>(٣)</sup> .

وقال الشافعي : وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : عشرة الخلق بالتلطف<sup>(٤)</sup> ، وترك ما يؤدي الى التكلف<sup>(٥)</sup> ، والاعتداء بطريق التصوف<sup>(٦)</sup> .

وقال ابن حنبل : وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره ، والتبرك بأنواره ، والسلوك في طريق آثاره .

(١) ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب نساء الغير كما يزعم اعداء الاسلام — قاتلهم الله — وانما كان يحب نساءه هو ، لكي يكون قدوة لأصحابه في احترام المرأة الصالحة لأن بعضهم كان يحتقر المرأة وكان ينظر اليها على أنها جارية ، او على أنها سلعة تباع وتشتري ، ولهذا كانوا يقتلون البنات مخافة الفاقة والعار .

(٢) أي التراب الذي كان يسير عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(٣) عليهم رضوان الله . (٤) أي باللين .

(٥) أي ما يزيد عن حده حتى لا ينقلب الى ضده .

(٦) التصوف الذي يعنيه الشافعي عليه رضوان الله هو الذي يتفق

مع الكتاب والسنة والخالي من البدع او الدجل وهو أيضا الصفاء .

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافي مصوفي حتى سمي الصوفي

فكن منتفعا بهذه النماذج المضيئة واحرص على كل لحظة من لحظات حياتك حتى لا تندم عليها يوم لا ينفع الندم •  
ولا تلهو بدار أنت فيها تفارق منك يوما ما لهوتا  
وتطعمك الطعام وعن قريب ستطعم منك يوما ما طعمتا  
و :

لا ترجو البقاء بدار لا بقاء لها وهل سمعت بظل غير منتقل  
وتأمل معي ما قاله على رضى الله عنه : اعلموا أنكم ميتون  
ومبعوثون من بعد الموت ، وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها •  
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، فانها دار بالبلاء محفوفة ، وبالفساء  
معروفة ، وبالعذر موصوفة ، وكل ما فيها الى زوال ، وهى بين أهلها  
دول وسجال ، لا تدوم أحوالها ، ولن يسلم من شر نزلها •  
وما قاله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى خطبة له :

« أيها الناس .. انكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى ،  
وان لكم معادا يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ،  
فخاب وشقى عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التى وسعت كل شىء ،  
وجنته التى عرضها السموات والأرض ، وانما يكون الأمان غدا لمن خاف  
الله تعالى واتقى ، وباع قليلا بكثير ، وفانيا بباق وشقاوة بسعادة ،  
ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا رائحا الى الله قد قضى نحبه ،  
وانقطع أمهه فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممد ،  
قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب » •

ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة له بعد أن  
حمد الله وأثنى عليه : « أيها الناس .. ان لكم معالم فانتهوا الى  
معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، ان المؤمن بين مخالفتين ،  
بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى  
ما الله تعالى قاض عليه فيه • فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ، ومن  
دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت ، والذى  
نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعب ، ولا بعد الدنيا دار الا الجنة  
أو النار » (١) •

وحسبى بعد هذا العرض الموجز لهذه النقاط الأساسية أن أقرأ

(١) ذكره أبو بكر الباتلانى فى كتابه « اعجاز القرآن » .

معك هذه الموعظة التي تضع النقط على الحروف والتي تأثرت بها كثيرا :

قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم — وقد كان من العلماء العاملين — : ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم دنياكم ، وخربتم آخرتكم ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب ، قال : فما قدمنا على الدار الآخرة ؟

قال : يختلف باختلاف العبيد ، فالعارف بالله المخلص لمولاه ، يكون قدومه على الدار الآخرة كقدوم الطفل الوحيد على أمه يعود اليها بعد طول غياب ، وأما المفرط في حب الله ، يكون قدومه على الدار الآخرة كما يقدم العبد الأبق<sup>(١)</sup> من سيده يجيء اليه وهو موثق بالأغلال .

قال سليمان : فما لنا عند الله ؟ قال : اعرض نفسك على كتاب الله . قال : في أى موضع أصيب ذلك ؟

قال : اقرأ قوله تعالى : « ان الأبرار لفي نعيم . وان الفجار لفي جحيم »<sup>(٢)</sup> .

قال سليمان : « يا أبا حازم . أقم عندنا فنصيب منك ، قال : أخاف أن أركن الى الذين ظلموا فتمسنى النار ، قال سليمان : خذ هذا المال ، فقال أبو حازم : مالى خير من مالكم ، قال سليمان : وما مالك ؟ قال : الثقة بالله ، والاعتماد على الله ، والرضا بما عند الله » .

ثم اليك بعد ذلك هذا النداء :

أراك عن الموت المفرق لاهيا  
وقد تركوا الدنيا جميعا كما هيا  
وما عمروا من منزل ظك خاويا  
هموا صديق وخل كان قبل موافيا  
وحيدا فريدا في المقابر ثاويا  
ولم تر انسانا لعهدك وافيا  
قريب ودع منك المنى والأمانيا

ألا أيها الناسى ليوم رحيله  
ولا ترعوى بالظاعنين الى البلى  
ولم يخرجوا الا بقطن وخرقة  
وهم في بطون الأرض صرعى جفا  
وأنت غدا أو بعده في جوارهم  
جفائك الذى قد كنت ترجو وداده  
فكن مستعدا للحمام<sup>(٣)</sup> فانه

(٢) الانتظار : ١٣ ، ١٤

(١) أى الهارب .

(٢) الحمام — بكسر الحاء : هو الموت .



وهذا النداء :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا والناس حولك يضحكون سرورا  
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكا سرورا  
وضع نصب عينيك دائما وأبدا قول الله تعالى : « كل نفس ذائقة  
الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل  
الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » (١) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا أراد الله بعبد خيرا  
استعمله » قيل : وكيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : « يوفقه لعمل  
صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه » (٢) .

وثالثها وأهمها تركيزا : قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ  
رضي الله عنه بعد أن أوصاه بالأولى والثانية :

\* ( وان شئت أنبأتك بما هو أملك بك من هذا كله ؟ قال : هذا .  
— وأشار بيده الى لسانه — ) :

وذلك لأن اللسان هو أخطر عضو في الجسد ولهذا جعله الله تعالى  
داخل قفصين من العظم واللحم (٣) .

ولهذا أيضا كان أفضل المسلمين : « من سلم المسلمون من لسانه  
ويده » (٤) كما أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن  
أفضلهم ، وهذا هو السر في أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول :  
« طوبى لمن ملك لسانه ، ووسع بيته ، وبكى على خطيئته » (٥) ويقول :  
« من وقاه الله شر ما بين لحبيه وشر ما بين رجليه (٦) دخل الجنة » (٧)  
أى بغير عذاب ، أو مع السابقين ، لأن معظم الذنوب انما تصدر عن  
الفرج واللسان .

وحسبى في هذا العرض الموجز والمركز أن أسوق اليك هذا الحديث

(١) آل عمران : ١٨٥

(٢) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطها وكذلك رواه احمد  
والترمذى وابن حبان عن أنس وقال شارح الجامع : اسناده صحيح .

(٣) الأسنان والشفقتان .

(٤) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

(٥) رواه الطبرانى في « الأوسط » و « الصغير » باسناد حسن .

(٦) يعنى لسانه وفرجه .

(٧) رواه الترمذى وحسنه وابن حبان في صحيحه .

الشريف الذى يرويه معاذ بن جبل رضى الله عنه فيقول : قلت يا رسول الله  
 .. أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار ، قال : « لقد سألت  
 عن عظيم .. وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه :

تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ،  
 وتصوم رمضان ، وتحج البيت « ثم قال : « ألا أدلك على أبواب  
 الخير (١) ؟ الصوم جنة (٢) والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء  
 النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم تلا : « تتجافى جنوبهم عن  
 المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تطم نفس  
 ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » (٣) .

ثم قال : « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه » ؟  
 قلت : بلى يا رسول الله . قال : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ،  
 وذروة سنامه الجهاد » .

ثم قال : « ألا أخبرك بملاك ذلك كله » ؟ قلت : بلى يا رسول الله .  
 فأخذ بلسانه وقال : « كف عليك هذا » . قلت : يا نبي الله .. وأنا  
 لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك أمك (٤) وهل يكب الناس  
 فى النار على وجوههم - أو قال : على مناخرهم - الا حصائد  
 ألسنتهم » (٥) .

فلاحظ هذا المعنى الأخير : « والزم الصمت فإنه يكسبك صفو  
 المحبة ويؤمنك سوء المغيبة ، ويلبسك ثوب الوقار ، ويكفيك مؤنة  
 الاعتذار » :

« واعقل لسانك الا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه ، أو حكمة  
 تنشرها ، أو نعمة تذكرها » (٦) .

ففى الحديث الشريف : « كل كلام ابن آدم عليه لا له الا أمر  
 بمعروف أو نهى عن منكر ، أو ذكر الله » (٧) .

(١) وفى رواية أخرى : « الا أدلك على أبواب الجنة » .

(٢) أى وقاية . (٣) السجدة : ١٦ ، ١٧ .

(٤) أى فقدتك أمك وتلك مداعبة من الرسول صلى الله عليه وسلم

لمعاذ بن جبل على عادة العرب .

(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٦) من أقوال الحكماء .

(٧) رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : حديث غريب .

وفي حديث آخر : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (١) .

واعلم : أن للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل الا بها ولا يخلو من النقص الا بعد أن يستوفيها ، وهي أربعة :

الشرط الأول : أن يكون الكلام لداع يدعو اليه ، اما في اجتلاب نفع ، أو دفع ضرر .

الشرط الثاني : أن يأتي به في موضعه ويتوخى به اصابة فرصته .

الشرط الثالث : أن يقتصر منه على قدر حاجته .

الشرط الرابع : أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به .

فان لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سداد وفي ذلك يقول العلماء : ينبغى على كل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة ، فالسنة الامسك عنه لأنه قد يجزى الكلام المباح الى حرام أو مكروه . بل هذا كثير وغالب في العادة .

ومن كلام الامام الشافعى رضى الله عنه : « اذا أراد — الانسان — أن يتكلم فقلبه أن يفكر قبل كلامه ، فان ظهرت المصلحة تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر » .

\* \* \*

فاذكر كل هذا واياك وقبيح الكلام فانه ينفر عنك الكرام ويغرى عليك اللئام .

وتأمل قول سيدنا على رضى الله عنه : « المرء مخبوء تحت لسانه فاذا ما تكلم ظهر » .

وقوله : « لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه » .

وقول القائل :

وصمتك خير من اثاره فتنه فكن صامتا تسلم وان قلت فاعدل  
ولا تك في ذم الأخلاء مفرطا وان أنت أبغضت الصديق فأجمل  
فانك لا تدري متى أنت مبغض حبيبك أو تهوى بغيبك فاعقل  
القائل :

فان أنت عبت الناس عابوا وأكثروا عليك وأبدوا منك ما كان يستر  
اذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم فلا عيب الا دون ما منك يذكر

متى تلتمس للناس عيبا تجد لهم عيوباً ولكن الذى فيك أكثر  
والقائل :

معيب على الانسان ينسب عيوبه ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى  
فلو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو رآها بها أكتفى  
والقائل :

لا تكشفن من مساوى الناس ما ستروا فيكشف الله سترا عن مساويك  
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيك  
والقائل :

ان رمت في الحشر تنجو من حر نار الجحيم  
وتستعز بنصر من العزيز الرحيم  
فصن لسائك واررد عن عرض خل كريم  
ذا لعمرك كاف طوبى<sup>(١)</sup> لقلب سليم  
واحذر كذلك أن تغتاب انسانا بمعنى أن تذكره بما يكره .

فقد ورد في الحديث الشريف : « أتدرون ما الغيبة » ؟ قالوا :  
الله ورسوله أعلم . قال : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل : رأيت ان  
كان في أخى ما أقول ؟ قال : « ان كان فيه ما تقول فقد اغتبتته ، وان لم  
يكن فيه ما تقول فقد بهته<sup>(٢)</sup> »<sup>(٣)</sup> .

مع ملاحظة أن الغيبة كما تكون باللسان تكون كذلك بالكناية  
والإشارة إليه بالعين أو اليد ، والضابط أن كل ما أهمت به غيرك  
نقصان مسلم فهو غيبة .

وفي سنن أبي داوود عن عائشة رضى الله عنها قالت للنبي صلى الله  
عليه وسلم : حسبك من صفة كذا وكذا — قال بعض الرواة : يعنى  
تصيرة — فقال : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ... »<sup>(٤)</sup> .  
وفي حديث آخر : « مررت ليلة أسرى بى على أقوام يخمشون

(١) طوبى لهم : أى الحسنى لهم والخير لهم . وقيل : اسم شجرة  
في الجنة .

(٢) أى افتريت عليه بالكذب وقذفته بالباطل .

(٣) رواه مسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى .

(٤) رواه أبو داوود والترمذى والبيهقى ، وقال الترمذى : حديث

حسن صحيح .

وجوههم بأظافرهم ، قلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين  
يعتابون الناس ويقعون في أعراضهم» (١) .

وفي رواية أخرى : « ليلة أسرى بي مرت في السماء الدنيا بقوم  
يقطع اللحم من جنوبهم ثم يلقمونه فيقال لهم : كلوا ما كنتم تأكلون  
من لحم اخوانكم . قلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء  
الهمازون (٢) من أمتك اللمازون» (٣) .

ومن أجمل ما قرأت في هذا الموضوع من آثار : عن خالد الربعي  
قال : كنت في المسجد الجامع فاغتابوا رجلا فنهيتهم عنه فكفوا وأخذوا  
في غيره ثم عادوا اليه ، فدخلت معهم في شيء من أمره فرأيت تلك  
الليلة رجلا أسود وطويلا ومعه طبق عليه قطعة من لحم خنزير فقال  
لى : كل . فقلت والله لا أكل لحم الخنزير . فانتهرنى انتهارا شديدا  
وقال : قد أكلت ما هو شر منه فجعل يدسه في فمي حتى استتيقت ،  
فوالله قد مكثت أربعين يوما ما أكلت طعاما الا وجدت طعم ذلك اللحم  
ونتته في فمي .

وعن حاتم الزاهد قال : ثلاثة اذا كن في مجلس فالرحمة عنهم  
مصروفة : ذكر الدنيا ، والضحك ، والوقيعه في الناس .

وذكر عن ابراهيم بن أدهم : أنه دعى الى طعام فلما جلس قالوا :  
ان فلانا لم يجيء فقال بعضهم : انه رجل ثقيل فخرج ولم يأكل ثلاثة  
أيام وقال : انما فعل هذا في بطني حيث شهدت طعاما اغتبت فيه المؤمن .  
وروى عن الحسن البصرى : بلغه أن رجلا اغتابه فبعث اليه طبقا  
من رطب وقال له : بلغنى أنك أهديت الى حسناتك فأردت أن أكافئك  
بهذا فاعذرني فانى لا أقدر أن أكافئك بها على التمام .

وروى عن عيسى عليه السلام : أنه رأى ابيليس لعنه الله في احدى  
يديه عسل وفي الأخرى رماد ، فسأله عن ذلك فقال : أجعل العسل في  
أفواه المتعابين والرماد في وجوه الأيتام حتى يرمدوا فيستقذروهم الناس  
فلا يفعلوا بهم خيرا .

هذا وقد ذكر العلماء : أن الغيبة تباح في ستة مواضع نظمها

(١) رواه ابو داود . (٢) الهاز : الذى يعيبك بالغيب .

(٣) اللماز : الذى يعيبك في وجهك .

الجوهري في قوله :

لست غيبة جوز وخذها منظمة كأمثال الجواهر  
تظلم ، واستمن ، واستفت ، حذر وعرف ، واذكرن فسق المجاهر  
وإذا أردت ايضاحاً ، فالموضوع الأول : وهو التظلم ، أن يقول  
المظلوم لمن له قدرة على انصافه ممن ظلمه : ظلمني فلان بكذا وكذا ،  
ولا يزيد على الحاجة .

والثاني : الاستمانة على تغيير المنكر : فتقول لمن له قدرة على  
ازالته : فلان يفعل المنكر ، كشرب الخمر . وتقصد بذلك أن يعينك  
على ازالته ، فان لم تقصد ذلك كان حراماً .

والثالث : الاستفتاء فتقول للمفتي : ظلمني فلان بكذا ، فهل له  
ذلك أو لا ؟

والرابع : التحذير : أي تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم  
من وجوه ، منها : جرح المجروحين من الرواة والشهود ، وذلك جائز بل  
واجب للحاجة ، ومنها المشاورة في مصاهرة انسان أو مشاركته أو معاملته ،  
ويجب على المستشاور أن لا يخفى شيئاً من العيوب التي فيه بل يذكرها  
بنية النصيحة ، ومنها أن يكون الشخص في ولاية لا يقوم بها لعدم  
صلاحه لها أو لفسقه أو لتغفله فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية ليزيله  
ويولى من يصلح لها أو ليحثه على الاستقامة .

والخامس : التعريف : فاذا كان الانسان معروفاً بلقب : كالأعمش  
والأعرج ، جاز التعريف بذلك ويحرم ذكره على وجه التنقيص .

والسادس : أن يكون متجاهراً بالفسق كالمجاهر بشرب الخمر أو أخذ  
( الرشوة ) أو أكل أموال الناس بالباطل ، أو ترك الصلاة . وفي  
الحديث : « اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذر الناس منه » .

فاذكر كل هذا مع ملاحظة أن سامع الغيبة : كالمغتاب تماماً — اذا  
لم يعترض ويعلن غضبه واستنكاره — فقد ورد في حديث شريف :  
« المغتاب والمستمع شريكان في الاثم » .

كما زوى أن الامام الشافعي رضي الله عنه سمع رجلاً يتكلم  
في رجل من أهل العلم فقال لأصحابه : « نزهوا أسماعكم عن استماع  
الخبث كما تنزهون أسمعتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل ،  
فان السفيه ينظر الى أخبث شيء في وعائه فيحرص على أن يفرغه  
في أوعيتكم » .

وسمعتك صن عن سماع الخنا<sup>(١)</sup> كصون اللسان عن النطق به فانك عند سماع الخنا شريك لقائله فانقته

\* \* \*

ولا تنس قوله تعالى في كتابه العزيز :

« ... ولا يغتب بعضكم بعضا ، أوجب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم » (٢) .

\* \* \*

واحذر أن تكون من الذين يوسوسون في صدور الناس بهذه المفتريات التي يريدون بها الايقاع بين الأحبة .

وحسبك تحذيرا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم : « ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « المشاعون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراءة العنت » .

وقوله : « أيما رجل أشاع على رجل كلمة هو منها برىء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه في النار يوم القيامة » .  
وقوله : « من مشى بالنميمة بين العباد قطع الله له نعلين من نار يغلى منهما دماغه » .

\* \* \*

ثم اليك أيضا هذه الآثار : يقول المأمون رحمه الله : النميمة لا تقرب مودة الا أفسدتها ، ولا عداوة الا جددتها ، ولا جماعة الا بحدتها . ثم لا بد لمن عرف بها أن يطرد ، وعن مجالس الأصدقاء يبعد .

وقال بعضهم : لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترى بالشتم عليك ، والمنقول عنه أولى بطمك لأنه لم يقابلك بشتمك . وفي هذا المعنى :

من يخبرك بشتم عن أخ فهو الشاتم لا من شتمك ذلك شيء لم يواجهك به انما اللوم على من أعلمك وقيل : جاء رجل الى وهب فقال : ان فلانا شتمك . فقال له : أما وجد الشيطان غيرك ؟

وقيل لعامل : فلان يشتمك في الغيبة • فقال : ولو ضربني وأنا غائب لم أبال به •

وقال مصعب بن الزبير : نحن نرى أن قبول السعاية شر منها لأن السعاية دلالة ، والقبول اجازة •

وليس من دل على شيء كمن أجازه ، فاتقوا الساعي فلو كان صدقا لكان لئيمًا في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة •

وقيل لبعضهم : ان صاحبك فلانا قال فيك كذا • فقال : يا هذا • • والله ما رعيت حق مجالسته حتى نقلت الى حديثه ، ولا رعيت هقى حتى تبلغنى عن أخى ما أكره • واعلم أن الموت يعمننا ، والبعث يحشرنا ، والقيامة تجمعنا ، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين •

وجاء رجل الى عمر بن عبد العزيز فذكر له عن رجل شيئًا • فقال له : ان شئت نظرنا في أمرك ، فان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية : « ٠٠٠ ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » (١)

وان كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية : « هماز مشاء بنميم » (٢) وان شئت عفونا عنك • فقال : العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود أبدا • فلاتنس كل هذا • • و :

تعش سالما والقول فيك جميل  
نبا بك دهر أو جفاك خليل  
عسى نكبات الدهر عنك ترول  
إذا الريح مالت مال حيث تميل  
ولكنهم في النائبات قليل

صن النفس واحملها على ما يزينها  
ولا تولين الناس الا تجملا  
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد  
ولا خير في رد امرئ متلون  
وما أكثر الاخوان حين تعدهم  
وإذا كان هناك صديق :

ويبريك في السر برى القلم  
ولا تكثرن عليه الندم

يريك النصيحة عند اللقا  
فبت حبالك من وصله  
واحفظ ونفذ قول القائل :

الزم ثلاثا تلقى الكرامة  
ولا ترى أكلا طعامه  
ما عشت خلقا الى القيامة  
تكمل لك السلامة

يا مبتغى العز والسلامة  
لا تسأل المرء ما لديه  
ولا ترى ذاكرا بسوء  
وزد لهذه الثلاثة تقوى الاله



# الوصية الخامسة عشرة

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن ، أو يعلم من يعمل بهن ؟ »

فقال أبو هريرة : قلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيده فعد خمسا فقال :

« اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن الى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب » .

(رواه الترمذى)

\* \* \*

فكن أبا الاسلام :

أهلا لهذه التوجيهات المحمدية التى ان كنت من أهلها كنت من أولى الألباب وكنت من خير البرية الذين : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » (1) .

وإذا كان أبو هريرة رضى الله عنه قد فاز وسعد بوضع يده فى يد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وهو يزوده بهذه النصائح الغالية التى تشد من أجلها الرجال وتنفق فى سبيلها آلاف الأموال ، وتقطع فى طلبها مئات بل آلاف الأميال .

فى استطاعتك أنت كذلك أن تتصور نفسك وقد شرفت بوضع يدك فى يد الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وهو يوصيك بقوله :

\* ( اتق المحارم تكن أعبد الناس ) :

وخلاصة هذه الأولى : أنك لن تكون عبدا حقيقيا لله تعالى الا اذا

اجتنبت محارمه ، وهى :

المعاصى ، والمنهيات ، وترك الأمور التى ومعنى هذا : أنه

إذا كان الله تعالى قد أمرك فى كتابه العزيز وعلى لسان حبيبه صلى الله

عليه وسلم الذى : « لا ينطق عن الهوى » بفعل شئ أو تركه فإنه يحرم عليك عدم الاستجابة لأوامره ، وفعل ما نهى عنه والآ كنت من العصاة المخزيين « ... الأخرين أعمالا • الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (١) •

وحتى لا تكون من أهل الخسران ، وحتى لا أطيل عليك في هذا التقديم اليك هذه النصوص القرآنية والنبوية التى ستقف فيها على أهم الأوامر والنواهي التى يجب عليك — كعبد من عباد الله الحقيقيين — أن تعرفها وتقف على أبعادها وأسرارها حتى تكون منفذا لما فيها وفى غيرها من أوامر ، ومجتنبا لجميع المنهيات :

يقول الله تبارك وتعالى : « قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من أطلاق (٢) نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر (٣) منها وما بطن (٤) ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق (٥) ، فلکم وصاكم به لعلكم تعقلون • ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده (٦) ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفسا إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعملوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، فلکم وصاكم به لعلكم تذكرون • وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، فلکم وصاكم به لعلكم تتقون » (٧) •

ويقول : « أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء (٨) والمنكر والبغى (٩) ، يعظكم لعلكم تذكرون » (١٠) •

(١) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ بلفظ : « قل هل ننبئكم بالأخسرين ... » •

(٢) أى مقر تخلفونه •

(٣) كالقتل والزنا والسرقة وجبب المعاصى الظاهرية •

(٤) كالرياء ، والمعجب ، والكبر ، والحسد ، وجبب المعاصى القلبية •

(٥) كالتصاص وحد الردة ورجم المحسن والمحصنة •

(٦) أى يحتمل ويصير أهلا لتحمل المسئوليات •

(٧) الأنعام : ١٥١ — ١٥٣

(٨) أى الزنا : لأن فيه ضياع الأنساب والأعراض ويترتب عليه المقت

والمعقوبة من الله تعالى فهو القاتل سبحانه : « ولا تقربوا الزنا ، انه كان

فاحشة وساء سبيلا » (الاسراء : ٣٢) •

(٩) النحل : ٩٠ •

(١٠) الظلم للناس •

كما يقول صلوات الله وسلامه عليه : « اجتنبوا السبع الموبقات » (١) قالوا : يا رسول الله .. وما هن ؟

قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات (٢) الغافلات (٣) المؤمنات » (٤) .

ويقول : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر — ثلاثا — : الاشرار بالله ، وعقوق الوالدين ، ألا وشهادة الزور وقول الزور — وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت — » (٥) .

ويقول : « العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطأ ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » (٦) .

ويقول : « لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذي (٧) محرم » (٨) . وحسبى في هذا العرض الموجز لأهم هذه النصوص أن أضيف إليها هذا النص الجامع الذي يحدثنا الله سبحانه وتعالى فيه عن عباده الذين يستحقون رحمته فيقول تشريفا لهم بانسابهم اليه :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (٩) . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .

والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان

(١) أى المهلكات . (٢) أى المتزوجات العنيفات .

(٣) أى الغافلات عن المعصية فلا تخطر على بالهن .

(٤ ، ٥) رواه البخارى ومسلم . (٦) رواه مسلم .

(٧) المحارم بالنسبة لك : هن المحرمات عليك فى الآية الكريمة التى

يقول الله تعالى فيها : « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم

وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم

من الرضاعة وامهات نسائكم ورباتكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى

دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابناتكم الذين

من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ، ان الله كان عفورا

رحيما » ( النساء : ٢٣ ) . والمحرّم بالنسبة للمرأة عكس ما ذكرن فى

الآية من الذكور ، والمراد : لا تخلو بامرأة ليست من محارمك الا مع

ذى محرم لها . (٨) رواه البخارى ومسلم .

(٩) أى قالوا قولاً يسلمون به من الاثم مع القدرة على الانتقام .

غراما (١) • انها ساعت مستقرا ومقاما • والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا (٢) وكان بين ذلك قواما (٣) •

والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقنون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق اثاما (٤) • يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله عفورا رحيمًا •

ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا • والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو (٥) مروا كراما •

والذين اذا نكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا • والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما (٦) • اولئك يجزون الغرفة (٧) بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما • خالدين فيها ، حسنت مستقرا ومقاما (٨) •

فاذا أردت أن تكون من عباد الرحمن الذين وقفت على أهدم صفاتهم لا بد وأن تكون مثلهم أو على الأقل شبيها بهم في كل حركاتهم وسكناتهم مع الاحاطة بأن كل انسان يستطيع بتوفيق من الله سبحانه وتعالى أن يكون كهؤلاء الأبرار الذين فازوا وسعدوا برضوان الله عليهم ، وذلك بالنية الصادقة والعزيمة القوية على فعل الخيرات وترك المنكرات •

\* \* \*

مع ضرورة الاتقاء والابتعاد عن الشبهات وهي أمور مشتبهة بين الحلال والحرام حتى يسلم الانسان من الشبهة ، والا تطاون عليه السفهاء واتهموه بأكل الحرام وفعله ، وقد يكون بريئا من هذا وقد لا يكون •

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ،

(١) أي لازما • (٢) أي لا يضيقون على أنفسهم واهليهم •

(٣) أي وسطا • (٤) أي عقوبة •

(٥) اللغو : الكلام الذي لا فائدة فيه وقد يطلق على كل ما لا يمتد

به من قول وعمل •

(٦) أي اجعلنا هداة يقدي بنا في مواسم للخيرات والطاعات •

(٧) الدرجة العليا في الجنة • (٨) الفرقان : ٣٣ - ٧٦

كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه ، ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب» (١) .

وقد اختلف العلماء أيضا فى معنى الشبهة المذكورة فى الحديث ، فمنهم من قال : انها ( الحرام ) بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » ومنهم من قال : انها ( الحلال ) بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » .

والخلاصة التى نريد أن نخرج بها من هذا الخلاف الذى لا يستهان به هى : أنه يجب على كل مسلم يرجو البراءة لدينه وعرضه أن يبتعد عن كل شئ فيه شبهة ، لأنه اذا لم يبتعد عن الشبهة وقع فى الحرام أو قارب أن يقع فيه وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا المعنى فى قوله : « **تلك حدود الله فلا تقربوها** » (٢) وقوله : « **ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** » (٣) ففى الآية الأولى : نهى سبحانه من المقاربة حذرا من الواقعة .

وفى الثانية : أشار الى ما حدث من بنى اسرائيل اللذين تدرجوا بالمعاصى الى قتلهم للانبياء بغير حق .

وقد كان صلى الله عليه وسلم كما ورد فى الحديث الشريف يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم » كما كان يوصى فى حديث آخر بأن يدفع الانسان عن نفسه شبهة الاحداث فى الصلاة فيقول : « اذا أحدث أحدكم فى الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف » (٤) .

لله در على رضى الله عنه فلقد كان يقول فى هذا المعنى أيضا : « اياك وما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره ، فرب سامع نكرا لا تستطيع أن تسمعه عذرا » .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا ، و : « دع ما يريبك (٥) الى ما لا يريبك » (٦) .

(١) رواه البخارى ومسلم .  
(٢) البقرة : ١٨٧ .  
(٣) البقرة : ٢١٠ .

(٥) الرية : اى التلذذ .

(٦) رواه الترمذى والنسائى وقال الترمذى : حديثه حسن صحيح .

واياك أن تحتقر ذنبا مهما كان صغيرا .  
 فمعظم النار من مستصفر الشر  
 وفي الحديث الشريف : « اياكم ومحقرات الذنوب ، فانهن يجتمعن  
 على الرجل حتى يهلكنه » (١) وأيضا : « يا عائشة .. اياك ومحقرات  
 الذنوب فان لها من الله طالبا » (٢) .



واحذر أن تقع أيضا في شباك الشيطان الذي حذرنا الله سبحانه  
 وتمالى من مكايده وفتنته فقال : « ... ولا تتبعوا خطوات الشيطان  
 انه لكم عدو مبين . انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله  
 ما لا تعلمون » (٣) .

وقال : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » (٤) .  
 وقال : « ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا » (٥) .  
 وقال : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء  
 في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم  
 منتهون » (٦) . وقال : « انه عدو مضل مبين » (٧) . وقال : « ان الشيطان  
 لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب  
 السعير » (٨) .



وحتى تقف على بعض مكايده وتكون حذرا منه ، اليك هذه الصور  
 التي وردت في كتاب « تلبيس ابليس » (٩) :

« بلغنا أن ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه  
 معاليق من كل شيء ، فقال يحيى : يا ابليس .. ما هذه المعاليق التي  
 أرى عليك ؟ قال : هذه الشهوات التي أصيد بهن ابن آدم . قال :

(١) من حديث رواه احمد والطبراني والبيهقي .

(٢) رواه النسائي واللفظ له وابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

(٣) البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩ (٤) البقرة : ٢٦٨

(٥) النساء : ٦٠ (٦) المائدة : ٩١

(٧) القصص : ١٥ (٨) غاطر : ٦

(٩) للحافظ الامام جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي المتوفى

فهل لى فيها من شيء ؟ قال : ربما شبعتم فثقلنك عن الذكر ، قال :  
فهل غير ذلك ؟ قال : لا والله ، قال : لله على أن لا أملا بطنى من طعام  
أبدا . وقال ابليس : والله على أن لا أنصح مسلما أبدا .

وقيل : لما ركب نوح عليه السلام السفينة رأى فيها شيئا لم  
يعرفه ، فقال له نوح : ما أدخلك ؟ قال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك  
فتكون قلوبهم معى ، وأبدانهم معك ، فقال له نوح عليه السلام : اخرج  
يا عدو الله ، فقال ابليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن  
بثلاث ولا أحدثك باثنتين . فأوحى الله تبارك وتعالى الى نوح عليه  
السلام : انه لا حاجة لك الى الثلاث ، فمره يحدثك بالاثنتين . فقال :  
بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان : الحسد<sup>(١)</sup> والحرص<sup>(٢)</sup> ، فبالحسد  
لعنت وجعلت شيطاننا رجيماً ، وبالحرص أبيع لآدم الجنة كلها فأصبت  
حاجتى منه فأخرج من الجنة .

وقيل : لقي ابليس موسى عليه السلام ، فقال : يا موسى .. أنت  
الذى اصطفاك الله برسالته ، وكلمك تكليماً ، وأنا من خلق الله تعالى ،  
وأذنبت ذنباً وأريد أن أتوب فاشفع لى الى ربي عز وجل أن يتوب  
على ، فدعا موسى ربه ، فقال : يا موسى .. قد قضيت حاجتك ، فلقى  
موسى ابليس فقال : قد أمرت أن تسجد لآدم فى قبره ويتاب عليك ،  
فاستكبر وغضب ، وقال : لم أسجد له حيا أسجد له ميتاً ؟ ثم قال  
ابليس : يا موسى .. ان لك حقاً بما شفعت الى ربي فأذكرنى عند ثلاث  
حتى لا تهلك فيهن :

أذكرنى حين تغضب فأنا وحى فى قلبك ، وعينى فى عينك ، وأجرى  
منك مجرى الدم .

وأذكرنى حين تلقى الزحف<sup>(٣)</sup> فانى آتى ابن آدم حين يلقى

(١) الحسد : أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول وتكون له  
دونه ، والغبطة : أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه . والاول  
مضموم ، والثانى مخوود .

(٢) الحرص : شدة الارادة والشره الى المطلوب وهو نوعان : حرص  
فاجع ، وحرص نافع ، فالاول : حرص المرء على الدنيا وهو مشغول مخذب  
بها فلا يفرغ من محبتها ، والثانى : حرصه على طاعة الله املا فى رحمته  
سبحاته .

(٣) أى عند زحفك للقاء العدو .

الزحف فأذكره ولده ، وأهله حتى يولى ، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها •

وقيل : بينما موسى عليه السلام جالس في بعض مجالسه إذ أقبل ابليس عليه برنس<sup>(١)</sup> له يظنون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له : السلام عليك يا موسى • فقال له موسى عليه السلام : من أنت ؟ قال : أنا ابليس ، قال : فلا حياك الله ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانتك منه • قال : فما الذي رأيته عليك ؟ قال : به أختطف قلوب بني آدم ، قال : فما الذي إذا صنعه الانسان استحوذت عليه ؟ قال : إذا أعجبت نفسه ، واستكثر عمله ، ونسى ذنوبه •

واحذرک ثلاثا : لا تظنون بامرأة لا تحل<sup>(٢)</sup> لك قط ، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفنته • ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ، فإنه ما عاهد الله أحد الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به •

ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها ، فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين اخراجها • ثم ولي يقول : يا ويله — ثلاثة — علم موسى ما يحذر به بني آدم • وقيل : كان عابد في بني اسرائيل من أعبد أهل زمانه ، وكان في زمانه ثلاثة اخوة لهم أخت وكانت بكرها ليس لهم أخت غيرها ، فخرج البعث<sup>(٣)</sup> على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها ، قال<sup>(٤)</sup> : فأجمعوا رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني اسرائيل ، وكان ثقة في أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره الى أن يرجعوا من غزاتهم ، فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم ، قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم ، فقال : أنزلوها في بيت حذاء<sup>(٥)</sup> صومعتي ، قال : فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها • فمكثت في جوار ذلك

(١) البرنس : هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به . وهو ما شاع استعماله

في المغرب •

(٢) أى لا يحل الخلوة بها لأنها ليست من المحارم •

(٣) أى طلبوا الجهاد في سبيل الله • (٤) أى الراوى •

(٥) أى بجوار صومعتي •



العابد زمانا ينزل اليها بالطعام من صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام . قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل به يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها ، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك ، قال : فلم يزل به حتى مشى اليها بطعامها ووضعها على باب بيتها ولم يكلمها قال : فلبث على هذه الحالة زمانا .

ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والأجر وحضه عليه ، وقال : لو كنت تمشى اليها بطعامها في بيتها كان أعظم لأجرك ، قال : فلم يزل به حتى مشى اليها بالطعام ثم وضعه في بيتها فلبث على ذلك زمانا ، ثم جاءه ابليس فرغبه الخير وحضه عليه ، فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فأنها قد استوحشت وحشة شديدة ، قال : فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع اليها من فوق صومعته ، قال : ثم أتاه ابليس بعد ذلك ، فقال : لو كنت تنزل اليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان أنس لها ، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه ، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها ، قال : فلبثا زمانا يتحدثان ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها ، وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريبا من باب بيتها فحدثتها كان أنس لها فلم يزل به حتى فعل ، قال : فلبث زمانا ، ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير قائلا : لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ، ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها ، فلبثا على ذلك حينما ثم جاءه ابليس ، فقال : لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارا كله فاذا مضى النهار صعد الى صومعته ، قال : ثم أتاه ابليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذاها وقبلها .

فلم يزل ابليس يحسنها في عينيه ويسول له حتى وقع عليها فأحبها فولدت له غلاما فجاء ابليس فقال : أرايت ان جاء اخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع ؟

لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك ، فاعمد الى ابنها فاذبحه وادفنه فانها ستكتم ذلك عليك مخافة اخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ،

ففعل فقال له : أتراها تكتنم اخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها ، قال :  
 خذها واذبحها وادفنها مع ابنها ، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها  
 في الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد  
 الى صومعته يتعمد فيها فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل  
 اخوتها من الغزو ، فجاءوا فسألوه عنها فغماها لهم وترحم عليها وبكاها ،  
 وقال : كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا اليه ، فأتى اخوتها القبر  
 فسكوا أختهم وترحموا عليها وأقاموا على قبرها أياما ثم انصرفوا الى  
 أهاليهم .

فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان في النوم  
 على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول  
 العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان ،  
 وقال : لم يصدقكم أمر أختكم انه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاما  
 فذبحه وذبحها معه فرعا منكم وألقاها في حفيرة احتفراها خلف باب البيت  
 الذي كانت فيه عن يمين من دخله . فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت  
 فيه عن يمين من دخله فانكم ستجدونها كما أخبرتكم هناك جميعا .  
 وأتى الأوسط في منامه فقال له مثل ذلك .

ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك ، فلما استيقظ القوم أصبحوا  
 متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول لأخيه :  
 لقد رأيت الليلة عجبا فأخبر بعضهم بعضا بما رأى ، فقال كبيرهم :  
 هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم .

فقال أصغرهم : والله لأمضي حتى أتى الى هذا المكان فأنظر فيه ،  
 قال : فانطلقوا جميعا حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحوا  
 الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم فوجدوا أختهم وابنها  
 مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم فسألوا عنهما العابد فصدق قول  
 ابليس فيما صنع بهما ، فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم  
 ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له :

أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة التي أحبلتها وذبحتها وابنها ،  
 فان أنت أطعنتي اليوم وكفرت بالله الذي خلقك وصورك خلصت مما  
 أنت فيه . قال : فكفر العابد . فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان  
 بينه وبين أصحابه فصلبوه . قال : ففيه نزلت هذه الآية : «كمثل  
 الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك ، انى أخاف

الله رب العالمين • فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدتين فيها ، وذلك جزاء الظالمين» (١) •

وقيل : اذا أصبح ابليس بث جنوده في الأرض فيقول : من أضل مسلما ألبسته التاج • فيقول له القائل من جنوده الشياطين : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، قال : يوشك أن يتزوج •

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى عق • قال : يوشك أن يبر •

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى زنى ، قال : أنت •

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى شرب ، قال : أنت •

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى قتل ، فيقول : أنت أنت •

وقيل : ان الشيطان قال للمرأة : أنت نصف جندي ، وأنت سهمي

الذي أرمى به فلا أخطيء ، وأنت موضع سرى ، وأنت رسولي في حاجتي •

وقيل : لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعل ابليس لعنه الله

يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيجيئون اليه

بصحفهم ليس فيها شيء فيقول لهم : مالكم لا تصيبوا منهم شيئاً ،

فقالوا : ما صحبتنا قوما مثل هؤلاء • فقال : رويدا بهم فمسي أن تفتح

لهم الدنيا ، هناك تصيبون حاجتكم منهم •

\* \* \*

فلاحظ كل هذا وجاهد شيطانك الذي يحرص دائماً وأبداً على

اغوائك مع ملاحظة قول الله تعالى : « ان كيد الشيطان كان ضعيفاً » (٢)

واستعن عليه بالله تعالى كما جاء في قول بعض السلف أنه قال لتلميذه :

ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا ؟ قال : أجاهده • قال : فان

عاد ؟ قال : أجاهده • قال : فان عاد ؟ قال : أجاهده • قال : هذا يطول ،

أرأيت ان مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع ؟

قال : أكابده وأرده جهدي • قال : هذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب

الغنم يكف عنك •

وقال أحدهم : واعلم أن ابليس مع المتقى والمخلط كرجل جالس

وبين يديه طعام ، فمر به كلب فقال له : اخساً ، فذهب ، فمر بأخر

بين يديه طعام ولحم فكلما أعطاه لم يبرح • فالأول مثل المتقى يمر

به للشيطان فيكفيه في طرده الذكر ، والثاني : مثل المخط لا يفارقه  
الشيطان لمكان تخليطه •

« فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » (١) و : « قل أعوذ برب  
الناس • ملك الناس • إله الناس • من شر الوسواس الخناس • الذى  
يوسوس فى صدور الناس • من الجنة والناس » (٢) •

وعوذ أولادك من شره فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما  
أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين عليهما رضوان  
الله فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة (٣) ،  
ومن كل عين لامة » (٤) ثم يقول : « وهكذا كان أبى ابراهيم صلى  
الله عليه وسلم يعوذ اسماعيل واسحاق » (٥) •

كما ورد عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم  
قال : « ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول : الله  
تبارك وتعالى • فيقول : فمن خلق الله ؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل :  
آمنت بالله ورسوله ، فان ذلك يذهب عنه » •

\* \* \*

فلا تنس كل هذا ولا تغفل عن ذكر الله تعالى حتى لا يقترب الشيطان  
منك فقد قال تعالى : « ومن يعش عن فكر الرحمن نقيض له شيطاننا  
فهو له قرين » (٦) ويعش : أى يغفل •

\* \* \*

وضع نصب عينيك دائما وأبدا خطبة الشيطان الأكبر عليه لعنة  
الله تعالى التى سيلقيها على منبر من نار بعد أن يقضى الأمر — أى  
بعد أن يؤمر بأهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار والتى يحدثنا  
الله سبحانه وتعالى عنها فيقول : « وقال الشيطان لما قضى الأمر  
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من  
سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ،

(٢) سورة الناس •

(١) النحل : ٩٨

(٣) هامة : المراد بها الزواحف المؤذية •

(٥) ورد فى الصحيحين •

(٤) أى حاسدة •

(٦) الزخرف : ٣٦

ما أنا بمصرخكم<sup>(١)</sup> وما أنتم بمصرخي ، انى كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب أليم<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

ثم اليك في نهاية هذا العرض السريع هذا النموذج الحى الذى أرجو أن تنتفع به :

وخلاصته أن شقيق البلخى — وقد كان من أساتذة العلم النافع كما كان من أطباء القلوب — قال ذات يوم لتلميذه حاتم الأصم — بعد أن تلقى العلم عليه أكثر من ثلاثين عاما — : ما الذى تعلمته منى منذ صحبتنى ؟ فقال : ستة أشياء :

الأول : رأيت الناس فى شك من أمر الرزق وما منهم الا وهو صحيح بما عنده حريص عليه فتوكلت على الله لقوله تبارك وتعالى : « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ٠٠٠ »<sup>(٣)</sup> لأنى من جملة الدواب فلم أشغل قلبى بما تكفل به القوى المتين ؟ فقال له : أحسنت .  
 الثانى : رأيت لكل انسان صديقا يفشى اليه سره ويشكو اليه أمره ولكنهم لا يكتفون الأسرار ولا يدفعون مصادمة الأقدار ، فجعلت صديقى العمل الصالح ليكون لى عوننا عند الحساب ، ويثبتنى بين يدى الله عز وجل ويرافقنى فى مرورى على الصراط . فقال له : أحسنت .  
 الثالث : رأيت لكل واحد من الناس عدوا ، فنظرت فاذا الذى اغتابنى ليس بعدوى ، ولا من ظلمنى ، ولا من أساءنى ، لأنه انما يهادينى بحسناته ويتحمل عنى من سيئاتى ، ولكن عدوى هو الذى اذا كنت فى طاعة الله تعالى أغرانى بمعصيته ، فرأيت أن ذلك هو ابليس ، والنفس ، والدنيا ، والهوى : فاتخذتهم أعداء واحترست منهم وأعددت العدة لمحاربتهم فلا أدع واحدا منهم يقربنى . فقال : أحسنت .

الرابع : رأيت أن كل حى مطلوب وأن ملك الموت عليه السلام هو الطالب ، ففرغت نفسى لملاقاته ، حتى اذا ما جاء بادرت معه بلا عائق . فقال له : أحسنت .

الخامس : نظرت الى الناس متحابين ومتباغضين ، ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئا ، فتأملت سبب المحبة والبغضاء فعلمت أنه الجسد

فنفيتها عنى بنفى العلائق التى بينى وبينه وهى الشهوات فأحببت  
الناس كلهم فلم أرض لهم الا ما رضيته لى نفسى • فقال له : أحسنت •  
السادس : رأيت أن كل ساكن لا بد له من مفارقة سكنه وأن مصير  
كل ساكن الى القبر فأعددت كل ما قدرت عليه من الأعمال التى تسرنى  
فى ذلك المسكن الجديد الذى ما وراءه الا الجنة أو النار ، فقال له  
شقيق : يكفيك ذلك واعمل عليه الى الموت •

\* \* \*

وإذا كنت قد فرطت فى جنب الله وظلمت نفسك بفعل شيء من  
الموبقات فحسبك أن تقول مع القائل الراجى عفوره :

رب انى ظلمت نفسى بنفسى      ولك الأمر فى اما واما (١)  
رب لا تقنطوا (٢) بروح روى      وبأى العقاب أذهب غما  
رب ايليس قاد نفسى قلبته      الى ما بها اليه ألما  
رب ان تعف فهو فضل والا      فهو عدل والفضل للعدل ينمى (٣)  
رب انى أبدى الصلاح وأخفى      سوء صنعى لكى يقال نعمما  
رب أنت العليم بالسر والجهر ولم      يخف عنك من ممكن مما  
رب ما قدمت يداى جمىلا      غير ظنى بأن عفوك عما  
رب ان رحمة فأنت جواد      أو سواها فليست تسئل عما (٤)  
رب جرمى اذا تجسم جرما (٥)      لم يشن (٦) من بحار عفوك يما (٧)  
رب انى أهمنى يوم يسعى      حيث نورى (٨) بالموبقات ادلهما  
رب أبدل ظلام قلبى بنور      من هداك الذى ب (طه) استتما  
واعف عنى بجاهه ان من      تعلق فى جاهه يوقى المهما  
وعليه وآله صل يارب      وسلم ما لاح بدر ونما

\* \* \*

(١) اما واما : أى اما الى الجنة واما الى نار .

(٢) يقصد قوم الله تعالى : « لا تقنطوا من رحمة الله » ( الزمر : ٥٢ ) .

(٣) أى ينسب .

(٤) يعنى قول الله تعالى : « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون »

(٥) أى جسما .

(٦) الانبياء : ٢٣ .

(٧) أى بحرا .

(٨) أى يغير .

(٩) يعنى بكلمة ( نورى ) قول الله تعالى : « نورهم يسعى بين ايديهم »

( التحريم : ٨ ) .

﴿ وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ﴾ :  
وليس هذا معناه أن تكون منزويا في زاوية الحرمان كآلة المعطلة-  
أو المكهنة :

وانما المراد من هذه النصيحة المحمدية أن تأخذ بالأسباب كما أمرك  
الله تعالى في قوله : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور » (١)  
وقوله : « ۰۰۰ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من  
فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٢) .

ولعلك تلاحظ في هذا قول الله تبارك وتعالى لمريم عليها السلام  
وهي في حاجة الى راحة : « وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك  
رطبا جنيا » (٣) مع أنه سبحانه وتعالى كان في مقدوره أن يرسل ملكا  
لهز النخلة أو يأمر النخلة فتهترت وحدها .

ولكن كما يقول القائل :

ولو شاء أدنى الجذع من غير هزه إليها ولكن كل شيء له سبب  
فأنت مطالب كما رأيت تنفيذا لأمر الله تعالى بأخذ الأسباب طلبا  
للرزق مع تفويض الأمر إليه سبحانه .

ثم بعد ذلك لا بد أن تكون راضيا بما قسم الله تعالى لك حتى  
لا تكون مهموما ومنغصا في حياتك مع أنك لو فكرت قليلا في هذا  
الموضوع لتبين لك أن هذه الدنيا بكل ما فيها لا تستحق منا أدنى تفكير ،  
وأن كل مخلوق في هذا الوجود قد ضمن الله رزقه وهو لا يزال في  
عالم الغيب .

وحسبك تأكيدا لك أن تقرأ قول الله تعالى : « ان الله هو الرزاق  
هو القوة المتين » (٤) وقوله : « وما من دابة في الأرض الا على الله  
يرزقها » (٥) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم - عن أبي عبد الرحمن  
ابن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وهو الصادق المصدوق : « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين  
يوما نظفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل  
إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه ، وأجله ،

(٢) الجمعة : ١٠

(٤) الذاريت : ٥٨

(١) الملك : ١٥

(٣) مريم : ٢٥

(٥) هود : ٦

وعمله ، وشقى أو سعيد ، فوالله الذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» (١) .

ولهذا عندما سئل سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام : لم اختارك الله خليلا ؟ قال : لثلاث :

- الأول : ما خيرت بين أمرين الا اخترت الذى لله على غيره .
- الثانى : ما اهتمت بشيء ضمنه الله لى فى أمر رزقى .
- الثالث : ما تغديت ولا تعشيت الا مع الضيف .

وعندما رأى ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه رجلا مهموما قال له : أيها الرجل .. انى سائلك عن ثلاث فأجبنى ، قال الرجل : نعم . فقال له ابراهيم : أيجرى فى هذا الكون شيء لا يريد الله ؟ قال : كلا . قال : أفينقص من رزقك شيء قدره الله ؟ قال : كلا . قال : أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله فى الحياة ؟ قال : كلا . فقال له ابراهيم : فعلام الهم اذن ؟

مع ملاحظة أن هذا الكلام ليس معناه كما قرأت فى أوله أن تكون متواكلا ، وانما المراد كما عرفت أن تكون آخذا بالأسباب كما أمرك الله تعالى مع اعتقادك أن ما كان لك سوف يأتىك بشرط أن لا تكسل عن طلبه والا كنت مخالفا لأوامر الله ، وبالتالي كنت صغيرا عند عقلاء الناس الذين لا يحترمون غير الانسان الايجابى الذى يثبت وجوده بين الأحياء لا بالضجيج ولكن بالعمل الجاد فى جميع ميادين العمل الشريف .

وحسبك حتى تعتر بايجابيتك أن تعلم أنه ما من نبي من الأنبياء نولا عالم من المتقدمين الا وكانت له صنعة يعملها بيده قصدا للتشريع ان كانت من نبي ، وطلبا للرزق ان كانت من غيره .  
وفى هذا يقول ابن عباس رضى الله عنهما عندما سئل عن صنائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

(١) رواه البخارى ومسلم .



كان آدم حراثا ، وادريس خياطا ، مع كونه ملكا عظيما وحكيما فريدا — وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط<sup>(١)</sup> وكان لا يغفل عن ذكر الله تعالى أثناء خياطته — وكان نوح نجارا — وهو أول من صنع الفلك — وكان هود تاجرا ، وكذلك صالح ، وكان ابراهيم زراعا ، وكان اسماعيل قناصا<sup>(٢)</sup> ، وكان اسحاق راعيا ، وكذلك يعقوب ، وشعيب ، وموسى ، وكان يوسف مشغولا بصناعة الساعات — ويقال انه صنع ساعة من الخشب حينما كان في السجن — وكان هارون وزيرا ، وكان الياض نساجا ، وكان داوود زرادا — أى يعمل زردا ودروع الحديد — وكان عيسى سياحا ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم تاجرا ومجاهدا في سبيل الله ، ولهذا كان يقول : « جعل رزقى تحت ظل رمحى » كما كان يحب البكور — أى السعى أول النهار — في طلب الرزق من حوائج الدنيا ، ويقول :

« اللهم بارك لأمتى في بكورها »<sup>(٣)</sup> ويقول مرغبا في السعى على الرزق : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده »<sup>(٤)</sup> ويقول : « لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه »<sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

فاذكر كل هذا بالاضافة الى ما قاله سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وان الله يرزق الناس بعضهم من بعض » .

وقوله : « يا معشر الفقراء .. ارفعوا رؤوسكم ، اتجروا فقد وضح الطريق ولا تكونوا عيالا على الناس » .  
وأخرج الحاكم وابن أبى الدنيا عن معاوية بن قررة قال : لقي عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن فقال : من أنتم ؟ فقالوا : متوكلون .

(١) كانوا قبل ذلك يلبسون جلود الحيوانات .

(٢) أى صيادا .

(٣) من حديث رواه أبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه

(٤) (٥ ، ٤) رواه البخارى .

وإبن حبان .

قال : كذبتهم ، ما أنتم متوكلون انما المتوكل الذى ألقى حبه فى الأرض وتوكل على الله .

وروى العوام بن حوشب عن أبى صالح مولى عمر رضى الله عنهم ، أنه قال : « كان عمر يأمرنا أن نشترك ثلاثة ، فيحلب واحد ، ويبيع الآخر ، ويغزو الثالث فى سبيل الله تعالى » .

\* \* \*

وحتى ترضى وتشكر ربك على ما أعطاك ، اليك هذه الأحاديث الشريفة والآثار النافعة : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض » وفى رواية قال أبو حازم : رأيت أبا هريرة يشير باصبعه مرارا ويقول : « والذى نفس أبى هريرة بيده ما شبع نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من حنطة حتى فارق الدنيا » (١) .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. ما يكفينى من الدنيا ؟ قال : « ما سد جوعتك ، ودارى عورتك ، وان كان لك بيت يظلك فذاك ، وان كان لك دابة فبخ (٢) بخ » (٣) .

وعن أبى عبد الرحمن الحبلى قال : سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص ، وسأله رجل فقال : أأست من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوى اليها ؟ قال : نعم . قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم . قال : فأنت من الأغنياء . قال : فان لى خادما . قال : فأنت من الملوكة (٤) .

وعن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طوبى (٥) لمن هدى للإسلام ، وكان عيشه ككافا وقنع » (٦) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قد أطلع من أسلم ورزق ككافا ، وقنعه الله بما آتاه » (٧) .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) كلمة تقال عند الملاح والرضا .

(٣) رواه مسلم .

(٤) أى العاتية الطيبة ، وقيل هى شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة علم .

(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والحكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٦) رواه مسلم والترمذى .

(٧) رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » وفي رواية : « كفافا » (١) .

الكفاف : ما يكفى الانسان ويكفيه عن ذل السؤال على حد ما قيل :  
أيها المرء ان دنياك بحر موجه طافح فلا تأمنها  
وسبيل النجاة فيها منير وهو أخذ الكفاف والقوت منها  
وللامام النووى :

وجدت القناعة أصل الغنى  
فلا ذا يرانى على بابه  
وعشت غنيا بلا درهم  
ولأبى العتاهية :

رغيف خبز يابس  
أو كوز ماء بارد  
وغرفة ضيقة  
أو مسجد بمعزل  
تدرس فيه دفقرا  
معتبرا بما مضى  
خير من الساعات فى  
فهذه وصيتى  
طوبى لمن يسمحها  
فاسمع لنصح متفق  
وللامام الشافعى رضى الله عنه :

أمت مطامعى فأرحمت نضى  
وأحببت القنوع وكلن هيتا  
إذا طمع يحل بقلب عبد  
ويرحم الله القاتل :

لا تخضعن لخلق على طمع  
واسترزق الله مما فى خزائنه  
واستغن بالله عن دنيا اللوك كما  
فان ذلك وهن منك فى الدين  
فان ذلك بين الكاف والنون  
استغنى اللوك بدنياهم عن الدين

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى غاية من الزهد والتقليل من الدنيا حتى أن قميصه كان فيه أربع رقاع بين كتفيه ، وأبطأ يوماً عن الخروج لصلاة الجمعة وهو خليفة ثم خرج فاعتذر للناس وقال : انما حبسنى عنكم ثوبى هذا ، كان يغسل وليس عندى غيره • وكان يبرز فى الشتاء حتى ترعد مفاصله فيقال له : ألا تأخذ لك من بيت مال المسلمين كساء ، فيقول : لا أنقص المسلمين من بيت مالهم شيئاً لى • وكان لا يجمع فى سماطه بين ادامين حتى أن ابنته حفصة قدمت له مرقا بارداً وصبت عليه زيتا ، فقال : ادامان فى اناء واحد لا آكله حتى ألقى الله عز وجل •

وكان يقول : وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت ، لا أجر لى ولا وزر على • ولما مات رآه العباس رضى الله عنه فى المنام فقال له : وكيف وجدت الأمر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : كاد عرشى يهوى بى لولا أنى وجدت ربا رحيمًا •

وكان الامام على رضى الله عنه يرقع قميصه ويقول : ان لبس المرقع يخشع القلب • ومما ينسب اليه كرم الله وجهه :

حقيق بالتواضع من يموت      ويكفى المرء من دنياه قوت  
فما للمرء يصبح ذا هموم      وحرص ليس تدركه النعوت  
فيا هذا سترحل عن قريب      الى قوم كلامهم السكوت

ولما تولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافة وضع ماله ومال زوجته فاطمة بنت عبد الملك فى بيت مال المسلمين وصار كأحد الناس حتى انه لا يملك الا قميصا واحدا ، وهى كذلك ، فاذا أراد غسله مكث فى البيت حتى يجف على حد ما قيل :

قوم اذا غسلوا الثياب رأيتهم      لبسوا البيوت وزرروا الأبوابا

ومع ما كان عليه من الورع والزهد والعدل الذى ضرب به المثل ، كان له ( سرداب ) ينزل فيه كل ليلة ويظل يبكى ويتضرع الى الله تعالى حتى الصباح ، وقيل له فى مرض الموت : تركت أولادك ليس لهم درهم ولا دينار • فقال : لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطيهم حقا لغيرهم وانما ولدى أحد رجلين : اما مطيع لله ، فالله تعالى كافيه ، وهو يتولى الصالحين ، واما عاص لله فما أبالى بما وقع له •

ولما اجتمع هارون الرشيد بالبهلول قال له : عظنى • فقال :

بم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم ، ثم قال : كيف بك يا أمير المؤمنين إذا أقامك الحق تعالى بين يديه وسألك عن النقيير (١) والفتيل (٢) والقطمير (٣) وأنت عطشان جوعان عريان وأهل الموقف ينظرون اليك ويضحكون ؟ فخنقته العبرة (٤) وأمر له بصلة ، فقال : ردها على من أخذتها منهم قبل أن لا تجد لهم شيئاً ترضيهم به .. ثم أشد :

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع  
ولا تجمع من المال فما تدرى لمن تجمع  
فان الرزق مقسوم وسوء الظن لا ينفع  
فقير كل ذي حرص غنى كل من يقنع

\* \* \*

فلا تنس كل هذا .. و :

كن عن همومك معرضاً وكل الأمور الى القضا  
وابشر بخير عاجل تنسى به ما قد مضى  
قلرب أمر مسخط لك في عواقبه رضا  
ولربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضا  
الله يفعل ما يشاء فلا تكن متعـرضاً  
الله عودك الجميل فقس على ما قد مضى

\* \* \*

وتأمل كذلك قول القائل :

عزيز النفس من لزم القناعه ولم يكشف لمخلوق قناعه  
أفادتنا القناعه كل عز وهل عز أعز من القناعه  
فصيرها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعه  
لتغنى في حياتك عن لئيم وتسعد في الجنان بصبر ساعه

\* \* \*

\* (وأحسن الى جارك تكن مؤمناً) :

وحسبى ترغيباً لك بالاضافة الى هذه الوصية وما قرأته سابقاً (٥)  
في هذا الموضوع أن أقرأ معك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(١) النقيير : هو النقرة التي في ظهر النواة .

(٢) الفتيل : ما في شق النواة .

(٣) القطمير : الغشاء الرقيق الذي حول النواة والمراد ان يسأله الله

(٤) أى الدموع .

تعالى عن كل شيء .

(٥) راجع هذا الموضوع في الجزء الاول والثانى .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« من أغلق بابَه دون جاره مخافة على أهله وماله ، فليس ذلك بمؤمن ، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه ، أو تدرى ما حق الجار ؟ اذا استعانك أعتته ، واذا استقرضك أقرضته ، واذا أصابته مصيبة عزيته ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذُه بقتار<sup>(١)</sup> ريح قدرك الا أن تعرفه ، وان اشتريت فاكهة فاهد له ، فان لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده »<sup>(٢)</sup> .

غفى هذا الحديث الشريف كما رأيت يوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالاحسان الى الجار على هذا النحو الذي قرأته ، وذلك لأن جارك أقرب اليك من أهلِكَ وعشيرتك وهو عونك وساعدك الأيمن في أفراحك وأحزانك .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر دائما وأبدا من اذاء الجار فيقول : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » قيل : يا رسول الله .. لقد خاب وخسر ، ومن هذا ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه » قالوا : وما بوائقه ؟ قال : « شره »<sup>(٣)</sup> .

ويقول : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم »<sup>(٤)</sup> .

ويقول : « ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع »<sup>(٥)</sup> .

ويقول : « كم من جار متعلق بجاره يقول : يا رب .. سل هذا لم أغلق عنى بابَه ، ومنعنى فضله »<sup>(٦)</sup> ؟

وعندما جاءه رجل يقول له : يا رسول الله .. اكسنى<sup>(٧)</sup> أعرضن

(١) الدخان من المطبوخ .

(٢) رواه الخرائطي من مكارم الاخلاق .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه الطبراني والبخاري واسناده حسن .

(٥) رواه الطبراني وأبو يعلى ورواته ثقات ورواه الحاكم من حديث عائشة

(٦) رواه الأصبهاني .

(٧) أى اعطنى ثوبا استر به عورتى .

عنه ، فقال : يا رسول الله .. اكسنى ، فقال : « أما لك جار له فضل (١) ثوبين » ؟ قال : بلى ، غير واحد (٢) ، قال : « فلا يجمع الله بينك وبينه في الجنة (٣) » (٤) .

وذات يوم جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره ، قال : « اطرح متاعك على طريق » فطرحه ، فجعل الناس يمرّون عليه ويلعنونه (٥) ، فجاء (٦) الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. لقيت من الناس ، قال : « وما لقيت منهم » ؟ قال : يلعنوننى ، قال : « لقد لعنك الله قبل الناس » فقال : انى لا أعود ، فجاء الذى شكاه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ارفع متاعك فقد كفيت » (٧) .

رواه الطبرانى والبزار باسناد حسن بنحوه الا أنه قال : « ضع متاعك على الطريق — أو على ظهر الطريق — » فوضعه ، فكان كل من مر به قال : ما شأنك ؟ قال : جارى يؤذيني . قال : فيدعو عليه ، فجاء جاره ، فقال : رد متاعك ، فانى لا أؤذيك أبدا .

وقال رجل : يا رسول الله .. ان فلانة تكثر من صلاتها وصدقاتها وصيامها (٨) غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها (٩) قال : « هي في النار » قال : يا رسول الله .. فان فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها ، وأنها تتصدق بالأتوار من الأقط (١٠) ولا تؤذى جيرانها ، قال : « هي في الجنة » رواه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد ، ورواه أبو بكر بن أبى شيبة باسناد صحيح أيضا ، ولفظ بعضهم :

- (١) يعنى له أكثر من ثوبين .
- (٢) أى ليس له جار واحد بل كثير .
- (٣) يعنى لن يدخل معك لاخلاله بحق الجوار .
- (٤) رواه الطبرانى في « الأوسط » .
- (٥) أى يدعون باللعنة على الذى آذاه وحمله على ترك داره .
- (٦) أى الجار .
- (٧) أى كفاك الله شر جارك .
- (٨) أى تكثر من نوافل الصلاة والصيام والصدقة بعد أداء الفرائض .
- (٩) أى تسبهم وتشتبهم .
- (١٠) التور : اناء يشرب فيه والجمع : أتوار ، والأقط : اللبن المحض يجمد حتى يستحجر ويطحخ ، أو يطبخ به .

قال : يا رسول الله .. فلانة تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وتؤذى جيرانها . قال : « هي في النار » قالوا : يا رسول الله .. فلانة تصلي المكتوبات<sup>(١)</sup> وتتصدق بالأتوار من الأقط ولا تؤذى جيرانها ، قال : « هي في الجنة » .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته الجداء<sup>(٢)</sup> في حجة الوداع<sup>(٣)</sup> يقول : « أوصيكم بالجار حتى أكثر<sup>(٤)</sup> ، فقلت : انه يورثه »<sup>(٥)</sup> .

فاذكر كل هذا حتى تحسن الى جارك فتكون مؤمنا ، وحسبك أن تصل الى هذه الدرجة العظيمة التي ان وصلت اليها كنت من المؤمنين حقا ، وهم : أولياء الله الذين : « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »<sup>(٦)</sup> .

ويقول الامام الغزالي في « احياء علوم الدين » :  
واعلم : أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط ، بل احتمال الأذى ، فان الجار أيضا قد كف آذاه ، فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفى احتمال الأذى ، بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف ، اذ يقال : ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ، فيقول : يا رب .. سل هذا ، لم منعى معروفه وسد بابہ دونی ؟

وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره في دين ركبه ، وكان يجلس في ظل داره ، فقال : ما قمت اذن بجرمة ظل داره ان باعها معدما ، فدفعت اليه ثمن الدار ، وقال : لا تبعها .

ويروى أن رجلا جاء الى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له : ان لى جارا يؤذيني ويشتمنى ويضيق على ، فقال : اذهب ، فان هو عصى الله نيك فأطع الله فيه .

(١) يعنى اقتصر على صلاة المكتوبات .

(٢) وفي بعض الاجاديث انه كان على ناقته القواء وروى على جمل

احمر .

(٣) وهى الحجة الوحيدة التي حجها في الاسلام ولم يحج قبلها

ولا بعدها .

(٤) أى بلغ في الوصية واكاد فيها .

(٥) رواه الطبرانى باسناد جيد . (٦) يونس : ٦٢ .



وقال عبد الله : قال رجل : يا رسول الله .. كيف لى أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت ؟ قال : « اذا سمعت جيرانك يقولون : قد أحسنت ، فقد أحسنت ، واذا سمعتهم يقولون : قد أسأت فقد أسأت » (١) .

وقال جابر رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من كان له جار له فى حائط أو شريك له فلا يبيعه حتى يعرضه عليه » (٢) .

وجملة حق الجار : أن يبدأه بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عن حاله السؤال ، ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ، ويقوم عنه فى العزاء ويهنئه فى الفرح ، ويظهر الشركة فى السرور معه ، ويصفح عن زلاته ، ولا يتطلع الى عوراته ، ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره ، ولا فى صب الماء فى ميزابه ، ولا فى طرح التراب فى فنائه ، ولا يضييق طريقته الى الدار ، ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ، ويستتر ما ينكشف له من عوراته ، وينعشه من صرعه اذا نابتة نائبة ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولا يسمع عليه كلاما ، ويغض بصره عن حرمة ، ولا يديم النظر الى خادمته ، ويتلطف بولده فى كلمته ، ويرشده الى ما يجله من أمر دينه ودنياه .

ففى الحديث الشريف : « من أراد الله به خيرا عسله » قيل : وما عسله ؟ قال : « يحببه الى جيرانه » (٣) .

\* \* \*

\* ( وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ) \*

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصاك ولا زال يوصيك بهذه الوصية فى شخص أبى هريرة رضى الله عنه فالسبب فى هذا هو

(١) رواه أحمد والطبرانى ، وعبد الله هو ابن مسعود ، واسناده جيد .  
 (٢) رواه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار ، وقال : صحيح الإسناد وهو عند الخرائطى فى « مكارم الأخلاق » بهذا اللفظ ، ولابن ماجه فى حديث ابن عباس : « من كان له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره » ورجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه أحمد من حديث أبى عتبة الخولانى ، ورواه الخرائطى فى « مكارم الأخلاق » . ورواه البيهقى فى « الزهد » من حديث عمرو بن الحقيق . زاد الخرائطى : قيل : وما عسله ؟ قال : « حبه الى جيرانه » . وقال البيهقى : يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله : واسناده جيد .

أنه صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون مسلما ، ويجب أن تكون مؤمنا ،  
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه  
ما يحب لنفسه » (١) .

وكيف لا وهو سيد المؤمنين ، وامام المسلمين ، وقدوة الحبين  
الصادقين .

ولما كان هذا الذى يوصيك به المصطفى صلى الله عليه وسلم  
من حقوق المسلم عليك فقد رأيت وقبل أن أدور معك حول هذا العنصر الهام  
الذى لا تدوم المودة والتراحم والتعاطف بين المؤمنين الا به — رأيت —  
أن أقف معك على أهم هذه الحقوق التى منها كما ورد فى الأخبار والآثار :  
أن تسلم عليه اذا لقيتته ، وتجيئه اذا دعاك ، وتشمته اذا عطس ،  
وتعوده اذا مرض ، وتشهد جنازته اذا مات ، وتبر قسمه اذا أقسم  
عليك ، وتنصح له اذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب  
عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك . وهذا هو  
ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « مثل المؤمنین  
فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى  
إليه سائرہ بالحمى والسهر » (٢) ، وقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان  
يشد بعضه بعضا » (٣) .

\* \* \*

ومنها أن تتواضع لكل مسلم ، ولا تتكبر عليه .

وحسبك قول الله تعالى : « ان الله لا يحب من كان مختالا  
تفخورا » (٤) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى  
أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد » (٥) وعن أبى أوفى :  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ، ولا يتكبر  
أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجتهم .

\* \* \*

ومنها أن لا تسمع الى وشاية أحد عن أحد من الناس ولا تنقلها  
إليه حتى لا تكون فتانا ، ففى الحديث الشريف : « لا يدخل الجنة

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه . (٤) النساء : ٣٦

(٥) رواه أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حمار

ورجاله رجال الصحيح .

قتات» (١) • ويقول الخليل بن أحمد رضى الله عنه : من نم لك نم عليك ،  
ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك •  
ومنها أن لا يزيد هجرك لمن تعرفه على ثلاثة أيام مهما كان غضبك  
عليه ، ففي الحديث الشريف : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق  
ثلاث فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » (٢) •  
تقول عائشة رضى الله عنها : « ما انتقم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لنفسه قط ، الا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم لله » (٣) • وفي  
الخبر : قال الله تعالى ليوسف عليه السلام : « بعفوك عن اخوتك  
رفعت ذكرك فى الدارين » كما يقول ابن عباس رضى الله عنهما : ما عفا  
رجل عن مظلمة الا زاده الله عزاء •

\* \* \*

ومنها أن تحسن الى كل مسلم ما دام هذا فى استطاعتك دون  
تمييز بين أهلك وغيرهم ، ففي الحديث الشريف : « رأس العقل  
بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » (٤) •  
وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم  
أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله  
فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه من كرب يوم القيامة ،  
ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » (٥) •

\* \* \*

ومنها أن لا تدخل على أحد من المسلمين الا باذنه ، ومن السنة أن  
تستأذنه ثلاثا ، فان لم يؤذن لك انصرف • ففي الحديث : عن أبى سعيد  
الخدري قال : أتانا أبو موسى قال : ان عمر أرسل الى أن آتية ، فأتيت  
بابه فسلمت ثلاثا فلم يرد على ، فرجعت • قال : ما منعك أن تأتينا ؟  
فقلت : انى أتيت فسلمت على بابك ثلاثا فلم تردوا على فرجعت ،  
وقد قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا استأذن أحدكم  
ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » فقال عمر : أقم عليه البينة • قال أبو سعيد :  
فقممت معه فذهبت الى عمر فشهدت (٦) •

(١) متفق عليه من حديث حذيفة . والقتات هو النوم .

(٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه الطبرانى فى « الأوسط » والخطابى فى « تاريخ الطالبين » .

(٥) متفق عليه .

(٦) متفق عليه .

مع ملاحظة هذا أيضا مع أهلك فربما كانت الزوجة في وضع يؤلك رؤيته • ولهذا كان من السنة أن تطرق الباب قبل أن تدخل عليها حتى تتهيأ لاستقبالك بالصورة التي ترضيك •

وحتى مع أمك • فعن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أستأذن على أمي ؟ فقال : « نعم » ، فقال الرجل : انى معها في البيت • قال : « فاستأذن عليها » •

مع ملاحظة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره أن يقول المستأذن : أنا • فعن جابر رضى الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبى فدققت الباب فقال : « من ذا » ؟ فقلت : أنا • فقال : « أنا ، أنا » كأنه كرها (١) •

\* \* \*

ومنها : أن تخالق الناس بخلق حسن ، وتعاملهم بحسب طريقتهم ، فانك ان أردت لقاء الجاهل بالعلم ، والأمى بالفقه ، والعمى بالبيان ، آذيت وتأذيت • وهذا هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » مع ملاحظة أن المتكلم البليغ كما يقول علماء البلاغة هو الذى يراعى مقتضى الحال ، وهو كالطبيب يصف لكل مريض دواءه •

\* \* \*

ومنها : أن توقر الكبير ، وترحم الصغير • ففى الحديث الشريف : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » (٢) •

وفى حديث آخر : « من اجل الله اكرام ذى الشيعة المسلم » (٣) •

\* \* \*

ومنها أن تكون مع كافة الخلق مستبشرا ، طلق الوجه ، رفيقا : ففى الحديث الشريف : « ان الله يحب السهل الطلق الوجه » (٤) •

(١) متفق عليه •

(٢) رواه أبو داود والبخارى فى « الأدب » من حديث عبد الله بن عمر

• بويسند حسن •

(٣) رواه أبو داود من حديث أبى موسى الأشعري بإسناد حسن •

(٤) رواه البيهقى فى « شعب الإيمان » •

وأیضا : « ان من موجبات المغفرة : بذل السلام وحسن الكلام » (١) .  
 كما روى أن رجلا من بنى اسرائيل صام سبعين سنة ، يفطر  
 فى كل سبعة أيام ، فسأل الله تعالى أن يريه كيف يغوى الشيطان الناس ،  
 فلما طال عليه ذلك ولم ير هذا ، قال : لو اطلعت على خطيئتى وذنبى  
 بينى وبين ربى لكان خيرا لى من هذا الأمر الذى طلبته . فأرسل  
 الله اليه ملكا فقال له : ان الله أرسلنى اليك وهو يقول لك : ان كلامك  
 هذا الذى تكلمت به أحب الى مما مضى من عبادتك ، وقد فتح الله  
 بصرك فانظر . فنظر ، فاذا جنود ابليس قد أحاطت بالأرض ، واذا  
 ليس أحد من الناس الا والشياطين حوله كالذئاب ، فقال : أى رب . .  
 من ينجو من هذا ؟ قال : الورع اللين .

\* \* \*

ومنها : أن لا تعد مسلما بوعد الا وفيت به :  
 ففى الحديث الشريف : « ثلاث فى المنافق : اذا حدث كذب ،  
 واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان » (٢) .

وعن يزيد بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وعد  
 الرجل أخاه ومن نيته أن يفى له ، فلم يف ، ولم يجىء للميعاد ،  
 فلا اثم عليه » (٣) .

وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمار  
 أخاك ، ولا تمازحه ، ولا تعده وعدا فتخلفه » (٤) .

\* \* \*

ومنها : أن تتصف الناس من نفسك ، وتعاملهم بما تحب أن  
 يعاملوك به :

فى الحديث الشريف : « لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون  
 فيه ثلاث خصال : الانفاق من الاقتار ، والانصاف من نفسه ، وبذل

(١) رواه ابن تسيية فى مصنفه والطبرانى والخرايطى فى « مكارم  
 الاخلاق » ، والبيهقى فى « شعب الايمان » من حديث هاتىء بن زيد باسناد جيد

(٢) متفق عليه من حديث أبى أبى هريرة نحوه .

(٣) رواه أبو داود والترمذى .

(٤) رواه الترمذى وقال : حديث غريب .

السلام» (١) • وأيضا : « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وليؤت الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه » (٢) •

وقيل : « أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام بأربع خصال وقال : فيهن جماع الأمر لك ولولدك ، واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة بينى وبينك ، وواحدة بينك وبين الخلق • فأما التى لى : تعبدنى ولا تشرك بى شيئا •

وأما التى لك : فعملك أجزيك به أفقر ما تكون اليه •  
وأما التى بينى وبينك : فعليك الدعاء وعلى الاجابة •  
وأما التى بينك وبين الناس : فتصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك به •

« وسأل موسى عليه السلام ربه فقال : أى رب • • أى عبادك أعدل ؟ قال : من أنصف من نفسه • »



ومنها : أن تريد فى توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته • فتنزل الناس منازلهم ، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته ، فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي ، فلم يجد مكانا ، فقعده على الباب ، فلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ، فألقاه اليه ، وقال له : « اجلس على هذا » فأخذه جرير ووضعته على وجهه وجعل يقبله ويبكى ، ثم لفته ورمى به الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتنى • فنظر النبى صلى الله عليه وسلم يميننا وشمالا ثم قال : « اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » (٣) •

وروى أن عائشة رضى الله عنها كانت فى سفر ، فنزلت منزلا • فوضعت طعامها ، فجاء سائل فقالت عائشة : ناولوا هذا المسكين قرصا ، ثم مز رجل على دابة ، فقالت : ادعوه الى الطعام • فقيل لها : تعطين المسكين وتدعين هذا الغنى ؟ فقالت : ان الله تعالى أنزل الناس

(١) رواه الخرائطى فى « مكارم الاخلاق » من حديث عمار بن ياسر ووافقه البخارى عليه •

(٢) رواه مسلم بنحوه والخرائطى بلنطة •

(٣) رواه الحاكم من حديث جابر وقال : صحيح الاسناد •

منازل لا يبد لنا أن نازلهم تلك المنازل ، هذا المسكين يرضى بقرص ،  
وقبيح بنا أن نعطي هذا الغنى على هذه الهيئة قرصا .

\* \* \*

ومنها : أن تصلح ذات البين بين المسلمين ما وجدت الى ذلك  
سبيلا ، ففي الحديث الشريف : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة  
والصيام والصدقة » ؟ قالوا : بلى ، قال : « اصلاح ذات البين ، وفساد  
ذات البين ، هي الحالقة » (١) وأيضا : « ليس بكذاب من أصلح  
بين اثنين فقال خيرا » (٢) .

\* \* \*

ومنها : أن تستر عورات المسلمين ففي الحديث الشريف : « من  
ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة » (٣) وأيضا :  
« لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيامة » (٤) .

ومنها : أن تتقى مواضع التهم ، صيانة لقلوب الناس عن اساءة  
الظن فيك ، فيغتابونك بما تكره .

وحسبك في هذا ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نساته ، فمر رجل فدعاه  
صلى الله عليه وسلم وقال : « يا فلان .. هذه زوجتي صفية » فقال :  
يا رسول الله .. من كنت أظن فيه فاني لم أكن أظن فيك فقال :  
« ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » (٥) . وزاد في  
رواية : « انى خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا » وكانا رجلين ،  
فقال : « على رسلكما . انها صفية » (٦) الحديث ، وكانت قد زارته  
في العشر الأواخر من رمضان .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر برجل يكلم امرأة

(١) رواه أبو داود والترمذى وصححه من حديث أبى الدرداء .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة أيضا .

(٥) رواه مسلم .

(٦) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

على ظهر الطريق ، فعلاه بالدرة<sup>(١)</sup> ، فقال : يا أمير المؤمنين •• انها امرأتى ! فقال : هلاحيث لا يراك أحد من الناس •

\*\*\*

ومنها أن تشفع لكل من له حاجة من المسلمين ، الى من له عنده منزلة ، وتسمى في قضاء حاجته بما تقدر عليه •  
 ففي الحديث الشريف : « انى أوتى وأسئل وتطلب الى الحاجة وأنتم عندى فاشفَعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدى نبيه ما أحب »<sup>(٢)</sup> •  
 وروى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن زوج بريرة كان عبدا يقال له « مغيث » كأنى أنظر اليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته • فقال صلى الله عليه وسلم للعباس : « ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة ، وشدة بغضها له » • فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لو راجعته فانه أبو ولدك » فقالت : يا رسول الله •• أنأمرنى فأفعل ؟ فقال : « لا ، انما أنا شافع »<sup>(٣)</sup> •

\*\*\*

ومنها : أن تبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ، وتصافحه عندا السلام ، ففي الحديث الشريف : « والذي نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتكم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله • قال : « أفشوا السلام بينكم »<sup>(٤)</sup> •

يقول قتادة : كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام ، وهو تحية أهل الجنة •

والمصافحة أيضا سنة السلام : يقول سيدنا عمر رضى الله عنه : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه نزلت بينهما مائة رحمة ، للبادئ تسعون • وللمصافح عشرة »<sup>(٥)</sup> • وفى الحديث أيضا : « تمام تحياتكم

(١) اى بالسوط •

(٢) متفق عليه من حديث أبى موسى نحوه ؛

(٣) رواه البخارى •

(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة •

(٥) رواه البزار فى مسنده والخرائطى فى « بكارم الاخلاق » واللفظ له •



المصافحة» (١) ويقول الحسن عليه رضوان الله : المصافحة تزيد في الود .

والانحناء عند السلام منهى عنه : يقول أنس رضى الله عنه : قلنا : يا رسول الله .. أينحنى بعضنا لبعض ؟ قال : « لا » قال : فيقبل بعضنا بعضا ؟ قال : « لا » قال : فيصافح بعضنا بعضا ؟ قال : « نعم » (٢) .

والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر : يقول أبو ذر رضى الله عنه : ما لقيته صلى الله عليه وسلم الا صافحنى ، وطلبنى يوما فلم أكن فى البيت ، فلما أخبرت جئت وهو على سريره فالتزمنى فكانت أجود وأجود (٣) .

والأخذ بالركاب فى توقير العلماء ورد به الأثر : فقد فعله ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت ، وأخذ عمر بنغرز زيد حتى رفعه ، وقال : هكذا فافعلوا بزيد وأصحاب زيد . والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام .

ويقول أنس رضى الله عنه : « ما كان شخص أحب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك » (٤) .

وفى الحديث الشريف : « من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » (٥) .

وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقمين الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » (٦) . وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به » (٧) .

\* \* \*

(١) رواه الخرائطى فى « مكارم الأخلاق » وهو عند الترمذى من حديث أمامة وضعفه .

(٢) رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقى .

(٣) رواه أبو داود .

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

(٥) متفق عليه . (٦) رواه مسلم .

(٧) رواه الترمذى وحسنه .

ومنها : أن تصون عرض أخيك المسلم ، ونفسه وماله عن ظلم غيره وترد عنه وتناضل دونه ، وتنصره ، فإن ذلك يجب عليك بمقتضى أخوة الاسلام .

• روى أبو الدرداء رضى الله عنه أن رجلا قال من رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد عنه رجل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار » (١) .

• وعن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » (٢) .

• وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فقال رجل : يا رسول الله . . أنصره مظلوما ، فكيف أنصره ظالما ؟ قال : « تمنعنه من الظلم ، فذلك نصرك اياه » (٣) .

### \* \* \*

ومنها أن تشمت العاطس ، أى إذا قال العاطس « الحمد لله » تشمته بقولك : « يرحمك الله » ثم من السنة أن يرد العاطس قائلا : « يهديكم الله ، ويصلح بالكم - أو يغفر الله لى ولكم » .

فقد ورد فى الحديث الشريف أن العاطس يقول : الحمد لله على كل حال . ويقول الذى يشمته : « يرحمكم الله » ويرد العاطس فيقول : « يهديكم الله ويصلح بالكم » (٤) وعن ابن مسعود رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله رب العالمين ، فإذا قال ذلك فليقل من عنده : يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل : يغفر الله لى ولكم » (٥) .

وفى حديث آخر : « يشمت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثا فإن

(٢) رواه مسلم .

(١) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه البخارى وأبو داود من حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى :

على كل حال .

(٥) رواه النسائى ، ورواه أيضا أبو داود والترمذى من حديث

سالم بن عبدالله واختلف فى اسناد .

زاد فهو زكام» (١) أى اذا زاد العطس على ثلاث مرات فهو مزكوم  
فينبغي أن تقول له : شفاك الله .

وفي الحديث الشريف : « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان » .  
وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« اذا تتأب أحدكم فليمسك يده على فمه ، فان الشيطان يدخل مع  
التثاؤب » (٢) .

ومن السنة اذا تتأبعت أن تضع يدك اليمنى ظهرا وباطنا على فمك  
وبالنسبة ليدك اليسرى فضع ظهرها دون باطنها (٣) .  
وكذلك اذا عطست أثناء قضاء الحاجة (٤) فاحمد الله فى نفسك  
دون تحريك لسانك ، واذا عطست فى صلاتك فتذكر هذا الحديث :

روى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن رجلا عطس خلف  
النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة ، فقال : الحمد لله حمدا كثيرا  
طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى ، والحمد لله على كل  
حال . فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صاحب هذه  
الكلمات ؟ فقال : أنا يا رسول الله . ما أردت بهن الا خيرا . فقال :  
« رأيت اثنى عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها » (٥) .

\* \* \*

ومنها : اذا بليت بانسان لا خلاق له ، فاتق شره وتحمله ، فقد  
ورد عن عائشة رضى الله عنها قالت : استأذن رجل على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقال : « ائذنوا له ، فبئس رجل العشييرة هو »  
فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة . فلما خرج  
قلت له : لما دخل قلت الذى قلت ثم ألنت له القول ! فقال :  
« يا عائشة . ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس

(١) حديث : « شمئوا المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام »  
رواه أبو داود من حديث أبى هريرة : « شمئ أخاك ثلاثة . . . » الحديث ،  
واسناده جيد .

(٢) رواه مسلم .

(٣) تفزيها لفمك لأنك تستنجى بيدك اليسرى .

(٤) أى وانت فى دورة المياه .

(٥) رواه أبو داود باسناد جيد .

اتقاء فحشيه» (١) . وهذا هو ما أثار الله سبحانه وتعالى اليه في  
قـسـولـه : « ادفع بالتي هي أحسن السيئة . . . » (٢) .

ويقول ابن عباس في معنى قوله تعالى : « ويدرأون بالحسنة  
السيئة » (٣) أى الفحش والإذى بالسلام والداراة ، وقال في قوله  
تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض » (٤) أى : بالرغبة  
والرهبة ، والحياء والداراة . ويقول أبو الدرداء رضى الله عنه :  
انا لنبش في وجوه أقوام ، وان قلوبنا لتلعنهم . وفي الأثر : خالطوا  
الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب .

\* \* \*

ومنها : أن تكون ناصحا لكل مسلم ، وتعمل على أن تكون سببا  
في إدخال السرور على قلبه :

فغن تميم الدارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين  
النصيحة » ثلاثا . قلنا : لمن ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين ،  
وعامتهم » (٥) .

وعن جرير بن عبد الله قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
على اقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » (٦) .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قضى  
لأحد من أمتي حاجة يريد أن يسره بها فقد سرنى ، ومن سرنى فقد  
سر الله ، ومن سر الله أدخله الله الجنة » (٧) . وعنه قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثا وسبعين  
مغفرة ، واحدة فيها صلاح أمره كله ، وثنتان وسبعون له درجات  
يوم القيامة » (٨) .

وعنه وعن عبد الله قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« المخلق عيال الله ، فأهب الخلق الى الله من أحسن الى عياله » (٩) .

\* \* \*

(٢) المؤمنون : ٦٦

(٤) البقرة : ٢٥١

(٦) متفق عليه .

(١) متفق عليه .

(٣) الرعد : ٢٢

(٥) رواه مسلم .

(٧) رواه البيهقي .

(٨ ، ٩) رواهما البيهقي في « شعب الإيمان » ، والأحاديث الثلاثة

في « شعب الإيمان » .

ومنها : أن تعود مرضى المسلمين ، مع مراعاة آداب الزيارة ، ومنها : خفة الجلسة وقلة السؤال ، وإظهار الرقة ، والدعاء بالعافية ، وغض البصر عن عورات الموضع ، وعند الاستئذان لا يقابل الباب بوجهه ، ويدق برفق ، ولا يقول : « أنا » إذا قيل له : من ؟ ولا يقول : يا غلام ، ولكن يحمد ويسبح . وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل »<sup>(١)</sup> وقوله : « إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة ، فإذا قعد عنده قرت فيه »<sup>(٢)</sup> .

ثم وأنت في عيادة المريض ، إذا رأيت عنده استعدادا لوقوع كلامك يحسن أن تبشره مثلا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يصبر منه »<sup>(٣)</sup> وعوده بما عوذ به الرسول صلى الله عليه وسلم عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه عندما عاده وقد كان مريضا فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد »<sup>(٤)</sup> قالها مرارا . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى أمية طالب رضى الله عنه وهو مريض ، فقال له : « قل اللهم انى أسألك تعجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا الى رحمتك ، فانك ستعطينى احداها »<sup>(٥)</sup> .

(١) رواه أصحاب السنن والحاكم من حديث على : « من أتى أخاه المسلم عائدا مشى في خرافة الجنة حتى يجلس ، فإذا جلس غمرته الرحمة ، فان كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وان كان مساء . . . » الحديث : لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ، ولمسلم من حديث جابر وقال : « من عاد مريضا لم يزل في خرافة الجنة » والخرافة : ما يجتنى من الفواكه في الخريف .

(٢) رواه الحاكم والبيهقى من حديث جابر وقال : « انغمس فيها » . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

(٣) رواه البخارى من حديث أبى هريرة .

(٤) رواه ابن السنن في « اليوم والليلة » . والطبرانى والبيهقى

في « الادعية » من حديث عثمان بن عفان باسناد حسن .

(٥) رواه ابن أبى الدنيا في كتاب « المرضى » من حديث انس بسند

ضعيف ، وروى البيهقى في « الدعوات » من حديث عائشة أن جبريل علمها للنبي صلى الله عليه وسلم وقال : « ان الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات » .

مع ملاحظة : أن أفضل العيادة أخفها ، وأن عيادة المريض مرة سنة وما زاد فنافلة ، وأنها — أى عيادة المريض — تكون بعد ثلاث • وأنه من جملة آداب المريض : حسن الصبر ، وقلة الشكوى والضجر ، والفرع الى الدعاء ، والتوكل بعد تعاطى الدواء على مالك الشفاء سبحانه وتعالى ، وفي هذا يقول أحدهم :

ذهبت أناذى طبيب الورى وروحى تناجى طبيب السماء  
طبيبين : ذاك ليعطى الدواء وذاك ليجعل فيه الشفاء

\* \* \*

ومنها أن تشيع جناز المسلمين :

ففى الحديث الشريف : « من شيع جنازة فله قبراط من الأجر ، فان وقف حتى تدفن فله قبراطان » (١) وفى الخبر : « القيراط مثل أحد » (٢) وعندما روى أبو هريرة رضى الله عنه هذا الحديث ، وسمعه ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : لقد فرطنا الى الآن فى قراريط كثيرة •

والقصد من التشيع : قضاء حق المسلمين والاعتبار وترقيق القلب مع لزوم الخشوع ، وترك الحديث ، وملاحظة الميت ، والتفكير فى الموت والاستعداد له ، والمشى أمام الجنازة وبقربها •

ومنها : أن تزور قبور المسلمين لتدعو لهم وتعتبر بمن فيها حتى يرق قلبك وتتذكر نهايتك •

ففى الحديث الشريف : « ما رأيت منظرا الا والقبر أقطع منه » (٣) •

ويقول سيدنا عمر رضى الله عنه : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر ، فجلس الى قبر ، وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكىنا • فقال : « ما يبكيكم » ؟ قلنا : بكينا لبكائك • قال : « هذا قبر أمية بنت وهب ، استأذنت ربي فى زيارتها فأذن لى ، واستأذنته فى أن أستغفر لها فأبى على ، فأدركنى ما يدرك الولد من الرقة » (٤) •

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة •

(٢) حديث : « القيراط مثل أحد » رواه مسلم من حديث ثوبان

وأبى هريرة وأصله متفق عليه •

(٣) رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحكم وصححه اسناده •

(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة •

وكان سيدنا عمر رضى الله عنه ، اذا وقف على قبر بيكى حتى تبل لحيته ويقول : سمعت رسول الله يقول : « ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وان لم ينج منه فما بعده أشد » (١) .

وقد ورد في الخبر : أن أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول : أنا بيت الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الغربة ، وبيت الظلمة ، فهذا ما أعددت لك ، فما أعددت لى ؟

وكان أبو ذر يقول لأصحابه : ألا أخبركم بيوم فقري ؟ يوم أوضع فى قبرى .

وكان أبو الدرداء يقعد الى القبور ، ففيل له فى ذلك ، فقال : أجلس الى قوم يذكروننى معادى ، وان قمت عنهم لم يغتابونى .  
وقال حاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ، ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم .

وقال سفيان : من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من النار .  
وكان الربيع بن خيثم قد حفر فى داره مقبرا ، فكان اذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ، ثم قال : « رب أرجعون . لطفى أعمل صالحا فيما تركت » (٢) .

ثم يقول : يا ربيع . . قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع .

\* \* \*

قال فى « الاحياء » : فهذه جملة آداب تتبها على آداب المعاشرة مع عموم الخلق ، والجمنة الجامعة فيه أن لا تستصغر منهم أحدا حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصالح .

ولا تنتظر اليهم بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم ، فان الدنيا صغيرة عند الله ، صغير ما فيها ، وان عظم أهل الدنيا فى نفسك ، فقد عظمت الدنيا ، فتسقط من عين الله (٣) .

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال : صحيح الاسناد ، وقال الترمذى : حسن غريب .

(٢) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٣) بسبب تكالك على الدنيا وتعظيمك لاهلها .

ولا تبذل لهم دينك لتتال من دنياهم ، فتصغر في أعينهم ،  
ثم تحرم دنياهم ، فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى  
بالذى هو خير .

ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك فى المعادة ،  
ويذهب دينك ودنياك فيهم ، ويذهب دينهم فيك ، الا اذا رأيت منكرا  
فى الدين ، فتعادى أفعالهم القبيحة ، وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم ،  
لتعرضهم لقت الله وعقوبته بعصيانهم . فحسبهم جهنم يصلونها ،  
فمالك تحقد عليهم !

ولا تسكن اليهم فى مودتهم لك ، وثنائهم عليك فى وجهك ، وحسن  
بشرهم لك ، فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد فى المائة الا واحدا ،  
وربما لا تجده .

ولا تشك اليهم أحوالك ، فيكلك الله اليهم .  
ولا تطمع أن يكونوا لك فى السر كما فى العلانية ، فذلك طمع كاذب ،  
وأنى تظفر به .

ولا تطمع فيما فى أيديهم ، فتستعجل الذل ، ولا تنال الغرض .  
ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم ، فان الله يلجئك اليهم عقوبة  
على الكبر بظهور الاستغناء .

وإذا سألت أخا منهم حاجة فقضاها ، فهو أخ مستفاد ، وان لم  
يقض فلا تعاتبه ، فيصير عدوا تطول عليك مقاساته .  
ولا تشغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول ، فلا يسمع منك  
ويعاديك ، وليكن وعظك عرضا واسترسالا ، من غير تنصيص على  
الشخص .

وإذا رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك ،  
واستعذ بالله أن يكلك اليهم .

وإذا بلغك عنهم غيبة ، أو رأيت منهم شرا ، أو أصابك منهم  
ما يسوءك فكل أمرهم الى الله ، واستعذ بالله من شرهم ، وقل :  
« حسبى الله ونعم الوكيل » (١) مع ملاحظة قوله تعالى : « يا أيها الذين  
آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا  
على ما فطمت نادمين » (٢) .

(١) آل عمران : ١٧٣ - بلفظ : « حسبنا » .

(٢) الحجرات : ٦ .



وقال أيضا في « الاحياء » : واحذر صحبة أكثر الناس فانهم لا يقبلون عثرة ولا يغفرون زلة ، ولا يسترون عورة • ويحاسبون على النقيير والمقطمير ، ويحسدون على القليل والكثير ، وينتصفون ولا ينصفون ، ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون ، ويعرون الاخوان على الاخوان بالنميمة والبهتان وصحبة أكثرهم خسران • وقطيعتهم رجحان ، ان رضوا فظاهرهم الملق ، وان سخطوا فباطنهم الحق ، لا يؤمنون في حقهم ، ولا يرجون في ملقهم • ظاهرهم ثياب ، وباطنهم ذئاب ، يقطعون بالظنون ، ويتغامزون ورائك بالعيون • ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون ، ويحصون عليك العثرات في صحبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم •

ولا تعول على مؤدة من لم تخبره حق الخبرة بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد ، فتخبره في عزله وولايته ، وغناه وفقره ، أو تسافر معه ، أو تعامله في الدينار والدرهم ، أو تقع في أشدة فحتاج اليه ، فان رضيته في هذه الأحوال ، فاتخذه أباك ان كان كبيرا ، أو ابنا لك ان كان صغيرا ، أو أخا ان كان مثلك •

فلاحظ كل هذا وكن وفيا لآخوانك ، محبا لآخلك ، واياك اياك أن تكون من اخوان السوء الذين لا يحرصون الا على مصالحهم ، ولا يحبون الا أنفسهم ولا يفكرون الا في مشاكلهم وجلب منافعهم حتى ولو كان على حساب غيرهم •

\* \* \*

ولما كان أصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ورضى الله عنهم وأرضاهم قد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم حتى أصبحوا كما وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز : « ..... ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة<sup>(١)</sup> ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »<sup>(٢)</sup> •

فقد رأيت اتماما لهذا العرض المبارك أن أسوق اليك بعض النماذج الهامة التي أرجو أن ننتفع بها في حياتنا الدنيوية والأخروية ، وحتى نكون من المساهمين في بنك المحبة :

(٢) الحشر : ٩

(١) الخصاصة : أي الفقر •

وهو بنك خزائنه في القلوب ، وسبائكته من نور ، وشيكاته ابتسامات وعملته السهلة الصفاء ، سنداتة الاخلاص ، وضماناته المعروف ، وهو يتسع لكافة المعاملات ، لا تصدمك أرقامه ، ولا يفرعك تقلب أسعاره ، يدوم دوام المحبة . والمحبة زهرة ان ذبلت يوما عاش عطرها أبدا ، لا يفرق بين الناس وفقا لوضعهم المادى ، بل ان أولاهم بثقتة من عظمت شخصيته ، وأوفرهم رصيда من شف قلبه حنانا ورفقت روحه سلاما ، يجمع القلوب ، ولا يجمع الأرقام ، يحصى الخير وي طرح السيئات ، ولا يبالي الا بالكلمة الطيبة . . لو تعامل الناس مع هذا البنك لتناسوا أحقادهم ، وارتفع رصيذ انسانية كل منهم الى ما فوق الغنى ، وغنى النفوس لا يقدر بمال ، بل هو كنز موعود لأصحاب القلوب البيضاء .

قال صاحب « الروض الفائق » : روى أبو هريرة رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق ، وعلي بن أبى طالب رضى الله عنهما ، قدما يوما الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على لأبى بكر : تقدم فكن أول قارع يقرع الباب وألح عليه ، فقال أبو بكر : تقدم أنت يا على ، فقال على : ما كنت لأتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقه : « ما طلعت الشمس يوما ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر الصديق » .

فقال أبو بكر : ما كنت بالذى يتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « أعطيت خير النساء لخير الرجال » . فقال على : أنا لا أتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « اذا اجتمع الناس يوم القيامة ، يوم الحصرة والندامة ، ينادى مناد من قبل الحق عز وجل : يا أبا بكر . . ادخل أنت ومحبوبك الجنة » .

فقال أبو بكر : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجيء على يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة فينادى مناد : يا محمد . . كان لك فى الدنيا والد حسن ، وأخ بحسن ، فأما الوالد الحسن فأبوك ابراهيم ، وأما الأخ الحسن فعلى لابن أبى طالب » .

فقال على : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « لو وزن ايمان الأمة في كفة ، وايمان أبى بكر في كفة لرجح ايمان أبى بكر » .

فقال أبو بكر : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان عليا يجيء يوم القيامة ومعه زوجته وأولاده على مركب من البدن<sup>(١)</sup> فيقول أهل القيامة : أى نبى هذا ؟ فينادى مناد : هذا حبيب الله على بن أبى طالب » .

فقال على : أنا لا أتقدم على رجل قال الله في حقه : « والذي جاء بالصدق<sup>(٢)</sup> وصدق به<sup>(٣)</sup> أولئك هم المتقون<sup>(٤)</sup> » .

فنزله جبريل عليه السلام على الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه وقال : يا محمد . العلى الأعلى يقربك السلام ويقول لك : ان الملائكة لينظرون هذه الساعة الى أبى بكر وعلى ويسمعون ما يجرى بينهما فقم اليهما وكن ثالثهما فان الله قد خصهما بالرحمة والرضوان وحصنهما بحسن الأدب ، والاسلام والايامن .

فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فوجدهما كما أخبره جبريل فقبل وجه كل منهما وقال : « والذي نفس محمد بيده : لو أن البحار كانت مدادا<sup>(٥)</sup> ، والأشجار أقلاما وأهل السموات والأرض كتابا لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انى مجهود . فأرسل الى بعض نسائه فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندى الا ماء ، ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذي بعثك بالحق ما عندى الا ماء ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من يضيف هذا الليلة » ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فانطلق به الى بيته فقال لامرأته : أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي رواية : قال لامرأته : هل عندك شىء ؟ قالت : لا ، الا قوت صبيانى ، قال : فعليهم بشىء واذا أرادوا العشاء فنومهم ، واذا دخل

(١) أى ناقة .

(٢) هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) الزمر : ٣٣

(٣) هو سيدنا أبو بكر .

(٥) أى حبرا يكتب به .

ضيفنا فأطفتى السراج وأريه أنا ناكل ، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين  
فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « لقد عجب  
الله من صنيعكما بضيفكما الليلة » (١) .

ويوم أن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه  
كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه نائرا لدرجة أنه سل سيفه  
وقال : من قال بموت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سأضرب  
عنقه — لأنه لم يكن يتصور فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم —  
ويظل في ثورته الى أن يجيء الصديق عليه رضوان الله الذى يتأكد من  
هذا النبأ ثم يقول معلنا بأعلى صوته :

أيها الناس .. من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن  
كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ثم تلا قول الله تبارك وتعالى :  
« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل  
انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئا ،  
وسيجزي الله الشاكرين » (٢) وبعد استماع عمر رضى الله عنه الى  
هذه الآية يتأكد من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كما يتذكر قول  
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « انك ميت وانهم ميتون » (٣)  
فيقوم مسرعا الى أبى بكر رضى الله عنه وهو يمد يده له قائلا :

امدد يدك لأبايعك ، فيقول له الصديق : امدد يدك أنت يا عمر  
لأنك أقوى منى . فيقول له سيدنا عمر : ولكنك أفضل منى ، فيقول  
سيدنا أبو بكر : يا عمر .. ان الخلافة في حاجة الى قوة . فيمد سيدنا  
عمر يده للصديق وهو يقول له : ولتكن قوتي خادمة لفضلك .

وبعد أن أصبح الصديق خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
ذهب اليه وفد من المؤلفة قلوبهم يطلبون نصيهم في الصدقة ، فكتب  
لهم سيدنا أبو بكر كتابا بذلك ثم قال لهم : اذهبوا الى عمر فانه سيعطيكم  
حقوقكم .

ويذهبون بعد ذلك بكتاب الخليفة الى عمر الذى يقرأ الكتاب ثم  
يمزقه ، وعندما يفعل هذا يسألونه : لماذا فعلت هذا ؟ فيقول لهم :  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيكم هذا ، يوم أن كان

(٢) آل عمران : ١٤٤

(١) متفق عليه .

(٣) الزمر : ٣٠

الاسلام في حاجة اليكم ، أما اليوم فقد أعز الله الاسلام فان تستم .  
ثبتم عليه والا فالسيف بيننا وبينكم •

ويعودون بعد ذلك الى الخليفة رضى الله عنه ، وهناك يقولون له بعد أن أخبروه بما فعله عمر : الخليفة أنت أم عمر ؟ فيقول لهم رضوان الله عليه : هو ان أراد — أى ان أراد أن يكون هو الخليفة فهو الخليفة لا فرق بيننا وبينه •

ويكلف سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، عمر بن الخطاب عليه رضوان الله بحل مشاكل المسلمين الداخلية حتى يتفرغ هو لمهام الخلافة ، فيمتثل سيدنا عمر للأمر ويجلس في مجلس القضاء لمدة عام كامل في انتظار الشاكي الذي يقول له : ان فلانا ظلمنى ، أو ضربنى ، أو أكل مالى ، ولكن كل هذا لم يحدث ، ولهذا نراه بعد ذلك يذهب الى الصديق طالبا منه اعفاءه من القضاء ، فيقول له الصديق : أمن مشقة القضاء جئت تطلب الاعفاء يا عمر ؟ فيقول سيدنا عمر : « لا يا خليفة رسول الله •• ولكن لا حاجة بى عند قوم مؤمنين : عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منه ، وما عليه من واجب فلم يقصر في أدائه ، أحب كل منهم لأخيه ما يجب لنفسه ، اذا غاب أحدهم تفقدوه ، واذا مرض عادوه ، واذا افتقر أعانوه ، واذا احتاج ساعدوه ، واذا أصيب وأسوه ، دينهم النصيحة ، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقيم يختصمون يا خليفة رسول الله » ؟

ولما كانت هذه النماذج العظيمة أساسها الحب لله فقد رأيت كذلك وفي ختام هذا العرض الموجز أن أسوق اليك بعض الأحاديث الشريفة التي ترغبك في هذا الحب الخالص الذى من أهم نتائجه :  
« أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك » •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« ان الله اذا أحب عبدا دعا جبرائيل (١) فقال : انى أحب فلانا فأحبه ، قال : فيحبه جبرائيل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض • واذا أبغض عبدا دعا جبرائيل فيقول : انى أبغض فلانا فأبغضه ،

(١) أى جبريل •

قال : فيبغضه جبرائيل ، ثم ينادى في أهل السماء : ان الله أبغض فلانا فابغضوه ، قال : فيبغضونه • ثم يوضع له البغضاء في الأرض « (١) » •  
وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى » (٢) •

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى ، فأرسل الله له على مدرجته (٣) ملكا ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها (٤) ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله ، قال : فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته » •

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى (٥) : وجبت محبتى للمتحابين فى ، والمتجالسين فى ، والمتراورين فى ، والمتبازلين فى » وفى رواية الترمذى قال : يقول الله تعالى : « المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور ، يغطهم النبيون والشهداء » •

وعن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله » •

قالوا : يا رسول الله •• تخبرنا من هم ؟ قال : « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٦) •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم .

(٣) أى على طريقته .

(٤) أى بينك وبينه معاملة مادية . (٥) أى فى الحديث القدسى .

(٦) رواه أبو داود ، ورواه فى « شرح السنة » عن أبى مالك بلفظ

« المصابيح » مع زوائد ، وكذا فى « شعب الإيمان » ، والآية الأخيرة فى

عليه وسلم لأبي ذر : « يا أبا ذر .. أى عرى الايمان أوثق » ؟ قال :  
الله ورسوله أعلم ، قال : « الموالاتة فى الله ، والحب فى الله ، والبغض  
فى الله » (١) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال : « أتدرون أى الأعمال أحب الى الله تعالى » ؟  
قال قائل : الصلاة والزكاة . وقال قائل : الجهاد ، قال النبى  
صلى الله عليه وسلم : « ان أحب الأعمال الى الله تعالى : الحب فى الله ،  
والبغض فى الله » (٢) .

\* \* \*

فلا تنس كل هذا مع مراعاة هذين الحديثين :

عن المقدام بن معد يكرب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :  
« اذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه » (٣) ، ويؤيده أيضا  
ما ورد عن أنس رضى الله عنه قال : مر رجل بالنبى صلى الله عليه وسلم  
وعنده ناس ، فقال رجل ممن عنده : انى لأحب هذا الله ، فقال النبى  
صلى الله عليه وسلم : « أعلمته » ؟ قال : لا ، قال : « قم اليه فأعلمه »  
فقام اليه فأعلمه ، فقال : أحبك الذى أحببتنى له . قال : ثم رجع  
فسأله النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قال : فقال النبى صلى الله  
عليه وسلم : « أنت مع من أحببت ، ولك ما احتسبت » (٤) .

عن يزيد بن نعام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« اذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو ،  
فانه أوصل للمودة » (٥) .

وليكن نصب عينيك وفى ذاكرتك دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى :  
« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل  
لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » (٦) .  
حتى تتحقق الأخوة الصادقة ، والمحبة الخالصة ، وحتى لا يحدث  
ما عناه الشافعى رضى الله عنه فى قوله :

(١) رواه البيهقى فى « شعب الايمان » .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه ابو داود والترمذى .

(٤) رواه البيهقى فى « شعب الايمان » .

(٦) الحجرات : ١٣

(٥) رواه الترمذى .

نعيب زماننا والعيب فينا وما بزماننا عيب سوانا  
ونهبو ذا الزمان بغير ذنب ولو نطق الزمان لنا هجانا  
وليس الذئب يأكل لحم ذئب ونأكل بعضنا بعضا عيانا

\* \* \*

ولا تنس اخوانك الذين سبقوك بالايمن ، واذا أردت أن تكون  
حوفيا لهم ، وبارا بهم ، فحسبك أن تدعو لهم كلما دعوت لنفسك ،  
بهذا الدعاء الذي أرجو الله سبحانه وتعالى أن يستجيبه منا ومنك ،  
وهو :

« رينا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمن ولا تجعل في  
قلوبنا غلا للذين آمنوا رينا انك رؤوف رحيم » (١) .

\* \* \*

\* (ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب) :

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهاك في هذا العنصر  
الأخير عن كثرة الضحك كما حذرك في وصية أخرى قال فيها لأبي ذر  
رضى الله عنه : « واياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب  
بنور الوجه » (٢) .

فالسبب في هذا النهي والتحذير الذي وجهه الينا جميعا في شخص  
أبي ذر رضى الله عنه كما رأيت هو صيانة القلب وحمايته من أسباب  
الهلاك .

وذلك لأن القلب هو مركز الحياة بالنسبة لجميع الأعضاء كما جاء  
في حديث شريف قال فيه صلوات الله وسلامه عليه : « ألا وان في  
الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد  
كله ، ألا وهى القلب » .

والمنهى عنه كما رأيت أيضا هو الاكثار من الضحك ، وحتى لا تفهم  
عكس هذا وتكون عبوسا اليك هذه الأحاديث الثلاثة :

عن جابر بن سمرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لا يقوم من مصلاه الذى يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فاذا

(١) الحشر : ١٠

(٢) راجع الجزء الأول من « وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم » .



طلعت الشمس قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون فيبتسم صلى الله عليه وسلم (١) .

وعن قتادة قال : سئل ابن عمر ، هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون ؟ قال : نعم ، والايمان في قلوبهم أعظم من الجبل .

وقال بلال بن سعد : أدركتهم يشتدون بين الأغراض ، ويضحك بعضهم الى بعض ، فاذا كان الليل كانوا رهبا (٢) .  
ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أصحابه تبسما ، وقد ورد في هذا :

عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : « ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣) .  
عن جرير قال : « ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رأيتني الا تبسم » (٤) .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته ، انما كان يبتسم » (٥) .  
كما كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وقد ورد في هذا :

عن أبي هريرة قال : قالوا : يا رسول الله .. انك تداعبنا ، قال : « انى لا أقول الا حقا » (٦) .  
وعن أنس قال : ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير : « يا أبا عمير .. ما فعل النغير » (٧) ؟ وكان له نغير يلعب به فمات (٨) .

وعنه أن رجلا استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « انى حاملة على ولد الناقة » فقال : ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل تلد الابل الا النوق » (٩) .

(١) رواه مسلم ، وفي رواية الترمذى : « يتناشدون الشعر » .

(٢) رواه في « شرح السنة » .

(٣) رواه الترمذى .

(٤) متفق عليه .

(٥) رواه البخارى .

(٦) النغير : فرخ العصفور .

(٧) متفق عليه .

(٨) رواه الترمذى وأبو داود .

(٩) رواه الترمذى وأبو داود .

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « يا ذا الأذنين » (١) .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا وكن بساما ولا تكن ضحاكا وحسبك أن تعلم أن الخضر عليه السلام أوصى بهذا سيدنا موسى عليه السلام بعد انتهاء الرحلة الخالدة التي سجلها القرآن في سورة الكهف من أول قوله تعالى : « **وإذ قال موسى لفتاه** ..... » (٢) الى قوله : « ..... ذلك تأويل

ما لم تسطع عليه صبيرا » (٣) .

« قال موسى عليه السلام بعد ذلك لسيدنا الخضر عليه السلام : أوصنى ، فقال له سيدنا الخضر موصيا : كن بساما ولا تكن ضحاكا ، ودع اللجاجة (٤) ، ولا تمش في غير حاجة ، ولا تعب على الخطائين خطاياهم ، وابك على خطيئتك يا ابن عمران » (٥) .

\* \* \*

وحتى لا تكون مكررا من الضحك تذكر دائما وأبدا نهايتك وما بعدها من حساب وعقاب فقد ورد في هذا :

عن أبي سعيد الخدرى قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فرأى الناس كأنهم يكتشرون ، فقال : « أما انكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم - عما أرى - الموت . فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت ، فإنه لم يأت يوم على القبر الا تكلم فيقول : أنا بيت الغربية ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود . واذا دفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحبا وأهلا ، أما ان كنت لأحب من يمشى على ظهري الى ، فاذ وليتك اليوم وصرت لى غسترى صنيعى بك : قال : فيتسع له مد بصره ، ويفتح له باب الى الجنة ، واذا دفن العبد الفاجر - أو الكافر - قال له القبر : لا مرحبا ولا أهلا ، أما ان كنت لأبغض من يمشى على ظهري الى ، فاذ وليتك اليوم وصرت الى غسترى صنيعى بك . قال : فيلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأصابه فأدخل بعضها في جوف بعض قال : ويقيض له سبعون تنيئا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض

(٢) الكهف : ٦٠ .

(١) رواه أبو داود والترمذى .

(٤) اى الجدل .

(٣) الكهف : ٨٢ .

(٥) اقرأ هذه الوصية في كتاب « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي

بعد تفسير هذه الآيات السابقة في سورة الكهف .

ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا ، فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به الى الحساب » .

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون . أطلت السماء وحق لها أن تئط . والذي نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله . ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله » قال أبو ذر : يا ليتنى كنت شجرة تعضد (١) .

وعن أبي هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا » (٢) .

وفي هذا المعنى يقول أحدهم :

لما خلقوا لما غفلوا وتاموا	لما علم الأنام	لما خلقوا ليوم لو رأته
عيون قلوبهم ساحوا وهاموا	وتوبيح وأهوال عظام	فصلوا من مخافته وصاموا
كأهل الكهف أيقاظ نيام		نحن اذا أمرنا أو نهينا

\* \* \*

ولهذا كان من الكياسة أن يكون الانسان متصورا نهايته وما فيها من أهوال حتى لا يكون لاهيا أو غافلا :

فقد روى عن على رضى الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال : « أرفق بصاحبى فإنه مؤمن » فقال ملك الموت : أبشر يا محمد ، فانى بكل مؤمن رفيق ، والله يا محمد انى لأقبض روح ابن آدم فاذا صرخ من أهله صارخ قلت : ما هذا الصارخ ؟ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره وما لنا فى قبضه من ذنب ، فان ترضوا بما صنع الله تعالى تؤجروا ، وان تسخطوا وتجزعوا تأثموا ، وما لكم عندنا من عتية ، وان لنا عليكم لغية ودعوة فالحذر ثم الحذر ، وما من أهل بيت شعر ولا مدر فى بر ولا بحر الا ولنا التصفح فى وجوههم كل يوم وليلة خمس مرات حتى انى لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ،

والله يا محمد لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذى يأمرنى بقبضها •

وروى عن الحسن بن على رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شدة الموت وكرهه على المؤمن أشد من ثلاثمائة ضربة سيف » •

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الأحبار : حدثنى عن الموت ، فقال : كأنه غصن شوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم أخذها رجل شديد الجذب فقطع منها ما قطع وأبقى ما أبقى •

وروى أن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى باذن الله تعالى ، فقال له بعض الكفرة : انك تحيى جديد العهد بالموت ولعله لم يكن ميتا ، فأحى لنا من مات فى الزمن الأول ، فقال لهم : اختاروا من شئتم ، فقالوا له : أحى لنا سام بن نوح ، فجاء الى قبره وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا الله سام بن نوح واذا برأسه ولحيته قد ابيضاً ، فقال : ما هذا الشيب ولم يكن فى زمانك ؟ فقال : سمعت النداء فظننت أنها القيامة ، فشاب رأسى ولحيتى من الهيبة • فقال له : منذ كم أنت ميت ؟ فقال : منذ أربعة آلاف سنة فما ذهبت عنى سكرات الموت •

ويقال : ما من ميت يموت الا وعرض عليه الحياة والرجوع الى الدنيا فيكره الرجوع اليها لما لقي من شدة الموت ، الا الشهداء فانهم لم يجدوا شدة الموت فيتمنون الرجوع لكى يقاتلوا ثانيا •

ويقول حاتم الأصم : أربعة لا يعرفها الا أربعة :

لا يعرف قدر الشباب الا الشيوخ ، ولا قدر العافية الا أهل البلاء ، ولا قدر الصحة الا المرضى ، ولا قدر الحياة الا الموتى •

ولذلك روى أنه ما من يوم الا وملك يهتف فى المقابر فينادى : يا أهل القبور •• من تحسدون اليوم ؟ فيجيبونه فيقولون : نحسد أهل المساجد فى مساجدهم ، يصلون ولا نقدر أن نصلى ، ويصومون ولا نقدر أن نصوم ، ويتصدقون ولا نقدر أن نتصدق ، ويذكرون ولا نقدر أن نذكر ، فيندمون على ما مضى من زمانهم •

كما روى أن رجلا جاء الى مقبرة فصلى ركعتين ثم اضطجع فرأى صاحب القبر يقول له : يا هذا •• انكم تعملون ولا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نعمل ، ولأن تكون ركعتان فى صحيفتى خير من الدنيا وما فيها •

فلا تنس كل هذا واحذر أن تكون مضحكا لغيرك حتى لا تكون سببا في غفلته فتكون من أهل الويل<sup>(١)</sup> وحسبك تحذيرا لك وتذكيرا ، هذين الحديثين الشريفين :

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال صلى الله عليه وسلم : « ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم ، ويل له ويل له »<sup>(٢)</sup> .  
وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان العبد ليقول الكلمة — لا يقولها الا ليضحك بها الناس — يهوى بها أبعد مما بين السماء والأرض ، انه ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه »<sup>(٣)</sup> .



وأخيرا .. أضيف الى معلوماتك الفقهية هذه المعلومة :

الفقهية في الصلاة : تبطلها دون الوضوء :

عند مالك ، والثشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، وداوود ، والجمهور ، واستدلوا على ذلك بقول أبي سفيان الواسطي : سئل جابر بن عبد الله عن رجل يضحك في الصلاة ، فقال : « يعيد الصلاة ولا يعيد الوضوء »<sup>(٤)</sup> .

وقال الحسن البصري ، وإبراهيم النخعي ، وسفيان الثوري ، والحنفيون : ان الوضوء ينقضه قهقهة بالغ يقظان في صلاة ذات ركوع وسجود : اذا سمعه جيرانه ، وان لم تبد أسنانه واستدلوا بحديث أبي العالية : « أن رجلا أعمى جاء والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فتردى في بئر فضحك طوائف من الصحابة ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة »<sup>(٥)</sup> .

ويلزم الوضوء بهذين النصين عقوبة وزجرا ، وان كان يجوز له مس المصحف بعد هذا بلا طهارة<sup>(٦)</sup> .



(١) وادى في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لمساعت من حره .

(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داوود والدارمي .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » .

(٤) أخرجه البيهقي من عدة طرق .

(٦) أي بلا وضوء .

(٥) أخرجه الدارقطني .

## الجزء الرابع

# الوصية السادسة عشرة

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان قال :  
« يا أيها الناس .. قد أظلمكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيام نهاره فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير ، كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء » .

قالوا : يا رسول الله .. ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم عليه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :  
« يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمر ، أو على شربة ماء ، أو مذقة لبن . وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار . واستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فاما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : فشهادة أن لا اله الا الله ، وتستغفرونه . واما اللتان لا غناء بكم عنهما : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار . ومن سقى صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظما بعدها حتى يدخل الجنة » .

\*\*\*

فكن أخا الاسلام :

مستجيبا لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة الجامعة التي استقبل بها شهر رمضان المبارك في آخر يوم من شعبان .

كما يقول الصحابي الجليل سلمان الفارسي عليه وعلى رفاقه الأصحاب الأجلاء رضوان الله .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم في أول خطبته قد تحدث أو أشار إلى عظمة رمضان وبركته فإنه يعني ما أشار إليه في حديث آخر قال فيه :

« أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر فيه إلى تنافسكم في الخير ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » (١) .

كما يعني كذلك ما فيه من امتيازات أشار إليها صلى الله عليه وسلم في حديث آخر قال فيه :

« أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي ، أما الأولى : فإنه إذا كان أول ليلة منه نظر الله إليهم ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا ، وأما الثانية : فإن الملائكة تستغفر لهم كل يوم ونيلة ، وأما الثالثة : فإن الله يأمر جنته يقول لها : ترينى لعبادي الصائمين ، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي ، وأما الرابعة : فإن رائحة أفواههم حين يمسون تكون أطيب من ريح المسك ، وأما الخامسة : فإنه إذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعا ، فإن العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وغوا أجورهم » (٢) .

وما فيه من خصوصيات أشار إليها أيضا صلوات الله وسلامه عليه فقال :

« ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلا يدخل منه أحد » (٣) .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو أصحابه إلى التنافس فيه في أعمال الخير حتى لا يحرّموا من الجزاء الأوفى يوم العرض على ملك الملوك سبحانه الذي يقول في كتابه العزيز : « وأن ليس للإنسان

(١) رواه البيهقي عن جابر . (٢) رواه الطبراني عن عبادة .

(٣) رواه البيهقي عن سهل بن رفوعا .

الا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الأوفى» (١)

فتراه يقول صلوات الله وسلامه عليه كما قرأت سابقا :

« أتاكم رمضان ، شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر فيه الى تنافسكم في الخير ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فان الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل» (٢) •

بل وكان يرغبهم صلى الله عليه وسلم في التقرب الى الله ويحذرهم من الوقوع في ما يغضبه خاصة اذا ما حل شهر الصيام فيقول :

« ان الجنة لثنتين من السنة الى السنة لشهر رمضان ، فاذا دخل رمضان قالت الجنة : اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك سكانا • وبقلن الحور العين : اللهم اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجا •

قال النبي صلى الله عليه وسلم : فمن صان نفسه في شهر رمضان فلم يشرب فيه مسكرا (٣) ، ولم يرم فيه مؤمنا بالبهتان ولم يعمل فيه خطيئة ، زوجه الله كل ليلة مائة حوراء ، وبنى له قصرا في الجنة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ، لو أن الدنيا جمعت فجعلت في ذلك القصر لم تكن فيه الا كمرابط عنز في الدنيا (٤) •

ومن شرب فيه مسكرا ، أو رمى مؤمنا ببهتان أو عمل فيه خطيئة أحبط الله عمله سنة ، فأتقوا شهر رمضان — فانه شهر الله أن تفرطوا فيه فقد جعل لكم أحد عشر شهرا تتنعمون فيها وجعل لنفسه شهر رمضان فاحذروا رمضان» (٥) •

فكن من أهل هذا الخير الذي ستكون من أفقر الناس اليه يوم القيامة ، واغتتم كل لحظة من موسم الحصاد الذي أكرمك الله تعالى بادراكه ، واحذر الوقوع فيما حذرك الرسول صلى الله عليه وسلم منه حتى لا تحرم من الخيرات والبركات والنفحات التي وقفت على بعضها في هذا الحديث الأخير •

(١) النجم : ٣٩ — ٤١ (٢) رواه الطبراني عن عبادة •

(٣) البيرة من المسكرات وهي أخت الخمر •

(٤) وهذا دليل على حقارة الدنيا وانها لا تزن عند الله جناح بعوضة •

(٥) أخرجه الطبراني في « الأوسط » •



وحتى ترداد معرفة بهذا الشهر المبارك وتقف على بعض ما فيه من العظمة والبركة اليك هذه القصيدة المعبرة التي جمعت فأوعت (١) :

بدا عليه من الأنوار اكليل شهر عليه من الاجلال روعته  
شهر التقى والهدى والصوم حين شهر تفتح أبواب النعيم به  
الله عظمه قدرا وفضله فأنزل الوحي بالقرآن فيه هدى  
فيه شفاء نفوس من غوايتها آياته بينات كلها عبر  
تقوم المذنب العاصي براءتها ويستريد هدى منها وموعظة  
شرائع الدين قد جاء النبي بها شهر الصيام لقد زادتك تكرمة  
تنزل الروح فيها رحمة ورضا الله فضلها في الذكر فاحتسبت  
شهر السعادة فيه نسك منطبع

شهر تحاياك تكبير وتهليل له بكل بقاع الأرض تبجيل  
بدت أنواره زهقت منه الأباطيل والتوب فيه من العاصين مقبول  
وليس بعد كلام الله تفضيل أتى به لرسول الله جبريل  
أعمى بصيرتها زيغ وتضليل يروق سامعها في النفس ترتيل  
ان لم تقومه توراة وانجيل من قلبه بالتقى والدين مشغول  
وليس يقبل فيها قط تأويل ورفعته ليلة ما مثلها جيل  
وزانها من حكيم الذكر تنزيل عند الاله وفيها يقبل السؤل (٢)  
على القلوب وفيه العفو مكفول

ولهذا قيل : ان رمضان مشتق من الرمض ، وهو شدة الحر ،  
أو من الرمضاء ، كحمراء .. ومن ذلك قول الشاعر :

\* كالمستجير من الرمضاء بالنار \*

كما قيل : لأنه يرمض الذنوب ، أى يحرقها بالأعمال الصالحة ،  
من الارماض وهو الاحراق .

وقيل : لأن القلوب تأخذ من حرارة الموعظة ، والتفكير في أمر  
الأخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس .

وقيل : لأنه مشتقة يذكر الصائمين بما يقاسيه أهل النار فيها .

وقيل : انه اسم من أسماء الله تعالى ، ليكون غير مشتق — أو يكون  
مشتقا راجعا الى معنى الغافر — أى يمحو الذنوب ويمحقها .

(١) من قصيدة للشاعر : نجاتي عبد الرحمن ( هدية منبر الاسلام )

(٢) أى السؤال .

عدد رمضان ١٣٨٨ هـ

ولرمضان أسماء كثيرة بلغت الستين عدا ، منها : شهر الله ، وشهر  
الآلاء ، وشهر القرآن ، وشهر النجاة . . .

\* \* \*

هذا بالاضافة الى أنه شهر النصر ، والفتح .  
ففى يوم الجمعة لسبعة عشر خلت من رمضان من السنة الثانية  
للهجرة وقعت :

### غزوة بدر الكبرى

التي خلد الله ذكرها فى القرآن فسمى زمنها : « يوم الفرقان » (١)  
كما امتن على المسلمين بها فى قوله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر  
وانتم اذلة » (٢) .

وخلاصة ذكراها :

أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد بلغه وهو بالمدينة أن قافلة  
تجارية ضخمة — ألف بعير تحمل من السلع ما يقدر بخمسين ألف  
دينار — تهبط من مشارف الشام عائدة الى مكة يقودها أبو سفيان  
ابن حرب مع رجال لا يزيدون عن الثلاثين أو الأربعين ! فقال لأصحابه :  
« هذه غير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » .  
وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرجو لهم من وراء هذه الغنيمة  
عوضا لما لحقهم من خسائر أثناء هجرتهم الأخيرة .

وترك الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر لرغبتهم المطلقة ولم يعزم  
على أحد بالخروج . ثم سار بمن أمكنه الخروج ، وكان عددهم ثلاثمائة  
وأربعة عشر رجلا أكثرهم من المهاجرين والباقي من الأنصار ، ولم يكن  
معهم سوى فرسين وسبعين بعيرا كانوا يتعاقبون ركوبها .

وكان أبو سفيان قد وردت اليه أنباء الهجوم الاسلامى فخالف  
الطريق المعتاد وساحل بالبعير الى طريق البحر على بعد ثلاثة أميال  
أسفل ، فاستطاع أن ينجو بالقافلة بعد أن أرسل الى مكة من يستنفر  
أهلها لحماية أموالهم — لأن معظمهم كان له نصيب فى هذه التجارة —  
فكانوا بين رجائين : اما مشترك بنفسه ، واما باعث مكانه رجلا ،  
الى أن بلغت عدتهم نحو تسعمائة وخمسين مقاتلا فى مائة فرس  
وسبعمائة بعير .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد غز السير حتى نزل وادى زفران ، فبلغه نجاة العير وأن قريشا قد ساقته من مكة جيشا جرارا لحماية القافلة ، وأنها تتأهب للقتال مستترة خلف الكتيب الذي بالعدوة القصوى .

فهمت هذه المفاجأة جيش المسلمين لأنهم ما كانوا يتوقعون هذا ، ولو توقعوه لعملوا له ألف حساب غير أن النبي صلى الله عليه وسلم استطاع بكياسته وحسن قيادته أن يتغلب على هذا الفتور العارض وأن يقنعهم بضرورة تعقب المشركين مهما كان عددهم وبأسهم ، وحذرهم من عقبى العود السريع الى المدينة ، وأنه اذا لم يقبل المسلمون هذا التحدى لجاز أن يدفع الطيش القرشيين فيواصلوا زحفهم نحو المدينة . فتحمسوا جميعا لقبول هذا التحدى ومواجهته مهما كلفهم من تضحيات .

واستمع الرسول صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وعمر عليهما رضوان الله للذين أشارا عليه بالتقدم وأيدهما المقداد بن عمرو ، ولفت نظر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء الذين أشاروا عليه بالقتال من المهاجرين فقط ، فأراد أن يستجلى موقف الأنصار الذين بايعوه في بيعة العقبة ...

فقال : « أشيروا على أيها الناس » فلما أحس الأنصار أنه يقصدهم نهض سعد بن معاذ صاحب رأيهم وقال :

يا رسول الله .. كأنك تريدنا ؟ قال : « أجل » . فقال سعد : قد آمننا بك وصدقناك ، وأعطيناك عهدنا ، فامض يا رسول الله لما أمرت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر <sup>(١)</sup> فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، انا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء .. سربنا على بركة الله .

ولم يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجه النبي صلى الله عليه وسلم بشرا وقال : « سيروا وأبشروا .. هذه مكة ألقىت اليكم أغلاذ كبدها ، والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم » .

ثم سار الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه الى الشرق من جيش المشركين في العدو الدنيا ونزل عند أقرب ماء للعدو لمشورة

(١) وأشار الى البحر الأحمر .

الحباب بن المنذر ، وبني عليه حوضا وطمس كل ما عداه من ينابيع ليتيح للمسلمين الانتفاع بالماء دون المشركين ، وفي نفس الوقت صنع للرسول صلى الله عليه وسلم عريشا من جريد النخل في نفس الميدان .

وكانت قريش كما علمت سابقا بالعدوة القصوى<sup>(١)</sup> وجيش المسلمين بقيادة القائد العظيم صلوات الله وسلامه عليه بالعدوة الدنيا .

ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم ينظم الصفوف وهو يحث أصحابه على الثبات حتى ارتفعت أرواحهم المعنوية . ثم أخذ ينادى ربه حتى سقط رداؤه وهو يقول :

« اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك .. اللهم نصرك الذي وعدتني »<sup>(٢)</sup> .

وكان المسلمون أسعد حظا من المشركين ، فلقد أكسبهم النوم الذي غشيهم<sup>(٣)</sup> ليلة المعركة وافرا من راحة الجسم والأعصاب ، وأمطرت السماء ماء ثبتت به الأرض تحت أقدامهم ، وسهلت تحركاتهم على سفح التلال في حين أنها عاقت زحف المشركين وعوقت تحركاتهم ، وتسلمت أشعة الشمس في الصباح على أعين المشركين أثناء عملية الزحف فشغلتهم عن تنظيم المعركة ، وزاد التفكك في صفوفهم أنهم شعروا أن القتال أصبح لا ضرورة له بعد نجاة العير ، فلو بقيت العير في الخطر لكان من المحتمل أن يستमित المشركون في القتال .

ويبدأ الهجوم من جانب المشركين بهجوم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذي بناه المسلمون قائلا :

أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه !

(١) العدوة القصوى : أى البعيدة عن المدينة ، والعدوة الدنيا هى القريبة منها . وبالنسبة لبدر : فهى سهل رملى يحده من الشمال الشرقى تلال شديدة الانحدار ، ومن الغرب كئبان رملية ، ومن الجنوب منحدر صخري منخفض ، وينساب في الوادئ جدول من الماء ، وينقطع الجدول فيصبح آبارا وهو على بعد ١٦٠ كيلومترا من المدينة .

(٢) يشير الى قوله تعالى : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . أنهم لهم المنصورون) (الصفات : ١٧١ ، ١٧٢) .

(٣) وفي ذلك بقوله تعالى : « اذ يغشيكم النعاس امانة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام » (الأنفال : ١١) .

فيتصدى له حمزة بن عبد المطلب فيضربه ضربة تطير نصف ساقه ، ومع ذلك فقد حبا الى الحوض يبغى اقتحامه ، فتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه ، الأمر الذي استشاط غضب المشركين وأثار حميتهم ، فاندفع منهم عتبة وشيبة ، ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة ، فبرد للقائهم فتية من الأنصار ، فقالوا : يا محمد .. أخرج الينا أكفأنا من قومنا ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « قم يا عبيدة ابن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يا علي » فبارز عبيدة عتبة ، وبارز علي الوليد ، وبارز حمزة شيبة . فقتل حمزة شيبة ، وقتل علي الوليد ، وأما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر ، فكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فأجهزا عليه ثم احتملا صاحبهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أفرشه قدمه حتى أسلم الروح .

فكان هذا المشهد البطولي سببا في انفجار الكفار الذين أخذوا بعد ذلك يمتطرون المسلمين بوابل من سهامهم ، فحصى الوطيس وتهاوت السيوف وتصايح المسلمون أحد أحد . فأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يكسروا هجمات المشركين ، وهم يرابطون في مواقعهم ، وهو يقول لهم : « ان اکتنفکم القوم فانضحوهم عنکم بالنیل . ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا » .

ولهذا عندما اتسع نطاق المعركة واقتربت من قمته كان المسلمون قد استنفدوا جهد أعدائهم وألحقوا بهم خسائر جسيمة ، والنبي في عريشه يدعو الله ويرقب بطولة رجاله ثم يخرج اليهم محرضا فيقول : « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا متحسبا مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة » .

ومرة أخرى : يخفق في العريش خفقة ثم ينتبه قائلا : « أبشر يا أبا بكر .. أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنانيا النقع » !!

فيتحمس المسلمون ويستبشرون بنصر الله ويقاطون بكل شجاعة واستبسال الى أن تنتهي المعركة الخالدة بهزيمة المشركين بعد أن انكسرت شوكتهم وسقطت رايثهم وهم يفرون أمام الأسود بقيادة زعيمهم وقائدهم صلوات الله وسلامه عليه .

وقد قتل في هذه الغزوة من المشركين سبعون صنيديا من رؤوس الكفر بمكة منهم :

عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمّية بن خلف ، وأبو جهل  
ابن هشام .

وأسر منهم كذلك سبعون ، أما الباقي بعد القتل والأسر فقد فر  
عائدا إلى مكة ، يجزر أذيال النخبية ومتوجا بالخزى والعار .

أما المسلمون فقد استشهد منهم في هذه الغزوة أربعة عشر رجلا .

ويعود الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه المنتصرين بعد  
ذلك إلى المدينة يسوق أمامه الأسرى والغنائم فخورا بنصر الله وتأبيده .  
وقد سجل الله سبحانه وتعالى هذا فقال في كتابه العزيز :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة  
مردفين . وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر إلا من  
عند الله ، إن الله عزيز حكيم » (١) .

كما عبر أحد الشعراء (٢) عن هذا أيضا بقوله :

ر وجبريل في الغمام يكبر	ذاك ركب به الملائكة الف
ى بنصر من الآله مؤزر	والنبي الكريم يرتقب الوح
ليذوق العدو مالا يقدر	والمقادير تستحث المنايا
كل نفس إلى المنية تنظر	أزفت ساعة الجهاد وراحت
ر كأن الصباح منه تحدر	وتهادى النبي في موكب النو
تحمل الوحي والكتاب المطهر	بيد تحمل القنا وبأخرى
أوشك أن يرمل أن يفر ويمزح	وتلاقى الجيشان في ( بدر ) حتى
ل يهوى والهول كاليم يزخر	قد تلاقى الجمعان والموت مثل السيد
ب يرون الجنان في البيد ترهر	فاذا المسلمون في غمرة الحر
ليس يخبو لهيها المتسعر	واذا الظالمون يصلون نارا
دنجوى فيفؤاد الرسول بالنصر بشر	واذا الوحي من صدى الخلد
وصاح النبي : الله أكبر	فجثا الكفر واعتلت راية الله

\* \* \*

### فتح مكة

وفي أواخر السنة الثامنة من الهجرة كانت قريش قد نقضت عهدا  
في صلح الحديبية ، فهاجمت مع حلفائها من بني بكر قبيلة خزاعة  
المتحالفة مع المسلمين ، لدرجة أن بني بكر الذين كانت تعينهم قريش

(١) الأنفال : ٩٠ ، ١٠٠ (٢) وهو الأستاذ على الجبلاطى .

بالسلاح ، هاجموا خزاعة في داخل الحرم عندما انحاذوا اليه للاحتماء به - حيث لا يجوز القتال - فأصابوا منهم رجالا .

فغزت خزاعة لما حل بها ، وأرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم يقص عليه نبأها .

وهناك وبين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم قال عمرو شعرا يكايا ختمه بقوله مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
وجملوا لى فى كداء رصدا وزعموا أن لست أدعو أحدا  
وهم أذل وأقل عددا هم بيتونا بالوثير هجدا  
فقتلونا ركما وسجدا

وما كاد ينتهى من كلامه هذا حتى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « نصرت يا عمرو بن سالم ... » .

وكانت قريش قد أحست بعد فوات الأوان بخطئها ، فأرسلت أبا سفيان الى المدينة نائبا عنها ليصلح ما أفسده قومه ، ويحاول أن يعيد الأمر الى ما كان عليه ، ولكنه عاد بعد ذلك يجر أذيال الخيبة بعد أن رفض الرسول صلى الله عليه وسلم مقابله .

وباختصار : كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر الناس بأن يتجهزوا ، وأعلمهم أنه سائر الى مكة ، وهو يوصيهم بالجد والبدار داعيا الله تعالى قائلا : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » .

وفي ثمان عشرة ليلة خلت من رمضان المبارك غادر الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة على رأس جيش مكون من عشرة آلاف مقاتل لنصرة المظلوم وردع الظالم ، وكله أمل في نصر الله وتأييده .

ويمضى الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه يطون البيداء المترامية ، وقد امتلأت قلوبهم بالعزة ، وسرت في نفوسهم روح الاخلاص والايمان .. حتى اذا صاروا على مشارف مكة ضربوا خيامهم وأوقدوا نيرانهم ، وكانت نيرانا عظيمة لم ترها مكة في تاريخها الطويل - الأمر الذى أزعج أهل مكة ، وأثار عجبهم وقذف الرعب في قلوبهم .

وفي هذه اللحظات الرهيبة خرج أبو سفيان بن حرب لاستطلاع الأمر ومعرفته ، فالتقى في طريقه بالعباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان قد أسلم قبل ذلك فسأله عن هذه النيران الهائلة ، فأخبره بأنها نيران المسلمين • فارتعدت فرائصه وصدت بصورة عنيفة بسبب هذا النبأ الذي ما كان يخطر له على بال ، ولهذا وبعد تفكير عميق وسريع وجد نفسه مضطرا الى الاذعان والاستسلام ، فأجاره العباس ، وانطلق به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعلن إسلامه ففتح لنفسه بابا من الأمن والسلام • وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبقى كرامته بين قومه ، فمنحه منزلة لم تمنح لأحد قبله ، ولا منحت لأحد من بعده ، فقال : « من أغلق بابيه دونه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » •

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس : « خذ أبا سفيان وأحبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها » •

يقول العباس : « فخرجت به حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه ، ومرت القبائل على راياتها وكلما مرت قبيلة ، قال : يا عباس •• من هذه ؟ فأخبره عنها حتى مر الرسول صلى الله عليه وسلم في كتبته الخضراء ، وفيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وقد لبسوا عدة الحرب والقتال لا يرى منهم الا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس •• من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أهلك الغداة عظيما ، قال : قلت : يا أبا سفيان •• انها النبوة •

وينطلق أبو سفيان بعد ذلك مسرعا الى قومه ، قائلا بأعلى صوته : يا معشر قريش •• هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به • فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة فأخذت بشاريه فقالت : قبحت من طليعة قوم • قال : ويلكم •• لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به • فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تعنى عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق بابيه فهو آمن ،



ومن دخل المسجد فهو آمن .. فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد .

ويدخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة راكبا راحلته منحنيا على رحله ، تواضعا لله وشكرا ، وأسامة بن زيد من ورائه ، وكان ذلك في صباح الجمعة لعشرين يوما خلت من شهر رمضان . وبعد أن استراح قليلا في قبة كانت قد نصبت له في الحجون ، سار بعد ذلك وبجانبه أبو بكر ، يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى وصل الى البيت وطاف حوله سبعا على راحلته ، وكان حول الكعبة حينذاك ثلاثمائة وستون صنما فجعل عليه الصلاة والسلام يطعنها بعود في يده وهو يقول :

« قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » (١) .

ثم أمر بها فأخرجت من البيت العتيق حتى يؤدي رسالته التي من أجلها رفع ابراهيم واسماعيل عليهما السلام قواعده ، وهي عبادة الله الواحد الأحد الذي « لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » (٢) .

ثم بعد ذلك — وبعد أن دخل الكعبة وكبر في نواحيها ، وصلى في مقام ابراهيم عليه السلام ، وشرب من ماء زمزم — جلس في المسجد فاذا بالعيون شاخصة اليه ، والناس حوله ينظرون ما هو فاعل بمشركي قريش الذين كادوا له ولأصحابه ، بعد أن مكته الله منهم .

فكان لابد لهذا الرسول العظيم الذي أرسله الله « رحمة للعالمين » (٣) أن يقدم الشكر لله تعالى على تمكينه منهم بالعمو عنهم عند القدرة عليهم . لقد نظر اليهم وهم يرتعدون أمامه ثم قال لهم :

« ما تظنون أنى فاعل بكم » ؟ قالوا : خيرا .. أخ كريم وابن أخ كريم . فقَالَ : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » (٤) . فكان من أهم نتائج هذا العمو الكريم ، والخلق العظيم : أن دخل أكثرهم « في عين الله أفواجا » (٥) .

وكل هذا كان من بركات شهر رمضان العظيم ، الذي سيظل بركة وفتحا للاسلام والمسلمين الى يوم الدين .

\* \* \*

(٢) الاخلاص : ٣ ، ٤

(٤) اى الاحرار .

(١) سبا : ٤٩

(٣) الانبياء : ١٠٧

(٥) النصر : ٢

## ليلة القدر

وفى الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك كانت ليلة القدر كما ورد فى حديث شريف رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه وفيه يقول : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر قال : « هى فى شهر رمضان فى العشر الأواخر ، ليلة احدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو تسع وعشرين ، آخر ليلة من رمضان • من قامها ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وان كان هناك اختلاف بين العلماء فى أى الليالى هى ؟ :

فبعضهم يرى أنها ليلة الحادى والعشرين ، ومن العلماء من يرى أنها ليلة الثالث والعشرين ، ومنهم من ذهب الى أنها ليلة الخامس والعشرين ، ومنهم من يرى أنها ليلة التاسع والعشرين ، ومن يقول : انها تنتقل فى ليالى الوتر فى العشر الأواخر من الشهر • ولم يختلف أحد عن كونها فى رمضان لقوله تعالى : « انا أنزلناه فى ليلة القدر » (١) وأكثرهم على أنها ليلة السابع والعشرين •

وقد ورد فى تأكيد أنها ليلة السابع والعشرين ، عن أبى بن كعب أنه قال : « والله الذى لا اله الا هو ، انها لفى رمضان — يحلف ما يستثنى — والله انى لأعلم أى ليلة هى : هى الليلة التى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها : هى سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها » (٢) •

وتستطيع أن تلمس هذا أيضا اذا قرأت السورة الى قوله تعالى : « ٠٠ سلام هى ٠٠٠ » (٣) فانك اذا عدت كلماتها الى كلمة « هى » ، ستجد أنها عبارة عن سبعة وعشرين كلمة مع ملاحظة أن كلمة « ليلة القدر » التى ذكرت فى السورة ثلاث مرات ، لو ضربت حروفها فى ثلاثة لأعطتنا نفس الرقم السابق (٤) •  
والقدر فى اللغة ، يطلق على معان : منها الشرف وعظم الشأن ، ومنها تقدير الأشياء وتحديدها ، وضبط صفتها وأحوالها • فهى الليلة

(١) القدر : ١

(٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى وصححه •

(٤) والله اعلم •

(٣) القدر : ٥

المباركة التي أنزل فيها القرآن « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » (١) وفي ذلك يقول تعالى أيضا : « حم • والكتاب المبين • انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين » (٢) .

وهي : التي يطلع الله فيها ملائكته على ما قدر للناس من آجال وأرزاق وما عليهم تنفيذه في العام التالي ، من ضبط سائر أمور الكائنات ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا في قوله : « فيها يفرق كل أمر حكيم » (٣) .

وهي : سلام على المؤمنين حتى مطلع الفجر بصورة متجددة مع الأيام في كل عام ، كما تدل صيغة المضارع في قوله تعالى : « تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر • سلام هي حتى مطلع الفجر » (٤) لبيكون في ذلك ارهاص لهم بأن الاسلام سلام عليهم طوال العمر ومدى الدهر ما أطاعوا الله ورسوله واتبعوا وأوامره واجتنبوا نواهيه • هذا بالاضافة الى أنها : « خير من ألف شهر » (٥) .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم كما روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « اذا دخل العشر الأواخر من رمضان ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله وشد المنزر » كناية عن الجد في العبادة واعتزال النساء من أجلها •

وحسبك حتى تتقف على جلال قدرها وتعظيم شأنها أن تلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد عبر عنها بالاستفهام الدال على جلالها في قوله : « لوما أدراك ما ليلة القدر » (٦) وأن كلمة « القدر » ذكرت في السورة ثلاث مرات •

فكن أخوا الاسلام من الذين يعرفون قدر هذه الليلة المباركة حتى لا تحرم وحتى تفوز بمغفرة الله سبحانه وتعالى فيها • وحسبك ترغيبا لك في احياء ليلتها بتلاوة القرآن الذي أنزل فيها (٧) ، بالاضافة الى

(٢) الدخان : ١ - ٣

(١) البقرة : ١٨٥

(٤) القدر : ٤ ، ٥

(٣) الدخان : ٤

(٥) أى العمل فيها من الصلاة والتلاوة والذكر خير من العمل في

(٦) القدر : ٢

الف شهر ليس فيها ليلة القدر .

(٧) ينص الآية الكريمة « انا أنزلناه في ليلة القدر » وان كانت هناك

آية في القرآن تشير الى أن ليلة القدر في السابع عشر من رمضان ، وهو يوم بدر « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » (الانفال : ٤١) .

صلاة القيام والاستغفار أن تقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم :  
« من قام ليلة القدر ايمانا (١) واحتسابا (٢) غفر له ما تقدم من  
ذنبه » (٣) .

وقوله : « أتاكم رمضان ، شهر مبارك ، فرض الله عز وجل عليكم  
صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتعلق فيه أبواب الجحيم ، وتصفد  
فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها  
فقد حرم الخير كله » (٤) .

هذا : وكما يقول الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله :

« وللناس خيالات في ليلة القدر لا تليق بعقول الأطفال فضلا عن  
الراشدين من الرجال ، فكل ما حفظوه عنها أن تكون لهم ساعة سمر  
يتحدثون فيها بما لا ينظر الله اليه ، ويسمعون شيئا من كتاب الله  
لا ينظرون فيه ، ولا يعتبرون بمعانيه ، بل ان أصغوا اليه فانما يصغون  
لنعمة تاليه ونسوا أنها ليلة عبادة وخشوع وتذكر لنعمة الحق  
والدين ... » .

فلا تكن من هؤلاء المخرفين العاقلين ، وكن من الذين وفقهم الله  
سبحانه وتعالى لاحياء هذه الليلة بطاعة الله .

مع ملاحظة أنه قد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :  
قلت : يا رسول الله .. أرأيت ان علمت أى ليلة — ليلة لقدر — ما أقول  
فيها ؟ قال : « قولى : اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عني » (٥) .  
واعلم : أنه كما ييسن للصائم احياء العشر الأواخر من رمضان  
لتحقق ليلة القدر في واحدة منها .

كذلك : ييسن له الاعتكاف في المسجد في العشر الأواخر منه .  
والاعتكاف هو : أن يقيم في بيت من بيوت الله بنية حبس النفس على  
طاعة الله وملازمة بيته ، تدريبا له على طاعته لمولاه ، وبعدا لنفسه  
عن الشهوات الدنيوية .

- 
- (١) ايمانا : أى مصدقا بوعد الله للصائمين والقائمين .
  - (٢) واحتسابا : أى محتسبا أجره عند الله تعالى .
  - (٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .
  - (٤) رواه النسائى والبيهقى عن أبى هريرة مرفوعا .
  - (٥) رواه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه .

وفي هذا يقول تعالى : « ٠٠٠ ثم أتَمُوا الصيام الى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد » (١) .

كما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال :  
« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان » .

فكن من أهل هذا الخير بقدر استطاعتك ، وإذا لم تستطع فأكثر من التردد على المساجد لشهود الجمعة والجماعات ، وأطل بها المكث ناويا الاعتكاف المشروع حتى تنال الأجر على قدر جهدك .

\*\*\*

### فرضية الصيام

والصيام لغة : مطلق الامساک عن الكلام وغيره ، ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام : « انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم أنسيا » (٢) وشرعا : الامساک بنية عن الأكل والشرب وكل مفطر من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

• وهو الركن الرابع من أركان الاسلام .

وقد غرضه الله علينا — فى شهر رمضان — كما غرضه على الذين من قبلنا ، فى يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة . قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٣) وقال : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم : « أن الاسلام بنى على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت » (٥) .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد كتبه علينا كما كتبه على الذين من قبلنا كما جاء فى الآية الكريمة التى تنص على هذا ، فالتشبيه

(٢) مريم : ٢٦

(٤) البقرة : ١٨٥

(١) البقرة : ١٨٧

(٣) البقرة : ١٨٣

(٥) أخرجه احمد والبخارى ومسلم .

فيها تشبيهه غرضية بفرضية ، وان كان في هذا التشبيه آراء للعلماء : قال القرطبي في بيان معنى قوله تعالى : « كما كتب على الذين من قبلكم » : قال الشعبي وقتاة وغيرهما : التشبيه يرجع الى وقت الصوم ، وقدر الصوم : فان الله كتب على قوم موسى وعيسى صوم رمضان فغيروا ، وزاد أحبارهم عليه عشرة أيام ، ثم مرض بعض أحبارهم فنذر ان شفاه الله أن يزيد في صومهم عشرة أيام ففعل . فصار صوم النصرى خمسين يوما . فصعب عليهم في الحر فنقلوه الى الربيع . واختار هذا القول النحاس وقال : وهو الأثب بما في الآية ، وفيه حديث يدل على صحته أسنده عن دغفل بن حنظلة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كان على النصرى صوم شهر فمرض رجل منهم ، فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدن عشرة ، ثم كان آخر فأكل لحما فأوجع فاه فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدن سبعة ، ثم كان ملك آخر فقالوا : لنتمن هذه السبعة أيام ، ونجعل صومنا في الربيع . قال : فصار خمسين » (١) .

وقال مجاهد : « كتب الله عز وجل صوم شهر رمضان على كل

أمة » .

وفي تفسير « المنار » يقول الأستاذ محمد رشيد رضا :

« وقد كتب — يقصد الصوم — على أهل الملل السابقة فكان ركنا من كل دين ، لأنه من أقوى العبادات وأعظم ذرائع التهذيب وفي اعلام الله تعالى لنا بأنه فرضه علينا كما فرضه على الذين من قبلنا اشعار بوحدة الدين في أصوله ومقصده ، وتأكيد لأمر هذه الفرضية وترغيب فيها » .

وقال نقلا عن أستاذه الامام محمد عبده :

« أبهم الله هؤلاء الذين من قبلنا ، والمعروف أن الصوم مشروع في جميع الملل حتى الوثنية ، فهو معروف عند قدماء المصريين في أيام وثنتيتهم .

وانتقل منهم الى اليونان فكانوا يفرضونه لاسيما على النساء ، وكذلك الرومانيون كانوا يعنون بالصيام ، ولا يزال وثنيو الهند وغيرهم يصومون الى الآن .

وليس في أسفار التوراة التي بين أيدينا ما يدل على فرضيته ،  
وانما فيها مدحه ، ومدح الصائمين • وثبت أن موسى عليه السلام  
صام أربعين يوما ، وهو يدل على أن الصوم كان معروفا ومشروعا  
ومعدودا من العبادات ، واليهود في هذه الأزمنة يصومون أسبوعا تذكارا  
لخراب أورشليم ويصومون يوما من شهر آب (١) «... الخ (٢) •

وإذا كان الله تعالى قد اختص شهر رمضان بالصيام ، فلأنه هو  
الشهر الذي بدى فيه بانزال القرآن ولما كان القرآن هو معجزة  
الرسول الكبرى ، وحجته للناس ، وهو منهاج السماء للإنسانية جمعاء ،  
ودستور الله الى البشر كافة ، ناسب أن يكون اختصاص فرض الصيام  
برمضان شكرا لله على هذا الاحسان •

\* \* \*

### أركان الصيام

وللصيام ركنان تتركب منهما حقيقته :

١ - الامساك عن المفطرات ، من طلوع الفجر الى غروب الشمس •  
لقول الله تعالى : « فالآن باشروهن وابتقوا ما كتب الله لكم ، وكلوا  
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ،  
ثم أتموا الصيام الى الليل » (٣) •

والمراد بالخيط الأبيض ، والخيط الأسود : بياض النهار وسواد  
الليل • كما ورد في حديث شريف رواه البخارى ومسلم •

٢ - النية : لقول الله تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين  
له الدين » (٤) وقوله صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ،  
وانما لكل امرئ ما نوى » (٥) •

وهي لغة : العزم ، وشرعا : الارادة المقارنة للفعل المسبوقة بعلم  
المنوى • وهى : أمر قلبي (٦) •

(١) أغسطس •

(٢) تفسير « المنار » ج ٢ ص ١٤٣ ، ١٤٤ •

(٣) البقرة : ١٨٧ (٤) البينة : ٥

(٥) أخرجه البخارى ومسلم •

(٦) ولا عبرة باللسان ان خالف القلب ويقوم مقامها التسحر • ولو قال

نويت صوم غد ان شاء الله تعالى صح استحبابا •

ولابد أن تكون قبل الفجر ، من كل ليلة من ليالي شهر رمضان  
لحديث حفصة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من لم يجمع <sup>(١)</sup> الصيام قبل الفجر فلا صيام له » <sup>(٢)</sup> .

وتصح في أى جزء من أجزاء الليل ، ولا يشترط التلفظ بها فمن  
تسحر بالليل ، قاصدا الصيام وتقربا الى الله بهذا الامساك فهو ناو ،  
ومن عزم على الكف عن المفطرات أثناء النوار مخلصا لله ، فهو ناو كذلك  
وان لم يتسحر .

وقال كثير من الفقهاء : ان نية الصيام التطوع تجزىء من النهار ،  
وان لم يكن قد طعم .

قالت عائشة رضى الله عنها : « دخل على النبي صلى الله عليه  
وسلم ذات يوم فقال : هل عندكم شئ ؟ قلنا : لا . قال : فانى  
ضائم » <sup>(٣)</sup> .

واشترط الأحناف أن تقع النية قبل الزوال ، وهذا هو المشهور  
من قولى الشافعى ، وظاهر قول ابن مسعود وأحمد :

أنها تجزىء قبل الزوال ، وبعده على السواء .

\* \* \*

### على من يجب

وقد أجمع العلماء على أنه يجب على المسلم العاقل البالغ ،  
الصحيح المقيم ، والمرأة الطاهرة من الحيض والنفاس .

وهذا معناه أنه لا يجب الصيام على كافر ، ولا مجنون ، ولا صبي ،  
ولا مريض ، ولا مسافر ، ولا حائض ، ولا نفساء ، ولا شيخ كبير ،  
ولا حامل ، ولا مرضع .

وبعض هؤلاء : لا صيام عليهم مطلقا ، كالكافر والمجنون . لأن  
الصيام عبادة اسلامية ، فلا تجب على غير المسلمين .

والمجنون غير مكلف لأنه مسلوب العقل الذى هو مناط التكليف .

(١) من الاجماع ، وهو احكام النية والعزيمة .

(٢) رواه أحمد وأصحاب السنن ، وصححه ابن خزيمة ، وابن حبان .

(٣) رواه مسلم وأبو داود .



وقد ورد في حديث على رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم » (١) .

أما الصبي : وان كان الصيام غير واجب عليه ، فانه يطلب من ولى أمره ، بل وينبغي أن يأمره به ، ليعتاده من الصغر ، ما دام مستطيعا له ، وقادرا عليه . فقد ثبت عن الربيع بنت معوذ أنها قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صبيحة عاشوراء ، الى قرى الأنصار : « من كان صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطرا فليصم بقية يومه » ، فكنا نصومه بعد ذلك ، ونصوم صبياننا الصغار منهم ، ونذهب الى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن (٢) ، فاذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه اياها ، حتى يكون عند الافطار (٣) .

وأما الشيخ الكبير ، والمرأة العجوز ، والمريض الذى لا يرجى برؤه ، وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال ، فان هؤلاء جميعا يرخص لهم فى الفطر ، اذا كان الصيام يجهدهم ، ويشق عليهم مشقة شديدة فى جميع فصول السنة .

وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكينا — ان استطاعوا — وقدر ذلك بنحو صاع (٤) أو نصف صاع ، أو مد (٥) ، على خلاف فى ذلك ، ولم يأت من السنة ما يدل على التقدير .  
يقول ابن عباس : رخص للشيخ الكبير أن يفطر ، ويطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه (٦) .

وروى البخارى عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ :  
« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » (٧) قال ابن عباس : ليست بمنسوخة ، هى للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة ، لا يستطيعان أو يصوما ، فيطعمان (٨) مكان كل يوم مسكينا .

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى .

(٢) العهن : أى الصوف . (٣) رواه البخارى .

(٤) الصاع : قدح وثلاث . (٥) المد : ربع قدح من تمح .

(٦) رواه الدارقطنى والحاكم وصحاه .

(٧) البقرة : ١٨٤

(٨) مذهب مالك وابن حزم انه لا قضاء ولا فدية .

والحبلئ والمرضع : اذا خافتا على أنفسهما ، أو أولادهما أفطرتا ،  
وعليهما الفدية ، ولا قضاء عليهما ، عند ابن عمر ، وابن عباس (١) .

وعن نافع أن ابن عمر سئل عن المرأة الحامل اذا خافت على  
ولدها فقال : تفطر ، وتطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من حنطة (٢) .  
وفي الحديث : « ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر (٣) الصلاة ،  
وعن الحبلئ والمرضع الصوم » .

وعند الأحناف وأبى عبيد وأبى ثور : أنهما يقضيان فقط ، ولا اطعام  
عليهما .

وعند أحمد ، والشافعى : أنهما ان خافتا على الولد فقط وأفطرتا  
فعليهما القضاء والفدية ، وان خافتا على أنفسهما فقط ، أو على أنفسهما  
وعلى ولدهما ، فعليهما القضاء ولا غير .

أما المريض الذى يرجى برؤه ، والمسافر .

فانه يجب عليهما القضاء . وفى ذلك يقول الله تعالى :

« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » (٤) .

وروى أحمد ، وأبو داوود ، والبيهقى ، بسند صحيح من حديث  
معاذ ، قال : « ان الله تعالى فرض على النبئ صلى الله عليه وسلم  
الصيام ، فأنزل : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب  
على الذين من قبلكم » (٥) الى قوله : « وعلى الذين يطيقونه فدية  
طعام مسكين » (٦) فكان من شاء صام ، ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ  
ذلك عنه . ثم ان الله تعالى أنزل الآية الأخرى : « شهر رمضان الذى  
أنزل فيه القرآن » (٧) الى قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (٨)  
فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ، ورخص فيه للمريض والمسافر ،  
وأثبت الاطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام » .

(١) معرفة ذلك بالتجربة أو باخبار الطبيب الثقة ، أو غلبة الظن .

(٢) رواه مالك والبيهقى ، والحنطة هى القمح .

(٣) أى نصف الصلاة ، والمراد صلاة القصر .

(٥) البقرة : ١٨٣

(٤) البقرة : ١٨٤

(٧) البقرة : ١٨٥

(٦) البقرة : ١٨٤

(٨) البقرة : ١٨٥

والمرض المبيح للفطر هو المرض الشديد الذى يزيد بالصوم أو يخشى تأخر برؤه ، ويعرف هذا اما بتجربة أو باخبار طبيب ثقة أو بغلبة الظن .

وقد حكى عن بعض السلف : أنه أباح الفطر بكل مرض ، حتى من وجع الاصبغ والخرس ، لعموم الآية فيه ، لأن المسافر يباح له الفطر ، وان لم يحتج اليه ، فكذاك المريض <sup>(١)</sup> والصحيح الذى يخلف المرض بالصيام ، يفطر مثل المريض ، وكذلك من غلبه الجوع والعطش ، ويخاف الهلاك : لزمه الفطر وان كان صحيحا مقيما ، وعليه القضاء .

وفى ذلك يقول تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيمًا » <sup>(٢)</sup> ويقول : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » <sup>(٣)</sup> .

واذا صام المريض ، وتحمل المشقة ، صح صومه ، الا أنه يكره له ذلك ، لاعراضه عن الرخصة التى يجبها الله <sup>(٤)</sup> وقد يلحقه بذلك ضرر . وقد كان بعض الصحابة يصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يفطر ، متابعين فى ذلك فتوى الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال حمزة الأسلمى : يا رسول الله .. أجد منى قوة على الصوم فى السفر ، فهل على جناح <sup>(٥)</sup> ؟ فقال : « هى رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » <sup>(٦)</sup> . وقد اختلف الفقهاء فى أيهما أفضل :

ف رأى أبو حنيفة ، والشافعى ، ومالك : أن الصيام أفضل لمن قوى عليه ، والفطر لمن لا يقوى على الصيام .  
وقال أحمد : الفطر أفضل .

وقال عمر بن عبد العزيز : أفضلهما أيسرهما ، فمن يسهل عليه حينئذ ، ويشق عليه قضاؤه بعد ذلك ، فالصوم فى حقه أفضل .  
وحقق الشوكاتنى ، فرأى أن من كان يشق عليه الصوم ويضره ،

(١) وهذا مذهب البخارى ، وعطاء ، وأهل الظاهر .

(٢) النساء : ٢٩ (٣) الحج : ٧٨

(٤) فقد ورد فى حديث شريف : « ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما

تؤتى عزائمه » .

(٥) رواه مسلم .

(٦) أى اثم .

كذلك من كان معرضا عن قبول الرخصة : فالفطر له أفضل ، وكذلك من خاف على نفسه العجب أو الرياء ، اذا صام في السفر : فالفطر في حقه أفضل . وما كان من الصيام خاليا من هذه الأمور ، فهو أفضل من الافطار .

وإذا نوى المسافر الصيام بالليل ، وشرع فيه ، جاز له الفطر أثناء النهار ، فقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح فسار حتى بلغ كراع الغميم<sup>(١)</sup> ، وصام الناس معه ، ففعل له : ان الناس قد شق عليهم الصيام ، وانهم ينظرون فيما فعلت ، فدعا بقدر من ماء بعد العصر ، فشرب والناس ينظرون اليه ، فأفطر بعضهم ، وصام بعضهم ، فبلغه أن ناسا صاموا ، فقال : أولئك العصاة »<sup>(٢)</sup> .  
وأما اذا نوى الصوم ، وهو مقيم ، ثم سافر في أثناء النهار فقد ذهب جمهور العلماء الى عدم جواز الفطر له ، وأجازه أحمد واسحاق .

لما رواه الترمذى وحسنه عن محمد بن كعب قال :

أتيت في رمضان أنس بن مالك ، وهو يريد سفرا ، وقد رحلت له راحلته ، ولبس ثياب السفر ، فدعا بطعام فأكل ، فقلت له : سنة ؟ فقال : سنة . ثم ركب<sup>(٣)</sup> .

وعن عبيد بن جبير قال : « ركبت مع أبي بصرة الغفارى في سفينة من الفسطاط<sup>(٤)</sup> في رمضان ، فدفع ، ثم قرب غدائه ، ثم قال : اقترب ، فقلت : أأست بين البيوت ؟ فقال أبو بصرة : أرغبت عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم »<sup>(٥)</sup> ؟

يقول الشوكانى : والحديثان يدلان على أن للمسافر أن يفطر قبل خروجه من الموضع الذى أراد السفر منه .

(١) اسم وادى امام عسفان .

(٢) لأنه عزم عليهم فأبوا وخالفوا الرخصة — رواه مسلم والنسائى .

والترمذى وصححه .

(٣) وهذا الحديث ضعيف لأن في سنده عبيد بن جعفر .

(٤) الفسطاط : مصر القديمة .

(٥) رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات .

ويقول ابن العربي : وأما حديث أنس ، فصحيح ، يقتضى جواز الفطر مع أهبة السفر . وقال الشوكانى : وهذا هو الحق :  
والسفر المبيح للفطر ، هو السفر الذى تقصر الصلاة بسببه .  
ومدة الإقامة التى يجوز للمسافر أن يفطر فيها ، وهى المدة التى يجوز له أن يقصر الصلاة فيها .  
وأقل مسافة يباح فيها الفطر للمسافر ثلاثة أميال ، أى فرسخ ( ٥٥٦٥ ) مترا عند الظاهرية .

ومدة فطر المسافر : هى مدة السفر ، فللمسافر الفطر حتى يرجع الى وطنه أو ينوى الإقامة خمسة عشر يوما فأكثر بموضع واحد يصلح لإقامته عند الحنفيين والثورى والمزنى والليث بن سعد .

وقال الأئمة الثلاثة : المسافر اذا نوى إقامة أقل من أربعة أيام أفطر ، وان نوى إقامة أربعة أيام غير يومى الدخول والخروج صام .  
وأما من لم ينو الإقامة بل عزم على الرجوع الى بلده متى قضى حاجته فانه يفطر مدة انتظاره قضاء حاجته عند الحنفيين ومالك ، وأحمد ، كما روى أيضا عن الشافعى .  
وأما الحائض والنفساء :

فقد اتفق الفقهاء على أنه يجب الفطر عليهما ، ويحرم عليهما الصيام ، واذا صاما لا يصح صومهما ، ويقع باطلا ، وعليهما قضاء ما فاتهما :

روى البخارى ، ومسلم ، عن عائشة ، قالت : « كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة » .

\*\*\*

### التفريط فى رمضان

وإذا كنا قد وقفنا على الأعذار التى تبيح الفطر فهذا معناه أن من أفطر رمضان من غير عذر ولا مرض عليه أثم كبير ، هذا بالإضافة الى احباط عمله وضياع ثوابه . . . . وحسبه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام ( ١٩ - من وصايا الرسول ) »

من ترك واحدة منهن فهو كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله ،  
والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان « (١) » .

ويذكر عن أبي هريرة رفعه : « من أفطر يوما من رمضان في  
غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وان صامه » (٢) .

وقال الذهبي في « الكبائر » : وعند المؤمنين مقرر أن من ترك  
صوم رمضان بلا مرض ولا عرض أنه شر من المكاس والزاني ومدمن  
الخمير بل يشكون في اسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال . واذا كنا  
غري في هذا الزمان المريض من المتسلمين والمتسلمات من يأكل في  
رمضان جهارا نهارا في الشوارع والأسواق ، واذا كنا نرى المقاهي  
والمطاعم ودور اللهو واللعب ، وهانات الخمر . . . الخ ، وقد فتحت  
أبوابها على مصراعيها لاستقبال الخارجين على حدود الله ، المستهترين  
بدينهم .

فكل هذا يؤكد شيئا واحدا وهو أن هؤلاء وهؤلاء قد خلعوا لباس  
الحياء ، وتجردوا من الخلق الكريم .  
واذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مآتما وعويلا

\* \* \*

وقد قرأت مقالا (٣) للأستاذ على الجندي تحت عنوان :

### تأديب المفطرين

يقول فيه : هناك أسباب مسوغة للافطار فصلها الفقهاء في مظانها ،  
لأن الدين يسر لا عسر ، وصحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان ،  
كما تقضى الأحكام الشرعية .

ولكن مما يملأ النفس أسى ولوعة ، أن نرى بعض الشباب القوى  
المملوء صحة وعافية ، القادر على الصوم ، يفطر جهارا نهارا بلا حياء

(١) أخرجه أبو يعلى والديلمي بسند حسن وقال الذهبي : حديث

صحيح .

(٢) أخرجه أبو داوود وابن ماجه والدارمي والبيهقي والدارقطني

روابن خزيمة .

(٣) « الوعي الاسلامي » العدد الخامس والأربعون من ٥٢ السنة الرابعة

ولا خجل في شهر رمضان ، ويتحدى الصائمين المخبتين ، ينفث الدخان في وجوههم ، بالأماكن الضيقة ، وفي المجالس والسيارات الحافلة ! فكأنه لا يكفئهم أن يظهروا في صورة الخارج على الدين ، الفاسق عن أمر ربه ، حتى يضموا الى ذلك ، التجرد من الحياء ، والتخلق بأخلاق المجان والخلعاء ! السادرين في الغواية والضلال ! وليتهم اذ أفطروا تستروا على أنفسهم تصونا من القحة والسفه ، عملا بالأثر : « رحم الله امرءا ذب الغيبة عن نفسه » .

ومثل هذا قل : في بعض الثواب اللاتي يزدن على ذلك ، التبرج المقيت في المعارض القصيرة المتبذلة ، الكاشفة عن الظهور ، والبطون ، والسيقان ، بل وبعض الأفضاذا !

وقد كان أبناء الأديان الأخرى في الزمن السالف والى وقت قريب ، يوقرون شعور اخوانهم المسلمين ، فلا يطعمون ولا يشربون أمامهم ! ويروى بعض المؤرخين : أن أحد المجوس رأى ابنه يأكل في رمضان فضربه ، وقال له : هلا حفظت حرمة المسلمين في رمضان !؟

وبعض هؤلاء كان يصوم رمضان بالفعل ، كالأديب العظيم أبى اسحاق الصابى ، مجاملة للمسلمين ، كما كان يحفظ القرآن أحسن حفظ !

ولم يتطرق الانحلال الى هذه العبادة النبيلة ، الا بعد أن رأى غير المسلمين أن المسلمين أنفسهم ، لا يراعون حرمة الصيام ! فكيف يرجون لهم وقارا !؟ .. وصدق الشاعر حيث يقول :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها      هو انالها كانت على الناس أهونا

ولم يكن أسلافنا - رضوان الله عليهم - يسكتون عن مثل هذه الجرأة الصارخة على انتهاك رمضان ! يحدث الكلبى عن عوانة .. قال : خرج النجاشى الشاعر في أول يوم من شهر رمضان ، فمر بأبى سمأل الأسدى وهو قاعد بفناء داره .. فقال له : أين تريد ؟ قال : أردت الكناسة<sup>(١)</sup> .

قال : هل لك في رؤوس واليات<sup>(٢)</sup> قد وضعت في التنور من أول الليل ، فأصبحت قد أينعت وتهرأت !

(١) الكناسة : يضم الكاف بوضع بالكوفة -

(٢) يقصد اللحم والشحم .

قال : ويحك ! أفى أول يوم من رمضان ؟

قال : دعنا مما لا نعرف !

قال : مه !

قال : أسقيك شرابا كالورس<sup>(١)</sup> ، يطيب النفس ، ويجرى في العرق ، ويزيد في الطرق<sup>(٢)</sup> ويهضم الطعام ، ويسهل للفم<sup>(٣)</sup> .  
فنزل فتغديا ، ثم أتاه بنبيذ فشربا<sup>(٤)</sup> .

فلما كان آخر النهار ، فضحهما الله — تبارك وتعالى — فعلت أصواتهما ، وكان لهما جار من شيعة الامام على — كرم الله وجهه — فأتاه بخبرهما .

فأرسل الامام اليهما قوما أحاطوا بالدار . . فأما أبو سمائل فوثب على دار من دور بنى أسد فأفلت ، وأخذ النجاشي .  
وفي الصباح أقامه الامام في سراويل ، وضربه ثمانين سوطا .  
ثم زاده عشرين .

ونقل ابن حزم : أنه أخضره ثانی يوم ، وجلده عشرين سوطا !  
فقال النجاشي : يا أمير المؤمنين . . أما الحد فقد عرفته ، فما هذه الملاوة (يعنى العشرين) ؟

فقال الامام : لجرأتك على الله ، وافطارك في شهر رمضان !  
ثم أقامه في سراويل للناس فجعل الصبيان يصيحون به : خزى النجاشي ! خزى النجاشي !

وأتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه برجل شرب الخمر في رمضان ، فلما رفع اليه عثر الرجل ، فقال عمر : على وجهك ، ويحك . . وصبياننا حصيلم ! ثم أمر به فضرب ثمانين سوطا .  
ثم سيره الى الشام .

وكان رضى الله عنه اذا غضب على انسان سيره الى الشام .  
وفي عهد الملك الكامل الأيوبي ، كان يأمر في رمضان باغلاق محلات الخمر في القاهرة ، وجميع أنحاء البلاد ، واغلاق المطاعم والمقاهى عهرا ، وامسك البنغايا والقيان .

(١) نبات كالسهم لا يزرع الا باليمن ، تصبغ به الثياب .

(٢) الطرق : الوتاع .

(٣) الفم : المعى من الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم ، والاحق :

(٤) أى خمر .

الغليظ الجاق .



وكان يذيع هذا النداء :

« يا أهل مصر .. قد أظلكم شهر مبارك ، من لم يصمه بغير عذر شرعى ، فقد باء بغضب الله عليه ! واستحق أشد أنواع العقاب واستهدفنا لغضبنا عليه وانزال أشد عقوبتنا به » .

وكان عند ثبوت الرؤية ، ينزل بنفسه فى أول يوم من رمضان ، لمباشرة الأسواق ، وتفقد أحوال الرعية ، فإذا صادف مفطرا وتبين أنه أفطر تهاونا بحرمة الشهر أمر بطرحه وضربه ضربا مبرحا .

وقد نص العلماء : على أن المفطر عمدا من غير عذر مع اعترافه بأن الصوم فرض : حكمه أن يحبس حتى يتوب أو يظهر من آثار التوبة ما يعرف عنه .. أن توبته توبة نصوح .

ونصوا كذلك ، على أن المصر على ترك الصوم يقتل وان كان ممنعه<sup>(١)</sup> لا يسلمونه للحبس يقاتلون كما فى ترك الصلاة<sup>(٢)</sup> .

ولو أكل عمدا شهرة بلا عذر يقتل .

قال الشرنبالى : « تعمد من لا عذر له الأكل جهارا يقتل لأنه مستهزئ بالدين أو منكر لما ثبت منه بالضرورة ولا خلاف فى حنفتله والأمر به » .

ويقول الصفورى من الشافعية : لو امتنع انسان من الصوم لغير حاجة حبس ومنع من المفطرات .

وكان سعيد بن المسيب يوجب فى قضاء رمضان صوم شهر عن كل يوم !

ونقل عن الأوزاعى امام الشام : أنه يجب فى قضاء رمضان ثلاثة آلاف يوم !

وهذا كله من التغليظ على منتهك حرمة هذا الشهر الكريم بلا مقتضى .  
والا فالكفارة الشرعية على من له عذر معروفة .. الخ المقال .

\* \* \*

(١) أى عشيرته .

(٢) كما جاء فى « شرح الدر » على المذهب الحنفى .

## حكم من يبيع الطعام والشراب للمفطرين

ثم الى هؤلاء الذين يبيعون الطعام والشراب للمفطرين في نهار رمضان أسوق اليهم هذه الفتوى التي أجب عليها الامام الراحل فضيلة الشيخ أمين محمود خطاب السبكي ، وكان قد وجه اليه السؤال الآتي :

ما قولكم غيمن يفتح محلا للطعام والشراب ويبيع ذلك للمفطرين في شهر رمضان ويقدم لهم ذلك في محله نهارا • أيجوز ذلك أم هو حرام ؟ أفيدونا مأجورين • فأجاب عليه رحمة الله بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي فرض على عباده الصيام ، وحرّم على غير ذى العذر الافطار في رمضان ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن اهتدى بهداه •

أما بعد •• فان الله تعالى فرض صيام شهر رمضان على المكلف القادر الصحيح المقيم • والصيام ركن من أركان الاسلام قد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة واجماع الأمة • والفطر فيه بغير عذر من الكبائر ، وتقديم الطعام أو الشراب لمن لزمه الصيام حرام ، لما فيه من التعاون على المنكر •

قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » (١) وعلى كل مسلم أن ينهى المفطر في رمضان بغير عذر عن الفطر والا كان شريكا له في الاثم ويوشك الله أن يعم الكلب بعذاب •

وقال الله تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفطنون » (٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لیسلمن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » (٤) وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) المائدة : ٧٨ ، ٧٩

(١) المائدة : ٢

(٣) أخرجه أحمد ومسلم عن ابى سعيد الخدرى •

(٤) أخرجه البزار والخطيب والطبرانى في « الأوسط » عن ابى هريرة •

قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعون فلا يستجاب لكم » .  
 فعلى أرباب المطاعم والمشارب والمقاهى اغلاقها نهارا فى رمضان ،  
 ويحرم عليهم تقديم الطعام والشراب نهارا لأى مكلف بالصيام ، لما  
 فى ذلك من التعاون على الأثم والعدوان والتهاون بأحكام الدين وترك  
 النهى عن المنكر وفى تركه الضرر العام وانتشار المعاصى والتظاهر بها .  
 وقد ذهب جمهور العلماء الى أن الكفار مخاطبون بقروع الشريعة  
 وأنهم سيعذبون على تركها عذابا شديدا زائدا على عذاب الكفر .  
 قال الله تعالى فى شأن أهل النار : « ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك  
 من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين .  
 وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين » (١) .

وعليه فيحرم على المسلم تقديم الطعام والشراب فى نهار رمضان  
 للنصارى واليهود وغيرهم من الكفار فضلا عن المسلمين . وعلى ولاية  
 الأمور أن ينتبهوا لهذا وأن يأخذوا على أيدي العابثين بأحكام الدين  
 المفطرين فى رمضان المتجاهرين بالفسق والفجور خشية أن يعم الله  
 الكل بالعذاب ، وكفى ما مضى من اهمال وتفريط حتى حل بنا ما حل  
 وسلط الله تعالى علينا من لا يرحمنا ، ولا نجاة الا بالرجوع الى حظيرة  
 الدين والعمل بأوامره والوقوف عند حدوده .

قال الله تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » (٢) .  
 وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : انكم تقرأون هذه  
 الآية وتضعونها على غير موضعها : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ،  
 لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » (٤) وانا سمعنا النبى صلى الله عليه  
 وسلم يقول :

« ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم  
 الله تعالى بعقاب » (٥) .

وذلك أن الهداية لا تتحقق الا بالقيام بما كلفنا به ، ومنه الأمر  
 والنهى ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفقه الأمة فى دينها ، وأن يلهم

(١) اليقين : المراد فى الآية : الموت .

(٢) الدثر : ٤٢ - ٤٧

(٣) محمد : ٧

(٤) المائدة : ١٠٥

(٥) أخرجه أبو داوود والترمذى .

الجميع الرشد والصواب ، وأن يوفق الكل لتعرف أحكام الدين واتباع طريق سيد النبيين عليه وعلى آله الصلاة والسلام ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين» (١) .

\*\*\*

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل صيام نهار رمضان فريضة فقد جعل :

### قيام ليله تطوعاً

وهذا دليل على أن قيام رمضان ليس فرضاً وإنما هو سنة كما أشار المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى هذا في حديث آخر قال فيه بعد قوله : « فرض صيام رمضان وسننت قيامه » (٢) ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يرغب أصحابه في قيام رمضان كما ورد في حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه يقول فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة (٣) ثم يقول : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » (٤) .

قال الشوكاني : المراد قيام لياليه مصلياً ويحصل بمطلق ما يصدق عليه القيام وليس من شرطه استغراق جميع أوقات الليل ، قيل : ويكون أكثر الليل .

\*\*\*

وقال النووي : ان قيام رمضان يحصل بصلاة التراويح . يعنى أنه يحصل بها المطلوب من القيام لأن قيام رمضان لا يكون إلا بها . و :

(١) هذا هو نص الفتوى التى نشرت فى رمضان سنة ١٣٦٠ هـ بالعدد الرابع من السنة الثالثة من مجلة « الاعتصام » ، وثابتة بالجزء الثامن من « الدين الخالص » ص ٢٩١ هامش طبعة ١٣٧٠ هـ ١٩٥٠ م .

(٢) الحديث أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه .

(٣) أى بتحتم وإيجاب . قال الشوكانى : فيه تصريح بعدم وجوب القيام ، وقد فسره بقوله : « من قام ... » الخ ، فإنه يقتضى الندب دون الإيجاب .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى . وزاد النسائى فى رواية أخرى : « وما تأخر » .

## صلاة التراويح

سنة مؤكدة :

وقد رأيت اتماما للفائدة أن أسجل في هذا الموضوع بحثا عظيما في صلاة التراويح لفضيلة العالم العظيم الشيخ على حسن حلوة - مفتي الجمعية الشرعية السابق - عليه رحمة الله ، قال فيه بالحرف الواحد (١) :  
 رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام رمضان والتعبد في لياليه فقال : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) .  
 والحكمة في الترغيب في قيام رمضان : رياضة الأرواح في مدارس القرآن بعد رياضتها بالصوم والتقرب الى الله سبحانه بكثره الركوع والسجود .

وقد كان من هدى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصليها كل ليلة في بيته ولكنه خرج ليلة من ليالي رمضان وصلى في المسجد وصلى بصلاته من علم بوجوده ، فلما كان في الليلة الثانية اجتمع ناس يرجون خروجه للصلاة خلفه فلم يخرج صلى الله عليه وسلم اليهم ، ولما سئل فقال : « انى خشيت أن تفرض عليكم » .

ثم كان من أمر المسلمين أن يصلوا في المسجد جماعات متفرقة كل جمع خلف امام واستمر الأمر حتى جمعهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه على امام واحد حيث جمعهم على أبي بن كعب رضى الله عنه واستحسن هذا العمل لما فيه من جمع كلمة المسلمين واعلان ترابطهم .

عدد ركعاتها : الثابت من فعله صلى الله عليه وسلم أنه ما زاد في رمضان ولا في غيره عن احدى عشرة ركعة ، فقد قالت عائشة رضى الله عنها : « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة » (٣) ، ومنها الوتر .  
 وهذا هو السنون المؤكد من فعله صلى الله عليه وسلم

(١) كما هو ثابت في كتاب « محيد الرسول العظيم (ﷺ) وهديه في رمضان » ص . { سلسلة الجمعية الشرعية . (٢) متفق عليه .

(٣) رواه البخارى ومسلم واحمد وابو داود والترمذى والنسائى

وابن ماجه ومالك .

ومضى الأمر على هذا في حياته وعهد أبى بكر وجزء من خلافة عمر رضى الله عنهما •

فقد جاء أبى بن كعب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انه كان من الليلة شىء - يعنى فى رمضان - قال : « وما ذاك يا أبى » ؟ قال : نسوة فى دارى قلن انا لا نقرأ القرآن فنصلى بصلاتك فصليت بهن ثمان ركعات وأوترت فكانت سنة الرضا ولم يقل شيئاً (١) •

وقال السائب بن يزيد : « كنا نقوم فى زمان عمر بعشرين ركعة والوتر » (٢) •

وفى رواية عنه لمالك : أنهم كانوا يقومون فى رمضان بعشرين ويقرأون بالمئين من القرآن ، وأنهم كانوا يعتمدون على العصى فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه •

وفى رواية : باحدى عشرة • قال البيهقى : يجمع بين الروایتين بأنهم كانوا يقومون باحدى عشرة ثم قاموا بعشرين وأوتروا بثلاث • ويفهم من هذا أن القراءة كانت طويلة حيث قال السائب : ويقرأون بالمئين وأن ذلك شق عليهم حيث كانوا يعتمدون على العصى فى صلاتهم ، فأرادوا الجمع بين كثرة ما يقرأ وبين تخفيف القيام فصلوا عشرين ركعة ليتمكنوا فيها من قراءة وردهم من القرآن ولا تعارض بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل عمر فان العلماء قرروا أن الثابت من فعله صلى الله عليه وسلم وهو صلاة الثمانية هو السنة غير الوتر والباقي مستحب :

فقد نقل الزرقانى فى شرح « الموطأ » عن ابن حبان أن التراويح كانت أولاً احدى عشرة ركعة وكانوا يطيلون القراءة ، فثقل عليهم فخففوا القراءة وزادوا فى عدد الركعات فكانوا يصلون عشرين ركعة غير الشفع والوتر بقراءة متوسطة ، ثم زاد أهل المدينة الصلاة الى ست وثلاثين ركعة غير الشفع والوتر •

وأرجع النووى السبب فى زيادة صلاة أهل المدينة الى أن أهل مكة كانوا يطوفون بالكعبة بين كل ترويحتين ولا يطوفون بعد الترويحة الخامسة ، فأراد أهل المدينة مساواتهم - أى فى الأجر - فجعلوا مكان

(١) أخرجه أبو يعلى والطبرانى بنحوه فى « الأوسط » بسند حسن •

(٢) أخرجه البيهقى بسند صحيح •

كل طواف أربع ركعات فزادوا بذلك على العشرين ست عشرة ركعة •  
 وقال الحافظ في « الفتح » شرح البخارى : والجمع بين الروايات  
 يمكن باختلاف الأحوال ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة  
 وتخفيفها ، فحيث تطول القراءة تقل الركعات وبالعكس ، قال : وبه  
 جزم الداودى وغيره • اذا علمت هذا أيها الأخ الكريم تعلم أن الكل  
 كان حريصا على احياء ليل رمضان بالطاعة والاستراحة من قراءة القرآن •  
 ولا شك أن الثابت من فعله صلى الله عليه وسلم هو الأولى بالاتباع  
 فهو أدعى الى الاطمئنان وقاطع لعذر من يخفون صلاة العشرين الى  
 حد الاستهتار بها والضياع لها بحيث ينقرونها نقر الديكة ويقطعون  
 الآية على الركعات تقطيعا يخل بأداب التلاوة ويحرم السامع والقارىء  
 من ثمرة التدبير والمدارسة للقرآن الكريم ويخرجون منها بوزر المخالفة  
 لأمره وفعله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « صلوا كما رأيتمونى  
 أصلى » وهم لم يصلوا كصلاته ولم يفعلوا فعل أصحابه ، وإنما زين  
 لهم الشيطان السرعة فيها وبغض لهم الاطمئنان ، هدى الله الجميع  
 للخير والثواب •• آمين •

والأفضل في صلاتها ختم القرآن في الشهر حتى يخرج المصلى  
 بدرس كامل ووعى شامل لكتاب الله تعالى •

ومن أراد المزيد من الخير فصلى في بيته ما تيسر له ، أخر صلاة  
 الوتر ليختم به قيام الليل لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أجعلوا  
 آخر صلاتكم وترا » •

وقال العالم الفاضل الأستاذ الكبير العامل الشيخ عبد اللطيف  
 مشتهرى في كتابه « مدرسة الصوم » :

وكان السلف يعتمدون على العصى من طول القراءة في التراويح  
 وما كانوا ينصرفون الا عند الفجر ، وبعضهم كان يختم القرآن في قيام  
 رمضان في كل ثلاث ليال ، وبعضهم في كل عشر — وكانوا في زمن التابعين  
 يقرأون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات ، ويرون أن قراءتها  
 في اثنتى عشرة ركعة من التخفيف ، وكان لأبى حنيفة والثامنى ستون  
 ختمة في رمضان في غير الصلاة — عن أبى يوسف وعلى العبدان وعبد الله  
 ابن أسيد قالوا : كان أبو حنيفة يختم في رمضان ستين ختمة — ختمة  
 بالليل وأخرى بالنهار — وكان اذا دخل رمضان تفرغ لقراءة القرآن ،  
 فاذا كان العشر الأواخر فقلما استطاع أحد أن يكلمه ، وكان مالك

إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف ، وكانوا يسمونه شهر القطيعة من الخلق والاقبال على الخالق .

فهذا كله يدل على أن المؤمن له في شهر رمضان عدة أمور :  
 جهاد بالنهار على الصيام ، وجهاد بالليل على القيام ، وتهذيب للنفس بالكثارة من تلاوة القرآن ، ورياضة لها بالجود والعطاء ، فمن جمع بين هذه الخصال الحميدة ، ووفى بحقوقها وصبر عليها ، وفاء الله أجره بغير حساب .

وقه در المرحوم الأستاذ محمد الأسمر شاعر الأزره فلقد قال  
 معبرا عن هذا :

رعى الله شهر الصوم . أما نهاره	فغاف . وأما ليله فهو ساهو
وحيا رجالا حين لاح هلاله	مشت بينهم مشى النسيم البشائر
بطان إذا ما الشمس أرخت قناعها	خصاص إذا ما أقبلت وهي ساغر
خضوعا لمن فوق السموات عرشه	ويعلم منهم ما تكن السرائر
هو ( الله ) فاعبده العبادة كلها	إذا راح يلهو بالعبادة فاجر

وقال آخر :

جاء الصوم فجاء الخير أجمعه	ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح
فالنفس تدأب في قول وفي عمل	صوم النهار ، وبالليل التراويح



### موسم الطاعات

وإذا كنا قد وقفنا على أهم البركات والنفحات الرمضانية فهناك بركات أخرى ونفحات لا تقل أهمية عنها ، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إليها في نفس الخطبة بعد قوله : « ... شهر جعل الله صيام نهاره فريضة ، وقيام ليله تطوعا » فقال : « ... من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه . ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار . وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء . »



ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخص رمضان من الطاعات بما لا يعمل في غيره ، يكثر فيه من القربات ، فكان جوده يتضاعف وكان أجود ما يكون في رمضان خصوصا عند لقاء جبريل ، فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة » (١) .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعنى بمداومة القرآن في رمضان ، وكيف لا ، ومن أجل القرآن شرع الصيام تكريما وشكرا فكان يعارض جبريل به - أى يقرأ ويسمع جبريل ، ثم يسمع من جبريل (٢) .

وكن يجتهد في العشر الأواخر من رمضان بما لا يجتهد في غيره (٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذ دخل الثلث الأخير من رمضان شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله (٤) .

وفى رواية ابن أبى عاصم عنها : طوى فراشه ، واعتزل النساء وجعل الحشاء سحورا .

وعن أبى سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الأول من رمضان ، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية (٥) ثم أطلع رأسه فقال : « انى اعتكفت العشر الأول ألتص هذه الليلة - يعنى ليلة القدر - ثم اعتكفت العشر الأوسط ، ثم أتيت فقيل لى : انها في العشر الأواخر ، فقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها ، وقد رأيتنى أسجد في ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في الوتر منه » قال : - فمطرت السماء تلك الليلة - وكان المسجد

(١) رواه البخارى .

(٢) كما ثبت في الصحيح عن فاطمة كريمة رضى الله عنها .

(٣) كما روى في حديث رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى .

(٥) خيمة صغيرة من لبود .

على عريش ، فبصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى  
جبهته أثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين (١) .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم واصل الصيام (٢) فأراد أصحابه  
أن يواصلوا مثله ، فقال : « لا ، انى لست كهيتكم ، انى أبيت عند  
ربى يطعمنى ويسقبنى » (٣) .

وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رجب قال : « اللهم بارك  
لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان » (٤) .

وكان اذا رأى هلال رمضان قال :

« هلال رشد وخير ، هلال رشد وخير ، آمنت بالذى خلقك » (٥) .

وقال أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عند السحور : « يا أنس .. انى أريد الصيام  
فأطعمنى شيئاً » فأنتيته بتمر وانا فيه ماء ، وذلك قبل الفجر بيسير ،  
فقال لى : « يا أنس .. انظر رجلا يأكل معى » فدعوت زيد بن ثابت  
فدخل وتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج الى الصلاة (٦) .

وكذلك كان أصحابه الأجراء عليهم جميعا رضوان الله يواسون  
المفقراء من افطارهم ، أو يؤثرونهم على أنفسهم ، ويطوون هم على  
الجوع .

فقد روى أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يصوم ولا يفطر الا مع  
المساكين فاذا لم يجد ، أو منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة ،  
وكان اذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام  
فأعطاه للسائل ، فربما رجع فوجد أهله قد أكلوا ما بقى من الطعام  
فيصبح صائماً وما أكل شيئاً .

واشتهى بعضهم طعاما ، وكان صائماً ، فأحضره بين يديه ليأكله  
عند الافطار ، فسمع سائلاً يقول : من يقرض الملىء الوفى الغنى ؟ فقال

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) أى وصل صوم النهار بامسك الليل مع صوم الذى بعده .

(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) رواه الطبرانى وغيره عن أنس .

(٥) رواه النسائى . (٦) أخرجه النسائى .

على الفور : عبده المعدم من الحسنات ، ثم قام وأخذ الصحيفة وأعطى ما فيها للسائل ، وبات طاويا .

وجاء سائل الى الامام الورع التقى أحمد بن حنبل وكان صائما ، فذبح اليه رغيفين كان قد أعدهما لفطره ، ثم طوى وأصبح صائما .

وقد ورد أنه كان في بيت علي بن أبي طالب رضى الله عنه خمس من الأنفس : علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والحارث (١) لم يذوقوا في ليلتهم طعاما فباتوا ليلتهم على الطوى (٢) .

وما أن أصبحوا حتى دفعت فاطمة رداها الى علي ليبيعه ويقتاتون بثمنه فباعه علي رضى الله عنه بستة دراهم وبينما هو في الطريق الى بيته لقي جماعة كاد الجوع يقتلهم فأثرهم بالسته دراهم على نفسه وزوجته وأولاده وأعطاهم اياها . وما أن تجاوزهم بخطوات حتى أقبل عليه رجل في يده ناقة فألقى عليه السلام ثم قال :

يا أبا الحسن . . ألك في شراء هذه الناقة ؟ قال علي : أجل (٣) لو كان معي ثمنها . قال الرجل : خذها نسيئة (٤) وأد ثمنها حين يفتح الله عليك . قال علي : بكم تبيعها ؟ قال : بمائة درهم ، فاشتراها علي وأخذ بزمامها وذهب ، فقابله رجل آخر فقال له : أتبيع هذه الناقة يا أبا الحسن ؟ قال : نعم . قال : بكم اشتريتها ؟ قال : بمائة درهم . فقال له الرجل : أنا أشتريها منك بربح ستين درهما . فباعها له بعد أن دفع الرجل اليه المائة والستين درهما .

ثم ذهب بعد ذلك قاصدا بيته فلقى الرجل الأول فقال لعلي : أين الناقة يا أبا الحسن ؟ قال : قد بعته . قال : فأعطني حتى اذن فدفعت اليه المائة وبقي معه الستون .

ثم هروا الى بيته وصب الدراهم في حجر السيدة فاطمة الزهراء وقص عليها القصة قائلا : تاجرت مع الله بستة دراهم فأعطاني ستين لكل درهم عشرة دراهم . قالت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها : لا تأكل من هذا المال حتى نعرض الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراهم بالقصة ، فابتسم صلوات الله وسلامه عليه ثم قال : « أبشريا علي . . تاجرت

(٢) أي ويطونهم خاوية .  
(٤) نسيئة : أي بئمن مؤجل .

(١) وهو الخادم .  
(٣) أجل : أي نعم .

مع الله فأربحك ، فالبائع جبريل ، والمشتري ميكائيل ، والناقة مركب  
فاطمة في الجنة » ثم قال : « يا علي .. أعطيت ثلاثا لم يعطها غيرك  
لك زوجة سيده أهل الجنة ، وولدان سيدها شباب أهل الجنة ، ولك صور  
هو سيد المرسلين ، فاشكر الله على ما أعطاك واحمده فيما أولاك » .

فتذكر كل هذا وكن من الذين « يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم  
خصاصة (١) ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (٢) .  
ولا سيما في شهر رمضان المبارك الذي عرفت عنه ما عرفت .

ولا تنس قوله تعالى في الحديث القدسي :

« أحب ثلاثا وحبي لثلاث أشد : أحب أهل السخاء ، وحبي للفقير  
السخي أشد ، وأحب المتواضعين ، وحبي للغني المتواضع أشد ،  
وأحب التائبين ، وحبي للشباب التائب أشد .

وأبغض ثلاثا وبغضى لثلاث أشد : أبغض البخلاء وبغضى للغني  
البخيل أشد ، وأبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر أشد ، وأبغض  
الفساق وبغضى للشيخ (٣) الفاسق أشد » .

ولا تحنقر صدقة تصدقت بها مهما قلت فقد ورد في الحديث  
الشريف : « رب درهم سبق ألف درهم » وفي القرآن الكريم يقول  
سبحانه : « انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (٤) .

ولم يقل : أكثر عملا . فقد يكون العمل كثيرا ولا ثواب له وقد  
يكون قليلا ويقبله الله سبحانه وتعالى . ولهذا قال الرسول صلى الله  
عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى » (٥) .  
وكذلك لا تستكثر عملا من الأعمال التي تتقرب بها الى الله ، فقد  
ورد في حديث شريف أن المحسن سيندم يوم القيامة عندما يجد  
ثواب أعماله الصالحة قائلا : ليتني أكثرت من الأعمال الصالحة حتى  
يكون ثوابي أكثر وأكثر وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :  
« ما من أحد يموت الا ندم » قيل : وما ندامته يا رسول الله ؟ قال :

(١) الخصاصة : أي الفقر .

(٢) الحشر : ٩ بلفظ « ويؤثرون » .

(٣) أي الرجل المسن الذي تجاوز سن الشباب .

(٤) حديث صحيح .

(٥) الكهف : ٣٠ .

« ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد<sup>(١)</sup> احسانا ، وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع<sup>(٢)</sup> عن الذنوب » .

وحتى يتضح لك هذا المعنى الأخير اليك هذا الأثر :

روى أن أحد الصحابة مرض على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأل عنه يوما فقيل له : انه انتقل الى رحمة الله . فقال عليه الصلاة والسلام : « ألم يقل شيئا » ؟ فقيل له : انه حين أحس بالموت قال : ليتها كانت كثيرة .. ليتها كانت الجديدة .. ليتها كان كاملا . فلم ندر ماذا يعنى بذلك . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « كان هذا الصحابي يسعى ذات يوم جمعة مهرولا الى المسجد فوجد في الطريق رجلا ضريرا وليس معه من يقوده الى المسجد فأخذ بيده . وعند الموت رأى ثواب ذلك - أى ثواب الخطوات - فقال : ليتها كانت كثيرة ، وكان يسعى لصلاة الصبح في يوم اشتد برده ، فوجد رجلا في الطريق كاد أن يقتله البرد ، وكان يلبس حلتين<sup>(٣)</sup> احداهما جديدة والأخرى قديمة ، فأعطى الرجل القديمة ، وعند الموت رأى ثواب ذلك فقال : ليتها كانت الجديدة ، وفي أحد الأيام رجع الى داره فسأل امرأته عما لديها من طعام فقدمت له رغيفا من خبز الشعير ، فلما هم بتناوله اذا بطارق يطرق الباب ويقول : انى جائع ، فأعطاه نصف الرغيف ، وعند الموت رأى ثواب ذلك ، فقال : ليتها كان كاملا » .

فاذا كان المتصدق كما رأيت سيندم وسيتمنى أن يكون قد أكثر من الصالحات وفعل الخيرات ، فما بالك اذن بالذى لم يقدم شيئا ينفعه :  
«يوم ينظر المرء ما قدمت يداه»<sup>(٤)</sup> .

فلا تنس كل هذا وتأمل قول الشافعى رضى الله عنه :

أحب للصائم الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولحاجة الناس فيه الى مصالحهم ، ولتشاغل كثير منهم فيه بالعبادة عن مكاسبهم .

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم كما قرأت في خطبته :  
« ... من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من

(١) ذلك بالمسئء .

(٢) أى كان يلبس جلبابين .

(٣) أى رجع .

(٤) النساء : ٤٠ .

النار وكان له مثل أجره من غير أن يتقص من أجر الصائم شيء...» •  
 واجعل نصب عينيك ما قاله يوسف عليه السلام عندما سئل :  
 لم تصوم كثيرا وأنت على خزائن الأرض ؟ فقال : أخاف أن أشبع  
 فأنسى الجائع •

\*\*\*

ثم اليك بعد هذا العرض السريع الذي كان لابد وأن نقف عليه  
 حتى نعرف حقيقة رمضان ونقف على سر عظمته ما يوصينا الرسول  
 صلى الله عليه وسلم به في نهاية الخطبة حيث يقول :

« واستكثروا فيه من أربع خصال ، خصلتين ترضون بهما ربكم  
 وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم :  
 فشهادة أن لا اله الا الله ، وتستغفرونه • وأما اللتان لا غناء بكم  
 عنهما : فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار • ومن سقى صائما  
 سقاه الله من حوضي شربة لا يظما بعدها حتى يدخل الجنة » •

كما قرأت سابقا في نص الوصية التي رواها ابن خزيمة في  
 صحيحه والبيهقي وابن حبان :

فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الوصية الأخيرة  
 يوصينا بهذه الخصال الأربع التي لابد وأن نحرص على تحقيقها والفوزا  
 بها • فهذا خير عظيم كلنا في أشد الحاجة اليه اغتناما لفرصة وجودنا  
 في هذه الحياة ولا سيما في شهر رمضان المبارك ، وارضاءا لربنا خالقنا  
 ورازقنا ، والمتفضل علينا بنعمه التي لا تحصى ولا تعد القائل في  
 محكم كتابه : « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (١) والقائل :  
 « وما بكم من نعمة فمن الله » (٢) •

وحتى نقف على أهمية الشهادة والاستغفار وتكثر منهما ارضاء  
 لبرك واسعادا لنفسك ، اليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال : « من جلس مجلسا كثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه

ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك • الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك» (١) •

عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : سبحان الله وبحمده ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أستغفرك وأتوب اليك ، فقلها في مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه ، ومن قالها في مجلس لغو كان كفارة له » (٢) •

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل » (٣) زاد عبادة : « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء » (٤) •

عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعاذ رديفه على الرحل قال : « يا معاذ بن جبل » قال : لبيك يا رسول الله وسعديك — ثلاثا — قال :

« ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار » قال : يا رسول الله •• أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : « اذن يتكلموا » وأخبر بها معاذ عند موته تأثما (٥)» (٦) •

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الجنة شهادة أن لا اله الا الله » (٧) • وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم في صفة بالمدينة فقص عليهم رؤيا رآها في منامه قال في آخرها :

(١) رواه أبو داود والترمذى واللفظ له والنسائى ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال الترمذى : حديث حسن صحيح غريب •

(٢) رواه النسائى والطبرانى ورجالهما رجال الصحيح ، والحاكم وقال : صحيح علم ، ثم سلم •

(٣) أى أدخله الله الجنة حسب عمله ، أو ايا كان عمله •

(٤) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى •

(٥) أى خروجهم من اثم كتمان العلم •

(٦) رواه البخارى ومسلم • (٧) رواه أحمد والبخارى •

« ... ورأيت رجلا من أمتي انتهى الى أبواب الجنة ففلقت  
الأبواب دونه فجاعته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الأبواب  
وأدخلته الجنة » (١) .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصى بالاكثار من شهادة  
أن لا اله الا الله ، فيقول في حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه :  
« أكثروا من شهادة أن لا اله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها » (٢) .  
وذلك لأن شهادة أن لا اله الا الله هي الاقرار بوحداية الله سيظنه  
وتمالى التي لا معنى للعبادة الا بها ، فهي :

كلمة التوحيد التي بعث الله من أجلها الرسل ، وأنزل الكتيب  
وجعلها فارقة بين الايمان والكفر ، وبين أهل السعادة ، وبين أهل  
الشفاعة ، وهي الأساس الذي لا يقبل الله من أحد عملا الا اذا بنى  
عليها ، وهي القطب الذي لا تدور رحى الشريعة الا به ، وهي زينة  
رسالات الرسل وخلاصة دعوتهم ، ومفتاح كلامهم ، فما أرسل أحدا  
منهم الى قومه الا كان التوحيد أول ما يدعوهم اليه ، وهي كلمة التقوى  
التي ألزمها الله حزبه وأوليائه وحرم منها أعداءه .

وقد جمعت هذه الكلمة العظيمة التي هي عنوان الاسلام بين  
النفي والاثبات ، فنفت بصدورها الألوهية عن كل ما سوى الله عز وجل ،  
وأعلنت البراءة من كل معبود باطل ، وأثبتت بعجزها الألوهية لله وحده ،  
ولهذا قالوا في تفسيرها :

لا معبود بحق في الوجود كله الا الله . فهي في معنى قول مؤسس  
الحنيفية السمحة ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام  
لأبيه وقومه : « أننى برآء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فلتعبد  
مسيهين » (٣) .

ولهذا كان من الحكمة حتى تكون من أهلها وتكثر من قولها أن  
أسوق اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله . . من أسعد  
الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك

(١) من حديث صحيح . رواه أبو يعلى بإسناد جيد قوى .

(٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧ .



لما رأيت من حرصك على الحديث : أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة  
من قال : لا اله الا الله خلصا من قلبه - أو نفسه « (١) » .

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة » قيل :  
وما اخلاصها ؟ قال : « أن تحجزه عن محارم الله » (٢) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « ما قال عبد : لا اله الا الله قط مخلصا ، الا فتحت له  
أبواب السماء حتى يفيض الى العرش ، ما اجتنبت الكبائر » (٣) .

عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« أفضل لذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : « جعدوا ايمانكم » قيل : يا رسول الله .. وكيف نجدد ايماننا ؟  
قال : « أكثروا من قول : لا اله الا الله » (٤) .

عن عمرو رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول : « انى لأعظم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه فيموت  
على ذلك الا حرم على النار : لا اله الا الله » (٥) .

وأما عن الاستغفار : فهو طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى  
الغفور الرحيم الذى يقول فى كتابه العزيز : « وانى لغفار لمن تاب  
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » (٦) ويقول : « ان الله يغفر الذنوب  
جميعا » (٧) .

وقد رأيت ونبل أن تقرأ ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم  
فى فضل الاستغفار أن أقرأ ملك أولا هذه الرسالة القدسية التى يخاطب

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الطبرانى فى الاوسط وفى الكبير ، الا انه قال : ان تحجزه  
عما حرم الله عليه .

(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

(٤) رواه احمد والطبرانى ، واسناد احمد حسن .

(٥) رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما وروياه بنحوه .

(٦) طه : ٨٢ (٧) الزمر : ٥٣

الله سبحانه وتعالى فيها عباده الآبقيين كما ورد في صحف ابراهيم عليه  
وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام يقول فيها سبحانه وتعالى : « من  
العزير الحميد الى من أبق<sup>(١)</sup> من العبيد :

سلام عليكم .. هذه رسالتي اليكم بما اختصاصتكم به من نور  
العلم وذكاء الفهم :

فأول ذلك أنى أخرجتكم من العدم الى الوجود ، واخترت لكم  
الجود ، وأنشأت لكم الأسماع فسمعتكم ، والأبصار فأبصرتم ،  
والألسنة فنطقتم ، والقلوب فعلمتم ، والعقول ففهمتم ، وأشهدتكم  
على أنفسكم لى بالوحدانية فشهدتم ، وعند الاقبال أدبرتم ، وبعد  
الاقرار أنكرتم ، ونقضتم عهودنا ، فلا يوحشكنم ذلك منا •

فان عدتم عدنا ، وزدنا فى الكرم وجدنا ، فمن عثر أقلنا ، ومن  
تاب قبلنا ، ومن نسى ذكرنا ، ومن عمل قليلا شكرنا • نعطي ونمنح ،  
ونجود ونسمح ، ونعفو ونصفح ، كرمنا مبذول ، وسترنا مسبول •

عبدى .. انظر الى السماء وارتفاعها ، والشمس وشعاعها ،  
والأرض وأقطارها ، والبحار وأمواجها ، والفصول وأزمانها ، والأوقات  
واتيانها ، وما هو ظاهر وكامن ، ومتحرك وساكن ، ومستيقظ وراقد ،  
ورائع وساجد ، وما غاب وما حضر ، وما خفى وما ظهر ، الكل يشهد  
بجلالى ، ويقر بكمالى ، ويعلن عن ذكرى ، ولا يغفل عن شكرى •

عبدى .. أذكرك وتتسانى ، وأسترك ولا ترعانى ، لو أمرت  
الأرض لابتلعتك من حينها ، أو البحار لأغرقتك فى معينها ، ولكن أحملك  
بقدرتى وأمدك بقوتى ، وأؤجلك الى أجل أجلته ، ووقت وقته ، فوعزتى  
وجلالى ، لا بد لك من الورد على ، والوقوف بين يدى ، أعدد عليك  
أعمالك ، وأذكرك أفعالك ، حتى اذا أيقنت بالبور ، وقلت لا محالة  
أنك من أهل النار ، واليتك غفرانى ، ومنحتك رضوانى ، وغفرت لك  
الأوزار وقلت لك لا تحزن ، فمن أجلك سميت نفسى : الغفار •

ومن الأحاديث الشريفة التى ترغبك فى الاستغفار وسرعة العودة  
الى الله سبحانه وتعالى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :  
عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم

(١) الأبق : أى الهارب ، والمراد : الهارب من طاعة الله تعالى الى

قال : « قال ابليس : وعزتك لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » (١) .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على دوائكم ودوائكم ؟ ألا ان داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار » (٢) .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » (٣) .

عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طوبى (٤) لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا » (٥) .

عن الزبير رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار » (٦) .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار » (٧) .



ولهذا ومن أجل كل هذا يوصينا المصطفى صلى الله عليه وسلم بالاكثار من شهادة أن لا اله الا الله ، وطلب المغفرة منه سبحانه وبصفة خاصة في شهر رمضان المبارك الذى : « أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في نفس الخطبة التى ندور حولها .

هذا بالاضافة الى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أوصانا بالاكثار من هاتين الخصلتين ارضاء لربنا ، يوصينا بعد ذلك بخصلتين

(١) رواه احمد والحاكم من طريق دراج ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

(٢) رواه البيهقى .

(٣) رواه أبو داوود والنسائى وابن ماجه والحاكم والبيهقى ، وقال

الحاكم : صحيح الاسناد . (٤) أى العاتبة الطيبة .

(٥) رواه ابن ماجه باسناد صحيح والبيهقى .

(٦) رواه البيهقى باسناد لا بأس به .

(٧) رواه البيهقى .

لا غناء بنا عنهما وهما : « فتسألون الجنة ، وتعوفون به من النار » •  
 وحتى تلح في طلب الجنة من الله سبحانه وتساءله أن يجعلك من  
 أهلها والمتمتعين بما فيها من النعيم المقيم ، والحدود العين ، والولدان ،  
 ولحم الطير ، والفواكه والأنهار الجارية من الماء ، واللبن ، والعسل  
 والخمر ، والسرر ، والحريير والذهب ، ومالا عين رأت ولا أذن سمعت ،  
 ولا خطر على قلب بشر ، اليك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم في شأنها :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. الجنة  
 ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وملاطها المسك الأذفر  
 وحصابؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من دخلها ينعم  
 ولا يبؤس (١) ، ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى  
 شبابهم » (٢) •

عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم  
 لأصحابه : « ألا مشمر للجنة ؟ فان الجنة لا خطر لها ، هي ورب الكعبة  
 نور يتلألأ ، وريحانة تهتر ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة  
 نضجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة في مقام أبدا في حبرة (٣)  
 ونضرة (٤) في دور عالية سليمة بهية » •

قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله • قال : « قولوا ان شاء الله »  
 ثم ذكر الجهاد وحض عليه (٥) •

عن حسان بن عطية قال : حدثني سعيد بن المسيب أنه لقي  
 أبا هريرة فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بينى وبينك في سوق  
 الجنة • قال سعيد : أو فيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرنى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة اذا أدخلوها نزلوا فيها بفضل  
 أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون  
 الله عز وجل ، ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ،

(١) أى لا يحزن •

(٢) أخرجه أحمد والدارمي والبخاري وابن حبان والترمذى •

(٣) الحبرة : النعمة وسعة العيش •

(٤) النضرة : البهجة والحسن •

(٥) أخرجه ابن ماجه وابن حبان •

فتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ،  
ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أديانهم  
— وما فيهم أدنى — على كتابان المسك والكافور ، ما يرون أن أصحاب  
الكراسى بأفضل منهم مجلسا ، قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله ••  
هل نرى ربنا ؟ قال : نعم ، هل تتمارون<sup>(١)</sup> في رؤية الشمس والقمر  
ليلة البدر ؟ قلنا : لا • قلنا : كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم عز وجل •  
ولا يبقى في ذلك المجلس أحد الا حاضره<sup>(٢)</sup> الله عز وجل محاضرة حتى  
انه يقول للرجل منكم : ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا ؟ يذكره  
بعض غدراته في الدنيا ، فيقول : يا رب •• أقلم تغفر لى ؟ فيقول :  
بلى ، فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه ، فبينما هم كذلك غشيتهم  
سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط •  
ثم يقول :

قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة ، فخذوا ما اشتهيتم •  
قال : فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة ، فيه ما لم تنظر العيون الى  
مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، قال : فيحمل  
لنا ما اشتهينا ، ليس يباع فيها شيء ولا يشتري •

وفي ذلك السوق يلتقى أهل الجنة بعضهم بعضا • فيقبل الرجل  
ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه — وما فيها دنىء — فيروعه ما يرى  
عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن  
منه • وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها • ثم ننصرف الى منازلنا ،  
فنتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحبا وأهلا •• لقد جئت وان بك من الجمال  
والطيب أفضل مما فارقتنا عليه • فنقول : انا جالسنا ربنا الجبار عز وجل  
ويحقتنا أن نقلب<sup>(٣)</sup> بمثل ما انقلبنا<sup>(٤)</sup> •

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :  
« ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين  
يلونهم على أشد كوكب درى في السماء اضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ،

(١) أى هل تشكون .

(٢) المراد بالمحاضرة : كشف الحجاب عن أهل الجنة كلهم للرؤية

(٣) أى نرجع .

بدون واسطة .

(٤) أخرجه ابن ماجه والترمذى وقال : غريب لانعرفه الا من هذا الوجه ،

وفيه عبد الحميد كاتب الأوزاعى مختلف فيه ، وبقية رجاله ثقات .

ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم<sup>(١)</sup> المسك ، ومجامرهم<sup>(٢)</sup> الألوة<sup>(٣)</sup> ، أزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء»<sup>(٤)</sup> .

فهذه يا أخى هي الجنة التي : « أعدت للمتقين »<sup>(٥)</sup> ، ولن : « خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى »<sup>(٦)</sup> فسل الله سبحانه وتعالى أن يجعلك منهم حتى تكون معهم « في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر »<sup>(٧)</sup> وحتى تكون من الذين تحدث الله عنهم في قوله : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا . خالدين فيها لا يبغون عنها حولا »<sup>(٨)</sup> « أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »<sup>(٩)</sup> .

واحذر أن يرثك غيرك فقد ورد :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد الا له منزلان ، منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، فاذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى : « أولئك هم الوارثون »<sup>(١٠)</sup> .

ولا تنس قوله تعالى : « تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا »<sup>(١١)</sup> وما رواه الطبرى في تفسيره — عبدة الاسراء والمعراج — وهو : « أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر في ليلة الاسراء والمعراج على واديين في أحدهما الجنة بغرفها وحسنها ، وفي ثانيهما النار بشرها وحرها . وقد قالت الجنة : يا رب .. اثنتى ما وعدتنى ، فقد كثرت

(١) العرق .

(٢) ما يوضع فيه النار والبخور .

(٣) العود الذى يتخبر به .

(٤) أخرجه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه .

(٥) آل عمران : ١٣٣

(٦) النازعات : ٤٠ بلفظ « واما من خاف مقام ربه ... » .

(٨) الكهف : ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٧) القمر : ٥٤ ، ٥٥

(٩) أخرجه ابن ماجه .

(١٠) المؤمنون : ١٠ ، ١١

(١١) مريم : ٦٣

غرفي ، وحريري واستبرقي ، وسندسي ، وبعقريبي ، ولؤلؤي ، ومرجاني ،  
 وفخستي ، وذهبي وصحافي ، وأكوابي ، وأباريقي ، وأكؤسي ، وعسلي ،  
 ومائي ، ولبني ، وخمري ، فائتني ما وعدتني •

فقال الله عز وجل : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن  
 آمن بي وبرسولي ، وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ، ولم يتخذ  
 من دوني أندادا ، ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألتني أعطيته ، ومن  
 أقرضني جزيته ، ومن توكل على كفيته ، اني أنا الله لا اله الا أنا  
 لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين ،  
 فقالت : قد رضيت •

وأما جهنم فقالت : رب ائتنني ما وعدتني • فقد كثرت سلاسلي ،  
 وأغلالي ، وسعيري ، وضريعي ، وغساقتي ، وقد بعد غوري واشتد  
 حرى •

فقال الله عز وجل : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل  
 خبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب • فقالت : قد  
 رضيت •

حتى لا تكون من هؤلاء الغافلين الذين يرجون رحمة الله تعالى  
 بدون عمل •

وحسبك ما ورد عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال الله عز وجل : أعددت لعبادي  
 الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » •  
 قال أبو هريرة : اقرأوا ان شئتم : « فلا تعلم نفس ما أخفى  
 لهم من قرآ أعين » (١) •

وفي حديث قدسي أيضا ، يقول الله تعالى :

« ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل ، كيف أجود برحمتي  
 على من بخل بطاعتي » • •

فتذكر كل هذا ولاحظه عسى أن تكون بصلاحك وتقواك من الذين  
 « كانت لهم جنات الفردوس نزلا » (٢) •

(١) أخرجه السبعة الا ابا داوود وزاد البخاري في رواية : وقال محمد  
 ابن كعب : انهم أخفوا الله عملا فأخفى لهم ثوابا ، فلو قدموا عليه ، اقر  
 تلك الاعين — (والآية من سورة السجدة : ١٧) •

(٢) الكهف : ١٠٧

واستعذ بالله سبحانه وتعالى من النار وصل الله سبحانه وتعالى أن يجيرك منها • وحتى تتصور بشاعتها اليك هذه الأحاديث الشريفة :  
 عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 « ناركم هذه التي توقدون جزء واحد من سبعين جزءا من حر جهنم »  
 قالوا : والله ان كانت لكافية يا رسول الله • قال : « فانها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها » (١) •

عن عتبة بن غزوان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم قتهوى فيها سبعين عاما ما تفضى الي قرارها » •

وقال : وكان عمر رضى الله عنه يقول : « أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامها حديد » (٢) •  
 عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم ، فكيف بمن يكون طعامه » (٣) ؟

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 « تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : انى وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله الها آخر ، وبالمصورين » (٤) •

عن النعمان بن بشير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 « أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار ، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وانه لأهونهم عذابا » (٥) •

واعلم أن النار موجودة الآن •  
 وأنه لن يخلد فيها موحد ولو ارتكب الكبائر وفاء بوعده تعالى  
 في قوله :

(١) أخرجه أحمد والشيخان والترمذى وقال : حسن صحيح •

(٢) أخرجه الترمذى •

(٣) أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم والترمذى وقال :

حسن صحيح •

(٤) أخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح غريب •

(٥) أخرجه الشيخان والترمذى •



« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (١)  
 « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » (٢) .

وقد ورد من حديث أبي سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيخرجون منها قد اسودوا ، فيلقون في نهر الحياة ، فينبقون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها صفراء ملتوية » (٣) .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة (٤) من خير ، ويخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير » (٥) .

فلا تيأس من رحمة الله تعالى مهما كانت ذنوبك ما دمت من الموحدين الذين رسخ الايمان في قلوبهم فكانوا من العارفين بالله .

وحسبى حتى يتضح لك هذا المعنى أن أسوق اليك هذا الحديث الشريف الذى يروى أن أبا طويل شطب المحدود أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

« رأيت من عمل الذنوب كلها (٦) ، ولم يترك منها شيئا ، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة (٧) الا أتاها ، فهل لذلك من توبة (٨) ؟ قال : فهل أسلمت ؟ قال : أما أنا فأشهد أن لا اله الا الله ، وأنت رسول الله . قال : تفعل الخيرات وتترك السيئات (٩) فيجعلن

(١) النساء : ٤٨ ، ١١٦ .

(٢) الزلزلة : ٧ .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

(٤) أى تمحة .

(٥) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه والترمذى

وقال : حسن صحيح .

(٦) يعنى زنا وسرق وقتل . . . الخ .

(٧) الحاجة : أى الصغيرة ، الداجة : أى الكبيرة .

(٨) يعنى اذا تاب يقبل الله توبته .

(٩) أى انعمل كل ما يحبه الله من خير واهجر السيئات التى نهى عنها .

الله لك خيرات كلون<sup>(١)</sup> . قال : وغدرا<sup>(٢)</sup>تى وغجراتى ؟ قال : نعم .  
قال : الله أكبر ، فما زال يكبر حتى توارى<sup>(٣)</sup> «<sup>(٤)</sup>» .

وهذا الحديث الآخر :

عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار<sup>(٥)</sup> ،  
ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل<sup>(٦)</sup> حتى تطلع الشمس من  
مغربها<sup>(٧)</sup> »<sup>(٨)</sup> .

واعلم أنه اذا كانت التوبة واجبة فهناك ما هو أوجب منها ألا وهو  
الاقلاع عن الذنب ، والا « فتوبتنا تحتاج الى توبة ، واستغفارنا يحتاج  
الى استغفار »<sup>(٩)</sup> .

وقد قرأت أن الشافعى رضى الله عنه سئل ذات يوم عن ثمانية  
أمور : واجب ، وأوجب .. وعجيب ، وأعجب .. وصعب ، وأصعب ..  
وقريب ، وأقرب ..

فكان جوابه عليه رضوان الله :

من واجب الناس أن يتوبوا	لكن ترك الذنوب أوجب
والدهر في صرفه عجيب	وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر في الثائبات صعب	لكن فوات الثواب أصعب
وكل ما ترتجى قريب	والموت من دون ذلك أقرب

فعامل ما قاله الشافعى ، وأيضا قول القائل :

عجبت من عاقل لبيب	يذهب بالفانيات عمره
ويبذل المال في متاع	يفنى ويبقى عليه حسره
بين يديه الغداة نار	ما يتقيها بشق تعره

- (١) أى يبذل الله سيناتك حسنات كما وعد بذلك في كتابه العزيز .  
(٢) جمع غدره وهى الخيانة . (٣) أى اختفى عن الأنظر .  
(٤) رواه البزار والطبرانى واللفظه واسناده جيد قوى .  
(٥) أى ليتوب من مساء النهار من التوبة والرجوع الى الله فيقبل الله  
توبته ويغفر ذنبيه .

- (٦) أى يعطى الفرصة كذلك لمن امساء ليلا حتى يتوب من ذنبيه .  
(٧) أى حتى تجيء الآية العظيمة وهى طلوع الشمس من مغربها فصينئذ  
يفلق قلب التوبة ولا يقبل ايمان من كفر ولا احسان من مسيء .  
(٨) رواه مسلم والنسائى .  
(٩) كما قال احد الصالحين .

والتفائل :

إذا مد الصراط على الجحيم      تصول على العصاة وتستطيل  
فقوم في الجحيم لهم ثبور      وقوم في الجنان لهم مقيل  
وبان الحق وانكف المنطى      وطال الويل واتصل العويل

واحرص على أن تكون من سكان الخلد الذين تحدث الله عنهم في قوله : « ان الذين آمنوا وعطوا الصالحات أولئك هم خير البرية » جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه » (٣) وإليك أن تكون من « شر البرية » (٤) .

وكن متضرعا الى الله سبحانه وتعالى في شهر الصيام قائلا :  
« اللهم أسألك الجنة ، اللهم أجرني من النار » وأكثر من هذا الدعاء الحمدي وأنت موثق بالإجابة لأنه ثبت :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والألمم الطائل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين » (٥) .

وفي رواية أخرى : « ثلاثة حق على الله أن لا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمظلوم حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع » (٦) فهذه بشرى أرجو أن تكون أهلا لها ، هذا بالاضافة الى أنه يستقيم لك يوم القيامة :

فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : « الصيام والقرآن يشققن<sup>(٥)</sup> للعبد يوم القيامة ،

(١) السنة : ٨٧ ، (٢) السنة : ٦

(٣) رواه أحمد في حديث ، والترمذي وحسنه ، واللفظ له « وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما إلا أنهم قالوا : « حتى يفطر » والمعنى على هذه الرواية : أن دعوة الصائم تستجاب في جميع لحظات صومه حتى يفطر من الليل ولا يكون ذلك خصوصا بوقت الأمطار .

(٤) رواه البزار .

(٥) أى يطلبان من الله عز وجل أن يتجاوز عنه ويحفظه الجنة .

يقول الصيام : أى رب .. منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه<sup>(١)</sup> ،  
ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه . قال : فيشفعان<sup>(٢)</sup> «  
أى باذن الله سبحانه وتعالى لهما أن يشفعا فيه لأن الشفاعة لا تكون  
الا باذن الله تعالى فهو القائل سبحانه : « من ذا الذى يشفع عنده  
الا باذنه »<sup>(٣)</sup> .

وأیضا لابد وأن يكون المشفوع له أهلا للشفاعة وفى ذلك يقول  
سبحانه : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى »<sup>(٤)</sup> .  
فلاحظ كل هذا وضعه نصب عينيك حتى يكون سبيلا لك الى رحمة  
الله تعالى يوم العرض الأكبر .

واحرص كذلك على أن تكون من الذين سيردون حوض الرسول  
صلى الله عليه وسلم : وذلك باطعامك وعطفك على الصائم الفقير بحسب  
استطاعتك وامكانياتك ، وتستطيع ذلك كما أشار الرسول صلى الله  
عليه وسلم فى آخر خطبته التى بين أيدينا : ولو بشرية ماء ، أو مذقة  
لسبن<sup>(٥)</sup> .

وهذا الحوض : طوله مسيرة شهر ، مربع الشكل ، له ميزابان  
يصبان فيه من الكوثر : ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ،  
كيزانه أكثر من نجوم السماء ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا  
ظمأ ألم ، ولو دخل النار يعذب بغير العطش . ويكون شربه منه أو من  
غيره كالتسليم<sup>(٦)</sup> بعد ذلك لمجرد اللذة . يرده الأخيار ، وهم  
المؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم الآخذون بسنته وسنة الخلفاء  
الراشدين المهديين ، ويطرد عنه الكفار والمبتدعة الآخذون بالتحصين  
والتقبيح العقليين ، وكل من تعامل بالربا أو جار فى الأحكام ، أو أعان  
ظالما ، أو جاوز حدا من حدود الله تعالى وقد ورد فى هذا :

(١) يعنى أن القرآن كان سببا فى حرمانه من لذيذ الطعام وقربان النساء .  
(٢) رواه أحمد والطبرانى فى « الكبير » ورجاله محتج بهم فى الصحيح ،  
ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « الجوع » وغيره باسناد حسن ، والحاكم  
وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٤) الانبياء : ٢٨

(٣) البقرة : ٢٥٥

(٥) وهو اللبن المزوج بالماء .

(٦) قال تعالى : « ومزاجه من تسليم . عينا يشرب بها المقربون »

(المطففين : ٢٧ ، ٢٨ )

عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« ان لكل نبي حوضا ، وانهم يتباهون أيهم أكثر واردا ، واني أرجو  
أن أكون أكثرهم واردا » (١) .

عن ابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حوضي  
مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب  
من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من يشرب منه فلا يظمأ أبدا » (٢) .  
عن أنس رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في المسجد ، إذ أغفى اغفائة (٣) ثم رفع رأسه ضاحكا . فقيل :  
ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « نزلت على سورة أنفا » فقرا :  
« بسم الله الرحمن الرحيم ، انا أعطيناك الكوثر » حتى ختمها .  
قال : « أتدرون ما الكوثر » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « انه  
نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه أمتي  
يوم القيامة ، أنيته عدد نجوم السماء ، فيختلج العبد منهم فأقول :  
ربي انه من أمتي . فيقول : ما تدري ما أحدث بعدك » (٤) .  
ولهذا قيل : ان الكوثر هو الحوض ، والمشهور عند السلف والخلف  
أنه نهر في الجنة أعطاه الله النبي صلى الله عليه وسلم .  
وقد ورد في هذا :

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« الكوثر نهر في الجنة ، حافظاه الذهب ، والماء يجري على اللؤلؤ ،  
وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل » (٥) .

وقد صحح الغزالي أن الحوض قبل الصراط ، وكذلك القرطبي  
الذى قال : ان المعنى يقتضيه ، فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا  
فناسب تقديمه ، وأيضا فان من جاز الصراط لا يتأتى طرده من الحوض  
فقد كملت نجاته .

وإذا كان هناك رأى للقاضى عياض عكس هذا فإنه يمكن الجمع  
بأن يكون الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم ، وبعده لآخرين بحسب  
ما عليهم من الذنوب حتى يذهبوا منها على الصراط . . قالواجب علينا

(١) أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم . (٣) أى نلم نومة .

(٤) أخرجه البخارى ومسلم .

(٥) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح .

اعتقاد أن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضا تعدد أو اتحد ، تقدم على الصراط أو تأخر .

فاذكر كل هذا وكن حريصا على ورود هذا الحوض والشرب منه حتى لا تحرم من الخير الكثير الذى سيكون نتيجة لما قدمته يداك من أعمال الخير ، والذى أشار الله سبحانه وتعالى اليه فى قوله : « **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم<sup>(١)</sup> فى الأيام الخالية** »<sup>(٢)</sup> . وحتى تكون حريصا كل الحرص على شربك من الحوض ولا تطرد بعيدا عنه كما يزداد البعير الضال ، اليك أيضا هذا الحديث الصحيح :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأنا ان شاء الله بكم لاحقون ، وددت لو أنا قد رأينا اخواننا . قالوا : أو لسنا اخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابى ، واخواننا الذين لم يأتوا بعد . . . قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال : رأيت أو أن رجلا له خيل غرمحجلة بين ظهري خيل دهم بهم<sup>(٣)</sup> ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم<sup>(٤)</sup> على الحوض ، ألا ليذاذن رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال أناديهم : ألا هلم ، فيقال : « انهم بدلوا بعدك . فأقول : سحقا<sup>(٥)</sup> سحقا<sup>(٦)</sup> . »

\* \* \*

جعلنى الله تعالى وإياك وجميع المسلمين والمسلمات من الصائمين القائمين الذين يعرفون قيمة هذا الشهر ويغتنمون كل لحظة فيه حتى نكون من العتقاء من النار فى أى ليلة من لياليه المباركة فقد ورد فى الحديث الشريف :

« اذا كانت أول ليلة من رمضان نادى مناد : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر ، والله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة »<sup>(٧)</sup> .  
والله ولى التوفيق .

(١) أى بما قدمتم من أعمال صالحة فى الأيام الماضية .

(٢) الحاقة : ٢٤

(٣) الدهم البهم أى السود ، والفر المحجلة ، أى التى بها علامات

(٤) أى أتقدمهم .

مميزة فى اليمين والرجلين .

(٥) أى بعدا .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رواه الخمسة إلا ابا داود ومرفوعا .

# الوصية السابعة عشرة

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصيام  
فانه لى وأنا أجزي به . والصيام جنة فاذا كان يوم صوم  
أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فان شاتمه أحد  
أو قاتله فليقل :

انى امرؤ صائم ، انى امرؤ صائم . والذى نفس  
محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة  
من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما : اذا أفطر  
فرح بفطره ، واذا لقي ربه فرح بصومه » .

( أخرجه أحمد ومسلم والنسائي )

\* \* \*

فكن أذا الاسلام :  
محيطا بهذا المعنى الكبير الذى رواه المصطفى صلى الله عليه وسلم  
عن ربه عز وجل ، وهو :

\* ( كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزي به )  
حتى تصوم صياما مقبولا يحقق الثمرة المرجوة منه وهى التقوى .  
التي من أهم ثمارها أن يكون الصيام جنة . . أى وقاية لك من الوقوع  
فى مخالفة من المخالفات القولية والفعلية ما دمت مستشعرا لهذا المعنى  
الكبير الذى خلاصته أن الله وحده هو الذى يعرف حقيقة صيامك . .  
وهو الذى سيكافئك عليه ، ولهذا كان لابد لكى تكون بعيدا عن كل  
شئ يعرض صيامك للضياع ، أن تكون منفذا لوصية الرسول  
صلى الله عليه وسلم التى يقول فيها بعد ذلك :

\* ( فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، ولا يجهل .  
فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل : انى امرؤ صائم ، انى امرؤ صائم . . . )  
وخلاصة معانى هذه الكلمات الواردة فيها :

لا يرفث : أى لا يتكلم بفحش القول •  
لا يصخب : أى لا يصيح ولا يخاصم •  
لا يجهل : أى لا يرتكب شيئا من أفعال الجاهلية كالسفه  
والسخرية (١) •

شاتمته : أى شتمه متعرضا لمشاتمته •  
قاتله : أى نازعه ودافعه •

انى صائم : أى يقول ذلك بلسانه ليعلم مخاطبه أنه معتصم  
بالصيام عن اللغو والرفث والجهل • أو يقول ذلك لنفسه منعا لها من  
مقابلة الجهل بالجهل • وقيل : يقول ذلك بلسانه فى الفرض ، ولنفسه  
فى التطوع •

فأنت مطالب اذن بكف جوارحك عما لا يرضى ربك والا فلا معنى  
لصيامك ولا ثمرة له غير الجوع والعطش ، ففى الحديث الشريف :  
« رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع » (٢) وأيضا : « ليس  
الصيام من الأكل والشرب وانما الصيام من اللغو والرفث » (٣) •  
ولهذا ذكر العلماء أن الصوم على ثلاث مراتب :

**الأول : صوم العوام :** وهو مجرد الكف عن المفطرات بصرف  
النظر عن البعد عن المحرمات القولية والفعلية •

**الثانى : صوم الخواص :** وهو صيانة الجوارح السبع وهى :  
( العين ، والأذن ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل ) عن  
استرسالها فى المخالفات وهذا هو الصوم المشار اليه فى قوله تعالى :  
« لعلمكم تتقون » (٤) •

وفى هذا يقول أحد الشعراء :

اذا لم يكن فى السمع منى تصامم وفى مقلتي غض وفى منلقى صمت  
فحظى اذن من صومى الجوع والظما وان قات انى صمت يوما فما صمت  
ويقول آخر :

اذا المرء صام عن الخطايا فكل شهوره شهر الصيام

(١) وهذا لا يباح فى غير الصوم وانما المقصود ان المنع من ذلك يتأكد

بالصوم •

(٢) أخرجه ابن حبان والحاكم •

(٣) أخرجه ابن ماجه •

(٤) البقرة : ١٨٣



ويقول آخر :

اغضض الطرف واللسان اكفنه وكذا السمع منه حين تصوم  
ليس من ضيع الثلاثة عندي بحقوق الصيام حقا يقوم

وآخر :

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة تلهيك فيه من القبيح فنونه  
واعلم بأنك لا تتال قبوله حتى تكون تصومه وتصونه  
**الثالث : صوم خواص الخواص :** وهو صوم القلب عن الاهتمام  
بشئ لا يرضى الله ، وصيانتة عن الالتفات للأغيار الدنيوية ، ويشغل  
النفس بذكر الله تعالى وبطاعته في جميع الحالات .

\* \* \*

ومن هنا كان من التقوى أن :

١ - يصوم اللسان عن غشش القول ، والكذب والبهتان والمرء  
والخصومة الى غير ذلك من الآثام القولية التي من أكبرها وأبشعها  
الغيبة والنميمة وحسبه أن يشغل بذكر الله وتلاوة القرآن ، أو ليست .

فقد ورد : « نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح » .

كما ورد : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في

أن يدع طعامه وشرابه » (١) .

وورد عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان

امرأتين صامتا وان رجلا قال : يا رسول الله .. ان ههنا امرأتين

قد صامتا ، وانهما قد كادتا أن تموتا من العطش . فأعرض عنه - أى

سكت - ثم عاد فقال : يا نبي الله .. انهما والله قد ماتتا - أو كادتا أن

تموتا - قال : ادعهما ، فجاءتا فجيء بقدرح - أو عس (٢) - فقال لاحدهما :

قيئى ، فقأته قيحا ودمًا وصديداً ولحماً حتى قأته نصف القدرح .

ثم قال للأخرى : قيئى ، فقأته من قيح ودم وصديد ولحم عبيط (٣)

وغيره حتى ملأت القدرح . ثم قال : ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما

(١) حديث صحيح .

(٢) العس : هو القدرح أو الاناء الكبير .

(٣) أى خالص طرى .

وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست احداهما الى الأخرى فجعلتا  
تأكلان من لحوم الناس» (١) .

فاحذر الوقوع في هذا الذنب حتى لا تحرم من ثواب صيامك  
وحسبك زجرا لك قول الله تعالى : « لا يفتب بعضكم بعضا • أيحب أحدكم  
أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم » (٢) .

٢ - وأن يصوم البصر عن النظر الى ما يشغل عن ذكر الله .

وقد قرأت في تفسير قوله تعالى : « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم  
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » (٣) أن سليمان عليه السلام  
عندما سمع النملة تقول لبني جنسها هذا الكلام « ••• تبسم ضاحكا من  
قولها » (٤) ثم أمر الجند فعسكروا بعيدا عن وادي النمل - الذي  
في الطائف أو بالشام - حتى يدخل النمل مساكنه .

وبعد ذلك ذهبت هذه النملة - التي روى أنها كانت عرجاء -  
الى سليمان عليه السلام لتشكره فعاتبها سليمان قائلا : لم حذرت  
النمل ؟ أخفت من لظمي ؟ أما علمت أنى نبي عدل ؟ فقالت : أما سمعت  
قولى : « وهم لا يشعرون » ثم قالت : مع أنى لم أرد حطم النفوس ،  
وانما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتنن  
بالدنيا ، ويشتغلن بالنظر اليك عن التسييح والذكر (٥) .

فغض بصرك عن المحرمات حتى لا تقع في شباك الحرام بسبب  
هذه النظرات الخبيثة التي هي سهم من سهام ابليس كما ورد في الحديث  
الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « النظرة سهم  
من سهام ابليس من تركها مخافة الله أعطاه الله ايمانا يجد حلاوته  
في قلبه » (٦) .

٣ - وأن يصوم السمع عن الاصغاء لكل ما يحرم قوله أو يكره  
لأن كل واحد منهما يتتافى مع الكمال المطلوب التحلى به ، والذى هو  
من أهم صفات المؤمن الحق ، فاحذر الوقوع أيضا في هذا الاثم وحسبك

(١) رواه أحمد واللفظ له وابن أبى الدنيا وأبو يعلى ، وغيرهم .

(٢) الحجرات : ١٢ بلفظ « ولا يفتب ••• » .

(٣) النمل : ١٨ (٤) النمل : ١٩ بلفظ « تبسم » .

(٥) اقرأ هذا كلام في تفسير القرطبي بسورة النمل الآية : ١٨ .

(٦) أخرجه الحاكم وصححه .

تحذيرا. لك أن الله سبحانه وتعالى سوى بين القول الزور والفعل المذموم في التنفير فقال تعالى :

« سماعون للكذب آكالون للسحت » (١) .

وقد ورد في الحديث : « المغتاب والمستمع شريكان في الاثم » .

٤ - وأن تصوم البطن عن الغذاء الحرام سواء أكان طعاما أو شرابا : بمعنى أن يكون مجدا في أعماله التي يكلف بها ومراقبا لله سبحانه وتعالى فيها حتى يكون دخله حلالا سواء أكان موظفا أو عاملا ، وكذلك إذا كان تاجرا لا بد وأن يكون أمينا فلا يطفف كيلا ولا يسرق من ميزان حتى يكون أيضا دخله لا شائبة فيه . وحتى يستجيب الله سبحانه وتعالى دعاءه فقد ورد في الحديث الشريف : « أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » .

٥ - وأن يصوم الفرج بصيانتة من أسباب تلويثه بالحرام والوقوع في معصية الله .

وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم » (٢) وفي الحديث الشريف : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، في لعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » (٣) .

٦ - واليد كذلك لا بد وأن تصوم عن ارتكاب ما يغضب الله تعالى وذلك بكفها عن البطش بالضعفاء الى غير ذلك من الآثام .

٧ - والرجل أيضا لا بد كذلك وأن تكف وتصوم عن الذهاب الى اللهو واللعب والأماكن الرخيصة التي يعصى فيها رب العالمين ولا سيما في شهر رمضان المبارك فضلا عن غيره من الشهور .

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ،

(٢) النور : ٣٠

(١) المائدة : ٤٢

(٣) أخرجه مسلم .

وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم» (١) .

فلاحظ كل هذا وجاهد نفسك وحافظ على صيامك واياك أياك أن تكون من الذين عناهم الشاعر بقوله :  
يسبون دين الله في شهر صومهم فغن دينهم صاموا وبالكفر أفطروا

\* \* \*

وإذا كنت قد فرطت أو حدث منك ما شوه صيامك ، وأفقدك جزءاً من ثوابك فإليك هذه البشرى : روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم :

### زكاة الفطر

طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة (٢) فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات» (٣) .

وزكاة الفطر مشروعة بالكتاب والسنة واجماع الأمة قال الله تعالى :  
« قد أفلح من تزكى » (٤) : روى نافع عن ابن عمر أنه كان يقول :  
نزلت هذه الآية في زكاة رمضان (٥) .

وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى » ثم يقسم الفطرة قبل أن يغدو الى المصلى يوم الفطر (٦) .  
وقال البيهقى : أجمع أهل العلم على وجوب زكاة الفطر وان اختلفوا في تسميتها فرضاً ، فلا يجوز تركها .  
وقد فرضت في شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

وهي واجبة . . عند الحنفيين لأنها ثبتت بدليل ظنى وان ورد في الحديث بلفظ : « فرض » ، لأن معناه قدر . والراجح أنها واجبة

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه-والحاكم والبيهقى في « الشعب » بسند جيد . (٢) أى قبل صلاة العيد .

(٣) أخرجه أبو داوود وابن ماجه والدارقطنى وقال : ليس فى رجاله مجروح ، والحاكم قال : صحيح على شرط البخارى .

(٤) الأعلى : ١٤ (٥) أخرجه البيهقى .

(٦) أخرجه ابن مردويه - (الأعلى : ١٤ ، ١٥) .

على الفور يوم عيد الفطر لأنها شرعت لاغناء الفقير عن السؤال  
يوم الفطر •

وهى فرض : عند مالك وأحمد والجمهور لحديث نافع عن ابن عمر  
أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بزكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من  
شعير ، قال ابن عمر : فجعل الناس عدله مدين من حنطة<sup>(١)</sup> •

وأصل الأمر الوجوب • والواجب والفرض عندهم بمعنى ، وهو  
ما طلب فعله طلبا جازما بدليل قطعى أو ظنى •

وإذا كان من المالكية والشافعية وبعض الظاهرية من قال : بأن  
الفطر سنة ، وتأول كلمة « فرض » بمعنى « قدر » فقد رد عليهم بورود  
الأمر بها والأمر للوجوب •

وتجب على المسلم الحر الموسر أو من يجد ما يؤديه زيادة عن قوته  
وقوت من يموهه يوم العيد وليلته •

وتجب عن نفسه وعن تلزمه نفقته ويلى أمره بسبب القرابة كطفله  
الفقير الذى عليه نفقته • لقول عبد الله بن ثعلبة : خطب النبي  
صلى الله عليه وسلم الناس قبل الفطر بيوم أو يومين فقال : « أدوا  
صاعا من بر أو قمح بين اثنين أو صاعا من تمر أو شعير عن كل حر ،  
أو عبد صغير أو كبير »<sup>(٢)</sup> •

أما الأولاد الذكور الكبار العقلاء فلا يجب على الأب أن يخرج  
عنهم عند الحنفيين ومالك وإن كانوا فى عياله فقراء عاجزين عن الكسب  
لأن أحد شطرى السبب وهو الولاية منعدم فيهم • وإن أخرج عنهم  
بلا اذنهم جاز • وقال الشافعى وأحمد : على الأب فطرة أولاده الكبار  
إن كان ينفق عليهم لعجزهم عن الكسب ، أو لاشتغالهم بطلب العلم •

وتجب على الرجل فطرة زوجته المدخول بها وزوجة أبيه الذى  
عليه نفقته ولو غنية أو مطلقة رجعيا أو دعى للدخول بها — عند الأئمة  
الثلاثة والليث — لأن النكاح سبب تجب به النفقة فوجب به الفطرة •  
وعند الحنفيين والثورى : لا يجب عليه فطرة الزوجة لأن ولايته عليها  
قاصرة على حقوق الزوجية ، فإن كانت غنية فعليها فطرتها من مالها •

(١) أخرجه البخارى ومسلم وابن ماجه •

(٢) أخرجه عبد الرزاق وأحمد وأبو داوود والدارقطنى بسند صحيح

وبالنسبة للخادم فلا تلزمه فطرته عند الحنفيين وعليه فطرة نفسه  
ان كان غنيا ، وعند غيرهم : ان التزم المخدم بنفقة الخادم لزمه  
فطرته والا فلا .

وتجب زكاة الفطر بطلوع فجر يوم الفطر عند الأحناف لأنها قريبة  
تتعلق بيوم الفطر فلا تتقدم عليه كالأضحية .

وعند الشافعي وأحمد والثوري تجب بغروب شمس آخر يوم من  
رمضان وهو رواية أشهب عن مالك لأنها تضاف الى الفطر فتجب به .  
وثمره هذا الخلاف تظهر فيمن ولد أو أسلم قبل الفجر من يوم  
العيد وبعد غروب شمس آخر يوم من رمضان ، تلزم فطرته عند الحنفيين  
ولا تلزم عند غيرهم ، وان حدث ما ذكر بعد الفجر فلا زكاة اتفاقا .

ومن مات أو ارتد أو أعسر<sup>(١)</sup> قبل طلوع الفجر لزمته فطرته عند  
الشافعي ومن وافقه ولا تلزم عند الحنفيين .  
ويجوز تعجيل صدقة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين عند جمهور  
الفقهاء :

قال ابن عمر : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر  
أن تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة . قال نافع : وكان ابن عمر  
يؤديها قبل ذلك باليوم واليومين . وعند أبي حنيفة : يجوز تقديمها  
على شهر رمضان . وعند الشافعي : يجوز التقديم من أول الشهر .  
وعند مالك ومشهور مذهب أحمد : يجوز تقديمها يوما أو يومين .  
وقد اتفقوا جميعا على أنها لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب ، وانما  
تصير ديننا في ذمة من لزمته حتى تؤدى ولو في آخر العمر .

واتفقوا كذلك على أنه لا يجوز تأخيرها عن يوم العيد ، ونقل عن  
ابن سيرين والنخعي قالا : يجوز تأخيرها عن يوم العيد . وقال أحمد :  
أرجو أن لا يكون به بأس . وقال ابن رسلان : انه حرام بالاتفاق.  
لأنها زكاة ، فوجب أن يكون في تأخيرها اثم كما في تأخير الصلاة عن  
وقتها .

\* \* \*

## قـدـرـها

والواجب في صدقة الفطر صاع<sup>(١)</sup> من القمح ، أو الشعير ، أو التمر ، أو الزبيب ، أو الأقط<sup>(٢)</sup> ، أو الأرز ، أو الذرة ، أو نحو ذلك مما يعتبر قوتا •

يقول أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه :

كنا إذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج زكاة الفطر عن كل صغير وكبير حر ومملوك صاعا من طعام ، أو صاعا من أقط ، أو صاعا من شعير ، أو صاعا من تمر ، أو صاعا من زبيب ، فلم نترك نخرجه حتى قدم معاوية حاجا — أو معتمرا — فكلم الناس على المنبر فكان فيما كلم به الناس أن قال : انى أرى أن مدين من سمراء<sup>(٣)</sup> الشام تعدل صاعا من تمر ، فأخذ الناس بذلك •

قال أبو سعيد : فأما أنا فلا أزال أخرجه أبدا ما عشت<sup>(٤)</sup> •

قال الترمذى : والعمل على هذا عند بعض أهل العلم يرون من كل شيء صاعا ، وهو قول الشافعى وإسحاق • وقال بعض أهل العلم : من كل شيء صاعا ، إلا البر فإنه يجزىء نصف صاع وهو قول سفيان وابن المبارك وأهل الكوفة •

وقال مالك والشافعى : يجب في صدقة الفطر صاع من غالب قوت البلد في السنة •

ورجح الحطاب المالكى اعتبار غالب القوت في رمضان واستظهر الأمير غالب القوت يوم الوجوب •

وقال أحمد : يجب في الفطر صاع من البر والشعير ودقيقهما وسويقهما والتمر والزبيب يخير في الأخراج من أيها ان وجدت • والا أخرج من المقتات من حب وتمر ، وهو قول الشافعى ، ويخرج الأقط في رواية عن أحمد •

(١) الصاع : أربعة امداد ، والمد : حفنة بكمى الرجل المعتدل الكمين ، بوساوى قدحان بالكيل المصرى •

(٢) لبن مجفف لم ينزع زيده •

(٣) المدان : نصف صاع ، وسمراء : قمح •

(٤) رواه الجماعة وقال الترمذى : حسن صحيح •

وعند الحنفيين وزيد بن علي يجزىء في زكاة الفطر نصف صاع من بر، وصاع من غيره .

ويجوز عند الحنفيين اخراج قيمة الواجب في زكاة الفطر :

روى عن أبي يوسف أنه قال : الدقيق أحب الى من الحنطة والدرهم أحب الى من الدقيق والحنطة لأن ذلك أقرب الى دفع حاجة الفقير ، ولأن المطلوب اغناء الفقير في هذا اليوم والاعناء يحصل بالقيمة بل هو بها أتم وأوفر .

وقال الأئمة الثلاثة : لا يجوز دفع القيمة .

قال أبو داوود : قيل لأحمد : أعطى درهم في صدقة ؟ قال : أخاف أن لا تجزئه . خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا : والأفضل عند الحنفيين اخراج زكاة الفطر مما هو أعلى قيمة . وقال مالك وأحمد : الأفضل اخراج التمر . وقال الشافعي : البر أفضل .

واختار مالك وأحمد : اخراج التمر اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم

\* \* \*

وتصرف الى الأصناف المذكورة في قوله تعالى :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله » (١) .

قال ابن قدامة : ولا نعلم خلافاً بين أهل العلم في أنه لا يجوز دفع الزكاة الى غير هذه الأصناف الا ما روى عن أنس والحسن أنهما قالوا : ما أعطيت للجسور والطرق فهي صدقة ماضية ، والصحيح الأول لأن الله تعالى قال : « انما الصدقات للفقراء » .

### \* الفقير والمسكين :

عند الحنفيين : الفقير : من له شيء دون النصاب أو قدر نصاب غير نام أو مشغول بالحاجة الأصلية — كمسكن وملبس ومركب — فيصح الدفع اليه ولو كان صحيحاً أو مكتسباً أو يملك نصيباً كثيرة غير نامية اذا كانت مستترقة بالحاجة الأصلية ، ولذا يصح دفعها لعالم



له كتب تساوى نصبا كثيرة لكنه محتاج اليها للدراسة والمراجعة ، وكذا آلات المحترفين والصناع والزراع والمجاهدين •

والمسكين : من لا شيء له ، ولذا يحل له السؤال لقوته أو ما يوارى جسده بخلاف الفقير ، فلا يحل له ولا لقادر على الكسب ولا من يملك خمسين درهما السؤال لحديث ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسالته في وجهه خموش — أو خدوش أو كدوح — » فقيل : يا رسول الله • • وما يغنيه ؟ قال : خصون درهما أو قيمتها من الذهب « (١) •

وعند المالكية : الفقير : من لا يملك قوت عامه • والمسكين : عندهم هو المسكين عند الحنفية •

وعند الشافعية : الفقير : من لا مال له ولا كسب ، أو له مال أو كسب لا يكفيه ولا يحصل به نصف كفايته ومن تلزمه نفقته العمر الغالب — وهو ستون سنة — بحيث لو وزع ما عنده من المال في غالب العمر لم يبلغ نصف كفايته • ولو كان يملك نصابا أو أكثر فعليه زكاته وله أن يأخذ زكاة غيره •

والمسكين : من له مال أو كسب يقع من كفايته ولا يكفيه : بأن يحتاج في اليوم الى عشرة دراهم مثلا وعنده كسب أو مال يبلغ خمسة فأكثر •

وعند الحنابلة : الفقير : من لا مال له ولا كسب يحصل به نصف كفايته كمن يكفيه عشرة ولا يحصل الا على ثلاثة ولا له خصون درهما أو قيمتها من الذهب ، والمسكين : من يجد معظم كفايته أو نصفها مثل من يكفيه عشرة فيحصل على خمسة فما زاد •

\*\*\*

### \* \* \* العامل على الزكاة :

هو : من نصبه الامام لجمع الصدقات • ويدخل فيه الساعى والكاتب والقاسم والحاشر • الخ •  
ما دام قد فرغ نفسه لعمل من أعمال المسلمين فيستحق الأجر كالغزاة والقضاة • وكذلك أجازوا لطالب العلم أن يأخذ من الزكاة

(١) أخرجه أحمد والأربعة وحسنه الترمذى .

ولو كان غنيا اذا فرغ نفسه لافادة العلم واستفادته ولم يكن له مرتب  
في مال الدولة .

\*\*\*

**\* والمؤلفة قلوبهم : ثلاثة أقسام :**

- ١ - كفار كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيهم تأليفا لهم ليسلموا  
هم وقومهم ، وهذا من الجهاد لأنه كما يكون بالسنان يكون بالاحسان .
  - ٢ - وكافر كان يعطى لدفع شره .
  - ٣ - من أسلم على ضعف كان يعطى ليثبت اسلامه ، وقد سقط  
نصيب المؤلفة عند الحنفيين من الزكاة لاجماع الصحابة على ذلك في  
خلافة الصديق رضى الله عنه .
- وعند الشافعية : من أسلم على ضعف في ألقته بالمسلمين أو على  
ضعف في يقينه يعطى تأليفا له وتثبيتا لاسلامه .

ويعطى مسلم - ذو شوكة يكفينا شر من يليه من الكفار أو مانعى  
الزكاة - ان رأى الامام الحاجة لاعطائه بأن يكون اعطاؤه أهون على  
المسلمين من محاربة الكفار أو مانعى الزكاة . أما المؤلف الكافر وهو  
من يرجى اسلامه أو يخاف شره فلا يعطى من الزكاة اتفاقا ولا من  
غيرها على الأصح عندهم الا لئلا تنزلت بالمسلمين كأسر بعضهم ،  
وهجوم الكفار على بعض بلاد الاسلام ولا يردون الأسير ولا يندفعون  
عن بلاد الاسلام الا ببذل مال لهم فيعطون من غير الزكاة حينئذ للضرورة  
ولا يعطون منها لأن الله أعز الاسلام وأهله وأغنى عن التأليف .

وعند مالك وأحمد : يعطى المؤلفة من الزكاة ولو كفارا لاطلاق قوله  
تعالى : « والمؤلفة قلوبهم » (١) .

\*\*\*

**\* والرقاب :** جمع رقبة ، والمراد بها المكاتب يعطى من الزكاة  
لتخليص رقبته من الرق .

\*\*\*

**\* والفارم :** هو : من استدان لاصلاح حاله ، أو لعمارة مسجد ،  
أو اكرام ضيف وعجز عن أداء دينه بأن كان لا يملك نصابا فاضلا عن

دبنة ولو له دين على غيره لكن لا يقدر على أخذه فيعطى من الزكاة ما يفي بدينه • أو استدان لاصلاح بين متخاصمين ، أو لضمان •

\* \* \*

\* وسبيل الله : هو الطريق الموصل الى مرضاته من العلم والعمل ، وجمهور العلماء على أن المراد به هنا الغزو وأن سهم سبيل الله يعطى للمتطوعين من الغزاة الذين ليس لهم مرتب من الدولة ، وفي سبيل الله : يشمل سائر المصالح الشرعية العامة التي هي ملاك أمر الدين والدولة • ويدخل في عمومها انشاء المستشفيات العسكرية ، وكذا الخيرية العامة ، واشراع الطرق وتعييدها ومد الخطوط الحديدية العسكرية لا التجارية ، ومنها بناء البوارج المدرعة ، والمناطيد ، والطائرات الحربية ، والحصون والخنادق •

ومن أهم ما ينفق في سبيل الله في زماننا هذا اعداد الدعاة للإسلام . وارسالهم الى بلاد الكفر ، وكذلك النفقة على المدارس المختصة للعلوم الشرعية وغيرها مما تقوم به المصلحة العامة . . . الخ •

\* \* \*

\* وابن السبيل : هو الغريب المنقطع عن ماله ، وقد اتفق العلماء على أن المسافر المنقطع عن بلده يعطى من الصدقة ما يستعين به على تحقيق مقصده اذا لم يتيسر له شيء من ماله ، نظرا لفقره العارض • واشترطوا أن يكون سفره في طاعة أو في غير معصية ، وابن السبيل عند الشافعية قسمان :

١ — من ينشئ سفرًا من بلد مقيم به ولو كان وطنه •

٢ — غريب مسافر يجتاز بالبلد •

وكلاهما له الحق في الأخذ من الزكاة ولو وجد من يقرضه كفايته ، ولو ببلده ما يقضى به دينه •

وعند مالك وأحمد : ابن السبيل المستحق للزكاة يختص بالمجتاز دون المنشئ ، ولا يعطى من الزكاة اذا وجد مقرضا بقرضه وكان له من المال ببلده ما يفي بقرضه ، فان لم يجد مقرضا ، أو لم يكن له مال يقضى منه قرضه أعطى من الزكاة •

\* \* \*

ولا تعطى للكفرة والملاحدة ، باتفاق الفقهاء لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » • والمقصود بهم أغنياء المسلمين وفقراؤهم دون غيرهم • ويستثنى من ذلك المؤلفلة قلوبهم كما قرأت سابقا • ويجوز أن يعطوا من صدقة التطوع • غفى القرآن : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » (١) • وفي الحديث : « صلى أمك » وكانت مشركة •

\* \* \*

### \* والخلاصة :

ان زكاة الفطر أوجب الاسلام اخراجها عن الذكر والحر والعبد والصغير والكبير من المسلمين : ومن الأئمة من يبيح اخراجها في أى يوم من شهر رمضان ، ومنهم من يجيز تقديمها عن العيد بيومين فقط ، والأفضل مراعاة الوقت الذى يكون أوفى لمصلحة الفقير واغناؤه عن ذل السؤال يوم العيد •

ولا يجب اخراجها الا عن الشخص الذى أدرك جزءا من رمضان وجزءا من ليلة العيد حيا ، فمن مات قبل مغرب آخر يوم ، أو من ولد بعده لا زكاة عليهم لعدم جمعهم بين الصيام والفطر • ويخرجها المرء عن نفسه ومن يعوله من زوجة وأطفاله وخادم ووالدين •

وكل من وجبت عليه نفقته وجبت عليه زكاته ، والمكلف بها من فضل عن قوته وقوت من يعولهم ليلة العيد ويومه ما يخرجها وان كان فقيرا ، ويخرجها المرء من غالب قوت المكان الذى يعيش فيه •

والمقدار الواجب عن كل شخص : صاع وهو مقدار قدحين بالكيل المصرى ، وعند الحنفية يجوز أن يخرج قيمة الصاع نقودا • وتجزئ الكيلة عند الشافعية عن أربعة ، وعند المالكية عن ستة • وإذا كان هناك قريب محتاج ويبعد عن البلد المزكى جاز نقلها اليه إذا لم تشتد حاجة أهل بلده وتريد عن حالة قريبه • ويجوز أن يقتصر في اعطائها على واحد أو أكثر تبعاً للمصلحة • ويجوز أن يعطيها لأخيه الفقير وأخته الفقيرة •

ولو كانت ابنته متزوجة شخصا فقيرا جاز أن يعطيه الزكاة لينفق منها على نفسه وأهله .

وإذا بلغ ولد المرء واستقل بمعيشته لا يجب على أبيه اخراج زكاته إذ سقطت نفقته عنه ، أما إذا كان عاجزا عن الكسب فعلى أبيه زكاته .  
فالزكاة مع النفقة وجودا أو عدما — وحقق بعض العلماء عدم جواز دفع الزكاة لجهات البر ومشروعات الخير كالمساجد والمستشفيات والملاجئ ... إذ لا بد في الزكاة من التملك لأشخاص معلومين وقصروا كلمة : « وفي سبيل الله » في الآية الكريمة على المحاربين في سبيل الله فقط :

وكما يقول أستاذنا الشيخ عبد اللطيف مشتهري<sup>(١)</sup> : « ولو ألهم الله المسلمين رشدهم ووقاهم شح نفوسهم وعمموا اخراج هذه الزكاة ونظموها كما ينبئ لأحدثت أثرا طيبا يغتبط به كل مصلح .

ولو أن كل قرية أو مدينة ، قام منها قوم أمناء محتسبون بجمع هذه الزكاة على وجه الدقة بحيث لا يتركون انسانا عليه زكاة الا أخذوها ، ثم نظموا توزيع الاحسان حسب المصلحة العامة ، اذن لتكون من ذلك رأس مال ضخم فينفق منه على المعدومين وذوى العاهات والعجزة حتى يفد عليهم العيد وقد عمتهم رحمة الله وسرهم سخاء المؤمنين » .  
ثم اذا كنا سنؤدى هذه الشعيرة بنفوس راضية وقلوب مطمئنة فنحن اذن من أهل العيد الذين سيفرحون بصومهم ويسعدون به عند فطرهم ، وعند لقاء ربهم .

ولهذا عندما دخل رجل على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يوم عيد الفطر فوجده يأكل خبزا فيه خشونة — في الوقت الذي يأكل فيه غيره من رعيته ما لذ وطاب من الأطعمة — قال : يا أمير المؤمنين .. يوم عيد وخبز خشن ؟ فقال على : اليوم عيد من قبل بالأمس صيامه وقيلامه ، عيد من غفر ذنبه ، وشكر سعيه ، وقبل عمله ، اليوم لنا عيد ، وغدا لنا عيد ، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد .

وذلك لأنه عليه رضوان الله — مع غيره من الأصحاب الفضلاء — كان يعرف لمن يكون هذا العيد كما كان يعرف حقيقته ، وأنه ليس الا لهؤلاء الذين صاموا وقاموا وتقربوا الى الله سبحانه وتعالى في شهر

(١) في كتابه « مدرسة الصوم » .

الصيام بالأعمال الصالحة التي تؤكد وتبرهن أنهم قد انتفعوا بصيامهم وقيامهم ولم يكونوا من هؤلاء أو كهؤلاء الذين يصومون عن الطعام والشراب فقط ، وإنما كانوا — عليهم رضوان الله — من المعتنين لكل لحظة من لحظات هذا الشهر المبارك حتى يفوزوا بالجائزة الكبرى التي ستوزع على الصائمين القائمين في يوم عيد الفطر الذي يسمى في الأرض بيوم العيد ويسمى في السماء بيوم الجائزة .

فقد روى أن الله سبحانه وتعالى يقول للملائكة في هذا اليوم :

« ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فيقولون : الهنا وسيدنا . . جزاؤه أن يوفي أجره .

فيقول سبحانه : أشهدكم أنني قد جعلت ثوابهم لصيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي ، ثم يقول سبحانه وقد نظر الى جميع المسلمين للعيد نظرة رحمة وحنان :

سلوني يا عبادي ، فوعزتي ، لا تسألوني اليوم في جمعكم هذا لآخرتكم الا أعطيتكم ولا لدنياكم الا نظرت لكم ، قد أرضيتهموني فرضيت عنكم ، انصرفوا مغفورا لكم » (١) .

\* \* \*

هذا . . وهناك سنن ينبغي التحلي بها في يوم العيد وليلته . وهي :

١ — احياء ليلة العيد بالطاعات ، فقد ورد في الحديث الشريف : « من أحيأ ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمته قلبه يوم تموت القلوب » (٢) .

وتختص ليلة العيد بالاكثار من التكبير لورود ذلك . فان كان حاجا فليكثر من التلبية في ليلة الأضحى .

٢ — الغسل للعيدين :

فقد اتفق العلماء على أنه سنة وان كانت الأحاديث الواردة فيه ضعيفة الا أن الآثار الواردة فيه عن الصحابة جيدة . فقد روى أن عبد الله بن عمر كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو الى المصلى (٣) .

(١) أخرجه ابن حبان والبيهقي عن ابن عباس مرغوعا .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط .

(٣) أخرجه مالك والبيهقي .

٣ - التطيب والاستياك<sup>(١)</sup> لقول الحسن بن علي : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتطيب بأجود ما نجد في العيد<sup>(٢)</sup> .

٤ - لبس أحسن الثياب وأجملها : فقد روى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا كان يفعل أصحابه :

يقول علي بن ربيعة : شهدت علي بن أبي طالب رضى الله عنه يوم عيد فرأيتته معتما قد أرخى عمامته خلفه والناس مثل ذلك<sup>(٣)</sup> . ويقول نافع : كان ابن عمر يلبس في العيدين أحسن ثيابه<sup>(٤)</sup> .

٥ - الأكل في عيد الفطر قبل الخروج إلى المصلى تمرا وترا ، وأن يؤخر الأكل عن الصلاة يوم الأضحى لقول بريدة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفطر لا يخرج حتى يطعم ، ويوم النحر لا يطعم حتى يرجع فيأكل من أضحيته<sup>(٥)</sup> .

٦ - وأن تؤدى زكاة الفطر قبل الخروج إلى المصلى لقول ابن عمر : أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر أن تؤديها قبل خروج الناس إلى الصلاة<sup>(٦)</sup> .

٧ - التوجه إلى المصلى ماشيا بسكينة ووقار - لمن كان من أهل البلد - ويخير في الرجوع بين المشى والركوب لقول علي رضى الله عنه : من السنة أن تخرج إلى العيد ماشيا ، وأن تأكل شيئا قبل أن تخرج<sup>(٧)</sup> . قال أكثر العلماء أخذا من الأحاديث الواردة في هذه السنة : يستحب الخروج إلى صلاة العيد ماشيا ويخير بين المشى والركوب حال الرجوع . وهو مذهب الأئمة الأربعة وعمر وعلي وإبراهيم النخعي ، وعمر ابن عبد العزيز ، وسفيان الثوري .

٨ - التبكير بعد صلاة الصبح إلى المصلى ، إلا الامام فإنه يتأخر إلى وقت الصلاة . كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) كالجماعة .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم ، وذكره ابن حبان في الثقات .

(٣) ، (٤) أخرجه البيهقي .

(٥) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والدارقطني والحاكم

والبيهقي .

(٦) أخرجه البخارى ومسلم .

(٧) أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن .

قال مالك : مضت السنة أن يخرج الامام من منزله قدر ما يبلغ  
مصلاه وقد حلت الصلاة • فأما غيره فيستحب له التكبير والذنو من  
الامام ليحصل له أجر ذلك •

٩ — التكبير جهرا حال السير الى المصلى ، وفي المصلى الى الشروع  
في الصلاة • فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ذلك •

وقد ورد في كيفية التكبير صيغ أصحها :

١ — ما ورد عن سلمان الفارسي قال : كبروا : الله أكبر ، الله أكبر ،  
الله أكبر كبيرا (١) •

٢ — وورد عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما : الله أكبر ،  
الله أكبر ، لا اله الا الله ، والله أكبر ، والله الحمد •

\* \* \*

ويستحب التهنئة بالعيد :

فقد ورد عن جبير بن نفير قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : « تقبل — الله —  
منا ومنك » (٢) •

\* \* \*

وبالنسبة لصلاة العيدين :

فقد شرعت في السنة الأولى من الهجرة ، وهي سنة مؤكدة ، وأطب  
النبي صلى الله عليه وسلم عليها وأمر الرجال والنساء أن يخرجوا لها •  
ويشرع خروج الصبيان والنساء في العيدين للمصلى من غير فرق  
بين البكر والثيب والشابة والعجوز والحائض ، لحديث أم عطية قالت :  
أمرنا أن نخرج العواتق (٣) والحائض من العيدين يشهدن الخير ودعوة  
المسلمين ويعتزل الحائض المصلى (٤) •

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كان يخرج نسائه ويتكلم في العيدين (٥) •

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح •

(٢) قال الحافظ : اسناده حسن •

(٣) البنات الأبيكار •

(٤) متفق عليه •

(٥) رواه ابن ماجه والبيهقي •



وعنه أيضا قال : خرجت (١) مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم فطر  
— أو أضحى — فصلى ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن ،  
وأمرهن بالصدقة (٢) .

ووقت صلاة العيد من ارتفاع الشمس ثلاثة أمطار الى الزوال ،  
ويسن تقديم الأضحى ليتسع وقت الضحية ، وتأخير الفطر ليتسع  
وقت اخراج صدقة الفطر (٣) وليس لصلاة العيدين أذان ولا اقامة  
ولا قول : الصلاة جامعة . والسنة أن لا يفعل شيء من ذلك :

فقد ورد عن ابن عباس وجابر : لم يكن يؤذن يوم الفطر ، ولا يوم  
الأضحى (٤) .

ولسلم عن عطاء قال : أخبرني جابر : أن لا أذان لصلاة يوم الفطر  
حين يخرج الامام ولا بعد ما يخرج ولا نداء يومئذ ولا اقامة .

وعن سعد بن أبي وقاص : أن النبي صلى الله عليه وسلم  
صلى العيد بغير أذان ولا اقامة ، وكان يخطب خطبتين قائما يفصل  
بينهما بجلسة (٥) .

وصلاة العيد ركعتان يسن فيهما أن يكبر المصلي قبل القراءة في  
الركعة الأولى : سبع تكبيرات بعد تكبيرة الاحرام ، وفي الثانية :  
خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام مع رفع اليدين مع كل تكبيرة . فمن  
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم كبر  
في عيد اثنتي عشرة تكبيرة سبعا في الأولى وخمسا في الآخرة ، ولم  
يصل قبلها ولا بعدها (٦) .

ومن الاشارة الأخيرة الواردة في الحديث ترى أنه لم يثبت أن  
لصلاة العيد سنة قبلها ولا بعدها ، وأنه لا صلاة في مصلى العيد غير  
صلاة العيد الا لمن لم يصل الصبح فقط . فانه يجوز له أن يصلى  
الصبح في مصلى العيد .

وتصح صلاة العيد من الرجال ، والنساء ، والصبيان ، مسافرين

(١) وكان يومئذ صغيرا . (٢) رواه البخارى .

(٣) وهو قول ابن قدامة . (٤) متفق عليه .

(٥) متفق عليه .

(٦) رواه احمد وابن ماجه وقال احمد : وانا اذهب الى هذا .

- كانوا أو مقيمين جماعة أو منفردين في البيت أو في المسجد أو في المصلى .  
 ومن فاتته الصلاة مع الجماعة صلى ركعتين .  
 والخطبة بعد صلاة العيد سنة والاستماع اليها كذلك : فقد ورد  
 عن عبد الله بن السائب قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 العيد فلما قضى الصلاة قال : « انا نخطب فمن أحب أن يجلس للخطبة  
 فليجلس ومن أحب أن يذهب فليذهب » (١) .  
 والأفضل صلاة العيد خارج البلد - ما عدا مكة فان صلاة العيد  
 في المسجد الحرام أفضل .  
 وإذا كان هناك مطر أو عذر يتعذر بسببه الصلاة خارج البلد فانه  
 يجوز أن تصلى في المسجد .  
 فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين  
 في المصلى (٢) ولم يصل العيد بمسجده الا مرة لعذر المطر .



### آداب الصيام

- وللصيام آداب منها :
- ١ - تعجيل الفطر اذا دخل وقته بتحقيق الغروب ، فقد ورد عن  
 عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن أبيه أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال : « اذا جاء الليل من ههنا وذهب النهار من ههنا  
 وغابت الشمس فقد أفطر الصائم » (٣) .  
 والمعنى أنه متى تحقق الصائم الغروب فليفطر ، فهو خير بمعنى  
 الأمر ، أو فقد دخل وقت افطاره .  
 والحكمة في طلب تعجيل الفطر بعد تحقق الغروب أن هذا أرفق  
 بالصائم وأقوى له على العبادة .
- ٢ - ويستحب أن يكون الفطر قبل صلاة المغرب ، ليطمئن قلبه  
 في الصلاة وينقطع عن الشواغل والتطلع للمفطر .  
 وأن يكون على رطبات وترا ، وأن لم يجد فتترات وترا ، فان لم  
 يجد حسا حسوات من ماء :

(١) رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه .

(٢) موضع بباب المدينة الشرقي .

(٣) أخرجه الدارمي والسبعة الا النسائي وقتل الترمذي : حسن صحيح .

فقد ورد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال :  
« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن  
يصلى ، فإن لم تكن فعلى تمرات ، فإن لم تكن حسا حسوات من  
ماء » (١) .

مع ملاحظة أن السنة الافطار على واحد مما ذكر مرتبا . فإن بدأ  
بالماء مع وجود الرطب فانتته السنة . وقيل ان الترتيب لكمال السنة .  
وإذا كان قد ورد حديث في موطأ مالك يفيد بأن عمر بن الخطاب  
وعثمان بن عفان عليهما رضوان الله كانا يصليان المغرب حين ينظران  
الى الليل الأسود قبل أن يفطرا ، ثم يفطران بعد الصلاة . فهو لبيان  
جواز تأخير الفطر عن الصلاة ، لئلا يظن وجوب التعجيل .  
والحكمة في طلب الافطار على التمر ونحوه أنه حلو والطلو يقوى  
البصر الذى يضعف بالصوم .

٣ - وإذا لم يكن الطعام حاضرا تناول الصائم شيئا مما تقدم  
ثم صلى المغرب وبعده يتناول حاجته من الطعام . وان كان الطعام  
حاضرا تناول شيئا مما تقدم ثم أخذ حاجته من الطعام . فقد ورد عن  
أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قدم العشاء فابدأوا  
به قبل صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشاءكم » (٢) .  
وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« اذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء » (٣) .

٤ - ويستحب للصائم الدعاء عند فطره فإنه مجاب فقد روى  
ابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان للصائم عند فطره  
لدعوة ما ترد » وكان عبد الله بن عمرو يقول اذا أفطر : « اللهم انى  
أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى » (٤) .  
وقال ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفطر  
قال : « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر ان شاء الله تعالى » (٥) .

(١) أخرجه أبو داود والحاكم والدارقطنى وقال : اسناده صحيح ،  
والترمذى وقال : حسن غريب . (٢) أخرجه البخارى ومسلم .  
(٣) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم .  
(٤) أخرجه ابن ماجه بسند صحيح .  
(٥) أخرجه أبو داود والبيهقى والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين

٥ - ويسن لمن أفطر عند غيره أن يدعو له بما في حديث مصعب ابن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال : أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سعد بن معاذ فقال : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » (١) .

٦ - وقد أجمع العلماء على استحباب السحور حتى يقوى الصائم على الصيام ، وينشط له ، وتحصل بسببه الرغبة في الأزداد منه لخفة المشقة فيه على المتسحر ، وقيل : لأنه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء في ذلك الوقت الشريف ، وقت تنزل الرحمة وقبل الدعاء والاستغفار . هذا بالإضافة الى ما فيه من البركة التي أشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليها في قوله : « تسحروا فان في السحور بركة » (٢) .

ويمتد وقت السحور الى طلوع الفجر الصادق حيث يجب الامسك عن كل مفطر وهو المراد بقوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » (٣) .

٧ - ويسن تأخير السحور الى قبيل ظهور الفجر حتى يقبل النهار وفي المعدة ما يتقوى به الصائم على الطاعة فلا يجهد الصوم ولا يقعه عن الطاعة :

فقد ورد في الحديث الشريف : « لا ترال أمتى بخير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور » (٤) .

وعن أنس عن زيد بن ثابت رضى الله عنهم قال : « تسحرونا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة ، قلت : كم كان قدر ما بينهما ؟ قال : قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية » (٥) .

٨ - كما يطلب من العاقل : ترك الإفراط في تناول الطعام سواء أكان في الإفطار أو السحور .

فقد روى المقدام بن معد يكره رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم

(١) أخرجه ابن ماجه .

(٢) أخرجه الستة الا ابا داوود ، وقال الترمذى : حسن صحيح ،

وأخرجه أحمد والنسائي من عدة طرق عن أبي هريرة .

(٤) أخرجه أحمد .

(٣) المقررة : ١٨٧

(٥) أخرجه السبعة الا ابا داوود ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه» (١) .

وذلك حتى لا يكون هذا الافراط سببا في تكاسله عن الطاعة ، فقد ورد : « من أكل كثيرا نام كثيرا ، وحرّم من خير كثير » .

كما ورد عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه كان يقول للحواريين : « لا تأكلوا كثيرا ففتقسوا قلوبكم » .

كما كان لقمان الحكيم عليه السلام يقول لولده : « اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » .

ويستحب كذلك للصائم السواك أول النهار وآخره عند الحنفيين ومالك والثوري ومحققي الشافعية ، فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من خير خصال الصائم السواك » (٢) .

وقال الترمذى : ولم ير الشافعى بالسواك بأسا أول النهار وآخره .

هذا فى استيتك الصائم بسواك يابس . وأما بالنسبة للاستيتك بالعود الرطب فقد قال مالك وإسحاق والشافعى : يكره . وروى عن أحمد : خشية أن يتحلل منه فى الفم شئ ، ولما فيه من طعم .

( ورد ) بأن ما يتحلل منه كماء المضمضة فاذا طرحه لا يفسده وكذا ما فيه من طعم . ولذا قال الحنفيون والثوري والأوزاعى والشافعى : لا بأس بالاستيتك بالرطب اليابس . وروى عن أحمد . قال ابن سيرين : لا بأس بالسواك الرطب . قيل : له طعم . قال : والماء له طعم وأنت تتمضمض به (٣) .

وقال زياد بن جديز : ما رأيت أحدا كان أدوم لسواك رطب — وهو صائم — من عمر بن الخطاب .

١٠ — ويستحب للصائم الاكثار من العبادة والصدقة والاحسان الى الأقارب واليتامى والمساكين وحسبه قول الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه الترمذى .

(٢) أخرجه ابن ماجه والبيهقى والدارقطنى .

(٣) ذكره البخارى .

الذى قرأته سابقا والذي يقول فيه وهو يحدثنا عن بركات رمضان :  
 « ... من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة  
 فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما  
 سواه ... » •

١١ - كما تسن صلاة التراويح : التى تقدم بيانها سابقا •

\* \* \*

### ما يباح للصائم

يباح له أمور منها :

١ - الاكتحال : لقول عائشة رضى الله عنها : « اكتحل النبى  
 صلى الله عليه وسلم وهو صائم » (١) •

ومثله ما يقطر فى العين لأنها ليست بجوف ولا منفذ منها الى  
 الحلق •

٢ - ويباح له أيضا دهن شعره بزيت ونحوه عند الجمهور ولا يفطر  
 وان وجد أثره فى الحلق - ان كان لغير الزينة ، والا كان مكروها •

٣ - وأيضا يباح له حقن الدواء ونحوه فى العروق ، ولا يفطر  
 به لأنه يصل الى الجوف بواسطة المسام لا من منفذ مفتوح • وكذا  
 الحقنة فى احليل الذكر لا يفطر بها الصائم عند النعمان ومالك ومحمد  
 ابن الحسن وأحمد •

وقال أبو يوسف والشافعى : يفطر بها ان وصلت المثانة • والخلاف  
 فيما اذا وصل الى المثانة • أما ما دام الدواء فى القصبة فلا يفطر  
 اتفاقا •

أما الحقنة فى دبر الرجل وقبل المرأة فانها تفسد الصوم : اتفاقا •

٤ - كما يباح له أن يدفع عن نفسه الحر أو العطش بصب الماء  
 على رأسه أو بدنه كله أو بالضمضة والاستنشاق بلا مبالغة فيهما عند  
 الجمهور ومنهم أبو يوسف لقول رجل من أصحاب النبى صلى الله  
 عليه وسلم : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسكب على رأسه الماء  
 بالسقيا (٢) اما من الحر واما من العطش وهو صائم • ثم لم يزل

(٢) موضع بمكة •

(١) أخرجه ابن ماجه والبيهقى •

صائما حتى أتى كديدا<sup>(١)</sup> ثم دعا بماء فأغطر وأفطر الناس . وهو عام الفتح<sup>(٢)</sup> .

٥ - ويباح له مضغ طعام لا بد منه لطفل بأن لم يوجد من يمضغه له غير صائم ، ولم يوجد ما يأكله الطفل بلا مضغ للضرورة .

٦ - ويباح له الاحتجام والفسد اذا لم يضعفه عن الصوم لحديث ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم واحتجم وهو صائم<sup>(٣)</sup> .

والحجامة هي أخذ الدم من الرأس ، والفسد أخذه من أى عضو في الجسد .

٧ - ويباح له أن يصبح جنبا لحديث عائشة وأم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبا في رمضان من جماع غير احتلام ثم يصوم<sup>(٤)</sup> .

وعليه اذا أصبح الصائم جنبا من جماع أو احتلام صح صومه ، ولا قضاء عليه ، وسواء أكان الصوم فرضا أو نفلا ، ولو كان تأخير الغسل الى ما بعد الفجر عمدا .

وبهذا قال الجمهور والأئمة الأربعة<sup>(٥)</sup> وعلى الصائم اذا أصبح كذلك أن يعجل بالغسل حتى يؤدي الصلاة وحتى لا يحمل وزر مسيره بالجنابة لا سيما وهو صائم .

٨ - وكذلك يباح للصائم بلع ريقه أولا فأولا لأن في انتقائه حرجا ومشقة ولا يمكن الاحتراز عنه لقوله تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج »<sup>(٦)</sup> أما اذا جمع ريقه في فمه ثم ابتلعه فإنه يكره ، لما فيه من الشبهة ولا يفطر بذلك اجماعا .

أما اذا ابتلع ريق غيره فعليه القضاء اجماعا ، وكذا الكفارة عند مالك اذا ابتلعه عمدا عالما مختارا منتهكا حرمة الشهر .

(١) ماء على مرحلتين من مكة .

(٢) أخرجه أحمد وهذا لفظه ، وأبو داود والنسائي والحاكم والبيهقي وصححه ابن عبد البر .

(٣) أخرجه أحمد والبخارى وهذا لفظه والبيهقي .

(٤) أخرجه أحمد والشيخان والدارمي وأبو داود والنسائي .

(٥) وشذ من زعم أن من أفر الغسل عن الفجر عمدا لا يصح صومه .

(٦) الحج : ٧٨

وكذا عند الحنفيين إذا ابتلع ريق حبيبه لأنه مرغوب فيه طبعاً  
يلتذبه • ولا كفارة عند الشافعية والحنابلة •

وان جمع شخص ريقه ثم ابتلعه قصداً : لم يفطره ، لأنه يصل  
الى جوفه من معدته فأشبهه ما اذا لم يجمعه • وعن أحمد : أنه يفطره ،  
لأنه أمكنه التحرز منه فأشبهه ما لو قصد ابتلاع غبار الطريق • والأول  
أصح فان الريق لا يفطر اذا لم يجمعه وان قصد ابتلاعه ، فذلك  
اذا جمعه بخلاف غبار الطريق • فان خرج ريقه الى ثوبه أو بين  
أصابعه أو بين شفتيه ثم عاد فابتلعه أفطر ، لأنه ابتلعه من غير  
فمه فأشبهه ما لو بلع ريق غيره •

ولو ترك في فمه حصاة أو درهما فأخرجه وعليه بلة من الريق  
ثم أعاده : فيه نظر ، فان كان ما عليه من الريق كثيراً فابتلعه أفطر •  
وان كان يسيراً لم يفطر بابتلاع ريقه ، لأنه لا يتحقق انفصال ذلك  
البلل ودخوله الى حلقه فلا يفطره كالمضمضة والتسوك بالسواك الرطب  
والمسلول •

ولو أخرج لسانه وعليه بلة ثم عاد فأدخله وابتلع ريقه : لم يفطر ،  
وان ابتلع النخامة : ففيها روايتان ، احدهما : يفطر ، لأن النخامة  
تنزل من الرأس ، والريق من الفم ، ولو تنخم من جوفه ثم ازدرده :  
أفطر ، لأنه أمكنه التحرز منها فأشبهه الدم ، ولأنها من غير الفم فأشبهه  
القيء ، والرواية الثانية : لا يفطر لأنه معتاد من الفم غير واصل من  
خارج فأشبهه الريق •

فان سال فمه دماً أو خرج اليه قلس أو قيء فابتلعه أفطر وان  
كان يسيراً ، لأن الفم في حكم الظاهر والأصل حصول الفطر بكل  
واصل منه ، لكن عفى عن الريق لعدم امكان التحرز منه • فما عداه  
يبقى على الأصل • وان ألقاه من فيه وبقي فمه نجساً أو تنجس فمه  
بشيء من خارج فابتلع فان كان معه جزء من المنجس أفطر بذلك الجزء  
والأفلا •



## ما يكره للصائم

ويكره للصائم أمور منها ، أنه :

يكره له تحريماً ذوق شيء مفطر من غذاء أو دواء بلا عذر لما فيه من تعريض الصوم للفساد ولو كان نفلاً لغير عذر • ولا بأس به مع العذر كسوء خلق الزوج فحينئذ لا يكره لامرأته ذوق المرق بلسانها • ومثل المرأة في ذلك الطاهي ، ومن أراد شراء مأكول أو مشروب ، له أن يذوقه إذا خشى أن يغبن فيه ولا يوافق • وإذا ذاقه وجب عليه أن يمجه لثلاثيصل إلى حلقه منه شيء •

ومن أصبح بين أسنانه طعام فان كان يسيراً لا يمكنه لفظه فابتلعه لا يفطر به لأنه لا يمكنه التحرز منه فأشبهه الريق وهذا مجمع عليه • ويكره له مضغ العلك ( اللبان ) وان لم يتحلك منه شيء لما في ذلك من الاتهام لأن من رآه يظن فطره •

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يمضغ العلك الصائم » (١) وأيضاً ورد : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم » • وفي غير الصوم يستحب مضغ العلك للنساء ، ويكره للرجال الا اذا كان في خلوة ولعذر كتسهيل ريح وتقليل بخر بفمه لحاجة •

ويكره له المبالغة في المضمضة والاستنشاق احتياطاً للعبادة فانه يخشى وصول شيء من الماء إلى الحلق • وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فاذا استنشقت فأبلغ الا أن تكون صائماً » (٢) • فاذا بالغ في المضمضة أو الاستنشاق أو لم يباليغ ووصل إلى جوفه شيء من الماء خطأ :

قال الحنفيون ومالك والمزني : يفسد صومه وعليه القضاء ، وهو قول للشافعي وأحمد فيما اذا بالغ • وقال أحمد والشافعي : لا يفسد صومه كالناسي اذا لم يباليغ •

ويكره له القبلة الفاحشة ، وهي أن يتعانقا متجردين متماسي الفرجين ، فهذا مكروه مطلقاً وان أمن الاتزان والجماع لأن شأنه

(١) أخرجه البيهقي •

(٢) أخرجه أحمد والأربعة وقال الترمذي : حسن صحيح •

تعريض الصوم للفساد ، وكذا يكره غير الفاحش من القبلة والمباشرة .  
ان لم يأمن ما ذكر ولا يكرهان ان أمن ذلك : فقد ورد عن أبي هريرة  
رضي الله عنه :

أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المباشرة للصائم  
فرخص له ، وأتاه آخر فسأله فنهاه ، فإذا الذي رخص له شيخ ،  
والذي نهاه شاب (١) .

والمراد بالمباشرة عدم الجماع . فهي تشمل القبلة والمس باليد  
وإتصال الجسم بالجسم .

وللمقبل والمباشر ثلاثة أحوال :

إذا لم ينزل لا يفسد صومه اتفاقا .

إذا أمني (٢) أفطر اتفاقا . لأنه انزال بمباشرة فأشبهه الانزال  
بالاستمتاع بغير الفرج وعليه القضاء فقط عند الحنفيين والشافعي  
وأحمد ، والقضاء والكفارة عند مالك وإسحاق .

وإذا أنزل مذييا (٣) أفطر وعليه القضاء عند مالك وأحمد (٤) .  
وقال الحنفيون والشافعي : لا يفطر لأن المذي خارج لا يوجب الغسل  
فأشبهه البول .

واللمس بشهوة كالقبلة فيما ذكر .

ويكره له تكرار النظر بشهوة الى امرأته وإدامة الفكر في الجماع  
ولا بأس بذلك عند الحنفيين والشافعي وأحمد .

وقال مالك : النظر والفكر كالقبلة ، فان أمن على نفسه من الانزال  
كرها ، وان لم يأمن حرما .

هذا : ولكرر النظر ثلاثة أحوال :

إذا لم ينزل لا يفسد صومه اتفاقا .

إذا أمني يفسد صومه عند أحمد ومالك ، وعليه القضاء فقط  
عند أحمد ، والقضاء والكفارة عند مالك ان كان النظر محرما .

وقال الحنفيون : لا يفطر مطلقا لأنه لا نص في الفطر بما ذكر  
ولا إجماع .

(١) أخرجه ابو داوود والبيهقي بسند جيد .

(٢) المني : ما يتدفق بشهوة . (٣) الذي : ما ينزل أثناء المداعبة .

(٤) وحجتهم في هذا انه خارج بشهوة عن مباشرة .

وقالت الشافعية : لا يفطر الا ان اعتاد الانزال بذلك فيفطر  
على المعتمد .

وإذا أمذى لا يفطر عند الحنفيين والشافعي وأحمد ، لأنه لا نص  
في الفطر به ولا يمكن قياسه على انزال المنى لمخالفته له في الأحكام  
فيبقى على الأصل ، فأما ان نظر فصرف بصره لا يفسد صومه وان أنزل  
عند الثلاثة .

وقالت المالكية : ان أمذى بالفكر أو النظر قطعيه القضاء ، وان  
أمنى بادامتهما فعليهما الكفارة ان كانت عادته الانزال ولو في حين ما .  
فان كانت عادته عدم الانزال بادامة النظر أو الفكر فخالف عادته وأمنى  
فلا كفارة على ما اختاره ابن عبد السلام . وكذا لو أمنى بمجرد  
نظر أو فكر فلا كفارة عليه عند ابن القاسم .

وأما من فكر فأنزل فلا يفسد صومه عند الحنفيين والشافعي  
وهو الصحيح عن أحمد .

وقال مالك : يفسد صومه . وروى هذا عن أحمد . فاحذر  
الوقوع في هذا المكروه حتى لا تكون موضع خلاف بين الأئمة كما رأيت  
وتتحمل وحدك نتيجة ذلك .

وأیضا يكره للصائم وغيره ضول أنسنت لما فيه من سمات العظم  
العظيم والثواب الجزيل المترتب على خير النعمان من أمر بمعروف  
ونهي عن منكر أو تلاوة للقرآن . . الى غير ذلك من أنواع الخير القويمة  
التي ينبغي الحرص عليها لا سيما وهو صائم . والله در على رضى الله عنه  
فلقد قال :

« من أمضى يومه في غير حق قضاء ، أو فرض أداء ، أو مجد  
بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه . فقد عرق يومه ، وظلم نفسه » .  
وكذلك يكره للصائم الاكثار من النوم نهارا لئلا يذهب مشقة  
الصوم .

وكذلك يكره له شم الروائح الزكية كالمسك والعود . كما يكره له  
مداواة أسنانه نهارا ولا شيء عليه ان سلم . فان ابتلع منه شيئا غلبه  
قضى . وان تعمد كفر أيضا ، الا لضرورة في تأخير الدواء لليل كثرة

تألم ، وان لم يحدث منه مرض فلا تتركه المداواة ، بل تجب ان خلف  
هلاكا أو شديد أذى .

كما يكره له أيضا عند أحمد أن يجامع وهو شاك في طلوع الفجر  
الثاني ، ولا يكره له السحور مع الشك في ذلك لأنه يتقوى به على  
الصوم بخلاف الجماع .

فلاحظ كل هذا أيضا حتى لا تتورط وحتى لا ينقص ثوابك أو يضعف .

\*\*\*

### مالا يفسد الصوم

ولا يفسد صوم الصائم :

إذا أكل أو شرب أو جامع ناسيا ، عند الحنفيين والشافعي لقول  
الرسول صلى الله عليه وسلم : « من نسي وهو صائم فأكل أو شرب  
فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه » (١) يعني ما وقع منه من الأكل  
والشرب لا يفسد صومه لأنه لم يكن له فيه اختيار لنسيانه .

والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم وبه يقول سفيان الثوري  
والشافعي وأحمد وإسحاق .

وقال مالك بن أنس : إذا أكل في رمضان ناسيا فعليه القضاء .  
والأول أصح . لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أفطر في  
رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة » (٢) .

وقال أحمد : يجب القضاء والكفارة بالجماع ناسيا ولا شيء  
في الأكل والشرب . وهذا القول رد عليه (٣) .

وقالت المالكية : من تعاطى أى مفطر ناسيا في رمضان فعليه  
القضاء دون الكفارة قياسا للصوم على الصلاة . فكما أن ترك ركعة  
منها نسيانا يفسدها كذلك ترك ركن من الصوم وهو الامساك عن  
المفطر يفسده .

(١) أخرجه السبعة وهذا لفظ مسلم وقال الترمذي : حديث حسن صحيح

(٢) أخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، والدارقطني

والبيهقي بسند رجاله ثقات .

(٣) لأنه استدل بحديث الرجل الذي واقع امراته في رمضان .. وهو

يدل على أنه واقع عبدا .

ويرد على كل هذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم السابق وهو :  
 « من أفطر في رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة » • فهذا هو  
 الحق وتلك رحمة من الله الرحمن الرحيم الذي يقول : « يريد الله بكم  
 اليسر ولا يريد بكم العسر » (١) •

ومن احتلم نهارا وهو صائم لا يبطل صومه اجمعا •  
 وكذلك من احتجم في نهار رمضان كما قرأت سابقا عند الأئمة  
 الثلاثة خلافا للإمام أحمد •

وكذلك لا يفسد الصوم بانزال منى بنظر وان أدامه عند الحنفيين  
 والشافعي ، لأنه في معنى الاحتلام ، وعند مالك وأحمد يفسد صومه ،  
 وان أمذى لا يفسد صومه عند الثلاثة ، ويفسد عند مالك كما تقدم  
 الا ان غلبه المنى أو المذي بمجرد نظر أو فكر •

وأیضا لا يفسد الصوم اذا نزل المنى بسبب ادامة الفكر عند  
 الحنفيين والشافعي ، وهو الصحيح عن أحمد • وقال مالك : يفسد  
 صومه ، كما تقدم •

ولا يفسد الصوم بالاحتكاح ولا بما يقطر في العين ولو وجد  
 طعمه في حلقه أو رأى لونه في بزاقه عند الحنفيين والشافعي لأن الداخل  
 من المسام الغير النافذة لا ينافي الصوم كما اذا تبرد بالماء ووجد  
 أثره بباطنه •

وقال مالك وأحمد : يبطل الصوم بالكحل ونحوه ان وجد طعمه  
 في حلقه أو علم وصوله اليه •

ولا يبطل بالادهان وان وجد أثر الدهن في الحلق عند الثلاثة •  
 وقال مالك : هو كالكحل الا اذا وضع دهنا على جرح في بطنه واصل  
 لجوفه لأنه لا يصل لمحل الطعام والشراب والامسات من ساعته •  
 ولا يفسد الصوم كذلك لشم الروائح العطرية كالورد والنرجس  
 والياسمين •

وكذلك لا يفشد بتأخير غسل الجنابة حتى تطلع الشمس ولو مكث  
 جنبا كل اليوم •

ولا يفسد بدخول غبار طريق أو غريلة دقيق أو ذباب أو بعوض  
 الى حلقه رغما عنه •

ولا يفسد صوم المرأة عند أحمد إذا أدخلت أصبعها أو غيره  
في فرجها ولو مبتلا .  
ومن غلبه القيء لا يبطل صومه ولو كان ملء الفم إذا لم يعد منه  
شيء أجماعاً .  
فقد ورد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء ، ومن استقاء عمداً  
فليقض » (١) .

ويتفرع على هذا أربع مسائل :

إذا كان القيء أقل من ملء الفم وعاد أى شيء منه لم يفطر،  
اتفاقاً لعدم الفعل ، عند محمد ، ولعدم ملء الفم عند أبي يوسف .  
إذا كان أقل من ملء الفم وأعاد أو شيئاً منه لم يفطر عند  
أبي يوسف . وهو المختار لعدم ملء الفم ويفطر عند محمد للفعل .  
إذا كان ملء الفم وعاد أو شيء منه لا يفطر عند محمد (٢) لعدم  
الفعل ، وهو الصحيح ، ويفطر عند أبي يوسف ، لأنه يعتبر خارجاً  
شريعياً وقد دخل .  
إذا كان ملء الفم وأعاد أو شيئاً منه أفطر اتفاقاً . لأنه خارج  
أدخله جوفه . وكذلك كل ما غلب على الإنسان ودخل فمه (٣) .

\* \* \*

### ما يفسد الصوم

ما يفسد الصوم قسمان :

قسم يوجب القضاء وهو :

الافطار مكرهاً أو خطأ ، كأن تغمض فسبق الماء إلى حلقه .  
وصول ما لا نفع فيه للبدن إلى الجوف من منفذ مفتوح

(١) أخرجه أحمد والدارقطني والحاكم وصححه والبيهقي والأربعة ،

إلا النسائي وقال الترمذي : حسن غريب .

واستقاء : أى أخرج القيء بمحاولة منه كهذا الذى يضع أصبعه في فمه

لأخراج القيء .

(٢) محمد تلميذ أبي حنيفة ، وكذلك أبو يوسف .

(٣) كالذباب ، والماء .

أو إلى باطن الرأس عمدا ، كأن ابتلع حصاة ، أو حديدا أو ملحا كثيرا ،  
أو لوزة بقتشرها •

صب الدواء أو الماء في دبر الرجل ، أو قبل المرأة •

ايصال مائع وغيره إلى الجوف من الأنف •

اقطار مائع ، ولو ماء في الأذن على الصحيح عند الحنفيين  
والشافعي وأحمد ، لأنه وصل إلى الجوف بفعله ، أما إن خاض الماء  
فدخل أذنه لا يفسد صومه اتفاقا •

وقالت المالكية : يفسد الصوم بوصول مائع إلى الحلق من فم  
أو أذن أو عين أو أنف ، سواء أكان المائع ماء أو غيره ، وصل عمدا  
أو سهوا أو غلبه ، كماء غلب من المضمضة أو السواك حتى وصل إلى  
الحلق ، أو وصل خطأ كأكله نهارا معتقدا بقاء الليل أو غروب الشمس ،  
والأغلا يفسد صومه •

وفي حكم المائع : البخور وبخار القدر إذا استنشقتها فوصلا إلى  
حلقه ، وكذلك الدخان الذي اعتاد الناس شربه ، فمجرد وصوله إلى  
نقطه مفطر وإن لم يصل إلى المعدة • وأما دخان الحطب فلا أثر له  
كرائحة الطعام إذا استنشقتها •

إذا وصل الدواء إلى جرح يبلغ الجوف •

إذا وصل الدواء إلى جوف الرأس عن طريق شجة تصل أم الرأس  
وهي الآمة — لأن بين جوف الرأس وجوف المعدة منفذا أصليا ،  
وهذا إذا تحقق الوصول اتفاقا ، وكذا إن شك فيه وكان الدواء رطبا  
عند النعمان ومالك ، لعموم ما ورد : « الفطر مما دخل وليس  
مما خرج » (١) •

وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي وأحمد : لا يفسد الصوم  
بالشك في الوصول • أما إذا كان الدواء يابس فلا فطر اتفاقا إذا شك  
في وصوله إلى الجوف •

التيء عمدا ولو قليلا عند الأئمة الأربعة ومحمد لعموم قول النبي  
صلى الله عليه وسلم : « ومن استقاء عمدا فليقتض » وقد تقدم •  
انزال المنى عن مباشرة بنحو قبلة أو تبطين أو مجامعة في غير

(١) أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس مرفوعا •

سببى آدمى حتى مشتهى ، أو بوطء بهيمة أو ميتة ، أو صغيرة لا تشتهى ، أو استمناء بالكف — وهذا حرام — وان خرج منه المنى أو الذى لمرض فلا شئ عليه لأنه خارج بغير شهوة فأشبهه البول ، ولأنه خرج من غير اختيار منه ولا تسبب فيه فأشبهه الاحتلام •

ولو جامع فى الليل فأنزل بعد ما أصبح لم يفطر ، لأنه لم يتسبب فيه نهارا فأشبهه ما لو أكل فى الليل فذره القىء نهارا • عند الحنفيين والشافعى وأحمد •

وقالت المالكية : يفسد الصوم بانزال المنى أو الذى مع لذة معتادة بنظر أو فكر أو غيرهما ، كالقبلة والمباشرة فيما دون الفرج • وأما اذا خرج المنى أو الذى لمرض فلا يفسد الصوم ، كما لا يفسد بخروج أحدهما بمجرد نظر أو فكر بلا استدامة اذا كان يكثر عروضه له بأن كان حصوله مساويا لعدم حصوله فى الزمن أو زائدا ، أما اذا كان زمن عروضه أقل من زمن ارتفاعه فإنه يفسد الصوم • تناول مفطر مع ظن المبيح — عند الأئمة الأربعة والجمهور —

وفيه خمس صور :

الأولى : من تسحر يظن بقاء الليل — وقد طلع الفجر — بطل صومه وعليه القضاء عند الأربعة والجمهور •

الثانية : من أفطر آخر النهار يظن غروب الشمس ولم تغرب ، بطل صومه عند الأربعة والجمهور •

الثالثة : من أكل شاكاً فى طلوع الفجر ولم يتبين الأمر فليس عليه قضاء ، وله الأكل حتى يتبين طلوع الفجر عند الحنفيين ، والشافعى وأحمد ، لقوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » (١) •

وقال مالك : يجب القضاء لأن الأصل بقاء الصوم فى ذمته فلا يسقط بالشك ، ولأنه أكل شاكاً فى النهار والليل فلزمه القضاء كما لو أكل شاكاً فى غروب الشمس •

الرابعة : من أفطر شاكاً فى غروب الشمس ولم يتبين الأمر ، فعليه القضاء عند الأئمة الأربعة والجمهور لأن الأصل بقاء النهار •

الخامسة : من أكل ظاناً أن الشمس قد غربت أو أن الفجر لم يطلع



ثم شك بعد الأكل ولم يتبين الأمر ، فلا قضاء عليه لأنه لم يوجد يقين  
بزيل ذلك الظن الذي بنى عليه فأشبهه ما لو صلى بالاجتهاد ثم شك  
في الاصابة بعد صلاته .



مع ملاحظة :

أن من جامع قبل طلوع الفجر ثم طلع فنزع فوراً لم يفسد صومه  
عند الحنفيين ، والشافعي ، وهو مشهور مذهب أحمد ، لأنه ترك  
للجماع فلا يتعلق به حكمه .

وقال مالك : يفسد صومه ولا كفارة عليه ، لأنه لا يقدر على أكثر  
مما فعله فأشبهه المكره .

وان لم ينزع فسد صومه وعليه القضاء اتفاقاً وكذا الكفارة عند  
مالك والشافعي وأحمد .

وقال الحنفيون : لا كفارة عليه .

ومن جامع ظاناً أن الفجر لم يطلع وتبين أنه قد طلع فسد صومه  
وعليه القضاء فقط عند الحنفيين ، والشافعي . وقال مالك وأحمد :  
عليه الكفارة أيضاً .

ادخال خرقة أو خشبة أو اصبع مبلولة في الدبر ، وقبل المرأة  
إذا لم يبيق من المدخل شيء : يفسد الصوم .

أما إذا لم يغيبه كله لا يفسد صومه عند الحنفيين وأحمد ،  
ومالك . وقال الشافعي : يفسد بذلك .

إذا تعدد أثناء الاستنجاء اتصال المال إلى داخل دبره يفسد  
الصوم .

الأكل عمداً بعد أكله ناسياً الصوم فظن أنه أفطر فيلزمه القضاء  
اتفاقاً لوجود المفطر ولا كفارة عليه عند الحنفيين والشافعي وأحمد  
للشبهة . كذا لو علم أن صومه لا يفسد بالفطر ناسياً وبلغه الحديث  
في ذلك فلا كفارة عليه عند النعمان والشافعي وأحمد مراعاة لخلاف  
الامام مالك .

وقال أبو يوسف ، ومحمد ، ومالك : عليه الكفارة لعدم الشبهة .  
الحيض والنفاس اجماعاً ، وعليهما القضاء .

الردة اجماعا ، وعليه قضاء ذلك اليوم اذا عاد الى الاسلام  
سواء أسلم في أثناء اليوم أو بعد انتقضائه •  
اذا نوى الفطر عند الأئمة الثلاثة وهو ظاهر مذهب أحمد لأنه  
عبادة من شرطها النية • وان عاد فنوى الصوم قبل الزوال أجزاء  
عند الحنفيين لأنه يصح بنية قبل الزوال • ولا يجزىء عند من يشترط  
تبييت النية في رمضان •

مع مراعاة : أن من فسد صومه بشيء مما ذكر لزمه :  
أولا : امسك بقية اليوم في غير الحيض والنفاس احتراماً للوقت  
بالتقدر الممكن •

ثانيا : قضاء ما أفسده في أيام آخر •  
مع ملاحظة : أن القضاء لا يلزم فيه التتابع عند الأئمة الأربعة  
والجمهور لاطلاق قوله تعالى : « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة  
من أيام آخر » (١) •

وأنه لا يطلب أزيد مما أوجب أدائه — عند الأئمة الأربعة  
والجمهور — فمن أفطر متعمدا بلا عذر يلزمه صيام يوم واحد قضاء  
عن اليوم الذي أفطره مع الكفارة ان لزمته •

وأن قضاء رمضان واجب على التراخي عند الجمهور لاطلاق الآية ،  
أى يجوز تأخير قضاء رمضان الى شعبان لعذر • وبه قال العلماء •  
أما تأخير القضاء لغير عذر فهو جائز عند الجمهور ان أفطر لعذر ،  
كمرض ، أو سفر ، أو حيض •

وروى الدارقطني عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال في قضاء رمضان : « ان شاء فرق وان شاء تابع » وان آخر القضاء  
حتى دخل رمضان آخر ، صام رمضان الحاضر ، ثم يقضى بعده ما عليه  
ولا فدية عليه ، سواء أكان التأخير لعذر أو لغير عذر • عند الأحناف ،  
والحسن البصرى •

ووافق مالك والشافعى وأحمد واسحاق الأحناف في أنه لا فدية  
عليه اذا كان التأخير بسبب العذر ، وخالفوهم فيما اذا لم يكن له عذر  
في التأخير فقالوا : عليه أن يصوم رمضان الحاضر ثم يقضى ما عليه  
بعده ، ويفدى عما فاتته عن كل يوم مدا من طعام ، وليس لهم في ذلك

حليل يمكن الاحتجاج به ، فالظاهر ما ذهب إليه الأحناف ، فانه لا شرع الا بنص صحيح .

ومن مات وعليه صيام وكان قد تمكن من صيامه قبل موته فقد اختلف الفقهاء في حكمه ، فذهب جمهور العلماء ومنهم أبو حنيفة ومالك ، والمشهور عن الشافعي : أن وليه لا يصوم عنه ، ويطعم عنه مدا عن كل يوم . وعند الأحناف نصف صاع من قمح وصاعا من غيره . والمذهب المختار عند الشافعية : أنه يستحب لوليه أن يصوم عنه ، ويبرأ به الميت ، ولا يحتاج الى اطعام عنه والمراد بالولى القريب سواء أكان عصة أو وارثا أو غيرهما ، ولو صام أجنبي عنه صح ان كان باذن الولي ، والا فانه لا يصح ، واستدلوا بما رواه أحمد والشيخان عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » زاد البزار لفظ : « ان شاء » .

وأما ما يبطل الصيام ويوجب القضاء والكفارة : فهو الجماع لا غير عند الجمهور ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول الله ، قال : « وما أهلكك » ؟ قال : وقعت على امرأتى في رمضان . فقال : « هل تجد ما تعتق رقبة » ؟ قال : لا . قال : « فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين » ؟ قال : لا . قال : « فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا » ؟ قال : لا . قال : ثم جلس فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بجرق<sup>(١)</sup> فيه تمر ، فقال : « تصدق بهذا » ، قال : فهل على أفقر منا ؟ فما بين لابتيتها<sup>(٢)</sup> أهل بيت أحوج اليه منا ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، وقال : « اذهب فأطعمه أهلك »<sup>(٣)</sup> .

والمرأة والرجل سواء في وجوب الكفارة عليهما — عند الجمهور — ما دام قد تعمدا الجماع مختارين في نهار رمضان ناويين الصيام .

فان وقع الجماع نسيانا أو لم يكونا مختارين بأن أكرها عليه ،

(١) العرق مكيال يسع ١٥ صاعا . (٢) المراد اطراف المدينة .

(٣) رواه الجماعة .

أو لم يكونا نأويين الصيام فلا كفارة على واحد منهما • فان أكرهت المرأة من الرجل أو كانت مفطرة لعذر وجبت الكفارة عليه دونها •

ومذهب الشافعي : أنه لا كفارة على المرأة مطلقا لا في حالة الاختيار ولا في حالة الإكراه • وإنما يلزم فيه القضاء فقط •

ومن جامع عامدا في نهار رمضان ولم يكفر ، ثم جامع في يوم آخر منه فعليه كفارة واحدة عند الأحناف ، ورواية عن أحمد ، لأنها جزاء عن جنائية تكرر سببها قبل استيفائها فتتداخل • وقال مالك والشافعي ورواية عن أحمد :

عليه كفارتان ، لأن كل يوم عبادة مستقلة ، فاذا وجبت الكفارة بافساده لم تتداخل كرمضانين • ومن جامع مرتين في يوم واحد لم يكفر عن الأول عليه كفارة واحدة ، فان كفر عن الجماع الأول لم يكفر ثانيا عند جمهور الأئمة ، وقال أحمد : عليه كفارة ثانية • وقد أجمعوا على أن من جامع في نهار رمضان عامدا وكفر ، ثم جامع في يوم آخر عليه كفارة أخرى ، وترتيب الكفارة عند جمهور العلماء هو نفس الوارد في الحديث السابق ۞

العنق أولا ، فان عجز صام شهرين متتابعين ليس فيهما رمضان ولا أيام العيدين والتشريق • فان عجز عنه أطعم ستين مسكينا من أوسط ما يطعم منه أهله • وقالوا : لا يصح الانتقال من حالة الى أخرى الا اذا عجز عنها • ومذهب المالكية ورواية لأحمد :

أنه مخير بين هذه الثلاثة فأيهما فعل أجزأ عنه •

\* \* \*

# الوصية الثامنة عشرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث :  
بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ،  
وأن أوتر قبل أن أنام .

(رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى)

\* \* \*

فكن أجا الإسلام :

أهلا لتنفيذ هذه الوصية العظيمة التى ان كنت من منفيها كنت  
من أهل الخير والفلاح والنجاح ، وحشرت يوم القيامة مع الأبرار  
« الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ،  
وحسن أولئك رفيقا » (١) . وذلك بطاعتك لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم الذى « ... ما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى » (٢) .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيك فى شخص أبى هريرة  
رضى الله عنه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر فقد رأيت تماما للفائدة  
— وفى ختام هذا العرض السريع الذى وقفت عليه فى الصفحات  
السابقة — أن ألخص لك أقسام الصيام . فأقول وبالله التوفيق :

## الصوم أقسام

- \* فرض معين .
- \* وفرض غير معين .
- \* وواجب معين .
- \* وواجب غير معين .
- \* ومنهى عنه وهو حرام .
- \* ومكروه تنزيها .
- \* وتطوع وهو سنة .

(١) النساء : ٦٦

(٢) النجم : ٣ ، ٤ — بلفظ « وما ينطق » .

وهاك بيانها بايجاز :

١ - الفرض المعين : هو صوم رمضان ، وقد عرفته ووقفت على أهم أحكامه •

٢ - الفرض غير المعين بوقت وهو : صوم الكفارات •

والفرض والواجب قسمان :

ما يلزم فيه التتابع وهو :

صوم رمضان ، وصوم الكفارات التي شرع فيها العتق ككفارة القتل والظهار ، والافطار في رمضان ، وكذا كفارة اليمين عند الحنفيين وأحمد •

وما لا يلزم التتابع فيه وهو : قضاء رمضان ، وكل كفارة لم يشرع فيها عتق - كصوم التمتع والقران - وكفارة جزاء الحلق والصيد ، وصوم النذر المطلق ، واليمين المطلق ، كأن يقول : والله لأصومن شهرا •

٣ - الواجب المعين : كالنذر المعين بوقت كنذر صوم يوم الخميس •

٤ - وغير المعين : كالنذر المطلق ، واتمام صوم التطوع بعد الشروع فيه •

٥ - والمنهى عنه وهو عشرة أنواع :

يوم الشك ، وهو اليوم الذي يلي التاسع والعشرين من شعبان إذا تحدث الناس بالرؤية ولم تثبت أو شهد بها من ردت شهادته لفسق ونحوه • فان لم يتحدث بالرؤية أحد فليس يوم شك ولو كانت السماء مغيمة عند الحنفيين والشافعي •

صوم العيدين : وهو حرام عند مالك ، والشافعي ، وأحمد • وبعض الحنفيين ، ومشهور مذهبهم أن صومهما مكروه تحريما لما فيه من الاعراض عن ضيافة الله تعالى • والثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صومهما •

صوم أيام التشريق : وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر وصومها حرام ولو للمتمتع عند الليث بن سعد وهو المشهور عن الشافعي •

والأصح عند أحمد وبه قال بعض الحنفيين ، ومشهور المذهب أن صومها مكروه تحريماً لما فيه من الاعراض عن ضيافة الله تعالى .

صوم يوم الجمعة : وهو مكروه عند أبي يوسف ، والشافعي ، وأحمد ، إذا أفردته بالصوم الا أن يوافق عادة له . وفي الحديث : « لا يصم أحدكم يوم الجمعة الا أن يصوم قبله أو يصوم بعده » (١) .

افراد يوم السبت أو الأحد بصيام : فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التطوع بصوم يوم السبت ، وأباح صومه مع الجمعة ، وصامه هو مع الأحد ، مخالفة لليهود والنصارى .

صوم الدهر : فقد ورد النهي عن صومه . فيحرم صوم السنة كلها بما فيها أيام العيد ، والتشريق لحديث : « لا صام من صام الأبد » (٢) .

وصال الصوم : وهو صوم يومين فأكثر بلا فطر بينهما قصدا . وهو منهي عنه في حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « اياكم والوصال » قالها ثلاث مرات . . . الحديث (٣) .

الصوم في النصف الثاني من شعبان : فإنه يكره عند الشافعية التطوع في النصف الثاني من شعبان الا صوما اعتاده أو وصله بصوم في النصف الأول .

صوم المرأة وزوجها حاضر : فإنه لا يحل للزوجة أن تصوم تطوعاً وزوجها حاضر الا باذنه فقد ورد في هذا حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لا تصم المرأة يوماً واحداً وزوجها شاهد الا باذنه الا رمضان » (٤) .

وحكمة حرمة ما ذكر على المرأة ، أن زوجها له حق الاستمتاع بها في أي وقت ، وهو واجب على الفور فلا يفوت بالتطوع ، ولا بواجب

(١) أخرجه البيهقي وأبو داود والنسائي . وقال الترمذي : حسن صحيح

(٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه .

(٣) أخرجه مالك وأحمد والبخاري ومسلم والبيهقي .

(٤) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والبيهقي والدارمي .

على التراخي كقضاء رمضان والكفارات والنذر المطلق . ولهذا قالوا :  
 اذا تطوعت المرأة بشيء من ذلك بلا اذن زوجها فله ان يفسده  
 عليها بالجماع ، ويلزمها قضاؤه . وقال بعض الشافعية : يكره تطوعها  
 بصوم وغيره بلا اذن زوجها . والصحيح الحرمة . فلو صامت بلا اذن  
 صح صومها وان كان حراما ، لأن تحريمه لحق الزوج لا لعنى يعود  
 على الصوم . فهو كالصلاة في دار مفصولة ، ثم اذا صامت بلا اذن  
 فلا ثواب لها .

كذلك يكره للضيف أن يتطوع بدون اذن رب المنزل : فقد ورد  
 في حديث شريف : « ... ومن نزل بقوم فلا يصومن الا باذنهم » (١) .  
 وكان ابن عمر اذا أراد أحد أن يصعبه في سفر اشترط عليه ،  
 الا يصحبنا على تمييز خلال ، ولا ينازعنا الأذان ، ولا يصومن  
 الا باذننا (٢) .  
 والنهي فيما ذكر للتزويه (٣) .

#### ٦ - الصوم التطوع :

صوم ستة أيام من شوال : فقد ورد فيه حديث قال فيه الرسول  
 صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال  
 فكأنما صام الدهر » (٤) .

والمعنى : أن من واطب على صيام رمضان وستة أيام من شوال  
 في كل سنة فكأنما صام طول حياته . أما من صام رمضان وستا من  
 شوال سنة واحدة فكأنما صام سنة واحدة لأن الحسنه بعض أمثالها ،  
 ورمضان بعشرة أشهر والستة أيام بشهرين .

(١) من حديث أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير بسند رجاله رجال الصحيح .

(٣) والحكمة من هذه الكراهة هي دفع تخرج أهل المنزل صومه لتقييد

الوقت واحسان الطعام للصائم بخلاف ما اذا كان مفطرا .

(٤) أخرجه أحمد ومسلم والبيهقي والدارمي والأربعة الا النسائي

وقال الترمذي : حسن صحيح .



والحكمة في مشروعية صومها : أنها تجبر ما وقع في رمضان من قتل .

والأفضل : عند الحنفيين والشافعي صومها متوالية عقب يوم الفطر لظاهر قوله صلى الله عليه وسلم : « ثم أتبعه بسبع من شوال » فان فرقها أو أخرها عن أول شوال فقد حصل أصل السنة .  
وقال أحمد : يستوى التتابع وعدمه في الفضل .

صوم شوال والأربعاء والخميس : فقد ورد في هذا حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ، وشوالا ، والأربعاء ، والخميس ، والجمعة ، دخل الجنة » (١) .  
والعنى صم شوالا بعد يوم الفطر ، والأربعاء ، واليومين بعده من كل شهر .

وقد ورد في هذا أحاديث ضعيفة يقوى بعضها بعضها .  
صوم تسع ذي الحجة : فقد ورد أنه يستحب لغير الحاج صيام تسعة أيام من ذي الحجة ففي الحديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة ، ويوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر أول اثنين من الشهر والخميس (٢) .

صوم يوم عرفة : وهو اليوم التاسع من ذي الحجة ويتأكد صومه بغير عرفة ، ففي الحديث :  
« صوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبله ، وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية » (٣) .

قال الترمذي : قد استحب أهل العلم صيام يوم عرفة الا بعرفة .  
ومعنى الحديث : صيام يوم عرفة يكفر ذنوب (٤) السنة الماضية ويحول بين صائمه وبين الذنب في السنة الآتية :  
صوم الحرم : أى يستحب صوم شهر الله المحرم فقد ورد في

(١) أخرجه أحمد وفيه من لم يسم وبقيته رجاله ثقات .

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والبيهقي بسند جيد .

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي من عدة طرق .

(٤) المراد : الذنوب الصغائر عند الجمهور ، لان الكبائر لا يكفرها

الا التوبة أو عفو الله ، فان لم يكن له صفائر خفف عنه الكبائر ان كانت والارفعت درجاته .

الحديث : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » (١) .  
وظاهره أن المراد صيام المحرم بتمامه .

صوم عاشوراء : وهو يوم معظم في الجاهلية والاسلام .

فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم : لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء ، فسئلوا عن ذلك ، فقالوا : هو اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون ونحن نصومه تعظيماً له . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « نحن أولى بموسى منكم » فصامه وأمر بصيامه (٢) .

وقد ورد أنه من السنة صيام عاشوراء واحياؤه بالطاعة والتوسعة فيه على الأهل والأقارب والفقراء بلا تكلف ولا الترام . ففى الحديث : « من وسع على نفسه وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته » (٣)

صوم يوم الاثنين والخميس : فقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم : كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس فقيل له : فقال : « ان الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم — أو لكل مؤمن — الا المتهاجرين (٤) فيقول : أخرهما » (٥) .

صوم ثلاثة أيام من كل شهر : فقد ورد فى الحديث : « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله » (٦) .

وقد دل هذا الحديث مع غيره من الأحاديث الواردة فى هذا : على استحباب صيام ثلاثة أيام غير معينة من كل شهر — عربى — ويؤيده حديث معاذ عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه أحمد ومسلم والأربعة والبيهقى .

(٢) أخرجه الدارمى والسبعة الا الترمذى والدارمى .

(٣) أخرجه ابن عبد البر فى « الاستذكار » والبيهقى فى « الشعب »

على شرط مسلم .

(٤) من الهجر وهو ضد الوصل والمراد : العداوة والبغضاء .

(٥) أخرجه أحمد وابن ماجه بسند صحيح .

(٦) أخرجه أحمد وابن حبان وابن خزيمة والنسائى وابن ماجه

والترمذى ، وزادوا : فأنزل الله تصديق ذلك فى كتابه : « من جاء بالحسنة

فله عشر أمثالها » ( الانعام : ١٦٠ ) — اليوم بعشرة . وحسنه الترمذى .

يصوم ثلاثة أيام من كل شهر • قالت : فقلت من أيه كان يصوم ؟  
فقالت : لم يكن يبالي من أيه كان يصوم (١) •

صوم الأيام البيض : وهى الليالى المقمرة طول الليل ، فقد ورد  
في الحديث : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نصوم  
البيض : ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة • وقال : هى  
كصوم الدهر » (٢) •

صوم ثلاثة أيام متفرقة : فقد ورد أنه يستحب صيام ثلاثة أيام  
من كل شهر موزعة بين الاثنين والخميس وأحدهما مكرر ، أو يصوم  
من كل عشرة أيام يوما • لقول حفصة رضى الله عنها : « كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من الشهر : الاثنين والخميس  
والاثنين من الجمعة الأخرى » (٣) •

صيام ثلاثة أيام معينة : فقد ورد أنه يستحب صيام ثلاثة أيام  
معينة من كل شهر من أوله • أو السبت والأحد والاثنين من أول الشهر •  
ثم الثلاثاء والأربعاء والخميس من أول الشهر الذى بعده • أو الاثنين  
من أوله ثم الخميس والجمعة ، أو ثلاثة من آخره • لحديث ابن مسعود  
رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام  
من غرة كل هلال وقلما يفطر يوم الجمعة » (٤) •

صوم داوود عليه السلام : وهو صوم يوم وافطار يوم وهو  
أحب الصوم وأفضله لأنه أشق على النفس ، فانه لا يعتاد الصيام  
ولا الفطر ، وفاعله يمكنه أن يؤدى حق نفسه وأهله وزائرته أيام فطره  
بخلاف من يتابع الصوم فانه لا يمكنه القيام بهذه الحقوق • فقد ورد  
عن ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الصيام  
صيام داوود عليه السلام ، كان يصوم يوما ويفطر يوما » (٥) •

\* \* \*

(١) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود وابن ماجه والبيهقى والترمذى  
وقال : حسن صحيح •

(٢) أخرجه أحمد وأبو داوود والنسائى وابن ماجه والبيهقى •

(٣) أخرجه أحمد وأبو داوود والنسائى والبيهقى •

(٤) أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والبيهقى والترمذى وقال :

حسن غريب •

(٥) أخرجه البخارى والنسائى وهذا لفظه

فلا تنس كل هذا واحرص على أن تكون من أهل الخير الذي ستكون من أشد الناس حاجة الى ثوابه يوم القيامة ، والله در أبى الورداء رضى الله عنه ، فلقد روى أنه وقف ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه : أليس إذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم . قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون . فقالوا : دلنا على زاده . قال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور .

\* \* \*

وحسبك ترغيبا لك في اعداد هذا الزاد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من صام يوما في سبيل الله زحرج الله وجهه عن النار سبعين خريفا » (١) .

\* \* \*

وأيضا عندما دعا الحجاج أعرابيا ليأكل معه ، قال الأعرابي : دعاني من هو خير منك فلبيته . فقال الحجاج : من هو ؟ فقال الأعرابي : ربي دعاني للصوم فصمت . فقال : كل اليوم وصم غدا . فقال الأعرابي : أتضمن لي الحياة لغد ؟ فقال الحجاج : لا . فقال الأعرابي : فكيف أبيع حاضرأ بأجل ؟ فقال الحجاج : انه طعام لذيذ طيب . فقال الأعرابي : والله ما طيبته أنت ، ولا طيبه ظاهيك ، وإنما طيبته العافية . فقال الحجاج : صدقت . ولكن اليوم شديد الحر . فقال الأعرابي : وأنا صمت ليوم أشد منه حرا . فقال الحجاج : ان فطرك اليوم خير ، فقال الأعرابي : « وأن تصوموا خير لكم ، ان كنتم تطعمون » (٢) فقال الحجاج : هديت يا رجل فانصرف راشدا .

\* \* \*

ويؤيد هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى على سرية في البحر ، فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة اذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة . فقفا أخبركم بقضاء الله على نفسه . فقال أبو موسى : أخبرنا ان كنت مخبرا . قال : ان الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم حار سقاه الله يوم العطش ، وكان حقا على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة . قال راوى الحديث :

فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الانسان ينسلخ فيه حرا فيصومه (١) .

\* \* \*

وربك لو أبصرت قوما تتابعن عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا لأبصرت قوما حاربوا النوم وارتدوا بأردية التسهاد والقرموا السهدا وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا على بلغ الأوقات واستعملوا الكدا أولئك قوم أحسن الله فعلهم وأبدلهم من حسن فعلهم الخلدا فياطالب الحوراء في خدرها وطالبها ذلك على قدرها انهض بجد لا تكن وانيا وجاهد النفس على صبرها وقم اذا الليل بدا وجهه وشم نهارا فهو من مهرها

\* \* \*

مع ملاحظة :

أنه لم يثبت من طريق صحيح في صوم رجب نهى ولا ندب الا ما ورد في الترغيب في صوم الأشهر الحرم وهو منها .

وأن صوم نصف شعبان لعينه لم يرد به نص ثابت ولا أصل يعتمد بل يكره تخصيصه بالصوم .

وأنه يستحب صوم شعبان كله أو جله لحديث أم سلمة رضى الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصله برمضان (٢) .

\* \* \*

وأما عن ركعتي الضحى فقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة نذكر منها ما يلي :

عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يصبح على كل سلامى (٣) من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر

(١) أخرجه البزار وابن أبي الدنيا .

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي .

(٣) عظامه وبفاصله .

بالمعروف صدقة ، ونهى عن النكر صدقة ، ويجزى<sup>(١)</sup> من ذلك ركعتان  
يركعهما من الضحى<sup>(٢)</sup> .

وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الانسان  
ستون وثلاثمائة مفصل عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة »  
قالوا : فمن الذى يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « النخامة في المسجد  
يدفنها أو الشيء الذى ينحيه عن الطريق ، فلن لم يقدر فركعتا الضحى  
تجزى عنه »<sup>(٣)</sup> .

وهى عبادة مستحبة يبتدىء وقتها بارتفاع الشمس قدر زرع  
وينتهي حين الزوال ، والمستحب أن تؤخر الى أن ترتفع الشمس  
ويشتد الحر .

وأقل ركعاتها اثنتان ، وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : ثمانى ركعات ، وأكثر ما ثبت من قوله اثنتا عشرة ركعة .  
وقد ذهب قوم الى أنه لا حد لأكثرها .

وعن أم هانئ : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى سبعة  
الضحى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

وأما عن الوتر :

فقد سبق الحديث عنه<sup>(٥)</sup> وحسبك أن تذكر هذا الحديث الشريف :  
« من ظن منكم أن لا يستيقظ آخره<sup>(٦)</sup> فليوتر أوله ، ومن ظن منكم  
أنه يستيقظ آخره فليوتر آخره فان صلاة الليل محضورة<sup>(٧)</sup> وهى  
أفضل »<sup>(٨)</sup> .

\* \* \*

(١) أى يكفى .

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

(٣) رواه أحمد وأبو داود .

(٤) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

(٥) فى الجزء الثانى من « وصايا الرسول ﷺ »

(٦) أى الليل .

(٧) أى تحضرها الملائكة .

(٨) رواه أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه .

## الجزء الخامس

# الوصية التاسعة عشرة

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« جاهدوا في سبيل الله ، فان الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجى الله تبارك وتعالى به من الهم والغم » .

( رواه أحمد واللفظ له ، ورواه ثقات . والطبرانى فى « الكبير » و « الاوسط » والحاكم وصححه اسناده )

\* \* \*

فكن أبا الاسلام :

من المجاهدين فى سبيل الله ، الذين تعاقدوا مع الله سبحانه وتعالى فاشتروا منهم « . . . أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله » (١) فكانوا أهلا لبشارة الله سبحانه وتعالى فى قوله بعد هذا : « فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » (٢) .

وحسبى ترغيبا لك فى خوض معركة الشرف والصمود فى وجه أعدائنا المعتدين أن أسوق اليك فى أول هذا العرض الموضوعى قول الله تبارك وتعالى :

« ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم » (٣) .

« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » (٤) .

(٢) التوبة : ١١١

(٤) الانفال : ٧٢

(١) التوبة : ١١١

(٣) البقرة : ٢١٨

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا  
ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا » (١) .

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم  
أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه  
ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ، أن الله عنده  
أجر عظيم » (٢) .

« وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم . . . » (٣) .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . . . » (٤) .

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ،  
فلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (٥) .

\* \* \*

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

عن سهل بن سعد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : « رباط (٦) يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ،  
وموضع سنوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة (٧)  
يروحها العبد في سبيل الله ، أو الغدوة (٨) خير من الدنيا وما عليها » (٩) .  
عن سلمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وأن مات فيه  
جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن من  
الفتان (١٠) » (١١) .

(٢) التوبة : ٢٠ - ٢٢

(٤) المنكوت : ٦٩

(١) الأنفال : ٧٤

(٣) الحج : ٧٨

(٥) التوبة : ٤١

(٦) الرباط : مصدر بمعنى الرابطة وهي الإقامة في الشئ تجاه العدو  
للحراسة .

(٨) الغدوة : هي المرة الواحدة من الذهب .

(٩) رواه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم .

(١٠) والمراد أن الرباط بعد الموت لا يستل في قبره من منكر ونكير .

أو يسلم من وسوسة الشيطان واغوائه عند الموت ، ويكون المراد من الفتان  
الشيطان .

(١١) رواه مسلم واللفظ له ، والترمذى والنسائى والطبرانى ، وزاد :

« وبعث يوم القيامة شهيدا » .



عن أبي أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أن صلاة المرابط تعدل خمسمائة صلاة ، ونفقة الدينار والدرهم منه أفضل من سبعمائة دينار ينفقه في غيره » (١) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » (٢) .

عن أبي أمامة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من رجل يغير وجهه في سبيل الله الا آمنه الله دهان النار يوم القيامة ، وما من رجل تغبر قدماه في سبيل الله الا آمن الله قدميه النار يوم القيامة » (٣) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رمى بسهم في سبيل الله ، كان له نورا يوم القيامة » (٤) .  
عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الأيمان بالله والجهاد في سبيل الله » (٥) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » (٦) .

عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل ميت يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله ، فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ، ويؤمن من فتنة القبر » (٧) .

عن أنس رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أجر الرباط فقال : « من رباط ليلة حارسا من وراء المسلمين كان له أجر من خلفه ممن صام وصلى » (٨) .

\* \* \*

- 
- (١) رواه البيهقى .  
(٢) رواه الطبرانى والبيهقى .  
(٣) رواه البخارى ومسلم .  
(٤) رواه البزار بإسناد حسن .  
(٥) رواه البخارى .  
(٦) رواه البخارى .  
(٧) رواه أبو داود والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، والحكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، وابن حبان فى صحيحه .  
(٨) رواه الطبرانى فى « الأوسط » بإسناد جيد .

## فرضية الجهاد

الجهاد : مصدر جاهد جهادا ومجاهدة ، بمعنى بذل وسعه ، وهو مأخوذ من الجهد - بفتح الجيم - بمعنى المشقة ، أو بمعنى الطاقة والاستطاعة ، يقال : بذل في الأمر جهده ، قال تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم ۝۰۰ » (١) أى بالغوا في اليمين واجتهدوا .

ولم يشرع الجهاد الا بعد الهجرة ، فقد كان المسلمون في مكة مأمورين بأن يكفوا أيديهم ويقابلوا أذى المشركين بالعفو والصبر ، فلما هاجروا الى المدينة وانضموا الى اخوانهم الأنصار قويت شوكتهم ، واُستد جناحهم فأذن لهم حينئذ في القتال انتقاما ممن ظلموهم بمكة ولكنه لم يفرض عليهم وفي ذلك يقول تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » (٢) . ثم فرض عليهم بعد ذلك قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم وفي ذلك يقول تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ۝۰۰ » (٣) ثم فرض عليهم بعد ذلك قتال المشركين كافة كما يقاتلونهم كافة ، وفي ذلك يقول تعالى : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ۝۰۰ » (٤) . تلك هي مراتب ومسروعات الجهاد الذي كان في أول الأمر محرما ، ثم صار مأذونا فيه ، ثم بأمرنا به لجميع المشركين . والمشهور أنه فرض كفاية .

والدليل على هذا هو : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغزو بنفسه تارة ، وتارة يرسل غيره ويكتفى ببعض المسلمين ، وتارة كانت سراياه وبعوثه متعاقبة والمسلمون بعضهم في الغزو وبعضهم في المدينة .

وقد ذهب الجمهور الى أنه فرض كفاية .

وقال الماوردي : أنه كان فرض عين على المهاجرين دون شيعتهم .

وقال السهيلي : كان عينا على الأنصار ، وقال ابن المسيب :

أنه فرض . والصحيح مذهب الجمهور ، وذهب ابن القيم الى أن جنس الجهاد فرض عين ، وأما الجهاد بالنفس ففرض كفاية .

\* \* \*

(٢) الحج : ٢٩

(٤) التوبة : ٣٦

(١) النور : ٥٣

(٣) البقرة : ١٩٠

## أقسام الجهاد

وينقسم الجهاد من حيث المعنى العام الى ثلاثة أقسام :

- الأول : جهاد النفس من الشيطان .
- الثانى : جهاد أهل الفسوق والعصيان .
- الثالث : جهاد للكفار .

\* \* \*

فأما عن النفس والشيطان فهما من ألد أعداء الانسان ، وهما من أهم أسباب شقائه فى هذه الحياة الأولى وفى هذا يقول أحدهم معبرا عن هذا الشقاء الذى نلمسه جميعا ، وربما نعيش فيه :

انى ابتليت بأربع ما سلطوا الا لشدة شقوتى وعنائى  
ابليس والدنيا ، ونفسى ، والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائى

وحسبنا اذا أردنا أن نعرف خطورة النفس أن نقرأ قول الله تعالى :  
« وما أبرئ نفسي ، ان النفس لأمارة بالسوء » (١) وقول الرسول  
صلى الله عليه وسلم — ان صح هذا الحديث — بعد رجوعه من إحدى  
غزواته (٢) : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » قالوا :  
وما الجهاد الأكبر ؟ قال : « جهاد النفس » .

ولهذا كان لابد اذا أراد الانسان أن يتغلب على عدوه ، أن يتغلب  
أولا على نفسه وهواه حتى اذا ما دعى داعى الجهاد للملاقاة العدو  
المعتدى على كرامته ووطنه كان بطلا جسورا ، وأسدا مغوارا فى وجه  
أعدائه .

فالبطل اذن : هو الذى يطلب الموت لتوهب له الحياة ، وهو الذى  
لا يبالي بكل هذه المتع الرخيصة التى تترينها له نفسه الأمارة ، فى سبيل  
الوصول الى الهدف الأسمى وهو الانتصار على عدوه الغادر اعلاء لكلمة  
الله ورفعته لوطنه ، وتأمينا له .

والصحابية الفضلاء ما انتصروا بقيادة قائدهم الأعلى صلوات  
الله وسلامه عليه على أعدائهم — أعداء الدين — الا بعد أن نقاهم الرسول  
صلى الله عليه وسلم ، وطهر قلوبهم من الغل والحسد ، وربط بين هذه  
القلوب الطاهرة برباط الأخوة الخالصة التى أساسها الحب لله تحت

(٢) قيل : هى غزوة تبوك .

(١) يوسف : ٥٢

شعار قول الله تعالى : « انما المؤمنون اخوة ٠٠٠ » (١) ولهذا كانوا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم في كتابه :

« ٠٠٠ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (٢) وكانوا أيضا كما وصفهم الله تعالى : « أشداء على الكفار رحماء بينهم ٠٠٠ » (٣) .

ومن هنا كان لا بد اذا أردنا أن نكون كهؤلاء الرجال : أن نسير على منوالهم ونتخلق بأخلاقهم القويمه التي ما تربعت على قلوبهم الا بعد أن طهروها من حب الدنيا وكراهية الموت ، لأنهم كانوا يمشون هدفا أسمى رغبهم الله سبحانه وتعالى فيه بعد قوله : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » (٤) ثم قال : « قل أونبئكم بخير من ذلكم ، الذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد » (٥) .

ولهذا كانت الدنيا بكل ما فيها من شهوات لا وجود لها في قلوبهم ، ولا بريق لها في مخيلتهم . وما كان كل هذا الا نتيجة لما رأوه من قدوتهم الكامل صلوات الله وسلامه عليه الذي كان يزهدهم دائما وأبدا في حب الدنيا قولا وعملا ، كما كان يرغبهم أيضا في أعمال البر والمسارة الى الأسباب التي تقربهم الى الله ، وتذكرهم به ، فكانوا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم في حديث قدسى :

« ٠٠٠ رهباناً (٦) بالليل ، ليوثاً (٧) بالنهار ، ينادى مناديهم في جو السماء (٨) ، لهم دوى كدوى النحل ٠٠٠ » (٩) .

فكانت النتيجة الحتمية لهذه النماذج الأخلاقية النادرة أن انتشر الاسلام وذاع وشاع حتى ملأ البقاع ، وحتى دانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب ، وكان فضل الله عليهم عظيماً .

(٢) الحشر : ٩

(٤) آل عمران : ١٤

(٦) أى عبادة بالليل .

(٧) أى أسودا بالنهار في مواعيد العمل .

(٩) كناية عن قراءة القرآن .

(١) الحجرات : ١٠

(٣) الفتح : ٢٩

(٥) آل عمران : ١٥

(٨) كناية عن الأذان .

قالاسلام : ما غزا شبه الجزيرة العربية وما انتصر على دولتي  
الفرس والروم الا بهؤلاء الرجال الذين انتصروا على أنفسهم وباعوها  
له الذي تفضل عليهم بنعمة الاسلام الذي لولاه لظلوا الى ما شاء الله  
يتخبطون في ظلمات الجهل ، ويعبدون الأحجار والأبقار ، ويقتلون البنات  
مخافة الفاقة والعار .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذه المنة فقال في كتابه العزيز :  
« لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم  
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال  
مبين » (١) .

ولما كان هؤلاء الرجال الأبطال قد أدوا واجبهم المقدس نحو  
دينهم ووطنهم وتركوا الاسلام أمانة في أعناقهم ، كان لابد وأن نكون  
أهلا للمحافظة على هذه الأمانة التي تهون في سبيلها الدنيا بأجمعها .  
وذلك بالمجاهدة المستمرة مع النفس بكبح جماحها ، والسيطرة  
عليها حتى لا نكون مطية لها ، ونخسر كل شيء بسببها .

وحتى لا يحدث ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله :  
« ما ظهر الغلول (٢) في قوم الا ألقى الله في قلوبهم الرعب ، ولا فشا  
الزنا في قوم الا كثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم الكيال والميزان  
الا قطع عنهم الرزق ، ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم  
ولا ختر (٣) قوم بالمهد الا سلب الله عليهم عدوهم » (٤) .

وقوله : « يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة على  
قصعتها » فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ،  
ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ،  
وليقذفن في قلوبكم الوهن » قال قائل : يا رسول الله .. وما الوهن ؟  
قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » (٥) .

\* \* \*

(١) آل عمران : ١٦٤

(٢) الغلول : الخيانة في المغنم وغيره وفي التنزيل العزيز : « ومن يغفل

يات بما غل يوم القيامة » (آل عمران : ١٦١) .

(٣) ختر قوم بالمهد : أي غدروا به ونكثوا .

(٤) رواه مالك .

(٥) رواه أبو داود والبيهقي في « دلائل النبوة » .

فجاهد هواك حتى لا تقع في هذه المخالفات التي تغضب الله رب العالمين والتي ان حدثت كانت وبالاً عليك وعلى أمتك .  
 مع ملاحظة أن الايمان الذي هو من أهم أسباب النصر على الأعداء كما جاء في قوله تعالى : « ٠٠٠ وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (١) :  
 لن يكون حقيقة لموسى الا بمجاهدة النفس والسيطرة عليها .  
 ولذا تراه سبحانه وتعالى في حديثه عن المؤمنين يقول :  
 « **التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله** » (٢) .  
 لهذا ومن أجل هذه الصفات التي من أهمها المحافظة على حدود الله ، وعدم تعديها حتى لا يظلموا أنفسهم تنفيذا لقول الله تعالى :  
 « **تلك حدود الله فلا تقربوها** » (٣) وهم يذكرون قوله تعالى : « **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** » (٤) بشرهم الله سبحانه وتعالى بقوله :  
 « **وبشر المؤمنين** » (٥) .

\* \* \*

وحتى تكون من هؤلاء المبشرين في هذه الآية الكريمة ، وحتى تكون من المؤمنين حقا : اليك هذا الوصف الدقيق للمؤمن كما وصفه سيد المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه :

« **المؤمن من آمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم** » (٦) .  
 « **المؤمن كله منفعة : ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ، وان ماشيته نفعك ، فأمره كله منفعة** » (٧) .

\* \* \*

ويقول أحد المؤمنين في وصف المؤمن :

« **المؤمن رؤيته شفاء ، وموعظته دواء ، ينتفع برؤيته قبل روايته ، وخيره بادر ، وشره نادر** » .  
 « **المؤمن قليل الكلام كثير العمل ، والمناقق كثير الكلام قليل العمل** » .  
 « **المؤمن بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، أوسع صدرا ، وأخفى**

(٢) التوبة : ١١٢

(٤) الطلاق : ١

(٦) حديث صحيح .

(١) الروم : ٤٧

(٣) البقرة : ١٨٧

(٥) التوبة : ١١٢

(٧) حديث صحيح .

نفسا ، زاجرا عن كل شر ، أمرا بكل خير ، لا حقود ، ولا حسود ،  
 ولا مرتاب ، ولا سباب ، ولا غياب ، يكره الرفعة ، ويبغض السمعة ،  
 طويل الهم<sup>(١)</sup> كثير الغم<sup>(٢)</sup> حليف الصمت<sup>(٣)</sup> عزيز الوقت<sup>(٤)</sup> ،  
 لا متفاخر ، ولا متهتك ، ولا متكبر ، ضحكه تبسم ، واستفهامه تعلم ،  
 ومراجعته تفهم ، لا يبخل ، ولا يعجل ، ولا يضجر ، ولا يجهل ،  
 قليل المنازعة ، جميل المراجعة ، عدل ان غضب ، رفيق ان طلب ، خليص  
 الود ، وثيق العهد ، وفى الوعد ، شفوق وصول ، حلیم حمول ، قليل  
 الفضول<sup>(٥)</sup> ، راض عن مولاه ، مخالف لهواه ، لا يغلظ على من يؤذيه ،  
 ولا يخوض فيما لا يعنيه ، ان سب وأوذى لم يسب ، وان طلب ومنع  
 لم يغب ، ولا يشمت بمصيبة ، ولا يذكر أحدا بغيبة ، هشاش بشاش ،  
 لا فحاش ولا غشاش ، كظام بسام ، دقيق النظر ، عظيم الحذر ، فهذا  
 هو المؤمن حقا»<sup>(٦)</sup> .



فاحرص أذا الاسلام على أن تكون متمتعا بهذه الصفات الحميدة  
 وذلك بمجاهدتك لنفسك .  
 واحذر أن يقودك الشيطان الرجيم الى الهاوية التى ان هويت  
 فيها كنت مع الهالكين .

وحسبك تحذيرا لك من كيدته وترغيبا لك فى مجاهدته أن تعلم  
 أنه عدوك اللدود الذى أقسم بعزة الله سبحانه وتعالى على اغوائك  
 فقال مخاطبا رب العزة : « فبعزتك لأغوينهم أجمعين »<sup>(٧)</sup> .  
 ولذلك حذرنا الله سبحانه وتعالى منه ومن كيدته فقال : « يا بنى آدم  
 لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما  
 ليريهما سوءاتهما ، أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا  
 الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون »<sup>(٨)</sup> .

(١) أى دائما وأبدا مهموما بأمر الآخرة وما يتعلق بها .

(٢) أى فى الدنيا اذا رأى ما يغبض الله سبحانه وتعالى تراه دائما

وأبدا مقاتلا .

(٤) أى وقته ثمين .

(٣) أى لا ينطق الا بالكلمة المثمرة .

(٦) لذى النون المصرى .

(٥) أى لا يتدخل فيما لا يعنيه .

(٨) الاعراف : ٢٧

(٧) سورة ص : ٨٢

فجاهد هذا اللعين واحذر أن يكون وليا لك ، واذا أردت أن تتغلب عليه وتتحصن منه فعليك بالاستغفار والاكثار من ذكر الله تعالى الذى يقول : « ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو لهقرين » (١) ويعيش : أى يغفل .

وقد روى أنه لما نزل قوله تعالى : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » (٢) صاح ابليس ودعا بالويل والثبور ، فاجتمعت عليه شياطينه وقالوا له : مالك ؟ قال : نزلت آية لا يضرب بعدها ذنب ، وذكرها لهم فقالوا : نفتح لهم باب الأهواء وتحسين الأعمال حتى لا يتوبوا ، غفرح بذلك .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا . . . واياك أن تكون من الذين تحدث الله عنهم فقال : « وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » (٣) . وضع نصب عينيك دائما وأبدا حتى لا تضل أو تزل ، قول الله تبارك وتعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » (٤) . وحتى لا تقع فى شباك الشيطان وتغزوه قبل أن يغزوك ، لا بد وأن تتحصن كذلك بالعلم النافع :  
فقد ورد فى الحديث الشريف : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » .

لأنه بدون العلم يتخبط الانسان فى ظلمات الجهل وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، فيكون بهذا من « . . . الأخرسين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (٥) وكما يقول القائل :

ولولا العلم ما سعدت نفوس ولا عرف الحلال من الحرام

\* \* \*

وحتى يتضح لك أهمية العلم ، اليك هذين الأثرين بالاضافة الى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة فى فضل العلم وأهله :  
قال معاذ بن جبل رضى الله عنه : تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه

(٢) الأنفال : ٣٣

(٤) البقرة : ١٦٨

(١) الزخرف : ٣٦

(٣) النمل : ٢٤

(٥) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ — بلفظ « بالأخرسين » .



من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس في الوحدة ،  
 والصاحب في الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء  
 والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والتقريب عند الغرباء ومنار سبيل  
 الجنة ، ويرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى  
 بهم ، أدلة في الخير ، تقتص آثارهم ، وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة  
 في خلقهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر ،  
 حتى حيطان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها ،  
 لأن العلم حياة القلوب من العمى ، ونور الأبصار من الظلم ، وقوة  
 الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلا ،  
 والتفكير فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل ،  
 وبه يهجد ، وبه يوحد ، وبه يمجّد ، وبه يتورع ، وبه توصل الأرحام ،  
 وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو امام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء  
 ويحرمه الأستياء .

وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه لكميل :

يا كميل .. العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس  
 المال ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة ،  
 والعلم يزكو بالانفاق .

ولهذا كان يقول نظما :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى أدلاء  
 وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء  
 ففز بعلم تعش حيا به أبدا والناس موتى وأهل العلم أحياء

\* \* \*

وحتى يتضح لك خطورة الجهل ، والفرق الشاسع بين الجاهل  
 والعالم ، وتعرف معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قرأته  
 في السطور السابقة وهو : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف  
 عابد » (١) .

اليك هاتين القصتين الهادفتين :

روى أن عبدا من بنى اسرائيل كان يعبد الله سبحانه وتعالى في  
 صومعة فوق الجبل وذات يوم خرج كعادته لكى يتجول متأملا في

ملكوت الله تعالى حول صومعته ، وأثناء تجوله هذا رأى في طريقه جثة آدمى تنبعث منها رائحة كريهة ، فمال العابد الى اتجاه آخر حتى يتفادى شم هذه الرائحة . عند ذلك ظهر له الشيطان في صورة رجل من الصالحين الناصحين. وقال له : لقد تبخرت حسناتك ولم يعد لك رصيد منها عند الله . فقال له العابد : ولم ؟ قال : لأنك أبيت أن تشم رائحة آدمى مثلك .

وعندما ظهر الألم على وجه العابد ، قال له الشيطان مشفقاً وناصحاً : اذا أردت أن يغفر الله لك زلتك فاعني ناصحك بأن تصطاد فأراً جبلياً وتعلقه في رقبتك على أن تعبد الله به طوال حياتك . ونفذ العابد الجاهل نصيحة الشيطان الذي كان يتحين له الفرص ، فاضطاد الفأر الجبلي وظل يتعبد به حاملاً النجاسة أكثر من ستين عاماً الى أن مات .

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال معلقاً على هذا الخبر : « مسألة علم — وفي رواية : مجلس علم — خير من عبادة ستين سنة » .

وقد روى أن سيدي عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه كان يمشى ذات يوم في الصحراء فترأى له نور عظيم في الأفق ، ثم سمع صوتاً ينادى : يا عبد القادر . فقال له : يا عبد القادر . فقال له : اخساً يا لعين . فاذا بهذا النور ينقلب ظلاماً ، واذا بالصوت يقول له : يا عبد القادر . . . لقد نجوت منى بعلمك بأمر ربك وفقهك في أحوال منازلتك ، ولقد أضلت بمثل هذه الواقعة سبعين من كبار العباد ، ولولا علمك لأضلت مثلهم .

ثم اليك كذلك ما جاء في كتاب « أدب الدنيا والدين » للحسن البصرى عليه رضوان الله حتى يتنبه أيضاً لمداخل الشيطان وتعمل دائماً وأبداً على مجاهدته بالعلم والعمل :

روى أن عيسى عليه السلام كان ذات يوم يقف فوق الجبل فجاءه ابليس وقال له : أأستم تقولون ان الانسان اذا أراد الله له الموت لا بد من موته ؟ قال : نعم . قال : والا ؟ قال : فلن يموت . عند ذلك قال ابليس عليه لعنة الله لسيدنا عيسى عليه السلام : اذن فاقذف بنفسك من فوق الجبل فان كان الله قد أراد لك الموت فستموت ، والا فلا . . .

نقال له سيدنا عيسى : اخساً يا لعين ، ان الله تعالى أن يمتحن عبده ، وليس للعبد أن يمتحن ربه •

كما روى كذلك أن الشافعي عليه رضوان الله كان يجلس ذات يوم في مجلس الدرس فاذا بابليس عليه لعنة الله يجلس بين تلاميذه في صورة رجل منهم ثم يوجه اليه هذا السؤال الآتي :

ما قولك فيمن خلقتي كما اختار ، واستخدمني فيما اختار ، وبعد ذلك ان شاء أدخلني الجنة ، وان شاء أدخلني النار ... أعدل في ذلك أم جار ؟

وبنور من الله عرفه الشافعي ، ولهذا أجابه قائلاً :

يا هذا .. ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك ، وان كان خلقك لما يريد هو فلا يستل عما يفعل •

فلاحظ كل هذا ...

وخالف النفس والشيطان واعصهما وان هما محضاك النصح فاتهم ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

\* \* \*

وأما عن المرتبة الثانية من مراتب الجهاد وهي :

مجاهدة أهل الفسوق والعصيان فهي أيضا من أهم واجبات المسلم نحو دينه ووطنه :

لأن الأخلاق اذا انحطت وصارت خطا ما كانت سببا كبيرا في ضياع الأمم وفي هذا يقول شاعرنا :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
كما يقول :

واذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا  
ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (١) •

ومن هنا كان لا بد وأن نحافظ على هذا الخلق الكريم الذي هو أساس نهضتنا وسعادتنا ، وهو عنوان أمتنا ، وكرامتنا ، والذي من أهمه الالتزام بمبادئ ديننا السامية الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي خلاصتها قول الله تعالى :

(١) حديث صحيح .

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » (١) .  
 وقوله : « والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (٢) .  
 وقول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وقف على ناس جلوس فقال لهم :

« ألا أخبركم بخيركم من شركم » ؟ قال أبو هريرة - راوى الحديث - : فسكتوا ، فقال ذلك ثلاث مرات ، فقال رجل : بلى يا رسول الله ، أخبرنا بخيرنا من شرنا ، فقال : « خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره ، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره » (٣) .  
 وقوله : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا - ويشير الى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » (٤) .

وقوله : « المؤمنون كرجل واحد ، ان اشتكى عينه اشتكى كله ، وان اشتكى رأسه اشتكى كله » (٥) .

وقوله لأبى ذر رضى الله عنه : « اتق الله حيثما كنت ، وجميع البيئة الحسنة تمحها ، وخالف النلس بخلق حسن » (٦) .

ولهذا كانت الصلاة التى هى عماد الدين كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم أساسا لهذا الخلق الكريم ، وفى هذا يقول تعالى :  
 « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (٧) .

وكذلك الصيام ما كتبه الله علينا كما كتبه على الذين من قبلنا الا لكى نتعود عن طريقه مراقبة الله تعالى فى جميع أعمالنا الدنيوية والأخروية وفى ذلك يقول تعالى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٨) .

(٢) سورة العصر .

(١) النحل : ٩٠

(٣) رواه الترمذى والبيهقى فى « شعب الايمان » ، وقال الترمذى :

هذا حديث حسن صحيح .

(٥) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

(٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٨) البقرة : ١٨٣

(٧) المنكوت : ٤٥

وأيا الزكاة ما شرعت الا لتطهيرنا وتزكيتنا ، وفي ذلك يقول تعالى :  
**« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »** (١) .  
 وكذلك الحج لا بد وأن يكون الحاج فيه مجتنباً للرفث والفسوق  
 والجدال .

وفي ذلك يقول تعالى : **« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق  
 ولا جدال في الحج »** (٢) .

ولهذا كانت كل هذه العبادات مرفوضة عند الله سبحانه وتعالى الذي  
**« يعلم السر وأخفى »** (٣) اذا لم تؤد الهدف الأسمى من مشروعيتها .  
 وحسبنا اذا أردنا دليلاً على هذا أن نقرأ مثلاً قول الله تعالى  
 في حديث قدسي : **« انما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ،  
 ولم يستطل على خلقي ، ولم يبيت مصراً على معصيتي ، وقطع النهار  
 في ذكرى ، ورحم المسكين ، وابن السبيل ، والأرملة ، ورحم المصاب ،  
 ذلك نوره كنور الشمس ، أكلؤه بعزتي ، وأستحفظه ملائكتي ، أجعل  
 له في الظلمة نورا ، وفي الجهالة حلماً ، ومثله في خلقي كمثل الفردوس  
 في الجنة »** (٤) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **« من لم يدع قول الزور  
 والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »** (٥) .  
 وقول الله تعالى : **« لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى »** (٦) .  
 وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **« من حج ، فلم يرفث ،  
 ولم يفسق : رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »** (٧) .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا مع ملاحظة قول الرسول صلى الله عليه وسلم :  
**« ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء ، وان أحسن  
 الناس اسلاماً ، أحسنهم خلقاً »** (٨) .

\* \* \*

(١) التوبة : ١٠٣ .  
 (٢) البقرة : ١٩٧ .  
 (٣) البقرة : ١٧٧ .  
 (٤) أخرجه البزار عن ابن عباس .  
 (٥) رواه البخاري وأحمد والترمذي وأبو داود .  
 (٦) البقرة : ٢٦٤ .  
 (٧) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه الا انه قال : **« غفر  
 له ما تقدم من ذنبه »** .  
 (٨) رواه الترمذي .  
 (٢٥) — من وصايا الرسول (

وأنه ليس من الاسلام :

أن يكون المرء نماما ، أو مغتابا ، أو لعائنا ، أو سبابا ، أو غائسا ،  
أو خائنا .

أن يكون المرء ناقضا للعهد مخلفا للوعد ، متكبيرا جبارا عنيدا  
مماطلا في حقوق الناس .  
وانما المسلم الحق :

من أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا .

من أسلم المسلمون من لسانه ويده بحفظ العرض ، والدم ،  
والمال .

من لا يحرف الكلم عن مواضعه ، بل يحل الحلال ويحرم الحرام .

من تراه واقفا عند حدود الشرع ممثلا أمر ربه تعالى .

من اذا ذكر الله وجل قلبه ، وخشعت نفسه ، وفاضت عينه .

من آمن بكل ما جاء به القرآن الكريم علما وعملا .

من يعرض عن اللغو والباطل ، ويرعى العهد والميثاق .

من يرضى بحكم الله وقضائه وبحكم رسوله صلى الله عليه وسلم  
في كل فعله وقوله .

من يتخذ المؤمنين أولياءه واخوانه وأعوانه .

من يمقت الذلة والمهانة ، ولا يابى الا العزة والكرامة .

من يلتزم الصدق ولا ينكر الحق ولو على نفسه .

من لا سلطان للشيطان عليه ، بل السلطان عليه هو الضمير .

من يهجر المناهى والملاهى ، وكل ما لا يرضى العاقل .

من يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لها .

\* \* \*

ولا تنس قوله تعالى : « انه من يات ربه مجرما فان له جهنم  
لا يموت فيها ولا يحيا . ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك  
لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ،  
وذلك جزاء من تركى » (١) .

\* \* \*

واحرص على أن تكون متخلقا بهذه الأخلاق الكريمة ، وكن قدوة  
صالحة لغيرك حتى تكون أهلا لاعلاء كلمة الله .  
والا كان وعظك وارشادك لهم لا تأثير له ، لأنه كما يقولون :  
« اذا خرج الكلام من القلب وصل الى القلب ، أما اذا خرج من  
اللسان فلا يتجاوز الأذان » ولن يخرج الكلام من القلب الا اذا كان  
هذا القلب عامرا بالايمان ، ومشحونا بشحنة كبيرة من هدى القرآن ،  
وسنة النبي العدنان صلوات الله وسلامه عليه . وحسبك تذكيرا لك  
أن تقرأ قول الله تعالى :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » (١) .

وقوله : « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٢) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى بى بقوم  
تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : كنا  
نأمر بالخير ولا نأتيه ، وننهي عن الشر ونأتيه » (٣) .  
ثم ما قاله الله سبحانه وتعالى لسيدنا عيسى عليه السلام كما  
ورد في الأثر : « يا عيسى .. عظ نفسك ، فان اتعظت فعظ الناس  
والا فاستحي منى » .

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم  
ابدأ بنفسك فأنهها عن غيرها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

\* \* \*

وإذا كان هناك من يحيد عن هذا الخط المستقيم والخلق القويم :  
فهو خطر علينا وعلى أمتنا ، بل وعضو فاسد في مجتمعنا ، من الواجب  
على كل مسلم أن يقاومه ويجاهده :

بيده : اذا كان حاكما ، لأنه وحده الذى يملك السلطة والقوة .

ولسانه : اذا كان عالما بالكتاب والسنة ويستطيع أن يبرهن

على كلامه بالدليل العقلى والنقلى .

وقلبي : اذا لم يكن سلطانا أو عالما ، وليس فى استطاعته أن يفعل

شيئا غير هز رأسه وتضرعه الى الله سبحانه وتعالى قائلا ودموعه

(٢) الصف : ٣

(١) البقرة : ٤٤

(٣) جزء من حديث صحيح .

تتساقط من عينيه ، وقلبه يتمزق ألما وحسرة : اللهم ان هذا عمل باطل فغيره .

وبهذا يأمرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فيقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع ، فبقلبه وذلك أضعف الايمان » (١) .

فقد ورد في هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم » (٢) .

كما ورد أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، ويقدر أن يغيروا عليه ولا يغيرون ، إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا » (٣) .

وأیضا : « ان الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا المنكر بين ظهرانيتهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروا ، فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة » (٤) .



وإذا كان هناك من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر مستندا الى قول الله تبارك وتعالى : « عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » (٥) فالله هذا الحديث : عن أبي ثعلبة في قوله تعالى : « عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » فقال : أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذي رأى برأيه ، ورأيت أمرا لا بد لك منه . فعليك نفسك ، ودع أمر العوام ، فان وراءكم أيام الصبر ، فمن صبر فبين قبض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خنسين منكم » (٦) .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوحى الله عز وجل الى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها ،

(٢) رواه الترمذی .

(١) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذی .

(٣) رواه الترمذی وابن ماجه .

(٦) رواه ابو داود وابن ماجه .

(٥) المائدة : ١٠٥



فقال : يا رب .. ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين ، قال :  
فقال : اقلبها عليه وعليهم ، فان وجهه لم يتمر في ساعة قط « (١) » .  
كما ورد أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله  
عز وجل يسأل العبد يوم القيامة فيقول : مالك اذا رأيت المنكر فلم  
تتكره ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيلقن حجتة فيقول :  
يا رب .. خفت الناس ورجوتك « (٢) » . فلاحظ كل هذا مع ملاحظة  
أن الله سبحانه وتعالى ما جعلنا خير أمة أخرجت للناس الا لأننا نأمر  
بالمعروف وننهي عن المنكر ، بعكس الذين لعنوا : « من بنى اسرائيل  
على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .  
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » (٣) .  
وقد قال الله تبارك وتعالى ممتنا علينا بهذه الخيرية : « كنتم خير  
أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » (٤) .

\* \* \*

فكن من أهل هذه الخيرية وكن شجاعا في رفع صوتك بكلمة الحق  
ولا تخش في الله لومة لائم ، وقل الحق وان كان مرا كما أوصاك الرسول  
صلى الله عليه وسلم في وصية من وصاياه : « .. واعلم أن الأمة  
لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله  
لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه  
الله عليك » (٥) .

\* \* \*

وحسبى بعد هذا العرض السريع أن أسوق اليك بعض المواقف  
الابطولية التي ستري من خلال عرضها كيف كانت شجاعة أهل الحق  
وكيف كانت جرأتهم وتحديهم لقوى الظلم والطغيان حتى ارتفعت راية  
الحق ، وسقطت راية الباطل ، لأنه كما يقولون : « ما قام الباطل  
الا لغفلة أهل الحق » فمن هذه المواقف :  
موقف الرسول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في وجه أعداء  
الدعوة الاسلامية ومواجهته لهم بكل شجاعة وثبات معلنا أنه رسول  
من قبل الله جاء ليخرجهم من الظلمات الى النور .

(٢ ، ١) رواهما البيهقي في « شعب الايمان » .

(٤) آل عمران : ١١٠ .

(٣) البقرة : ٧٨ ، ٧٩ .

(٥) جزء من حديث ثريف صحيح .

وكان هذا في أول الدعوة بعد أن أمره الله سبحانه وتعالى بقوله :  
**« فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »** (١) فبدل الدعوة سرا  
 بالدعوة جهرا ممثلا أمر ربه واثقا بوعده ونصره .

فصعد على الصفا وجعل ينادى بطون قريش ، فلما اجتمعوا  
 حوله دعاهم الى الاسلام بالمنطق السليم قائلا لهم : « أرأيتم  
 أو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي » ؟  
 فأجابوه قائلين : نعم . ما جربنا عليك كذبا ، فقال لهم : « فاني  
 نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .

ولكن هذا المنطق لم يعجب أبا لهب ، ولهذا قال له : تبا لك . .  
 لهذا جمعتنا ؟ فبكى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كان يتوقع  
 هذا من غير أعمامه ، فرد الله على أبي لهب بقوله : **« تبت يدا أبي لهب  
 وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامراته  
 حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد »** (٢) .

وأخذت الدعوة بعد ذلك تسرى بين الناس سريان السحر ، لأنها  
 منطقية وضرورية ، ولأن ظلام الشرك كان قد انتشر في شبه الجزيرة  
 العربية بل وفي جميع بقاع الأرض ، حتى أصبح العالم أجمع في حاجة  
 الى منقذ وفي حاجة الى زعيم روحي أخروي ، يزيل الباطل ، وينصر  
 المظلوم ، ويعيد الى الدنيا أنوار الحق ، وأسباب الفلاح .

و شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا المنقذ والزعيم هو : سيد  
 السادات صلوات الله وسلامه عليه الذي لولاه لظل العالم أجمع الى  
 يومنا هذا في ضلال مبين ، وضياع مهين .

وكان من المفروض على أهل مكة وهم أهله وعشيرته أن يعترفوا  
 بهذا الشرف الذي ساقه الله اليهم ، ويقفوا بجوار الصادق الأمين  
 صلوات الله وسلامه عليه الذي لم يجربوا عليه كذبا بشهادتهم جميعا ،  
 حتى يتمكن من تبليغ دعوته ونشرها في كل مكان ، ولكنهم للأسف  
 الشديد ، رغم اقتناعهم الداخلي به وبدعوته : وقفوا له ولدعوته ،  
 ولكل من آمن به بالمرصاد (٣) .

ومن ذلك ما رواه البخاري : عن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه  
 قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو يصلي

(٢) سورة المسد .

(١) الحجر : ٩٤

(٣) خاصة الضعفاء منهم : كبلال ، وعمار وأبيه ياسر ، و أمه سمية .

فقال أبو جهل : ألا رجل يقوم الى فرث (١) جُزور (٢) بنى فلان فيليقيه على محمد وهو ساجد ؟ فقام عقبة بن أبي معيط — عليه لعنة الله — وجاء بذلك الفرث فالتقاء على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم ، ولم يزل عليه السلام ساجدا حتى جاءت فاطمة ابنته فأخذت القذر ورمته •

ويروى البخارى أيضا في صحيحه : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط — عليه لعنة الله — فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » (٣) •

وعندما تبين للمشركين من قريش أن محمدا ماض فى دعوته التى تنتشر رغم أنوفهم ، وأنه لا يخشى بأسهم ، ولا يخاف منهم ، ولا يهتز بتأمرهم ، فكروا فى الحيلة والترغيب . فأرسلوا اليه عتبة ابن ربيعة فى ثياب الحمل ليقول له : « يا ابن أختى •• انك منا حيث قد علمت — من المكان فى النسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا : ان كنت انما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تصير أكثرنا مالا ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتىك رؤيا (٤) تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طئبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ » فقرأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم انذارا من الله سبحانه وتعالى يقول فيه : « حم • تنزيل من الرحمن الرحيم • كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون » (٥) الى قوله : « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » (٦) •

(١) الفرث : مافى كرش الناقة .

(٢) الجزور : من الابل ويطلق على الذكر والانثى .

(٣) غافر : ٢٨ (٤) أى حنيا .

(٥) فصلت : ١ — ٤ (٦) فصلت : ١٣

فكان هذا الانذار ينزل على رأسه كالمطرقة ، الأمر الذى جعله يقوم مسرعا الى قومه معلنا غشله فى مهمته •

فحاولوا بعد ذلك التفريق بينه وبين عمه أبى طالب الذى كان يحميه منهم — حتى يستطيعوا أن يفتكوا به بسهولة ، ودون مقاومة من قومه — فذهبوا الى عمه مرة بعد مرة وطلبوا اليه فى النهاية أن يكف عنهم محمدا أو ينازلوه هو ومحمد حتى يهلك أحد الفريقين •

وكان أبو طالب محبا للسلام ، وغير راغب فى سفك الدماء ، فأرسل الى ابن أخيه صلوات الله وسلامه عليه فجاءه ، وعندما جاءه قال له : « يا ابن أخى •• أبق على نفسك وعلى ، ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق » فظن النبى صلى الله عليه وسلم أن عمه سيخذله ، ولهذا أجابه اجابة تنطق بالحزم الصارم ، والايمان العميق قائلا : « والله يا عمى •• لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » ثم بكى وقام منصرفا ، فقال له عمه الذى رأى منه الرجولة الكاملة والعزيمة القوية : « أقبل يا ابن أخى » فأقبل عليه • فقال له عمه : « اذهب فقل ما أحببت ، والله لا أسلمك اليهم أبدا » •

وعندما فشلت كذلك هذه المؤامرة ، وتبين لهم أن أمر محمد صلى الله عليه وسلم يتعاضم على الرغم مما يصيبه وأصحابه الضعفاء من الأذى والألم ، قرروا محاربته بسلاح أقوى ضراوة وهو سلاح المقاطعة فأجمعوا أمرهم على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب ولدى عبد مناف ، واخراجهم من مكة والتضييق عليهم ، فلا يبيعون لهم شيئا ، ولا يبتاعون منهم ، ولا يزوجونهم ، ولا يتزوجون منهم ، حتى يسلموا محمدا للقتل • وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة • فكانت النتيجة عكس ما يريدون ويتوقعون ، فقد وقف بنو هاشم وبنى المطلب فى هذه المحنة الى جوار محمد فلم يخذلوه ، ولم يسلموه وانحازوا جميعا — مسلمين وكفارا عدا أبى لهب — الى شعب أبى طالب ومكثوا فى هذا السجن الرهيب ثلاثة أعوام عضهم فيها الجوع حتى أكلوا ورق الأشجار ، ومع ذلك لم يفكروا فى التخلص من محمد وخذلانه ، وفى ذلك يقول قائلهم :

فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا      لغزاء من عض الزمان ولا كرب  
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا      ولا نشتكى ما قد ينوب من النكب  
ولكننا أهل الحفايظ والنهى      اذا طار أرواح الكماة من الرعب

الى أن أذن الله لهذا اللئيم الطويك بالانتهاء فقام خمسة نفر من قريش بالاتصال بهؤلاء الطغاة من قريش الى أن نجحوا في استمالتهم بعد أن أقنعوهم بتمزيق تلك الصحيفة الظالمة القاطعة ، فخرج بنو هاشم وبنو المطلب الى الحياة من جديد .

وأخيرا وبعد كل هذه المؤامرات الدنيئة الفاشلة بسبب الموقف الرجولى من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أحبوه « ٠٠٠ وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه » (١) .

قرر الطواغيت : القضاء على محمد صلى الله عليه وسلم بأيدي شبان — من جميع بطون قريش — يضربونه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه في القبائل .

فيخبره الله سبحانه وتعالى بخبر هذه المؤامرة في قوله تعالى : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك (٢) أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » (٣) .

فكان هذا ايذانا له بالهجرة الى يثرب حيث الجو الملائم لدعوته ، وحيث الأنصار والمهاجرين الذين أذن لهم بالهجرة الى هناك حيث الأمان والايمان ، والاخاء والاخوان .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم طوال هذه السنين العشر التى قضاها في مكة يدعو الى الله راسخا كالجبل ، وصابرا « كما صبر أولوا العزم من الرسل » (٤) كما أمره الله سبحانه وتعالى على لسان سفيره جبريل عليه السلام وكما هو ثابت في كتابه العزيز .

وكان كلما أودى من قومه ذكره الله سبحانه وتعالى بما حدث للأنبياء السابقين قبله من ايذاء حتى يصبر كما صبروا ، وحتى يكون في ذلك أيضا عظة وذكرى للمؤمنين . وفي ذلك يقول تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » (٥) لأن طريق الحق كما هو ثابت في تاريخ الأمم والشعوب مفروش دائما بالأسواك ، ولهذا جعل الله تعالى التواصي بالحق مقترنا بالصبر في قوله : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (٦) ، وذات يوم فكر في أن يهاجر فرارا بدعوته قبل أن يؤذن له ،

(٢) اى يسجنوك .

(٤) الاحقاف : ٣٥

(٦) العصر : ٣

(١) الاعراف : ١٥٧

(٣) الانفال : ٣٠

(٥) هود : ١٢٠

فأنزل الله عليه قوله : « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت » (١) وهو يونس عليه السلام الذي كان قد ترك ميدان الدعوة دون أمر من الله سبحانه وتعالى عندما وجد اعراضا من قومه ، وعدم استجابة لدعوته ، فكان أن جعله الله في بطن الحوت الى أن ألهمه سبحانه بكلمات قللن كانت سببا في نجاته ونجاة كل من يتشبه به من المؤمنين ، وفي ذلك يقول تعالى :

« وذا النون (٢) اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين • فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين » (٣) •

فكانت النتيجة الحتمية لصير الرسول صلى الله عليه وسلم ووثباته في مواجهة الباطل وتحديه لقوى الشرك والطغيان : أن انتشر دينه وذاع وشاع حتى ملأ البقاع وحتى أنزل الله عليه قوله : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » (٤) •  
وبعدها فارق الدنيا الى جوار ربه بعد أن ترك رجالا تخرجوا من مدرسته لكي يخلفوه في حمل الأمانة ، ونشر الرسالة •

\* \* \*

وعلى رأس هؤلاء الخليفة الأول أبو بكر الصديق عليه رضوان الله الذى كان من أهم مواقفه : القضاء على الفتن التى اشتعلت نيرانها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والتى منها :

المتنبئون : وهم قوم ادعوا النبوة ، ودفعهم حب الجاه والسلطان الى الكذب على الله وعلى الناس •

ومنهم : مسيلمة الحنفي ( الكذاب ) فى بنى حنيفة ، وسجاح بنت الحارث فى تميم ، والأسود العنسى فى اليمن ، وقد أيدتهم قبائلهم بدافع من العصبية القبلية المقوتة •

المرتدون : وهم الذين رجعوا بعد الرسول صلى الله عليه وسلم الى دينهم القديم كأنهم يظنون أن نبوة محمد مقصورة على أيام حياته أو أنه ما دام نبيا فلن يموت ، وهؤلاء كانوا فريقين : أحدهما

(١) القلم : ٤٨

(٢) ذا النون : أى صاحب الحوت •

(٣) الانبياء : ٨٧ ، ٨٨

(٤) المائدة : ٣

انضم الى أتباع المنتبئين ، والآخر : ظل مستقلا في كفره وضلاله ،  
 وهم سكان البحرين •

ومانعو الزكاة : وهم الذين زعموا أن الزكاة ضريبة خاصة كانوا  
 يدفعونها لمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يرون أنه ليس هناك مبرر  
 لدفعها بعد وفاته ، مع ارتباطهم بعقيدة التوحيد التي هي عماد الدين •

فقد أخذ أبو بكر هذه الفتن المستعرة في حزم وصرامة ، وعقد  
 اللواء لأحد عشر قائدا في وقت واحد ، ووجه كل قائد الى جهة خاصة  
 من بلاد العرب ، وأمرهم ألا يقاتلوا الا من كفر بالله ورسوله ، كما  
 أرسل لجميع المرتدين كتابا يخبرهم فيه أن الرسول بشر يموت كما  
 يموت كل انسان ، ويدعوهم الى الاسلام من جديد ، فمن عاد الى  
 الاسلام عفا عنه ، ومن أبى قوتل حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله •  
 فلم تمض سنة واحدة حتى تم له النصر ، ورجع الحق الى نصابه ،  
 وعلت كلمة الدين من جديد •

\* \* \*

فمن هذين الواقفين ترى بوضوح كيف كان الرسول صلى الله  
 عليه وسلم يواجه قوى الشرك بكل شجاعة ، دون أن يهتز بكل هذه  
 المؤامرات الدنيئة التي كانت تحيط به لأنه كان يهدف الى الهدف  
 الأسمى الذي بعث من أجله وهو تبليغ الرسالة مهما كلفه هذا من  
 تضحيات ، في الوقت الذي كان يتمنى فيه الهداية للجميع ، حتى  
 لأبى جهل الذي كان يكيده له ليلا ونهارا ، فقد ورد أنه صلى الله عليه  
 وسلم قال : « اللهم أعز الاسلام بأحد العمريين ، عمرو بن هشام ،  
 أو عمر بن الخطاب » وكان يقول : « اللهم اهد قومي فانهم  
 لا يعلمون » •

ويوم أن دخل مكة فاتحا في عشرة آلاف من جنود الله ، عفا عن  
 أعدائه في الوقت الذي كان يستطيع فيه أن يفتك بهم وبسهولة •  
 فكانت النتيجة لهذا العفو أن دخل أكثرهم في دين الله أفواجا •

\* \* \*

كما ترى كيف كان الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
 حازما في مواجهة المرتدين والمنتبئين الكاذبين ومانعي الزكاة حتى أعاد  
 كل شيء الى نصابه •

وكان سيدنا عمر قد عارضه في قتال مانعى الزكاة قائلاً : يا خليفة رسول الله . . . تألف الناس وارفق بهم ، كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى نفسه وماله الا بحقه » (١) .

فكان جواب الصديق رضى الله عنه — الذى كان معروفاً بلين الجانب عكس عمر عليه رضوان الله — : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا (٢) لقاتلتهم على منعها » ثم قال فى ثورة وقد تملكه الغضب : « يا ابن الخطاب . . . رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك ؟ أجبار فى الجاهلية وخوار فى الاسلام ! انه قد انقطع الوحي وتم الدين ، أو ينقص وأنا حي » ؟ وحتى تعرف نتيجة هذه الصرامة من جانب الصديق فى مواجهة هؤلاء العصاة الذين فسقوا عن أمر ربهم ، اليك ما حدث بعد ذلك من جانب سيدنا عمر بعد أن قضى سيدنا أبو بكر على هذه الفتن التى كادت أن تقضى على الدعوة الاسلامية :

يقول أبو رجاء البصرى : « دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلاً يقبل رأس رجل ويقول له : أنا فداؤك ، ولولا أنت لهلكنا . قلت : من المقبل ومن المقبل (٣) ؟ قالوا : هو عمر يقبل رأس أبى بكر فى قتال أهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين » .

وهكذا أخوا الاسلام ترى أن صاحب الحق لا يخشى فى الله لومة لائم ، ولا يتأثر بالعواصف والرياح والمؤامرات الدنيئة ما دام يؤمن بقول الله تعالى : « لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » (٤) .

\* \* \*

وحتى يتبين لك بوضوح أن صوت الحق لا يعلى عليه ، اليك هذه القصة الموضوعية : جلس المأمون للمظالم يوماً فكان آخر من تقدم إليه — وقد هم بالقيام — امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة ، فوقف بين يديه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ،

(١) رواه البخارى ومسلم بنحوه .

(٢) الانثى من اولاد المعز .

(٣) المقبل والمقبل : الأولى بكسر الباء ، والثانية بفتحها .

(٤) التوبة : ٥١



فنظر المأمون الى يحيى بن أكثم ، فقال لها يحيى : وعليك السلام .  
يا أمة الله .. تكلمي في حاجتك ، فقالت :

يا خير منتصف يهدى له الرشد      ويا اماما به قد أشرق البلد  
تشكو اليك عميد القوم أرملة      عدا عليها فلم يترك لها سبد  
وأبتر منى ضياعى بعد منعتها      ظلما وفرق بين الأهل والولد  
فأطرق المأمون حينما ثم رفع رأسه وهو يقول :

في دون ما قلت زال الصبر والجلد      عنى وأقرح منى القلب والكبد  
هذا أذان العصر فانصرفي      واحضري في اليوم الذى أعد  
والجلس السبت ان يقض الجلوس لنا      فنصفك منه والا المجلس الأحد  
فلما كان يوم الأحد ، جلس المأمون فكان أول من تقدم اليه  
تلك المرأة فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : وعليك السلام ..  
أين الخصم ؟ فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومات  
الى العباس ابنه . فقال : يا أحمد بن أبى خالد خذ بيده فأجلسه  
معها مجلس الخصوم .

فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمد بن أبى خالد :  
يا أمة الله .. انك بين يدي أمير المؤمنين ، وانك تكلمين الأمير فاخفضي  
من صوتك . فقال المأمون : دعها يا أحمد ، فان الحق أنطقها وأخرسه ،  
ثم قضى لها برد ضيعتها وأمر لها بنفقة .

ويحكى أن بعض الملوك الجبارين أغار على قرية فنهبها وغتت  
بأهلها ، واغتال أموالهم ومواشيهم ودوابهم فخرجت عجوز من بعض  
الدور فنظرت اليه وقالت : يا ويلك من ديان يوم الدين ، اذا انشقت السماء  
وبرز الرب لفصل القضاء . فقال لها : يا عجوز .. أما سمعت في القرآن :  
« ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » (١)  
فقالت له : يا هذا .. حفظت شيئا وغابت عنك أشياء ، أو نسيت  
الآية التى بعدها فى السورة نفسها حيث يقول الله تعالى : « فتلك بيوتهم  
خاوية بما ظلموا » (٢) فاتعظ الملك ورد أموال الناس اليهم ، ثم قال :  
يا عجوز .. وكيف الخلاص ؟ قالت : « وهو الذى يقبل التوبة عن  
عباده ويعفو عن السيئات » (٣) .

\* \* \*

وهكذا أضحى الإسلام يثبت الحق وجوده ولو على لسان امرأة .  
وذلك : لأن الباطل لا أساس له ، ولهذا تراه يهتز أمام صوت  
الحق ، وصيحات الدعاة إليه ، وكما يقول الله تعالى : « ان الباطل  
كان زهوقا » (١) .

فكن من أهل الحق ( وارفع علم الحق يتبعك أهله ) و : « ادع الى  
مسبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (٢) عسى أن يهدي الله على  
يديك رجلا ، فتفوز فوزا عظيما ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول :  
« لأن يهدي الله على يديك رجلا خيرا لك من الدنيا وما فيها » (٣) .  
وإذا رأيت ظلما - مثلا - فكن واعظا له وذكره بقول الله تعالى :  
« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان  
كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » (٤) وقوله :  
« ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص  
فيه الأبصار » (٥) .

وقل له : اتق الله ورد الحقوق الى أصحابها قبل فوات الأوان .  
وذكره بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتق دعوة المظلوم  
فانه ليس بينها وبين الله حجاب » وقرأ عليه قول الشافعي عليه  
رضوان الله :

إذا اتخذ الظلم ابن آدم مذهبا ولج عتوا في قبيح اكتسابه  
فكله الى صرف الليلالي فانها ستبدي له مالم يكن في حسابه  
فكم قد رأينا ظلما متجبرا يرى النجم تيهها تحت ظل ركابه  
طغى وبغى حتى اذا غره البقا أناخت جميع النائبات ببابه  
وقول معاوية : « انى لأستحى أن أظلم من لا يجد على ناصرا  
الا الله » .

وما كتبه سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى أحد عماله  
وكان قد أرسل اليه يستأذنه في تحصين مدينته فكتب اليه : حصنها  
بالعدل ونق طريقها من الظلم » .

واختتم حديثك معه بقول الله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك  
بعماد . ارم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد . وثمود الذين

(٢) النحل : ١٢٥

(٤) الانبياء : ٤٧

(١) الاسراء : ٨١

(٣) حديث صحيح .

(٥) ابراهيم : ٢٢

جابوا الصخر بالواد • وفرعون ذى الأوتاد • الذين طفوا في البلاد •  
فأكثرها فيها الفساد • فصب عليهم ريك سوط عذاب • ان ريك  
للمرصاد» (١) .

\* \* \*

وحسبى حتى تكون شجاعا فى وعظك وارشادك ومجاهدتك لمن  
فسق (٢) عن أمر ربه أن أسوق اليك أيضا بالاضافة الى الموافقة  
السابقة موثقا بطوليا لغلام من الخوارج ، وخلصته أنه :

بينما الحجاج (٣) جالسا فى منظره له وعنده وجوه أهل العراق ،  
أتى بصبى من الخوارج عليه ، له من العمر نحو بضع عشرة سنة ،  
وله ذؤابتان مرخيتان قد بلغتا خصره • فلما أدخل عليه لم يعبأ بالحجاج  
ولم يكثر به ، وانما صار ينظر الى بناء المنظره ، وما فيها من العجائب ،  
ويلتفت يمينا وشمالا ثم اندفع يقول : « أتبنون بكل ريع آية تعبثون •  
وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » (٤) .

وكان الحجاج متكئا فاستوى فى مقعده وقال : يا غلام .. انى  
أرى لك عقلا وذهنا ، أحفظت القرآن ؟

قال : أو خفت عليه من الضياع حتى أحفظه ، وقد حفظه الله تعالى •  
قال : أفجمعت القرآن ؟

قال : أو كان مفرقا حتى أجمعه ؟ قال : أفأحكمت القرآن ؟  
قال : أليس الله أنزله محكما ؟ قال : أفاستظهرت القرآن ؟  
قال : معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهري •

فقال الحجاج وقد ثار غضبا : ويلك .. قاتلك الله ، ماذا أقول ؟  
قال الغلام : الويل لك ولقومك ، قل : أوعيت القرآن فى صدرك ؟  
فقال الحجاج : فاقرا شيئا •

فاستفتح الغلام : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله  
الرحمن الرحيم • اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس ( يخرجون  
من دين الله ) أفواجا • • • » (٥) .

(٢) أى خرج عن أمر ربه .

(٤) الشعراء : ١٢٨ ، ١٢٩ .

(١) الفجر : ٦ - ١٤

(٣) وكان معروفا بالظلم والقسوة .

(٥) النصر بلفظ : « يدخلون فى دين الله » .

فقال الحجاج : ويحك •• انهم يدخلون • فرد عليه الغلام قائلاً :  
كانوا يدخلون ، أما اليوم فقد صاروا يخرجون •  
فقال الحجاج : ولم ؟ قال الغلام : لسوء فعلك بهم •  
قال الحجاج : ويحك يا غلام •• وهل تعرف من تخاطب ؟  
قال الغلام : نعم ، شيطان ثقيف الحجاج • قال الحجاج : ويحك ••  
من ربك ؟

قال الغلام : الذى زرعنى • قال الحجاج : فمن أمك ؟  
قال الغلام : التى ولدتنى • قال الحجاج : فأين ولدت ؟  
قال : فى بعض الفلوات • قال الحجاج : فأين نشأت ؟  
قال : فى بعض البرارى •  
قال الحجاج : أمجنون أنت فأعالجك ؟  
قال : لو كنت مجنوناً لما وصلت اليك ووقفت بين يديك كأنتى  
ممن يرجو فضلك أو يخاف عقابك •

قال الحجاج : فما تقول فى أمير المؤمنين ؟  
قال الغلام : رحم الله أبا الحسن ، رضى الله عنه وأسكنه  
جنان خلد •

قال الحجاج : ليس هذا عنيت ، انما أعنى عبد الملك بن مروان •  
قال الغلام : على الفاسق الفاجر لعنة الله •  
قال الحجاج : ويحك •• بم استحق اللعنة أمير المؤمنين ؟  
قال الغلام : أخطأ خطيئة ملأت ما بين السماء والأرض •  
قال الحجاج : ما هى ؟

قال الغلام : استعماله اياك على رعيته تستبيح أموالهم وتستحل  
دماءهم •

فالتفت الحجاج الى جلسائه وقال : ما تشيرون فى هذا الغلام ؟  
قالوا : اسفك دمه ، فقد خلع الطاعة ، وفارق الجماعة •

فقال الغلام : يا حجاج •• جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك ،  
حيث قالوا لفرعون عن موسى وأخيه : « أرجه وأخاه » (١) وهؤلاء يأمرون  
بقتلى ، اذن والله تقوم عليك الحجة بين يدي الله ملك الجبارين ومذل  
المستكبرين •

فقال له الحجاج : هذب ألفاظك وقصر لسانك فاني أخاف عليك  
بإدارة الأمر ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم •

فقال الغلام : لا حاجة لى بها ، بيض الله وجهك وأعلى كعبك •  
فالتفت الحجاج الى جلسائه وقال : هل علمتم ما أراد بقوله :  
بيض الله وجهك وأعلى كعبك ؟ قالوا : الأمير أعلم •  
قال : أراد بقوله : بيض الله وجهك : العمى والبرص ، وبقوله :  
أعلى كعبك : التعليق والصلب •

ثم التفت الى الغلام وقال له : ما تقول فيما قلت ؟  
قال الغلام : قاتلك الله •• ما أفهمك •

فامتزج الحجاج غضبا وأمر بضرب عنقه ، وكان الرقاشى حاضرا  
فقال : أصلح الله الأمير ، هبه لى ، قال : هو لك ، لا بارك الله لك فيه •  
فقال الغلام : والله لا أدري أيكما أحقق من صاحبه : الواهب  
أجلا قد حضر ، أم المستوهب أجلا لم يحضر ؟

فقال الرقاشى : استنقذتك من القتل وتكافئنى بهذا الكلام ؟

فقال الغلام : هنيئا لى الشهادة ان أدركتنى السعادة ، والله ان  
القتل — فى سبيل الله — أحب الى من أن أرجع الى أهلى صفر اليدين ،  
فأمر له الحجاج بجائزة وقال : يا غلام •• قد أمرنا لك بمائة ألف درهم  
وعفونا عنك لحدائثة سنك ، وصفاء ذهنك ، وحسن توكلك على الله ،  
واياك والجرأة على أرباب الأمر فنتقم مع من لا يعفو عنك •

فقال الغلام : العفو بيد الله لا بيدك ، والشكر له لا لك ، ولا جمع  
الله بينى وبينك • ثم هم بالخروج فابتدره الغلمان •

فقال الحجاج : دعوه •• فوالله ما رأيت أشجع منه قلبا ولا أفصح  
منه لسانا ، ولعمري ما وجدت مثله قط ، وعسى هو لا يجد مثلى ،  
فان عاش هذا الغلام ليكونن أعجوبة عصر (١) •

\* \* \*

وكذلك اذا رأيت عاصيا لله تعالى ، ووجدت الفرصة سانحة لوعظه  
وارشاده : كن ناصحا له ومرشدا فقد ورد فى الحديث الصحيح :

عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله تعالى عنه أن النبى

(١) وقيل : انه امر بعض رجاله بأن يدس له السم ، فقتله •

صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال :  
« لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين » (١) .

وحسبك أن تذكره مثلا بقول الله تعالى في كتابه العزيز :

« أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ، لا يستوون . أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون .  
وأما الذين فسقوا فمأواهم النار ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها  
وقيل لهم نوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون » (٢) .

وقوله سبحانه في الحديث القدسي : « يا ابن آدم .. لا تغتر بشبابك فكم من شاب سبقك الى الموت ، يا ابن آدم .. لا تفرح بدنياك فليست بمخلد ، يا ابن آدم .. استح منى عند معصيتك ،  
أستحي منك فلا أعذبك » .

وقوله أيضا في الحديث القدسي : « يا ابن آدم .. قد أنعمت عليك نعمًا عظاما لا تحصى عددها ، ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاء ، فانظر بعينيك الى ما أحللت لك ، فإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما .  
وجعلت لك لسانا ، وجعلت له غلافا ، فانطق بما أمرتك وأحللت لك .  
فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك .  
وجعلت لك فرجا ، وجعلت لك سترا ، فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك .  
ابن آدم .. انك لا تحتمل سخطى ولا تطيق انتقامى » .

\* \* \*

ورغبه كذلك في أعمال الخير حتى يكون أداة خير لا أداة شر ،  
وأداة بناء لا أداة هدم ، وذكره بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :  
« إذا أراد الله بعبده خيرا استعمله » قيل : وكيف يستعمله يا رسول الله ؟  
قال : « يوقفه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه » (٣) .  
وقول أحد الحكماء : « إذا أراد الله بعبده خيرا ، ألهمه الطاعة ،  
وألزمه القناعة ، وفقهه في الدين ، وقواه باليقين ، فاكتفى بالكفاف ،  
واكتفى بالعفاف » .

وإذا أراد بعبد شرا حبب إليه المال ، وبسط منه الآمال ،  
ورغبه في الدنيا ، وزهده في الآخرة ، فركب الفساد ، وظلم العباد «  
حتى يعمل ليوم الحساب ألف حساب .

\*\*\*

ورغبه في نهاية حديثك في الرجوع الى الله سبحانه وتعالى عسى  
أن يكون من التائبين وحسبك أن تذكره بقول الله تعالى : « وتوبوا الى  
الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) وقوله : « استغفروا  
ربكم ثم توبوا اليه » (٢) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس .. توبوا الى  
الله واستغفروه ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة » (٣) .

وقوله : « ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء الليل حتى  
تطلع الشمس من مغربها » (٤) .

ثم قل له ناصحا (٥) :

يوم لا يغن عنك مالك شيئا  
واستقم واسلك الطريق السوي  
واعمل الصالحات واخش العليا  
فويل لمن يكون عصيا  
وفجور وكن عفيفا أبيا  
واشكر الله بكرة وعشيا  
فله النار يوم يبعث حيا  
وجيها . مقربا مرضيا  
طيبيا كان أو اضلالا وغيا  
وعذابا يكوى الأضالع كيا  
لن خافه وكان تقييا  
« انه كان وعده ماتيا » (٦)

اتن الله يا ابن آدم واحذر  
واتبع مابه أمرت وأصلح  
واسع بالخير بين قومك دوما  
واجتنب ما نهاك عنه ولا تعص  
وابتعد ما استطعت عن كل اثم  
وإذا ما أصابك الدهر فاضبر  
لا يغررك كافر في نعيم  
رب ذي فاقة يكون لدى الله  
كل نفس تجزى بما قدمته  
وعد الله من عصاه سعيرا  
وأعد النعيم في جنة الخلد  
فاتق الله كي تفوز وتنجو

\*\*\*

(٢) هود : ٤٣ ، ٥٢

(٤) رواه مسلم .

(٥) بقلم : الأستاذ ابراهيم عرفات بالداخلية .

(١) النور : ٣١

(٣) رواه مسلم .

(٦) مريم : ٦١

وأما المرتبة الثالثة من مراتب الجهاد وهي : مجاهدة الكفار ،  
والمشركين والظالمين المعتدين ، فهي واجب مقدس اعلاء لكلمة الله  
وانتصارا للحق على الباطل ، وردعا للظالم الغاشم حتى نضع حدا  
لاعتدائه الآثمة ، ونعيد الى المظلومين حقوقهم المسلوبة .

بل وهذا فرض عين علينا ، بدوننا تنتهك الحرمات ، وتداس  
المقدسات ، ونكون في عداد الأموات ، وقد أمرنا الله سبحانه بقتال  
من نلمس منه الغدر ، ويحاول الاعتداء علينا فقال : « فان لم يعتزلوكم  
ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتبتموهم ،  
وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا » (١) . ويقول في آية سابقة :  
« فان اعتزلوكم فلم يقتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم  
عليهم سبيلا » (٢) .

ففي هاتين الآيتين وما مثلهما من آيات قرآنية وفي جلاء ووضوح  
يبين الله تعالى الهدف من القتال ، وهو رد العدوان ، فإذا انتهى  
العدوان فلا قتال .

وهذا هو نهاية العدل الذي أرسل الله سبحانه وتعالى به رسله  
مصحوبا بالقوة والبأس ، وفي ذلك يقول تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا  
بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا  
الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » (٣) .

وذلك حتى لا يكون هناك ظلم ، وينتشر العدل والسلام ، لأن  
( العدل ان دام عمر ، والظلم ان دام دمر ) قال تعالى : « ولولا دفع الله  
الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » (٤) .

ولذلك أوجب الله الجهاد وجعله شريعة ماضية الى يوم القيامة ،  
وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « الجهاد ماض الى يوم القيامة »  
لأن النزاع قائم ومستمر بين الخير والشر ما دامت هناك عداوة قائمة  
ومستحكمة بين بنى آدم وخلفاء الشيطان منذ قال الله لأبويننا ومعيها  
ابليس اللعين : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر  
ومتاع الى حين » (٥) .

(٢) النساء : ٩٠

(٤) البقرة : ٢٥١

(١) النساء : ٩١

(٣) الحديد : ٢٥

(٥) البقرة : ٣٦



وقد تسلح اللعين بسلاح الغواية حيث قال لرب العزة كما هو ثابت في الكتاب العزيز : « لأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم المخلصين » (١) وفي آية أخرى : « فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم • ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » (٢) •

ولعلك تلاحظ في هذه الآية الأخيرة أنه لم يقل من فوقهم ، وكذلك لم يقل من تحتهم ، وحتى تشكر ربك ولا تياس من رحمته اليك هذا الايضاح :

لم يقل : من فوقهم ، لأنه لا يستطيع أن يمنع عنك رحمة الله التي وسعت كل شيء ، ولم يقل : من تحتهم كبرا •

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بقتال أولياء الشيطان وهم الذين لا يؤمنون ، بدليل قوله تعالى : « انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » (٣) وفي ذلك يقول تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » (٤) •

وإذا كنا في هذه الأيام المجيدة نقاتل عدوا ماكرا خبيثا أو كاغرا خسيسا ، يستبيح الحرمات ، ويستحل الدماء ، ويمحو المقدسات ويهدف الى تجريد الدنيا من معتقداتها الحقة ، ليسهل عليه السجادة عليها ، والتحكم فيها • فحسبى وقبل أن ندور حول هذا الموضوع الحيوى أن أقرأ معك ما كتبه أستاذنا الكبير فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى في كتابه « المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح » (٥) حتى تعرف حقيقة هذا العدو المبين — بالاضافة الى ما عرفته عنه من معلومات — وحتى تدرك خطورته على دينك ووطنك وقاتله بكل شجاعة واستبسال بالنفس والمال وتقضى عليه قبل أن يقضى عليك •

يقول شيخنا الفاضل تحت عنوان ( اعرف عدوك ) :

« هذا العدو •• الذى لا يعترف الا بماديته وشهواته ، ويعمل ليله ونهاره فى تسخير الوجود كله لهذه الشهوات » ولتجدنهم أحرص

(١) سورة ص : ٨٢ ، ٨٣ • (٢) الأعراف : ١٦ ، ١٧ •

(٣) الأعراف : ٢٧ •

(٤) النساء : ٧٦ •

(٥) صفحة : ١٠ •

الناس على حياة ، ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ، والله بصير بما يعملون» (١) .

حتى مقام الألوهية — سبحانه — تعدوا عليه ، وقالوا : « ان الله فقير ونحن أغنياء » (٢) بل وقالوا : « يد الله مطولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » وقالوا لرسولهم (٣) : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » (٤) فاذا أضفنا الى ذلك ما حكاه القرآن عنهم ، من كفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقتلهم الذين يأمرون بالقسط من الناس ، واتخاذهم العجل لها ، وطلبهم من نبيهم أن يجعل لهم لها ماديًا محسوسًا حينما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، واتهامهم للرسول بأشنع الفسوق ، وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا ، وتمردهم على الشريعة وامتناعهم عن قبولها حتى رفع الله عليهم الجبل « كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع بهم ، فخذوا ما آتيناكم بقوة » (٥) ، « فخذوا ما آتيناكم بقوة واسمروا ، قالوا سمعنا وعصينا » (٦) .

إذا تتبعنا ذلك من واقع الكتب السماوية ومن واقع تاريخهم وماضيهم وحاضرهم ، الذي هو استمرار للعناد والفساد والالحاد ، وجدنا أنفسنا أمام سرطان مدمر ، يتحتم علينا كمسلمين وكعرب ، بل ويتحتم على البشرية كلها أن تقف وقفة رجل واحد ، لصد هذا النيل الجارف ، والاعصار المروع المهلك للحرث والنسل ، الكافر بالخالق ، والظلم للخلق » .

ثم قال بعد ذلك ما خلاصته : « ان كتاب الله ( القرآن ) حذر الانسانية من شر الصهاينة الآثمين الممثلين في اسرائيل الطاغية ، فوصفهم بالكفر والجحود والحجاج والأناية ، والزهو والتبجح ، والترفع عن الغير ، واعتبار أنفسهم فوق مستوى الناس ، فقالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه » (٧) وأنهم « أولياء الله من دون الناس » (٨) حتى أطلقوا على أنفسهم أنهم ( شعب الله المختار ) .

(٢) آل عمران : ١٨١

(٤) البقرة : ٥٥

(٦) البقرة : ١٣

(٨) الجمعة : ٦

(١) البقرة : ١٦

(٣) موسى عليه السلام .

(٥) الاعراف : ١٧١

(٧) المائدة : ١٨

وأن القرآن وصفهم كذلك بالتضليل والتدليس ، والدس والشره الشديد للناس مهما كان لديهم من نعم ، وعدم الاندماج الصادق مع أحد ... الخ ، هذه الصفات الدنيئة التي ان دلت على شيء فانما تدل على أنهم حثالة البشر .

وكذلك تحدث القرآن عن كيدهم للإسلام ذاته بصورة واضحة فقال تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » (١) .

وقد روى الخطيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما خلا يهودى قط بمسلم الا حدث نفسه بقتله » (٢) .

ولقد كان هذا واضحا في علاقة اليهود بالإسلام والمسلمين بالرغم من تسامح الإسلام وأمة معهم .

فقد قابلوا الاحسان بالاساءة ، والعفو بالتآمر ، وكلما ازداد الإسلام حلما معهم وكرما ازدادوا هم لؤما وشرأ حتى حققت عليهم كلمة الله وجاءهم بأسه الذي أطاح بهم وقضى عليهم .

وكان الإسلام قد اصطدم بهم في بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة ، وخيبر ، ووادي القرى ، وغدك ، وتيماء ، وغيرها من حصونهم ومستعمراتهم ، حتى طهر الجزيرة العربية من رجسهم ، وأجلاهم عنها جزاء عادلا لما اقتترفوه مع الله ورسوله وكتبه وخلقه وفي ذلك يقول تعالى : « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاناهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار » (٣) .

كما كانوا يحقدون على النبي صلى الله عليه وسلم أن صار رسولا من غير جنسهم ، لأن شريعته تكشف خفاياهم ، وتفضح طواياهم .. ولهذا ناصبوه ودعوته العداوة من أول لحظة ، وفي ذلك يقول تعالى : « بثمنا اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده » (٤) ويقول : « ود كثير من أهل الكتاب

(١) المائدة : ٨٢

(٢) رواه في الجامع الصغير .

(٣) الحشر : ٢

(٤) البقرة : ٩٠

لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق» (١) .

\* \* \*

ولهذا كان من تأمرهم الثابت في تاريخهم الأسود مع الاسلام ونبيه قديما وحديثا :

أنهم حاولوا :

### قتل الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هذا يوم أن ذهب اليهم ومعه عشرة من كبار المسلمين بينهم أبو بكر وعمر وكانوا قد أظهروا الغبطة بمقدمهم في الوقت الذي كانوا قد دبروا فيه مع مجرم من مجرميهم وهو عمر بن جحاش اليهودي قتل الرسول صلى الله عليه وسلم .

كانوا قد اتفقوا معه على أن يعلو السطح الذي جلس الرسول بجوار جداره ، ثم يلقي عليه حجرا ليقتله ، ولكن الله العليم الخبير عصم نبيه منهم ومن كيدهم . فأوحى اليه بما أئتمروا عليه فقام فورا من مكانه عائدا الى المدينة قبل أن تقع الكارثة ، وتبعه أصحابه وهم في دهشة لأنهم لم يعرفوا بعد ما حدث فأخبرهم صلى الله عليه وسلم بخبر المؤامرة الدنيئة ، ثم بعث محمد بن مسلمة ، وقال له : « اذهب الى يهود بنى النضير ، وقل لهم : ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أرسلنا اليكم ، أن اخرجوا من بلادي . ولقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما همتم به من الغدر بي ، لقد أجلتكم عشرا ، فمن رثي بعد ذلك ضريت عنقه » .

فاتصلوا بعد ذلك بحلفائهم الذين حرضوهم على أن يثبتوا في ديارهم ولا يفرجوا وان احتاجوا الى عون حربى كانوا معهم ، وطمع اليهود في الوعد البراق الذي كان من جانب ربائب الشرك وشيخ المنافقين ابن أبى وأتباعه .

فأبوا الجلاء ، فحاصروهم الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه ، فذلوا صاغرين ، وسلموا بالجلاء ، وخذلهم منافقوهم الذين كثيرا ما حرضوهم . وفي ذلك يقول تعالى : « ألم تر الى الذين نافقوا

يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتنم لننصرنكم ، والله يشهد انهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون» (١) .

\* \* \*

كما حاولوا أيضا :

### سم الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هذا بعد تمام فتح خيبر ، فقد عهدوا الى اليهودية ( زينب ، امرأة سلام بن مشكم ) أن تسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تضع السم في الطعام الذي دعوه اليه فكان أن صنعت شاة وسمتها ، وحينما لآك منها مضغة لم يسنغها ، وكان بشر بن البراء قد تناول منها وأسأغها وأزدردها فمات ، أما الرسول فكان قد لفظها ، وهو يقول : « ان العظم ليخبرني أنه مسموم » واعترفت زينب قائلة : ان كنت ملكا استرحنا منك ، وان كنت نبيا فستخبر ، واعترف معها من اليهود من حضروا المؤامرة (٢) .

حتى روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظل طوال حياته يعاني من هذا السم حتى مات بأثره ليجمع الله له بين ثواب الشهادة والرسالة :

روى ابن السنن وأبو نعيم بسند حسن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما زالت أكلة خيبر تعاودنى كل عام حتى كان هذا أو ان قطع أبهرى » (٣) .

\* \* \*

وعندما رأوا وحدة المسلمين وتآلفهم والتفافهم حول نبيهم أكل الغيظ قلوبهم فأخذوا يبيثون الفتن ويعملون على اثارتها بين الأوس والخزرج ليعيدهم الى جاهليتهم الحمقاء « حمية الجاهلية » (٤) .

(١) الحشر : ١١ ، ١٢

(٢) ورد في البخارى مرفوعا عن أبي هريرة .

(٣) كما ورد هذا أيضا في الصحيح عن عائشة مرفوعا .

(٤) الفتح : ٢٦

فكان أن جلس بينهم خبيث من خبيثاء الصهاينة وهو شاس بن قيس اليهودي الحقود ، فذكرهم بما كان بينهم في الجاهلية من حروب وعداوة وأخذ يذكرهم بالنعرة والعصية — التي أماتها الاسلام — حتى أحيهاها في نفوسهم بصورة جعلتهم يتنادوا بالسلاح والحرب ، وحتى قال بعضهم : ان شئتم أعدناها جذعة ، ورجعنا الى مثلها • ولكن الله أطفأ هذه النار التي كادت أن تقضى على ما بين الأوس والخزرج من اخاء غرسه الاسلام في قلوبهم •

فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم في نفر من المهاجرين ، حتى حجز بينهم ، وهو يقول مذكرا : « يا معشر المسلمين .. الله ، الله ، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد اذ هداكم الله الى الاسلام ، أكفر وأنا بين أظهركم والقرآن غض طرى ينتزل عليكم » ؟ فكانت النتيجة أن أفاقوا من غشيتهم ، وتعانقوا وتسامحوا ، وندموا على ما كان منهم بعد أن عرفوا عدوهم وتعاهدوا على الحذر منه والقضاء على مؤامراته دائما ، يقول أنس : فما رأيت يوما شرا منه في أوله ، وخيرا منه في آخره •

وقد سجل القرآن هذا الحادث اليهودى حتى يكون موعظة للمسلمين ، وتنبهيا للغافلين على مر السنين ، وحتى لا يدخل الشيطان بين صفوفهم ، ويعمل على تمزيق وحدتهم فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين • وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتمد بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » (١) الى أن حذرهم بعد ذلك من الانسياق وراء عصبية الاختلاف فقال : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » (٢) •

\* \* \*

وحاولوا أيضا :

زحزحة الرسول صلى الله عليه وسلم عن مبدئه

فعرض عليه كبارؤهم بأن يقضى لصالحهم فى الأحكام اذا احتكموا اليه حتى يتبعوه ، ولكنه صلى الله عليه وسلم تمسك بالحق • وكان الله

(٢) آل عمران : ١٠٥

(١) آل عمران : ١٠٠ ، ١٠١

قد أنزل عليه يحذره من مجاملتهم بالباطل : « وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية بيغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » (١) .

\* \* \*

كما تظاهروا بالاسلام :  
لتشكيك المسلمين في دينهم

بعد أن توأصى أحبار قرى ( عرينة ) وكانوا اثني عشر حبرا من اليهود على أن يدخلوا في دين محمد أول النهار ، ويرجعوا آخره الى دينهم قائلين : رجعنا الى علمائنا فحدثونا أن محمدا كاذب . وذلك حتى يفتنوا المسلمين عن دينهم . فكشف الله سوءاتهم وغدرهم وأنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » (٢) .

\* \* \*

كما استغلوا :

حادث تحويل القبلة

فقاموا بحملات التشكيك في الدين والرسول صلى الله عليه وسلم . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد هاجر الى المدينة وقيما اليهود واستمر بها نحو عام ونصف يستقبل في صلاته بيت المقدس ، ففرح اليهود ، وقالوا : استقبل قبلتنا ، وغدا سيتبع ديننا ، فلما حوله الله الى الكعبة ، قام اليهود بحملات التشكيك في الدين الاسلامي . وكذلك في رسوله الذي أنزل الله عليه قوله : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » (٣) .

\* \* \*

(٢) آل عمران : ٧٢

(١) المائدة : ٤٩ ، ٥٠

(٣) البقرة : ١٤٢

وفي يوم بدر أشاعوا :

### اشاعة قتل الرسول صلى الله عليه وسلم

وكانوا قد استغلوا حضور زيد بن حارثة من موقعة بدر يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويركب ناقته حاملا البشرى بانتصار المسلمين ، فأشاعوا : أن محمدا قتل ببدر ، واستدلوا على ذلك بعودة ناقته مع غيره وصاحوا جميعا : « قتل محمد وهزم أصحابه ، ولو انتصر لبقيت عنده ناقته ، وأن كلام زيد في البشرى ما هو الا من الرعب الذي أصابه » .

ولكن سرعان ما رد الله كيدهم ، وأعاد سهامهم الى صدورهم وتبين النصر الأكبر يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان .  
وكان هذا ردا كافيا على تكذيب اشاعاتهم .

\* \* \*

الى آخر هذه المؤامرات الدنيئة التي استمرت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى زماننا هذا الذي رأينا فيه منهم ما رأينا من الخسة والنذالة التي كان منها :

مؤامرة قتل عثمان وعلى ، والحسين ، وسم أخيه الحسن ، ومواقع صفين والجمل ، وما جرى من تمزيق الوحدة الاسلامية وتصييرها الى دويلات وأحزاب . ثم غارات التتار والصليبيين على بلاد الاسلام ، واضاعة الأندلس وفلسطين واحتلال بعض أجزاء البلاد العربية .  
هذا بالاضافة الى اشاعة التحلل ، وافساد الشباب بالميوعة ، والخمر ، والنساء ، والمال<sup>(١)</sup> ، واذاعة الاحاد والتنكر لأديان الله ، ومهما تمسحوا في عقيدة التوراة أو انتسبوا لداود أو سليمان ، فما ذاك الا لترويج أهدافهم البعيدة ، وخداع الجماهير والرأى العام ليعموا عن خططهم الدنيئة التي كان من أهمها اغتصاب حقوق أبناء فلسطين ، والعمل بكل ما أوتوا من مكر وخدعية على تفتيت وحدة العرب حتى يحققوا أهدافهم الاجرامية التي من أهمها التوسع الذي يجب أن يمتد في نظرهم وأحلامهم من الفرات الى النيل .

(١) عن طريق المجلات الهدامة مثل « الشبكة والصيد » وغيرها من المناسد المستوردة .



وأملهم كذلك من وراء هذه الأهداف — التي لن تتحقق أبدا ما دام هناك رجال يعتقدون بعروبتهم ومقدساتهم وعقيدتهم القويمة — أن يكون هناك وطن لهم في هذه المنطقة المقدسة يشكل امبراطورية يهودية يجلس على عرشها زعماء من شعب الله المختار من نسل داوود وسليمان والأسباط ، امبراطورية مقدسة عاصمتها القدس ، ومركزها اسرائيل • التي يجب أن تمتد — في نظرهم كما علمت قبل ذلك — من الفرات الى النيل •



وأخذوا يعملون في كل لحظة على تحقيق هذا الهدف الاجرامى الكبير ، وهم يرقبون الأحداث عن كثب منتظرين الفرصة السانحة ، ائى أن تم لهم تنفيذ بعض هذه المخططات التي كان من أهمها وأنشطها :

### احراق المسجد الأقصى

الذى بارك الله حوله ، وعلق به قلوب الملايين من المسلمين ، على مدى الدهور ، واختصه بمزايا لم يشركه فيها مقدس سواه بالاضافة الى أنه أولى القبلتين ، وثالث الحرمين التي تشد اليها الرحال (١) • وعن ذى الأصابع ، قال : قلنا يا رسول الله •• ان ابتلينا بعدك بالبناء ، أين تأمرنا ؟ قال : « عليك ببيت المقدس ، فلعن أن ينشأ لك ذرية تغدوا الى المسجد وتروح » (٢) •

وعن أنس مرفوعا : « صلاة الرجل في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة ، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » (٣) •

وعن ميمونة بنت سعد قالت : يا نبي الله •• أفقتنا في بيت المقدس ، فقال لها : « أرض المحشر والمنشر ، أتتوه فصلوا فيه فان صلاتكم خيه كألف صلاة » قالت : رأيت ان لم يطق أن يتحمل اليه أو يأتيه ؟ قال : « فليهد اليه زيتا يسرح فيه ، فانه من أهدى كان كمن صلى » (٤) • وعن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله •• أى مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قلت : ثم أى ؟ قال : « المسجد

(١) كما ورد في حديث رواه الخمسة مرفوعا عن أبى هريرة .

(٢) أخرجه أحمد .

(٣) أخرجه ابن ماجه .

(٤) رواه أحمد .

الأقصى « قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون عاما ، وحيثما أدركتك الصلاة فصل » (١) .

هذا هو بيت المقدس الذي أحرقوه ، ودنسوه بأرجاسهم في شهر أغسطس عام ١٩٦٩ ليينوا على أنقاضه هيكل سليمان ، ويعيدوا من ورائه : ملك داوود . . الى آخر هذه الأمانى الرخيصة التى مهدوا لها قبل ارتكابهم لهذا العمل الاجرامى الكبير الذى لن يغتفر لهم .

ولسوف يأتى اليوم الذى سننتقم فيه بعون الله وقوته للمسجد الأقصى ولجميع مقدساتنا ، وكرامتنا ، وأرضنا ، وعرضنا ، كما انتقمنا منهم فى معركةنا الأخيرة بل وأكثر . . . وسوف يتحقق فيهم قول الله تعالى : « سيهزم الجمع ويولون الدبر . . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » (٢) .



ولله در القائل الذى قال منفلا مع الأحداث :

تظالنا الأحداث فى كل ساعة	ونلقى من الصهيون غدرا مجسما
أتباع طه والمسيح ابن مريم	أنترك للصهيون بيتا محرما
نسيتم رسول الله والرسل خلفه	يحيون من أضحى الامام المكرما
وانا سألنا الله تطهير أرضنا	وانا سنفدى الأرض بالروح والدما
أتباع خير الخلق ماذا أصابنا	لنترك أرض القدس للبعى مغنما
و (سبحان من أسرى) نسيتم نزولها	نسيتم حبيبا فيه صلى وسلما
بنى العرب دين العرب عز وثورة	وكل ذليل لا أسميه مسلما
حلفت بمولانا قديرا وناصرا	بأنا سنأتى القدس وعدا محتما



واننى أستطيع الآن أن أقول لهذا الأخ الغيور ، ولا سيما بعد تلك الانتصارات العظيمة التى حققناها بكل شجاعة واستبسال فى اليوم العاشر من رمضان المبارك الذى سيظل رمزا لهذه البطولات العربية المصرية فى تاريخ أمتنا المجيدة : أبشريا أخى فلقد اجترنا والحمد لله

أهم مرحلة في طريق النصر على هؤلاء المجرمين الآثمين الذين صور لهم (تلمودهم) (١) :

« أن الله ليس معصوما من الطيش ، ولا من الغضب ، وأنه محتاج دائما الى حاخاماتهم » .

« وأن الله لا شغل له في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة . مع ملك الشياطين في مدرسة السماء » .

« وأن الله لم يلعب مع الحوت بعد هدم الهيكل كما أنه من ذلك الوقت لم يمل الى الرقص مع حواء ، بعد ما زينها بملابسها ، وعقص لها شعرها » .

« وأن الله قد اعترف بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل ، فصار يبكي ويمضى ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلا : تبا لي ، لأنى صرحت بخراب بيتي واحراق الهيكل ! ونهب أولادي » .

« وأن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة مفضلة لا يمكن حلها في السماء » .

كما جاء في التلمود : « ان تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ! وقد وقع يوما الاختلاف بين الباري وعلماء اليهود في مسألة فبعد أن طال الجدل تقرر احالة فصل الخلاف الى أحد الحاخامات الرابيين واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور » (٢) .

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

\* \* \*

بل ويعتقد المجرمون الكلاب :

« أن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده » .

ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح لأن الأرواح الغير يهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات » (٣) .

(١) وهو الكتاب الذي يعتبر شرحا للتوراة ، وهو من وضع علمائهم وأخبارهم ، وهم يزعمون أنه الوحي الغير مكتب الذي تركه موسى عليه السلام — وهم يعتقدون أنه أعظم من التوراة .

(٢) الكنز المرصود صفحة ٥ .

(٣) التلمود صفحة ٧٤

وأنة لا يدخل الجنة الا اليهود ، أما الجحيم ، فهو مأوى الكفار .  
وبما أن اليهود جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه لذلك ذكر في التلمود :

« أنه اذا ضرب أسمى (١) اسرائيليا ، فالأسمى يستحق الموت » (٢) .

كما صور لهم التلمود غير اليهود ، بأنهم حيوانات في صور انسان وأنهم حمير ، وكلاب وخنازير ، بل الكلب أفضل منهم ، لأنه مصرح لليهودى في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب وغير مصرح له أيضا أن يعطيهم لحما ، بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم .

ولهذا جاء في التلمود أيضا (٣) :

« وخلق الله الأجنبي على هيئة الانسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم » . ان اليهود يعتبرون أنفسهم مساوين للعزة الالهية فتكون الدنيا كلها لهم ، ولهم حق التسلط عليها . ولهذا كانت وصاياهم على الشكل الآتى :

لا تقتل : يعنى يهوديا ، لا تسرق : يعنى من يهودى .

لا تترن : يعنى بيهودية ، ولا تشهد بالزور : يعنى على يهودى .  
كما جاء في التلمود (٤) :

« ان مثل بنى اسرائيل كمثل سيدة في منزلها ، يستحضر لها زوجها النقود وتأخذها . . . ان تشترك معه في العمل والتعب » .

« مسموح غش الأسمى وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش » .

وهذا مصداق قوله تعالى : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (٥) .

« ان الرابى صموئيل — أحد الحاخامات المهمين — كان رأيه أن سرقة الأجانب مباحة ، وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب كان يظنها الأجنبي نحاسا ، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط ، وهو ثمن بخس ، وسرق درهما أيضا من البائع » .

(١) الأسمى في عرف اليهود كل من ليس يهوديا .

(٢) الكنز المرصود صفحة ٥٠ (٣) الكنز المرصود صفحة ٦٩

(٤) التلمود صفحة ٧٤ (٥) آل عمران : ٧٥

« ان الله لا يغفر ذنبا لليهودى يرد للأممى ماله المفقود » ص ٧٧  
 « غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى الا بالربا » ص ٨١  
 « اقتل الصالح من غير الاسرائيليين ، ومحرم على اليهودى ،  
 أن ينجى أحدا من باقى الأمم من هلاك ، أو يخرج من حفرة يقع  
 فيها » ص ٨٤  
 « اذا وقع أحد الوثنيين فى حفرة يلزمك أن تسدها بحجر » ص ٨٥

\* \* \*

وقد اعترفوا فى كتابهم المسمى « سد حادرون » :  
 « أن الحاخامات ، تسببوا فى روما فى قتل جملة من النصارى » •  
 « وأن الامبراطور ( مارك أوريل ) قتل جميع النصارى بناء على  
 ايماذ اليهود » •  
 « وأنه فى سنة ٤١٢ بعد المسيح ، قتل اليهود مائتى ألف مسيحي  
 فى روما وكل نصارى قبرص » •  
 « وأنه فى زمن البابا ( كليمان ) قتل اليهود فى روما وخارجا عنها  
 جملة من النصارى كرمال البحر » •  
 « وأنه بناء على رغبة اليهود قتل الامبراطور ( دبوكليسيين )  
 جملة من المسيحيين ، ومن ضمنهم باباوات » ص ٨٨  
 « لقد ثار اليهود على المسيحيين فى فلسطين عام ٧٠ م وذبحوا  
 منهم خلقا كثيرا » •  
 « وفى عام ١٠٥ م وفى عهد الحاخام ( أكيا ) ذبحوا من المسيحيين  
 ٢٠٠ ألف فى ليبيا ، ٢٤٠ ألف فى قبرص » •  
 « وفى عام ١٢٤ م ذبحوا منهم وثنقوا عشرات الآلاف فى  
 فلسطين » •  
 « وفى عام ١٣٥ م قتل اليهود بقيادة ( باركوخيا ) عشرات الآلاف  
 من المسيحيين فى فلسطين » •  
 « وفى عام ١٥٥ م قتل الامبراطور جميع النصارى فى رومانيا بناء  
 على دسائس الحاخام ( يهوذا ) » •  
 واذا أضفنا الى هذه الحروب الدينية الطاحنة التى دارت بين  
 الكاثوليك والبروتستانت والتى كان من ورائها اليهود الذين اندسوا  
 بين الفريقين يحرضون كلا منهما على الآخر ويزينون لكل منهما قتل  
 أخيه ، مما سبب قتل مئات الملايين •  
 ( ٢٧ - من وصايا الرسول )

الوصايا الجامعة كما جاء في كتبهم الدينية والتي منها :  
 « اهدم كل قائم ، لوث كل طاهر ، احرق كل أخضر ، كى تنفخ  
 يهوديا بفلس » •

« اقتلوا جميع من في المدن : من رجل وامرأة وطفل وشيخ ، حتى  
 البقر ، والغنم ، والحمير بحد السيف » •

« اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود » •  
 « العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات في كل يوم » •  
 بالاضافة الى ما أعلنه الدكتور أيدر ( رئيس اللجنة الصهيونية  
 في عبارته الآتية ) : « أهداف الصهيونية هي ابادة العرب جميعا » •  
 وما أعلنه وزير الحربية موسى ديان بكل وقاحة قائلا : « لقد  
 استولينا على اورشليم ونحن في طريقنا الى يثرب والى بابل » •

\* \* \*

اذا عرفنا هذا •• لتبين لنا وبوضوح أنهم كلاب البشر •  
 ولتبين لنا أيضا أن أطماع اليهود بالنسبة للعرب تتلخص في  
 نقطتين :

الأولى : ابادة الشعب العربى بكامله ، واجتثاث أمة العرب من  
 جذورها اجتاثا تاما حتى لا يبقى أمامهم وجه عربى ولا يسمعون  
 صوتا عربيا •

الثانية : الاستيلاء على أرض العرب جميعا من غير استثناء ليكونوا  
 المالكين لها والمسيطرين على ثرواتها ، والمتمتعين وحدهم بخيراتها •

\* \* \*

بل هناك حلم يراود أفكارهم ويلاعب خيالهم وهو : امتلاك العالم  
 والسيطرة على الدنيا بقاراتها الخمس ، ومحيطاتها الخمس أيضا •  
 وذلك لأنهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وأن ما سواهم  
 ما خلق الا لخدمتهم •

ولهذا زعموا في كتبهم : « أن اسرائيل : سأل الهه قائلا : لماذا  
 خلقت خلقا سوى شعبك المختار ؟ فأجابه قائلا :

لتركبوا ظهورهم ، وتمتصوا دماءهم ، وتحرقوا أخضرهم ،  
 وتلوثوا طاهرهم ، وتهدموا عامرهم » •  
 ولتبين لنا وبوضوح أن الصهاينة المجرمين هم جرثومة البشر •

وأنة لا بد من سحقهم بكل ما أوتينا من قوة حتى نطهر الأرض المقدسة من أرجاسهم ، ونؤمن الأمة العربية من شرورهم :  
بنفس الشجاعة التي قاومناهم بها في العاشر من رمضان (١)  
وما بعده من أيام ستظل خالدة في تاريخ أمتنا المجيدة :  
ففى هذا اليوم وبعد ست سنوات طوال صبرنا فيها على ماض  
ونحن نعد العدة ونتحين الفرصة للانقضاض عليهم حتى نتأثر لكرامتنا  
ونسترد الأرض العزيزة المغتصبة : استطعنا بتوفيق من الله أن نعبر  
أصعب مانع مائى ، ونخترق ( خط بارليف ) المنيع الذى كان مستحيلا  
فى نظرهم اختراقه .



وحتى ندرك أهمية هذا العمل العظيم ونشكر الله سبحانه وتعالى  
على تحقيقه بهذا النجاح الباهر المنقطع النظير ، الذى سيظل موضع  
اعجاب العسكريين فضلا عن غيرهم فى جميع أنحاء العالم الى قيام  
الساعة :

فقد رأيت ومن خلال هذه السطور المضيئة أن أقرأ معك بكل  
اعتزاز هذا التصريح الذى نشرته جريدة الأخبار فى ٢١ نوفمبر ١٩٧٣  
للمسيد الفريق رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى هذا الوقت والذى  
يقول فيه بعد حديثه عن صعوبة الموانع المائية : « ... أما عن قناة  
السويس فانها تعتبر مانعا مائيا فريدا يختلف عن جميع الأنهار والقنوات  
للأسباب الآتية :

— انحدار الشاطيء من الناحيتين وتديشه مما يعوق المركبات  
البرمائية من النزول الى المانع المائى أو الصعود منه الا بعد  
تجهيزات هندسية مسبقة ، وهذه الصفة لا يشترك فيها مع قناة السويس  
سوى قناة بنما وعدد محدود من القنوات الصناعية .

— قيام العدو بانشاء ساتر ترابى على الضفة الشرقية للقناة  
مباشرة بارتفاع ١٠ — ٢٠ مترا مما يجعل من المستحيل على أى مركبة  
برمائية العبور الا بعد ازالة هذا الساتر .

— انشاء خط بارليف على طول الساحل الشرقى للضرب على أى  
قوات تحاول العبور ، وقد انتخبت مواقع هذا الخط بعناية فائقة

بحيث تتحكم في جميع الاتجاهات وتستطيع أن تغمر بالنيران الجانبية  
أى قوات تعبر القناة وفي أى جزء منها .

— وجود خزانات للمواد المتهبة يسع كل واحد منها ٢٠٠ طن من  
المواد المتهبة على مسافات متقاربة بحيث يمكن للعدو أن يدفعها فوق  
سطح الماء ثم يشعلها فيتحول سطح القناة الى حمام ملتهبة تحرق  
كل شيء فوق الماء بل وتتسوى الأسماك في عمق القناة وتلفح حرارتها  
الشخص الذى يبعد عنها بمسافة ٢٠٠ متر ويستطيع العدو أن يتحكم  
في استمرار هذه النيران باستمرار دفع المواد المتهبة الى سطح الماء .  
ومع كل هذا يا أخى فقد عبرنا القناة التى كما يقول سيادته بعد  
ذلك : « ان قناة السويس ليست مجرد مانع مائى ، بل انه مانع  
فريد ليس له شبيهه فى العالم وليس هناك خبرة سابقة فى التاريخ لعبور  
مثل هذا المانع . . . » .

فاذا كان هذا قد حدث فإنه ما كان الا لأن الله قد أراد بنا خيرا  
والا لأننا قد تغيرنا وتحولنا تحولا ملحوظا فى أكثر أحوالنا :  
فها نحن نرى الآن وبوضوح ما يثلج الصدور : كيف تحولت  
القلوب الى الله تعالى ، وكيف ارتفعت الأكف ضارعة اليه فى خشوع  
العابد وخضوع المستغيث به المقر بتقصيره فى عبادته ، أن ينصرنا  
على أعدائه وأعدائنا .

وها نحن نرى كذلك كيف تحولت الشعارات الجوفاء الى تكبيرات  
تدوى فى جميع الأرجاء والأجواء حتى أصبحت أنشودة الدنيا وهدير  
المقاتلين .

حتى فى أغانيها أصبحنا نقول فيها : « بسم الله ، والله أكبر ،  
ولا اله الا الله ، وما رميت اذ رميت لكن الله رمى . . . » .

بعكس ما كنا نسمعه فى أيام النكسة التى كنا نسمع فيها ، مثلا :  
« اضرب من أجل البنات ، اضرب من أجل النساء ، اضرب من  
أجل البنات ، اضرب من أجل عشاق الحياة . . . » الخ .

أما اليوم والحمد لله وكما هو واضح للقريب والبعيد فقد أصبحنا  
لا نعتمد الا على الله ، ولا نسأل سواه .

فقاتدنا المؤمن بالله لا يبدأ خطابه الا باسم الله ، ولا يعلق شيئا  
الا بمشيئة الله . وهذا أيضا ما عهدناه من أكثر رجاله المخلصين وعلى  
رأسهم السيد رئيس أركان حرب القوات المسلحة الذى قال بالحرف



الواحد في أول تصريحه المشار اليه سابقا : « ولكنها أولا وأخيرا رعاية الله لنا ، التي مكنتنا من تحقيق المفاجأة بالصورة التي تمت بها » .  
ثم يقول بعد ذلك وفي نفس التصريح : « .. العقيدة والاصرار التي كان يقاتل بهما جنودنا البواسل فقد كان كل ضابط وجندي يعلم جيدا أنه يدافع عن شرف مصر وشرف العروبة الذي لطخته أحداث ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ظمها بالتراب ، كان يحاول أن يسترد أرضه ويستعيد كرامته وعزته بينما كان الجندي الاسرائيلي يقاتل دون هدف واضح مقنع ، هل وضع ديان في حسابه الأثر المعنوي الذي يحدثه عشرات الألوف وهي تعبر القناة وتصيح في وقت واحد : الله أكبر ، الله أكبر ؟؟

لا أعتقد أنه أدخل ذلك في حساباته » ، الى أن يقول في ختام حديثه : « وكان كل ضابط وجندي يشارك بقدر طاقته ومسئوليته في التجهيز والاعداد والتنفيذ حتى استطعنا في النهاية أن نحقق في ٦ أكتوبر نجاحا شهد به العالم أجمع ، وسوف يبقى هذا اليوم دائما يوم فخر لمصر وقواتها المسلحة » .

\* \* \*

وهكذا أذا الاسلام يتحقق الأمل المنشود بفضل الله وقوته الذي أراد لأمتنا العربية أن تعود الى مجدها وعزها ، وتثار لكرامتها ومقدساتها ، وهكذا لعبت العقيدة دورا كبيرا في معركتنا الأخيرة حتى جعلت منا أبطالا لهم بأسهم وعزهم .

وما كان كل هذا الا ببركة الاتحاد الأخوي الذي ربط العربي بأخيه العربي بهذه الصورة التي جعلتهم في وجه الأعداء « كالبنيان يشد بعضه بعضا » (١) أو : « كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٢) .

ولقد تجسم هذا في المساندة العربية التي شكلت خطرا كبيرا على أعداء الوطن العربي ولا سيما في هذه المقاطعة البترولية التي ( عطلت ) مصالحتهم ، وأوقفت مصانعهم ، بل وعرضتهم لشتاء قارس كاد أن يهلكهم : الأمر الذي جعلهم يفكرون في ضرورة الاعتراف بهذا الحق العربي ويعملون على ضرورة العمل من جانبهم على إعادة هذه الحقوق

المسلوبة الى أصحابها الشرعيين وهم أبناء فلسطين وكذلك ازالة آثار  
العدوان الغادر الذى كان فى سنة ١٩٦٧ .

وما كان كل هذا أيضا إلا بسبب تلك البطولات العربية التى  
كانت مدعمة بنصر الله وقوته ، والتى أرغمت العدو على التقهقر أمام  
قواتنا العربية التى كانت تدك حصونه المنيعه بصورة ما كانت تخطر  
له ولا لأحد على بال ، تلك الحصون التى كان من أهمها كما عرفت  
سابقا ( خط بارليف ) الذى أنفقوا فى بنائه مئات الملايين من الجنيهات  
وهم يحسبون أنهم لن يقهروا « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله  
فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب » (١)  
وحسبى فى هذا العرض أن أقرأ معك هذه الأبيات التى استوحاها  
الشاعر على الجمبلاطى من معركة العبور التى يقول فيها :

عبروا بأجنحة من الأقدار	كالسيل كالطوفان كالاعصار
يتسابقون الى الجهاد كأنهم	جن أغار بمارج من نار
رفعوا اللواء على الرمال فكبرت	وجرى بها نهر من الأنوار
سنوات ست لم تذق طعم السنى	بل جالقتها ظلمة الأشرار
سنوات ست غاب عن محرابها	صوت المؤذن فى دجى ونهار
يا أرض ( سينا ) عانقى حرية	جاءتك من أبناك الأحرار
الوارد المصرى هب مزجرا	مستهزئا بالموت والأخطار
ما المال ما الدم ما الحياة جميعها	ان لم نعش فى عزة وفخار
كم من بيان عسكري صوته	فى مسمى أحلى من الأوتار
يلقى لنا بالنصر اثر النصر	فى أضرى معارك جيشنا الجبار
جيش يقوم الشعب حصنا خلفه	ويقيه بالأسماع والأبصار
ما أعظم الجيش القوى اذا عدا	وله قلوب الشعب كالأسوار

الى أن يقول :

(ديان) أية قوة ترهى بها	ورجالك الأسرى مثال العار
التائهون بكل أرض أينما	حلوا تحل مباءة الأقدار
بلل بدمعك (حائط المبكى) وعش	فى ماتم وانذب خراب الدار
لم يبق جيشك فى الورى أسطورة	بل صار رمز الذل والادبار

\* \* \*

وإذا كانت هذه الانتصارات قد تحققت بالنسبة للجبهة المصرية فقد تحققت كذلك بالنسبة للجبهة السورية التي كانت تحارب في نفس الوقت الأعداء الغادرين الذين فروا أمامهم كذلك فرار ( الأرناب ) أذلاء صاغرين بعد أن فقدوا جزءا كبيرا من عددهم وعددهم<sup>(١)</sup> . وفي هذا يقول نفس الشاعر السابق في نفس القصيدة مخاطبا إياهم :

يا فتية الجولان أى بطولة	سجلتموها بالدم المدرار
ما زالت الدنيا تمجد عزمكم	زهوا بكل مقاتل مغوار
خضتم قتالا لا سبيل لوصفه	مهما نصغ من رائح الأشعار
الجو يمطر بالمنايا وأبلا	والبحر يقذف باللظى الموار
والأرض فيها من جهنم لفحة	تشوى وجوه الصخر والأشجار
ماذا فعلتم بالعدو فجيئته	قد عاد موسوما بكل صفار
مزقتم الأعداء شر ممزق	في كل ميدان وكل مطار

\* \* \*

ولما كانت كل هذه الانتصارات العظيمة قد تحققت في شهر عظيم مبارك انتصرت فيه قوى الخير على قوى الشر كما تم الفتح الأكبر ، فقد قال كذلك في نفس القصيدة التي تعبر بحق عن انتصاراتنا الجيدة التي تعتبر امتدادا لانتصاراتنا العربية الخالدة :

نا لأوس في القتال وخزرج	وأعز جند الله في الأنصار
لما لمسنا ( خط بارليف ) هوى	واندك تحت سلاحنا البتار
قد كان مفخرة اليهود فأصبحت	لبناته مبهوتة الأحجار
انا نبارك بالصيام جهادنا	فجهادنا صوم بلا افطار
شهر يعز الله فيه جنوده	ويمدهم بالعزم والاصرار
كم حقق الرحمن فيه أمانيا	عليا لجند نبيه المختار
شهداء بدر لم يزل تاريخهم	قصا مقدسة من الأكابر

\* \* \*

يا أمة الاسلام هبى وابعثى	ذكرى النبي وصحه الأبرار
من كل متقد العزيمة باسط	كفيه نحو الموت باستكبار
قد جاهدوا في الله حق جهاده	وتسابقوا للبذل والإيثار
فتحوا من الأمصار كل محصن	لله ما فتحوا من الأمصار

(١) عددهم وعددهم : الأولى بفتح العين والثانية بضمها .

سادوا وعزوا حين كان شعارهم ( الله أكبر ) وهو خير شعار  
أخلق بنا أن نقف آثارهم فخالودنا في هذه الآثار  
ماض سنربطه بأعلى حاضر مهما بذلنا غالى الأعمار

\* \* \*

وقد رأيت ختاماً لهذا العرض الضرورى الموضوعى أن أسوق  
اليك بعض :

### البطولات الاسلامية

التي سجلها التاريخ لأمتنا العريقة منذ عهد محرر الأفكار والانسان  
صلوات الله وسلامه عليه ، الذى لولاه لما كانت هناك بطولات عقائدية  
ومفاخر انسانية نعز بها ونفخر مدى الدهور والأزمان :  
وما حرر الأفكار الا محمد فعودوا الى قرآنه وتعلموا

\* \* \*

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى فى الشجاعة  
والاقدام ، فقد رأيت وفى بداية حديثي عن البطولات الاسلامية أن يكون  
الحديث عن :

### سيد الشجعان صلى الله عليه وسلم

فقد روى أن أهل المدينة فزعوا فى ليلة من الليالى ، عندما سمعوا  
صوت استغاثة مزعج ، فخرج رجالهم وشبابهم الى مصدر ذلك الصوت ،  
ليعرفوا سبب هذه الاستغاثة ، وكانوا جميعا حريصين على أن يذهبوا  
الى ذلك الخطر فيزيلوه دون أن يعلموا بذلك رسول الله ، حتى لا يقلقوا  
راحتهم ويزعجوا منامه .

وما كادوا يصلون الى مكان الخطر ، حتى وجدوا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قد سبقهم اليه .

وكانت نار قد شبت فى بيت من بيوتها ، فأسرع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم اليها وأطفأها قبل أن يتجمع الناس ، وكان على  
فرس عار لا شئ عليه ، فاستقبلهم عائداً وجعل يطمئنهم قائلاً لهم :  
« لقد أطفأتها ، ولن تراعوا » .

فمادوا وكلهم اعجاب بشجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم  
التي كانت موضوع أحاديثهم .

ويقول سيدنا على رضى الله عنه وهو البطل الصنديد : « كنا اذا حمى الوطيس<sup>(١)</sup> اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم - أى احتمينا به وفيه - فيكون أقربنا الى العدو » .

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم لم يتراجع فى غزوة قط ، فى الوقت الذى كان الأبطال فيه من المهاجرين والأنصار يتراجعون أو يفرون أحيانا فقد ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد ثبات الجبال الراسيات ، ولم يتزعزع عن موقفه بينما كان المشركون يحرصون بكل ما استطاعوا من قوة أن يقضوا عليه صلوات الله وسلامه عليه ، ولكن الله القوى العزيز عصمه منهم .

وفى غزوة حنين ، وقد فر المسلمون على كثرتهم اذ ذاك ، وقف الرسول صلى الله عليه وسلم وحده على فرسه وسط الميدان ، وجعل يضرب ووجه المشركين بسيفه ، وهو يصرخ فيهم قائلاً :  
أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ويقول البراء بن عازب رضى الله عنه :

« أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق ، فعرضت لنا صخرة فى مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول ، فشكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ثم هبط الى الصخرة ، فأخذ المعول وقال : بسم الله ، فغضب ضربة فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله انى لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا ، ثم قال : بسم الله ، وضرب أخرى ، فكسر ثلث الحجر . فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله انى لأبصر المدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا . ثم قال : بسم الله ، وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله انى لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا »<sup>(٢)</sup> .

فأشاع بهذه البشائر وهذا التفاؤل : الاطمئنان فى المسلمين .

كما كانت شجاعته تلك رائدة لهم فى جميع المعارك الاسلامية التى سجلوا فيها من البطولات العظيمة مالا حصر له الى أن تم الفتح المبين وهم يذكرون دائماً وأبداً قول القائد الأعلى صلوات الله وسلامه

(٢) رواه احمد .

(١) أى الحرب .

عليه : « والذي نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » (١) وقوله : « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » كما كان مثلاً أعلى لتلاميذه الأبطال في حياته وبعد مماته .

\* \* \*

فمن هؤلاء الذين تأثروا به وتعلموا على يديه صلى الله عليه وسلم :

**على بن أبي طالب كرم الله وجهه**

الذي تشبّع بخصال النبي صلى الله عليه وسلم وتعلم منه الكثير من المواقف البطولية منذ أن كان في كفالة النبي صلى الله عليه وسلم الذي ضمّه إليه تعاوناً مع عمه أبي طالب .

وكان هذا عندما أصاب القحط قريشاً ذات عام ... وناء أبو طالب بأمر أسرته فاقترح النبي صلى الله عليه وسلم على ذوى القربى أن يضم كل منهم إليه ولداً من أولاد أبي طالب وهم : جعفر ، وعقيل ، وطالب ، وعلى . فكان على من نصيب الرسول صلى الله عليه وسلم فشب على حب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أول من آمن به من الفتيان كما كان متحمساً لعقيدته وهو صبي .

ومن شجاعته ما حدث وهو في العاشرة من عمره حين أحاط المشركون بالنبي قبل انتشار الدعوة الإسلامية وهم يندرون النبي ويتوعدونه ، ويقولون له : أنك وحيد ليس لك فينا نصير .

وعندما سمع ذلك على ، صاح قائلاً وهو ينظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أنا نصيرك ، فضحك القوم من هذا الصبي الصغير . ولكنه شد قبضته كأنه فارس مغوار ، وهو يهجم بالهجوم على القوم دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي ليلة الهجرة اغتدى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه عندما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يلتحف ببرده الأخضر وينام في فراشه فقبل ذلك وهو يعلم أن قريشاً تأتمر بالنبي صلى الله عليه وسلم لقتله .

وقد حدث فعلاً — بعد أن خرج النبي صلى الله عليه وسلم من داره في الطريق إلى دار أبي بكر الصديق رضى الله عنه الذى صاحبه بعد ذلك إلى الغار — أن هاجمه القوم في أول الصباح ، ولما لم يجدوا الرسول

(١) فأقتل : بضم الهمزة وفتح التاء .

صلى الله عليه وسلم في الدار وأن عليا هو الذي كان ينام مكانه ،  
أوسعوه ضربا وحبسوه في المسجد وأقاموا عليه الحراس والأرصاد •  
وقد عبر شاعر مصري عن هذا بقوله (١) :

ولن ينسى النبي له صنيعا عشية ودع البيت الحراما  
عشية سامه في الله نفسا لغير الله تكبر أن تساما  
فأرخصها غدى لأخيه لما تسجى في حظيرته وناما  
وأقبلت الصوارم والمنايا لحرب الله تنتحم انتحاما  
ظلم يأبه لها أنفا على ولم تقلق بجفنيه مناما  
وأغشى الله أعينهم فراحت ولم تر ذلك البدر التماما

وقد عرف عنه رضى الله عنه أنه ما صارع أحدا الا صرعه ، وأنه  
كان جريئا على الموت •

فقد ورد أنه بارز عمرو بن ود - فارس الجزيرة العربية - وهو  
لا زال حدثا في سنه :

وكان هذا أيام وقعة الخندق ، عندما برز ابن ود مزهوا بقوته  
ينادى في المسلمين : من يبارز ؟

فهتف على : أنا له يا رسول الله • • فبيتسم النبي صلى الله عليه  
وسلم ثم يقول له : « اجلس • • انه عمرو » ، ولكن الرجل المزهو  
عاد يصيح : من يبارز ؟

وراح يهزأ بالمسلمين قائلا : أين جنتكم التي زعمتم أنكم داخلوها  
• • أجبنتم • • أفلا يبرز لى منكم رجل ؟

فكان على ينهض المرة بعد الأخرى وهو يكرر في حماس : أنا له  
يا رسول الله • • والنبي صلى الله عليه وسلم يشفق عليه ويقول له :  
« اجلس • • انه عمرو » ولكنه ظل بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى أذن  
له • • فلما تقدم نحو عمرو سخر منه وهو يكتسحه بنظرات الاستصغار  
تائلا له : من أنت ؟ فيجيبه بعزة ورجولة : أنا على •

فيقول له عمرو : أنت ابن عبد مناف ؟

فيقول : على بن أبى طالب • • فأقبل عليه عمرو مشفقا وقائلا :  
يا ابن أخى • • من أعمامك من هو أسن منك ، واني أكره أن أهريق  
دمك •

(١) وهو المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب •

فقال له علي : ولكني والله لا أكره أن أهريق دمك .. ولكني أذكرك  
يا عمرو بما ينفك ويحصم دمك ، انك كنت تعاهد قومك ألا يدعوك  
رجل من قريش الى خلتين الا أخذت منه أحسنهما . قال عمرو :  
أجل .

فقال علي : فاني أدعوك الى الاسلام ، أو الى النزال .  
فقال عمرو مستصغرا لسان علي : ولم يا ابن أخي .. فوالله ما أحب  
أن أقتلك . ثم غضب وأهوى بسيفه عليه يريد أن يذهب به بضربة  
واحدة .

ولكن عليا راوغه وما زال به حتى خر الرجل صريعا تحت قدميه .  
فكبر المسلمون تكبيرة تفيض بنشوة النصر ، ثم استقبوا عليا مهلين  
مكبرين .

وعندما علمت ابنة عمرو بقتله سألت عن قاتله ، فلما علمت أنه  
علي وجدت عزاءها في أن الذي قتله فتى لا يشق لشجاعته غبار .  
وذهب ترثيه شعرا فتقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكميته أبدا ما دمت في الأبد  
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وقد خاض علي المارك كلها الى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وكان على شجاعته لا يبدأ أحدا بقتال .. وكان يأمر جنده أن لا يجهزوا  
على جريح ولا يقتلوا رجلا استسلم أو هرب موليا ، وفي وقعة الجمل  
كان يصلى على الموتى من أعدائه .

\* \* \*

ومن الأبطال العظام أيضا :

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الذي كان ولا يزال مضر الأمثال في القوة والشجاعة وقول الحق .  
يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر الا متخفيا ، الا عمر بن الخطاب  
فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه ، وتنكب قوسه وانتضى في يده  
سهما ، واختصر عنزته — عسا لها زج كالرمح الصغير — ومضى قبل  
الكعبة ، والملا من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعا متمكنا ، ثم  
أتى المقام فصلى ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة يقول لهم :



شاهت الوجوه .. لا يرغم الله الا هذه المعاض ، من أراد أن  
 يئكل أمه ، أو يوتم ولده ، أو يرمل زوجه فليلقني وراء هذا الوادي \*  
 وروى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه قال : استأذن  
 عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قریش يكلمنه  
 ويستكثرنه عالية أصواتهن . فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ،  
 فأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم فدخل ، والرسول يضحك ،  
 فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله . قال : عجبت من هؤلاء  
 اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب . قال عمر : فأنت  
 يا رسول الله كنت أحق أن تهاب . ثم قال عمر : أى عدوات أنفسهن ..  
 أتتهننى ولا تهين رسول الله ؟ قلن : ان فيك غلظة . قال النبى : « يا عمر ..  
 والذي نفسى بيده ، ما لفيك الشيطان قط نسالكا فجا الا سلك  
 فجا غيره » .

ولسأولى الخلافة صعد المنبر وقال :

اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ، وارزقنى الشدة  
 على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق . اللهم انى شحيح فسخنى فى نوابب  
 المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير .

بلغنى أن الناس هابوا شدتى ، وخافوا غلظتى . وقالوا : كان عمر  
 يشتد علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف اذا صارت الأمور اليه ؟  
 ومن قال ذلك فقد صدق ، كنت سيفاً مسلولا حتى يغممنى أو يدعنى  
 فأمضى ، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله . ثم انى وليت أموركم ،  
 فاعلموا أن تلك الشدة ضوعفت ولكنها انما تكون على أهل الظلم  
 والتعدى ، فأما أهل السلامة والدين والفضل فأنا ألين لهم من بعضهم  
 لبعض ، فاذا غبتم فى البعوث فأنا أبو السيال حتى ترجعوا اليهم ولكم  
 على ألا أجتني شيئاً من خراجكم الا فى جهته .

ولقد حكم ( عمر ) عشر سنوات كانت من أبرز سنوات الاسلام حياة  
 وجهادا وقوة : جمع القرآن بعد أن استحر القتل فى القراء ، وفتح  
 فى عهده العراق والشام ومصر .

فكان فعلا ( فاروقا ) كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه  
 فرق بين الحق والباطل ، وأعز الله به الاسلام تحقيقا لدعوة الرسول  
 صلى الله عليه وسلم يوم أن قال : « اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين :  
 عمرو بن هشام ، أو عمر بن الخطاب » .

وحسبى فى نهاية الحديث عنه أن أضيف ما قاله ابن مسعود  
رضى الله عنه : « كان اسلام عمر فتحا ، وهجرته نصرا ، وامارته  
رحمة » .



ومنهم كذلك سيف الله المسلول :

### خالد بن الوليد رضى الله عنه

الذى يقول عن نفسه : « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها . .  
وما فى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ،  
أو طمئة رمح . ولقد طلبت الموت فى مظلته فلم يقدر لى الا أن أموت  
على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير ، ما من عمل أرجى عندى  
وأحب بعد أن لا اله الا الله من ليلة شديدة الجليد فى سرية من  
المهاجرين . . وما ليلة يهدى الى فيها عروس أنا لها محب ، أو أبشر  
فيها بسلام أحب الى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين  
أصبح بهم المشركين » .

ولقد كان خالد طوال حياته البطولية فى ظل العقيدة الاسلامية  
سيفا مسلولا فى وجه أعداء الاسلام بصورة أذهلت الأعداء الذين  
جهرتهم شجاعة خالد واستبساله فى منازلة أعدائه ولا سيما فى معركة  
اليرموك التى ضرب فيها أروع الأمثلة فى البطولة والرجولة وحسن  
القيادة .

وكان هذا بعد أن دار حديث بينه وبين قائد الروم ( ماهان ) الذى  
طلب أن يبرز له خالد قبل بدء القتال ليقول له بضع كلمات .  
فذهب اليه خالد ، وعندما تواجهها فوق جواديهما فى الفراغ الفاصل  
بين الجيشين قال قائد الروم مخاطبا خالدا :

لقد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم الا الجهد والجوع ، فان  
سئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير ، وكسوة ، وطعاما ،  
وترجعون الى بلادكم ، وفى العام القادم أبعث اليكم بمثلها .  
فيرد عليه خالد بكل صرامة وقوة :

انه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت ، ولكننا قوم نشرب  
الدماء ، وقد علمنا أنه لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم ،  
فجئنا لذلك .

ثم لوى زمام جواده عائدا الى صفوف جنده لكي يندفع بهم بعد ذلك بكل شجاعة واقدام تجاه الأعداء الذين كانوا يفرون أمام ضرباتهم ، « كأنهم حمر مستنفرة • فرت من قسورة » (١) رغم الفارق الكبير في العدد والعدد (٢) •

\* \* \*

فهذا بطل من أبطال الاسلام في هذه المعركة والقتال دائر ، يقترب من أبي عبيدة بن الجراح قائلا له :  
انى قد عزمت على الشهادة ، فهل لك من حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغها له حين ألقاه ؟ فيقول له أبو عبيدة :  
نعم ، قل له : يا رسول الله •• انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا •  
ثم يندفع البطل بعد ذلك كالسهم المقذوف وسط الهول مستاقا الى مصرعه ومضجعه يضرب بسيفه بكل شجاعة واستبسال حتى يفوز بالشهادة •

\* \* \*

وهذا عكرمة ( ابن أبي جهل ) في هذه المعركة أيضا ينادى في رفاقته المسلمين حين ثقلت وطأة الروم عليهم :  
لطالما قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهدينى الله للاسلام ، أفأفر من أعداء الله اليوم ؟ ثم يصيح قائلا :  
من يبائع على الموت ؟ فيبائعه على الموت كوكبة من الأبطال الذين انطلقوا معه في ساحة الشرف حتى فازوا جميعا بالشهادة •  
في الوقت الذى كان فيه خاند ينقض على ميسرة الأعداء بمائة جندي أمام أربعين ألفا من الروم ، وهو يصيح في جنوده الشجعان قائلا : والذى نفسى بيده ما بقى مع الروم من الصبر والجلد الا ما رأيتم وانى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم •  
وبالايمان الذى يصنع المعجزات تنتصر قوى الحق بقيادة سيف الله المسلول خالد بن الوليد على قوى الباطل بصورة أبهرت قواد الروم وأمراء جيشهم مما حمل أحدهم وأسمه ( جرجه ) على أن يدعو خالدًا للبروز اليه في إحدى فترات الراحة بين القتال •

(١) قسورة : أى الأسد — والآية من سورة المدثر : ٥٠ ، ٥١

(٢) العدد والعدد : الأولى بفتح العين والثانية بضمها .

وحين يلتقيان ، يواجه القائد الروماني حديثه الى خالد قائلاً :  
يا خالد .. اصدقني ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، هل أنزل  
الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاك اياه فلا تسله على أحد  
الا هزمته ؟

قال خالد : لا ..

قال الرجل : فبم سميت سيف الله ؟

قال خالد : ان الله بعث فينا رسوله ، فمنا من صدقه ، ومنا من  
كذب .. وكنت فيمن كذب حتى أخذ الله قلوبنا الى الاسلام ، وهدانا  
برسوله فبايعناه فدعا لى الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصر ، وقال  
لى : أنت سيف من سيوف الله ، فهكذا سميت : سيف الله .

قال القائد الروماني : والام تدعون ؟ .. ؟

قال خالد : الى توحيد الله ، والى الاسلام .

قال القائد الروماني : هل لن يدخل في الاسلام اليوم مثل ما لكم  
من المثوبة والأجر ؟

قال خالد : نعم ، وأفضل .

قال القائد : كيف .. وقد سبقتمونا ؟

قال خالد : لقد عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأينا  
آياته ومعجزاته . وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم  
في يسر .. أما أنتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ، ثم آمنتم بالغيب ،  
فان أجركم أجزل وأكبر اذا صدقتم الله سرائركم ونواياكم .

وما كاد خالد ينتهى من كلامه هذا حتى دفع القائد الروماني  
جواده الى ناحية خالد ووقف بجواره . ثم قال :

« علمنى الاسلام يا خالد » .. !!

وكان فعلاً أن أسلم .. وصلى ركعتين لم يصل سواهما ، ثم  
قاتل في صفوف المسلمين — عندما استؤنف القتال بين الجيشين —  
واستمات في طلب الشهادة حتى نالها وظفر بها .

وما كان كل هذا الاستبسال من جانب الجنود ، وما كانت هذه  
النتيجة المشرفة من جانب القائد الرومى الا نتيجة لانتصارات خالد  
وبطولاته التى ستظل مضرب الأمثال الى قيام الساعة ، ولله در حافظ  
ابراهيم فلقده قال في مدح خالد :

سلب قاهر الفرس والرومان هل شفعت له الفتوح وهل أغنى تواليها ؟  
 غزى قأبلى وخيل الله قد عقدت باليمن والنصر والبشرى نواصيها (١)  
 يرمى الأعادى بأراء مسددة وبالفوارس قد سالت مذاكيها (٢)  
 ما واقع الروم الا فر قارحها (٣) ولا رمى الفرس الا طاش راميهما  
 لم يجز بلدة الا سمعت بها الله أكبر تدوى في نواحيها  
 عشرون موقعة مرت محجلة (٤) من بعد عشر بنان الفتح تحصيها  
 وخالد في سبيل الله موقدها وخالد في سبيل الله صاليها (٥)

\* \* \*

وأسد الله وأسد رسوله :

### حمزة بن عبد المطلب عليه رضوان الله

بطل بدر الذى برز للأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلا  
 شرسا سيء الخلق ، عندما أراد أن يسخر من المسلمين قائلا : « أعاهد  
 الله لأشربن من حوضهم أو لأموتن دونه » ولكن الحوض من وراء  
 المسلمين - وكان يحسب أن أحدا من المسلمين لن يجرؤ على الوقوف  
 في سبيله ، وأنه سيخترق صفوفهم أما أو كالأمن .

وما كاد يبرز من صفوف المشركين متجها نحو الحوض حتى تقدم  
 إليه ( حمزة ) وضره بالسيف ضربة قطعت ساقه وهو دون الحوض ،  
 فوقع على الأرض تشخب ساقه دما . . . وبلغ به العتو أن أراد الزحف  
 نحو الحوض حتى يبر بيمينه .

لكن حمزة لم يمهل وانما أتبعه بضرية أجهزت عليه في الحوض ،  
 والمشركون ينظرون ذاهلين من جرأة هذا البطل .

وعندما تراحف الجمعان ، واستعرت المعركة كان حمزة - الذى  
 علم نفسه بريثة نعامة ثبتها في صدره - طوال المعركة كالعلم الأسم  
 والأسد الضارى لا يكاد يثبت في مكان ، ولا يرى أحدا من كبار المشركين

(١) النواصي : جمع ناصية ، وهى مقدم الراس .

(٢) الخيل التى انتشرت .

(٣) قارحها : أى القوى المكتمل منهم .

(٤) محجلة : أى واضحة مشرقة بالانتصار فيها ، ومعنى البيت بن

خالدًا ظفر في ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح .

(٥) صاليها : أى يقاسى حرها رشدها .

الا انقض عليه انتقضا الصاعقة ، ولا يرى واحدا من اخوانه المسلمين  
الا خف لنجدته على عدوه :

فهذا على بن ابي طالب يقول : رأيت طعيمة قد علا رأس كئيب  
يوم ( بدر ) وقد ساواه ( سعد بن خيثمة ) فصمدت له ولم آتته حتى  
قتل ( سعد ) فلما رأني أصعد الكئيب اليه انحط على - وكان رجلا  
جسيما - فخشيت أن يعلو على ، فانحطت في السهل ، فظن أنني  
فررت منه ، فصاح بأعلى صوته : فر على بن ابي طالب ، وكنت  
أخادعه لأخذه على غرة ، فلما استوت قدماي بالأرض وقفت له ،  
فانحدر الي وأهويت اليه ، فسمعت قائلا من خلفي يقول : طأطء  
رأسك ، فجعلت رأسي في صدر طعيمة ، واذا برقة من السيف أخذت  
قحف ( طعيمة ) فسقط ميتا ، واذا بالقاتل حمزة بن عبد المطلب •

وكان أمية بن خلف وابنه على بن أمية قد أسرهما عبد الرحمن  
ابن عوف واقتادهما الي صفوف المسلمين ، وانه لسائر بينهما اذ سأله  
أمية : من الرجل منكم المعلم بريشة نعامه في صدره ؟ فقال عبد الرحمن :  
ذلك حمزة بن عبد المطلب ، فيقول أمية : ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل •  
وعندما عادت قريش بالخزى والعار نادى مناديهم : « لقد أذل  
حمزة بن عبد المطلب شرفكم ، ووضع من تدركم وجعلكم الأذلة المستبعدين  
في الأرض ، مات بيديه صفوة رجالكم وأصحاب الصدارة في منندياتكم ،  
فبالنارات قريش ، ويا للأحقاد الكامنة » •

ولهذا عندما خرج المشركون في غزوة أحد لكي يثأروا لقتلهم ،  
كان نصفهم يطلب ثأرا من هذا البطل - حمزة بن عبد المطلب -  
ولذا أحاطت به الأرصاء من كل ناحية •

في الوقت الذي كان فيه حمزة أيضا في المعركة أسدا جسورا  
كعادته لا يلقي مشركا الا صرعه ، فقد لقيه أرطاة بن عبد شريحيل  
ابن هشام أحد كماء بني عبد الدار ، وأحد النفر الذين يحملون لواء  
قريش - فقتله حمزة ، وكذلك قتل عثمان بن ابي طلحة حامل لواء  
قريش أيضا ، وعرض له سباع بن عبد العزى الغبشاني ، فأجهزا  
عليه ، ومضى على عهده يضرب بسيفه يمنة ويسرة والعيون له رصدا  
وكل مشرك موتور يتسقط لحظة يغتاله فيها •

وكان جبير بن مطعم قد دعا غلامه الحبشي وحشى - الذي كان  
يجيد رمى الحربة الطوية التي قلما يخطئ بها ، شأن الأحياس -

وقال له : أخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم محمد بمعى طعيمة ابن عدى فأنت حر (١) .

وكانت هند بنت عتبة التى خرجت مع زوجها أبى سفيان بن حرب كلما مرت بالعبد الحبشى وحشى أو مر بها قالت له : « ويها أبا دسمة .. أشف واشتف » تعرضه على قتل حمزة لأن قريشا بجمعها عرفوا أنهم لن ينالوا منه منالا اذا ما واجهوه فى قتال — اذن فليقتلوه غيلة . ولم يكد حمزة يفرغ من سباع بن عبد العزى حتى أمكت العبد الحبشى الفرصة ليصوب حربته نحوه .

وفى ذلك يقول وحشى : والله انى لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه تائر الرأس ما يلقي بشىء يمر به مثل الجمل الأورق ، اذ قد تقدمنى اليه ( سباع ) وهو يقول : ألا من مبارز ؟ فقال له حمزة : هلم يا ابن .. . — وكانت أم ( سباع ) هذه ختانة بمكة — ثم ضربه ضربة هائلة قتلته . وكننت كامنا تحت صخرة لا يرانى ( حمزة ) وهزرت حربتى حتى اذا رضيت عنها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته — أسفل البطن — حتى خرجت من بين رجليه ، فنهض متاثقا نحوى فغلب فوقع وتركته واياها حتى مات ثم أتيتها ، فأخذت حربتى ، ثم رجعت الى المعسكر فقمعت فيه ولم يكن لى بغير ( حمزة ) حاجة .

وخرجت ( هند بنت عتبة ) تبحث عن قاتل أخيها حتى اذا عثرت على جثمان ( حمزة ) الطاهر مثلت به شر تمثيل ، فقد بقرت عن كبد سيد الشهداء فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها ، فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة وصرخت بأعلى صوتها قائلة :

نحن جزيناكم بيوم ( بدر ) والحرب بعد الحرب ذات سمر (٢)  
 ما كان من ( عتبة ) لى من صبر ولا أخى وعمه وبكرى (٣)  
 شفت نفسى وقضيت نذرى شفت ( وحشى ) غليل (٤) صدرى  
 فشكر ( وحشى ) على عمرى حتى ترم أعظمى فى قبرى

(١) لأن حمزة هو قاتل طعيمة يوم بدر .

(٢) السمر — بضمسين : الالتهاب .

(٣) كان أبوها عتبة قد قتل فى معركة بدر ، وكان حمزة قاتل أخويها ،

لهذا كانت أشد نساء قريش دعوة للثأر .

(٤) الغليل : العطش أو حرارة الجوفة .

ثم عادت بعد ذلك تقول :

شفيت من ( حمزة ) نفسى بأحد حتى بقرت بطنه عن الكبد  
أذهب عنى ذاك ما كنت أجدر من لذعة الحزن الشديد المعتمد  
ولهذا عندما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه  
الشهيد ، ووجده ببطن الوادى على هذه الصورة المحزنة ، وقد بقرت  
بطنه ، ومثل به - جدع أنفه وأذناه - .

حزن الرسول صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا بلغ مداه ،  
ولهذا قال : « لئن أصاب بمثلك أبدا ، وما وقفت موقفاً أعيظ الى من  
هذا » ثم يعود فيقول : « قد جاءنى جبريل فأخبرنى : ان حمزة  
ابن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب  
أسد الله وأسد رسوله » .

ثم يقول مخاطبا أصحابه الذين كانوا كذلك فى حزن عميق لا على  
استشهاد البطل حمزة ولكن لما فعل به من تمثيل « ولولا أن تحزن  
( صفة ) (١) وتكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع  
وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن واحد لأمتلن  
بثلاثين رجلا منهم » .

وعندما رأى المسلمون عميق حزن الرسول صلى الله عليه وسلم  
وبالغ غيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا : « لئن أظفرنا الله بهم  
يوما من الدهر لنمتلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب » .  
فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل  
ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (٢) فعفا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وصبر ونهى عن المثلة .

هذا هو حمزة البطل الشهيد الذى قال فى حقه صلوات الله  
وسلامه عليه فى حديث رواه جابر : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب »  
والذى عاش لايمانه وفى سبيله مات ، فسلام عليه : « مع النبيين  
والصديقين والشهداء والصالحين » الى يوم الدين .

\* \* \*

(١) صفة بنت عبد المطلب ، وكان حمزة اخاها لابيها راما ..

(٢) النحل : ١٢٦



### خبيب بن عدى

الذى كان قد أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم مع بعض حفظة القرآن الكريم الى ( عضل ) ليعلموهم كتاب الله بناء على طلبهم ، فخانوهم وقتلوهم ، أما خبيب ، وزميله زيد بن الدثنة ، فقد أسروهما ، وانتظروا عليهما ليشتريا في قتلتهما كل من له ثأر عند المسلمين .

وكان خبيب قد أسره الحارث بن عامر وأودعه بيت ماوية بنت حجير ، التي راعها ايمانه لأنها كانت لا تراه الا مصليا أو صائما ، وشاهدته مرة يأكل قطف عنب وما بمكة عنب فسألته ، فقال : هو من عند الله . وقد أبى أن يأكل مدة الأسر مما لم يذكر اسم الله عليه ، فكان يتناول اللبن ، ويوصى صاحبه ( زيدا ) بالصبر والايمان ، وكان يقرأ القرآن فيجتمع عليه النساء ويبكين تأثرا ، ولم ينزل ايمانه وانما كان مترايدا وراسخا كالجبل .

وفي الوقت الذى حان فيه موعد قتله ، حمد الله كثيرا ورضى بقضاء الله ، فأرسلوا اليه من يساومه في ايمانه ، ان كفر بمحمد مقابل اطلاق سراحه ، فرفض بعنف وهو يقول لهم : الموت أدنى مما تتوهمون ، ثم أنشد :

الى الله أشكو غيبتى بعد كربتى وما جمع الأحزاب لى عند مصرعى  
فدو العرش صبونى على ما أصابنى

فقد قطعوا لحمى وقد ضل مطمى (١)

وقد عرضوا بالكفر والموت دونه (٢) وقد ذرفت عيناى فى غير مدعى  
وما بى حذار الموت انى لبيت ولكن حذارى حر نار تنقع  
ولست بمبىد للعدو تخشعا ولا جزعا انى الى الله مرجعى  
ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى  
وذلك فى ذات الاله وان بشأ يبارك على أوصال ثلوه مززع  
فأخذوه بعد ذلك الى مكان يسمى ( التنعيم ) ليقتلوه ، فقال لهم :

دعونى أصلى ركعتين ، فصلاهما تامتين ، ثم قال لهم : والله لولا أنى  
أخشى أن تقولوا خائف من الموت لأطلت الصلاة . ثم صلبوه على العمود  
فاستقبل القبلة وقال : الحمد لله الذى جعل وجهى قبل بلدة رسوله

(٢) أى ساوموه على الكفر .

(١) أى تاه رجائى فى النجاة .

وقبلته التي ارتضاها لعباده المؤمنين ، ثم قال : اللهم بلغ رسوك  
منى السلام ، وبلغه ما يصنع القوم بنا ، اللهم انى لا أرى هنا حولى  
الا وجه عدو ، اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم  
أحدا .

فسقط أبو سفيان على الأرض ، خضية أن تصيبه دعوة خبيب  
المظلوم ولم يكن أبو سفيان قد أسلم يومئذ ، ثم قتلوه وهو فى نشوة  
بلقاء الله متوجها بالشهادة التي كان ينشدها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يجلس بين أصحابه ،  
فغشى عليه ثم أفاق وهو يقول : « وعليك السلام يا خبيب ورحمة  
الله وبركاته » فيسأله الأصحاب : فيقول لهم : « قتلته قريش » ،  
ثم أرسل بعض الأبطال لاحتضار جثته ، فوجدوها كما هى لم تتغير ،  
والدم بلونه وله رائحة المسك ، وكان قد مضى على استشهاده  
أربعين يوما .

وقد ثبت أنه كان كلما طعن برمح أو سيف قال : « لا اله الا الله » .

ومن اكرام الله له أن الكفار تيقظوا للفوارس حينما أخذوه ،  
فأسرعوا وراءهم ، فوضعوه على الأرض ليتخففوا ولينجوا بأنفسهم  
من موت محقق ، ولكن الله لم يدعه طرفة عين على ظهر الأرض ،  
بل ابتلغته من فورها ، ابعدا لجسده من الامتحان حتى لا يعبت به  
الفجرة ولذلك سمي « بليع الأرض » .

\*\*\*

وأما :

زيد بن الدثنة

فقد ساوموه أيضا — كما ساوموا زميله خبيب — على ايمانه ،  
ولكنه رفض فصلبوه ، ثم قتل له أبو سفيان : يا زيد . . أسألك بالله ،  
الإ تحب أن تكون أنت الآن معافى فى أهلك ، ومحمد هنا عوضا عنك ؟  
فغضب ( زيد ) أشد الغضب ثم قال : والله يا أبا سفيان ، ما أود  
أن أسلم لأهلى وعيالى ونفسى ، ونبىي يصاب بعثرة فى اصبعه .  
فقال أبو سفيان : ما رأيت أحدا يجب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا .  
وكان أحد الشعراء العرب قد شاهد هذا المشهد الرائع الذى يؤكد  
أهمية الايمان فى مواجهة العد ، فقال مصورا هذا المشهد العظيم :

أسرت قريش مسلما في غزوة شمنى بلا وجل الى السيف  
سألوه : هل يرضيك أنك سالم ولك النبي غدى من الاتلاف  
فأجاب : كلا لا نجوت من الردى ويصاب أنف محمد برعاف

\* \* \*

و :

### غسيل الملائكة

حنظلة بن عامر وهو المعروف في كتب الحديث : ( بغسيل الملائكة ) .  
وذلك لأنه كان قد تزوج بنت عبد الله بن أبي ، ودخل بها ليلة  
أن هم المسلمون بلقاء المشركين في غزوة أحد ، وفي صبيحة هذا اليوم ،  
أذن مؤذن الجهاد : أن يا خيل الله اركبى ...  
فما كان من حنظلة حين سمع النداء الا أن سارع بالخروج ملبيا  
دعوة الله ومجيبا لنداء المنادى بالجهاد دون التفكير في عروسه .  
وفي الميدان أخذ يكر على المشركين بسيفه حتى فاز بالشهادة .  
وعندما تفقد الرسول صلى الله عليه وسلم القتلى وجد الملائكة تغسل  
حنظلة فتعجب من ذلك ، لأن الشهيد لا يغسل ، فأخبر أصحابه بذلك  
وقال لهم :

« ان الملائكة تغسل حنظلة بماء السحاب في صحاف الفضة »  
فيتعجب الأصحاب أيضا ، وأقبلوا على حنظلة ، فشاهدوا الماء  
يتقاطر منه ، فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم زوجته فقالت :  
يا رسول الله .. لقد أعجله داعي الجهاد عن طهره فخرج جنبا .  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لذلك غسلته الملائكة » .

\* \* \*

وحتى يتبين لك أذا الاسلام أن الجهاد ليس قاصرا على الأبطال  
من الرجال فقط ، وانما تستطيع النسوة ، بل والصبية كذلك المشاركة  
فيه ، اليك أيضا هذه القصة : يقول أبو قدامة أحد قادة المسلمين في  
غزواتهم ضد الروم اللثام :  
كنت أميرا ، فدعوت الى الجهاد في سبيل الله فجاءت امراة  
بورقة وصره ففضضت الورقة لأقرأها ، ولأنظر ما فيها فاذا في  
تلك الورقة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمة الله المسلمة الى أمير جيش  
المسلمين .. سلام الله عليك ، أما بعد .. فانك قد دعوتنا الى الجهاد

في سبيل الله ولا قوة لى على الجهاد ، ولا مقدرة على القتال ، وهذه الصرة فيها ضفيرتى ، فخذها قيذا لفرسك لعل الله يكتب لى شيئا من ثواب المجاهدين •

يقول أبو قدامة : فشكرت الله على توفيقها وعلمت أن المسلمين يشعرون بواجبهم ، ويتكتلون ضد أعدائهم ، فلما واجهنا العدو ، أبصرت صبيا حدثا ظننت أنه ليس أهلا للقتال لصغر سنه ، فزجرته رحمة به ، فقال : كيف تأمرنى بالرجوع ، وقد قال الله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا » (١) • قال أبو قدامة : فتركته ثم أقبل على وقال : أقرضنى ثلاثة سهام ، فقأت له وأنا معجب به ، ومشفق عليه : اتى أقرضك ما تريد بشرط أن تشفع لى ان من الله عليك بالشهادة — وكنت أشعر نحوه بمحبة وتقدير — فقال : نعم ان شاء الله • فأعطيته السهام الثلاثة ، ثم أقبل على العدو فى قوة وحماس ، وما زال ينال من أعدائه وينالون منه حتى خر صريعا فى ميدان القتال ، وكانت عينى لا تفارقه طوال المعركة اعجابا به ، واشفاقا عليه ، فلما خر صريعا أقبات عليه ، وسألته : هل تريد طعاما أو ماء ؟ فقال : لا ، انى أحمد الله على ما صرت اليه ، ولكن لى اليك حاجة •

فقأت له : ليس أحب الى من قضائها يا بنى فمرنى بما تشاء • فقال وهو يلفظ أنفلسه الطاهرة : أقرىء أمى منى السلام ، ثم ادفع اليها متاعى •

فقأت : ومن أمك أيها الشاب ؟

قال : أمى هى التى أعطتك شعرها ليكون قيذا لفرسك حين عجزت عن أن تقا تل بنفسها فى سبيل الله تحت لوائك •

قأت : بارك الله فيكم من آل بيت •• ثم فارق الحياة ، فقمت نحوه بما يجب فلما دفنته لفظته الأرض ، فعاودت دفنه مرة أخرى ، فلفظته الأرض أيضا ، فأعمقت له فى الحفر ثم دفنته ، فلفظته الأرض مرة ثالثة •

فقأت : لعله خرج بغير رضاء أمه ، فصليت ركعتين ، ودعوت الله أن يكشف لى عن أمر ذلك الغلام • فسمعت من يقول لى :

يا أبا قدامة .. دع عنك ولى الله . فتركته وشأنه ، وعلمت أن له مع الله حال . وبينما نحن كذلك ، اذا بطير قد أقبل فأكله ، فتعجبت كثيرا ، ثم رجعت الى أمه تنفيذا لوصيته ، فلما رأتنى ، أقبلت على وقالت : ما وراءك يا أبا قدامة ؟ هل جئتنى معزيا ، أم جئتنى مهنتا ؟ فقال لها : وما معنى ذلك يا أمة الله ؟ فقالت : ان كان ابنى قد مات فقد جئتنى معزيا .. وان كان قد قتل في سبيل الله ، وظفر بما كان يطمع فيه من الشهادة ، فقد جئتنى مهنتا .  
فقصصت عليها قصته ، وأخبرتها عن الطير وما فعلت به .  
فقالت : لقد استجاب الله دعاءه .  
فقلت لها : وما ذاك ؟

فقالت : انه كان يدعو الله في صلواته وخلواته ، ويقول في صباحه ومسائه : « اللهم احشرنى في حواصل الطير » . والحمد لله على تحقيق أمله واجابة دعائه .  
قال أبو قدامة : فانصرفت عنها ، وقد علمت لماذا كتب الله لنا النصر والتأييد على الأعداء .

\* \* \*

وحتى تكون مخلصا في جهادك اليك أيضا هذه القصة :  
روى صاحب كتاب « عيون الأخبار » عن الأصمعي قال :  
حدثنا أبو عمرو الصفار قال : حاصر مسلمة حصنا فندب الناس الى نقب منه . فما دخله أحد ، فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة :  
أين صاحب النقب ؟ فما جاء أحد ، فنادى : انى أمرت الآذن بادخاله ساعة يأتى ، فعزمت عليه الا جاء .  
فجاء رجل فقال : استأذن لى على الأمير ، فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه ، فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له ، فقال له : ان صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا — أى يشترط — :  
ألا تسودوا اسمه فى صحيفة الى الخليفة ، ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه ممن هو ؟ قال : فذاك له . قال : أنا هو .  
فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة الا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

\* \* \*

فكن أخوا الإسلام :  
شبيها بهؤلاء المجاهدين المخلصين واحرص على طلب الشهادة  
في سبيل الله ، وحسبى ترغيبا لك فيها أن أسوق اليك بعض الأحاديث  
الصحيحة التي قالها الرسول صلى الله عليه وسلم في فضل :

### الشهادة

عن أنس رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وان له ما على الأرض  
من شيء الا الشهيد ، فإنه يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر  
مرات لما يرى من فضل الشهادة » (١) .

وعن أنس أيضا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله له : يا ابن آدم .. كيف  
وجدت منزلك ؟ فيقول : أى رب .. خير منزل .. فيقول : سل وتمنه .  
فيقول : وما أسألك وأتمنى ؟ أسألك أن تردنى الى الدنيا فأقتل في  
سبيلك عشر مرات . لما يرى من فضل الشهادة » (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : « والذى نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل  
ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » (٣) .

\* \* \*

كما ورد في فضل :

### الشهداء

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لما قتل عبد الله  
ابن عمرو بن حرام يوم أحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« يا جابر .. ألا أخبرك ما قال الله لأبيك » ؟ قلت : بلى ، قال :  
« ما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحا (٤) فقال :  
يا عبد الله .. تمن على فأعطيك ، قال : يا رب .. تحيينى فأقتل فيك  
ثانية . قال : قد سبق منى أنهم اليها لا يرجعون .

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) رواه النسائى وصححه الحاكم على شرط مسلم .

(٤) أى مواجهة .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

قال : يا رب .. فأبلغ من ورائي . فأنزل الله هذه الآية :  
**« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم  
 يرزقون »** (١) .

وعن جابر أيضا ، قال : جىء بأبى الى النبي صلى الله عليه وسلم  
 قد مثل به ، فوضع بين يديه غذبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي  
 فسمع صوت صائحة فقليل : ابنة عمرو - أو أخت عمرو - فقال :  
**« لم تبكى - أو لا تبكى - ما زالت الملائكة تظلمه بأجنحتها »** (٢) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يقول : **« الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته »** (٣) .  
 وعن أنس رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
**« اذا وقف العباد للحساب ، جاء قوم واضعى سيوفهم على رقابهم  
 تقطر دما فاذحموا على باب الجنة . فقيل : من هؤلاء ؟ قيل : الشهداء  
 كانوا أحياء مرزوقين »** (٤) .

وعن المقدم بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم أنه قال : **« للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول  
 دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ،  
 ويأمن من الفرع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة  
 منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ،  
 ويشفع في سبعين من أقاربه »** (٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه : **« ونفخ في الصور فصعق من  
 في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله »** (٦) : من الذين لم يشأ  
 الله أن يصعقهم ؟ قال : هم شهداء الله (٧) .

- (١) رواه الترمذى وابن ماجه ، وحسنه الترمذى وصححه الحاكم ،  
 والآية من سورة آل عمران : ١٦٩ (٢) رواه البخارى ومسلم .  
 (٣) رواه أبو دلوؤد فى سنته ، وصححه ابن حبان .  
 (٤) رواه الطبرانى باسناد حسن .  
 (٥) رواه الترمذى وابن ماجه . (٦) الزمر : ٦٨  
 (٧) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

عن راشد بن سعد رضى الله عنه ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال : يا رسول الله .. ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم الا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » (١) .

وعن سمرة بن جندب — في حديث الرؤيا الطويل — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت الليلة رجلين أتياى فصعدا بى الشجرة فأدخلانى دارا هى أحسن وأفضل ، لم أر قط أحسن منها ، قالالى : أما هذه فدار الشهداء » (٢) .

\* \* \*

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة أن :

### الشهداء هم

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه يقول فيه : « ما تعدون الشهداء فيكم ؟ قالوا : يا رسول الله .. من قتل في سبيل الله فهو شهيد . قال : « ان شهداء أمتى اذن لقتيل » قالوا : فمن يا رسول الله ؟ قال : « من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات من البطن فهو شهيد » (٣) قال ابن مقسم : أشهد على أبيك — يعنى أبا صالح — أنه قال : « والغريق شهيد » . وعن أبى هريرة أيضا ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الشهداء خمسة : المطعون (٤) ، والمبطون (٥) ، والغريق (٦) ، وصاحب الهدم (٧) ، والشهيد في سبيل الله » (٨) .

(١) رواه النسائي ، واسناده جيد .

(٢) رواه البخارى . (٣) رواه مسلم .

(٤) أى من طعن بالرمح مثلا ، فمات من تلك الطعنة .

(٥) المبطون : هو الذى يشتكى بطنه من اسهال أو نحو ذلك .

(٦) الغريق : هو من سافر فى البحر سفرا مباحا أو سفر طاعة ثم هاج البحر فغرق ، أما اذا كان قاصدا سرقة ، أو قتلا ، أو غير ذلك من المعاصى فغرق فانه لا يكون شهيدا . وقس على ذلك ما شابه فى جميع الحوادث التى يتعرض لها الانسان فى دنياه .

(٧) صاحب الهدم : هو الذى وقع عليه بيت ، أو نحوه فمات تحت

(٨) رواه مالك و البخارى .



وعن أبي مالك الأشجعي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فصل<sup>(١)</sup> في سبيل الله فمات - أو قتل : فهو شهيد ، أو وقصه فرسه أو بعيره ، أو لدغته هامة على فراشه بأى حتف شاء الله انه شهيد وان له الجنة »<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . . . أ رأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : « فلا تعطه مالك » قال : أ رأيت ان قاتلنى ؟ قال : « قاتله » قال : أ رأيت ان قتلنى ؟ قال : « فأنت شهيد » قال : أ رأيت ان قتلته ؟ قال : « فهو فى النار »<sup>(٣)</sup> .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون ماله فهو شهيد »<sup>(٤)</sup> .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أيضا ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يظلم مظلمة فيقاتل فيقتل الا قتل شهيدا »<sup>(٥)</sup> .

وعن سعيد بن زيد رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه<sup>(٦)</sup> فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »<sup>(٧)</sup> .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « موت العربى شهادة »<sup>(٨)</sup> .

\* \* \*

(١) فصل : أى خرج وفى ذلك يقول تعالى : « ولما فصلت العير »

« يوسف : ٩٤ ) : أى خرجت من مصر . (٢) رواه الأجرى .

(٣) رواه مسلم . (٤) رواه البخارى .

(٥) رواه احمد فى المسند واسناده حسن .

(٦) يعنى فى غير الجهاد فى ميدان القتال .

(٧) رواه الأربعة ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٨) رواه ابن ماجه .

## وحتى تعرف الى أين تذهب : أرواح الشهداء

إليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن أنس رضى الله عنه : أن أم ربيع بنت البراء رضى الله عنها «  
وهي أم حارثة بن سراقه : أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت :  
يا رسول الله .. ألا تحدثنى عن حارثة ؟ - وكان قد قتل يوم بدر -  
فان كان فى الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك ، اجتهدت عليه بالبكاء .  
فقال : « يا أم حارثة .. انها جنان فى جنة ، وان ابنك أصاب الفردوس  
الأعلى » (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « رأيت جعفر بن أبى طالب ملكا يطير فى الجنة  
ذا جناحين (٢) يطير منها حيث شاء ، مزرجة قواده بالدماء » (٣) .  
وعن عبد الله بن مرة عن ابن مسعود : « أرواح الشهداء عند  
الله كطير خضر » (٤) .

وعن ابن كعب بن مالك عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : « أرواح الشهداء طير خضر تتعلق فى شجرة الجنة » (٥) .

والخلاصة : أن أرواح الشهداء ترد أنهار الجنة ، وتأكل من  
ثمارها سواء أكانت فى حواصل طير خضر أم بيض ، أو كانت طيرا  
خضراء ، وسواء أكانت فى السماء أم فى الأرض (٦) .

فهم كما قال الله تعالى فى كتابه : « أحياء عند ربهم يرزقون » (٧) .

\* \* \*

(١) رواه البخارى .

(٢) لأن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قطعت يده فى سبيل الله  
يوم مؤتة ، فأبدله الله بهما جناحين ، وجاء فى صحيح البخارى : أنهم  
عندما التمسوه فى القتلى وجدوا بها أقبل من جسده بضما وتسعين بين  
أضربة ورمية وطعنة .

(٣) رواه الطبرانى بإسناد حسن .

(٤) رواه ابن شهاب .

(٥) فى رواية الأعمش .

(٦) فقد ورد كل هذا ، وغير هذا .. والله أعلم .

(٧) آل عمران : ١٦٩

## الجهاد بالمال

واعلم •• أنه اذا كان الجهاد يحتاج الى المجاهدين بأنفسهم فانه كذلك يحتاج الى المجاهدين بأموالهم •  
وحسبى في هذا العرض أن أسوق اليك جزءا من مقال موضوعي  
نشرته مجلة « الوعى الاسلامى »<sup>(١)</sup> تحت عنوان : ( الجهاد بالمال )  
جاء فيه :

« وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »<sup>(٢)</sup> :  
ان الجهاد كما يحتاج الى الرجال يحتاج للمال ، ولقد كان المجاهد  
المسلم الأول : يجهز نفسه بعدة القتال ، ومركب القتال ، وزاد القتال ••  
لم تكن هناك يومئذ رواتب يتناولها القادة والجند ، وانما كان هناك  
تطوع بالنفس ، وتطوع بالمال ، ولكن كثيرا من فقراء المسلمين  
الراغبين في الجهاد والذود عن العقيدة والحرية والكرامة والعزة  
الايمانية لم يكونوا يجدون ما يزودون به أنفسهم ، ولا ما يتجهزون  
به من عدة الحرب ، ومركب الحرب ، وكانوا يجيئون الى النبي  
صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يحملهم الى ميدان المعركة ، فاذا  
لم يجد ما يحملهم عليه « تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا  
ما ينفقون »<sup>(٣)</sup> •

ومن أجل هذا كانت دعوة القرآن الى الانفاق في سبيل الله والانفاق  
لتجهيز الغزاة ورعاية أسرهم ، وقررت القرآن الكريم أن عدم الانفاق  
تهلكة ، وما أكثر ما ذكر الجهاد بالمال في القرآن مقترنا بالجهاد  
بالنفس ، بل مقدا عليه قال تعالى : « **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله**  
**ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ،**  
**اولئك هم الصادقون** »<sup>(٤)</sup> •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **جاهدوا المشركين بأموالكم**  
**وأنفسكم وألسنتكم** »<sup>(٥)</sup> •  
والجهاد بالمال يكون ببذله عن طيب نفس : « **دعما للجيش ،**

(٢) البقرة : ١٩٥

(٤) الحجرات : ١٥

(١) العدد ١٠٦ ص ٨٨

(٣) التوبة : ٩٢

(٥) حديث صحيح •

واعدادا للمعركة ، وتجهيزا للمجاهدين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا » (١) .

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في المسارعة بالانفاق في سبيل الله والجهاد بالمال دعما لاقتصاد الدولة وبنائها العسكري ، وتجهيز جيوش المسلمين . وفي غزوة ( تبوك ) كان على المسلمين أن يصدوا جموع الروم التي تجمعت في الشام لغزوهم ، وأن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ، ولم يكن لدى المسلمين آنفا من المال ما يكفي لتجهيز جيش قوى يرد غارة الروم ويصد عدوانهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التطوع للجهاد ، والتبرع بالمال ، وتسابق المسلمون في هذا الجهاد .

فكان أبو بكر رضى الله عنه أول من قدم ماله ، جاء بكل ما يملك وقدمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « ماذا أبقيت لآلك » ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « ماذا أبقيت لآلك » ؟ فقال : أبقيت لهم نصف مالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أبقيت » . وتبرع العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بتسعين ألف درهم .

وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائتى أوقية ذهباً .

وجهز عثمان بن عفان رضى الله عنه ثلث الجيش .

وجاء جابر بن عبد الله رضى الله عنه بحفنة من بر ، هى كل

ما يملك .

والدعوة الى الانفاق في سبيل الله دعوة عامة لجميع المسلمين أغنيائهم وفقرائهم ، قال تعالى : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وانتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٢) .

(١) مجزء من حديث صحيح رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى

(٢) محمد : ٣٨

والنسائى .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله ، ومنحة خادم في سبيل الله ، أو طروقة فحل<sup>(١)</sup> في سبيل الله »<sup>(٢)</sup> .

ان المعركة التي تدور رحاها اليوم بين المسلمين وبين الصهيونية تفرض على كل مسلم ومسلمة أن يتبرع بكل ما تحتاج اليه المعركة : بالمال ، بالغذاء ، بالكساء ، بالغطاء ، بالدم ، بالأدوية ، بالخيام ، بالسيارات ...

والتبرع يجب أن يزيد كثيرا على الزكاة المفروضة على المسلمين ، يجب أن يصل الى رأس المال نفسه ، بل الايثار . ان الحرب التي نخوضها الآن حرب طويلة الأمد ، وتضحياتها فادحة وما تحتاجه من ابذل والعطاء يقدر بالمليارات لا بالملايين ، وفي المسلمين ثراء ، وفي المسلمين كثرة ، وهم قادرون لو صدقوا الله لولوا المعركة بكل ما تتطلبه من نفقات .

وان عدونا في كل شبر من الأرض يتبرع بأموال طائلة لمساندة العدوان . والأرقام التي تنتشر من تبرعات الصهاينة في العالم أرقام مذهلة .

ان الدعم المالى الشعبى للمجهود الحربى يربو كثيرا على الدعم المالى الحكومى ، فأين صندوق الجهاد الذى يمول من الزكاة ومن جزء ثابت يقتطع من راتب الموظفين فى الدوائر والمؤسسات والمصارف ومن التجار وأصحاب المهن .

ان واجب المؤتمر الاسلامى أن ينهض بالدعوة الى انشاء هذا الصندوق والاشراف على جمع التبرعات لتمويل الجهود الحربية للجيش الاسلامية .

متى تفتح هذه الخزائن المملوءة بالأموال ؟

متى تملأ هذه الصكوك البيضاء بالأرقام ؟

متى تنفك الأغلال عن الأيدي المربوطة الى الأعناق ؟

متى تقسم الأطعمة والأكسية والأغطية بيننا وبين المجاهدين

بالسوية ؟

(١) طروقة فحل : هى الناقة التى صلحت لطرق الفحل وأقلها ثلاث

سنين وبعض الرابعة . (٢) رواه الترمذى .

(٢٩) - من وصايا الرسول .

متى يكون الله ورسوله أحب اليينا من أنفسنا وأموالنا ؟  
 ان تمويل الحرب وامداد المجاهدين بالمال والسلاح ، وتقديم  
 العون الطبي والتموين الغذائي وكفالة أسر المقاتلين ومدتها بما تحتاج  
 اليه فريضة على كل مسلم ومسلمة « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا  
 واعبدوا ربكم وانطوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده ،  
 هو اجتباكم ... » (١) .

\* \* \*

ولما كانت :

### الحرب النفسية

من أخطر الأسلحة التي تستخدمها الصهيونية في حربنا معها حتى  
 تتمكن من اضعاف الثقة في نفوسنا : فقد رأيت أيضا وفي هذا العرض  
 السريع أن أسجل هنا مقالا ورد بنفس العدد من مجلة « الوعي  
 الاسلامي » تحت عنوان ( الحرب النفسية ) (٢) جاء فيه :

« الحرب النفسية من أخطر الأسلحة التي تستخدم في الحروب  
 لاضعاف الثقة في نفوس المقاتلين ، ولاشاعة البلبله ، واذاعة القلق  
 والاضطراب في صفوف من خلفهم من أمهم وشعوبهم ، وقد أصبحت  
 الحرب النفسية في عصرنا الحاضر علما كبيرا يتوفر على دراسته  
 متخصصون كبار في علم النفس والاجتماع وترصد له الأموال الطائلة  
 التي تخصص لميزانية الحروب .

والقرآن الكريم تناول هذا السلاح الخطر ووضع المنهج الذي  
 يجب على المؤمن أن ينتهجه في مواجهة الشائعات وأخبار المعارك الحربية  
 التي تصدر عن الأعداء والتي يبردها الناس دون تحرر للحقائق  
 أو تبصر بها .

ان القرآن الكريم عاب سلوك مرددي الاثاعات ومروجي الفتن  
 فقال : « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو رده  
 الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » (٣) .  
 ان المؤمن الواعي لا يأخذ أنباء المعارك من بيانات العدو ، ولا من

(٢) العدد ١٦٠ صفحة ١٠١

(١) الحج : ٧٧ ، ٧٨

(٣) النساء : ٨٣

اذاعات العدو ، ولا من أفواه السذج والجهلة ، وانما يأخذها من قادة الأمة ومن المصادر الرسمية الموثوق بها .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يردد المسلم كل ما يسمع دون أن يتبين الحقيقة من مصدرها الذى يطمئن اليه ويثق به ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » .

في غزوة « أحد » نادى أبو سفيان : أفي القوم محمد ؟ فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم أبو بكر ؟ أفي القوم ابن الخطاب ؟ فلما لم يجبه أحد ظن أنهم قتلوا ، وانطلق يقول لأصحابه : قتلوا .. قد كفيتموهم . ولو صدق المسلمون هذه الشائعات وسكتوا عليها لكان لها أخطر الأثر في معنويات المسلمين . ولكن عمر تصدى له وقال : ان الذى عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك . وبهذا وأد عمر الشائعة في مهدها وفوت على مروجها هدفه : وقصده .

اننا يجب أن نعى ونذكر أن العدو كاذب وأنه لا تهمة الحقيقة بقدر ما يهمة اثاره الشكوك .. وواجبنا أن نتصدى للحرب النفسية التى يشنها الأعداء حتى نفوت غرضهم ، ونثبت في مواقعنا ، ونمضى في جهادنا والله معنا .

ان اسرائيل الخبيثة التى عاشت على الغدر والخيانة تسعى بكل طاقاتها ، وتلجأ الى كل أساليب المكر والدهاء لبت الشائعات بيننا لتشكيكنا في قدرتنا ، وتوهين قوتنا واثارة الفتنة في صفوفنا ، وادعاء انتصارات وهمية لهم .. فلنكن على حذر مما يبيتون : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » (١) .

\* \* \*

فضح أخطا الاسلام كل هذا نصب عينيك وكن مجاهدا بنفسك ومالك حذرا من الاستماع الى اشاعات المغرضين حتى تفوت عليهم أغراضهم الخبيثة وحتى تكون من أهل الجنة ، وينجيك الله من الهم والنعم اللذين أشار اليهما الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر وصيته التى تدور حولها .

ولسوف يذهب باذن الله وعونه لكل هم وغم • ولسوف تذهب  
كذلك جميع النكسات بدون رجعة •

\* \* \*

وأنت أذا الجهاد يا من تخوض معركة الشرف اليك في ختام  
هذا الموضوع الحيوى هذه الوصايا التى أرجو أن تكون رائدا لك  
حتى النصر ، والتى أرجو أن تظل منتفعا بها :

يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا  
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون • وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا  
فتمتثلوا وتذهب ربحكم واصبروا ، ان الله مع الصابرين • ولا تكونوا  
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ،  
والله بما يعملون محيط » (١) •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى أمراء السرايا والبعوث  
بما طبع عليه من الأخلاق السامية والآداب العالية التى تؤكد سماحة  
الاسلام ، ورسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه •

فمن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :  
« انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله • ولا تقتلوا شيئا  
غانيا ، ولا طفلا صغيرا ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم  
وأصلحوا وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » (٢) •

وعندما اعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية لعلى فى غزوة  
خيبر ، قال على : يا رسول الله •• أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال  
صلى الله عليه وسلم : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم  
الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن  
يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم » (٣) •

وعندما أرسل النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف  
الى دومة الجندل أقعده بين يديه وعممه بيده ، ثم أوصاه بقوله :  
« اغز باسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر ولا تغل ، ولا تغدر ،  
ولا تقتل وليدا » • ثم قال له : « ان را تجابوا لك فترج ابنة ملكهم » •

(٢) رواه ابو داوود .

(١) الانفال : ٤٥ - ٤٧

(٣) صحيح البخارى ، باب ( غزوة خيبر ) ج ٥ ص ١٧١



وعندما خرج صلى الله عليه وسلم ليودع الجيش المتجه الى مؤتة كان مما قاله لأفراده : « أوصيكم بتقوى الله ويمن معكم من المسلمين خيرا ، اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، ولا امرأة ولا كبيرا ، ولا فانيا ولا منزلا في صومعة ، ولا تقربوا نخلا ، ولا تقطعوا شجرا ، ولا تهدموا بناء » .

وبعد أن عاد النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع . كانت عنايته متجهة الى ضرورة توطيد سلطان المسلمين على حدود الشام لأن دولة الروم وأتباعها من قبائل العرب كانوا ما زالوا يناوئون الدولة الاسلامية ، ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة بالتهيؤ لغزو الروم ، ثم دعا أسامة ابن زيد وقال له :

« سر الى موضع أبيك - يابنى - فأوطنهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، فاغز صباحا على أهل « ابني » ، وأسرع السير لتسبق الأخبار ، فان أظفرك الله بهم فأقل اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع معك » .

ثم عقد النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة اللواء بيده وأوصاه بقوله : « اغز باسم الله ، وفي سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله » .  
وئقل المرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فجعل يقول : « أنفذوا بعث أسامة » .

وجاء أسامة ليودع النبي صلى الله عليه وسلم قبل سيره بجيشه . فلما دخل عليه جعل صلى الله عليه وسلم يرفع يديه الى السماء ثم يضعها على أسامة ، ثم قال له : « اغد على بركة الله » ثم قال له : « أستودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك » .

وبعد أن ودع أسامة الرسول صلى الله عليه وسلم واستعد مع رجاله للرحيل ، اذا برجل يأتي ليقول له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت ، فيعود ومعه عدد من الصحابة الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وصوله بوقت قليل يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد فارق الدنيا الى الرفيق الأعلى .

فيشترك في تجهيزه صلى الله عليه وسلم للدفن مع الأصحاب الفضلاء وبعد مبايعة أبي بكر رضى الله عنه بالخلافة ، يتها أسامة للتحرك بجيشه فيخرج أبو بكر. يودعه وهو يمشى على قدميه ، وأسامة راكب على فرسه ، فيقول له أسامة : يا خليفة رسول الله •• لتركبن أو لأتزلن ، فقال أبو بكر : والله لا تنزل ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة •

ثم أوصى أبو بكر أسامة ومن معه بقوله : « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ، ولا تعزقوا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للأكل » •

وعندما أرسل سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه الى عمر بن الخطاب عليه رضوان الله طلب منه أن يمدّه بجند آخرين ليتمكن من قهر العدو والتغلب عليه ، أرسل اليه سيدنا عمر بهذه الوصية : « يا سعد •• أوصيك ومن معك بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وأوصيك ومن معك بأن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم ، فان استويننا في المعصية لم تكن لنا عليهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله » •

\* \* \*

ولما كانت هناك صلة وثيقة بين الجهاد والحج بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل — كما ورد في حديث صحيح رواه أبو هريرة رضى الله عنه — : أى الأعمال أفضل ؟ قال : « ايمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « جهاد في سبيل الله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » •

فقد رأيت أن تكون : « الوصية العشرية » عن الحج والترغيب فيه بصورة موجزة ومؤقتة ، فإليك :

# الوصية العشرُون

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« يا أيها الناس .. ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » .

فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » .

ثم قال : « ذرونى ما تركتكم ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .

(رواه مسلم)



فكن أخا الاسلام :

من هؤلاء الحريصين على أداء فريضة الحج ان استطعت الى ذلك سبيلا وحسبك ترغيبا لك قول الله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » (١) .

والبيت الذى يشير الله سبحانه وتعالى اليه فى الآية الكريمة هو :  
« ... أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين »  
فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا » (٢) .  
وهو : الكعبة التى تحدث الله تعالى عنها ، فقال : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » (٣) .

(١) آل عمران : ٩٧

(٢) آل عمران : ٩٦ ، ٩٧ بلفظ « ان اول بيت ... » .

(٣) المائدة : ٩٧

وهو البيت العتيق الذى تحدث الله سبحانه وتعالى عنه أيضا فقال :  
**« وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق »** (١) .

وهذه الكعبة المشرفة هى قبلة المسلمين فى الصلاة وقد أضافها الله سبحانه وتعالى الى نفسه تشريفا لها فى قوله لسيدنا ابراهيم عليه السلام :  
**« وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود »** (٢) .

فاذا كانت روحك ستلبى دعوة ابراهيم عليه السلام عندما أمره الله سبحانه وتعالى بقوله : **« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »** (٣) .

فأنت اذن من الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لزيارة بيته العتيق تحقيقا لدعوة سيدنا ابراهيم أيضا عندما دعا الله قائلا :  
**« فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم »** (٤) .

وحتى تدرك هذه النعمة اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة التى ستترى من خلالها أهمية الحج الذى هو ركن من أركان الاسلام الخمس بنص الحديث الصحيح الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه :  
**« بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »** (٥) .

عن ابن شماسه رضى الله عنه قال : حضرنا عمرو بن العاص ، وهو فى سياقة الموت (٦) فبكى طويلا ، وقال : لما جعل الله الاسلام فى قلبى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا رسول الله .. ابسط يمينك لأبأيك ، فبسط يده فقبضت يدي (٧) ، فقال : « مالك يا عمرو » ؟ قال : أردت أن أشتري ، قال : « تشتري ماذا » ؟ قال : أن يغفر لى (٨) ، قال : « أما علمت يا عمرو أن الاسلام يهدم ما كان

(٢) الحج : ٢٦

(١) الحج : ٢٩

(٤) ابراهيم : ٣٧

(٣) الحج : ٢٧

(٦) أى وهو فى النزاع الأخير .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

(٧) أى كفتها ولم اضعها فى يد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٨) يعنى ما فعلته فى الجاهلية من حريك وعداوتك .

قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله « (١) .

وعن عبد الله بن جراد الصحابي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حجوا ، فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن » (٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يغفر للحاج ، ولمن استغفر له الحاج » (٣) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى ، فأتاه رجل من الأنصار ، ورجل من ثقيف ، فسلما ثم قالا : يا رسول الله . . جئنا نسألك ، فقال : « إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت ، وإن شئتما أن أمسك وتسالاني فعلت » ؟ فقالا : أخبرنا يا رسول الله ، فقال الثقفى للأنصارى : سل ، فقال : أخبرنى يا رسول الله ، فقال : « جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم (٤) البيت الحرام ، وما لك فيه ، وعن ركعتك بعد الطواف ، وما لك فيهما ، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه ، وعن رميك الجمار وما لك فيه ، وعن نحرك وما لك فيه مع الافاضة » فقال : والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك . قال : « فانك اذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه الا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى اسماعيل عليه السلام ، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة ، فان الله يهبط الى السماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول : عبادى جاءونى شعنا من كل فج عميق يرجون جنتى ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل — أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر — لغفرتها ، أفيضوا عبادى مغفورا لكم ، ولمن شفعتم له . وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه هكذا مختصرا ، ورواه مسلم وغيره أطول منه .

(٢) الدرن : أى الوسخ الذى يكون على الجسم أو الثوب .

(٣) رواه الطبرانى في الأوسط . (٤) أى تقصد وتريد .

من الموبقات ، وأما نحرك فمدخور لك عند ربك ، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ، ويمحى عنك بها خطيئة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فانك تطوف ولا ذنب لك ، يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى « (١) » .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان هذا البيت دعامة من دعائم الاسلام ، فمن حج البيت أو اعتمر فهو ضامن على الله ، فان مات أدخله الجنة ، وان رده الى أهله رده بأجر وغنيمة » (٢) .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات في طريق مكة ذاهبا ، أو راجعا ، لم يعرض ولم يحاسب — أو غفر له — » (٣) .



وحسبى أخا الاسلام اذا أردت أن تعرف :

### كيف حج الرسول صلى الله عليه وسلم

أن أسوق إليك هذا العرض الموضوعى : عن جابر رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج . . . . . فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثله . فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصواء (٤) حتى اذا استوت به ناقته على البيداء ، نظرت الى مد بصرى بين يديه من راكب وماث ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك . ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملنا به .

فأهل بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . . . . .

(١) رواه الطبرانى في « الكبير » والبخاري واللفظ له وقال : روى هذا الحديث من وجوه لا نعلم له أحسن من هذا الطريق .  
 (٢) رواه الطبرانى في الأوسط .  
 (٣) رواه الأصبهاني .  
 (٤) اسم ناقه الرسول ﷺ .

قال جابر : لسنا فنوى الا الحج ، ولسنا نعرف العمرة حتى اذا أتينا البيت معه استلم الركن (١) ، فرمل (٢) ثلاثا ، ومشى أربعا ، ثم نفذ الى مقام ابراهيم عليه السلام ، فقرأ : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » (٣) فجعل المقام بينه وبين البيت .

فكان يقرأ في الركعتين : « قل هو الله أحد » و « قل يا أيها الكافرون » ثم رجع الى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب الى الصفا ، فلما دنا من الصفا ، قرأ : « ان الصفا والمروة (٤) من شعائر الله » (٥) أبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت . فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره ، وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » . ثم دعا بين ذلك . قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل الى المروة حتى اذا نصبت قدماء في بطن الوادى سعى ، حتى اذا صعدنا مشى . حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا . حتى اذا كان آخر طوافه على المروة ، فقال : « لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ، وجعلتها عمرة . فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل ، وليجعلها عمرة » .

فقام سراقبة بن مالك فقال : يا رسول الله . . . ألعاننا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه ، واحدة في الأخرى ، وقال : « دخلت العمرة في الحج - مرتين - لا . . . بل لأبد أبد » .  
وقدم على من اليمن ببدين (٦) للنبي صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمة رضى الله عنها ممن حل (٧) ، ولبست ثيابا صبيغا ، واكتحلت فأنكر ذلك عليها . فقالت : ان أبى أمرنى بهذا .  
قال : فحل الناس كلهم وقصروا (٨) الا للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومن كان معه هدى .

(١) ركن الكعبة : الذى به الحجر الأسود .

(٢) رمل : أى هرول . (٣) البقرة : ١٢٥

(٤) ربوتان بالقرب من الكعبة يكون بينهما السعى .

(٥) البقرة : ١٥٨ (٦) أى ابل .

(٧) أى حلوا احرامهم . (٨) أى قصوا شعر الرأس .

فلما كان يوم التروية<sup>(١)</sup> توجهوا الى منى فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر . ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس . وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة<sup>(٢)</sup> .

فصل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة ، فوجد القبّة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، حتى اذا زالت الشمس أمر بالقصواء فرحلت<sup>(٣)</sup> له ، فأتى بطن الوادي ، فخطب الناس وقال : « ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع<sup>(٤)</sup> ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وان أول دم أضع من دمائنا : دم ابن ربيعة ابن الحارث — كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل — وربا الجاهلية موضوعة ، وأول ربا أضع ربانا . . . ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوعة كله .

أما بعد . . . أيها الناس . . . فان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون<sup>(٥)</sup> من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس . . . « انما النسيء<sup>(٦)</sup> زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحطونه عاما ويحرّمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلّوا ما حرم الله » ويجوموا ما أحل الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية ورجب الفرد الذي بين جمادى وشعبان . اتقوا الله في النساء ، فانكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ،

(١) الثامن من ذي الحجة ، والتروية مشتقة من الارتواء حيث يجعون الماء بمنى في فلك اليوم . (٢) مكان شرقي عرفات .

(٣) أى وضع عليها رحلتها وأعدت للركوب .

(٤) أى تستصغرون .

(٥) أى مهدر .

(٦) النسيء : تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر ، فقد كلن المشركون ان أهل شهر حرام وهم محاربون استمروا في حربهم وابدلوا ايله في شهر آخر — (والآية من سورة التوبة : ٣٧) .



فان فظن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ، ان اعصمتم به : كتاب الله .

وانتم تسألون عنى ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ونصحت . فقال وهو يرفع اصبعه السبابة الى السماء ويرردها مشيرا الى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد . . ثم أذن ، ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئا ، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات ، وجعل جيل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وظل يدعو حتى غربت الشمس .

عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أكثر دعاء من كان قبلى من الأنبياء ، ودعائى يوم عرفة أن أقول : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، اللهم اجعل فى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى قلبى نورا . »

اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، اللهم أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وشر فتنة القبر ، وشر ما يلج فى الأنليل ، وشر ما يلج فى النهار ، وشر ما تهب به الرياح ، وشر بوائق (١) الدهر .

وأردف رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة خلفه ، ودفع من عرفات الى مزدلفة ، وكان يقول : أيها الناس . . السكينة ، السكينة . . حتى أتى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا .

ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع القجر ، وصلى القجر حين تبين له الصبح بأذان واقلمة . ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهله ووحده . ظم يزل واقفا حتى أسفر (٢) جدا ، ففجع قبل أن تطلع الشمس : وأردف (٣) الفضل بن عيسى ، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما .

(١) أسفر الصبح : أى اضاء .

(٢) أى طهكات .

(٣) أى اركبه خلفه .

فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن يجريين فطقق الفضل ينظر اليهن ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل ، فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر •

حتى أتى ( بطن محصر )<sup>(١)</sup> فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة منها ، مثل حصى الخذف ، رمى في بطن الوادى ثم انصرف الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بيده •

فلما أكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحره ، استدعى بالحلاق وهو معمر بن عبد الله ، وقال له وهو قائم على رأسه بالموسى : « يا معمر •• أمكنك رسول الله من شحمة أذنه وفي يدك الموسى » قال معمر : أما والله يا رسول الله ان ذلك لمن نعمة الله على ، قال : « أجل » وحلق للرسول شعر رأسه ، وحلق كثيرون من الصحابة ، وقصر بعضهم • وقد دعا صلى الله عليه وسلم للمحلقين بالمغفرة ثلاثا ، وللمقصرين مرة ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأفاض<sup>(٢)</sup> الى البيت وبعد أن طاف بالبيت طواف الافاضة شرب من ماء زمزم ، وصلى الظهر • ثم رجع الى منى فبات بها فلما أصبح انتظر زوال الشمس ، فلما زالت مشى من رحله الى الجمار ولم يركب ، فبدأ بالجمرة الأولى التي تلى مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة ، ويقول مع كل حصاة : « الله أكبر » ، ثم يقدم على الجمرة ، فقام مستقبل القبلة ، ثم رفع يده ودعا دعاء طويلا ••• ثم أتى الى الجمرة الوسطى فرماها كذلك ، ثم انحدر ذا اليسار مما يلي الوادى فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو ، قريبا من وقوفه الأول •

ثم أتى الجمرة الثالثة ، وهي جمرة العقبة ، فاستبطن<sup>(٣)</sup> الوادى ، واستعرض الجمرة<sup>(٤)</sup> فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ، فرماها بسبع حصيات كذلك • فلما أكمل الرمي رجع من فور •

(١) مكان بين منى ومزدلفة ، كان فيه هلاك اصحاب الفيل ، ولهذا أسرع الرسول ﷺ وهو يجتازه •  
(٢) افاض : اى اندفع ونزل •  
(٣) استبطنها •  
(٤) اى وقف ببطن الوادى •

وخطب صلى الله عليه وسلم الناس بمنى خطبتين ، احدهما يوم النحر ، والأخرى في اليوم التالي وهو أوسط أيام التشريق (١) .  
 قالت سرى بنت بنهان : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتدرون أى يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .  
 قال : هذا وسط أيام التشريق . قال : هل تدرون أى بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .  
 قال : هذا المشعر الحرام . ثم قال : انى لا أدرى لعلى لا ألتاكم بعد هذا ...

ولما أكمل صلى الله عليه وسلم الرمي في أيام التشريق الثلاثة ، أفاض بعد الظهر الى المحصب ، فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء .  
 وورق رقدة ثم نهض الى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ، ونادى بالرحيل في أصحابه فارتحل الناس .



### والخلاصة

إذا كنت قد نويت الحج واستطعت الى ذلك سبيلا بحيث لا يترتب على خروجك لأداء هذه الفريضة ضرر مادي أو اجتماعي بالنسبة لك ولأسرتك فانه يحسن بك .  
 أن تبادر بالتوبة ، ورد المظالم الى أصحابها : تنفيذاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان عنده مظلمة لأخيه من مال أو عرض فليتحلل منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

وأن تعد المال الذى يلزم أهلك أثناء تغييرك عنهم بالقدر الذى يكفيهم حتى تعود من سفرك .  
 وأن تعد كذلك لنفسك ما يكفيك من مال حلال حتى تتمكن هناك من قضاء مطالب الحج ، والتصدق على الفقراء والضعفاء .  
 وأن تكتب وصيتك وتسدد ما عليك من ديون حان وقت سدادها

---

(١) أيام التشريق هي : يوم النحر — أى عيد الأضحى — واليومان الثانى والثالث .

وترد الودائع والحقوق الى أصحابها وكذلك تكتب ما لك من ديون وما عليك من ديون حرصا على ضمان حقك وحق الآخرين .  
 وأن تقصد بحجك وعمرتك وجه الله تعالى حتى لا يضيع ثوابك وتكون من هؤلاء المرأين الذين لا ثواب لهم في الآخرة .  
 وأن تحسن اختيار الرفيق الذى سيسحبك فى هذه الرحلة الروحية حتى يكون لك معيناً على طاعة الله .

وقبل خروجك من منزلك تصلى ركعتين عملاً بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يقول فيها : « اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين تمنعناك مخرج السوء » تقرأ فى الأولى بعد فاتحة الكتاب : « قل يا أيها الكافرون » وفى الثانية : « الاخلاص » (١) وبعد فراغك من الصلاة سل الله بقلب خاشع ونية صادقة أن يوفقك ، ثم ودع أهلك وجيرانك واخوانك ، والتمس دعاءهم لك بالتوفيق .

وعندما تركب السيارة ، أو الباكسة ، أو الطائرة : سم الله تعالى واحمده وكبره ثلاثاً ثم قل : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وانا الى رينا لمنقلبون » (٢) اللهم انى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده . اللهم أنت صاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم انى أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى الأهل والمال والولد .

مع ضرورة الحرص على صيانة لسانك وجميع جوارحك عن كل ما يغضب الله تعالى حتى يشملك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (٣) .



### ثم اليك أيضا هذه التوجيهات

إذا كنت مقبلاً على أداء فريضة الحج بالطائرة عليك أن تحرم فى بيتك .

(١) أى « قل هو الله احد . . . » الخ .

(٢) الزخرف : ١٣ ، ١٤

(٣) حديث صحيح .

أما إذا كنت ستسافر بالباخرة فاغتسل قبل ( رابع )<sup>(١)</sup> وأزل شعرك وقلم أظافرك وشاربك ثم اغتسل وأحرم وانتقل واكشف رأسك • وعندما تصل الى مكة توضأ وطف مرات بالكعبة مبتدئا في كل شوط بالحجر الأسود جاcla الكعبة الى يسارك • والمس الركن اليماني في كل مرة • وقبل الحجر الأسود معتقدا أنه حجر لا يضر ولا ينفع •

ثم ادخل البيت العتيق من باب السلام واتجه لمقام ابراهيم وبعد أن تصلى ركعتين في مقام ابراهيم • تقصد الى بئر زمزم ففتشرب من مائها وتقول : « اللهم انى أسألك علما نافعا ، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء » ثم تسلم الحجر الأسود ثانية وردد الدعاء المسأثور : « اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنبى • وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى » •

وعندما تبدأ السعى بين الصفا والمروة بعد ذلك ، ادع بما تشاء من طيب الدعاء • وابدأ بما بدأ به الله ورسوله : « ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم »<sup>(٢)</sup> مع ملاحظة : أن نية السعى أن تقول : « اللهم اننى أريد أن أسعى بين الصفا والمروة سبع مرات » على أن تسرع فى كل مرة بين العمودين الأخضرين •

وإذا كنت محرما للعمرة فقط فيمكنك أن تفك احرامك بأن تحلق شعر رأسك أو تقصر • ثم تذهب الى البيت المخصص لك ( فى مكة ) حيث تخلع ملابس الاحرام وترتدى الزى العادى •

وفى الثانى من شهر ذى الحجة عد الى الاحرام بأن تغتسل وتصلى ركعتين وتنوى الاحرام للحج قائلا : « اللهم انى أريد الحج فيسره لى وتقبله منى » الى غير ذلك من الأدعية المختارة • ثم تتجه الى ( منى ) وتظل هناك لفجر عرفات •

(١) رابع : ميقات أهل المغرب ومصر والشام ، وأما ميقات أهل العراق : فذات عرق ( قرية ذات جبل مشرف على وادى العتيق ) ، وميقات أهل اليمن والهند جبل من جبال تهامة اسمه : ( يلهم ) أما ميقات أهل المدينة : فنو الخليفة •

(٢) البقرة : ١٥٨

( ٢٠ - من وصايا الرسول )

وعليك عندما تطلع الشمس يوم عرفات أن تتجه الى جبل عرفات وتقول عند دخولك اليه وأنت ذاكرًا الله مستغفرا ملبيا : « اللهم اجعلني ممن تباهى به اليوم ملائكتك ، انك على كل شيء قدير » ويفضل أن تقف بالقرب من جبل الرحمة وتتلو دعاء الوقوف بعرفة • ووقت الوقوف يبدأ من وقت زوال شمس اليوم التاسع من ذي الحجة ، وينتهي بطلوع فجر يوم العيد •• ويبقى الحاج اليوم التاسع في عرفات •

• وعند أذان الظهر صل الظهر والعصر معا جمع تقديم •

وعندما ينادى بالافاضة والنزول من عرفات •• اتجه الى المزدلفة حيث يقع مسجد ( المشعر الحرام ) وصل المغرب والعشاء جمع تأخير • واجمع من المزدلفة ٧٠ حصة اذا أردت أن تمكث بمنى أربعة أيام ، أو ٢١ حصة اذا أردت أن تمكث بها ثلاثة أيام •

وفي الفجر قف بالمشعر الحرام مستقبلا القبلة داعيا : « اللهم كما وفقتنا فيه وأربيتنا اياه فوفقنا لذكرك كما هديتنا ، واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا ، بقولك وقولك الحق : « فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين • ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم » (١) وهناك أدعية أخرى كثيرة •

ثم سر عند اقتراب الشمس من الظهور الى ( منى ) لكي تصل اليها بعد طلوع الشمس ليوم العيد بقليل •• وهناك أسرع في رمي جمرة العقبة ، وهي سبع من الحصوات التي جمعتها من المزدلفة ويستمر الرمي الى وقت الزوال ، ثم اذبح ما معك من الهدى ووزعه على الفقراء والمساكين •• عليك أن تبني ليلتين لترمي بقية الحصوات • عليك أن تعود الى مكة ، لكي تطوف طواف الافاضة سبع مرات ثم اسع بين الصفا والمروة سبعا •• ان كان سعيك للسابعة عن العمرة فقط • أما اذا كان سعيك الأول عن الحج وحده أو عن الحج والعمرة فاستمكك بالسعى ، واذا أردت الخروج من مكة فعليك أن تطوف

بالكعبة طواف النوداع قائلا : « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » (١) يا معيد أعذنى ، ويا سميع اسمعنى ، ويا جبار اجبرنى ، وياستار استرنى ، ويا رحمن ارحمنى ، وارددنى الى بيتك هذا ، وارزقنى اليه العود ثم العود مرات بعد مرات تائبين غابدين سائحين لربنا حامدين •

واقصد بعد ذلك الى المدينة المنورة لزيارة مثنوى سيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا ، وشفيعنا ، وحبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول : « من حج ولم يزرني فقد جفاني » •

وادخل على الحبيب صلوات الله وسلامه عليه من باب السلام •• وصل ركعتين ، ثم سلم عليه ، صلوات الله وسلامه عليه ، ثم اتجه بعد ذلك الى قبرى صاحبيه الكبيرين أبى بكر وعمر عليهما رضوان الله ، وسلم عليهما ، ثم اتجه بعد ذلك الى المحراب وادع دعاء القبلة •

وسل الله سبحانه وتعالى أن ينفعك بهذه الزيارة حتى تكون من أحبائه صلى الله عليه وسلم المتمسكين بسنته والعاملين بشرعه ، وحتى تكون معه فى الجنة فقد ورد فى حديث صحيح :

« من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » •

وأخيرا أخا الاسلام : لعلك بعد أن وقفت على أهمية الجهاد فى سبيل الله تعالى ، قد عقدت العزم على أن تكون من المجاهدين بالنفس والمال •

\* \* \*

### \* وختاما :

أخا الاسلام •• ولما كلفت عادتي فى آخر كل جزء من أجزاء الوصايا أن أسوق اليك نصا من النصوص النافعة التى تنير لك الطريق الى الله ، فقد رأيت وفى ختام هذه الرسالة المتواضعة — التى حرصت فيها على تقديم أهم ما يجب عليك الاحاطة به — أن أسوق اليك وصية علوية جامعة لمكارم الأخلاق يقول فيها عليه رضوان الله لولده محمد ابن الحنفية رضى الله عنه ، موصيا :

يا بنى .. أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغيب والشهادة ، وكثمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنى ، والعدل على الصديق والعدو ، والعمل في النشاط والكسل ، والرضا عن الله عز وجل في الشدة والرخاء .

يا بنى .. ما شر بعده الجنة شر ، ولا خير بعده النار خير ، وكل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار عافية .

يا بنى .. ان من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ، ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ، ومن هتك حجاب أخيه انكسفت عورات بنيه ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن كابر الأمور عطب ، ومن اقتحم البحر غرق ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن سفه عليهم شتم ، ومن سلك مسالك السوء اتهم ، ومن خالط الأندال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن أكثر كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار .

يا بنى .. من نظر في عيوب الناس ثم رضىها لنفسه فذاك هو الأحق بعينه ، ومن تفكر اعتبر ، ومن اعتبر اعتزل ، ومن اعتزل علم ، ومن ترك الشهوات كان حرا ، ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس .

يا بنى .. عز المؤمن غناه عن الناس ، والقناعة مال لا ينفد ، ومن أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه . العجب ممن خاف العقاب فلم يكف ، ورجا الثواب فلم يعمل . الفكر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، والسعيد من وعظ بغيره . الأدب خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين . . . .

يا بنى .. ليس مع القطيعة نما ، ولا مع الفجور غنى .

يا بنى .. العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله تعالى ، وواحد في ترك مجالسة السفهاء .



ومن تزين بمعاصي الله في المجالس أورثه الله ذلاً ، ومن طلب العلم علم .

يا بنى .. رأس العلم الرفق ، وآفته الحذق<sup>(١)</sup> ، وعن كتوز الايمان الصبر على المصائب ، العفاف زينة الفقراء ، والشكر زينة الأغنياء .

يا بنى .. أغنى الغنى العقل ، وأفقر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الحسب الخلق ، اياك ومصادقة الأحمق . فانه يريد أن ينفك فيضرك ، واياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب اليك البعيد ، ويبعد عنك القريب ، واياك ومصادقة البخيل فانه يباعد عنك أحوج ما تكون اليه ، واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه<sup>(٢)</sup> .

يا بنى .. كثرة الزيارة تورث الملل ، والطمأنينة قبل الخبرة . ضد الخزم ، واعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله .

يا بنى .. كم نظرة جلبت حسرة ، وكم كلمة سلبت نعمة ، لا شرف أعلى من الاسلام ، ولا كرم أعز من الزهد ، ولا معقل أحرز من الورع . ولا لباس أجمل من العافية ، ولا مال أذهب للفاقة<sup>(٣)</sup> من الرضا بالقوت ، ومن اقتصر على بلغة<sup>(٤)</sup> الكفاف تعجل الراحة .

يا بنى .. الحرص مفتاح التعب ، ومطية النصب ، وداع الى اقتحام الذنوب ، والشهه جامع لمساوى العيوب . وكفاك أدب لنفك ما كرهته لغيرك ، لأخيت عليك مثل الذى لك عليه ، ومن تورط فى الأمور من غير تبصر فى الصواب فقد تعرض لفدحات النوائب ، التدبير قبل العمل يؤمنك الندم .

من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ .

(١) يقال : تحذق الرجل ، بزيادة اللام اذا اظهر الحذق فاعنى اكثر

ما عنده .

(٣) أى الفقر .

(٢) بالتافه : أى بالشئ الحقيقير .

(٤) أى ما يتبلغ به من العيش .

يا بني .. البخل جلباب المسكنة ، والحرص علامة الفقر ، وصول  
معدم خير من جاف مكثر .

لكل شيء قوت ، وابن آدم قوت الموت .

يا بني .. لا تؤيسن مذنباً على ذنبه ، فكم عاكف على ذنب ختم  
له بالخير ، وكم مقبل على عمله أفسده في آخر عمره فصار الى النار .

يا بني .. في خلاف النفس رشدتها ، الساعات تنقص الأعمار .



## الجزء السادس

# الوصية الحادية والعشرون

عن جابر رضى الله عنه قال :

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :  
« يا أيها الناس .. توبوا الى الله قبل أن تموتوا ..  
وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشظوا .. وصلوا  
الذى بينكم وبين ربكم ، بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة  
في السر والعلانية ترزقوا ، وتنصروا ، وتجبروا » .  
(رواه ابن ماجه )

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

من المستجيبين لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الوصية  
الجامعة لأسباب الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة :  
وحسبك ترغيبا لك في تنفيذ ما أمرك الرسول صلى الله عليه وسلم  
به في هذه الوصية أنك ستفوز في النهاية بهذه النتائج العظيمة التي  
أشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليها في نهايتها .

\* \* \*

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا في أولها بالتوبة  
الى الله سبحانه وتعالى قبل فوات هذه الفرصة الغالية التي لا زلنا نتمتع  
بها وهي تواجدنا في هذه الحياة ، فهذا دليل كاف على أن النبي  
صلى الله عليه وسلم يريد بنا خيرا ، ويؤكد هذا قوله تعالى :  
« وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) .

وحسبى وقبل أن أدور معك حول هذا الموضوع الحيوى أن أقف  
معك وقفه وجيزة أمام هذه الأقوال المأثورة في معنى التوبة :  
قال ذو النون : حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت  
حتى لا يكون لك قرار ، وأن تضيق عليك نفسك . قال الله تعالى

في كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية حين تخلفوا عن غزوة تبوك فهجرهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون خمسين صباحا ثم جاءت توبتهم : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم » (١) الآية . فالتائب دائم التأسف ، كثير التلهف ، يعرف من بين أمثاله بذبوله ، ويستدل على حاله بنحوه .

وقال الجنيد : التوبة على ثلاثة أركان : الندم على ما فات ، والعزم على ترك المعاودة ، والسعى في تلافى ما يمكن تلافيه من حقوق الله تعالى المفروضة وحقوق الناس ، فان لم يكن فالزم على الوفاء ، والدعاء للخصوم .

وقال سهيل بن عبد الله : التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ، ولا يتم ذلك الا في الخلوة ، والصمت وأكل الحلال .

ويقال : أول التوبة يقظة من الله تعالى تقع في القلب فيتذكر العبد تفريطه ، واساءته ، وكثرة جنائياته مع دوام نعم الله تعالى عليه فيعلم أن الذنوب سموم قاتلة يخاف منها حصول المكروه ، وفوات المحبوب في الدنيا والآخرة . فاذا حصل له هذا العلم أثمر حالا وهو الندم على تضييع حق الله تعالى ، ثم يثمر الندم عملا وهو المبادرة الى الخيرات ، وقضاء الواجبات ، ورد الظلمات ، والعزم على اصلاح ما هو آت . فهذه الأمور الثلاثة اذا انتظمت فهي التوبة .

ويقال : التوبة الحياء العاصم ، والبكاء الدائم .

ويقال : التوبة الندم على ما فات ، واصلاح ما هو آت .

ويقال : التوبة قود النفس الى الطاعات بخطام الرغبة ، وردھا عن المعصية بزمام الرهبة .

ويقال : التوبة أن يعلم العبد جراته على الله تعالى ، ويرى حلم الله تعالى عليه حيث لم يأذن للأرض أن تخسف به ، أو للنار أن تحرقه بما عمل من المعاصي . ثم يتوب من الذنوب ويعزم أن لا يرجع اليه كما لا يرجع اللبن الى الضرع .

ويقال : التوبة خلع لباس الجفاء ، ونشر بساط الوفاء .

وأصل التوبة في اللغة : الرجوع ، يقال : تاب وأتاب بمعنى

رجع •

فلاحظ كل هذا وتعمق في فهمه ، واحذر الوقوع في شباك الشيطان حتى لا تكون من حطب جهنم •

وإذا أردت أن تكون حذرا منه ، ومنتصرا عليه : كن حريصا غنى المبادرة الى التوبة ، وعاملا في قطع الأسباب الباعثة على الذنب . مع هجرة من كنت تصحبه على تلك الحالة وتدارك ما أفسدته لتمحوه بصالح أعمالك •

فقد ورد في الأثر : ان الذنب اذا أتبع بثمانية أشياء كان العفو عنه مرجوا :

أربعة في القلب وهي : التوبة ، والعزم على أن لا يعود . وحب الاقلاع عنه ، وخوف العقاب ورجاء المغفرة عليه •

وأربعة في الجوارح وهي : أن يصلى أربع ركعات في المسجد ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة ويقول : سبحان ربي العظيم ويحمده مائة مرة ، ويتصدق بصدقة ، ثم يصوم يوما •

قال الله تعالى : « ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك نكرى

لذاكرين » (١) •

مع ضرورة اجتناب الكبائر لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

« أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » (٢) •

أى : ان اجتنبتكم الكبائر غفرنا لكم الصغائر ، والصغائر هي اللطم كما قال أكثر المفسرين ، والى هذا أشار الله سبحانه وتعالى في قوله : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللطم » (٣) •

وقد اختلف العلماء في تعريف الكبيرة والصغيرة ، فقالوا : كل ما نهى الله تعالى عنه في القرآن فهو كبيرة : وما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنه فهو صغيرة •

كما اختلف الصحابة والتابعون عليهم رضوان الله في عدد الكبائر : فقال ابن مسعود : أربع •

- وقال ابن عمر : سبع •
- وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : تسع •
- وقيل : احدى عشر •

وقال أبو طالب المكي جمعتها من مجموع أقوال الصحابة فوجدتها :  
أربعة في القلب وهي : الشرك بالله تعالى ، والاصرار على معصية  
الله تعالى ، والقنوط من رحمة الله تعالى ، والأمن من مكر الله تعالى •  
وأربعة في اللسان وهي : شهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات ،  
واليمين الغموس<sup>(١)</sup> ، والسحر •

وثلاثة في البطن : شرب الخمر ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا  
وهو يعلم •

• واثنان في الفرج وهما : الزنا ، واللواط •

• واثنان في اليدين وهما : القتل ، والسرقه •

• وواحدة في الرجل وهي : الفرار من الزحف •

• وواحدة في جميع البدن وهي : عقوق الوالدين<sup>(٢)</sup> •

ويقال : ستة أشياء اذا قاربت الصغائر ألحقتها بالكبائر واذا كانت  
مع الكبائر عظم وزرها ، وتزايد أمرها :

الأول : الاصرار ، وهو العود الى مثل الذنب ، ولذلك قيل :  
لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ، وليس المراد به استغفار  
الكذابين باللسان وانما المراد التوبة والندم ، والاقلاع والالتجاء الى  
الله عز وجل بالقلب •

ويقال آفة الاصرار على الصغائر : الوقوع في الكبائر ، وقل أن  
يقع العبد في كبيرة حتى يتقدمها صغيرة ، كالزنا مثلا ، لا يتصور من  
غير تقدم نظر ، ولس ، ونحوه •

الثاني : أن يستصغر الذنب فانه يكبر اثمه على قدر استصغاره له ،  
فان في تصغير الذنب تصغير أمر الرب ، وفي تعظيم الذنب تعظيم الرب

(١) وهي التي يحلف بها الحالف متعمدا الكذب ، وقيل هي التي يقطع  
بها مال مسلم ولو سواكا من أراك ، وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها  
في النار •

(٢) وعقوتها أن يقسما عليه في حق فلا يبر قسمها ، أو يسأله حاجة  
فلا يقضها ، أو يسباه فيضربها ، أو يجوعا فلا يطعمها •

سبحانه وتعالى • وفي الحديث : « المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه ، والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على وجهه فأطاره » وقال بعضهم : أكبر من الذنب قول الانسان : ليت كل ذنب عملته كان مثل هذا • وأوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : « لا تنتظر الى قلة الهدية ، وانظر الى عظم مهديها ، ولا تنتظر الى صغر الخطيئة ، ولكن انظر الى كبرياء من واجهت بها » وقال أبو سعيد الخدرى : انكم لتعملون أشياء هي أدق عندكم من الشعر كنا نعدّها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات : وذلك لأنهم كانوا أكثر تعظيماً لجلال الله تعالى •

الثالث : السرور بالذنب فان القلب يسود بقدر الفرح بالذنب ، ويروى أن رجلاً من بنى اسرائيل تاب من ذنب وعبد الله تعالى سنين ، ثم سأل بعض الأنبياء أن يدعو له بالقبول فأوحى الله عز وجل اليه : « لو تشفع بأهل السموات والأرض ما قبلته وحلاوة الذنب في قلبه » • ومثال العاصى كمثال من غلبه عدوه فأوقعه في نار ، وما يخاف الهلاك فيه فينبغى أن يغلب عليه الأسف والحزن ففرحه من غاية الجهل ويقال : من فرح بالذنب فهو كالمريض الذى يفرح بأن ينكسر اناءه الذى فيه دواؤه كراهة أن يستعمله ، وهذا لا يرجى شفاؤه •

الرابع : أن يتهاون بمنة الله تعالى عليه في ستره عليه ، وحلمه عنه وامهاله حيث لم يعاجله بالعقوبة ، ويخاف أن يكون ذلك الستر مقتاً من الله تعالى وامهالا ليزداد ذنوباً فيأخذه على غرة •

الخامس : اظهار الذنب بأن يفعله مجاهراً ويتحدث به ، ويفتخر به ، وفي ذلك زيادة جرأة وعدم حرمة وابطال نعمة ، فان من نعم الله تعالى اظهار الجميل وستر القبيح ، وفيه تحريك داعية من علم بذنوبه انى الوقوع فى مثله • وفي الخبر : « كل الناس معافى الا المجاهرون » (١) وقال بعضهم : لا تذب • • فان أذنبت فلا ترغب غيرك فتكتسب ذنبين • قال الله تعالى : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف » (٢) •

وقال بعض السلف : ما انتهك المؤمن من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية الله تعالى •

السادس : أن يكون المذنب عالماً يقتدى به كما ورد في الحديث :  
 « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص  
 من أوزارهم شيئاً » (١) . قال الله تعالى : « وتكتب ما قدموا  
 وآثارهم » (٢) . وآثار العمل ما يبقى بعد العمل . وقال ابن عباس  
 رضى الله عنهما : « ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها  
 الناس فيذهبون بها في الآفاق » . ويقال : « العالم مثل السفينة  
 إذا غرقت غرق أهلها » .

وروى : أن عالماً من بنى إسرائيل كان على بدعة ثم رجع عنها  
 وعمل في الإصلاح دهراً ، فأوحى الله تعالى الى نبي من أنبيائهم :  
 « قل لقلان ان ذنبك لو كان فيما بينى وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن  
 أضللت من عبادى فأدخلتهم النار » . وكما يعظم وزر العالم في السيئات  
 كذلك يعظم أجره في الطاعات .

فلا تنس أخا الاسلام كل هذا حتى لا تكون من الجاهلين الذين  
 يتخبطون في ظلمات الجهل ، وحتى لا تكون من الذين : « نسوا الله  
 فأنساهم أنفسهم » (٣) فكانوا من الهالكين المطردوين من رحمة الله  
 سبحانه وتعالى الذى يقول كما ورد في الحديث القدسى :

« ما أقل حياء من يطمع في جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى  
 على من بخل بطاعتي » .

يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :  
 من أراد غنى بلا مال ، وهيبة بلا سلطان ، وعزا بلا عشيرة :  
 فليثق الله فان الله يأبى أن يذل الا من عصاه .  
 ويقول ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه :

لأن أدخل النار وقد أطعت الله عز وجل أحب الى من أن أدخل  
 الجنة وقد عصيت الله عز وجل .

ولهذا كان لا بد — اذا أردت أن تكون أهلاً لرحمة الله تعالى —  
 من الرجوع الى الله سبحانه وتعالى والمصالحة معه مهما كانت الأخطاء  
 فانه سبحانه كما قال عن نفسه : « غفور رحيم » (٤) أحن على عبده

(١) من حديث رواه مسلم والنسائى .

(٢) الحشر : ١٣

(٣) يس : ١٢

(٤) التوبة : ٢٧ ، ٩١ ، ٩٩ ، وآيات كثيرة من القرآن الكريم .



من الوالدة على ولدها • وقتك لا يتحقق الا بالبعد عن كل شيء نهي عنه سبحانه :

حتى تكون مطيعا له ، لو أهلا لكرامته ، ودخول جنته :

فقد ورد : أن الله سبحانه وتعالى قال في الكلمات العشر التي أنزلت على موسى عليه وعلى نبيينا أفضل الصلاة والسلام : « بسم الله الرحمن الرحيم • هذا كتاب من الله الملك الجبار ، العزيز القهار ، لعبده ورسوله موسى بن عمران : سبحنى وقدسنى ، لا اله الا أنا فاعبدنى ، ولا تشرك بى شيئا ، واشكر لى ولو الديق الى المصير أحبيك حياة طيبة • ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فتضيق عليك السماء بأقطارها وتضيق عليك الأرض برحبها ، ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا أزكى من لم يعظم اسمى ، ولا تشهد بما لا يعنى سمعك ، وتحفظ عينك ولا يقف عليك قلبك ، فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة فأسألهم عنها ، ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى وورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ، ساخط لقسمتى • ولا ترن ، ولا تسرق فأحجب عنك وجهى ، وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ، ولا تدبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان الأرض الا ما ذكر عليه اسمى ، ولا تعدرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتا عندى • وأحب للناس ما تحب لنفسك ، واکره لهم ما تكره لنفسك » •

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما :

لما سار موسى عليه الصلاة والسلام الى الميقات قال له ربه : « ما تبتغى ؟ قال : أبتغى الهدى • قال : قد وجدته يا موسى • قال : يا رب •• أى عبادك أحب اليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى • قال : أى عبادك أقضى ؟ قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى • قال : أى عبادك أعلم ؟ قال : الذى يبتغى علم الناس انى علمه ليسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى » •

ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : « رأى موسى عليه الصلاة والسلام رجلا جالسا فى ظل العرش فقال : يا رب •• ما هذا ؟ قال : هذا عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وبر بوالديه ، لا يمشى بالنميمة • قال : يارب •• أى العمل أحب اليك أن أعمل به ؟ قال : تذكرنى ولا تنسانى • قال : أى عبادك خير عملا ؟ قال : من لا يكذب لسانه ، ولا يفجر قلبه ، ولا يزين فرجه ، مؤمن فى خلق حسن •

قال : وأى عبادك شر عملا ؟ قال : فاجر في خلق سيء ، جيفة بالليل ، بطل بالنهار » .

وأياك أن تقنط من رحمة الله لأنه : « لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون » (١) .

وحسبك ترغيبا لك في التوبة وعدم القنوط من رحمة الله تعالى أن **تقرأ قوله تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا »** (٢) وقوله سبحانه وتعالى : « الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما » (٣) .

وقوله المأثور : « لا تقنطوا من رحمتي ، هل رأيتم من انقطع الى ذل ؟ هل رأيتم من احتمى من أجلى اعتل ؟ هل رأيتم من تنسم رياض قربي اختل ؟ هل رأيتم من رأى أعلام نصرتي انغل ؟ هل رأيتم من وجد حلاوة ذكرى انسل ؟ يا عبدى .. لا تقنط من رحمتي ، فانك ان كنت بالصدر موصوف ، فأنا بالجود معروف ، وان كنت ذا خطايا فأنا ذو عطايا . وان كنت ذا جفاء ، فأنا ذو وفاء ، وان كنت ذا أساة ، فأنا ذو أناة . وان كنت ذا غفلة وسهوة ، فأنا ذو عفو ورحمة . وان كنت ذا خشية وانابة ، فأنا ذو قبول واجابة . لا تقنط من رحمة من جاد بالمغفرة على الألوف من السحرة ، وجعلهم من البررة » .

\* \* \*

وحتى يتأكد لك كل هذا ، اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة : عن أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » (٤) . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للجنة ثمانية أبواب : سبعة مغلقة (٥) ، وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه (٦) » (٧) .

(١) يوسف : ٨٧ ، والروح : اى الرحمة .

(٢) الزمر : ٥٣ (٣) الفرقان : ٧٠

(٤) رواه مسلم والنسائي .

(٥) ولا تفتح لاهل الجنة الا بشفاعة النبي ﷺ .

(٦) اى من جهته .

(٧) رواه أبو يعلى والطبرانى باسناد جيد .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 « كل ابن آدم خطأ ، وخير الخطائين التوابون » (١) .  
 وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال : « ان الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ » (٢) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظته ذنوبه ، وأنسى  
 ذلك جوارحه ومعامله من الأرض حتى يلقي الله يوم القيامة ، وليس عليه  
 شاهد من الله بذنب » (٣) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 « والذى نفسى بيده لو لم تذبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذبون ،  
 فبستغفرون الله فيغفر لهم » (٤) .

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنه : « أن امرأة من جهينة أتت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنا ، فقالت : يا رسول الله  
 .. أصبت حدا (٥) فأقمه على ، فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم  
 وليها (٦) ، فقال : « أحسن إليها فاذا وضعت فأتنى بها » ففعل ، فأمر  
 نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت  
 ثم صلى عليها . فقال له عمر : تصلى عليها يا رسول الله ، وقد زنت ؟  
 قال : « لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لو سعتهم ،  
 وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل » (٧) .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم  
 قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ، فسأل  
 عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب ، فأتاه فقال : انه قتل تسعة وتسعين

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن .

(٣) رواه الأصبهاني وابن عساكر والحاكم والترمذى عن أنس ، وقال

شارح « الجامع الصغير » : قال الشيخ مدين : ضعيف .

(٤) رواه مسلم .

(٥) أى فعلة توجب اقامة الحد ، وحد الزانى المحصن هو الرجم .

(٦) أى من يلي امرها من أب أو أخ أو غيرها .

(٧) رواه مسلم .

نفسا فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمّل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجل عالم ، فقال : انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم من يحول بينه وبين التوبة ، انطلق الى أرض كذا وكذا ، فان بها أناسا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء ، فانطلق حتى نصف الطريق فأناه ملك الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه الى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : انه لم يعمل خيراً قط . فأناهم ملك في صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين . فالى أيتهما كان أدنى فهو له . فقاوسوا فوجدوه أدنى الى الأرض التي أراد . فقبضته ملائكة الرحمة » .  
وفي رواية : « فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها » .

وفي رواية : « فأوحى الله الى هذه الأرض أن تباعدى . والى هذه أن تقربى . وقال : قيسوا بينهما . فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له » .

وفي رواية : قال قتادة : قال الحسن : ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره منها (١) .

\* \* \*

وهذه الآثار :

خرج عيسى عليه الصلاة والسلام يوماً ومعه عابد من عباد بنى اسرائيل فتبعهما رجل عاص فمقته العابد وقال : اللهم لا تجمع بينى وبين هذا العاصى . فقال العاصى : اللهم اغفر لى . فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : قد استجبت دعاءهما فرددت الصالح ، وغفرت للمحروم .

وكان سفيان الثورى رضى الله عنه كثير البكاء والجزع فقيل له : يا أبا عبد الله . . عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك . فقال : أو على ذنوبى أبكى ؟ . . لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بمثل الجبال من الخطايا .

وكان أبو عثمان يتكلم فى الرجاء كثيراً فرئى بعد موته فى المنام

(١) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه بنحوه .

فقيل له : كيف كان قدومك على الله تعالى ؟ فقال : أوقفني بين يديه  
وقال : ما الذى حملك على ما فعلت ؟ فقلت : أردت أن أحببك الى خلقك •  
فقال : قد غفرت لك •

وروى أن رجلا من بنى اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم  
فيقول الله تعالى له يوم القيامة : اليوم أؤيسك من رحمتى كما كنت  
تقنط عبيدى منها •

وروى أن رجلين يوم القيامة يخرجان من النار فيقول الله تبارك  
وتعالى لهما : كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما ؟ فيقولان : شر مقيل  
وأسوأ مصير • فيقول الله تبارك وتعالى : ذلك بما قدمت أيديكما  
وما أنا بظلام للعبيد • فيأمر بردهما الى النار • فأما أحدهما فيبادر اليها  
وأما الآخر فيتوقف • فيقول الله تعالى للذى بادر : ما حملك على  
ما صنعت ؟ فيقول : عصيتك فى الدنيا أفأعصيك فى الآخرة ؟ ويقول للذى  
توقف : ما حملك على ما صنعت ؟ فيقول : حسن ظنى بك يا رب حين  
أخرجتنى منها أن لا تعيدنى اليها • فيرحمهما ، ويأمر بهما الى الجنة •  
وقال أبو يعقوب القارى : رأيت فى المنام أويسا القرنى فقلت :  
أوصنى • فقال : ابتغ من رحمة الله عند محبته ، واحذر نقمته عند  
معصيته ، ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك •

وقال مالك بن دينار : رأيت مسلم بن يسار بعد موته فى المنام  
فقلت له : ما لقيت بعد الموت ؟ فقال : لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما  
شدادا • قلت : فماذا كان بعد ذلك ؟ قال : ما تراه يكون من الكريم  
الا الكرم ؟ قبل منا الحسنات ، وعفا عنا السيئات ، وضمن عنا التبعات •  
قال : ثم شهق مالك شهقة ووقع مغشيا عليه ثم مات بعد ذلك  
بأيام ، وكانوا يرون أن قلبه قد انصدع •

ورئى بعضهم فى المنام فقيل له : بماذا قدمت على الله تعالى ؟  
قال : بذنوب كثيرة محاها عنى حسن الظن بالله تعالى •

ونظر الفضيل الى الناس يوم عرفة وهم واقفون يبكون ويتضرعون  
فقال لرجل الى جانبه : أرأيت لو أن هؤلاء كلهم واقفون على باب رجل  
من الأغنياء يطلبون دانقا<sup>(١)</sup> أكان يردهم ؟ فقال : لا • قال : فان  
المغفرة عند الله تعالى أهون من دانق عند أحدكم •

(١) دانقا : أى شيئا قليلا من المال •

وكان بعض الصالحين يتعلق بأستار الكعبة ويقول : ههنا وعدتني  
 «والى هنا دعوتني ، أفتدخلني النار وتوحيدك في قلبي ؟ ما أظنك تفعل  
 ذلك ، وان فعلت فلا تجمع بيني وبين قوم عاديتهم فيك .  
 ونظر أعرابي الى الناس بلوقوف فأئشده يقول :

برزوا لوجهك يا كريم بدعوة ألفاظها شتى بمعنى مفرد  
 يصفون بحرك يا عزيز وما عسى أن يبلغوا منه بوصف مجهد  
 فاسمح للمغفرة تكون لسفرنا زادا اليك غداة يوم المشهد  
 وأتى آخر الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله  
 .. قلت فسمعنا ، وبلغت عن ربك فقبلنا . وكان فيما بلغت عن  
 ربك أنه قال : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله  
 واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا » (١) . وما نحن قد  
 ظلمنا أنفسنا ، وقد جئناك مستغفرين فاستغفر لنا .

وعن الحسن البصري أنه قال : لما تاب الله على آدم عليه الصلاة  
 والسلام هبط جبرائيل ، وكذلك ميكائيل ، ودرئائيل ، عليهم السلام .  
 وقالوا : يا آدم .. قرت عينك بتوبة الله تعالى عليك . فقال آدم :  
 يا جبرائيل .. فان كان بعد هذه التوبة السؤال فأين مقامي ؟ فأوحى  
 الله تعالى اليه : يا آدم .. ورثت ذريتك التعب والنصب ، وورثتهم أنا  
 التوبة ، من دعاني منهم بدعوتك تبت عليه كما تبت عليك ، ومن سألني  
 المغفرة لم أبخل عليه كما لم أبخل عليك لأنني قريب مجيب . يا آدم ..  
 احشر التائبين من القبور مستبشرين ودعائهم مستجاب .

وروى : أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة ونزع  
 عنه لباس الجنة ولى هاربا وجعل يستتر بورق الجنة ، فناداه ربه :  
 أفرارا مني يا آدم ؟ قال : بل حياء منك يا رب . فقال الله تعالى :  
 أما خلقتك بيدي ؟ أما أسجدت لك ملائكتي ؟ أما نفخت فيك من روحي ؟  
 أما أسكنتك جنتي في جوارى ؟ فلم عصيتني ؟ اخرج من جوارى  
 فلا يجاورني من عصاني . فقال آدم : سبحانك اللهم وبحمدك  
 لا اله الا أنت . عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فانك خير الغافرين .  
 سبحانك اللهم وبحمدك . لا اله الا أنت . رب عملت سوءا وظلمت  
 نفسي فارحمني انك أنت أرحم الراحمين ، سبحانك اللهم وبحمدك

لا اله الا أنت ، رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فتاب على انك أنت-  
التواب الرحيم •

وقال الحسن : الكلمات قوله تعالى : « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (١) •

وقال ابن عباس وقتادة : الكلمات أنه قال : « أى رب أنتوب على ان تبت ؟ فقال تعالى : نعم • فتاب الله عليه » •  
ولا تناقض بين هذه الأقوال فإنه يجوز أن يكون قال ذلك كله • فتاب الله عليه •

ومن عظات عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

« أيها الناس .. لا تستصغروا الذنب والتمسوا تمحيص ما سلف-  
بها بالتوبة : « ان الحسنات يذهبن السيئات ، تلك زكري للذاكرين » (٢) •

وقال عز وجل : « والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » (٣) •

ومن أروع ما قرأت :

أن الله تبارك وتعالى اذا أراد ستر عبده كان معه يوم القيامة لا يفضحه على رؤوس الأشهاد • وقد خاف العبد هذا الموقف العظيم لعلمه كثرة ذنوبه فيقرأ بعد أن يعطى كتابه بيمينه الوجه الذى فيه السيئات سرا ويقول : سبحان الله ليست حسنة واحدة ؟ وتقول الخلائق : سبحان الله ليس فى كتاب هذا العبد سيئة واحدة !! فاذا فرغ من القراءة تجلى المولى عليه ، وأسمعه قوله تشيع فى نفسه الرضا : يا عبدى .. هذه حسناتك فى ظهر كتابك أظهرتها لخلقى ، وسترت عنهم سيئاتك فى الدنيا والآخرة ، يا ملائكتى .. اذهبوا به فقد رحمته ، وأدخلوه الجنة •

وأن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

أربع آيات فى سورة النساء خير لهذه الأمة من الدنيا وما فيها :

(٢) هود : ١١٤

(١) الأعراف : ٢٣

(٣) آل عمران : ١٣٥

وقوله عز وجل : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (١) .

وقوله تعالى : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا » (٢) .

وقوله تعالى : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » (٣) .

وقوله تعالى : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا » (٤) .

فيا من أسأ فيما مضى ثم اعترف  
 كن محسنا فيما بقى تلقى الشرف  
 واسمع كلام الله في تنزيه  
 « ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » (٥)

و :  
 جاد إلى التوبة في وقتها فالمرء مرهون بما قد جناه  
 وانتهاز الفرصة ان أمكنت ما فاز بالكرم سوى من جناه

و :  
 لا تفكر فالرب فضلا وجودا عود العبد باصطناع الجميل  
 حاش لله أن تضام بنقص وتتمام الاحسان بالتكميل

\* \* \*

فهو الذي أوجد الأشياء وقدرها وهو الذي يرحم العاصي ويستتره  
 يخفى القبيح ويبدى كل سالحة ويغمر العبد احسانا ويشكره  
 ومن يلوذ به في دفع نائبة يعطيه من فضله عزا وينصره  
 فنسأل الله جمعا حسن خاتمة عند الممات وصفوا لا يكره

\* \* \*

(٢) النساء : ٦٤  
 (٤) النساء : ١١٠

(١) النساء : ٤٨  
 (٣) النساء : ٣١  
 (٥) الأنفال : ٣٨



وإذا أردت أن يبارك الله سبحانه وتعالى توبتك ويغفر زلتك فحسبك  
أن تحزص على :

### صلاة التوبة

فقد روى : عن أبي بكر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يذنب ذنباً ، ثم يقوم فيتطهر<sup>(١)</sup> ثم يصلى<sup>(٢)</sup> ، ثم يستغفر الله الا غفر الله له » ثم قرأ هذه الآية : « **والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله<sup>(٣)</sup>** »<sup>(٤)</sup> الى آخر الآية<sup>(٥)</sup> .

وعن الحسن — يعنى البصرى — رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أذنب عبد ذنباً ، ثم توضأ فأحسن الوضوء<sup>(٦)</sup> ، ثم خرج الى براز<sup>(٧)</sup> من الأرض فصلى فيه ركعتين ، واستغفر الله من ذلك الذنب الا غفر الله له »<sup>(٨)</sup> .

وعن عبد الله بن بريدة رضى الله عنه عن أبيه قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فدعا بلالاً ، فقال : « يا بلال .. بم سبقتنى الى الجنة ؟ انى دخلت الجنة البارحة<sup>(٩)</sup> ، فسمعت خشخشتك<sup>(١٠)</sup> أمامى » فقال : يا رسول الله .. ما أذنبت قط الا صليت ركعتين ، وما أصابنى حدث قط الا توضأت عندها ، وصليت ركعتين »<sup>(١١)</sup> .



واعلم أن العجلة من الشيطان ، الا فى خمسة أشياء فانها من السنة :

- (١) يعنى يتوضأ .
- (٢) وفى بعض الروايات : « ثم يصلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء » .
- (٣) أى ذكروا وعيده سبحانه وهيبته ومقامهم بين يديه .
- (٤) آل عمران : ١٣٥
- (٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى وقالوا : « ثم يصلى ركعتين » .
- (٦) يعنى أسبغه واتمه .
- (٧) البراز : الأرض الفضاء .
- (٨) رواه البيهقى مرسلًا .
- (٩) يعنى الليلة الماضية .
- (١٠) أى صوت نعليك ، وفى رواية : « دف نعليك » .
- (١١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، والحديث متفق عليه .

اطعام الضيف اذا دخل ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ،  
والتوبة من الذنب (١) .

وأن من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ،  
وقناعة النفس ، والنشاط في العبادة .  
ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء :

« تسويف التوبة ، والشرة في الدنيا ، والتكاسل عن الطاعة » (٢) .  
واذكر دائما وأبدا قول الله تعالى حتى تسارع بالتوبة قبل  
فوات الأوان :

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم  
الموت قال انى تبت الآن » (٣) .

\* \* \*

وأما عن العمل الصالح الذى يوصينا المصطفى صلى الله عليه وسلم  
بالمبادرة به بعد أن أوصانا بالتوبة الى الله سبحانه وتعالى قبل أن نموت :  
فهو الدليل الوحيد على صدق التوبة بدليل قوله تعالى : « ومن تاب  
وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا » (٤) .

هذا بالاضافة الى أن العمل الصالح هو البرهان الوحيد على  
صدق الايمان .

ولهذا كان مقترنا به فى كثير من الآيات القرآنية التى منها :

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من  
تحتها الأنهار » (٥) .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة ، هم فيها  
خالدون » (٦) .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس  
نزلا » (٧) .

« ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (٨) .

(١) لابن أدهم رضى الله عنه . (٢) لمحمد بن اللقاف رحمه الله .

(٤) الفرقان : ٧١

(٦) البقرة : ٨٢

(٨) العصر : ٢ ، ٣

(٣) النساء : ١٨

(٥) البقرة : ٢٥

(٧) الكهف : ١٠٧

ولما كان العمل الصالح هو زاد الآخرة التي سيكون العبد فيها في أشد الحاجة الى رصيد من الحسنات يغنيه عن غيره « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه » (١) . « يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه » (٢) .

كان لا بد وأن يغتنم العبد في دنياه خمسا قبل خمس :  
شبابه قبل هرمه ، وصحته قبل سقمه ، وغناه قبل فقره ، وفراغه قبل شغله ، وحياته قبل موته ، كما جاء في موعظة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك حتى يكون في دنياه وأخراه من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وحتى يكون يوم القيامة مع عباد الله الصالحين الذين أعد الله لهم في جنة الخلد « مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

ولهذا كان أكيس الناس وأخزمهم « أكثرهم ذكرا للموت وأكثرهم استعدادا للموت » (٣) .

وكان أزهدهم : « من لم ينس القبر والبلى ، وترك فضل زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، ولم يعد غدا من أيامه ، وعد نفسه من الموتى » (٤) .

وكان : « خير الناس : من طال عمره ، وحسن عمله » (٥) .  
وقد ورد : عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بخيركم ؟ قالوا : نعم . قال : « خيركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا » (٦) .

(٢) عبس : ٢٤ - ٣٦

(١) النبأ : ٤٠

(٣) من حديث رواه ابن ابي الدنيا في كتاب « الموت » والطبرانى في الصغير باسناد حسن ، ورواه ابن ماجه مختصرا باسناد جيد ، والبيهقى في « الزهد » .

(٤) رواه ابن ابي الدنيا ، وهو مرسل .

(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٦) أى بآئركم ثوابا وأرفعكم منزلة عند الله .

(٧) رواه أحمد ورواه رواية الصحيح ، وابن حبان في صحيحه .

والبيهقى ورواه الحاكم من حديث جابر وقال : صحيح على شرطهما .

وعن أبي بكر رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله .. أى الناس خير ؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله » قال : فأى الناس شر ؟ قال : « من طال عمره وساء عمله » (١) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تتمنوا الموت ، فإن هول المطلع شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ، ويرزقه الله الانابة » (٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يتمن أحدكم الموت ، أما محسنا فلعله يزداد ، وأما مسيئا فلعله يستعقب » (٣) (٤) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتمن أحدكم الموت لضر (٥) نزل به ، فإن كان لأبد فاعلا فليقل : اللهم أحيى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى » (٦) .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله » (٧) قيل : كيف يستعمله ؟ قال : « يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه » (٨) .

فمن كل هذه الأحاديث يتضح لك أن العمل الصالح هو سفينة النجاة التى أشار إليها سبدا على رضى الله عنه فى قوله :  
 ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا  
 نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا  
 جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا  
 فكن من هؤلاء الفطناء الذين عرفوا الله تعالى فأطاعوه ، وعرفوا

- 
- (١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والطبرانى باسناد صحيح والحاكم والبيهقى فى « الزهد » وغيره .  
 (٢) رواه أحمد باسناد حسن والبيهقى .  
 (٣) أى لعله يتوب .  
 (٤) رواه البخارى ، واللفظه ومسلم .  
 (٥) أى الفقر والمرض .  
 (٦) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى .  
 (٧) يعنى على حال يستعمله .  
 (٨) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

الحق غابتعوه ، والباطل فاجتنبوه ، والنار فهربوا منها ، والجنة فعملوا من أجلها .

\* \* \*

وحسبى بعد هذا العرض السريع أن أقرأ معك هذا الحديث الشريف الذى أرجو بعد قراءتك له أن تكون من هؤلاء الحريصين على تنفيذ ما فيه حتى تكفر عن سيئاتك ، وترفع من درجاتك : عن معاذ ابن جبل رضى الله عنه أنه قال : احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة فى صلاة الصبح حتى كدنا نترأى قرن الشمس ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا فثوب<sup>(١)</sup> بالصلاة وصلى وتجاوز فى صلاته فلما سلم قال : « كما أنتم على مصافكم » ثم أقبل إلينا فقال : « انى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة ، انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت ، فاذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة فقال : يا محمد .. أتدرى غيم يختصم الملا الأعلى<sup>(٢)</sup> ؟ قلت : لا أدرى رب . قال : يا محمد .. غيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب . قال : يا محمد .. غيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب .

فرايته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى صدرى ، وتجلى لى كل شىء . وعرفت . فقال : يا محمد .. غيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت : فى الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام الى الجماعات<sup>(٣)</sup> والجلوس فى المساجد بعد الصلوات ، واسباغ الوضوء عند الكريهات .

قال : وما الدرجات ؟ قلت : اطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام .

قال : سل . قلت : اللهم انى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، واذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل

(١) المراد بالثوبىب فى هذا الحديث : هو الاقامة .

(٢) وهم الملائكة .

(٣) وفى رواية : « الى الجماعات » .

يقربني الى حبك » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انها حق فادرسوها وتعلموها » (١) .

\* \* \*

وتذكر دائما وأبدا قول القائل :

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

وقول أحد الأصحاب عليهم جميعا رضوان الله يوم أن وقف أمام الكعبة ثم قال لأصحابه :

أليس إذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم . قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا : دلنا على زاده . فقال :

« حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور » .

وقول ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه عندما سئل :

لم زهدت الدنيا يا ابراهيم ؟ فقال : لثلاث :

الأول : رأيت الطريق طويلا وليس معى زاد .

الثانى : رأيت القبر موحشا وليس معى مؤنس .

الثالث : رأيت الجبار قاضيا وليس معى حجة ولا من يدافع عنى .

\* \* \*

واعلم أن الاخلاص سر العبادة وروحها وشرطها الباطن الذى لا تصح الا به .

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه » (٢) .

وهذا معناه : أنه لا عمل صحيح الا بالنية ، والمراد بها الأعمال

(١) أخرجه الامام احمد والترمذى وقال : حديث صحيح ، قال : وسألت

محمد بن اسماعيل البخارى عن هذا فقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

الشرعية التي هي مناط التكليف سواء أكانت مقصودة لذاتها كالصلاة ،  
أو وسيلة لغيرها كالوضوء .

وعن أبي أمامة قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ، ماله ؟ فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « لا شيء له » فأعادها ثلاث مرار ، ويقول  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا شيء له » ثم قال : « ان الله  
عز وجل ، لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا ، وابتغى به وجهه » (١) .  
وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« انما يبعث الناس على نياتهم » (٢) .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله  
لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم » (٣) .  
وعن أبي الدرداء رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« من أتى فراشه (٤) وهو ينيو أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه  
حتى أصبح كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه » (٥) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت : يا رسول الله ..  
أخبرنى عن الجهاد والغزو ؟ فقال : « يا عبد الله بن عمرو .. ان قاتلت  
صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا ، وان قاتلت مرأثيا مكاثرا ،  
بعثك الله مرأثيا مكاثرا ، يا عبد الله بن عمرو .. على أى حال قاتلت  
أو قتلت بعثك الله على تلك الحال » (٦) .

وعن محمود بن لبيد قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقال :  
« اياكم وشرك السرائر » قالوا : يا رسول الله .. وما شرك السرائر ؟  
قال : « يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر  
الناس اليه ، فذلك شرك السرائر » (٧) .

وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أخوف  
ما أخاف عليكم الشرك الأصفر » قالوا : وما الشرك الأصفر يا رسول الله ؟

(١) رواه أبو داود والنسائي بإسناد جيد .

(٢) رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

(٣) رواه مسلم . (٤) يعنى نلم .

(٥) رواه النسائي وابن ماجه بإسناد جيد .

(٦) رواه أبو داود . (٧) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

قال : « الرياء ، يقول الله عز وجل اذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » (١) .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء ، فمن عمل لى عملاً أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشرك » (٢) .

ومن أقوال الحكماء : من عمل سبعة دون سبعة لم ينتفع بما يعمل ، أولها : أن يعمل بالخوف دون الحذر ( يعنى يقول : انى أخاف عذاب الله ولا يحذر من الذنوب ، فلا ينفعه ذلك القول شيئاً ) .

الثانى : أن يعمل بالرجاء دون الطلب ( يعنى يقول : انى أرجو ثواب الله تعالى ولا يطلبه بالأعمال الصالحة ، لم تنفعه مقالته شيئاً ) .

الثالث : بالنية دون القصد ( يعنى ينوى بقلبه أن يعمل بالطاعات والخيرات ولا يقصد بنفسه ، لم تنفعه نيته شيئاً ) .

الرابع : بالدعاء دون الجهد ( يعنى يدعو الله تعالى أن يوفقه للخير ولا يجتهد ، لم ينفعه دعاؤه شيئاً وينبغى له أن يجتهد ليوفقه الله تعالى ، كما قال الله تعالى : « والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين » (٣) ) ( يعنى الذين جاهدوا فى طاعتنا وفى ديننا لنوفقنهم لذلك ) .

الخامس : الاستغفار دون الندم ( يعنى يقول : أستغفر الله ولا يندم على ما كان من الذنوب ، لم ينفعه الاستغفار ، يعنى الندامة ) .  
السادس : العلانية دون السرية ( يعنى يصلح أموره فى العلانية ولا يصلحها فى السر ، لم تنفعه علانيته شيئاً ) .

السابع : أن يعمل بالكد دون الاخلاص ( يعنى يجتهد فى الطاعات ولا تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى ، لم تنفعه أعماله بغير اخلاص ويكون ذلك اغتراراً منه بنفسه ) .

(١) رواه أحمد باسناد جيد ، وابن ابى الدنيا والبيهقى فى « الزهد » .

(٢) رواه ابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى .

(٣) العنكبوت : ٦٩



ومن أقوالهم أيضا :

مثل الذى يعمل للرياء والسمعة ، كمثل رجل خرج الى السوق وملاً كيسه حصة ، فيقول الناس : ما أملاً كيس هذا الرجل ، ولو أراد أن يشتري به شيئاً لا يعطى به شيء ، فكذلك الذى يعمل للرياء والسمعة ، لا منفعة له سوى مقابلة الناس ولا ثواب له فى الآخرة •

للمرائى أربع علامات : يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان مع الناس ، ويزيد فى العمل اذا أثنى عليه ، وينقص اذا ذم به •  
قال عمر رضى الله عنه : من أظهر للناس خشوعاً فوق ما فى قلبه أظهر نفاقاً على نفاق •

وقال أيضا : من تخلق للناس بما ليس خلقاً له شأنه الله •  
اذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب ولا تحسبن الله عنك بغافل ولا أن ما تخفى عليه يغيب

\*\*\*

فلاحظ كل هذا أخت الاسلام ولا تنس قول الله تعالى : « لئن أشركت ليحبطن عملك » (١) وضع نصب عينيك وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضى الله عنه التى يقول فيها :  
« أحكم السفينة فان البحر عميق ، واستكثر الزاد فان السفر لطويل ، وخفف ظهرك فان العقبة كؤود ، وأخلص العمل فان الناقد بصير » •

وتأمل قول القائل :

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية  
اتق الشبهات ، وازهد ، ودع ما ليس يعينك ، واعملن بنية

\*\*\*

وأما عن ذكر الله تعالى الذى يوصينا به المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فهو السبيل الوحيد الى توطيد الصلة بين العبد وربّه ، وهو أيضا الطريق الى المغفرة والأجر العظيم بدليل قوله تبارك وتعالى فى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدي بى ، وأنا معه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا »

خير منهم ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا ، واذا أتاني يمشى أتيته هرولة» (١) .

وقوله تعالى في كتابه العزيز : « **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** » (٢) .

وهذا هو المعنى الكبير الذى تشير اليه الآية الكريمة : « **فاذكرونى أذكركم** » (٣) أى :

- اذكرونى بخدمتى •• أذكركم بنعمتى •
- اذكرونى بالتوحيد •• أذكركم بالتأييد •
- اذكرونى بالشكر •• أذكركم بالمزيد •
- اذكرونى بالمحبة •• أذكركم بالقربة •
- اذكرونى بالخوف •• أذكركم بالأمان •
- اذكرونى بالرجاء •• أذكركم بتحقيق الآمال •

كما يقول الموحدون الذين عرفوا الله تعالى فعرفهم ، وذكره فذكرهم فكانوا بذلك على صلة وثيقة به لدرجة أن أحدهم قال : « اننى أعرف متى يذكرنى ربى » وعندما تعجب القوم تلاقوا قول الله تعالى : « **فاذكرونى أذكركم** » .

\* \* \*

واذا كان الله سبحانه وتعالى يأمرنا فى كتابه العزيز بأن نذكره فذكرنا كثيرا فى قوله تبارك وتعالى : « **يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا** » (٤) .

فحسبى حتى تعرف حقيقة الذكر الكثير أن أسوق اليك هذين الحديثين الشريفين :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ، أو صلى ركعتين جميعا كتبنا فى الذاكرين الله كثيرا والذاكرات** » (٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) الاحزاب : ٣٥

(٣) البقرة : ١٥٢ . (٤) الاحزاب : ٤١

(٥) رواه ابو داود والنسائى وابن ماجه فى سننهم .

قال : « سبق المفردون » ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : « **الذاكرون الله كثيرا والذاكرات** » (١) .

وهذه الأقوال المأثورة :

قال ابن عباس رضى الله عنهما : « المراد : يذكرون الله في أدبار الصلوات ، وغدوا ، وعشيا ، وفي المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا أوراخ من منزله ذكر الله تعالى » .

وقال مجاهد : « لا يكون من الذاكرين كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما ، وقاعدا ، ومضطجعا » .

وقال عطاء : « من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى **« والذاكرين الله كثيرا والذاكرات »** .

وسئل الامام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله عن القدر الذى يصير به من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات فقال : « اذا واطب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء في الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا » .

ويكون الذكر بالقلب ، ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعا ، فان اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل .

ومن أهم شروطه : أن يكون الذاكر حاضر القلب مع الله تعالى ، وأن لا يكون غافلا ولا ذاهلا عند ذكره :

فان القلب كما يقولون : أوعية أسرار الغيوب ، فرب ذاك لله لحظة بقلب حاضر ، خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب .

وثمره حضور العبد مع الله : شهوده له تعالى في كل شىء بحيث يعلم أنه ناظر اليه ، ومطلع عليه ، وعند ذلك يتحقق بقوله تعالى في كتابه المجيد : **« ونحن أقرب اليه من جبل الوريد »** (٢) .

وفي هذا يقول أحدهم :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة  
وكدت بلا وجد أموت من الهوى  
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى  
فخاطبت موجودا بغير تكلم  
وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى  
وهان على القلب بالخفقان  
شهدتك موجودا بكل مكان  
ولاحظت معلوما بكل عيان

كما كان أحدهم يقول :

الأصول التي بينى عليها المرید أمره أربعة : اشتغال اللسان مع حضور القلب بذكر الله ، وجبر القلب على مراقبته ، ومخالفة النفس والهوى من أجله ، وتصفية النية لعبوديته ، وهى القطب وبها تزكو الجوارح ويصفو القلب •

وفى الذكر فوائد كثيرة ذكرها ابن قيم الجوزية فى كتابه « الوابل الصيب من الكلم الطيب » خلاصتها باختصار وتصرف :

- أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره •
- وأنه يرضى الرحمن عز وجل •
- وأنه يزيل الهم والغم عن القلب •
- وأنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط •
- وأنه يقوى القلب والبدن •
- وأنه ينور الوجه والقلب •
- وأنه يجلب الرزق •
- وأنه يكسو الذاكرة المهابة ، والحلاوة ، والنضرة •
- وأنه يورث المحبة التى هى روح الاسلام •
- وأنه يورث المراقبة التى توصله الى درجة الاحسان •
- وأنه يورث الانابة ، وهى الرجوع الى الله عز وجل •
- وأنه يورث القرب من الله عز وجل •
- وأنه يفتح للذاكر بابا عظيما من أبواب المعرفة التى ترداد بكثرة مذكوره •
- وأنه يورثه الهيبة لله عز وجل الذى تربح حبه على قلبه •
- وأنه يورثه ذكر الله تعالى له •
- وأنه يورثه حياة القلب •
- وأنه قوت القلب والروح •
- وأنه يورث جلاء القلب من صدئه •
- وأنه يحط الخطايا ويذهبها لأنه من أعظم الحسنات •
- وأنه يزيل الوحشة بين العبد وربّه تبارك وتعالى •
- وأنه يذكر العبد الذاكر عند ربّه فى وقت الشدائد •
- وأنه منجى من عذاب الله تعالى •

وأنه سبب تنزيل السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بالذاكر •

وأنه يشغل اللسان عن الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والفحش ، والباطل •

وأن مجالسه هي مجالس الملائكة ، بعكس مجالس اللغو والغفلة فهي مجالس الشياطين •

وأنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة •

وأنه مع البكاء والخلو سبب لاطلال الله تعالى العبد يوم الحزن الأكبر في ظل عرشه سبحانه وتعالى •

وأنه سبب لعطاء الله سبحانه وتعالى الذاكر الذي شغله ذكره عن مسألته سبحانه •

وأنه أيسر العبادات •

وأنه غراس الجنة •

وأنه أساس العطاء والفضل الذي لم يرتب على غيره من الأعمال •

وأنه يوجب الأمان من نسيان الله سبحانه وتعالى للعبد الذاكر في معاشه ومعاده •

وأنه نور للذاكر في الدنيا ، وفي قبره ، وفي معاده يسمى بين يديه على الصراط •

وأنه ينبه القلب من نومه ، ويوقظه من سنته •

وأنه شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر اليها السالكون •

وأنه يعدل عتق الرقاب ، ونفقة الأموال ، والحمل على الخيل في

سبيل الله عز وجل ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله •

وأنه رأس الشكر •

وأنه شفاء القلب ودواؤه •

وأنه أصل موالاته الله عز وجل ورأسها •

وأنه يجلب نعم الله عز وجل ، ويدفع نقمه •

وأنه يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر •

وأنه من أكبر العون على طاعة الله عز وجل •

وأنه يسهل الصعب ، وييسر المسير ، ويخفف المشاق •

وأنه يذهب عن القلب مخاوفه كلها •

وأنه يعطي الذاكر قوة نورانية •

- وأنه سد بين العبد وبين جهنم .
- وأنه أمان من النفاق .
- وأنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ، ونورا في الآخرة .

\* \* \*

وحسبى بعد ذكر هذه الفوائد العظيمة التي أرجو أن تكون من الفائزين بها ، أن أسوق اليك هذه الأحاديث الشريفة المرغبة في الذكر :  
 عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليكم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من انفاق الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « ذكر الله عز وجل » (١) .

عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 « مثل الذى يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحى والميت » (٢) .  
 عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله . . .  
 ان شرائع الاسلام قد كثرت على فأخبرنى بشيء أتسبث به ، قال :  
 « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » (٣) .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : ان آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلت : أى الأعمال أحب الى الله ؟ قال : « أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » (٤) .  
 عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « لكل شيء صقالة ، وان صقالة القلوب : ذكر الله عز وجل »  
 قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ قال : « ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع » (٥) .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل » (٦) .

- 
- (١) رواه الامام أحمد باسناد حسن ، وابن أبى الدنيا والترمذى وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، والبيهقى عن أبى الدرداء .  
 (٢) رواه البخارى .  
 (٣) رواه الحاكم باسناد صحيح .  
 (٤) رواه الطبرانى وغيره .  
 (٥) رواه البيهقى مرفوعا .  
 (٦) رواه الانام أحمد في مسنده .

ومن أجمل وصاياه صلوات الله وسلامه عليه تلك الوصية الجامعة التي أوصى بها أم أنس رضى الله عنها حينما قالت له : يا رسول الله .. أوصني ، فقال لها : « اهجرى المعاصي ، فانها أفضل الهجرة ، وحافظي على الفرائض فانها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله فانك لا تأتين بشيء أحب إليه من كثرة ذكره » .

قال النووي في كتابه « الأذكار » :

واعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في الاستسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، والتكبير ، ونحوها ، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى ، كذا قاله سعيد بن جبير رضى الله عنه وغيره من العلماء .

\* \* \*

وأما عن مجالس الذكر وهي : مجلس الحلال والحرام ، كيف تشتري وتبيع ، وتصلى وتصوم ، وتنكح وتطلق ، وتحج ، وأشباه هذا .. كما يقول عطاء رحمه الله :

فهي : المجالس التي يذكر فيها كلام الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبار السلف الصالحين ، وكلام الأئمة الزهاد المتقدمين البراة عن التصنع والبدع ، والمنزهة عن المقاصد الرديئة والطمع .. كما يقول القرطبي رحمه الله .

فهي : مجالس الذكر والطاعات .. كما يقول ابن حجر رحمه الله . فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يرغب فيها ، فقد ورد :

عن معاوية رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم » ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا . قال : « آله ما أجلسكم الا ذلك » ؟ قالوا : آله ما أجلسنا الا ذلك . قال : « أما انى لم أستطعكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة » (١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله ملائكة يطوفون في الطرق — يلتمسون أهل الذكر —

فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تتنادوا : هلموا الى حاجتكم ، فيحفظونهم  
بأجنتهم الى السماء الدنيا •

قال : فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - ما يقول عبادي ؟

قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك •

قال : فيقول : هل رأوني ؟ قلل : فيقولون : لا والله يا رب •

قال : فيقول : كيف لو رأوني ؟

قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد تمجيذا ،

وأكثر لك تسبيحا •

قال : فيقول : فما يسألوني ؟ قال : يقولون : يسألونك الجنة •

قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها •

قال : فيقول : فكيف بهم لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها

كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة •

قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : يتعوذون من النار •

قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها •

قال : فيقول فكيف لو رأوها ؟ قال : فيقولون : لو رأوها كانوا أشد

منها فرارا وأشد لها مخافة •

قال : فيقول : أشهدكم أني قد غفرت لهم •

قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، انما

جاء لحاجة •

قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» (١)

وفي رواية أخرى : « فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى

بهم جليسهم» (٢)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قللوا : وما رياض الجنة ؟

قال : « حلق الذكر» (٣)

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « لبيعتن الله أقواما يوم القيامة في وجوههم النور على

منابر اللؤلؤ ، تغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء » قال :

(٢) من رواية مسلم •

(١) رواه البخارى •

(٣) رواه الترمذى وحسنه ..



فجئنا أعرابي على ركبتيه فقال : يا رسول الله .. صفهم لنا نعرفهم .  
قال : « هم المتحابون في سبيل الله من قبائل شتى يجتمعون على ذكر الله  
يذكرون » (١) .

وعن أبي سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون  
الله تعالى الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ،  
وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه  
الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة » (٣) .

\* \* \*

فاذكر كل هذا مع ملاحظة : أنه ينبغى أن يكون الذاكِر على أكمل  
الصفات ، فان كان جالسا في موضع استقبال القبلة وجلس متذلا متخشعا  
بسكينة ووقار مطرقا رأسه ، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جازا  
ولا كراهة في حقه ، لكن ان كان بغير عذر كان تاركا للأفضل . والدليل  
على عدم الكراهة قول الله تعالى : « ان في خلق السموات والأرض  
واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما  
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض » (٤) .

وينبغى أن يكون الموضع الذى يذكر فيه خاليا عن كل ما يشغل  
البال ويحصل من وجوده الاشتغال والوسواس ، ونظيفا (٥) فانه  
أعظم في احترام الذكر والمذكور ، ولهذا مدح الذكر في المساجد  
والمواضع الشريفة .

وينبغى أن يكون الذاكِر فمه نظيفا ، فان كان فيه تغير (٦) أزاله  
بالسواك ، فان كان فيه نجاسة أزالها بال غسل بالماء ، فلو ذكر ولم  
يغسلها فهو مكروه ولا يحرم . ولو قرأ القرآن وغمه نجس : كره .  
وفي تحريمه وجهان أصحهما : لا يحرم .

(١) رواه الطبرانى باسناد حسن .

(٢) رواه في السنن .

(٣) أى ظاهرا .

(٤) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٥) أى تشبعت منه رائحة كريهة .

وأنة قد أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء . وذلك في التسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، والتكبير ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> ، أما قراءة القرآن فانها تحرم على الجنب والحائض والنفساء سواء أكانت القراءة قليلة أو كثيرة حتى بعض آية .

ويجوز لهم اجراء القرآن على القلب من غير لفظ كما يجوز لهم النظر في المصحف وامراره على القلب .

قال النووى فى كتابه « الأذكار » : وقال أصحابنا : ويجوز للجنب والحائض أن يقولوا عند المصيبة : « انا لله وانا اليه راجعون »<sup>(٢)</sup> .

وعند ركوب الدابة : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين »<sup>(٣)</sup> .

وعند الدعاء : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »<sup>(٤)</sup> .

إذا لم يقصدا به القرآن ، ولهما أن يقولوا : « بسم الله والحمد لله » .

إذا لم يقصدا به القرآن سواء قصدا الذكر أو لم يكن لهما قصد ، ولا يأتان الا اذا قصدا القرآن ، ويجوز لهما قراءة ما نسخت تلاوته : « كالشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما » .

\* \* \*

هذا : وتلاوة القرآن هى أفضل الأذكار .

وقد ورد فى فضلها وفضلته :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : « ألم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »<sup>(٥)</sup> .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألتى ،

(٢) البقرة : ١٥٦

(٤) البقرة : ٢٠١

(١) والدعاء وغير ذلك .

(٣) الزخرف : ١٣

(٥) رواه الترمذى .

أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه» (١) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه (٢) له أجران » .

وفي رواية : « والذي يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران » (٣) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يجيء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول : يا رب .. حله ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب .. زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب .. ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارق ، ويزاد بكل آية حسنة » (٤) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن ، فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه » .

لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله » (٥) .

وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور ، ضوءه مثل الشمس ، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا ، فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن » (٦) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (٧) .

\* \* \*

(١) رواه الترمذى . (٢) أى وهو عليه شاق .

(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

(٤) رواه الترمذى وحسنه وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٥) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٦) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

وإذا أردت أن تعرف :

## أحب الكلام الى الله عز وجل بعد القرآن

فاليك :

عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله ،  
والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » (١) .

وفي وجه آخر : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع — وهن من  
القرآن — : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » (٢) .

وفي أثر آخر : « أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته : سبحان  
الله ويحمده » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« لأن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ،  
أحب الى مما طلعت عليه الشمس » (٣) .

وابداً ذكرك بالاستغفار .

وحسبك ترغيباً لك فيه قول الله تبارك وتعالى لنبيه صلوات الله  
وسلامه عليه : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم  
وهم يستغفرون » (٤) . وقوله : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه  
ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » (٥) . وقوله على لسان سيدنا نوح  
عليه السلام : « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً • يرسل  
السماء عليكم مدراراً • ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل  
لكم أنهاراً » (٦) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه

(١) رواه مسلم .

(٢) عزاه السيوطى فى « الجامع الصغير » الى الامام احمد عن رجل  
وعلم عليه بالصحة وليس فيه : « بعد القرآن » ولا « وهى من القرآن » .

(٤) الاتمال : ٣٣ .

(٣) رواه مسلم .

(٦) نوح : ١٠ — ١٢ .

(٥) النساء : ١١٠ .

وسلم : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » (١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسى بيده لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم » (٢) .

وعن عبد الله بن بسر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا » (٣) .

ومن أهم صيغته :

« ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

الخاسرين » (٤) .

« لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » (٥) .

« اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب الا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى ، انك أنت الغفور الرحيم » (٦) .

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة : « رب اغفر لى وتب على ، انك أنت التواب الرحيم » (٧) .

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ، غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف » (٨) .

وعن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار أن يقول العبد :

اللهم أنت ربى ، لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنوبى ، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت .

(١) رواه أبو داوود وابن ماجه . (٢) رواه مسلم .

(٣) رواه ابن ماجه باسناد جيد . (٤) الاعراف : ٢٣ .

(٥) الانبياء : ٨٧ .

(٦) حديث شريف متفق عليه ، وفق رواية اخرى : « ظلما كبيرا » .

(٧) رواه أبو داوود والترمذى وابن ماجه .

(٨) رواه أبو داوود والترمذى ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح

على شرط البخارى ومسلم .

من قالها بالنهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» (١) .

\* \* \*

فاذكر كل هذا مع ملاحظة ما روى :

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له » (٢) .

وفي رواية أخرى : « ينزل الله سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك . أنا الملك . من ذا الذى يدعونى فأستجيب له ، من ذا الذى يسألنى فأعطيه ، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر » (٣) .  
وفي رواية : « اذا مضى شطر الليل — أو ثلثاه — » .

وعن عمرو بن عبسة رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الأخير فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى فى تلك الساعة فكن » (٤) .

وكن من : « المستغفرين بالأسحار » (٥) .

« . . . واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار » (٦) .

« . . . واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » (٧) .

وحسبك : أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقول :

« انه ليغان على قلبى وانى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » (٨) .

(١) رواه البخارى ، و « أبوء » أى اعترف .

(٢) رواه البخارى ، ومسلم . (٣) رواه مسلم .

(٤) رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) آل عمران : بلفظ « . . . والمستغفرين » .

(٦) غافر : ٥٥ (٧) محمد : ١٩

(٨) رواه مسلم .

ويقول : « والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » (١) .

وأكثر من التهليل وهو الذكر : بلا اله الا الله ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« خير ما قلتة أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك » (٣) .

مع ملاحظة أنها : كلمة التوحيد ، وكلمة الاخلاص ، وكلمة التقوى ، والكلمة الطيبة ، ودعوة الحق ، والعروة الوثقى ، وثمر الجنة . وأن معناها : لا معبود بحق الا الله . ولهذا كان :

« أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » (٤) . وكان أسعد الناس بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من قال : « لا اله الا الله خالسا من قلبه — أو نفسه » (٥) . وجاء فى معنى اخلاصها : عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله مخلصا (٦) دخل الجنة ، قيل : وما اخلاصها ؟ قال : « أن تحجزه عن محارم الله » (٧) . وأكثر كذلك من التسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة ، تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى فى قوله :

- 
- (١) رواه البخارى عن أبى هريرة .  
 (٢) رواه الترمذى بسنده . (٣) رواه البخارى ومسلم .  
 (٤) رواه الحاكم وقال عنه : انه صحيح الاسناد .  
 (٥) رواه البخارى .  
 (٦) أى معتقدا لمعناها ، والا كان منافقا .  
 (٧) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، الا انه قال : « أن تحجزه عما حرم الله عليه » .

« وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب • ومن الليل فسبحه وأدبار السجود » (١) •

« وسبح بحمد ربك حين تقوم • ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم » (٢) •

« فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا » (٣) •

\* \* \*

وحسبك ترغيبا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه » (٤) •

« لأن أقول : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، أحب الى مما طلعت عليه الشمس » (٥) •

« أحب الكلام الى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، لا يضر بأيهن بدأت » (٦) •

« استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « التكبير ، والتلهيل ، والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله » (٧) •

واعلم : أن كل شيء في هذا الملكوت يسبح الله تبارك وتعالى ، وفي ذلك يقول سبحانه : « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » (٨) ويقول : « سبح لله ما في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (٩) •

ومن أجمل ما قرأت في هذا الموضوع :

أن سليمان عليه السلام عندما كان على بعد ثلاثة أميال من وادي النمل سمع النملة تقول لبني جنسها : « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون • فتبسم ضاحكا من قولها

(١) سورة ق : ٣٩ ، ٤٠ (٢) الطور : ٤٨ ، ٤٩

(٣) النصر : ٣

(٤) رواه الترمذى عن عبد الله بن عمرو •

(٥) رواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة •

(٦) رواه مسلم وابن ماجه عن سمرة بن جندب •

(٧) رواه احمد وابو يعلى والنسائى عن أبى سعيد الخدرى •

(٩) الحديد : ١

(٨) الاسراء : ٤٤



وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن  
أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين» (١) .

ثم أمر جنده بأن ينتظروا بعيدا عن وادى النمل الذى قيل انه  
بالطائف - أو بالشام - حتى يدخل النمل مساكنه .

وعندما ذهبت النملة يعد ذلك لكى تشكره عاتبها قائلا : لم حذرت  
النمل .. أخفت من ظلمى ؟ أما علمت أنى نبي عدل ؟ فلم قلت :  
« لا يحطمنكم سليمان وجنوده » ؟ فقالت : أما سمعت قولى :  
« وهم لا يشعرون » مع أنى لم أرد حطم النفوس وانما أردت حطم  
القلوب ، خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتنن بالدنيا ويشغلن بالنظر  
اليك عن التسبيح والذكر .

واعلم كذلك أن معناه : تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشريك  
فى الخلق ، وعن الشريك فى القدرة أو الارادة ، أو المنح ، أو المنع .

فكن من أجل كل هذا من أولى الألباب :

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى  
خلق السموات والأرض » (٢) ، ثم يقولون : « ربنا ما خلقت هذا  
باطلا سبحانه فقنا عذاب النار » (٣) .

\* \* \*

وتأمل كذلك هذا الأثر الذى يحكى : أن رجلا من الصالحين مر على  
رجل ضربه الفالج والدود يتناثر من جنبه ، وأعمى وأصم وهو يقول :  
« الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه . فتعجب الرجل  
ثم قال له : يا أخى .. ما الذى عافاك الله منه ، لقد رأيت جميع  
المصائب وقد تراحمت عليك ؟ فقال له : اليك عنى يا بطل ، فانه عافانى  
أذ أطلق لى لسانا يوحد ، وقلبا يعرفه ، وفى كل وقت يذكره .. ثم قال :  
حمدت الله ربي اذ هدانى الى الاسلام والدين الحنيف  
فيذكره لسانى كل وقت ويعرفه فؤادى باللطيف

\* \* \*

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يأمرنا فى كتابه العزيز بالصلاة والسلام  
على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بعد أن صلى عليه

(٢) آل عمران : ١٩١

(١) النمل : ١٨ ، ١٩

(٣) آل عمران : ١٩١

مع ملائكته ، فيقول : « ان الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » (١) (٢) .  
 واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرغبنا في الصلاة والسلام عليه فيقول :

« من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا » (٣) .  
 ويقول : « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » (٤) .  
 ويقول : « البخيل من ذكرت عنده ولم يصل على » (٥) .  
 فهذا معناه : أن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة باتفاق العلماء ، وان كانوا قد اختلفوا في تعيين الواجب :  
 فعند الامام مالك رضى الله عنه : تجب الصلاة والسلام في العمر مرة .  
 وعند الامام الشافعى رضى الله عنه : تجب في التشهد الأخير من كل فرض .

وعند غيرهما : تجب في كل مجلس مرة .

وقيل : تجب عند ذكره صلى الله عليه وسلم .

\* \* \*

وحتى تعرف أهميتها وتكثر من الذكر بها اليك هذين الحديثين الشريفين :

عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبيه ، عن جده رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله .. أجعل ثلث صلاتى عليك ؟ قال : « نعم ، ان شئت » قال : الثلثين ؟ قال : « نعم ، ان شئت » قال : فصلاتى كلها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذن يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك » (٦) .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربيع الليل قام فقال : « يا أيها الناس .. اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه » قال أبى بن كعب :

(١) الصلاة من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ، ومن المؤمنين دعاء .

(٢) الأحزاب : ٥٦ (٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن .

(٥) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

(٦) رواه الطبرانى ، والمراد الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

فقلت : يا رسول الله .. انى أكثر الصلاة ، فكم أجعل لك من صلاتى ؟  
قال : « ما شئت » قال : قلت : الربع ؟  
قال : « ما شئت ، وان زدت فهو خير لك » قال : فقلت :  
فالثالث ؟

قال : « ما شئت ، فان زدت فهو خير لك » قال : قلت : النصف ؟  
قال : « ما شئت ، وان زدت فهو خير لك » قال : قلت : أجعل صلاتى  
كلها ؟ قال : « اذن تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك » (١) .  
والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مطلوبة فى كل وقت ،  
غير أنه صلى الله عليه وسلم قد حث عليها فى يوم الجمعة بالذات  
لساقيه من البركة والنور .

فمن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهده  
الملائكة ، وان أحدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ  
منها » قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال : « ان الله حرم على الأرض  
أن تأكل أجساد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام » (٢) .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم : وفيه  
تقبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه  
فان صلاتكم معروضة على » قالوا : يا رسول الله .. وكيف تعرض صلاتنا  
عليك وقد أرمت ؟ - يعنى بليت - فقال :

« ان الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » (٣) .

\* \* \*

وأفضل صيغ الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه ما روى :

عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال :

أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة  
فقال له ابن بسير بن سعد : أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله  
فكيف نصلى عليك ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه وقال الترمذى : حديث

حسن صحيح .

(٢) رواه ابن ماجه باسناد جيد .

(٣) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم .

حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قل رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على  
 آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم  
 في العالمين انك حميد مجيد .. والسلام كما قد علمتم » (١) .  
 وعن رويغ بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه قال : قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم : « من قال : اللهم صل على محمد ، وأنزله  
 المقعد المقرب عندك يوم القيامة ، وجبت له شفاعتى » (٢) .  
 وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : اذا صليتم على رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فأحستوا الصلاة (٣) فانتم لا تدررون لعل ذلك  
 يعرض عليه .

قال : فقالوا له : فعلمنا ، قال : قولوا :

اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين ، وامام  
 المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك ، امام الخير ، وقائد  
 الخير ، ورسول الرحمة .

اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون .  
 اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم  
 وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد .  
 اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم  
 وعلى آل ابراهيم ، انك حميد مجيد » (٤) .

\* \* \*

وهناك صيغ كثيرة من المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
 الذين عرفوا قدره ، قد لا تحصى ولا تعد ، وكلها تؤكد الصلة الوثيقة  
 بينهم وبين هذا الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، الذى  
 أرسله الله رحمة للعالمين والذى لولاه لما كان هناك نور ، ولظل العالم  
 أجمع الى يومنا هذا فى ضلال مبين .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البزار والطبرانى فى الكبير والوسط ، وبعضهم اسانيدهم  
 حسنة ، وكذلك رواه الامام أحمد .

(٣) أى اتقنوها وجودها واذكروها فيها بما هو امله .

(٤) رواه ابن ماجه موقوفاً باستناد حسن .

وحول هذا المعنى الكبير يقول امامنا السبكي عليه رحمة الله  
(في مقاماته العلية):

يقول طه لعموم الانس وغيرهم غراسكم من غرسى  
(وهو الذى أنشأكم من نفس) لولا وجودى وطلوع شمسى  
لم تبدلوا من طيكم بالنشر  
يقول طه لجميع الخلق لولا وجودى وظهور برقى  
(ما أنزل الله لكم من رزق) ولم يكن أمدكم بودق<sup>(١)</sup>  
لكن لعين ألف عين تجرى

كما يقول عليه رحمة الله معبرا عن حبه لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم، ومرغبا في الصلاة والسلام عليه صلوات الله وسلامه عليه:

طه الذى عم الأنام بخضه هو صفوة البارى وخاتم رسله  
ان تبتغوا أجرا يكون جزىلا ان تبتغوا اليه وقربا  
الله أدناه اليه وقربا وله يقول: أبشر فأنت المجتبى  
أنت الذى تستوجب التفضيلا أنت الذى نبوته الوجود وأظهرا  
ملاّت نبوته الوجود وأظهرا واستبشرت فرحا بيعته الورى  
نص الكتاب مفصلا تفصيلا والسحب لا تحكى عطاياه فما  
أنعم بمن أسنى الكمال له انتمى من لم يصل عليه كان بخيلا

ساد النبيين الأولى من قبله يا أيها المستمسكون بجبله  
صلوا عليه بكرة وأصيلا فعلا مقاما لم ينله أولو النبا  
أهلا وسهلا بالحبيب ومرحبا صلوا عليه بكرة وأصيلا  
بحسامه الدين الصحيح فأسفرا ومحا الضلال كما بذلك خبرا  
صلوا عليه بكرة وأصيلا أنذاه بحرا بالسقاء وأكرما  
مولاه قد صلى عليه وسلما صلوا عليه بكرة وأصيلا

\* \* \*

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام واذكر الله بكرة وأصيلا . و:  
ان شئت من بعد الضلالة تهتدى صل على الهادى البشير محمد  
يا فوز من صلى عليه فانه يحوى الأمانى بالنعيم السرمدى  
وقد قيل: ان للمصلين على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم  
عشركرامات:

(١) الودق: أى المطر .

احداهن : صلاة الغفار ، الثانية : شفاعة النبي المختار ، الثالثة :  
الاعتداء بالملائكة الأبرار ، الرابعة : مخالفة المنافقين والكفار ، الخامسة :  
محو الخطايا والأوزار ، السادسة : قضاء الحوائج والأوطار ،  
السابعة : تنوير الظواهر والأسرار ، الثامنة : النجاة من النار ، التاسعة :  
دخول دار القرار ، العاشرة : سلام الملك لغفار .

يا قومنا صلوا عليه فتظفروا بالبشر والعيش الهني الأرغد  
ويخصم رب الأتنام بفضلته بأفاضل الجنات يوم الموعد  
صلى عليه الله جل جلاله ما لاح في الآفاق نجم الفرقد

\* \* \*

وتذكر :

أن في الجنة ملائكة يغرسون الأشجار للذاكرين فإذا ترك الذكر  
الذكر توقف الملك عن الغرس وقال : ترك صاحبي الذكر .  
وأن بيوت الذاكرين لها نور يراه الملائكة بقدر ما فيها من الذكر  
كما نرى نحن النجوم في السماء .

وأن من ذكر الله على الحقيقة نسي في جنب ذكراه كل شيء ،  
وحفظ الله عليه كل شيء ، وكان له عوضا من كل شيء (١) .

وأن ذكر اللسان حسنات ، وذكر القلب قربات ودرجات .

وابحث عن قلبك في ثلاث مواطن : عند سماع القرآن ، وفي  
مجالس الذكر ، وفي أوقات الخلوة .

فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فانه  
لا قلب لك (٢) .

واعلم أن :

دواء قلبك خمس عند قسوته فدم عليها تفز بالخير والظفر  
اخلاء بطن ، وقرآن تدبره كذا تضرع باك ساعة السحر  
كذا قيامك جنح الليل أوسطه وأن تجالس أهل الخير والخير

\* \* \*

وأما عن الصدقة التي يوصينا المصطفى صلى الله عليه وسلم  
بالاكثار منها فهي باب من أبواب الخير بنص الحديث الشريف

(١) اثر لذي النون المصري .

(٢) من كلام الامام على بن ابي طالب رضی الله عنه .

الذى يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه :  
« ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفى الخطيئة  
كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين » .

وإذا كانت الصدقة تطفىء الخطيئة كما ورد في الحديث فهي  
أيضا تطفىء غضب الرب سبحانه وتعالى كما ورد في حديث آخر  
قال فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم :

« ان الصدقة تطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء » (١) .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغب في الصدقة ويحث  
عليها فيقول :

عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « ان العبد ليتصدق بالكسرة (٢) تربو عند الله عز وجل  
حتى تكون مثل أحد » (٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : « ان الله لييربى لأحدكم البثرة كما يربى أحدكم فلوه (٤)  
أو فصيله (٥) حتى تكون مثل أحد » (٦) .

وعن عائشة رضى الله عنها أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبي صلى الله  
عليه وسلم : « ما بقى منها » ؟ قالت : ما بقى منها الا كتفها . قال :  
« بقى كلها غير كتفها » (٧) .

وعنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« يا عائشة .. استترى من النار ، ولو بشق تمره (٨) ، فانها تسد  
من الجائع مسدها من الشبعان » (٩) .

وعن ميمونة بنت سعد أنها قالت : يا رسول الله .. أفتنا

(١) رواه الترمذى في جامعه من حديث انس بن مالك .

(٢) أى القطعة من الخبز . (٣) رواه الطبرانى في الكبير .

(٤) هو المهر أول ما يولد .

(٥) أى ولد الناقة الى أن يفصل عن أمه .

(٦) رواه الطبرانى وابن حبان في صحيحه واللفظ له .

(٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٨) أى نصفها .

(٩) أى تدفع عنه بعض ما يجد من مس الجوع . رواه أحمد بإسناد حسن .

عن الصدقة<sup>(١)</sup> فقال : « انها حجاب من النار لمن احتسبها<sup>(٢)</sup> بيتغى بها وجه الله عز وجل »<sup>(٣)</sup> .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبق درهم مائة درهم » فقال رجل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : رجل له مال كثير أخذ من عرضه<sup>(٤)</sup> مائة درهم تصدق بها ، ورجل ليس له الا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به »<sup>(٥)</sup> .

ولا شك أنه تصدق به وهو أحوج ما يكون اليه فكان أدل على اخلاص صاحبه وشدة رغبته في الصدقة وفي هذا يقول تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »<sup>(٦)</sup> .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرغب في الصدقة بهذه الصورة التي وقفت عليها فقد بين في أحاديث أخرى أفضل الصدقات التي تكون للمتصدق أكثر ثوابا ، وأعظم أجرا ، ومن هذه الأحاديث ما روى :

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله .. أى الصدقة أفضل ؟ قال : « جهد المقل<sup>(٧)</sup> وابدأ بمن تعول »<sup>(٨)</sup> .

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. من أبر ؟ قال : « أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم الأقرب فالأقرب »<sup>(٩)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسأل رجل مولاة من فضل<sup>(١٠)</sup> هو عنده فيمنعه آياه ، الا دعى له يوم القيامة فضله الذى منعه شجاعا أقرع »<sup>(١١)</sup> .

(١) أى حدثنا عن اجر الصدقة ونضيلتها .

(٢) أى ادخرها عند الله . (٣) رواه الطبرانى .

(٤) أى من جانبته .

(٥) رواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، والحاكم

(٦) الحشر : ٩ (٧) أى القليل المسال .

(٨) رواه أبو داوود وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح

على شرط مسلم .

(٩) كالأخت والأخ ، ثم العممة والعم ، ثم الخال والخالة .. وهكذا .

(١٠) المراد ما زاد عن حاجته .

(١١) رواه أبو داوود واللفظ له والنسائى والترمذى وقال : حديث حسن



وعن سلمان بن عامر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم <sup>(١)</sup> ثنتان :  
صدقة ، وصلة » <sup>(٢)</sup> .

فاذكر كل هذا مع ملاحظة :

قول الله تبارك وتعالى : « ان تبدوا الصدقات فنعمنا هي ، وان  
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » <sup>(٣)</sup> .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن أبى أمامة رضى الله عنه  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنائع المعروف تقى  
مصارع السوء ، وصدقة السر تطفى غضب الرب ، وصلة الرحم  
تريد في العمر » <sup>(٤)</sup> .

فهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ... وكثرة  
الصدقة في السر والعلانية » .

وذلك حتى يكون هناك الاخلاص الذى أشار اليه الرسول  
صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح قال فيه : « ... ورجل تصدق  
بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » <sup>(٥)</sup> .

والا رفض الله تعالى صدقتك كما جاء في قوله تعالى :  
« لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس » <sup>(٦)</sup> .

ثم اليك هذه الآثار التى أرجو أن تنتفع بها :

كان رجل من قوم صالح قد آذاهم ، فقالوا : يا نبي الله ..  
ادع الله عليه ، فقال : أذهبوا فقد كفيتموه . وكان يخرج  
كل يوم يحتطب . قال : فخرج يوماً معه رغيفان ، فأكل  
أحدهما وتصدق بالآخر . قال : فاحتطب ثم جاء بحطبه سالماً  
فلم يصبه شيء ، قال : فدعاه صالح ، وقال : أى شيء صنعت اليوم ؟  
قال : خرجت ومعى قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر . فقال  
صالح عليه السلام : حل حطبك ، فحله فاذا فيه ثعبان أسود مثل الجذع

(١) أى نوى القربى المحتاجين .

(٢) رواه النسائى والترمذى وحسنه وابن خزيمة وابن حبان فى

(٣) البقرة : ٢٧١

صحيحهما ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير باسناد حسن .

(٦) البقرة : ٢٦٤

(٥) من حديث رواه البخارى ومسلم .

عاض على جذع من الحطب ، فقال : بهذا دفع عنك • يعنى بالصدقة •  
وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن نفرا مروا على عيسى عليه السلام  
فقال : يموت أحد هؤلاء اليوم ان شاء الله تعالى ، فمضوا ثم  
رجعوا عليه سالمين بالعشى ومعهم حزم حطب • فقال : ضعوا ،  
وقال للذى قال انه يموت اليوم : حل حطبك ، فخله فاذا فيه حية  
سوداء ، فقال : ما عملت اليوم ؟ قال : ما عملت شيئا ، الا أنه كان معى  
فى يدى فلقمة من خبز فمر بى مسكين فسألنى فأعطيته بعضها ، فقال  
له سيدنا عيسى عليه السلام : بها دفع عنك •

وعنه أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :  
« كان فيمن كان قبلكم رجل أتى وكر طائر كلما أفرخ يأخذ فرخيه ،  
فشكا ذلك الطائر الى الله تعالى ما يفعل به ، فأوحى الله تعالى اليه : ان عاد  
فسأهلكه • فلما أفرخ الطائر خرج ذلك الرجل الى وكره على العادة  
ليأخذ أولاده ، فلما كان فى طرف القرية لقيه سائل فأعطاه رغيفا كان  
معه يتغذاه ، ثم مضى حتى أتى الوكر ثم وضع سلمه فأخذ الفرخين  
وأبواهما ينظران اليه ، فقالا : ربنا •• انك لا تخلف الميعاد ، وقد وعدتنا  
أنك تهلك هذا اذا عاد ، فقد أخذ فرخيننا ولم تهلكه • فأوحى الله اليهما :  
ألم تعلمنا أنى لا أهلك أحدا تصدق فى يومه بميته سوء » •

وفى الحديث ما يؤكد هذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« باكروا بالصدقة ، فان البلاء لا يتخطى الصدقة » (١) • وباكروا :  
أى عجلوا ، وبادروا بالصدقة لأنها تدفع البلاء وتمنعه من نزوله •

وعن وهب بن منبه قال : بينما امرأة من بنى اسرائيل على ساحل  
البحر تغسل ثيابا وصبى لها يدب بين يديها اذ جاءها سائل فأعطته  
لقمة من رغيف كان معها فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم  
الصبى ، فجعلت تعدو خلفه وهى تقول : يا ذئب •• ابنى • فبعث  
الله ملكا انتزع الصبى من فم الذئب ورمى به اليها وقال : لقمة  
بلقمة •

وقيل ان قصارا (٢) كان فى زمن سيدنا عيسى عليه السلام يهرش

(١) رواه البيهقى مرفوعا وموقوفا على انس •

(٢) القصار : هو الحطاب •

على الناس أقمشتهم ، فسألوا عيسى عليه السلام أن يدعو عليه ، فدعا عليه بالهلاك فبينما هم عند غروب الشمس ، وإذا القصار قد دخل ورزيمته على رأسه ، فعجبوا من ذلك وأتوا عيسى عليه السلام ، فطلبه فحضر برزيمته فقال : افتح رزيمتك ، ففتحتها ، فإذا فيها ثعبان عظيم مطوق قد ألجم بلجام من حديد ، فقال له سيدنا عيسى : ما صنعت اليوم من الخير ؟ قال : ما صنعت شيئا إلا أن رجلا نزل من صومعته فمشكا الى جوعا فدفعت له رغيفا كان معي • فقال له عيسى عليه السلام : ان الله بعث اليك هذا العدو ، فلما تصدقت أمر الله ملكا فألجمه بهذا اللجام •

\* \* \*

فتذكر كل هذا وكن من المتصدقين الشاكرين لله تعالى على ما أعطاهم بالمعنى الصحيح حتى تكون من الذين قال الله سبحانه وتعالى في حقهم : « ان المتقين في جنات وعيون • آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين • كانوا قايلا من الليل ما يهجعون • وبالأسحار هم يستفخرون • وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » (١) •

وحتى لا تكون من : « الذين يكتزون الذهب والفضة ولا نقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم • يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون » (٢) •

واياك اياك أن تكون من هؤلاء الذين تحدث الله عنهم في قوله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن • ولكن من الصالحين • فلما آتاهم من فضله بذلوا به وتولوا وهم معرضون • فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » (٣) •

واياك كذلك أن تكون بعيدا عن ميادين الخير حتى اذا جاءك ملك الموت قلت كما قال القائل الغافل الذي حدثنا الله سبحانه وتعالى عنه في كتابه العزيز : « رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق ، وأكن من الصالحين » (٤) •

(١) الذاريات : ١٥ - ١٩

(٢) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ بلفظ «... والذين» •

(٤) المنافقون : ١٠

(٣) التوبة : ٧٥ - ٧٧

واعلم .. أنه من آثار الصدقة : الاستغلال بها يوم القيامة واكرام الله للمتصدق وتأمينه يوم الفزع الأكبر ، فقد ورد عن يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير مرثد بن عبد الله جدته عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس - أو يحكم بين الناس - » قال أبو زيد : وكان أبو الخير لا يخطئه يوم الا تصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة أو كذا (١) .

وأنه : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلبغا » (٢) .

وأن : « كل سلامى (٣) من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس » قال : « تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها - أو ترفع له عليها متاعه - صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة ، وتميط (٤) الأذى عن الطريق صدقة » (٥) .

وأن : « كل تسبيحة صدقة ، وتهليلة صدقة ، وتكبيرة صدقة ، وتحميدة صدقة ، وأمر بمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، ويجزىء أحدكم من ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى » (٦) .

وأن : « كل معروف صدقة ، ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك في انائه » (٧) .

وأن : « على كل مسلم صدقة » قيل : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » قيل : أرأيت ان لم يستطع أن يفعل ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قيل : أرأيت ان لم يستطع ؟

(١) أخرجه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . (٢) أخرجه مسلم .

(٣) أى مفصل ، وفى الانسان ٣٦٠ مفصل .

(٤) تميط الأذى ، أى تنحيه عن الطريق كالشوك والحجر .

(٥) أخرجه أحمد والشيخان ، وهذا لفظ مسلم .

(٦) من حديث أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي والبيهقى .

(٧) أخرجه أحمد والحاكم والترمذى وقال : حسن صحيح ، وأخرج

مسلم صدره عن حذيفة ، والحديث رواه جابر .

قال : « يأمر بالمعروف أو الخير » قيل : رأيت ان لم يفعل • قال :  
« يمسك عن الشرفان له صدقة » (١) •

و : « اذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها  
بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص  
بعضهم أجر بعض شيئاً » (٢) •

قال الامام السبكي رحمه الله في كتابه « الدين الخالص » (٣) :  
( والحديث ) محمول على ما اذا علمت المرأة والخادم رضا وب  
المال بالتصدق منه • أما ان علم عدم رضاه أو شك فيه فلا يجوز  
لغيره التصدق من ماله الا باذن صريح ، وفرق بعض العلماء بين الزوجة  
والخادم بأن الزوجة : لها النظر في مال الزوج والتصرف في بيته ،  
فلها أن تتصدق بالمعتاد بلا اسراف •

وأما الخادم : فليس له التصدق من مال سيده الا باذن صريح •  
وقال أبو أمامة الباهلي : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول في خطبة عام حجة الوداع : « لا تنفق المرأة شيئاً من بيت زوجها  
الا باذن زوجها » قيل : يا رسول الله •• ولا الطعام ؟ قال : « ذاك  
من أفضل أموالنا » (٤) •

وأن : الصالح التقى الواقف عند الحدود القائم بحق العباد  
والمعبود الذي ترجى بركته وتستجاب دعوته ، أولى بالصدقة من غيره ،  
وفي الحديث الشريف : « لا تصاحب الا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك  
الا تقى » (٥) •

وإذا أردت أن لا يقطع عملك الصالح بعد موتك فإليك هذه الأحاديث  
الشريفة :

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة : صدقة جارية ، أو علم  
يبتغى به ، أو ولد صالح يدعو له » (٦) •

(١) أخرجه أحمد والشيخان والنسائي .

(٢) أخرجه الستة وابن حبان .

(٣) الجزء الثامن ص ٢٤٦ (٤) أخرجه الترمذى وحسنه .

(٥) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان والحاكم وقان :

صحيح ، وأقره الذهبي .

(٦) أخرجه أحمد ومسلم والثلاثة .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أربع تجرى عليهم أجورهم بعد الموت : رجل مات مرابطا فى سبيل الله ، ورجل علم فأجره يجرى عليه ما عمل به ، ورجل أجرى صدقة فأجرها يجرى عليه ما جرت عليه ، ورجل ترك ولدا صالحا يدعوله » (١) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يا رب .. أنى لى هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك » (٢) .

\* \* \*

ولله در الحافظ السيوطى عليه رحمة الله ، فلقده قال فى هذا نظما :  
 اذا مات ابن آدم ليس يجرى عليه من خصال غير عشر  
 علوم بثها ودعاء نجلٍ وغرس النخل والصدقات تجرى  
 وراثه مصحف ورباط ثغر وحفر البئر أو اجراء نهر  
 وبيت للغريب بناه يأوى اليه أو بناء محل ذكر  
 وتعليم لقرآن كريم فخذها من أحاديث بحصر

\* \* \*

فشمريأ أخى عن ساعدك ، و :  
 بادر الى التوبة فى وقتها فالراء مرهون بما قد جناه  
 وانتهاز الفرصة ان أمكنت ما فاز بالكرم (٣) سوى من جناه  
 و :

تب الى الله قبل أن تموت  
 وبادر بالأعمال الصالحة قبل أن تشغل ،  
 وصل الذى بينك وبين ربك :  
 بكثرة ذكرك له ، وكثرة الصدقة ،  
 فى السر والعلانية  
 حتى ترزق ، وتنصر ، وتجبر ...

\* \* \*

(١) أخرجه أحمد والطبرانى ، وفيه ابن لهيعة ورجل لم يسم ،  
 لكن حسنه السيوطى لثبوته بالحديث السابق .  
 (٢) أخرجه أحمد بسند رجاله رجال الصحيح .  
 (٣) أى العنب .

# الوصية الثانية والعشرون

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبي  
صلى الله عليه وسلم : أوصنى • قال :

• « لا تغضب »

فردد مرارا • قال :

• « لا تغضب »

(رواه البخارى)

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية الجامعة لخصال الخير ، والتي تؤكد بعد نظر  
أستاذ الأساتذة ، ونابغة العصور ، وحسبه فخرا أن الله سبحانه وتعالى  
قد أدبه فأحسن تأديبه ، حتى كان أهلا لأن يتوجه الله سبحانه وتعالى  
بقوله : « **وانك لعلى خلق عظيم** » (١) فكان قدوة صالحة وأسوة  
حسنة لمن أراد الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ، وكان سيدا للأولين  
والآخرين .

فهو هنا فى هذه الوصية التى بين يديك يقول للرجل الذى سأله  
أن يوصيه : « لا تغضب » وعندما يكرر الرجل المطلب يقول له أيضا :  
« لا تغضب » • وذلك لأن الغضب : هو ثوران دم القلب ، واردة  
الانتقام ، وفى الحديث : « اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد فى قلب  
ابن آدم ، ألم تروا الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه » •

وعن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : قال رجل : يا رسول الله • • أوصنى • قال :  
« لا تغضب » قال : ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم  
ما قال ، فاذا الغضب يجمع الشركه (٢) •

(١) القلم : ٤

(٢) رواه أحمد ورواه محتج بهم فى الصحيح .

وهذا المعنى الأخير هو ما أريد أن يفهمه كل مسلم يريد أن يقوم أخلاقه ، ويتنصر على شيطانه لأن الانسان اذا غضب لا يبالي بما يرتكب من الحماقات والمخالفات والمنكرات .

ولهذا كان البطل الحقيقي كما عرفه الرسول صلى الله عليه وسلم هو : من يملك نفسه عند الغضب ، فقد روى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة<sup>(١)</sup> انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »<sup>(٢)</sup> .

وفى رواية أخرى : « ليس الشديد من غلب الناس ، وانما الشديد من غلب نفسه »<sup>(٣)</sup> ، وغلب نفسه : أى قهرها وكسر شهوتها للانتقام وتنفيذ الغضب .

ولهذا أيضا كان النبى صلى الله عليه وسلم يشجع الانتصار على النفس والتغلب عليها :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه آواه الله فى كنفه<sup>(٤)</sup> ، وستر عليه برحمته ، وأدخله فى محبته<sup>(٥)</sup> : من اذا أعطى شكر ، واذا قدر غفر<sup>(٦)</sup> ، واذا غضب فتر »<sup>(٧)</sup> .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دفع غضبه<sup>(٨)</sup> دفع الله عنه عذابه ، ومن حفظ لسانه ستر الله عورته »<sup>(٩)</sup> .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله

(١) أى ليس القوى الذى يغلب الناس ويصرعهم بقوته .

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٣) رواها ابن حبان فى صحيحه مختصرة .

(٤) أى ضمه الى حضرته وحماه بحمايته وأحاطه برعايته ، والكنف :

أى الجانب . (٥) وفى رواية : « وأدخله جنته » .

(٦) أى اذا قدر على الانتقام ممن آذاه صفح عنه وغفر له أساعته .

(٧) أى انكسرت حدته . رواه الحاكم من رواية عمر بن راشد وقال :

صحيح الاسناد .

(٨) أى كنهه وقاومه .

(٩) أى عيوبه ونقائصه . رواه الطبرانى فى الأوسط .



عليه وسلم : « ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله » (١) .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق (٢) حتى يخيره من الحور العين ما شاء » (٣) .

بل لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالا أعلى لأصحابه ولأمته انى قيام الساعة فى الحلم ، والرفق ، والأناة ، فقد روى :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا أخذ أيسرهما (٤) ، ما لم يكن اثما (٥) . فان كان ثم (٦) اثم كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شيء قط ، الا أن تنتهك حرمة الله (٧) ، فينتقم لله تعالى (٨) .

يقول أنس رضى الله عنه : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد عليه برد (٩) نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى . فجذبه بردائه جذبة شديدة ، فنظرت الى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : يا محمد .. مزلى من مال الله الذى عندك (١٠) .

فالتفت اليه ، فضحك ثم أمر له بعطاء (١١) .

(١) رواه ابن ماجه ورواته محتج بهم فى الصحيح .

(٢) يعنى على مشهد من اهل الموقف كلهم .

(٣) أى يختار منهن ما أحب . رواه أبو داود والترمذى وحسنه ابن ماجه .

(٤) أى أسهلها وأخفها كلنا . (٥) يعنى معصية .

(٦) بمعنى هناك .

(٧) وفى رواية : « حرمت الله » بالجمع .

(٨) وفى رواية : « فينتقم بها الله » رواه البخارى ومسلم .

(٩) نوع من الثياب معروف .

(١٠) وفى بعض الروايات : « فانك لا تأمر لى من مالك ولا من مال أبيك »

(١١) وفى بعض الروايات أنه قال له : « ويقاد منك يا أعرابى ؟ فقال :

لا . فقال : لم ؟ فقال : لأنك لا تجزى بالسينة السيئة ، ولكن تعفو وتصفح » . رواه البخارى ومسلم .

ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : « كَأْنَى أَنْظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرِبَهُ قَوْمُهُ ، فَأَدْمَوْهُ (١) وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَّ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » (٢) .

وذا ت يوم بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، ومعه أصحابه وقع رجل بأبى بكر رضى الله عنه فأذاه (٣) ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثانية ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثالثة فانتنصر لأبو بكر (٤) فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أوجدت على يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك (٥) ، فلما انتصرت ذهب الملك ، وقعد الشيطان (٦) ، فلم أكن لأجلس اذن مع الشيطان » (٧) .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرف الداء كما رأينا ، فقد تبين كذلك أنه قد عرف دواءه ، كما ثبت فى بعض الأحاديث الشريفة التى منها ما روى :

عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب ، والا فليضطجع » (٨) .

وعن سليمان بن سرد رضى الله عنه قال : استب رجلان (٩) عند النبى صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما يغضب ، ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه ، فنظر إليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذاك (١٠) : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فقام الى الرجل رجل ممن سمع النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هل تدري

(١) أى أسالوا دمه . (٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) أى سبه . (٤) يعنى رد عليه .

(٥) يعنى كلما قال لك شيئا قال له الملك : كذبت .

(٦) وفى رواية : « وحضر الشيطان » .

(٧) رواه أبو داود هكذا مرسلا ومتصلا من طريق محمد بن غيلان ،

ونذكر البخارى فى تاريخه أن المرسل أصح .

(٨) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه .

(٩) يعنى تشاتما وتهاجيا . (١٠) يعنى هذا الذى اعتراه .

ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفا ؟ قال : لا . قال : قال : « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذاك : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقال له الرجل : أمجنونا ترانى (١) ؟

وعن أبى وائل القاص قال : دخلنا على عروة بن محمد السعدة فكلمه رجل فأغضبه ، فقام فتوضأ ، فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الغضب من الشيطان (٢) ، وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ » (٣) .

وفى حديث طويل رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فى آخره : « ... ألا وان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ، أما رأيتم الى حمرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه (٤) ، فمن أحس بشيء من ذلك فليصق بالأرض » (٥) .  
فلاحظ كل هذا أخا الاسلام :

ونفذ أمره تعالى فى قوله : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (٦) .  
عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن » قال : الصبر عند الغضب ، والعفو عند الاساءة ، فاذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم » (٧) .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية : « أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الاساءة ، فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم » (٨) .

ومعنى ادفع : أى ادفع السيئة وقابلها بالتي هي أحسن من الصفح والعفو .

\* \* \*

- (١) رواه البخارى ومسلم .  
(٢) أى ان باعته ومهيجه هو الشيطان . (٣) رواه أبو داوود .  
(٤) هى ما يحيط بالعنق من العروق التى يقطعها الذابح .  
(٥) أى فليقتعد اذا كان قائما فان ذهب غضبه والا فليضطجع .  
(٦) فصلت : ٣٤ .  
(٧) ذكره البخارى تعليقا .  
(٨) ذكره ابن كثير .

ومن أجمل الآثار التي قرأتها في هذا الموضوع الحيوى :

يحكى أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة المنورة فرأى شابا حسن الهيئة ، جميل المنظر نظيف الملابس ، راكبا دابة قوية نشيطة ، فسأل ، فقليل له : هذا الحسن بن على بن أبى طالب ، فامتأ قلبه حسدا له ، وحقدا عليه ، وتقدم اليه وقال له : أنت ابن أبى طالب ؟ فقال الحسن : أنا ابن ابنه . فقال الرجل : لقد قلت فيك وفى أبيك كلاما قبيحا أستمكما به ، وذكر له ذلك الكلام . فقال الحسن : أظنك غريبا ، فقال الرجل : نعم . فقال الحسن : اذا احتجت الى منزل أسكنتك ، أو الى مال أعطيتك ، أو الى حاجة ساعدتك . فعجب الرجل من حلم الحسن رضى الله عنه ، وانصرف وهو يقول : ليس على وجه الأرض شيء أحب الى من هذا الشاب ، أسأت اليه فأحسن الى .

وستم رجل أبا ذر رضى الله عنه ، فقال له : يا هذا .. لا تستغرق فى شتمنا ، ودع للصلح موضعا ، فانا لا نكافىء من عصى الله فينا ، بأكثر من أن نطيع الله فيه .

وقال معاوية رضى الله عنه : لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم .

وله رضى الله عنه فى الحلم أخبار مشهورة ، منها :

أنه كتب الى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه يعتذر اليه من شيء جرى بينهما يقول : من معاوية بن أبى سفيان الى عقيل بن أبى طالب ، أما بعد .. يا بنى عبد المطلب فأنتم والله فروع قصى ولباب مناف ، وصفوة هاشم ، فأين أخلاقكم الراسية ، وعقولكم الكاسية ، ولقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ، ولن يعود لئله الى أن يغيب فى الثرى .

فكتب اليه عقيل :

صدققت وقلت حقا غير أنى أرى أن لا أراك ولا ترانى  
فركب اليه معاوية رضى الله عنه وناشده فى الصبح عنه واستعطفه

حتى رجع .

وأنه كان له أرض وعبيد بجوار أرض عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، فدخل فيها عبيده ، فكتب اليه يقول : أما بعد .. يا معاوية ان عبيدك دخلوا أرضى فأنهم عن ذلك ، والا كان لى ولك شأن ، والسلام . فلما وقف على الكتاب دفعه لولده يزيد ، وقال له : ما ترى ؟ قال :

أرى أن نبعث إليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه •  
 فقال له : غير هذا خير ، ثم كتب كتابا يقول فيه : أما بعد •• فقد  
 وقفت على كتاب ولد حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسألتنى  
 ما ساءه ، والدنيا بأسرها هينة عندى فى جنب رضاه ، وقد نزلت عن  
 أرضى لك ، فأضفها الى أرضك بما فيها من العبيد والأموال •• والسلام •  
 فلما وقف ابن الزبير عليه كتب إليه : قد وقفت على كتاب  
 أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش  
 هذا المحل •• والسلام •

فلما وقف معاوية عليه رمى به الى ابنه ، فلما رآه تهلك وجهه  
 وأسفر ، فقال له : يا بنى •• من عفا ساد ، ومن حلم عظم ، ومن تجاوز  
 استمال عليه القلوب فاذا ابتليت بشيء من هذه الأمور فداوه بمثل  
 هذا الدواء •

وأنه قسم قطفا فأعطى شيئا من أهل الشام قطيفة فلم تعجبه ،  
 تخلف أن يضرب بها رأس معاوية فأتاه فأخبره • فقال له معاوية :

أوف بنذرك ، وليرفق الشيخ بالشيخ •  
 وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كلاما ، فقال عمر :  
 أردت أن يستقرنى الشيطان لعزة السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله  
 منى غدا ، فانصرف رحمتك الله •

وقال خالد بن صفوان : شهدت عمرو بن عبيد ، ورجل يشتمه ،  
 فما ترك عيبا الا ذكره ، فلما فرغ ، قال له عمرو : آجرك الله على ما ذكرت  
 من صواب ، وغفر لك ما ذكرت من خطأ • قال خالد : فما حسدت أحدا  
 حسدى لعمرو على هاتين الكلمتين •

وحكى أن رجلا قال لضرار بن القعقاع : والله لو قلت واحدة لسمعت  
 عشرا ، فقال له ضرار : والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة •  
 وشتم رجل الشعبي الفقيه فقال له : ان كنت صادقا يغفر الله لى ،  
 وان كنت كاذبا ، يغفر الله لك •

وحكى أن بعض ملوك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزير له ،  
 وقال له : اذا غضبت فناولنيه ، وكان فيه : مالك والغضب ، انما أنت  
 بشر ، ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء •  
 وكان بعض ملوك الطائف اذا غضب ألقي عنده مفاتيح مقابر  
 الملوك ، فيزول غضبه •

هذا ولا يفوتني بعد أن وقفت على كل هذه الحقائق الحيوية وانماذج الموضوعية أن أشير الى حقيقة هامة ، وهي :

ان الانتصار الحقيقي على الحساد والمنافسين لا يتحقق الا بالعمل الجاد في ميادين العلم والعمل اللذين هما أساس كل فلاح ونجاح :

فالعلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والكرم

لهذا : كان سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول :

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل وان كبير القوم لا علم عنده صغير اذا التفت عليه المحافل

\* \* \*

وحسبى بعد هذه اللفتة الهامة أن أقرأ معك قول القائل الذى عرف وانتفع :

عدايتى لهم فضل على ومنة فلا أبعد الله عنى الأعاديا هموا خبروا عن مذلتى فاجتنبيتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

\* \* \*

بل وحسبى حتى تعرف حقيقة الانتصار العلمى ، وتذوق حلاوته وتحرص على أن تكون من أهله :

أن أسوق اليك هذا الخبر الذى يحكى : أن بعض فطاحل العلماء فى العراق كانوا يحقدون على الامام الشافعى رضى الله عنه ويكيدون له : لأنه كان متفوقا عليهم فى العلم والحكمة ، وكان متربعا على قلوب أكثر طلاب العلم والمعرفة الذين أصبحوا لا يحرصون الا على مجلسه ، ولا يفتنونه الا برأيه وعلمه .

ولهذا اتفق هؤلاء العلماء الحاقدين على الامام الشافعى ، فيما بينهم على تحضير بعض الأسئلة المعقدة ، وفى أسلوب الألغاز ، حتى يختبروا بها ذكاء الشافعى ومقدار تضلعه وادراكه أمام الخليفة الرشيد الذى كان يجب الشافعى ويثنى عليه كثيرا .

وبعد أن وضعوا الأسئلة أخبروا الخليفة الذى حضر المناظرة ، واستمع الى الأسئلة التى أجاب عليها الامام الشافعى رضى الله عنه بكل ذكاء وفصاحة والتى كانت على النحو الآتى :

س ١ : ما قولك فى رجل ذبح شاة فى منزله ، ثم خرج لحاجة وعاد ، فقال لأهله ، كلوا أنتم الشاة فقد حرمت على . فقال أهله : ونحن حرمت علينا كذلك .

ج ١ : ان هذا الرجل كان مشركا فذبح الشاة على اسم الأنتصاب ،  
 وخرج من منزله لبعض المهمات ، فهداه الله تعالى الى الاسلام وأسلم  
 فحرمت عليه الشاة ، وعندما علم أهله باسلامه أسلموا هم أيضا فحرمت  
 عليهم الشاة كذلك .

س ٢ : ما قولك في رجل هرب له غلام<sup>(١)</sup> فقال : هو حر ان  
 أكلت طعاما حتى أجده ، فكيف المخرج له عما قال ؟

ج ٢ : يهب الغلام لبعض أولاده ، ثم يأكل ، ثم بعد ذلك يسترد  
 ما وهب .

س ٣ : شرب مسلمان عاقلان حران الخمر يحد أحدهما ولا يحد  
 الآخر ؟

ج ٣ : ان أحدهما كان بالغا ، والآخر كان صبيا .

س ٤ : لقي امرأتان غلامين ، فقالتا : مرحبا بابنينا ، وزوجينا ،  
 وابنى زوجينا ؟

ج ٤ : ان الغلامين كانا ابني المرأتين فتزوجت كل واحدة منهما  
 بابن صاحبتهما : فكان الغلامين ابنيهما ، وزوجيهما ، وابنى زوجيهما .

س ٥ : أخذ رجل قدح ماء ليشرب ، فشرب نصح حلالا ، وحرما ،  
 عليه بقية ما في القدح ؟

ج ٥ : ان الرجل شرب نصف القدح ورعف في الماء الباقي في  
 القدح ، فاختلط الدم بالماء فصار محرما عليه .

س ٦ : زنا خمسة نفر بامرأة ، فوجب على أولهم القتل ، وثانيهم  
 الرجم ، وثالثهم الحد ، ورابعهم نصف الحد ، وخامسهم لا شيء عليه ؟

ج ٦ : استحل الأول الزنا فصار مرتدا فوجب عليه القتل ،  
 والثاني كان محصنا<sup>(٢)</sup> ، والثالث كان غير محصن ، والرابع كان عبدا ،  
 والخامس كان مجنوننا .

س ٧ : رجل صلى ولما سلم عن يمينه طلقت زوجته ، ولما سلم  
 عن يساره بطلت صلاته ، ولما نظر الى السماء وجب عليه دفع  
 ألف درهم ؟

(٢) أي متزوجا .

(١) أي عبد مملوك .

ج ٧ : لما سلم الرجل عن يمينه رأى شخصا تزوج هو (١) امرأته في غيبته ، فلما رآه حضر طلقت زوجته منه ، ولما نظر عن شماله رأى نجاسة في ثوبه فبطلت صلاته ، ولما نظر الى السماء رأى الهلال وقد ظهر في السماء وكان عليه دين ألف درهم يستحق سداذه في أول الشهر من ظهور الهلال •

س ٨ : كان امام يصلى مع أربعة نفر في مسجد فدخل عليهم رجل وصلى عن يمين الامام فلما سلم الامام عن يمينه ورأى ذلك الرجل وجب على الامام القتل ، وعلى المصلين الأربعة الجلد ووجب هدم المسجد الى أساسه •

ج ٨ : ان الرجل القادم كانت له زوجة وسافر وتركها في بيت أخيه ، فقتل الامام هذا الأخ وادعى أن المرأة كانت زوجة المقتول ، فتزوج منها وشهد على ذلك الأربعة المصلون ، وأن المسجد كان بيتا للمقتول ، فجعله الامام مسجدا •

س ٩ : أعطى رجل لامرأته كيسا مملوءا مختوما وطلب اليها أن تفرغ ما فيه بشرط ألا تفتحه ، أو تفتقه ، أو تكسر ختمه ، أو تحرقه ، وهي ان فعلت شيئا من ذلك فهي طالق •

ج ٩ : ان الكيس كان مملوءا بالسكر أو الملح ، وما على المرأة الا أن تضعه في الماء فيذيب ما فيه •

س ١٠ : رأى رجل وامرأة غلامين في الطريق فقبلاهما ، ولما سئلا في ذلك ؟ قال الرجل : أبى جدهما ، وأخى عمهما ، وزوجتى امرأة أبيهما ، وقالت المرأة : أمى جدتهما وأختى خالتهما •

ج ١٠ : ان الرجل كان أبا للغلامين ، والمرأة أمهما •

س ١١ : كان رجلان فوق سطح منزل فسقط أحدهما فمات ، فحرمت على الآخر امرأته •

ح ١١ : ان الرجل الذى سقط فمات كان مزوجا ابنته من عبده الذى كان معه فوق السطح ، فلما مات الرجل أصبحت البنت تملك ذلك العبد الذى هو زوجها فحرمت عليه •

الى هنا ولم يستطع الرشيد الذى كان حاضرا تلك المساجلة اخفاء اعجابه من ذكاء الشافعى ، وسرعة خاطره ، وجودة فهمه ، وحسن



أدراكه وقال : لله در بنى عبد مناف ، فقد بينت فأحسننت ، وفسرت فأبلغت ، وعبرت فأفصحت .

فقال الشافعى : أطال الله عمر أمين المؤمنين ، انى سائل هؤلاء العلماء فى مسألة ، فان أجابوا عليها فالحمد لله ، والا فأرجو أمير المؤمنين أن يكف عنى شرهم .

فقال الرشيد : لك ذلك وسلهم ما تريد يا شافعى . . فقال لهم الشافعى :

مات رجل عن ٦٠٠ درهم فلم تنل أخته من هذه التركة الا درهم واحد ، فكيف كان الظرف فى توزيع التركة ؟

فنظر العلماء بعضهم الى بعض طويلا ، ولم يستطع أحدهم الاجابة على السؤال ، وأخذ العرق يهطل من جباههم ، ولما طال بهم السكوت ، قال الخليفة : قل لهم الجواب يا شافعى .

فقال الشافعى بعد أن تورط هؤلاء الذين أرادوا أن يفقدوه مكانته عند الخليفة الذى كان يحبه حبا جما لعلمه وتقواه :

مات هذا الرجل عن ابنتين ، وأم ، وزوجة ، واثنى عشر أخا ، وأخت واحدة .

فأخذت البناتان الثلثين وهو : ٤٠٠ درهم ، وأخذت الأم السدس ، وهو : ١٠٠ درهم ، وأخذت الزوجة الثمن وهو : ٧٥ درهم ، وأخذ الاثنا عشر أخا ٢٤ درهما ، فبقى درهم واحد أخذته الأخت .

فتبسم الرشيد وقال : أكثر الله فى أهلى منك وأمر له بألفى دينار فتسلمها الشافعى ووزعها على خدم القصر وحاشيته .

\* \* \*

وهكذا أخا الإسلام كما رأيت يستطيع الإنسان بعلمه وصموده أن يتغلب على حاسديه ومناقسيه الذين ما أعلنوا الحرب عليه الا لأنه أعظم منهم .

وفى هذا يقول ايليا أبو ماضى فى قصيدة له تحت عنوان « ابتسم » :

قال السماء كئيبة وتجهما قلت ابتسم يكفى التجهم فى السما  
قال الليالى جرعتنى علقما قلت ابتسم ولئن جرعت العلقما  
قال العدى حولى علت صيحاتهم أسر والأعداء حولى فى الحمى  
قلت ابتسم لن يطلبوك بدمهم ما لم تكن منهم أجل وأعظما

\* \* \*

فلاحظ يا أخى كل هذا وتعمق في فهمه ، ولا تنس هذه الأقوال المأثورة حتى لا تغضب :

قال على رضى الله عنه لولده الحسن عليه رضوان الله : احذر الغضب ، فإنه يسفه الحليم ، ويطيئش العالم ، ويفقد معه العقل ، ويظهر معه الجهل •

وزوى : أن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال لعلى رضى الله تعالى عنه : ما الذى يباعدنى عن غضب الله عز وجل ؟ قال : أن لا تغضب • وحكى عن الأحنف بن قيس أنه قال :  
ما عادانى أحد قط الا أخذت فى أمره باحدى ثلاث خصال :

ان كان أعلى منى عرفت له قدره ، وان كان دونى رفعت قدرى عنه ، وان كان نظيرى تفضلت عليه • فأخذ الخليل فنظمه شعرا فقال :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب      وان كثرت منه الى الجرائم  
فما الناس الا واحد من ثلاثة      شريف ومشروف ، ومثل مقاوم  
فأما الذى فوقى فأعرف قدره      وأتبع فيه الحق والحق لازم  
وأما الذى دونى فأحلم دائبا      أصون به عرضى وان لام لائم  
وأما الذى مثلى فان زل أو هفا      تفضلت ان الفضل بالفخر حاكم  
ومن أقوال الحكماء :

أحب مكارم الأخلاق جهدى      وأكره أن أعيب وأن أعابا  
وأصفح عن سباب الناس حلما      وشر الناس من يهوى السبابا  
ومن هاب الرجال تهيبوه      ومن حقر الرجال فلن يهابا

- \* من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم •
- \* الحلم حجاب الآفات •
- \* غضب الجاهل فى قوله ، وغضب العاقل فى فعله •
- \* اذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا ، وأوجعته عقابا •
- \* ثلاثة لا يعرفون الا فى ثلاثة مواطن :

لا يعرف الجواد الا فى العسرة ، والشجاع الا فى الحرب ، والحليم  
• الا فى الغضب •

- ليست الأحلام فى حال الرضا      انما الأحلام فى حال الغضب
- \* من كثر شططه كثر غلظه •
- \* أقرب ما يكون العبد من غضب الله عز وجل : اذا غضب •

\* في اغضائك ، راحة أعضائك •  
 \* ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام •  
 \* الحلم والأناة<sup>(١)</sup> توأمان نتيجتتهما علو الهمة •  
 \* ما شيء أشد على الشيطان من عالم معه حلم ، ان تكلم تكلم  
 بعلم ، وان سكت سكت بحلم ، ويقول الشيطان : سكوته أشد على  
 من كلامه •

وكان أبو بكر رضى الله عنه كثير العلم شديد الحلم ، قال له  
 رجل يوما : والله لأسبئك سبا يدخل القبر معك ، فقال له : معك يدخل  
 لا معي •

\* \* \*

واعلم :

أن الغضب قد يكون في بعض المواضع أنفع من الحلم كما قال  
 النابغة الجعدي :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرها

ولما أنشد هذا البيت للنبي صلى الله عليه وسلم قال له : لا يفضض  
 الله فاك ، فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية •

وقال على كرم الله وجهه : الخير بالخير والباديء أكرم ،  
 والشرب بالشر والباديء أظلم •

وفي هذا المعنى يقول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

كما يقول أحد الحكماء :

إذا زل الكريم فكن حليما فان الحلم حينئذ مزية  
 وان جاء اللئيم اليك عمدا بما كسبت يده من الأسية  
 ولم يخضع لعفوك باعتراف فعجل بالكفأة القوية  
 فان الحر يكفيه ملام وان العبد تصلحه الأذية  
 فعامل كل انسان بحلم وفي هذا ترى فصل القضية

\* \* \*

(١) تانى فى الامر ، اى ترفق ، والاسم : الاناة .

# الْوَصِيَّةُ الثَّلَاثَةُ وَالْعِشْرُونَ

- عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال :  
يا رسول الله .. انى أريد السفر ، فأوصنى . قال :  
« عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف »  
فلما ولى الرجل قال :  
« اللهم اطو له الأرض وهون عليه السفر »  
(رواه الترمذى بسند حسن)

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :  
متممًا في فهم ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله للرجل  
الذى أراد السفر فطلب منه أن يزوده بوصية من وصاياه الغالية تخفف  
عنه متاعب السفر الذى ورد في الخبر أنه قطعة من العذاب<sup>(١)</sup> وتحفظه  
في غدوه ورواحه من الشرور والآثام :

\* ( عليك بتقوى الله ) :

- وحسبك حتى تدرك أهمية التقوى أن تقرأ قول الله تعالى :  
« وترودوا فان خير الزاد التقوى ، وانتقون يا أولى الألباب »<sup>(٢)</sup> .  
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضى الله عنه :  
« أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله »<sup>(٣)</sup> .  
وأن تعلم أنها السلاح الوحيد الذى يستطيع المؤمن به أن يواجه  
جميع العقبات ، وينتصر على جميع الأزمات بدليل قوله تعالى :  
« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب »<sup>(٤)</sup> .  
وأنها السبيل الى الفلاح بدليل قوله تعالى :  
« واتقوا الله لعلمكم تفلحون »<sup>(٥)</sup> .

(١) هو بعض حديث شريف أخرجه مالك وأحمد والشيخان عن أبى هريرة .

(٢) البقرة : ١٩٧

(٣) راجع الوصية الثالثة ص ٢٢ من هذا الكتاب .

(٥) البقرة : ١٨٩

(٤) الطلاق : ٣ ، ٢

- بل وهى السبيل الى الجنة والأجر العظيم وفى ذلك يقول تعالى :
- « للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » (١) .
- « للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » (٢) .
- « والآخرة خير لمن اتقى » (٣) .

\* \* \*

ولهذا أوصانا الله سبحانه وتعالى بها كما أوصى الذين أوتوا الكتاب من قبلنا كما جاء فى قوله تعالى :

« ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » (٤) .

\* \* \*

- كما أوصى بها الأنبياء أقوامهم وفى ذلك يقول تعالى :
- « اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون » (٥) .
- « اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون » (٦) .
- « اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون » (٧) .
- « اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون » (٨) .
- « اذ قال لهم شعيب ألا تتقون » (٩) .
- « وان الياس لمن المرسلين . اذ قال لقومه ألا تتقون » (١٠) .

\* \* \*

وحتى تعرف أيضا حقيقة التقوى بالاضافة الى ما قرأته سابقا اليك أيضا هذه الأقوال المأثورة :

التقوى : فى الطاعة يراد بها الاخلاص ، وفى المعصية يراد بها الترك والحذر .

- وقيل : المحافظة على آداب الشريعة .
- وقيل : مجانبة كل ما يباعدك عن الله تعالى .
- وقيل : أن لا ترى فى نفسك شيئا سوى الله .
- وقيل : أن لا ترى نفسك خيرا من أحد .
- وقيل : ترك ما دون الله .

(٢) آل عمران : ١٧٢

(١) آل عمران : ١٥

(٤) النساء : ١٣١

(٣) النساء : ٧٧

(٥ - ٩) الشعراء : ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٦١ ، ١٧٧

(١٠) الصافات : ١٢٣ ، ١٢٤

- وقيل : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً •  
 وقيل : الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته •

\* \* \*

ومن أجمل ما قرأت في وصفها :

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير الى خير •

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً ، ليكون حجاباً بينه وبين الحرام فإن الله قد بين للعباد الذى يصيرهم اليه فقال : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره • ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (١) • فلا تحقرن شيئاً من الخير أن تفعله ، ولا شيئاً من الشر أن تتقيه •

\* \* \*

وأما عن المتقين فمن أجمل ما قرأت في وصفهم :

أن عبداً يقال له همام جاء الى الامام على كرم الله وجهه وقال له : صف لى المتقين حتى كأنى أنظر اليهم ؟ فقال عليه رضوان الله : هم أهل الفضائل ، منطقتهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيتهم التواضع ، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، نزلت أنفسهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء ، لولا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقاً الى ربهم ، عظم الخالق فى أنفسهم ، فصغر ما دونه فى أعينهم • قلوبهم محزونة ، وشورورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة • وصبروا أياماً قصيرة ، أعقبتهم راحلة طويلة ، تجارة رابحة سيرها لهم ربهم ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها • أما الليل فصافون أقدامهم يرتلون لأجزاء القرآن ترتيلاً ، فاذا مروا بأية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت أنفسهم اليها شوقاً ، واذا مروا بأية فيها تخويف صغوا اليها بمسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم ،

فهم جاثون على ركبهم يطلبون من الله فكاك رقابهم ، وأما النهار فحلما علماء ، أبرار أتقياء قد براهم الخوف برى القداح ، ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض .

لا يرضون من أعمالهم بالقليل ، ولا يستكثرون الكثير ، غمهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، إذا زكى أحدهم خاف مما يقال له ، فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بنفسى منى ، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون ، واغفر لى ما لا يعلمون ، فمن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة فى الدين ، وحزما فى لين ، وإيمانا فى يقين ، وحرصا فى علم ، وعملا فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة ، وتجملا فى فاقة ، وصبرا فى شدة ، وطلبا فى حلال ، ونشاطا فى هدى ، وتخرجا عن طمع . يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الأذكار ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريبا أمله ، قليلا زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ، مكظوما غيظه ، ميتة شهوته ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يعفو عن ظلمه ، ويعطى من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيدا فحشه ، لينا قوله ، غائبا منكزه ، حاضرا معروفه . فى الزلازل وقور ، وفى المكاره صبور ، وفى الرخاء شكور ، ولا يحيف على من ييغض ، ولا يئثم فىمن يحب ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، ولا يضيع ما استحفظ . ولا ينازب بالألقاب ، ولا يضر بالجار ، ولا يشمت بالمصائب .

ان بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له ، نفسه منه فى عناء ، والناس منه فى راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه ، بعده عن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، وليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة .

\*\*\*

وقال موسى بن أعين رحمه الله : المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا فى الحرام فسامهم الله المتقين .

وقال سفيان الثورى رحمه الله : انما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى ، فهو سبحانه أهل أن يتقى ، ويخشى ، ويهاب ، ويجل ، ويعظم فى صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه ، لما يستحقه من الاجلال والاكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس .

\*\*\*

وكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصى بالتقوى التى أوصى الله سبحانه وتعالى بها كما عرفت ، كذلك كان أصحابه عليهم جميعا رضوان الله يوصى بعضهم بعضا بالتقوى ، فقد روى :

أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يقول فى خطبته : « أما بعد .. فانى أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة فى الرهبة ، وتجمعوا الالحاف فى المسألة ، فان الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : « انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين » (١) .

ولما حضرته الوفاة وعهد الى عمر بن الخطاب عليه رضوان الله ، دعاه فوصاه بوصية قال فى أولها : اتق الله يا عمر .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابنه عبد الله عليه رضوان الله : أما بعد .. فانى أوصيك بتقوى الله عز وجل ، فانه من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، واجعل التقوى نصب عينيك ، وجلاء قلبك .

واستعمل على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا على سرية فقال له : أوصيك بتقوى الله عز وجل ، لا بد لك من لقاءه ، ولا منتهى لك دونه ، وهو يملك الدنيا والآخرة .

ولما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافة خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، فان تقوى الله عز وجل خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف .

وكتب الى رجل : أوصيك بتقوى الله عز وجل التى لا يقبل غيرها ، ولا يرحم الا أهلها ، ولا يثبت الا عليها ، فان الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل ، جعلنا الله واياك من المتقين .

وقال رجل ليونس بن عبيد : أوصنى . فقال : أوصيك بتقوى الله والاحسان ، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وقال له رجل - يريد الحج - : أوصنى . فقال له : اتق الله ، فمن اتقى الله فلا وحشة عليه .

وقيل لرجل من التابعين عند موته : أوصنا . فقال : أوصيكم بخاتمة سورة النحل : « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » (٢)



وكتب رجل من السلف الى أخ له : أوصيك بتقوى الله فانها من أكرم ما أسررت ، وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادخرت ، أعاننا الله وإياك عليها ، وأوجب لنا ولك ثوابها •

وكتب رجل منهم أيضاً الى أخ له : أوصيك وأنفسنا بالتقوى ، فانها خير زاد الآخرة والأولى • واجعلها الى كل خير سبيلاً ، ومن كل شر مربك ، فقد تكفل الله عز وجل لأهلنا بالنجاة مما يحذرون ، والرزق من حيث لا يحتسبون •

\*\*\*

فمن كل هذا يتضح لك أن التقوى هي خير زاد للناس عامة ، وللمسافر خاصة حتى يكون في حفظ الله ورعايته ، وقد يكون هذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله في وصية أخرى : « احفظ الله يحفظك » •

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيه كذلك بأن يكبر على كل شرف<sup>(١)</sup> فذلك حتى يكون مؤتسماً في وحشته وغرته بالكبير المتعال ، والقوى العزيز الذي لا يقهر . والذي يقول كما جاء في الحديث القدسي : « ... وأنا معه إذا ذكرني » وحسبه أن الله معه •

\*\*\*

هذا : وللسفر آداب ذكرها الامام النووي في كتاب « الأذكار » أجملها وبايجاز فيما يلي : قال عليه رحمة الله : إذا استقر عزم المسافر على السفر اجتهد في تحصيل أمور ، منها :

أن يوصى بما يحتاج الى الوصية به ، وليشهد على وصيته ، ويستحل كل من بينه وبينه معاملة في شيء أو مصاحبة ويسترضى والديه ، وشيوخه ومن يندب الى بره واستعطفه ، ويتوب الى الله ويستغفره من جميع الذنوب والمخالفات ، وليطلب من الله تعالى المعونة على سفره ، وليجتهد في تعلم ما يحتاج اليه في سفره :

فإن كان غازياً : تعلم ما يحتاج اليه الغازي من أمور القتال والدعوات وأمور الغنائم ، وتعظيم تحريم الهزيمة في القتال ، وغير ذلك •

وإن كان حاجاً أو معتمراً : تعلم مناسك الحج أو استصحب معه كتاباً بذلك ، ولو تعلمها واستصحب كتاباً كان أفضل •

(١) الشرف بفتح الحاء : المكان المرتفع .

وان كان تاجرا : تعلم ما يحتاج اليه من أمور البيوع وما يصح منها وما يبطل ، وما يحل ويحرم ، ويستحب ويكره ويباح ، وما يرجح على غيره .

وان كان متعبدا سائحا معتزلا للناس تعلم ما يحتاج اليه في أمور دينه ، فهذا أهم ما ينبغي له أن يطلبه .

وان كان ممن يصيد : تعلم ما يحتاج اليه أهل الصيد ، وما يحل من الحيوان وما يحرم ، وما يحل به الصيد وما يحرم ، وما يشترط ذكاته وما يكفي فيه قتل الكلب أو السهم وغير ذلك .

وان كان راعيا : تعلم ما يحتاج اليه مما قدمناه في حق غيره ممن يعتزل الناس ، وتعلم ما يحتاج اليه من الرفق بالدواب وطلب النصيحة لها ولأهلها . والاعتناء بحفظها والתיقظ لذلك ، واستأذن أهلها في ذبح ما يحتاج الى ذبحه في بعض الأوقات لعارض وغير ذلك .

وان كان رسولا من سلطان الى سلطان أو نحوه : اهتم بتعلم ما يحتاج اليه من آداب مخاطبات الكبار وجوابات ما يعرض في المحاورات ، وما يحل من الضيافات والهدايا وما لا يحل ، وما يجب عليه من مراعاة النصيحة واطهار ما بيطنه ، وعدم الغش والخداع والنفاق ، والحذر من التسبب الى مقدمات الغدر أو غيره مما يحرم وغير ذلك .

وان كان وكبلا أو عاملا في قراض أو نحوه : تعلم ما يحتاج اليه مما يجوز أن يشتريه ومالا يجوز ، وما يجوز أن يبيع به ومالا يجوز ، وما يجوز التصرف فيه ومالا يجوز ، وما يشترط الاشهاد فيه ومالا يشترط ، وما يجوز له من الأسفار ومالا يجوز .

ويستحب أن يكون السفر يوم الخميس ، لقول كعب بن مالك : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد السفر لم يسافر الا يوم الخميس » (١) .

وفي رواية : « قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج اذا أراد سفرا الا يوم الخميس » (٢) .

ومنه يعلم أن الحصر في الرواية الأولى بالنظر الى الغالب .

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وفي سنده أحمد بن لهيعة .

(٢) أخرجه أحمد والبخاري وأبو داود بسند جيد .

وحكمة ذلك : أن الخميس يوم مبارك ترفع فيه أعمال العباد الى الله تعالى .

ويستحب لمريد السفر طلب الوصية والدعاء من أهل الخير والصلاح .

ويستحب توديع المسافر : لقول سالم بن عبد الله : « كان أبى عبد الله بن عمر اذا أتاه الرجل وهو يريد السفر قال له :

ادن أودعك الله كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يودعنا فيقول : « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » (١) .

ولقول أبى موسى بن وردان : قال أبو هريرة لرجل : « أودعك كما ودعنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أو كما ودع رسول الله : أستودعك الله الذى لا يضيع ودائعه » (٢) .

ويستحب لمريد السفر أن يودع من يخلفه لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف : أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه » (٣) .

وعنه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أراد أحدكم سفرا فليسلم على اخوته فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خيرا » (٤) .

ويستحب لمريد السفر أن يصلى ركعتين قبل خروجه يقرأ فيهما بعد الفاتحة ما شاء ، لحديث المقطم بن المقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا » (٥) .

ويستحب لمريد السفر : اتخاذ رفيق يأنس به ويتعاون معه على مشاق السفر ، لحديث عمر رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الوحدة : أن يبيت الرجل وحده ، أو يسافر وحده » (٦) .

(١) أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح ، والنسائى وزاد في رواية : « وأقرأ عليك السلام » .

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه والنسائى في « اليوم والليلة » بسند حسن

(٣) أخرجه أحمد وابن السنى ، وكذا الطبرانى بلفظ : « أستودعك

الله الذى لا تخيب ودائعه » .

(٤) أخرجه أحمد والشيخان والطبرانى فى الاوسط .

(٥) أخرجه الطبرانى وكذا ابن شعبة برسلا .

(٦) أخرجه أحمد وحسنه السيوطى .

وحكمة النهي عن ذلك أن الواحد لو مات في سفره لم يجد من يقوم بشأنه ، وكذا الاثنان اذا ماتا أو مات أحدهما لم يجد الآخر من يعينه بخلاف الثلاثة ففي الغالب أنه لا يخشى عليهم شيء من ذلك •  
ولذلك ورد في الحديث : « الراكب شيطان<sup>(١)</sup> والراكبان شيطانان والثلاثة ركب »<sup>(٢)</sup> .

ويستحب لريد السفر : أن يستشير فيه من يعلم منه النصيحة والشفقة والصلاح والاستقامة لقوله تعالى : « وشاورهم في الأمر »<sup>(٣)</sup> ثم يستخير الله فيصلى ركعتين من غير الفريضة ويدعو بدعاء الاستخارة وهو كما ورد في الحديث : عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول :

« اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله — فاقدره لى ويسره لى ، ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله — فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به » قال : ويسمى حاجته<sup>(٤)</sup> .

فان شرح الله صدره فهذا خير ينبغى أن يسير فيه وان وجد انقباضا فى صدره فهو شر ينبغى أن يبتعد عنه ، وان لم يجد شيئا كر الصلاة والدعاء الى سبع مرات •  
مع ملاحظة : أن ما ألفه الناس من الاستخارة المنامية أو الكف ، أو الفنجان ، أو السبحة ، أو الكوتشينة ، لا أصل له وهو من المنكرات والضلالات لأنه لا يعلم الغيب الا الله ، وقد ورد فى الحديث الشريف :

(١) المسافر وحده راكبا أو ماشيا .

(٢) أخرجه مالك واحمد والأربعة بسند حسن ، وصححه ابن خزيمة

(٣) آل عمران : ١٥٩

والحاكم .

(٤) رواه البخارى .

أن من جلس بين يدي كاهن أو عراف يستنبئه الغيب فقد كفر بما أنزل الله على سيد الكائنات صلوات الله وسلامه عليه .

ويستحب وصية المقيم المسافر بالدعاء له في مواطن الخير ولو كان المقيم أفضل من المسافر ، لقول عمر : استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن لي وقال : « لا تنسنا يا أخى من دعائك » وفي رواية : « أشركنا يا أخى في دعائك » فقال كلمة ما يسرنى أن لي بها الدنيا (١) .

ويستحب الدعاء في السفر فإنه مستجاب : لحديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده » (٢) واحديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث دعوات لا ترد : دعوة الوالد لولده ، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر » (٣) .

ويستحب للمسافر أن يدعو بالأدعية الواردة عند نهوضه وخروجه وركوبه ونحوها وغير ذلك ليرضى عنه ربه ويحفظه في سفره .

فقد ورد عن أنس رضى الله عنه أنه قال : لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرا قط الا قال حين ينهض من جلوسه : « اللهم لك انتشرت ، واليك توجهت ، وبك اعتصمت ، اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى ، اللهم اكفنى ما أهمنى وما لا أهتم له ، وما أنت أعلم به ، اللهم زدنى التقوى ، واغفر لى ذنبى ، ووجهنى للخير أينما توجهت » ثم يخرج (٤) . وعن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يخرج من بيته يريد سفرا أو غيره ، فقال حين يخرج : باسم الله ، آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، الا رزق خير ذلك المخرج ، وصرف عنه شر ذلك المخرج » (٥) .

(١) أخرجه ابو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٢) أخرجه احمد وابو داوود وابن ماجه والترمذى وحسنه ، والبخارى

في « الأئب » .

(٣) أخرجه الضياء المقدسى في « المختارة » والبيهقى .

(٤) أخرجه ابن جرير .

(٥) أخرجه احمد بسند فيه رجل لم يسم وبقيته ثقات .

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفراً قال : « اللهم بك أصول ، وبك أحول ، وبك أسير » (١) .  
وعن علي بن ربيعة أنه قال : رأيت علياً رضي الله عنه أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال : « بسم الله . فلما استوى عليها قال : الحمد لله ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون . ثم حمد الله ثلاثاً وكبر ثلاثاً ثم قال : سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم ضحك ، فقلت : مم ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : يعجب الرب من عبده إذا قال رب اغفر لي ، ويقول : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري » (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا أراد أن يخرج إلى سفر قال : « اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم اني أعوذ بك من الضينة (٣) في السفر والكآبة في المنقلب ، اللهم اطو لنا الأرض وهون علينا السفر » .  
وإذا أراد الرجوع قال : « آييون تائبون عابدون لربنا حامدون »  
وإذا دخل على أهله قال : « توبوا لربنا أوباً لا يغادر علينا حوباً » (٤) .

ويستحب لمن قدم من السفر أن يبدأ بالمسجد فيصلي فيه ركعتي القدوم وأن يجلس من يقصد للسلام عليه في مكان بارز سهل على زائريه ، وألا يأتي أهله بغتة ، لقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه :

كنت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في سفر فلما قدمنا المدينة قال لي : « ادخل المسجد فصل ركعتين » (٥) .

ولقول كعب بن مالك رضي الله عنه : كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يقدم من سفر إلا نهاراً (٦) في الضحى ، فإذا قدم بدأ بالمسجد

- 
- (١) أخرجه البزار بن أحمد في زوائد المسند بسند رجاله ثقات .  
(٢) أخرجه أحمد والثلاثة بأسانيد صحيحة وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . . (٣) ما تحت يذك من مال وعيال .  
(٤) أخرجه أحمد والطبراني والبزار بسند رجاله رجال الصحيح .  
(٥) أخرجه البخاري ومسلم . (٦) التقيد بالنهار باعتبار الغالب .

فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس فيأتيه الناس فيسلمون عليه « (١) .  
 ولقول أنس بن مالك رضى الله عنه : كان النبي صلى الله عليه وسلم  
 لا يطرق أهله ليلا ، كان يدخل عليهم غدوة أو عشية « (٢) . الغدوة :  
 ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، والعشية : ما بعد الزوال  
 الى الغروب .

والمراد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى من سفره ليلا  
 مكث بالمسجد حتى يصلى الصبح ثم يذهب الى بيته ، واذا أتى نهارا  
 مكث به ولا يدخل بيته الا فى العشية ، والحكمة فى ذلك أن يستعد أهله  
 له بتنظيف البيت وتغيير الملابس الغير نظيفة ، وكان هذا تعليما  
 لأصحابه .

ويستحب لمن قدم من سفر ودخل بيته أن يقول : توبا توبا لربنا  
 أوبا ، لا يغادر حوبا . لقول ابن عباس رضى الله عنهما : كان النبي  
 صلى الله عليه وسلم اذا رجع من سفره فدخل على أهله قال : « توبا  
 توبا ، لربنا أوبا لا يغادر حوبا » (٣) .

ويستحب أن يقال لمن قدم من سفر : الحمد لله الذى سلمك ،  
 الحمد لله الذى جمع الشمل بك ، لقول عائشة رضى الله عنها : « كان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فلما دخل استقبلته فأخذت بيده  
 فقالت : الحمد لله الذى نصرك وأعزك وأكرمك » (٤) .

ويستحب لمن له أكثر من زوجة وأراد السفر باحداهن : أن يقرع بينهن  
 تطيبيا لخطأهن ، فمن خرج سهمها أخذها معه لقول عائشة رضى الله عنها  
 « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يخرج سفرا  
 أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه » (٥) وفى رواية  
 أخرى : « كان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها  
 خرج بها معه » (٦) .

(١) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم .

(٢) الأوب : من أب اذا رجع ، والحبوب : الاثم . أخرجه ابن السنى .  
 وكذا البزار وأبو يعلى بلفظ آخر ، وأخرجه أحمد والطبرانى فى الكبير  
 بسند رجاله رجال الصحيح .

(٣) أخرجه ابن السنى .

(٤) أخرجه أحمد والبخارى .

(٥) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه .

وكيفية القرعة : أن يؤخذ خاتم هذا ، وخاتم هذا ويوضعان في جراب أو نحوه فيخرج واحد منهما ، وقيل : يكتب اسم كل في ورقة وتطوى ثم توضع في جراب ونحوه ، فمن خرجت ورقته فهو صاحب القرعة .

مع ملاحظة هذا الحكم : لا يحل للمرأة السفر ولو للحج الا مع محرم<sup>(١)</sup> لقول أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوما وليلة الا مع ذي محرم من أهلها »<sup>(٢)</sup> .

ولما كانت هناك أحكام أخرى تتعلق بالسفر فقد رأيت انتماما للفائدة وباختصار أن أختتم بها حديثي معك ، وحتى لا أطيل عليك فإليك :

إذا أردت سفرا طويلا أو قصيرا فاقصر الصلاة الرباعية لقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الأضحى ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، تمام غير قصر على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم »<sup>(٣)</sup> .

ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم دليل صحيح صريح يفيد تحديد مسافة القصر ، وإن كان هناك خلاف بين الأئمة في هذا .

قال في « الدين الخالص » : ان الأحاديث وردت مصرحة بالسفر مطلقا ، وبالسفر يوما وليلة ويومين وثلاثة أيام فصاعدا ، وأن كل ذلك يسمى سفرا .

ولظاهر الآية التي يقول تعالى فيها : « وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة »<sup>(٤)</sup> فظاهر الآية يتناول كل ضرب في الأرض<sup>(٥)</sup> .

(١) والمحرم كل من حرم عليه نكاح المرأة على التأييد لسبب مباح لحرمتها

(٢) أخرجه ابن خزيمة والجماعة إلا النسائي .

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان بسند رجاله ثقات .

(٤) النساء : ١٠١ .

(٥) هناك كلام كثير بين الأئمة وخلاصته هذا ، وسوف أعود بانذن الله

تعالى الى هذا الموضوع بتوسع في كتاب « من أعمال الرسول » .



ولا يصلى مسافر خلف مقيم أو مسافر يتم الصلاة ، فان اقتدى  
 المسافر بمن ذكر لزمه الاتمام ، ولو أدركه في التشهد الأخير •  
 وتصح امامة المسافر لمسافر مثله ولمقيم ، على أن يتم المقيم  
 الصلاة بعد سلام الامام •

والصلاة في السفينة والقطار والطائرة جائزة ، وتتوجه الى القبلة  
 في أول الصلاة ، فان استدار إلقطار عن القبلة واستطعت أن تستدير  
 بغير مشقة فافعل ، والا فكن على حالتك وصل ولا يضرك التحويل  
 عن القبلة سواء أكنت جالسا أو قائما •

ويشترط مجاوزة المسافر محل اقامته من الجانب الذى خرج منه  
 لقول ابن المنذر : ولا أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قصر في سفر  
 من أسفاره الا بعد خروجه من المدينة •

ويستمر المسافر يقصر حتى يرجع الى وطنه أو ينوى الاقامة خمسة  
 عشر يوما فأكثر بموضع واحد يصلح لاقامته لقول ابن عباس وابن عمر  
 رضى الله عنهما : « اذا قدمت بلدة وأنت مسافر وفي نفسك أن تقيم  
 خمس عشرة ليلة فأكمل الصلاة بها ، وان كنت لا تدري متى تطعن  
 فاقصرها » (١) حتى ترجع وان طالت المدة •

وطنك الذى يتم فيه الصلاة هو محل اقامتك ، فاذا ولدت  
 أو نشأت بالاسكندرية مثلا وانتقلت الى القاهرة مستوطنا أتممت  
 بالقاهرة ، وقصرت بالاسكندرية •

والسنن القبليّة والبعديّة أنت مخير في أدائها ولا تقصر ، وسنة  
 الصبح والوتر مؤكدة في السفر •

ويجوز الجمع : بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمع تقديم  
 وتأخير عند الضرورة • فاذا صليت الظهر وأردت السفر ، وعلمت أنك  
 لن تدرى العصر في وقته ، ولن تستطيع أداءه في القطار من قيام ، فصله  
 بعد الفراغ من صلاة الظهر مباشرة جمع تقديم ، وان وصلت قبل  
 المغرب فلا تعد صلاة العصر واذا سافرت قبل الظهر ولم تتمكن من  
 أدائه قياما في القطار ووصلت بعد العصر فصل الظهر ثم العصر جمع  
 تأخير ، وكذلك اذا سافرت قبل المغرب فاجمع بينه وبين العشاء

(١) أخرجه الطحاوى .

جمع تأخير ، وإذا لم يتيسر لك الجمع وخفت ضياع الوقت فصله في القطار أو السيارة من قيام أو جلوس ، مستقبل القبلة أو غير مستقبل لها بحسب الاستطاعة ، وإن لم يتيسر لك الوضوء في مثل هذه الحالة فتيمم .

وإذا جمعت بين صلاتين فأذن للأولى فقط ، وأقم للأولى والثانية .  
واعلم أن العصر لا يجمع مع المغرب بحال من الأحوال ، كذلك الصباح لا يجمع مع أى صلاة .  
وأن القصر في السفر أفضل من الاتمام ولو لم يكن فيه مشقة لأن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه .  
وأنه يباح السفر يوم الجمعة ، على أن يصلى بدلها الظهر ركعتين قصرا ، وإن صلاها فلا حرج .

\* \* \*

وأخيرا أخا الاسلام :

فقد رأيت وبعد هذا العرض السريع لأحكام السفر ( الدنيوى ) وآدابه ، أن أدور معك حول ما يذكرنى وإياك بالسفر ( الأخرى ) الطويل الذى يجب علينا أن نعمل له ولما بعده ألف حساب قبل قوات هذه الفرصة السانحة التى لا زلنا نتمتع بها :

— ألا وهى وجودنا الى هذه اللحظة في هذه الحياة الأولى — وقبل أن نندم ونقول كما قال القائل الذى لم يعتتم فرصة وجوده في هذه الحياة حتى انتهت أيامه كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها :

« رب لولا أخرجتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين .  
ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون » (١) .

\* \* \*

ولهذا ومن أجل كل هذا : كان لابد وأن يستعد الانسان العاقل لهذا السفر الطويل الذى أشرت اليه — أعلاه — حتى اذا ما فترق هذه الدنيا كان سعيدا هناك — في الدار الآخرة — بما قدم من أعمال صالحة تضمن له الفوز والنجاة يوم العرض على رب الأرباب سبحانه وتعالى : « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه » (٢) .

ولله در أبي الدرداء رضى الله عنه ، فلقد روى أنه وقف ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه :

« أليس إذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم .  
 قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون . فقالوا : دلنا على زاده .  
 فقال : حجوا حجة لعظام الأمور ، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل  
 لو حشيت القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور » .

\* \* \*

وهذا هو ما أريد أن أركز عليه في هذا التلخيص الموضوعي السريع  
 الذى خلاصته : أن الانسان في هذه الدنيا له أيام أو لحظات ستنتهى  
 حتما — طال أم قصرت — وبعدها سيفارق هذه الدنيا الى عالم  
 الحساب الذى سيعرض عليه فيه كتابه كما تشير الآية الكريمة التى  
 يقول الله تعالى فيها :

« وكل انسان أزمانه طائرته<sup>(١)</sup> في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة  
 كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وحسبى وحتى لا أطيل عليك واختصارا للموضوع أن أسوق اليك  
 هذا الحديث الشريف الذى قرأته في كتاب « مع الله » للشيخ محمد  
 الغزالي ، والذى أورده الامام الغزالي رحمه الله ضمن رسالة أرسلها  
 الى أحد الملوك ليعظه ، وهاك نصه :

« يحشر الأغنياء أربع فرق :

رجل جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام ، فيقال : اذهبوا به  
 الى النار . ورجل جمع مالا من حرام وأنفقه في حلال ، فيقال : اذهبوا  
 به الى النار . ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه في حرام ، فيقال :  
 اذهبوا به الى النار . ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه في حلال ،  
 فيقال : قفوا هذا وسلوه : لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه ،  
 أو قصر في الصلاة ، أو في وضوئها ، أو في ركوعها ، أو في سجودها ،  
 أو في خشوعها ، أو ضيع شيئا من فرض الزكاة والحج ؟ فيقول  
 الرجل : جمعت مالى من حلال ، وأنفقتة في حلال ، وما ضيعت شيئا  
 من حدود الفرائض ، بل أتيت بتمامها . فيقال : لعلك باهيت بمالك ،

واختلت في شيء من ثيابك ؟ فيقول : يا رب .. ما باهيت بمالى ،  
ولا اختلت في شيء من ثيابى . فيقال : لعلك فرطت فيما أمرناك من  
صلة الرحم وحق الجيران والمساكين ، وقصرت في التقديم والتأخير  
والتفصيل والتعديل ؟ ويحيط به هؤلاء فيقولون : ربنا أغنيته بين  
أظهرنا وأحوجتنا اليه فقصر في حقنا . فان ظهر تقصيره ، ذهب الى  
النار ، والا قيل له : قف .. هات الآن شكر كل نعمة ، وكل شربة ،  
وكل أكلة ، وكل لذة ، فلا يزال يسئل ويسئل ..» .

ثم يقول الامام الغزالي بعد هذا الحديث الشريف : فهذه حال  
الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله ، فكيف حال المفرطين المنهمكين  
في الحرام والشبهات ؟ ..

\* \* \*

فمن كل هذا كما رأيت يتبين لك خطورة الموقف وما بعده من أحوال ،  
اللهم الا اذا كانت هناك أعمال صالحة تحول بين الانسان وهذه الأحوال  
التي أشار الله سبحانه وتعالى اليها في قوله :

« ان عذاب ربك لواقع . ما له من دافع . يوم تمور السماء مورا .  
وتسير الجبال سيرا . فويل يَوْمئذٍ للكافرين . الذين هم في خوض  
يلعبون . يوم يدعون إلى نار جهنم دعا . هذه النار التي كنتم بها  
تكذبون » (١) .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى بعد ذلك بآيتين :

« ان المتقين في جنات ونعيم . فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم  
ربهم عذاب الجحيم . كانوا واثربوا هنيئاً بما كنتم تعملون » (٢) .

\* \* \*

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام ، وقدم لنفسك خيراً ينفعك :

« يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم » (٣) .

قدم لنفسك خيراً	وأنت مبالك مالك
من قبل تصبح فردا	ولون حالك حالك
ولست والله تدري	أى المسالك سالك
أما جنة عدن	أو فى المهالك هالك

(٢) الطور : ١٧ - ١٩

(١) الطور : ٧ - ١٤

(٣) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩

واعمل دائما وأبدا ليوم رحيلك وأنت تذكر قول القائل :

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

\* \* \*

وتذكر أيضا قول على رضى الله عنه :

« من أمضى يومه في غير حق قضاء ، أو فرض أداء ، أو مجد

بيناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه : فقد عرق يومه وظلم نفسه » •

\* \* \*

وكن دائما وأبدا من الفطناء الذين تحدث عنهم القائل في قوله :

ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة<sup>(١)</sup> واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

\* \* \*

### \* وختاما ..

إليك هذه الوصية اللقمانية التي أرجو أن تكون لك زادا في جميع

أسفارك :

يا بنى .. إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم ، وأكثر التبسم

في وجوههم ، وكن كريما على زادك ، وإذا دعوك فأجبههم ، وإذا

استعانوك فأعنههم ، وإذا سألوك فأعطهم ، وإذا أنزلوا بك حاجة

أو كلفوك أمرا فتبرع لهم ، وقل : نعم ، ولا تقل لا ، فان ( لا ) عى

و ( لا ) لؤم ، وإذا استشهدت فاشهد ، وإذا استشرت فلا تعجل

حتى تنتظر ، واسمع لمن هو أكبر منك •

وإذا أراد أصحابك يمشون فامش معهم ، أو يعملون فاعمل معهم ،

واحذر أن تشير برأى مالا تدري ، وإذا تحيرتم في طريقكم فانزلوا

وإذا شككتم في القصد فتأمروا ، وإذا رأيتم شخصا واحدا فلا تسألوه

عن الطريق ، ولا تسترشدوه ، فان الشخص الواحد في الفلاة مريب ،

ولعله يكون عينا للصوص ، أو يكون هو الشيطان الذى حيركم ،

واحذروا الشخصين أيضا الا أن تروا مالا أرى ، فان العاقل إذا أبصر

(١) لجة : أى بحرا .

شيئا بعينه عرف الحق بقلبه والشاهد يرى مالا يرى الغائب ، وإذا حضر وقت الصلاة فلا تؤخروها لشيء وصلوها في وقتها واستريحوا منها فانها دين من ديون الله ، وصلوها في جماعة ولو على طرف زج ، ولا تنامن على دابتك فان ذلك سريع في دبرها ، وإذا نزلت منزلا فابدأ بعلفها قبل نفسك فانها نفسك ، وإذا أردتم النزول فعليكم من الأرض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها عسبا ، وإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تقعد ، وإذا استطعت أن لا تأكل طعاما حتى يبدو فتصدق منه فافعل ، وعليك بقراءة كتاب الله ما كنت راكبا ، وعليك بالتسبيح ما دمت عاملا ، وعليك بالدعاء ما كنت خاليا .

وإذا أردت الحاجة فأبعد المذهب في الأرض واستتر ما استطعت ثم استنق بالطوب ، وإذا رحلت فصل ركعتين قبل أن تركب وودع الأرض التي خليتها وسلم على أهلها ، فان لكل بقعة من الأرض أهلا من الملائكة ، واياك والسير من أول الليل ، فانه مسaire الجن ومخاطرة شرهم ، وعليك بالتعريس حينئذ وبالدلجة دون نصف الليل الى آخره .

واياكم ورفع صوتكم في مسيركم فانكم تؤذنون بكم للصوص وتدلون بكم السباع ، وسافر بقوسك وسيفك وعمامتك وحذائك واشفاك ومخزرك ومحذاك وملتك وابرك وخيوطك ، وتزود معك من الأدوية فتنتفع بها وتنفع بها من يليك ، وكن لأصحابك موافقا ، ولهم في جميع الأمور موافقا الا في معصية الله .

إذا رافقت في الأسفار قوما	فكن لهم كذى الرحم الشفيق
يعيب النفس ذا بصره وعلم	وأعمى العين عن عيب الرقيق
عليك معالي الأخلاق فيها	ولا تسف إلى الخلق الدقيق
ولا تأخذ بعثرة كل قوم	ولكن قل : هلم إلى الطريق
فان تأخذ بعثرتهم يقولوا	وتبقى في الزمان بلا صديق



## المجزء السابع

# الوصية الرابعة والعشرون

عن جابر رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول :  
« لا يموتن أحدكم الا وهو : يحسن الظن بالله عز وجل » .

(رواه مسلم وأبو داود)

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية العظيمة التي زود بها المصطفى صلى الله عليه وسلم كل فرد من أمته قبل انتقاله الى جوار ربه بثلاثة أيام كما يقول جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، راوى هذا الحديث .  
وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا بأن لا نفارق الدنيا الا ونحن نحسن الظن بالله عز وجل الذى يقول كما ورد فى الحديث القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي ... » (١) .

فمن الخير أن تكون حسن الظن بالله عز وجل مهما كانت أخطاؤك ما دمت قد تبنت الى الله سبحانه وتعالى وندمت على ما فعلت .  
وحسبك ترغيبا لك فى هذا قول الله تعالى فى كتابه العزيز :  
« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، أنه هو الغفور الرحيم » (٢) .  
فقد روى أن السبب فى نزول هذه الآية : أن قوما قاتلوا : يا رسول الله .. يغفر لنا ربنا ان أسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتل وغيره ؟  
نفتزلت هذه الآية .

يقول ثوبان رضى الله عنه : لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم :  
« ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية » •

ومعناها : أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب •

ويقول سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى شأنها : هى  
أرجى آية فى القرآن •

وقيل : أرجى آية فى القرآن : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر  
ما دون ذلك لمن يشاء » (١) •

وقيل : أرجى آية : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر  
الله يجد الله غفورا رحيمًا » (٢) •

وقال زين العابدين رضى الله عنه : أرجى آية : « ولسوف يعطيك  
ربك فترضى » (٣) فان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يرضى واحدا من  
أمته فى النار •

بل وحسبك أن تقرأ هذا الحديث القدسى الذى رواه ابن مسعود  
رضى الله عنه : « يقول الله تعالى : يا عبدى •• لم تقنط ؟ أليس أنا  
الذى أظهرتك ، ولأمانى طوقتك ، مالك تتجاهل على كأنك ما عرفتنى ،  
وتنتحى كأنك ما وافقتنى •

عبدى •• ان استقلتنا أقلناك ، وان تبت أينا قبلناك ، وان عزمتم  
على قصدنا أدنينناك ، وان اضطرب دليلك أرينناك ، وان عادتت نفسك  
فى حب ودنا واليناك ، وان بكيت لعوز دوائك داوينناك ، وان بكيت  
لضرك شفينناك ، وان بكيت خشية أحضرنناك ، وان بكيت خوفا أمنناك ،  
وان بكيت أسفا على ما فاتك من حقوقنا عوضناك ••• » •

فكن راجيا رحمة الله ، فهو كما رأيت صاحب الكرم والعطاء الذى  
يقول كما ورد أيضا فى حديث قدسى :

« ••• وأنا أرحم بعبادى من الوالدة على ولدها » ••

\* \* \*

واعلم أن الرجاء هو حسن الظن بالله تعالى فى قبول طاعة وفقته  
لها ، أو مغفرة سيئة تبت منها •



وأما الطمأنينة مع ترك الطاعات والاصرار على المخالفات فأمن وغرور ، وقد نهى الله عنه فقال : « ولا يفرنكم بالله الغرور » (١) .  
يعنى الشيطان ، فانه يحسن لك المعاصى وربما يجرك الى ذلك برجاء عفو الله تعالى وكرمه .

وقد وصف الله الراجين بالمعنى الحقيقى فقال متحدثا عنهم بأهم الأعمال التى يرجون رحمة الله تعالى بها : « أن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور » (٢) .

كما ذم الله سبحانه وتعالى من انتقطع رجاءه من فضله تعالى فقال :  
« انه لا يياس من روح (٣) الله الا القوم الكافرون » (٤) .

\* \* \*

وقد رأيت فى هذا العرض — حتى تكون من الذين يرجون تجارة لن تبور ، وحتى لا تكون من الذين ذمهم الله تعالى فى هذه الآية الأخيرة — أن أسوق اليك هذه الأحاديث الشريفة :  
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« والذى نفسى بيده لو لم تذبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذبون فيستغفرون فيغفر الله لهم » (٥) .

وعنه أيضا رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« ان لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على ولدها ، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » (٦) .  
وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبى فاذا امرأة من السبى تسعى اذ وجدت صبيا فى السبى أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار » ؟ قلنا : لا والله ، فقال : « الله أرحم بعباده من هذه بولدها » (٧) .  
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(٢) ناظر : ٢٩

(٤) يوسف : ٨٧

(٦-٧) يتفق عليه .

(١) لقمان : ٣٣

(٣) أى رحمته .

(٥) رواه مسلم وغيره .

«وسلم : « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : ان رحمتي تغلب غضبي » وفي رواية : « غلبت غضبي » وفي رواية : « سبقت غضبي » (١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تلاقوا قول الله عز وجل في ابراهيم عليه السلام :

« رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فإنه منى » (٢)  
 الآية . وقول عيسى عليه السلام : « ان تعذبهم فإنهم عبادك ، وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » (٣) فرغ يديه وقال : « اللهم أمتى أمتى » وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل .. اذهب الى محمد — وربك أعلم — فسله : ما يبكيه ؟ فأتاه جبريل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله تعالى : يا جبريل .. اذهب الى محمد فقل : انا سترضيك في أمتك ولا نسوءك (٤) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحو من أربعين فقال :

« أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة » ؟ قلنا : نعم ، قال : « أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة » ؟ قلنا : نعم ، قال : « والذي نفس محمد بيده انى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، وذلك أن الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة ، وما أنتم في أهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود » — أو قال : « الشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر — » (٥) .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » (٦) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه (٧)

(٢) ابراهيم : ٣٦

(٤) رواه مسلم .

(١) متفق عليه .

(٣) المائدة : ١١٨

(٥) متفق عليه .

(٦) متفق عليه — والآية من سورة ابراهيم : ٢٧

(٧) كنفه : ستره ورحمته .

عليه فيقرر به بذنوبه فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : رب .. أعرف ، قال : فاني قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته « (١) » .

وليس هذا معناه أن نتكل على رحمة الله وكرمه دون عمل فقد ورد في الحديث القدسي : « ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل ، كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي » .

ولهذا قال الله تعالى في كتابه العزيز في حديثه عن الذين كتب لهم رحمته : « ورحمتي وسعت كل شيء » (٢) ولو انتهت الآية عند هذا الحد لجاز لابليس — عليه لعنة الله — أن يطالب بدخول الجنة لأنه شيء من الأشياء ، ولكن الله سبحانه وتعالى وهو العليم الخبير الذي « لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها » (٣) لم يترك للأبالسة احتجاجا ، ولهذا نراه بعد قوله : « وسعت كل شيء » يقول : « فسأكتبها » (٤) للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم (٥) والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه (٦) ونصروه واتبعوا النور (٧) الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون « (٨) » .

فاذا كنت من هؤلاء فأنت من أهل الفلاح ، بل وأنت من أهل الرحمة الذين أعد الله لهم في جنة الخلد « ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

وما دمت في هذه الدنيا فأنت في دار ابتلاء الى أن تموت ، وفي هذا يقول أحدهم :

انى ابتليت بأربع ما سلطوا      الا لشدة شقوتى وغنائى  
ابليس والدنيا ونفسى والهوى      كيف الخلاص وكلهم أعدائى

(٢) الاعراف : ١٥٦

(٤) أى الرحمة .

(١) متفق عليه .

(٣) النساء : ٤٠

(٥) أى التكاليف الشاقة .

(٦) أى حبه من عدوه حتى لا يناله سوء .

(٨) الاعراف : ١٥٦ ، ١٥٧

(٧) وهو القرآن .

ولهذا كان لا بد وأن تكون مع الرجاء خائفا من الله سبحانه وتعالى  
الى أن تموت حتى تظل مشمرا عن ساعد الجد في طاعته سبحانه وتعالى ،  
فقد ورد في الحديث الشريف :

« من خاف أدلج<sup>(١)</sup> ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا ان سلعة الله  
غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة »<sup>(٢)</sup> .

ولهذا كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يسمع لقلبه أزيز  
اذا وقف يصلى كحس الرجل ، وكان كثير البكاء ، وفي هذا يقول تعالى :  
« ان ابراهيم احليم اواه منيب »<sup>(٣)</sup> فأثاه جبريل عليه السلام وقال له :  
الجبار يقرئك السلام ويقول لك : هل رأيت خليلا يخاف خليله ؟ فقال :  
يا جبريل .. اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي .

وكان داوود عليه السلام اذا عوتب في كثرة بكائه يقول : « دعوني  
أبكي قبل خروج يوم البكاء ، وقبل انحراق العظام ، واشتعال الحشا ،  
وقبل أن يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون  
ما يؤمرون » .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم — وهو الذى غفر الله له ما تقدم  
من ذنبه وما تأخر — اذا وقف يصلى يسمع لدمعه وقع كوقع المطر .  
وكان اذا تغيرت الريح تغير وجهه ويتردد خارجا وداخلا خوفا  
على أمته من عذاب الله تعالى .

كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما جاءنى جبريل  
قط الا وهو يرعد فزعا من الجبار عز وجل » .

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه — وهو الذى أعز  
الله به الاسلام تحقيقا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> — دائم  
البكاء لدرجة أنك كنت ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار  
الدمع ، وكنت تشم من فمه رائحة الكبد المشوى من شدة الخوف  
من الله سبحانه وتعالى .

(١) ادلج — باسكان الدال — أى سار من أول الليل ، والمراد التشمير  
في الطاعة .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن . (٣) هود : ٧٥ .

(٤) يوم أن قال : « اللهم أعز الاسلام بأحد الصبرين - عمرو بن هشام  
أو عمر بن الخطاب » .

وقرأ عليه رضوان الله : « إذا الشمس كورت » (١) فلما بلغ : « وإذا الصحف نشرت » (٢) خر مغشيا عليه ، وسمع مرة أخرى قارئاً يقرأ في سورة الطور فوقف ، فلما بلغ قوله تعالى : « ان عذاب ربك لواقع • ماله من دافع » (٣) استند الى الحائط ساعة وذهب الى منزله فمرض شهرا والناس لا يدرون ما سبب مرضه •

وصلى زرارة بن أوفى بالناس صلاة الصبح فلما قرأ : « فاذا نقر في الناقور » (٤) • فذلك يومئذ يوم عسير » (٥) وقع ميتا رحمه الله تعالى • ولما نزل قوله تعالى : « وان جهنم لموعدهم أجمعين » (٦) صاح سلمان الفارسي صيحة ووضع يده على رأسه وهام على وجهه ثلاثة أيام •

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول : ابكوا فان لم تبكوا فتابكوا ، فوالله لو يعلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبيه •

واجتمع أصحاب الحديث يوما على باب الفضيل رحمه الله تعالى فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ويرجف ، فقال : عليكم بالقرآن ، عليكم بالصلوات ، فهذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الغريق ، هذا زمان : احفظ لسانك ، وليسعك مكانك ، وعالج قلبك ، وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر •

وكان رحمه الله يوما ماثيا فقيل له : الى أين ؟ فقال : لا أدري • وكان والها من الخوف •

ووقف قوم بعباد يبكي فقالوا له : ما يبكيك ؟ قال : روعة يجدها الخائفون في قلوبهم ، قالوا : وما هي ؟ قال : روعة النداء بالعرض على الله تعالى •

وكان الخواص يبكي ويقول : الهى •• كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فأعتقنى •

وكان طاووس يفرش فراشه ويضطجع عليه فينتقل كما تنتقل

(٢) التكويز : ١٠

(١) التكويز : ١

(٣) الطور : ٨٧

(٤) المرات : نفخ في الصور لبعث الناس من القبور •

(٦) - الخضر : ٤٣

(٥) المدثر : ٨ ، ٩

الخبّة في المقلاة ثم يقوم فيطويه ويصلى الى الصبح ويقول : طير ذكر  
جهنم نوم الخائفين •

وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا جلس كأنه أسير قدّم ليضرب  
عنقه •

وقال رجل لبعض الصالحين : أوصنى • قال : يا أخى •• ان  
استطعت أن تكون كرجل اجتوشته السباع والهوام فهو خائف أن  
يفعل فتفتقرسه السباع أو تنهشه الهوام ، فهو خائف حذر وجل القلب  
فهو في الخوف في ليله وان أمن المغترون ، وفي الحزن في نهاره وان فرح  
البطالون • فقال : زدنى رحمك الله • قال : يا أخى •• الظمان يجزيه  
من الماء يسيره •

وسمع يحيى البكاء رجلا يقرأ : « ولو ترى اذ وقفوا على ربهم » (١)  
فصاح صيحة مرض منها أربعة أشهر ، يعاد من أطراف البصرة •

هذا •• واعلم أن الخائفين على مراتب :

فخوف العارفين اجلال وتعظيم لما غلب على قلوبهم من ذكر  
جلال الله تعالى وعظمته من غير فكرة في شيء من أفعاله ، وهذا خوف  
الأنبياء والملائكة وخواص الأولياء •

وأما خوف أكثر المؤمنين فيذكروا الوعد والوعيد وأهوال القيامة  
مع فكرتهم في الجنايات والتفريط ، واتهامهم لنفوسهم أن يكون فيها من  
الآفات الباطنة ما يربى على المعاصى الظاهرة كالعيب والرياء والحسد  
والكبر ونحوها ، وأشد ما يهيج خوف هؤلاء ويزعج قلوبهم خوف  
السابقة والخاتمة اذ العبد لا يدري هل سبق له في علم الله تعالى  
السعادة أو الشقاوة ، والخاتمة تجرى على ما جرت به السابقة ،  
فمن سبق له في علم الله تعالى السعادة ختم له بخاتمة الايمان •••  
ومن سبق له في علم الله تعالى الشقاوة ختم له بخاتمة الخزلان ، وفي  
هذا يقول تبارك وتعالى : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » (٢)  
ويقول صلى الله عليه وسلم : « ••• يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا •  
ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا » (٣) وأكثر ما يمكر عند الموت بأرباب

(١) الانعام : ٣٠ (٢) الانفال : ٢٤

(٣) من حديث شريف صحيح ، رواه مسلم •

اليدع وأصحاب الآفات الباطنة والظلمة والمجاهرين بالمعاصي ، فمن كان ظاهره الصلاح ومكرهه غلاطات باطنة .

ولهذا روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو الذى قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأنه : « لو وضع إيمان أبى بكر فى كفة وإيمان الأمة فى كفة لرجح إيمان أبى بكر » كان قول : « لو كانت إحدى رجلى فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مد الله » (١) .

وقيل لسفيان الثورى - وقد كان كثير البكاء والجزع - : يا أبا عبد الله .. عليك بالرجاء ، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك . فقال : أو على ذنوبى أبكى ، لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بمثل الجبال من الخطايا .

ومرض بعض العارفين فقال لبعض اخوانه : اقم عند رأسى حتى أموت ، فإن مت على التوحيد فاشتر بجميع ما أملكه لوزا وسكرا ووزعه على صبيان البلد وقل : هذا عرس فلان .

وان لم يكن كذلك فأعلم الناس حتى لا يغتروا بجنائزى ، فقعد عند رأسه حتى مات على الايمان فاشترى اللوز والسكر ووزعه على صبيان البلد .

وكان حبيب العجمى يبكى ويقول : من ختم له بـ « لا اله الا الله » دخل الجنة ، ثم يبكى ويقول : ومن لى بأن يختم لى بـ « لا اله الا الله » . وقال سفيان الثورى : رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم سلم سلم . فقلت : يا أخى .. ما قضيتك ؟ فقال : كنا أربعة أخوة مسلمين فتوفى منا ثلاثة كل واحد يفتن عند موته ، ولم يبق الا أنا فما أدرى بم يختم لى .

وروى أنه اذا سعدت الملائكة بروح المؤمن تقول الملائكة : كيف سلّم هذا من دار فتن فيها خيارنا ؟

وكان يحيى بن معاذ يبكى ويقول : الهى ليس بيكىنى اليوم ذنب وان عظم ، وانما بيكىنى حالتى التى لا أدرى كيف أنا بها عندك ، الهى .. العاذ بذكرك من مكرك ، والاستعانة على قدرك بقدرك ، لا تبل قلبى بالفراق فإنه يا رب أضعف من بلى بفراق .



فلاحظ كل هذا أخا الإسلام وسل الله أن يثبتك على الحق حتى  
تلقاه موحدًا .

وتذكر دائما وأبدا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ... لن يدخل أحدا الجنة عمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟

قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » (١) .

وقوله لابنته فاطمة رضى الله عنها : « اعلمى فانى لا أغنى عنك

من الله شيئا » .

وقل مع الرجل الصالح :

اللهم اجعل الايمان لنا سراجا ، ولا تجعله لنا استدراجا ، اجعله

لنا سلما الى جنتك ، ولا تجعله مكرًا الى مشيئتك ، انك أنت الحليم

الغفور .

\*\*\*

وحتى نعود الى موضوعنا الى ندور حوله والذي هو موضوع

الوصية ، اليك ما قاله النووى فى « رياض الصالحين » :

واعلم : أن المختار للعبد فى حال صحته أن يكون خائفا راجيا

ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، وفى حال المرض بمحض الرجاء .

وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة

على ذلك .

قال الله تعالى : « فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون » (٢) .

وقال : « انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون » (٣) .

وقال : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » (٤) .

وقال : « ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم » (٥) .

وقال : « ان الأبرار لفي نعيم . وان الفجار لفي جحيم » (٦) .

وقال : « فأما من ثقلت موازينه . فهو فى عيشة راضية . وأما من

خفت موازينه . فأما هاهوية » (٧) .

والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، فيجتمع الخوف والرجاء فى آيتين

مقترنتين ، أو آيات ، أو آية .

(١) من حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) يوسف : ٨٧

(٣) الاعراف : ٩٩

(٤) الاعراف : ١٦٧

(٥) آل عمران : ١٠٦

(٦) القارعة : ٦ - ٩

(٧) الانفطار : ١٣ ، ١٤



وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد » (١) .  
وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وضعت الجنازة واحتملها الناس - أو الرجال - على أعناقهم فان كانت سالحة قالت : قدمونى قدمونى ، وان كانت غير سالحة قالت : يا ويلها . . أين تذهبون بها ، يسمع صوتها كل شيء الا الانسان ولو سمعه صعق » (٢) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجنة أقرب الى أحدكم من شرك نعله ، والنار مثل ذلك » (٣) .



فلاحظ كل هذا ، مع الاحاطة بأن :

الخوف من مقام الله وحسابه يدعو الى المواظبة على العمل والعلم لتتال رتبة القرب من الله تعالى ، والخوف سوط الله تعالى يقوم به الشاردين عن بابه ، فمن خاف المقام بين يدي ربه يوم العرض ونهى النفس عن هواها وردھا عن غيھا فان الجنة هي المأوى ، وينبغى للمؤمن أن يكون كثير الفكر فيما بين يديه من الأهوال ، كثير المحاسبة لنفسه في عد نعم الله تعالى وعد جنائيات نفسه ليدوم بذلك خوفه ، فان الخوف اذا فارق القلب خرب والغالب على النفس الفتور والأمن والكسل عن الطاعات ، والميل الى الشهوات ودواء ذلك الخوف : فأمل من دام عليه الخوف حتى مال الى القنوط والاياس من رحمة الله تعالى فينبغى أن يداوى بالرجاء ويذكر سعة رحمة الله تعالى ، فمثال الخوف والرجاء كمثال الحرارة والبرودة ، فمن غلب عليه أحدهما حتى خيف عليه الانحراف والتلف يداوى بالآخر حتى يرجع الى حد الاعتدال .  
وفي الحديث : « . . . ولو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا » .  
وفائدة الخوف : التقوى والورع والمبادرة والاجتهاد ، فان مال الى حد يخرج عن حد الاعتدال وقع في القنوط ، وبطل العمل ، وذهبت

(٢) رواه البخارى .

(١) رواه مسلم .

(٣) رواه البخارى .

فائدة الخوف ، واذا دخل عليه الرجاء والطمع رده الى التقوى والورع ،  
والمطلوب التقوى ، وانما الخوف والرجاء طريقان •

\* \* \*

وحتى تعرف أهمية الخوف والرجاء وثمرة كل منهما اليك أيضا  
هذه الأحاديث الشريفة :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل على  
نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم  
وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » (١) تلاها رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشيا عليه فوضع النبي  
صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده (٢) فاذا هو يتحرك ، فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « يا فتى .. قل : لا اله الا الله » فقالها ،  
فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : يا رسول الله .. أمن بيننا (٣) ؟ قال :  
أو ما سمعتم قوله تعالى : « ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » (٤) •  
وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم  
فيما يروى عن ربه جل وعلا أنه قال : « وعزتى لا أجمع على عبدى  
خوفين ، اذا خافنى فى الدنيا أمنتى يوم القيامة ، واذا أمنتى فى الدنيا  
أخفتى فى الآخرة » (٥) •

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
« يقول الله عز وجل (٦) : أخرجوا من النار من ذكرنى يوما ، أو خافنى  
فى مقام » (٧) •

وعن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« ان رجلا كان قبلكم رغبه (٨) الله مالا ، فقال لبنيه لما حضر (٩) :  
أى أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب ، قال : فاننى لم أعمل خيرا قط •

(١) التحريم : ٦

(٢) ليرى هل فارق الحياة ام لايزال حيا .

(٣) أى اتبشره من بيننا بالجنة وتخسه بذلك .

(٤) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد — والاية من سورة ابراهيم : ١٤ .

(٥) رواه ابن حبان فى صحيحه . (٦) والخطاب للملائكة .

(٧) رواه الترمذى والبيهقى ، وقال الترمذى : حديث غريب .

(٨) الرغبس : هو النعمة والبركة والنماء .

(٩) أى لما حضرته الوفاة ، أو حضرته الملائكة لتقبض روحه .

فأذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني (١) ، ثم ذروني في ريح عاصف (٢) ففعلوا ، فجمعه الله ، فقال : ما حملك ؟ فقال : مخافتك ، فماتناه برحمته (٣) .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ثاب وهو في الموت (٤) فقال : « كيف تجدك » (٥) ؟ قال : أرجو الله يا رسول الله ، واني أخاف ذنوبي (٦) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه مما يخاف » (٧) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حسن الظن (٨) من حسن العبادة » (٩) .  
وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال :  
« والذي لا اله غيره لا يحسن عبد الظن بالله الا أعطاه ظنه ، وذلك بأن الخير في يده » (١٠) .



وهذا الحديث القدسي الذي يحدثنا الله سبحانه وتعالى فيه عن القضية الكبرى التي بينه وبين عباده من الجن والانس فيقول :  
« انى والجن والانس في نبأ عظيم : أخلق ويعبد غيرى ، وأرزق ويشكر سواى ، خيرى الى العباد نازل ، وشرهم الى صاعد ، أتقرب اليهم بنعمى وأنا البغنى عنهم ، ويتبغضون الى بالمعاصى وهم أفقر شىء الى ، من أقبل الى تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عنى ناديته من قريب ، فانى أحب التوابين وأحب المتطهرين .

- (١) اى دقوني دقانا عما . (٢) اى عاتية شديدة الهبوب .  
(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) اى وهو يمالج سكرات الموت .  
(٥) اى على اى حال انت اراج ام خائف ؟  
(٦) اى انه جمع بين الرجاء فى رحمة الله ومغفرته وبين الخوف من المؤاخذة على الذنب .  
(٧) رواه الترمذى وقال : حديث غريب ، وابن ماجه وابن ابى الدنيا كلهم من رواية جعفر بن سليمان الصيفى عن ثابت بن انس ، وقال الحافظ اسناده حسن .  
(٨) اى بالله تعالى والمسلمين .  
(٩) رواه ابو داود وابن حبان فى صحيحة واللفظ لهما والترمذى والحاكم ولفظهما قال : « حسن الظن من حسن العبادة » .  
(١٠) رواه الطبرانى موقوفاً ورواه رواة الصحيح .

أهل ذكرى أهل مجالستي ، وأهل طاعتي أهل مغفرتي وأهل  
مَعْصِيَتِي لا أَقْنِظُهُمْ مِنْ رَحْمَتِي ، فَان تَابُوا إِلَيَّ فَأَنَا حَبِيبُهُمْ ، وَإِنْ  
أَعْرَضُوا وَأَبَوْا فَأَنَا طَبِيبُهُمْ •

أَبْتَلِيهِمْ بِالْمَصَائِبِ لِأَظْهَرَهُمْ مِنَ الْمَعَائِبِ ، الْحَسَنَةُ عِنْدِي بِعَشْرَةِ  
أَمْثَالِهَا ، وَالسَّيِّئَةُ عِنْدِي بِوَاحِدَةٍ ، وَمَنْ اسْتَغْفَرَهَا غَفَرْتُهَا لَهُ ، وَأَنَا  
أَرْحَمُ بِعِبَادِي مِنَ الْوَالِدَةِ عَلَى وَلَدِهَا •

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، وكن عبدا مطيعا لله سبحانه وتعالى  
الذي كما رأيت يقابل الاساءة بالاحسان « هل جزاء الاحسان  
الإِاحسان » (١) •

وحسبك أنه سبحانه وتعالى يفتح لك باب توبته على مصراعيه ،  
ويرحب بعودتك اليه مهما كنت عاصيا ما دمت لا تشرك به سبحانه  
وتعالى شيئا •

واعلم أن الله سبحانه وتعالى ان عدت اليه واصطلحت معه سيغفر  
لك جميع ذنوبك وأخطائك بل وسيجل لك مكانها حسنات كما أشار الي  
هذا سبحانه وتعالى في قوله : « الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا  
فأؤتئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما » (٢) •

وقد ورد في الحديث الشريف : « اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة  
ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعامله من الأرض حتى يلقي الله وليس  
عليه شاهد بذنوبه » • فلا تنس كل هذا •

واحذر القنوط من رحمة الله تعالى •

وحسبك أن تقرأ دائما وأبدا قول الله تعالى : « قل يا عبادي  
الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ••• » (٣) •

ولا تيأس فان اليأس كفر وان الله مولانا جميل  
ولا تقطنن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل  
وتأمل كذلك هذه الآثار الموضوعية التي أرجو كذلك أن تنتفع بها :  
روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، قال لطائر : ليتنى مثلك  
يا طائر ولم أخلق بشرا •

وقال أبو ذر رضى الله عنه : وددت لو أنى شجرة تعضد • وكذلك قال طلحة عليهما رضوان الله •

وقال عثمان رضى الله عنه : وددت أنى إذا مت لم أبعث •  
وقالت عائشة رضى الله عنها : وددت أنى كنت نسيا منسيا •  
ومر سيدنا عمر رضى الله عنه بدار انسان وهو يصلى ويقرأ سورة ( الطور ) فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى : « ان عذاب ريك لواقع • ما له من دافع » (١) نزل عن حمارة ، واستند الى حائط ، ومكث زمانا ، ورجع الى منزله فمرض شهرا يعود الناس ولا يدرون ما مرضه • وهكذا كما رأيت كانوا مع ايمانهم وتقواهم يرجون رحمة الله ويخشون عذابه أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ورد أنه كان يقول كما ورد فى الصحيحين : « والله لأننا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية » •

\* \* \*

فكن من هؤلاء الذين يزجون رحمة الله عز وجل ويخشون عذابه فهو سبحانه « غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب » (٢) •

واياك أن تكون من الذين عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وان قوما ألهمهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » (٣) •

\* \* \*

واذكر دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى : « انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا • ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى • جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى » (٤) •

(٢) غافر: ٣

(١) الطور: ٧، ٨

(٣) أخرجه البخارى فى « التاريخ » •

(٤) طه: ٧٤ - ٧٦

و :

ان كنت أذنبت فقم واعتذر الى كريم يقبل الاعتذار  
وانهض الى مولى عظيم الرجا يغفر بالليل ذنوب النهار  
وليكن نصب عينيك دائما وأبدا قول الرسول صلى الله عليه وسلم  
الذى قاله في خطبته يوما : « ألا ان الدنيا عرض حاضر ، يأكل منه البر  
والفاجر ، ألا وان الآخرة أجل صادق ، ويقضى فيها ملك قادر • ألا وان  
الخير كله بحذاغيره في الجنة ، ألا وان الشر كله بحذاغيره في النار •  
ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، واعلموا أنكم معرضون على  
أعمالكم :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا  
يره » (١) •

\* \* \*

مع ملاحظة هذين الحديثين الشريفين :

عن عمر بن حصين قال : قال رجل : يا رسول الله • • أيعرف  
أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : « نعم » قال : فلم يعمل العاملون ؟  
قال : « كل يعمل لما خلق له - أو لما يسر له - » (٢) •

وعن على رضى الله عنه قال : كنا جلوسا مع النبي صلى الله  
عليه وسلم ومعه عود ينكت به في الأرض وقال : « ما منكم من أحد  
الا كتب مقعده من النار أو من الجنة » فقال رجل من القوم : ألا نتكل  
يا رسول الله ؟ قال : « لا ، اعملوا فكل ميسر » ثم قرأ : « فأما من  
أعطى واتقى • وصدق بالحسنى • فسنيسره لليسرى » (٣) •

\* \* \*

وتستطيع بعد وقوفك على كل هذا واقتناعك به ، وحرصك على  
تحقيقه وفهمه أن تقول مع القائل :

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم  
ان كان لا يرجوك الا محسن فمن الذى يدعو ويرجو المجرم  
أدعوك رب كما أمرت تضرعا فلتن رددت يدي فمن ذا يرحم  
مالى اليك وسيلة الا الرجا وجميل عفوك ثم انى مسلم  
حتى تموت وأنت تحسن الظن بالله تعالى •

(٢) رواه البخارى •

(١) رواه الشافعى •

(٣) رواه البخارى - والآية من سورة الليل : ٥ - ٧

# الرَّصِيَّةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا معشر الشباب .. من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فطليه بالصوم فانه له وجاء » .

(رواه البخارى ومسلم واللفظ له)

\* \* \*

فكن أخت الاسلام :

يا من يعينك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ولا سيما اذا كنت من الشباب (١) الذين لا زالوا في مقتبل العمر ، وفي كامل صحتهم وقوتهم ما دمت تستطيع القيام بواجب الزوجية من جميع الجوانب الحسية والمعنوية ، وهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ... من استطاع منكم الباءة فليتزوج » .

قال النووي : « معناه من استطاع منكم الجماع لقدرتة على مؤونته وهى مؤن النكاح فليتزوج ، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليقطع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء (٢) ، وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالبا .

والقول الثانى : أن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح . سميت باسم ما يلزمها وتقديره : من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم .

قالوا : والعاجز عن الجماع لا يحتاج الى الصوم لدفع الشهوة فوجب تأويل الباءة بالمؤن « اهـ » .

(١) الشباب من سن البلوغ الى الثلاثين تقريبا ، وانما خص الشباب لان الغالب وجود قوة لدواعي فيهم الى النكاح بخلاف الشيوخ .

(٢) الوجاء : رض عروق البيضتين حتى تنفخ فيكون شبيها بالخضاء ،

وحتى لا أطيل عليك : حسبك ترغيبا لك في الزواج الذى هو من سنن المرسلين كما جاء في الحديث الشريف :

عن أبى أيوب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع من سنن المرسلين <sup>(١)</sup> : الحناء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » وقال بعض الرواة : « الحياء » <sup>(٢)</sup> .

ومن خير متاع الدنيا بنص الحديث الشريف الذى رواه :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا متاع <sup>(٣)</sup> ، وخير متاعها المرأة الصالحة » <sup>(٤)</sup> .

والمرأة الصالحة هى كما ورد في الحديث الشريف : « من إذا نظر إليها المرء سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا أقسم عليها أبرته ، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وفي ماله » .



وحسبك ترغيبا لك في هذا الخير الذى أنت من أفقر الناس اليه أن تقرأ قول الله تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا <sup>(٥)</sup> اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » <sup>(٦)</sup> .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا من زوجة

(١) أى من طريقتهم وهديبهم .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب ، رواه الامام احمد

والبيهقى ، قال العلقمى : حسن .

(٣) المتاع : اسم لكل ما يتمتع به ، أى ينتفع ويتلذذ .

(٤) رواه مسلم والنسائى وابن ماجه .

(٥) الروم : ٢١

(٦) بيان لحكمة الزواج .



صالحة<sup>(١)</sup> ، ان أمرها أطاعته<sup>(٢)</sup> ، وان نظر اليها سرته<sup>(٣)</sup> ، وان أقسم عليها أبرته<sup>(٤)</sup> ، وان غاب عنها نصحته في نفسها وماله<sup>(٥)</sup> .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« أربع من أعطيهن ، فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : قلبا شاكرا ،  
ولسانا ذاكرا ، وبدنا على البلاء صابرا ، وزوجة لا تبغيه حوبا<sup>(٦)</sup>  
في نفسها<sup>(٧)</sup> وماله<sup>(٨)</sup> .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« من رزقه الله امرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر<sup>(٩)</sup> دينه فليتق  
الله في الشطر الباقي<sup>(١٠)</sup> .



وإذا أردت أن تكون موفقا في اختيار الزوجة التي تكون عوننا لك  
في دينك ودنياك فإليك هذه التوجيهات المحمدية :

(١) أى برة تقية عفيفة نقية عاقلة مهذبة كثيرة الشكر قليلة الشكوى  
رحيمة القلب ... الخ .

(٢) أى غيما لامعصية لله عز وجل فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

(٣) يعنى لا يقع نظره عليها الا ويحس بالسرور والفرح . فهى دائمة  
الابتسام نظيفة البدن والثياب جميلة الحركات .

(٤) أى أبرت يمينه ولم توقعه في الحنث .

(٥) ونصحتها له في نفسها ان لا تخرج من بيتها بما دام غائبا

الا لضرورة وان لا تسمح لأحد من الرجال بالدخول عليها وان لا توطئ  
فرائشه من يكره ، وان تكون على الحال التي يحبها منها ونصحتها له في  
ماله ان تجتهد في حفظه وتميمته وان لا تنفق منه الا بقدر حاجتها بلا تبذير  
ولا تقتير . رواه ابن ماجه عن على بن زيد من طريق ضعيف .

(٦) أى اثما . (٧) بأن تمكن غيره من الزنا بها .

(٨) بأن تتصرف فيه بما لا يرضيه . رواه الطبرانى في « الكبير

والأوسط » واسناد أحدهما جيد .

(٩) أى على نصفه .

(١٠) رواه الطبرانى في « الأوسط » والحاكم . ومن طريقه البيهقى

وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة على احدى خصال<sup>(١)</sup> : لجمالها ، ومالها ، وخلقها ، ودينها • فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك »<sup>(٢)</sup> •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع<sup>(٣)</sup> : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين<sup>(٤)</sup> تربت يداك »<sup>(٥)</sup> •



مع ملاحظة هذه الأحاديث :

عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله الا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزد الله الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغيض بصره ويحصن فرجه ، أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه »<sup>(٦)</sup> •

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن<sup>(٧)</sup> ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء<sup>(٨)</sup> سوداء ذات دين أفضل »<sup>(٩)</sup> •

- 
- (١) يعنى أن التى يرغب الرجال فى نكاحها واحدة من هذه الخصال .
  - (٢) أى الزمها واطفر بها فهى خير لك من ذات الحسب والمال والجمال .
  - رواه أحمد بإسناد صحيح ، والبزار ، وأبو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه .
  - (٣) أى لأجل أربع خصال حسب عادة الناس .
  - (٤) أى اخترها وآثرها على من سواها .
  - (٥) تربت يداك : أى افترقتا والتصقتا بالتراب ان لم تفعل ، وهى جملة دعائية . رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى وابن ماجه .
  - (٦) رواه الطبرانى فى الأوسط .
  - (٧) أى يجلب لهن الشقاء والهلاك .
  - (٨) أى مثقوبة الأذن .
  - (٩) رواه ابن ماجه .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انى أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال ، الا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟

فنهاه ، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك • ثم أتاه الثالثة فقال له : « تزوجوا الودود الولود <sup>(١)</sup> ، فانى مكاتربكم الأمم » <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وحتى لا تخطب على خطبة الغير فتكون من « الذين يؤنون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا » <sup>(٣)</sup> وتكون من المعتدين ، اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن عبد الرحمن بن شماسه : أنه سمع عقبه بن عامر على المنبر يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن أخو المؤمن ، لا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر » <sup>(٤)</sup> .

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه الا أن يأذن له » <sup>(٥)</sup> .  
وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع حاضر لباد ، أو يتناجشوا ، أو يخطب الرجل على خطبة أخيه ، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفى <sup>(٦)</sup> ما فى أناثها — أو ما فى صحفتها — زاد عمرو فى رواية : ولا يسم الرجل على سوم أخيه <sup>(٧)</sup> .

هذا : والزواج كما ذكر الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة عليه رحمة الله فى كتابه « الأحوال الشخصية » وباختصار وتصرف : يعرفه بعض الفقهاء بأنه عقد يفيد حل استمتاع كل من العاقدين بالآخر على المشروع ، ويعرفه صاحب « الكنز » بأنه عقد يُرد على ملك المتعة قصدا •

(١) الودود : أى كثيرة الود لزوجها . والولود : أى الكثيرة الولادة .

(٢) مكاتر الأمم : أى مفاخرهم ومباهيهم بكثرتكم . رواه أبو داود

والنسائى والحاكم واللفظه وقال : صحيح الإسناد .

(٣) الأحزاب : ٥٨ (٤ ، ٥) رواه مسلم .

(٦) كناية عن أخذ ما عندها من الزوج وخيراته .

(٧) رواه مسلم .

والتعريفان - كما يقول - متقاربان في المعنى ، وللفقهاء تعريفات أخرى كلها تدور حول هذا المعنى ، وان اختلف التعبير ، وهي تؤدي في جملةا الى أن موضوع عقد الزواج هو : امتلاك المتعة على الوجه المشروع والى أن الغرض منه في عرف الناس والشرع هو جعل هذه المتعة حلالا . . ولكن ليست هي كل أغراضه ، ولا أسمى أغراضه في نظر الشارع الاسلامي بل ان غرضه الأسمى هو التناسل وحفظ النوع الانساني ، وأن يجدد كل من العاقدين في صاحبه الأناض الروحي الذي يؤلف الله تعالى به بينهما وتكون به الراحة وسط متاع الحياة وشدائدها ، ولذلك قال تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (١) ولعل التعريف الموضح لذلك أن نقول : « انه عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة ، وتعاونهما ، ويحدد ما لكلينهما من حقوق وما عليه من واجبات » .

وحكمته : في الاسلام ليس هو قضاء الوطر الجنسي ، بل الغرض أسمى من ذلك ، ولهذا اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم سنة الاسلام فقال : « وان من سنتنا النكاح » .

وما كان الزواج سنة الاسلام ، لأن فيه قضاء الطبع الجنسي فقط بل لمعان اجتماعية ونفسية ودينية ، منها : أن الزواج هو عماد الأسرة الثابتة التي تلتقى الحقوق والواجبات فيها بتقديس ديني ، يشعر الشخص فيه بأن الزواج رابطة مقدسة ، تملو بها انسانيته ، وتسمو به عن دركة الحيوانية التي تكون العلاقة بين الأنثى والذكر فيها هي الشهوة البهيمية فقط .

وهو العماد الأول للأسرة التي هي الوحدة الأولى لبناء المجتمع الذي يتكون من الأسرة التي ان كانت قوية كان المجتمع بها قويا .

وهو السبيل الى حفظ النوع الانساني الكامل الذي يسير في مدارج الرقي والذي لا يتحقق الا بالزواج الذي يشكل الحياة الانسانية الرفيعة ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث على طلب النسل بالزواج كما جاء في هذا الحديث الذي رواه معقل بن يسار ، والذي يقول فيه : ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أصبت

امرأة ذات حسن وجمال وحسب ومنصب ومال ، الا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية ، فقال مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة . فقال : « تزوجوا الودود الودود ، فإني مكاثربكم الأمم » (١) .

وهو الراحة الحقيقية للرجل والمرأة على سواء اذ أن المرأة تجد فيه من يكفل لها الرزق ، فتعكف على البيت ترعاه وعلى الأولاد تربيهم .

ومن أجل كل هذه المعاني العظيمة حث رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم على الزواج ورغب فيه كما قرأت سابقا ولا سيما بالنسبة للشباب .

كما نهى عن التبطل وهو عدم الزواج واعتبر هذا خروجا عن سنته .

فعن أنس رضى الله عنه أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم : لا أتزوج ، وقال بعضهم : أصلى ولا أنام ، وقال بعضهم : أصوم ولا أفطر ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٢) .

وروى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التبطل ثم قرأ قتادة : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا ونرى » (٣) .

والوصف الشرعى للزواج يختلف باختلاف حال المكلف من حيث قدرته على القيام بواجباته ومن حيث خشيته الوقوع فى الفاحشة .

فيكون فرضا اذا كان المكلف يتأكد الوقوع فى الزنا اذا لم يتزوج ، وهو قادر على كل نفقات الزواج ، ويعدل مع أهله ان يتزوج .

ويكون واجبا اذا كان المكلف قادرا على تكاليف الزواج واقامة العدل مع أهله ، ويغلب على ظنه الوقوع فى الزنا ان لم يتزوج ، والالزام فى هذه الحالة دون الزام فى الحالة السابقة .

ويكون حراما اذا كان المكلف غير قادر على نفقات الزواج أو يقع فى الظلم قطعا ان يتزوج .

(٢) من حديث رواه البخارى .

(١) كما قرأت سابقا .

(٣) الرعد : ٣٨

ويكون مكروها اذا كان المكلف يغلب على ظنه أنه يقع في الظلم  
ان تزوج •

واذا كان الشخص في حال اعتدال لا يقع في الزنا ان لم يتزوج  
ولا يخشاه ، ولا يقع في الظلم ولا يخشاه ، فان فقهاء الحنفية يرون  
مع جمهور الفقهاء أن الزواج في هذه الحال يكون مندوبا ، أى أنه يكون  
سنة يحسن فعله ولا يأثم ان لم يفعل •

والحقيقة أن هذه الحالة هي الأصل ، وغيرها أمور عارضة ، ولذلك  
قرر فقهاء الحنفية أن الأصل في النكاح أنه سنة أو مندوب أو مستحب  
على اختلاف العبارات الواردة في الكتب ، وكلها بمعنى واحد تقريبا ،  
والفرضية والوجوب والكراهية والتحریم تجيء لأمر نفسية عارضة  
ترفع النكاح الى مرتبة اللزوم ، أو تنزل به الى درجة المحرم •

وقبل أن نقف على انشاء عقد الزواج وشروطه هناك مقدمات  
للعقد لابد أن نقف عليها كذلك وهي ما يسمى في لسان الشارع : بالخطبة  
وهي طلب الرجل يد امرأة معينة للتزوج بها ، والتقدم اليها أو الى  
ذويها ببيان حاله ، ومفاوضتهم في أمر العقد ، ومطالبه ومطالبهم بشأنه ،  
فقد قيل :

يجب لسلامة هذه الخطبة أن يكون كلا العاقدین على علم قاطع ،  
أو ظن راجح بحال العاقد الآخر وما عليه من عادات وأخلاق ، ليكون  
العقد على أساس صحيح ، وتكون العشرة التي يحلها مرجوة الصلاح  
والبقاء ، ومعرفة ذلك تكون مما يعطى علما قاطعا ، أو ظنا راجحا •

ويجب أيضا أن يكون على علم بخلق الطرف الآخر وتكوينه  
الجسمي ، ويتم ذلك العلم بالرؤية ، وهي أجدي طريق للمعرفة ،  
ولذلك أباح الشارع الاسلامي للرجل أن ينظر الى من يريد الزواج  
منها ، بل حيب الى ذلك ، وندب اليه •

ويروى في ذلك أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة ليتزوجها فقال  
له النبي صلى الله عليه وسلم : « أنظرت اليها » ؟ قال : لا ، فقال  
عليه الصلاة والسلام : « انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » •

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا خطب أحدكم  
امرأة فان استطاع أن ينظر منها ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » •

والقدر الذى يباح النظر اليه هو الوجه ، والكفان ، والقدمان ، ولا يتجاوز ذلك عند الحنفية ، والاقتصار عليه فيه الكفاية لمن يريد معرفة خلقها وروحها •

وقد أجاز بعض الأئمة تجاوز ذلك القدر ، ومنع بعض الأئمة النظر الى القدمين واليدين ، ومذهب الحنفية هو الوسط •

وقد اتفق الفقهاء على أن رؤية الخاطب لمخطوبته لا تكون فى خلوة ، لأن الخلوة بين الرجل والمرأة حرام ، ولم يرد من الشارع ما يبيحها لأجل الخطبة ، فبقى النهى العام قائماً • فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يخلون رجل بامرأة فان ثالثهما الشيطان » والرؤية تكون عند الخطبة •

وقد روى أن الشافعى رضى الله عنه يفضل أن تكون الرؤية قبل الخطبة عند نية الزواج من هذه المرأة ، حتى اذا أنتجت الرؤية اقداما أقدم ، وان أنتجت احكاما لم يكن فى ذلك ايذاء لها ، ولا حرج لأسرتها ، والرؤية قبل الخطبة برؤيتها خفية ، أو فجأة من غير أن تعلم أو يعلم ذووها بنية الزواج التى يخفيها ، ولذلك الاستحسان مكانة من اللياقة والعرف ، والخلق الكريم يرضاه ويؤيده • وعن جابر أنه قال : « خطبت امرأة فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعانى الى نكاحها فتزوجتها » •

وهذا المنهاج الذى سنه الشارع الاسلامى هو المنهاج السليم اذ أجاز للخاطب أن يرى المخطوبة ، وفى غير خلوة ، وذلك المسلك هو الوسط بين مغالاة المتشددى فى التستر الذين حرّموا على الخاطب كل سبيل لأن يلقى على مخطوبته نظرة قبل أن تترف اليه مكتفين بوصف الواصفات اللائى يبالغن فى الاستحسان أو الاستهجان ، وبين اسراف الذين تغالوا فأباحوا للرجل أن يصطحب مخطوبته فى الغدوات والروحات ، وفى الحدائق والملاهى ، فى النهار وفى طرف من الليل ، وكشفوا للخاطب كل أستار البيت ، وأزالوا من بين يديه الحجب ، فكانت النتائج خطيرة ان لم يتم الزواج •

وقد زعم هؤلاء المسرفون أن الذى يدفع الى سلوك ذلك المسلك أو قبوله هو تسهيل التعارف التام بين الخاطب والمخطوبة ، فيعرف كل واحد منهما صاحبه على حقيقته ، ويقدم على بيينة ، وهذا زعم باطل ، لأن الخاطب مهما يدم اختلاطه بمخطوبته لا يستطيع أن يعرف

طباعها ، ولا تستطيع أن تعرف حقيقة طباعه ، لأن كليهما يتكلف لصاحبه . ما ليس في طبعه ، ويكسو نفسه من المظاهر ما ليس من عاداته ، والتحرى عن الأخلاق ، والطباع والعادات بالسؤال والبحث أهدى سبيلا ، وان لكل أسرة عادات وتقاليد مشهورة معروفة تغنى معرفتها أحيانا عن غيرها من أسباب المعرفة ، وتعجبني في ذلك كلمة الدهلوى في « حجة الله البالغة » : « يستحب أن تكون المرأة من كورة وقبيلة وعادات نساءها سالحة ، فان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، وعادات القوم ورسومهم غالبية على الانسان ، بمنزلة الأمر المبول عليه » (١) .



ثم يقول عليه رحمة الله :

والخطبة كما علمنا مقدمة لعقد الزواج ، ولذلك لا تباح خطبة امرأة الا اذا كانت سالحة لأن تكون زوجة في الحال ، حتى يمكن أن يتم العقد لأنها وسيلة لغاية هي الزواج ، فان كانت الغاية ممنوعة فالوسيلة غير جائزة ولذلك اشترط الفقهاء لباحة الخطبة :

« ألا تكون محرمة على الرجل حرمة مؤبدة ، ولا حرمة مؤقتة ، فلا يجوز له أن يخطب ذات زوج بحال من الأحوال ، لأنها محرمة عليه ما دامت زوجة ، ولأن خطبتها اعتداء على حق الزوج .  
وتحرم خطبة المعتدة من طلاق رجعي باتفاق الفقهاء ، لا بطريق التصريح ، ولا بطريق التعريض ، لأن المطلقة طلاقا رجعيا زوجيتها قائمة . وحقوق الزوج عليها ثابتة ما دامت في العدة ، فله مراجعتها من غير تراض في أى وقت شاء ، فخطبتها كخطبة الزوجة تماما ، فتكون حراما من كل الوجوه .

والمعتدة من وفاة تجوز خطبتها تعريضا لا تصريحيا ، لقوله تعالى :  
« ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » (٢) .  
وظاهر الآية أنها للمتوفى عنها زوجها ، لأنها جاءت عقب قوله تعالى :

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر

(١) هكذا في كتاب « الاحوال الشخصية » للشيخ أبى زهرة ، بتصرف .

(٢) البقرة : ٢٣٥



وعشرا» (١) فكان التعريض جائزا بهذا النص الكريم والتصريح على أصل المنع .

والفرق بين التعريض والتصريح ، أن التصريح أن يذكر لفظا يدل على ارادة الخطبة من غير احتمال لسواها ، والتعريض ذكر الخطبة بلفظ يحتمل الخطبة ويحتمل غيرها ، ويكون ظاهره في سواها وان كانت رغبة الخطبة تكشف عنها اشارات القول .

ولنذكر مثلا كان لخطبة بالتعريض : فانه يروى أن سكينه بنت حنظلة قالت : استأذن على محمد بن علي بن الحسين ، ولم تنقض عدتي من مهلك زوجي ، فقال : قد عرفت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرابتي من علي وموضعي في العرب . قلت : غفر الله لك يا أبا جعفر ، انك رجل يؤخذ عنك ، تخطبني في عدتي؟! قال : انما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرابتي من علي .

ألا ترى من ذلك التعريض الرائق وضوح الغرض ، وهو الخطبة مع أن ظاهر اللفظ لسواها ، ولذلك استطاع رضى الله عنه أن يتنصل من تبعة القول سريعا ، خشية أن يتحول التعريض الى تصريح .

ولا تجوز خطبة المعتدة من وفاة تصريحا ، لأن الجواز الذى جاء به النص مقصور على التعريض ، فكان التصريح على أصل المنع ، لعدم امكان العقد في الحال ، ولأن التصريح قد يوغر صدور أولياء الميت ، فلا يسوغ .

والمعتدة من طلاق بائن لا تجوز خطبتها قبل انتهاء العدة ، لا تصريحا ولا تعريضا ، لأن جواز التعريض جاء في المتوفى عنها زوجها ، دون سواها ، فالباقي على أصل المنع .

والفرق بين حال المعتدة من وفاة ، والمعتدة من طلاق بائن يوجب هذه التفارقة ، إذ أن المعتدة من طلاق عدتها بالحيف غالبا ، فاذا طمعت في التعريض بالخطبة ربما دفعها الطمع الى الخيانة ، فتعلن أن العدة قد انتهت ، وهي لم تنته ، والقول قولها في اخبارها بانتهاء العدة ، وليس لأحد سبيل الى تكذيبها ما دام في الامكان تصديقها ، أما المعتدة

من وفاة ، فان عدتها بالأشهر ، وهي تعرف بالحساب والكتاب ، فلا سبيل الى الخيانة والكذب لتعجل انهاءها ، والخطبة تقتضى الرؤية ، ولا سبيل الى رؤية المعتدة من طلاق بائن لالتزامها منزل الزوجية ، فهي لا تخرج ، ولا يدخل عليها أحد من غير اذن مطلقها ، والمعتدة من وفاة لا تلزم منزل الزوجية ، والمطلقة بائنا تحتمل العودة الى زوجها بعقد ومهر جديدين فى بعض الأحوال ، وعودة الزوجية فى حال الوفاة مستحيلة فلا اعتداء فى خطبتها على أحد ، بينما ثمة نوع اعتداء فى خطبة المعتدة من طلاق بائن (١) .

والخطبة ليست عقدا قد التزم فيه طرفاه التزامات لها قوة الالزام ، ولكن أقصى ما تؤديه الخطبة اذا تمت أن تكون وعدا بعقد ، وليس للوعد بعقد قوة الزام عند جمهور الفقهاء ، خلافا للامام مالك فى بعض أقواله :

فالوعد عند الامام رضى الله عنه ، فيه أربعة أقوال : ( أولها ) أنه لا الزام فيه ، ولا يقضى بمقتضاه بشيء ، سواء أكان الوعد سببا للدخول فى شيء أو ترك شيء ترتبت عليه التزامات أو مغارم أو لم يكن . ( الثانى ) أن الوعد ملزم ويقضى به فى كل الأحوال ، وهذا مقابل القول الأول . ( الثالث ) أنه يجب الوفاء بالوعد الذى يكون سببا لأمر لا يستطيع من بذل له الوعد القيام به ، بدون تحقيق الوعد ، كمن يعد شخصا بأن يعطيه مقدارا من المال ليسد ما عليه من دين ، فانه يقضى بالوفاء ، لأن المدين والدائن كلاهما اعتمد على بذل الوعد . ( الرابع ) أنه يجب الوفاء اذا كان الوعد له سببا للتصرف ، ودخل من بذل الوعد فى التصرف بسبب ذلك الوعد ، كمن يقول لشخص : اشتر هذه الأرض ، وأنا أدفع تكاليف البناء ، فانه يجب الوفاء اذا اشترى » (٢) .

واذا لم تكن فى الخطبة قوة الالزام لأحد الطرفين ، فلكل منهما أن يرجع عن قوله ، وان فعل فهو يستعمل خالص حقه ، وليس لأحد عليه من سبيل .

(١) ما ذكره مذهب الحنفية وعليه جمهور الفقهاء .

(٢) راجع الالتزامات للحطاب .

والمصلحة توجب أن يكون كلا طرفي عقد الزواج له الحرية التامة قبل إبرامه • لأنه عقد الحياة ، ومن المصلحة التروى وترديد الأمر فيه ، حتى اذا كان ذلك برضا صحيح كامل لم تشبه شائبة (١) •

مع ملاحظة : أن هدايا الخطبة ليست من حق الخاطب اذا كان العدول من جانبه •

وله أن يرجع بما قدمه من هدايا عينا ، أو قيمتها نقدا وقت الشراء اذا هلكت أو استهلكت ، وذلك اذا كان العدول من الطرف الآخر •

واذا اشترت المرأة بالمهر جهازا أو ببعضه ، ثم عدل الخاطب فللمرأة الخيار بين رد المهر نقدا ، أو تسليم ما يساويه من الجهاز وقت الشراء •

أما بالنسبة للمهر ففى حالة العدول عن الخطبة يكون للخاطب أن يرجع بما آداه من مهر لأن المهر حكم من أحكام الزواج ، ولم يتم الزواج ، فلا يستحق ، ويرد بذاته ان كان قائما ، وبمثله أو قيمته ان هلك أو استهلك (٢) •

وأما انشاء عقد الزواج : فانه لا ينعقد عقد الزواج الا بالايجاب والقبول ، وشروط انعقاده هى الشروط التى يجب تحقيقها عند انشاء كل عقد وهى :

ألا يكون أحد العاقدين فاقد الأهلية فان كان أحد العاقدين كذلك فعبارته ملغاة لا أثر لها ، ولا ارتباط ينشأ بوجودها ، وناقص الأهلية يصح عقده الزواج بالنيابة عن غيره ، وعقده لنفسه موقوف على اجازة من له حق الاجازة ، وكامل الأهلية هنا ، ولذلك يصح وينفذ عقد زواجه ، اذا لا حجر عليه فى الزواج وآثاره •

وأن يكون الايجاب والقبول فى مجلس واحد فلو تفرقت المجالس بعد الايجاب وقبل القبول بطل الايجاب •

(١) راجع « الاحوال الشخصية » لآبى زهرة ص ٣٦

(٢) راجع « الاحوال الشخصية » ص ٣٨ حتى تقف على اقوال الائمة

بتوسع وكذلك نص المادة ١٨

وألا يرجع الموجب في ايجابه قبل قبول الآخر لأنه اذا رجع الموجب في ايجابه قبل القبول ألغى الايجاب ، فاذا جاء القبول بعد ذلك جاء على غير ايجاب ، ويجوز للموجب الرجوع في الايجاب ما دام لم يرتبط بقبول ، لأن الالتزام لا يتم قبل الارتباط بين ركني العقد • وهما الايجاب والقبول ، واذا لم يتم الالتزام فلا الزام لأحد ، فللموجب أن يرجع •

وألا يصدر عن العاقد الثاني بعد الايجاب ما يدل على الاعراض كالفصل بكلام أجنبي ، فان الفصل بكلام أجنبي اعراض عن الايجاب ورفض فان قبل بعد ذلك ، فقد ورد القبول على غير ايجاب ، فلا يلتفت اليه •

هذا ويلاحظ أن الايجاب ان كان برسالة رسول ، أو بكتاب مكتوب فالقبول مقيد بمجلس تبليغ الرسالة أو وصول الكتاب اذا كان الشهود حاضرين وقت وصول الرسالة ، فاذا انفصل عن المجلس من غير قبول ، فلا يعتبر قبوله بعد ذلك •

وموافقة القبول للايجاب ، ولو ضمنا : كأن تقول : تزوجتك على مهر قدره مائة ، فيقول : قبلت بمائتين • فان العقد يصح ، وتلزم المائة الثانية اذا قبلتها ، واذا قال : تزوجتك على مائة ، فقالت : قبلت على خمسين ، صح العقد وحط من المهر • واذا لم يرد الحط ، وذكر المهر في العقد يجعل العقد غير صحيح اذا لم يقبل المهر ولو ضمنا ، واذا لم يذكر يصح العقد من غير بيانه •

وعقد الزواج لا ينعقد الا بالألفاظ الدالة عليه سواء أكانت حقيقة لغوية في دلالتها عليه أم كانت مجازا مشهورا وصل الى درجة الحقيقة اللغوية ، أم كانت مجازا وضحت فيه القرينة ، واستبان المعنى بها ، حتى صار الكلام صريحا في ارادة الزواج •

وقد اختلف العلماء في هذا تضييقا وتوسعة ، وقد اتفقوا على أن الزواج ينعقد بلفظ النكاح ، ولفظ الزواج ، واختلفوا فيما عدا ذلك •

واذا كان أحد العاقدين لا يستطيع الكلام فقد اتفق الفقهاء على جواز عقده بالاشارة المفهمة لمعنى الزواج اذا كان لا يحسن الكتابة ، لأن الاشارة أقصى طرق التعبير بياننا عنده •

وإذا كان يحسن الكتابة ففي المذهب الحنفي روايتان أحدهما ،  
وهي رواية الأصل : أنه لا يصح عقده بالاشارة ، لأن الكتابة أبين دلالة  
من الاشارة •

ومن يستطيع الأعلى لا يقبل منه الأدنى ، فلا يقبل منه العقد  
بالاشارة وقد اختار هذه الرواية جمع من المحققين ، وهي معقولة  
في ذاتها •

وعلى رواية الجامع الصغير يصح عقده بالاشارة ، لأن الأصل  
في العقد أن يكون بالخطاب ، فإذا عجز عنه استعين بغيره من أنواع  
الدلالات ، فكانت الكتابة والاشارة سواء •

\* \* \*

ويشترط في صيغة الزواج أن تكون بلفظين أحدهما للماضي ،  
والآخر للمستقبل ، وأن تكون منجزة ، غير معلقة ولا مضافة الى  
المستقبل •

\* \* \*

وتنقسم شروط الزواج الى ثلاثة أقسام : شروط صحة ، وشروط  
نفاذ ، وشروط لزوم •

أما شروط الصحة فهي التي لا يعتبر العقد بغيرها موجودا وجودا  
يحترمه الشارع وتثبت فيه الأحكام التي ناطها بالعقد •  
وشروط النفاذ هي الشروط التي لا تنفذ أحكام العقد على كلا عاقديه  
بغير وجودها ، ويستمر العقد موقوفا اذا لم تتوافر هذه الشروط ،  
حتى تكون الاجازة ، فيكون النفاذ •

وشروط اللزوم هي الشروط التي لا يلزم العقد كلا طرفيه  
ألا بوجودها وبغيرها يكون لأحد العاقدين أن يفسخ العقد •

\* \* \*

ويشترط لصحة الزواج شرطان :  
( أحدهما ) حضور الشاهدين ( ثانيهما ) أن تكون المرأة محلا  
للعقد ، بأن تكون غير محرمة على الرجل مؤقتا أو مؤبدا •

أما شرط الشهادة فقد اتفق فقهاء المسلمين في كل العصور على  
أن الغاية منه شهر الزواج واعلانه بين الناس • كما وردت بذلك الآذان ،

وكما تعارف الناس من وقت أن عرفوا شريعة الزواج الى الآن ، ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أعلنوا النكاح ، ولو بالدف » وكما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « لا يجوز نكاح السر ، حتى يعلن ويشهد عليه » .

ولكن هل تعتبر شهادة اثنين كافية للإعلان من غير حاجة الى اعلان غيرها . ولو تواسيا بالكتمان ؟ ان الأقوال في ذلك ثلاثة :

القول الأول : هو قول أبي حنيفة : ان الشهادة وحدها هي الاعلان ولو تواسى الشاهدان بالكتمان ، وهذا رأى بعض الفقهاء ، وحجتهم ما استفاض من الأخبار من اشتراط الشهود ، وتعيينهم طريقا للإعلان وحدهم ، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا نكاح الا بشهود » وروت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا نكاح الا بولى وشاهدى عدل ، فان تشاجروا فالسلطان ولى من لا ولى له » .

وذلك لأنه بحضور الشاهدين مع العاقدين يتحقق معنى الجهر والاعلان ولو تواسوا بالكتمان لأن السر لا يكون بين أربعة ، بل هو الجهر ولذلك يقول القائل :

وسرك ما كان عند امرىء وسر الثلاثة غير الخفى

واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نفى النكاح من غير شهود فهذا دليل على أن الشهادة أمر لا بد منه وأنها كافية للإعلان .

القول الثانى : وهو المشهور عند مالك أن الشهادة ليست شرطاً لانشاء العقد مطلق الاعلان . والشهادة شرط لحل الدخول ، أى أنها ليست شرطاً للانعتاد ، ولكنها شرط لترتب الآثار ، والشهادة وحدها لا تكفى للإعلان وأن الشاهدين اذا تواسيا بالكتمان لا ينشأ العقد ، بل لا بد من توافر الاعلان للانعتاد ، ثم تتعين الشهادة لترتيب الآثار .

القول الثالث : أن الاعلان وحده كاف لانشاء العقد من غير حاجة مطلقاً الى تعيين الشهادة حدا مرسوما للإعلان ، ومن غير اشتراطها لترتيب الآثار ، لأن القصد هو الاعلان ، وهو فرق ما بين النكاح

وهذا قول عند مالك رضى الله عنه ، وقول أحمد رضى الله عنه ،  
ولكن المشهور عن أحمد أنه مع الجمهور .

\* \* \*

ويشترط لنفاذ العقد أن يكون الذى تولى انشاءه له ولاية  
انشائه . فاذا كان الذى تولى عقد الزواج كامل الأهلية وعقد لنفسه  
فعقده صحيح نافذ ، وكذلك اذا عقد لمن هو فى ولايته ، أو من وكله فى  
انشاء العقد ففى كل هذه الأحوال كانت له ولاية الانشاء بالأصالة فى  
الأولى وبالولاية الشرعية فى الثانية ، وبالوكالة فى الثالثة .

وإذا لم يكن للعاقد ولاية الانشاء ، اما لأنه ليس كامل الأهلية ،  
أو لأنه كامل الأهلية ، ولكن عقد لغيره من غير اناة بحكم الشارع  
أو بغير توكيل صاحب الشأن فان العقد لا يكون نافذا ، بل يكون  
موقوفا ، ولذلك يشترط فى النفاذ أن يكون العاقد بالغا عاقلا ، يعقد  
لنفسه ، ولن هو فى ولايته أو لمن وكله ، فاذا كان العاقد ناقص الأهلية  
فعقده موقوف ، وكذلك اذا عقد كامل الأهلية من غيره بغير اناة  
يكون فضوليا ويكون عقده موقوفا على اجازة غيره .

هذا ويلاحظ أمران : ( أحدهما ) أنه لا يشترط فى نفاذ العقد  
الرشد ، فيصح عقد الزواج وينفذ من السفیه ، ولو كان محجورا  
عليه ، وكذلك ذو الغفلة ، وذلك لأن موضع الحجر فى السفیه وذى الغفلة  
هو التصرفات المالية .

وأما التصرفات الشخصية فليست موضع حجر ، فيجوز الزواج ،  
ولكن لا يثبت من المهر أكثر من مهر المثل ، اذا كان السفیه هو الزوج ،  
ويثبت لها مهر مثلها على الأقل اذا كان السفیه هو الزوجة .

( الأمر الثانى ) أن مذهب أبى حنيفة ورواية عن أبى يوسف  
فى المرأة لها كامل الولاية فى شأن زواجها ، وليس لأحد عليها ولاية  
الاجبار ما دامت بالغة عاقلة ، كما أن العقد يصح بعبارتها وينشأ ،  
وان كان الأحب والأحسن أن توكل عنها وليها العاصب فى شأن زواجها .  
وجمهور الفقهاء على أن المرأة ليس لها أن تزوج نفسها بنفسها ،  
وأن العقد لا ينشأ بعبارة النساء ، وان لم يكن للولى عليها ولاية  
الاجبار ، فهو يشترك معها فى اختيار زوجها وهو يتولى مباشرة العقد .

\* \* \*

وعقد الزواج عقد لازم في أصل حقيقته ليس لأحد أن ينفرد بفسخه ، ونقصد بفسخه نقض العقد من أصله ، والطلاق ليس نقضا للعقد من أصله ، بل هو انهاء لأحكامه ، وهو من الحقوق التي يملكها الزوج بمقتضى العقد لا باعتبار أن ذلك فسخ ونقض للعقد ... الخ .

\* \* \*

والمحرمات عليك قسمان :

محرمات على وجه التأييد لا يحل للرجل أن يتزوج بهن أبدا ، وهن اللاتي كان سبب تحريمهن وصفا غير قابل للزوال كالبنوة والأخوة ، والعمومة ... وهكذا .

ومحرمات تحريما مؤقتا ، وهن اللاتي :

يكون سبب تحريمهن أمرا قابلا للزوال فيكون التحريم ما بقي ذلك الأمر ، ككونها زوجة للغير ، وكونها مشركة ، أو كونه غير مسلم ، فان هذه أمور قابلة للزوال ، فان زالت زال التحريم .

والمحرمات على التأييد ثلاثة أنواع : محرمات بسبب القرابة ، ومحرمات بسبب المصاهرة ، ومحرمات بسبب الرضاعة .

فان هذه الأنواع الثلاثة تنشئ صلوات غير قابلة للزوال ، فيكون التحريم أيضا غير قابل للزوال .

\* \* \*

والمحرمات بسبب القرابة أربع شعب ، وهي :

( أ ) فروع الرجل من النساء وان نزلن ، فتحرم عليه بنته ، وبنت بنته ، وبنت ابنه ، وهكذا كل فرع يكون جزءا منه أو جزء مما يتصل به ذلك الاتصال .

( ب ) أصوله من النساء وان علون ، فأمه وجدته من جهة أبيه ، أو من جهة أمه جميعا من أصوله من النساء ، وهن حرام عليه ، اذ هو جزء منهن فكما حرم عليه جزءه ، فكذلك حرم عليه من هو جزءهن .

( ج ) فروع أبويه وان نزلن ، وفروع الأبوين هن الأخوات ، سواء أكن ثقيقات ، أم لأب ، أم لأم ، وفروع الاخوة والأخوات .



فيحرم على الرجل أخواته جميعا ، وأولاد أخواته وأخوته جميعا ،  
وقرؤهم مهما تكن الدرجة •

( د ) فروع الأجداد والجدة إذا انفصلن بدرجة واحدة ،  
فالعمات والخالات حرام عليه ، مهما تكن درجة الجد والجدة ، ولكن بنات  
الأعمام والأخوال والخالات والعمات حلال ، مهما بعد الجد أو الجدة  
التي تفرعن منها ، إذ المحرم من فروع الأجداد والجدة من ينفصل  
عن الأصل بدرجة واحدة •

وقد أجمعت الشرائع المنزلة على تحريم الزواج من المذكورات ••  
لأنه مشتق من الفطرة الانسانية ، بل بعض الحيوان العالى لا يأخذ  
أليفه من عشه أو وجاره ، إنما يسمى الى عش آخر أو وجار آخر •

\* \* \*

والمحرمات بسبب المصاهرة على التأبيد أربع شعب :

أولاهما : من كانت زوجة أصله ، وإن علا ذلك الأصل ، سواء أكان  
من العصبات كأبى الأب ، أم كان من ذوى الأرحام كأبى الأم  
وسواء أدخل بها الأصل أم لم يدخل •

الثانية : من كانت زوجة فرعه سواء أكان من العصبات كابن الابن ،  
أم ذوى الأرحام كابن البنت وسواء أدخل بها أم لم يدخل •  
الثالثة : أصول من كانت زوجته وإن علون ، سواء أدخل بزوجه  
أم لم يدخل •

الرابعة : فروع من كانت زوجته وإن نزلن ، ولكن يشترط الدخول  
بزوجه •

وقد وافقت الشرائع السماوية الشريعة الاسلامية فى التحريم  
بسبب المصاهرة فكان هذا دليلا على أن ذلك مشتق من الفطرة الانسانية •  
والحق أنه يتفق مع الطبع السليم ، فإن المرأة إذا اقترنت بالرجل صارت  
قطعة من نفسه ، وصار هو قطعة منها ، قال تعالى :

« هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لِهِنَّ » (١) • وإذا صارت جزءا  
لا ينفصل من نفسه كان منطق الزواج أن تكون أمها كأمه ، وابنتها

كأبنته ، وتحرم هي على أبيه كما يحرم على أمها ، إذ صار أبوه أباه .  
أيضا ، وتحرم على ابنه كما يحرم ابنها عليها ، وما باعدت الحق كثيرا  
الشرائع التي تسمى أبا الزوجة أبا للزوج ، وابنها ابنا له وأباه أبا لها . .  
وما جاوز الناس في عرفهم الطبيعة والحق إذا أطلقوا هذه  
الأسماء . . الخ .



ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب والمصاهرة . والمحرمات  
من الرضاع على ذلك شعب ثمان ، هي :  
أمهاته اللاتي أرضعنه ، وبعبارة عامة أصوله من الرضاعة ،  
سواء كن من جهة الأب أم من جهة الأم ، كأم من أرضعته ، وأم أبي من  
أرضعته ، وأم أبيه رضاعا . والأب الرضاعي هو زوج الأم الرضاعية  
الذي كان سبب اللبن الذي رضع منه الطفل ، فإذا كانت امرأة متروجة  
برجل أعقبت منه نسلا فوضع طفل من لبن ذلك النسل ، فهو ابن للزوج  
ولو كانت وقت الارضاع ليست زوجة لصاحب اللبن .

فروعه من الرضاع ، فتحرم عليه ابنته رضاعا ، وهي التي تكون  
قد رضعت من لبن كان هو سبب وجوده على ما بينا ، وابنة بنته من  
الرضاع وهي من أرضعتها ابنته الصلبية ، أو ابنته الرضاعية .  
فروع أبويه من الرضاع وان نزلن ، سواء أكانت صلتهم من جهة  
الأب أم جهة الأم ، فيشمل أخته الرضاعية التي أرضعتها أمه ، وفروعها  
ويشمل أخته التي رضعت من امرأة كانت زوجة لأبيه ، إذا رضعت  
من لبن كان أبوه سببه ، وفروعها كذلك .

ويحرم فروع أجداده ، إذا انفصلن بدرجة واحدة ، سواء أكن  
جدود من جهة الأم أم من جهة الأب كما بينا ، وسواء أكانت فروعهم  
طريق الاتصال بينه وبين الأب ، أم الأم .  
الأصول الرضاعية لزوجته ، فأما التي أرضعتها تحرم عليه ،  
وجدتها كذلك سواء أكانت أم أمها رضاعا أم أم أبيها . وسواء أدخل  
بزوجته أم لم يدخل ، لأن الرضاع في المصاهرة ، كالنسب فيها .  
فروع زوجته من الرضاع ان دخل بزوجته : فتحرم عليه ابنتها  
رضاعا ، وحفيدتها رضاعا ، سواء أكانت طريقها البنت ، أم كان طريقها  
الابن .

زوجة أصله الرضاعي : وأصله الرضاعي هو من كان أباً لمن أرضعته  
أو كان هو سبب اللبن الذي رضع منه •

زوجة فرعه : فتحرم عليه زوجة ابنه الرضاعي ، وهو الذي رضع  
من لبن كان هو سببه ، كما يحرم عليه زوجة ابن بنته الرضاعي ويشمل  
ابن بنته الصليبية التي أرضعته ، وابن بنته الرضاعية •• وفي الجملة :  
كل علاقة بسبب النسب أوجدت تحريماً ، فمثل هذه العلاقة إذا كانت  
رضاعاً توجب التحريم أيضاً ، بخلاف هذه الصور :

أخت الابن أو البنت من الرضاع لا تحرم لعدم وجود أى علاقة ،  
بخلاف أخت الابن النسبى ، لأنها إما أن تكون ابنته ، أو ابنة زوجته  
المدخول بها وكلتاها حرام عليه •

أم أخته أو أخيه رضاعاً لا تحرم لأنه لا تربطهما به علاقة •  
جدة ابنه أو بنته رضاعاً لا تحرم عليه ، لعدم وجود علاقة •  
وأخت أخيه رضاعاً لا تحرم عليه لعدم العلاقة ، وكذلك أخت أخيه  
نسباً لا تحرم إذا لم تكن علاقة •



### مقدار الرضاعة المحرمة ووقتها :

قال أبو حنيفة وأصحابه : ان الرضاع ليس له قدر معلوم ، فكل  
مقدار يحرم قليلاً كان أو كثيراً ، ولو كان مصة أو مصتين ، لأن النصوص  
الواردة بالتحريم بسبب الرضاع لم تذكر مقداراً قليلاً أو كثيراً ،  
فالأية : « وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم » (١) تشمل القليل والكثير ،  
وقوله صلى الله عليه وسلم : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب »  
يشمل أيضاً القليل والكثير ، ويروى أنه قد جاءت أمة سوداء فذكرت  
أنها أرضعت اثنين عقد عليهما ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما  
من غير أن يسأل عن عدد الرضعات • ولو كان التحريم منوطاً بعدد ،  
ما فرق النبي بين عاقدين من غير أن يتحراه ، وأيضا فإن التحريم  
في النصوص سببه مجرد الارضاع ، فحيثما ثبت ذلك وجد الحكم •  
والحكمة في التحريم بالارضاع أن الرضيع يصير كالجاء ممن أرضعته ،  
اذ يدخل لبنها في تكوينه ، وذلك يتم بالقليل والكثير •

ومذهب الحنفية في هذا هو مذهب مالك والأوزاعي والثوري وحماد وطائفة كبيرة من التابعين والصحابة •

وقالت طائفة أخرى : ان التحريم لا يثبت بأقل من ثلاث رضعات •  
وقالت ثالثة : لا يثبت بأقل من خمس رضعات مشبعات ، وهو مذهب الشافعي •

وقيل : لا يحرم بأقل من سبع • وقيل : لا يحرم بأقل من عشر •  
وأساس هذا التقدير نصوص وأردة فهموها ، فالذين قدروا ثلاث رضعات : ساقوا أخبارا ، منها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تحرم الاملاجة ، والاملاجتان » وروى أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : يا رسول الله •• هل تحرم الرضعة الواحدة ؟ قال : « لا » • وإذا انتفى التحريم عن الرضعتين فقد استمر ثابتا في الزائد ، فكان الحد الأدنى هو ثلاث رضعات فلا يحرم ما دونها •

والذين حددوا بالسبع ، وكذلك من حددوا بالعشر ، تعلقوا بأخبار لم يثبت صحتها عند مخالفيهم ، أو لم يثبت تعيينها للمراد •  
أما الذين حددوا العدد بالخمس وهم الشافعية ، والحنابلة في أرجح الأقوال عندهم ، فقد احتجوا :

بما روى عن مسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « كان فيما نزل : عشر رضعات يحرمن ، حتى صرن الى خمس » وقد صحوه •  
وبأن علة التحريم كون الارضاع منبتا للحم ومنشزا للعظم ، وذلك لا يكون الا برضاع يوم كامل على الأقل ، ولا يكون بما دون خمس رضعات مشبعات •

وقد اختار ذلك الرأى ابن القيم في « زاد المعاد » ووضحه وفسر الرضعة فقال : الرضعة فعلة من الرضاع ، فهي مرة منه ، فمن التقم الثدي فامتص منه ، ثم تركه باختياره من غير عارض كان ذلك رضعة •••



ووقت الرضاعة المحرمة هو الصغر عند جمهور الفقهاء ، وخالفهم في ذلك عدد قليل من الفقهاء ، وقد ورد من الآثار الصحاح ما يفيد تعيين

وقت الرضاع منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما الرضاعة من المجاعة » أى أن الرضاع المحرم هو الذى يدفع اليه الجوع ، وهذا لا يكون الا فى الصغر ، اذ لبن المرأة لا يكون غذاء دافعا للجوع كافيًا فى الجملة الا فى الصغر .

وقد حدد أبو حنيفة مدة الرضاعة بسنتين ونصف ، أى بثلاثين شهرا ، وحدد الصحابان (١) والشافعى ومالك مدة الرضاع بسنتين كاملتين ، وذلك لقوله تعالى :

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة » (٢) .

واستدل أبو حنيفة بقوله تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » (٣) فكانت هذه أقل مدة يفصل بعدها الابن ، ويبتدىء يستقل بغذاء مستقل ليس من لبن أمه ، وليس المراد من الحمل ما يكون فى البطن على اليقين ، بل يحتمل بالبطن وبالذراع والحجر .  
والرضاع يثبت بالبينة أو بالاقرار ، ولا توجه فيه اليمين عند أبى حنيفة ، وتوجه عند الصحابين .

\* \* \*

والمحرمات تحريما مؤقتا هن اللاتى كان سبب التحريم فيهن أمرا يقبل الزول فيزال التحريم بزواله ، والتحريم على التأقيت يكون فى سبع أحوال وهى :

- الجمع بين المحارم
- المطلقة ثلاثا على مطلقها حتى تتزوج زوجا غيره ، ويدخل بها ، ثم يطلقها وتنتهى عدتها .
- زواج خامسة ، وعنده أربع فى عصمته ، ولو حكما .
- تزوج الأمة ، وعنده حرة .
- زوجة غيره ، والمعتدة من غيره .
- والملاعنة ممن لاعنها ، حتى يكذب نفسه .
- من لا يدين بدين سماوى .

\* \* \*

(١) أبو يوسف ومحمد تلميذا أبى حنيفة ، رحم الله الجميع .

(٢) الأحقاف : ١٥

(٣) البقرة : ٢٣٣

فلاحظ كل هذه الأحكام<sup>(١)</sup> التي خلاصتها اجمالاً أنه :  
 تحرم عليك أمك وجداتك ، وبناتك وبناتهن ، وأخواتك وبناتهن ،  
 وبنات أخيك وبناتهن ، وعماتك وخالاتك ، فان عقدت على واحدة من  
 هؤلاء فالعقد باطل والنكاح زنا .

وتحرم عليك زوجة أبيك ، وزوجات أبنائك ، ووالدة زوجتك ولو لم  
 تدخل بها ، وبنات زوجتك من رجل آخر بشرط دخولك على أمها ، فان  
 لم تدخل بها أو ماتت بعد عقد العقد فالبنات حلال لك ، وتحرم عليك  
 عمة زوجتك وخالتها وأختها وبنات أخيها وبنات أختها ما دامت الزوجة  
 في عصمتك ، وهي حرمة مؤقتة فلا يحل لك النظر الي واحدة منهن .

وإذا علمت أن امرأة قد أرضعتك قبل فطامك خمس مرات متفرقات  
 فهي أمك من الرضاع وأولادها أخواتك ، وأمها جدتك وأختها خالتك  
 وبنات أولادها بنات أخواتك ، وزوجها والدك وأخته عمتك ، وأولاده  
 من امرأة أخرى أخواتك ، وهكذا فلا يحل لك أن تتزوج واحدة منهن ،  
 ففي الحديث : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وهذا الحكم  
 بالنسبة لك وحدك لأنك أنت الذي تغذيت باللبن ، أما أخوك وأختك  
 فيباح لهما الزواج من هؤلاء .

واحذر أن ترضع امرأة أجنبية ولدك<sup>(٢)</sup> الا بعد أن تدون اسمها  
 وأسماء أقاربها الذين يرتبطون بالرضيع حتى لا تختلط الأنساب ، وحتى  
 لا تقع في هذا الذنب الكبير الذي وقع فيه كثير من الناس بسبب اهمالهم  
 وجهلهم بهذه الأحكام حتى أصبح الرجل يتزوج أخته أو عمته من  
 الرضاع ويعيش معها في سفاح وهو لا يشعر .

وليس للأقارب من الرضاع حق في الميراث ، وإذا كنت قد علمت  
 أن أقل من خمس رضعات لا يحرم الزواج ، فالأسلم البعد ولو عن  
 أقل من ذلك ، ففي هذا الموضوع خلاف كبير<sup>(٣)</sup> .

ويحرم على المسلم أن يتزوج المشركة لأنها لا تؤمن باليوم الآخر  
 وتباح له اليهودية والنصرانية لأنهما أهل كتاب ويستطيع الرجل المسلم

(١) إذا أردت الوقوف على كل هذا بالتفصيل فارجع الى « الأحوال  
 الشخصية » لأبى زهرة ص ٨٨ ، لان ما قرأته يعتبر تلخيصاً لهذه الاحكام .  
 (٢) أى بعد ان تصير ابا ان شاء الله .  
 (٣) كما عرفت سابقاً .

بحسن معاملته لها وبحكم أنه صاحب السلطان عليها أن يرغبها في الإسلام فتعتقه ، فان بقيت على دينها تحرم من ميراث زوجها بعد وفاته ، وكذلك لا يرثها زوجها ولا أولادها منه لأن الأولاد على دين أبيهم •

ولا تخطب امرأة سبقك بخطبتها مسلم ولو كان فاسقا حتى يتركها ، فان خالفت فالزواج صحيح و عليك الاثم •  
ولا تتزوج الزانية ما لم تتب من ذنبها ويظهر منها ما يبرهن على صدقها في توبتها ، والا فانها ستجلب لك العار وتجعلك ديوتا يسمع المنكو في أهله ويقرهم عليه ، وان كان عقد الزواج بها صحيحا •

ويحرم عليك أن تخطب امرأة في عدتها ، والعدة للمطلقة ثلاث حيضات أو وضع الحمل ، وأربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل : لمن مات عنها زوجها ، وتشتد الحرمة اذا خطبت معتدة للمطلقة الأولى أو الثانية لأن زوجها الأول أحق بردها في عدتها ، فان خالفت وتزوجتها في هذه المدة فأنت آثم والزواج باطل •

ويباح التعريض ( أى التلميح ) بالخطبة في العدة لمن مات زوجها أو طلقت ثلاثا كأن تقول لها أو لوليها : « أريد الزواج وأرجو أن يبسر الله لى زوجة صالحة » أو « اذا مضت العدة فعرفونى » وهكذا ، وحكمة اباحة التعريض وحرمة التصريح لئلا تكذب المرأة في انقضاء العدة عند تحقيق الرغبة •

ومن أشنع المفكرات زواج امرأة وهى فى عصمة رجل آخر وذلك هو أفضع أنواع الزنا ، والعقد باطل •

ومن سعى فى افساد امرأة على زوجها ليطلقها ثم يتزوجها فانه فاسق مطرود من رحمة الله ، وعقد الزواج بها صحيح •  
وإذا أردت الزواج فتخير زوجة صالحة من بيت طيب فالولد ينزع الى أصل أمه ، وذات الدين يحفظها دينها من الوقوع فى الفحشاء والمنكر ، ويحملها على أداء حقوقك والمحافظة على مالك وشرتك ولا تجعل كل همك فى اختيارها من أجل غناها أو جمالها أو حسبها ، ولكن ركز على ذات الدين حتى يبارك الله لك فيها ويبارك لها فيك كما ورد فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قرأته سابقا •

وقد ورد أن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أراد الزواج فعرض عليه أختان احدهما فى غاية الجمال ، والثانية عوراء ولكنها أعقل من الأولى ، فقال : زوجونى العوراء ، فليس هناك شىء أرجح فى ميزان المرأة من كمال عقلها •

وفى الحديث : « ... ولأمة سوداء ذات دين أفضل » ومن وصايا لقمان لولده : « اتق المرأة السوء فانها تشييك قبل وقت المشيب » •  
والبكر أفضل من الثيب ، وكذلك تخير الولود ، ويعرف ذلك بالنظر الى حال أمها وأخواتها وأقاربها •

وإذا تخيرت الزوجة فاستشر فيها مؤمنا تقيا يخلص لك النصيحة ، فان وافقك عليها فاستخر ربك ، وذلك بأن تصلى ركعتين فى غير أوقات الكراهة بنية صلاة الاستخارة ، ثم بعد الفراغ من الصلاة تقول داعيا ربك : « اللهم انى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن زواجى بفلانة بنت فلان خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وآجله ، فقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن زواجى بها شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به » • وانظر بعد ذلك فان وجدت انشراحا فى صدرك فاعلم أن زواجك بها خير وأقدم على خطبتها ، وان وجدت انقباضا فاعلم أن زواجك بها شر وابحث عن غيرها ، فان لم تجد شيئا فكرر الصلاة والدعاء الى سبع مرات وستجد الخير ان شاء الله واحرص على ذلك ففى الحديث : « لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » • واحذر الذهاب الى المنجمين وغيرهم لحساب النجم والموافقة ، وغير ذلك كما يفعل الجهلاء والسفهاء ، لأن ذلك حرام لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « من أتى كاهنا أو عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد » - صلى الله عليه وسلم •

وإذا اخترت الزوجة فاخطبها من ولى أمرها ، وعليه أن يرجىء الأمر حتى يستشيرها ويعلم ارادتها فذلك أدعى لهناءة حياتها وأرجى لدوام الألفة بينها وبين قرينها ، وليس لأحد أن ينفرد بتزويجها لمن يشاء دون رضاها الا اذا كانت صغيرة لا تدرك اختيار من يصلح لها ، وصمت البكر اذن منها بالزواج •



ومن السنة أن تنظر الى وجهها وكفيها ، فذلك ادعى لدوام العشرة بينكما ، فان وافقتك والا فاكتم ما رأيت منها ، ولا تتحدث بشيء من عيوبها ، فان لم يتيسر لك النظر اليها فأرسل امرأة تثق بها لتتأملها وتشم فمها ثم تصفها لك ، ولا بأس من أن تقدم هدية لخطيبتك اذا كانت حالتك تساعدك على ذلك في حدود طاقتك وميزانيتك •

وعلى والد المرأة أو من يتولى أمرها أن يلاحظ أن الرجل التقى ولو كان فقيرا أفضل بكثير من غيره من الرجال الذين لا أخلاق لهم حتى ولو كانوا يملكون القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وفي هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه : « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » •

وقد تزوج بلال ، وهو العبد الحبشى ، أخت عبد الرحمن بن عوف وهو الغنى القرشى ، ورضى الله عن سعيد بن المسيب فقد رفض أن يزوج ابنته لأمير من الأمراء وزوجها لفقير تقى لا يملك من الحياة غير درهمين دفعهما مهرا لابنته ، وما هي الا ساعات معدودة وابت ابن المسيب في بيت زوجها تقول له : « اجلس أعلمك علم سعيد » •

والرجل العاقل هو الذى يتذكر أن ابنته أمانة عنده فيختار لها زوجا له دين قويم ، وخلق كريم ، لأن الفخر بالأنساب من أمور الجاهلية • فمن وضع كريمته عند فاسق حبا في جاهه أو طمعا في ماله فقد جنى عليها وسيسأله الله عنها •

ولقد قال رجل للحسن البصرى رحمه الله : جاءنى ناس كثيرون يخطبون ابنتى ، فأيهم أزوجها له ؟ فقال : زوجها التقى فانه ان أحبها أكرمها ، وان كرهها لم يظلمها •

ولا عيب في أن يعرض الرجل ابنته على أهل التقوى والصلاح للتروج ، فقد عرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابنته حفصة على أبى بكر وعثمان عليهما رضوان الله ، ثم عرضها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتروجها ، وذلك من تمام بره بها واحسانه اليها •

مع ملاحظة أن المرأة انسان كامل لا حق لأحد عليها في اكرامها على مالا تحب وترضى كما كان يحدث قبل الاسلام ، فلقد كانت المرأة في الجاهلية وضيعة الشأن لا رأى لها ولا ارادة ، وكان لوليها أن يزوجها

بمن يشاء أو يحرمها من الزواج طول حياتها ، فجاء الاسلام وفك عنها قيود العبودية وأعطاهما قسط الحرية .

\* \* \*

وأما عن المهر فهو واجب على الزوج لزوجته ، ولو كان حفنة من قمح ، ومن يمن المرأة قلة مهرها وتسهيل أمرها ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج السيدة عائشة رضى الله عنها على مهر قيمته ما يوازى جنيها مصريا ، وتزوج السيدة أم سلمة رضى الله عنها على مهر قدره ٢٢ قرشا صاغا ونصف قرش ، وأثاث بيت عبارة عن رحي يد وجرة ووسادة ( مخدة ) حشوها ليف ، وزوج ابنته السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها وهى من هى فى الفضل والشرف لعلى بن أبى طالب ، على درع ( قميص حرب ) وكان أثاث بيتها هينا لا عناء فيه ، فقد قالت أم سلمة والسيدة عائشة رضى الله عنهما : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على على ، فعمدنا الى بيته ففرشناه ترابا لينا من أعراض البطحاء ثم حشونا مرفقتين ( مخدتين ) ليفا فنفضناها بأيدينا ، ثم أطعمنا تمرا وزبيبا وسقينا ماء عذبا ، وعمدنا الى عود فعرضناه فى جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويلقى عليه السقاء<sup>(١)</sup> ، فما رأينا عرسا أحسن من عرس فاطمة » .

فهذه صورة من الزواج النبوى تبين لك أن سعادة المرأة فى الرضا باليسير من المهر ، وأن أول شؤمها أن يكثر صداقها ، وأن يتشدد فى طلبات نفقاتها ، والمهر جميعه حق للزوجة وحدها ، فليس لزوجها ولا لأحد من أقاربها حق فيه ، ولا تكلف بشرء جهاز العروس منه فان فعلت فالجهاز ملك لها ، ومن تزوجت ولم يقدر لها مهر فلها عند زوجها مهر أمثالها من النساء ، وينبغى أن يدفع للتيمة مهر أمثالها ، ولا ينتهز فرصة يتمها فيبخس حقها ، ومن خطب امرأة فقدم اليها هدية ( كالشبكة ) ثم عدل عن خطبته فليس له أن يطالب بهديته ، ففى الحديث الشريف : « العائد فى هبته كالكلب يعود فى قيئه » وان سلمت اليه بغير طلبه فله قبولها ، ومن طلقها زوجها قبل أن يدخل بها وجب عليه أن يدفع لها نصف جميع المهر مقدمه ومؤخره ، ان كان قد حدد لها مهرا ،

(١) السقاء : أى قرية الماء .

أما إذا كان لم يحدد أى شىء فليس لها عنده الا نفقة تقدر بحسب حالته ، لقول الله تبارك وتعالى : « ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين » (١) ومن طلق امرأة بعد دخوله عليها ، أو مات عنها ، ولو لم يدخل بها ، فجميع المهر حق شرعى لها .

وإذا كان الناس قد اعتادوا أن يجعلوا المهر بعضه مقدما والباقى مؤخرا الى أقرب الأجلين : موت أو طلاق ، ويقولون بأن المؤخر ينفع المرأة عند موت زوجها أو طلاقها منه ، فهذا منابذ للسنة ، والأفضل لمن وجد سعة أن يعجل بدفع جميع المهر لأن المؤخر دين فى عنق الزوج لزوجته يجب سداده ، وللرأة عند طلاقها أو موت زوجها رب يتولى أمرها ويدبر شأنها فهو القائل سبحانه : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » (٢) .

وان تنازلت المرأة عن شىء من مهرها لزوجها بغير حياء منه ولا تحت ضغط أو تأثير فهو حلال له ، لقول الله تعالى : « فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » (٣) .

\* \* \*

ولا زواج الا بعقد يتكون مجلسه من ولى أمر الزوجة والزوج أو وكيله وشاهدين ، ولا يحل للمرأة أن تزوج نفسها بل لايد أن يتولى زواجها رجل من أقاربها ، وأحق الناس بالولاية عليها أقربيهم اليها ، فأبؤها مقدم على ابنها ، وابنها مقدم على أخيها ، وأخوها مقدم على غيره وهكذا ، ولا يجوز للقريب البعيد أن يتولى العقد عند وجود القريب الأقرب الا باذنه ، ولا يجوز لأحد من أقاربها أن يزوجه بغير توكيل منها ، فان فعل فالزواج باطل ولايد من الاعادة ، ولا يشترط الاشهاد على أنها وكلت فلانا فى زواجها ، وان لم يكن لها أقارب بالكلية أو كان لها ولكنهم يريدون الانتقام منها بعدم زواجها لأمر ما ، مع وجود الكفاء ، أو كانوا جميعا فى غيبة طويلة ، فلها أن توكل عنها قاضيا من قضاة المحاكم الشرعية لأنه النائب عن السلطان ، ولا توكل أحدا غير ، والا فالزواج باطل .

وللزواج أن يوكل عنه في عقد الزواج من يشاء ولو كان الوكيل عنه هو الوكيل عن الزوجة .

أما الشاهدان فلا بد أن يكونا رجلين مسلمين وعلى جانب من التقوى والاستقامة ، ومتى اجتمع هؤلاء وقال ولي الزوجة للزوج : « زوجتك موكلتى فلانة » وقال الزوج : « قبلت زواجها » فقد تم عقد الزواج ، ويسن أن يخطب الزوج أو رجل من أهل الفضل خطبة قبل العقد ، وهذا ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : « الحمد لله ، نستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، من يهدي الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » (١) « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » (٢) « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » (٣) .

ويسن ذكر المهر عند العقد ، فان لم يذكر فالعقد صحيح .

ويستحب دعوة الأقارب والجيران والأصدقاء لشهود هذا العقد ، وتوزيع التمر أو مافي معناه كالشربات والحلوى عليهم مع عدم التكليف وارهاق أحد الجانبين ، لأن هذا يعتبر تذكيرا له آثاره السيئة بعد الزواج ، الى جانب أنه مخالفة للسنة .

\* \* \*

وإذا تم عقد الزواج على هذا النحو الذي وقفت عليه ينبغي التعجيل بالزفاف ما لم تكن الزوجة صغيرة فينتظر حتى ينمو بدنها .  
وعليها أن تترين نفسها ليلة زفافها مع البعد عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والهائمة والمستوشمة ، والنامصة والمتنمصة ، والفالجة والمتفلجة »

(٢) آل عمران : ١٠٢

(١) النساء : ١

(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١

أما المستوصلة فهي التي تصل شعرها بشعر العيرة أو بصوف أو قماش ، والواصلة هي التي تفعل لها ذلك ، وأما الوشم ، فهو المعزوف بالدق الأخضر ، وهو حرام على الرجال والنساء ، ومن فعله في الصغر ولم يستطع ازالته في الكبر فلا شيء عليه ، ومن استعمله بدون لون لمرض فلا شيء عليه •

والنامصة : هي التي تزيل بعض الشعر من حواجب النساء •

والمتنمصة : هي التي يفعل بها ذلك •

والمتفلجة : هي التي تبرد أسنانها لتكون رفيعة مستوية •

والفالجة : هي التي تفعل لها ذلك •

فالواجب على المسلمة البعد عن كل ذلك كما يجب البعد عن صبغ الشعر بالسواد أو قص شيء منه الا لضرورة كمرض ، وعن تغيير الوجه بالبودرة وأنواع المساحيق ( التواليت ) •

وتمنع كذلك من الذهاب الى ( الكوافير ) كما يحدث في هذا الزمان المريض ، لأنها هناك ستجلس بين يدي أجنبي عنها لا يحل له أن يخلو بها ولا يحل لها أن تخلو به ، لكي يمشط لها شعرها ويجمل وجهها ••• الخ ، وهذا كله حرام ، وكل راض عنه مشترك في الاثم •

وعند استحمامها لا تكشف من سرتها الى ركبتيها أمام أي امرأة ولو كانت أمها •

وعند ذهابها الى بيت زوجها تكون مستترة ، وتختير أقرب الطرق الموصلة اليه ، فاما أن تركب واما أن تمشي في وسط جملة من النساء المحتشمات •

وحسبك وحسبها أن تستبمعا الى عائشة رضي الله عنها وهي تقول متحدثة عن يوم زفافها في حديث ما معناه : « تروجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست ودخل علي وأنا بنت تسع ، استيقظت من نومي وخرجت ألعب مع صويحباتي على مرجيحة وإذا بأمي تتاديني فجئتها مسرعة ونفسي يتتابع فمسحت وجهي ثم دخلت البيت فوجدت جملة من النساء يقطن لي : على الخير والبركة ، ثم غسلن رأسي وأصلحن أمرى ، وألبسنني أحسن ثيابي وذهبن بي وأنا في وسطهن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخلنني عليه وشربن لبنا ثم تركنني ورجعن الى بيوتهن ، وكان ذلك نهارا ضحى ، في سؤال » •

فإذا جاءتك زوجتك ودخلت عليها فحيها بتحيةة الاسلام : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » وضع يدك على جبهتها وقل :  
 « اللهم انى أسألك خيرا وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه » .  
 واياك اياك : أن تريل البكارة بالاصبع ، فهذا منكر ليس من الدين .



وقد رأيت ، والشئ بالشئ يذكر ، أن أشير الى هذه المنكرات التى تحدث فى الأفراح والتى منها :  
 ما يكون عند الخطوبة والعقد : وذلك باستبدال رؤية الخطوبة بتقديم صورتها الشمسية الى من جاء يخطبها وعدم سماح أهلها له برؤيتها ، ويظنون ذلك من تمام الغيرة أو الشهامة ، وهو جهل مركب نعوذ بالله منه فقد أباحوا لها بأن تكون متهتكة أمام المصور وحلاق الكواغير ، وربما كانا كافرين ، وأنفت نفوسهم أن يراها المسلم ليطمئن على ربيعة حياته .

ومن أشنع المنكرات : اختلاط من يريد الزواج بمن يخطبها بحجة اختبار أخلاقها ، وكثيرا ما نتج عن ذلك أسوأ العواقب .  
 وقراءة الفاتحة عند قبول الخطبة عادة لا أصل لها ولا يترتب عليها أمر شرعى ، فإذا عدل أحد الزوجين عن تنفيذ الزواج لم يكن ذلك رجوعا فى العقد بل خلفا للوعد .

ومن المحرمات : لبس الزوج دبلة من الذهب لتكون رمزا للخطوبة كما هو شائع الآن ، لأن الذهب حرام على الرجال .  
 ومن المنكرات : ذهاب رجلين من الأجانب الى الزوجة وقت عقد الزواج ليشهدا بأنها وكلت فلانا فى زواجها .  
 ووضع الوكيل عن الزوجة يده فى يد الزوج والقاء ( مندبل ) عليهما عند اجراء صيغة العقد ، عادة لا أصل لها .

وارهاق الزوج بنفقات لا يقدر عليها ليس من شأن المؤمنين .  
 وكذلك تقديم العرائس والجمال من الحلوى فى المواسم والأعياد للزوجة حرام لأنها من التماثيل المنهى عنها .  
 وما يحدث كذلك قبل الزفاف من العادات السيئة : مثل نقل الجهاز الى بيت الزوج على عدد كثير من العربات ، وربما تكون عربة واحدة كافية فى نقله .

ومن المنكرات : شراء تماثيل لتكون في حجرّة الجلوس أو غيرها ،  
والتماثيل حرام ولو كانت على مقابض الدواليب وأمثالها ، وكذلك القوط  
والبشاكير والستائر والخداديات ، وغير ذلك مما فيه صور على هيئة  
آدمى أو حيوان ، فهي من المنهيات •

وكذلك جلوس الرجل على ( الكراسى ) المكسوة بالحرير والتحفه  
بما فيه حرير ، فهو من المحرمات ، فانه كما يحرم لبس الحرير على  
الرجال فكذلك يحرم عليهم استعماله •

ويحرم شراء الأواني والملاعق والمقابض الفضية والذهبية ، ففي  
الحديث : « ان الذى يأكل فى آنية الذهب والفضة أو يشرب فى صحنها ،  
انما يجرجر فى بطنه نار جهنم » •

ومن أشنع المنكرات : دخول أصدقاء الزوج ، أو بعض الحلاقين  
عليه أثناء استحمامه ليلة زفافه وإطلاعهم على عورته ، واستحضار  
راقصات ، أو مغنيات يعلمن الناس الفسق والفجور ، أو فرقة  
مضحكة لآحياء ليلة الحناء فى بيت الزوج والزوجة بما يغضب جبار  
الأرض والسماء ، ووضع الحناء فى يدي الرجل أو رجله حرام ،  
فهي حلية النساء ، ولا تجوز للرجل الا للضرورة كمرض ، على ألا يتجاوز  
موضع الألم •

وفض البكارة بالأصبع عادة وحشية منكرا ، وجناية على الصحة  
قد يترتب عنها لزوج العقم والرهقان ، هذا بالإضافة الى أنه حرام  
بلا خلاف •

ومن البدع المنكرة أيضا : الطواف حول القرية بقميص العروس  
ملوثا بدم البكارة ، بل دم الجنابة على هذا العضو الرقيق من ذلك  
الوحش الذى لا يراقب الله تعالى فى هذه المسكينة فى أرحح الأوقات •  
ومن منكرات الأفراح أيضا : زغردة النساء والموسيقى والرقص  
والغناء •

وحسبك زجرا لك وحتى لا تقع فى هذه المنكرات أو تشارك فيها  
أن تقرأ قول الله تبارك وتعالى : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث  
ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزا ، أولئك لهم عذاب مهين » (١)

فقد غسر ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما لهو الحديث بأنه الغناء ، كما روى عن ابن مسعود أنه قال : « الغناء يثبت النفاق في القلب كما يثبت الماء الزرع » وجاء عنه أيضا : « الغناء رقية — مقدمة — الزنا ، ما عاناه صبي الا فسد ، ولا امرأة الا بغت (١) ، ولا شاب الا وقع في محذور » .

كما روى الترمذى بسند حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين ، صوت عند نعمة : لهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة : خمس وجوه وشق جيوب ورنة » . ففى الحديث يصف الرسول صلى الله عليه وسلم الغناء بأنه صوت أحمق ولم يقتصر على ذلك حتى وصفه بالفجور ، بل سماه من مزامير الشيطان ، وهذا الحديث نص فى حرمة زغردة النساء ، فما الزغردة الا رنة .

وكتب عمر بن عبد العزيز الى معلم أولاده :

« ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن ، فانه بلغنى عن الثقات من أهل العلم أن صوت المعازف واستماع الأغانى واللهمج بها يثبت النفاق فى القلب كما يثبت العشب على الماء » .

وروى البخارى عن أبى مالك الأشجعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليكونن من أمتى قوم يستحلون الحر — الزنا — والحرير ، والخمر ، والمعازف » والمعازف : اسم لآلات اللهو والطرب . وحسبك ذما لها أن يذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم فى معرض الذم مقرونة بالخمر والزنا .

وروى ابن ماجه فى سننه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » .

وروى الترمذى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا اتخذ الفىء دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ،

(١) أى : زنت .



وتعلم العلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت القينات ( المغنيات ) والمعازف ، وشربت الخمر ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسحا وقذفا ، وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه ففتابع » •

ورحم الله الشاغعي رضى الله عنه فلقد قال : « من داوم على سماع الأغاني ردت شهادته ، وبطلت عدالته ، ومن جمع الناس على مغنية فهو ديوث » •

\* \* \*

فهذه أبا الاسلام بعض الأدلة التي تبرهن على أن الأغاني وآلات اللهو وزغاريد النساء المتفشية في زماننا ، والتي تذاع على الناس في كل صباح ومساء ، ومن الرجال والنساء في الأفراح وغيرها ، منكرات ، من استمع اليها فقد عرض نفسه لسخط الله ، وليس له يوم القيامة الا الرصاص المذاب يصب في أذنيه •

ورضى الله عن ابن عمر — رضى الله عنهما — فقد مر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصابعه في أذنيه وأسرع في مشيته ، فقيل له : تفعل ذلك وهي زمارة راع؟! فقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك •

وإذا كان قد ورد في السنة النبوية اباحة الضرب بالدف<sup>(١)</sup> والأغاني التي لا خنوثة فيها ولا تثير شهوة الرجال في الأفراح والأعياد •

فقد كان هذا القدر الذي أبيح لقوم في قلوبهم ايمان ، وفي نفوسهم طهر وعفاف •

كما كان هذا النوع من الغناء يحارب المنكر في عباراته ويوجه النفوس الى مكارم الأخلاق ، من هذه الأغاني :

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

\* \* \*

(١) وهو الطار الذي لا جلاجل فيه •

أتيناكم أتيناكم فحيسوننا فحييكم  
ولولا الحبة السوداء ما سمت عذارىكم  
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم

\* \* \*

وها هي الربيع بنت معوذ تقول : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرسى وعندى جوار يغنين ويندبن آبائى الذين قظتوا ببدر » . فانظر الى قولها : يندبن آبائى ، أى يعددن محاسن آبائها لتعلم أن أغانيهم كانت دعوة للتعلى بمكارم الأخلاق ، خالية من الخلاعة والميوعة ، بعيدة عن كل ما يثير شهوة الرجال ، بخلاف أغانينا العصرية التى أغلبها يدعو الى الفسق والخنوثة والخلاعة وفساد الأخلاق .  
وفى هذا يقول امامنا السبكى عليه رحمة الله فى كتابه « المقامات العلية » متحدثا عن المجون الذى قد يحدث غالبا فى الأفراح :

ويحضرون عادة النساء والمومسات بغية الشقاء  
يرقصن عند ساحة الغناء للفاسقين مرتع البلاء  
من للخنا بأهمهم يميلوا

وأحضروا لتفرح النساء آلات لهو كلها بلاء  
وزغردوا لتفضح الآباء وطبلوا لتكثر الغوغاء  
ويختلى بالعادة الخليل

ويزعمون أنهم أقاموا أفراحهم وعزهم أداموا  
وأنهم لحزنهم أناموا وأنهم على الهدى استقاموا  
وهم على النيران قد أحيوا

وان رأوا من يصنع الأفراحا طبقا لشرع من أتى مصباحا  
المصطفى من زين الاصباحا قالوا جميعا أخطأ الاصلاحا  
وقرروا أن الفتى ثقيل

\* \* \*

ومن منكرات الأفراح : اختلاط الرجال بالنساء الأجنيبات والنظر اليهن ، وذهاب أقارب الزوج والزوجة صبيحة زفافهما للمصانعة ودفع مبلغ من المال<sup>(١)</sup> ، وفيهم من لا يحل له النظر الى الزوجة ،

(١) وهو ما يسمى ( بالنقطة ) التى تعتبر دينا فى نمة الزوج ، وقد يطلب منه فى وقت لا يملك فيه شيئا ، وهذا بالطبع ليس محمودا ، أما اذا كان هذا المال هدية فلا بأس ، ما دام لن يرد بعد هذا .

وهي في ذلك الوقت فتنة للناظرين ، وهذا منكر لا يرضى به الا كل من فقد رجولته •

ومن المنكرات أيضا : اختلاط المرأة بأقارب زوجها كأخيه وابن أخيه وأقاربها كأولاد عمها وأولاد أخوالها وأولاد عمتها ، وزوج أختها ، وأولاد جيرانها ، والسقاء ، واللبن ، وبائع الفواكه ، والخضروات ، وقد تظهر أمامهم في ثيابها الرقيقة أو القصيرة وربما تكون كاشفة صدرها ورأسها وذراعيها ، حتى نما الشر وانتشر الفساد •

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام بعد زواجك واعلم أن زوجتك من يوم مجيئها عندك تعتبر أمانة في عنقك حتى لا يختلط بها أحد ، حتى ولو كان أخوك ، ففي الحديث الشريف : « الحمو الموت » والحمو : هو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه •

ولقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم مخالطته للزوجة بالموت لأنه قد يستخدم صلته بالزوج في تنفيذ مآربه الدنيئة ولا يساء به الظن •

\* \* \*

واعلم : أنه لا يحل لرجل أن ينظر الى امرأة الا اذا كان محرما لها ، والمحارم هم : أبوها ، وجدها ، وابنها ، وأخوها ، وعمها ، وخالها ، وابن أخيها وأولاده ، وابن أختها وأولاده ، وابن زوجها ، ووالد زوجها ، وزوج ابنتها ، وزوج أمها ، فهؤلاء هم محرما الذين يباح لهم النظر اليها والاختلاط بها والسفر معها •

\* \* \*

وحتى تدرك خطورة النظر الى المرأة الأجنبية والخلوة بها اليك : قول الله تبارك وتعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون • وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن » (١) •

وقوله : « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » (٢) •

وقوله : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (٣) •

(٢) الاحزاب : ٥٣

(١) النور : ٣٠ ، ٣١

(٣) الاسراء : ٣٦

وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلى :

« يا على .. لا تتبع النظرة النظرة ، فانما لك الأولى وليست لك الآخرة » (١) .

وقوله : « العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » (٢) .

وقوله : « اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ؟ قال : « الحم الموت » (٣) .

والحم كما عرفت سابقا هو : قريب الزوج كأبيه وأخيه وعمه ، فاذا كان قريب الزوج موتا وهلاكاً للمرأة فكيف بالأجنبي ؟

وقوله : « لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط (٤) من حديد خير له من أن يمسه امرأة لا تحل له » (٥) .



واعلم أنه من السنة :

إذا تزوجت البكر على غيرها أن تقيم عندها سبعة أيام ، وإذا تزوجت الثيب تقيم عندها ثلاثاً :

وهذا لا يمنك من أداء الصلاة مع الجماعة في المسجد .

وأن نهنك بالدعاء الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : « بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير » . وأن تصنع وليمة بقدر ما يتيسر لك فى اليوم التالى لدخولك ، ويجوز تأخيرها الى سبعة أيام ، فهى بركة على الزوجين وشكر الله على نعمة الزواج وما ينفق فيها يخلفه الله ، ويجوز فعلها بعد الزواج والأفضل أن تكون بعد الدخول ، وتدعو اليها الأصدقاء والفقراء (٦) والأقرباء ولا تتكلف لها فوق طاقتك ، فقد فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم مرة بلحم وثريد ، وأخرى بتوزيع اللبن ، وثالثة بتمر وطعام آخر ، ويستحب للقادر ألا يقيمه على أقل من شاة .

(١) رواه أبو داود . (٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) كالابرة والمسلّة .

(٥) رواه الطبرانى والبيهقى ورجاله رجال الصحيح .

(٦) بصفة خاصة فهم أولى من غيرهم وأحق .

والوليمة التي يدعى اليها الأصدقاء والأغنياء دون الفقراء ،  
أو التي يكون فيها طيب الطعام للأغنياء والفضلات للفقراء ، تعتبر  
شرا ووبالا على صاحبها •

ومن دعى لوليمة عرس يجب عليه شرعا تلبية الدعوة ولو كان  
صائما ، وهو مخير بين الدعاء بالبركة أو الاغتفار ان كان الصوم  
نفلا وتآلم الداعي بامتناعه عن الأكل ، ولا يجوز التخلف عن هذه الدعوة  
الا لأعذار قهرية ومنها وجود معاص هناك ، فقد دعى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الى وليمة فذهب ، ولما رأى في البيت تصاوير  
رجع ولم يدخل •

فان ذهبت فلا بد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فان استمع  
لقولك فاجلس ، والا فاترك المكان •

\* \* \*

وحتى لا تسرف في اعداد وليمة العرس وتقدم ما في استطاعتك  
دون حياء ، اليك هاتين الصورتين :

عن أسماء بنت عميس قالت : « كنت صاحبة عائشة رضى الله عنها  
في الليلة التي هيأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة •

قالت : فوالله ما وجدنا عنده من قرى الا قدحا من اللبن نال منه  
الرسول ، ثم ناوله عائشة — قالت أسماء — فاستحيت الجارية — تعنى  
عائشة — قالت : فقلت : لا تردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
خذى منه •• فأخذته منه على حياء ، فشربت منه ، ثم قال : ناولى  
صواحبك • فقلت : لا نشتهيه !!

فقال : لا تجمعن جوعا وكذبا •

قالت أسماء : فقلت : يا رسول الله •• ان قالت احدانا لشيء تشتهي  
لا أشتهيه ، أيعد ذلك كذبا ؟ فقال : « ان الكذب ليكتب حتى تكتب  
الكذبية كذبية » •

ولما عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة ابنته كان  
الطعام الذى أحضره النبى صلى الله عليه وسلم للمدعوين طبقا من  
بسر (١) •

(١) المراد تمر •

ففى الحديث : « وان الله أمرنى أن أزوج فاطمة من على بن أبى طالب فاشهدوا أنى قد زوجتها على أربعمائة مثقال فضة ، ان رضى بذلك على • ثم دعا بطبق من بسر ، ثم قال : انتهبوا !! فانتهبنا » • فكهذا تزوجت امرأة نبى وابنة نبى ! فى أحفال لا كلفة فيها • ولا مغارم •

فلاحظ هذا ، واعلم أن البساطة سنة الاسلام فى كل شىء •

فمن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : نهينا عن التكلف •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا هلك المنتطمعون » ثلاث مرات •

والتنطع هو مجانبة الفطرة بالمزيد من التكلف والاستقصاء •

وروى عن أنس بن مالك وغيره من الصحابة عليهم جميعا رضوان الله : « أنهم كانوا يقدمون لآخوانهم ما حضر ، من الكسر اليابسة وحشفت التمر • ويقولون : لا ندرى أيهما أعظم وزرا ؟ الذى يحتقر ما قدم إليه ، أو الذى يحتقر ما عنده أن يقدمه » ؟

فلا تنس كل هذا حتى تكون موفقا فى زواجك •

\* \* \*

وحتى تدوم العشرة والألفة والمودة والمحبة ويدوم الصفاء الذى لا تشوبه شائبة بينك وبين زوجتك لابد وأن تعطيتها حقوقها كما هى مطالبة بأعطائك حقوقك •

\* \* \*

أما حقوقها عليك :

أن تطعمها وتكسوها مما رزقك الله بلا تقتير أو اسراف كما قال الله تعالى : « لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاه » (١) •

أن تسكنها فى وسط قوم صالحين لئلا تتأذى من معاشره الأشرار والفجار •

أن تؤدى إليها ما بقى لها عندك من مهرها — مؤخر المصداق — فهو دين فى عنقك ملزم بأدائه لها •

أن تعلمها أحكام دينها وتراقبها في تنفيذها وخاصة الصلاة في وقتها ، وحذرنا من الشر حتى لا تقع فيه ، ومرها بالصبر عند نزول المصائب ، ولا تتركها ترتكب أعمال الجاهلية<sup>(١)</sup> فأنت المسئول عنها بين يدي الله عز وجل .

أن تفي لها بما وعدتها به قبل دخولك عليها ما لم يكن في الوفاء اثم أو ضرر أو قطيعة رحم .

أن تعاشرها بالمعروف فتعاملها على أنها انسان مثلك لها عليك مثل الذي لك عليها ، فلاطفها وبالغ في اكرامها ، وكلما دخلت عليها فحيها بتحية الاسلام : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » فافشاء السلام سبب لدوام المحبة ، واذكر أنها آخر ما وصاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال : « اتقوا الله في الصلاة واتقوا الله في النساء » .

ولا تدخل عليها الا بعد أن تطرق بابها حتى تنتهياً لاستقبالك بالصورة التي تحبها غربما كانت في وضع أو في صورة لا تترك .  
واعلم أنها خلقت من ضلع أعوج فلاعوجاج شأنها . فلا تؤاخذها على كل ما يصدر منها ما لم يكن متعلقا بأحكام الدين .

وإذا ارتكبت ما يغضب الله فعظها وحذرنا عاقبة أمرها ، وكرر الوعظ ، فان لم يفد فاهجرها في البيت ، فبعض النساء يؤلمهن الهجر أكثر من الضرب ، فان لم يفد فاضربها ضربا غير مبرح ، واياك أن تكسر عظما أو تضرب الوجه فانه منهي عنه ، فان لم يفد كل ذلك فأرسل الى أقاربها عسى الله أن يوفق بينكما ، فان لم يرد الله وفاقا فلا تمسكها ضرارا لتعتدى عليها .

واياك والهجر بلا سبب ، والضرب بلا مبرر : فقد قال الله تعالى :

« فان أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان الله كان عليا كبيرا » (٢) .

وتذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيته في خدمة أهله : يرقع الثوب ، ويخصف النعل ، ويحلب الشاة ، ويكنس البيت ، فتأس به ليرفعك الله مكانا عليا .

(١) كلطم الخدود وشق الجيوب ، وقولها : يا جملى ، او يا غزالي .

عند نقد عزيز .

(٢) النساء : ٣٤

وإذا أردت اتيانها<sup>(١)</sup> فلاعبها ومازحها ثم قل : « بسم الله : اللهم جنينا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا » فانك ان قلت ذلك وقضى بينكما ولد فهو محفوظ من الشيطان .

وان أحببت أن تعود الى اتيانها مرة أخرى فيستحب الغسل بينهما أو الوضوء فذلك أشط للأعضاء ، واتيان المرأة في دبرها<sup>(٢)</sup> من أشنع المنكرات وأكبر المحرمات ، وفاعل ذلك مطرود من رحمة الله ، ويحرم اتيانها مدة حيضها أو نفاسها ففى ذلك اثم كبير وضرر بليغ فقد قال الله تعالى : « ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »<sup>(٣)</sup> ويحرم على المرأة أن تمكن زوجها من نفسها فى هذه المدة فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وان تغلبت عليك الشهوة فى هذه المدة وخفت الوقوع فى المنكر فلتستر المرأة ما بين سرتها وركبتها ثم تمتع بباقي بدنها .

ومن أكثر المحرمات أن تتحدث الى أصدقائك بما كان بينك وبين زوجتك أثناء الجماع .

فعن أبى معبد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه »<sup>(٤)</sup> .

وفى رواية : « ان من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر سرها »<sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

وأما حقوقك عليها فمن أهمها : أن تطيعك ولا تعصيك :

فقد روى الحاكم من حديث معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، ولا تجد امرأة حلاوة الايمان حتى تؤدى حق زوجها ، ولو سألتها نفسها وهى على ظهر قتب »<sup>(٦)</sup> .

(١) أى جماعها .

(٢) أى من الخلف فى غير نرجها .

(٣) البقرة : ٢٢٢

(٤) رواه مسلم وأبو داوود .

(٥) رواه مسلم وأبو داوود .

(٦) الاكاف الصغير الذى يوضع على سنام البعير .



وأن لا تتخلف عنك لحظة واحدة اذا دعوتها لفراشك ما لم يكن هناك عذر شرعى كحيض أو نفاس ، والا فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين •

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا دعا الرجل امرأته لفراشه فلم تأتته فبات غضبانا عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » (١) •  
• وألا تصوم نفلا الا بلذتك •

فعن أبى هريرة أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة أن تصوم (٢) وزوجها شاهد الا باذنه ، ولا تأذن فى بيته الا باذنه » (٣) فربما احتجت إليها فى وسط النهار • فقد ورد فى الحديث : « ... فاذا وقع بصر أحدكم فى الطريق على امرأة أعجبته فليرجع بيته وليأت زوجته فان البضع واحد » •

وأن تحافظ على مالك ولا تسرف فيه ، وتكون مدبرة ، ولا تعطى أحدا من مالك شيئا الا باذنتك ، ولا تقدم طعاما لأحد أقاربها أو لسانئذ الا بعد وثوقها من رضاك •

وأن تحافظ على عرضك وعرض بناتك ، فلا تخرج الا باذنتك ، ولا تطلب منك ذلك الا للضرورة القصوى على أن تكون فى غاية الأدب والاحتشام عند خروجها ، وألا تقف على باب أو تطل من نافذة ، فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضى الله عنها : « يا فاطمة .. أى شىء خير للمرأة » ؟ قالت : ألا ترى رجلا ولا يراها رجل • فضمها الى صدره وقال : « ذرية بعضها من بعض » •

وعن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا أسماء .. ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه (٤) •

\* \* \*

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) المراد صوم النفل .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه ابو داود وقال : هذا مرسل .

وحتى تكون واعظا لها ذكرها بهذه الأحاديث الثلاثة :

عن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا »  
— يعنى زانية « (١) » .

وروى النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى الصحيح ولفظهم :  
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم  
ليجدوا ريحها فهي زانية ، وكل عين زانية » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب  
البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات ، مائلات  
رؤوسهن كأسنمة البخت (٢) المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ،  
وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » (٣) .

وآلا تدخل أحدا بيتك الا بأذنك ، وأن تصون فراشك فلا يطؤه  
أحد غيرك :

فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب  
رضى الله عنه : « ألا أدلك على خير ما يكنز الرجل ؟ امرأة صالحة . .  
ان نظر إليها سرته ، وان أمرها أطاعته ، وان غاب عنها حفظته فى  
نفسها وماله » .

وحسبك أن تقرأ عليها قول الله تبارك وتعالى : « وقل للمؤمنات  
يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر  
منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن (٤) ، ولا يبدين زينتهن  
الا لبعولتهن (٥) أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن  
أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت  
أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة (٦) من الرجال أو الطفل

(١) أى آخذة فى اسباب الزنا . رواه ابو داوود والترمذى وقال :  
حسن صحيح .

(٢) الابل الخراسانية . (٣) رواه مسلم وغيره .

(٤) جمع جيب وهو للثوب الشق فى اعلاه .

(٥) أى أزواجهن .

(٦) الاربة : أى الحاجة الى النساء من الرجال . فاصحاب الحاجة

الى النساء لا يصح لهم رؤية الزينة منهن .

الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضرين بأرجلهن ليعلم  
ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم  
تفعلون» (١) .

وليس معنى الآية الكريمة أن تبدى المرأة من الزينة لأبيها  
أو والد زوجها مثل ما تبديه لزوجها ، وإنما المقصود أن تراعى المرأة  
في ابداء الزينة لكل من هؤلاء ما يوافق الحياء والفضيلة .

كما يلاحظ أن زوج الأخت لم يرد ذكره في الآية مع أنه من المحارم ،  
والحكمة في عدم السماح للمرأة بابداء زينتها أمامه أن تحريمه عليها  
تحريم وقتي ، أي يحرم عليه الجمع بينها وبين أختها وربما افتتن  
الرجل بزينة أخت زوجته فيكره امرأته ويطلقها ليتزوج أختها ، أو يخادعها  
فيقع في أغلظ الفاحشة وهي نكاح المحارم ، وكذلك ليس معنى  
السماح للنساء برؤية الزوجة أن تنظر المرأة الى عورة المرأة فان هذا  
حرام : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الرجل الى عورة  
الرجل ، ولا تنظر المرأة الى عورة المرأة ، ولا يفضى الرجل الى الرجل  
في الثوب الواحد ، ولا المرأة الى المرأة في الثوب الواحد » (٢) .

أما الخدم والتابعون (٣) فبياح لهم رؤية زينة المرأة لأنهم من  
الطوائف عليهم بحكم عملهم ، ومن الضيق والحرَج الذي رفعته الشريعة  
أن يحرم عليهم ذلك . فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم  
أتى ابنته فاطمة رضی الله عنها بعبد قد وهبه لها ، وعلى فاطمة ثوب  
إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها ، وإذا غطت به رجليها ، لم يبلغ  
رأسها . فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى ، قال : « انه ليس  
عليك بأس ، إنما هو أبوك ، وغلماك » (٤) .

— أى لا حرج عليك يا فاطمة ، فليس موجود يرى زينتك الا أنا  
والدك — وكذلك خادمك .

(١) النور : ٣١

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي .

(٣) التابع : هو الذي لا شهوة له ، وقيل : الأبله . وقيل : المخنث  
الذي لا ينتصب ، الا اذا كان فاسقا يصف اهل البيت للناس .

(٤) رواه أبو داود .

وإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم أحوال النساء وعوراتهن فلا بأس بأن يدخل عليهن •

ولم يذكر الله جل شأنه — كذلك — العم والخال في الآية ، وذلك لأنه لا يحل للمرأة أن تبدي زينتها لعمها وخالها •

قال عكرمة رضى الله عنه في توضيح حكمة ذلك : لأنهما ينعتان لأبنائهما ، أى يصف جمال بنت أخته أو أخيه لأبنائه •

وعورة المرأة شرعاً : هى جسمها خلاف الوجه والكفين على الرأى الراجح لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا » — وأشار الى وجهه وكفيه — (١) •

ومع ذلك فالأفضل أن تغطى المرأة وجهها اذا خرجت من بيتها لأن الرجال فى هذا الزمان قد أصبحوا لا يعضون أبصارهم كما أمر الله جل شأنه ، بل ذهب الحياء ولم تؤمن الفتنة •

لا تأمنن على النساء ولو لأخ ما فى الرجال على النساء أمين  
ان الشقيق ولو تنزه جهده لا بد أن بنظرة سيخون

ولهذا يجب أن يكون الزوج غيراً ليحمى زوجته من الدنس ، ويوجهها الى ما يحفظ عليها شرفها ، فقد تكون المرأة فى ذاتها فاضلة شريفة أمينة ، وباهمال الزوج تتجراً على الخنا ، والنساء ناقصات عقل ودين •

وليس معنى ذلك أن يشتط الزوج فى الغيرة حتى تنقلب الى شك قاتل وريية مدمرة ، وانما يعتدل فى غيرته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من الغيرة ما يحب الله ، وما يكره الله : فأما ما يحب الله فالغيرة فى الريية ، وأما ما يكره الله فالغيرة فى غير ريية » (٢) •

وفى الحديث : « ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً ، الديوث ، والرجلة من النساء ، ومدمن الخمر » قالوا : يا رسول الله .. أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث ؟ قال : « الذى لا يبالي من دخل على أهله » قيل : فما الرجلة من النساء ؟ قال : « التى تشبه الرجال » (٣) •

(١) رواه أبو داوود . (٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه الطبرانى بسند قال الحافظ المنذرى : لا أعلم فيه مجروحاً •

وله شواهد كثيرة .

وأن تقوم بتربية أولادك وغرس الآداب السامية في نفوسهم وتعويدهم العمل بأحكام الدين والتحلى بمكارم الأخلاق ، وتكون لهم في ذلك خير قدوة •

وأن تتجمل لك حتى لا تنظر الى غيرها ، ولا تكون من اللائى يتبذلن في ثيابهن ما كن في البيت فان خرجن فهن الكاسيات العاريات المائلات المييلات ، وليكن في مقدمة ما تعنى به خدمة بيتك ونظافة نفسها وأولادها وطعامها وفراشها فالنظافة من الايمان ، وهى نعم المسرة للانسان •

وأن تعاونك على فعل الخيرات : ففى الحديث الشريف : « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ليصلى فان أبى نضحت في وجهه الماء » •

وأن تعاونك على بر أبويك باحسانها اليهما ، وتحملها هفواتهما ، وألا تحملك ما لا تطيق ولا ترهقك في مطعم أو كسوة •

\* \* \*

فلاحظ كل هذا اذا أردت أن تكون سعيدا في حياتك الزوجية ، مع ملاحظة أنه قد يقوم الزوج بواجباته وتقوم الزوجة بواجباتها ولكن في جفاء وجفاف ، يذهب حلاوة الحياة الزوجية ويجعلها كالسخرة البغيضة •

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مثال الرقة واللفظ مع أزواجه ، يداعبن ويدخل السرور عليهن ، تقول عائشة رضى الله عنها : « كان الحبش يلعبون بحرابهم ، فسترنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنظر فما زلت أنظر حتى كنت أنصرف ! فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو » (١) •

وتقول أيضا : « كنت أَلعب بالبنات — لعب الأطفال — عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ، وكان لى صواحب يلعبن معى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل ينقمعن — يهربن — فيسربهن فيلعبن معى » (٢) •

وكان صلى الله عليه وسلم في غاية السماحة مع أزواجه ، فيصفتح عنهن ويوسع صدره ، قال لعائشة : « انى لأعلم أن كنت عنى راضية ،

(٢) متفق عليه .

(١) رواه البخارى .

وإذا كنت على غضبى ! قالت فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ فقال :  
أما إذا كنت عنى راضية فانك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبى ،  
قلت : لا ورب ابراهيم ! قالت : قلت : أجل والله يا رسول الله  
ما أهجر الا اسمك » •

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نسائه فى مرضه ،  
فاجتمعن • فقال : « انى لا أستطيع أن أمر عليكن فان رأيتن أن تأذن لى  
فأكون عند عائشة ففعلتن » فأذن له (١) •

فتمعن معى فى قوله اللطيف — صلى الله عليه وسلم : « فان رأيتن  
أن تأذن لى » يطلب الاذن منهن وهو رسول الله !!  
وروت كتب السنة أن نساء رسول الله كن يراجعنه — يناقشن  
أوامره — وتهجره الواحدة منهن اليوم الى الليل (٢) •

كما ورد فى كتب السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كان اذا فرغ كان فى خدمة أهله — أى يساعدهم فى أعمال البيت •

فلا تنس كل هذا وطبقه حتى تكون زوجا مثاليا وحتى تستمر  
سعادتك طوال حياتك الزوجية •



وحتى تدوم المودة بينكما أرجو أن تلاحظ هذه الأحاديث الشريفة :  
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم  
لنسائهم » (٣) •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » (٤) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع ،  
وان أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فاذا ذهب تقيمه كسرتة ، فان تركته  
لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » (٥) •

(١) رواه أبو داود .  
(٢) رواه الإمام أحمد وغيره .  
(٣) رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه .  
(٤) رواه البخارى ومسلم .  
(٥) رواه ابن حبان فى صحيحه .

وهذه الأحاديث :

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« من كان عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مساقط » (١) .

وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت له امرأتان فمال الى احدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » (٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك (٣) فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » (٤) يعنى القلب .

\* \* \*

وإذا حدث لا قدر الله أن استطاع الشيطان أن يفرق بينكما ووقع أبغض الحلال عند الله ، وهو الطلاق النهائى :

فايك ايك أن تقع فى هذا الاثم الذى وقع ولا زال يقع فيه كثير من الجهلاء السفهاء وهو التحليل الذى قال فيه الشيخ ابن حجر الهيثمى فى كتاب « الزواجر عن اقتراف الكبائر » ما ملخصه :

أخرج أحمد والنسائى وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن المحلل والمحلل له .

وروى ابن ماجه باسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بالتيس (٥) المستعار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، فقال : « هو المحلل . لعن الله المحلل والمحلل له » .

وروى أبو اسحاق الجوزانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال : « لا ، الا نكاح رغبة لا نكاح دلة (٦) ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل ، ثم تذوق العسيلة »

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) ما يملك : هو الثقة والمبيت ، وما لا يملك : هو المحبة .

(٤) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

(٥) الذكر من الظباء والمعز والوعل .

(٦) خديعة تدبلس .

وأما عن تحريم الصحابة له :

فقد روى ابن المنذر وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والأثرم عن عمر رضى الله عنه أنه قال : لا أوتى بمحل ولا محل له الا رجمتها • فسئل ابنه عن ذلك فقال : كلاهما زان •

وسأل رجل ابن عمر فقال : ما تقول فى امرأة تزوجتها لأحلها لزوجها لم يأمرنى ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا ، الا نكاح رغبة ان أعجبتك أمسكتها ، وان كرهتها فارقتها ، وان كنا نعد هذا سفاحاً (١) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وسئل عن رجل طلق ابنة عمه ثم ندم ورجب فيها فأراد آخر أن يتزوجها ليحلها له ، فقال : كلاهما زان ، وان مكث عشرين سنة أو نحوها اذا كان يعلم أنه يريد أن يحلها •

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن طلق امرأته ثلاثاً ثم ندم • فقال : هو عصى الله فأندمه ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجاً • وأما من حرمه من فقهاء التابعين :

فقد قال الترمذى : والعمل على التحريم عند أهل العلم منهم عمرو وابنه عثمان ، وهو قول الفقهاء من التابعين • ونقل ابن حجر عن الحسن البصرى أنه قال : اذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد •

وعن النخعى أنه قال : اذا كانت نية أحد الثلاثة : الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل ، فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول • وعن ابن المسيب أنه قال : من تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول لم تحل له •

وأما من حرمه من الأئمة :

فقد نقل ابن حجر التحريم عن الامام مالك والليث وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل •

ونقل عن أحمد أنه سئل عن تزوج امرأة وفى نفسه أن يحلها للأول ولم تعلم هى بذلك • فقال : هو محلل ، واذا أراد بذلك التحليل فهو ملعون •

(١) اى نجورا •



وقد أخذ المحرمون للتحليل وهم أهل العلم من الصحابة والفقهاء من التابعين والأئمة السابقين باطلاق الأحاديث السابقة •  
وقال الامام الشافعى : ان التحريم محله اذا شرط التحليل فى طلب العقد (١) اه •

\* \* \*

وإذا لم تستطع الزواج — الذى يفض بصرک ، ويحصن فرجک (٢) — لعدم وجود الباءة التى هى مؤن النکاح (٣) •

فعليك بالصوم فانه لك وجاء :

أى وقاية لك من الوقوع فى جريمة الزنا الذى حرمه الله سبحانه وتعالى فقال : « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (٤) •

كما نهك الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوقوع فيه فقال موجها كلامه الى كل شاب : « يا شباب قريش •• احفظوا فروجكم لا تزنوا ، ألا من حفظ فرجه فله الجنة » (٥) •

وحتى لا تقع فى هذه الفاحشة كان لابد وأن تكون بعيدا عن جميع أسبابها ، وذلك : بغض البصر عن جميع المعريات الجنسية التى يزينها لك الشيطان الرجيم •

هذا بالاضافة الى ضرورة تجنبك لمشاهدة الأفلام الماجنة ، وغشيان المسارح الفاجرة ، وقراءة الروايات والكتب الخليعة ، والائتناس بأهل الميوعة والتحلل •

وتعمل على أن تكون بعيدا عن الفراغ الذى هو كذلك من أهم أسباب الفساد وفى ذلك يقول الشاعر :

ان الشباب والفراغ والجدة (٦) مفسدة للمرء أى مفسدة

وذلك بشغل نفسك ببعض الأنشطة الدينية ، والاجتماعية ، والرياضية ، والثقافية ، حتى يبسر الله لك طريق الزواج •

(١) كلام ابن حجر •

(٢) كما أشار الرسول ﷺ فى وصيته •

(٣) كما عرفت سابقا • (٤) الاعراف : ٣٣

(٥) رواه الحاكم والبيهقى وقال : صحيح على شرطها •

(٦) أى المال •

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيك بالصيام فليس هذا معناه أن تصوم بصفة مستمرة حتى لا تقوى على العمل ، وإنما المراد أن تصوم ولو يومين كل أسبوع ، كالاثنين والخميس فهما بالاضافة الى هذا الهدف المراد ( وهو اضعاف الشهوة الجنسية ) سنة ، وحتى يتضح لك هذا المعنى اليك هذا الحديث الشريف :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بلغنى أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، فلا تفعل ، فان لجسدك عليك حقا ، ولعينيك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، صم وأفطر ، صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر » .  
قلت : يا رسول الله . . ان لى قوة . قال : « فصم صوم داوود عليه السلام . صم يوما ، وأفطر يوما » فكان يقول : يا ليتنى أخذت بالرخصة (١) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس » (٢) .



وأخيرا :

ولما كان كثير من الأزواج والزوجات فضلا عن غيرهم وغيرهن من المسلمين والمسلمات ، يجهل غسل الجنابة وما يتعلق به من الأحكام . فقد رأيت وفي ختام هذا الموضوع الحيوى واتماما للفائدة : أن أشير الى أحكام هذا الموضوع الهام الذى أمر الله تعالى به فى قوله :  
« (١٠٠) وان كنتم جنبا فاطهروا » (٣) .  
وحتى لا أطيل عليك فإليك :

### الفصل

الغسل بالفتح ، مصدر غسل . وبالضم اسم مصدر لاغتسل ، وهو تعميم الجسد بالماء ، وبالكسر اسم لما يغسل به من صابون

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه النسائى ، وابن ماجه وقال : حسن غريب .

(٣) السائدة : ٦

وأشنان<sup>(١)</sup> ونحوهما • وهو لغة : الاسالة • وشرعا : ايصال الماء الى الجسد ، ودليله — كما قرأت سابقا — قول الله تعالى :  
« وان كنتم جنبا فاطهروا » •

\* \* \*

### موجبات الغسل

**أولا :** خروج المنى وبروزه من حشفة الرجل الى فرج المرأة الظاهرة ولو حكما لمحتلم رأى بللا ولم يدرك الشهوة • لقول عائشة رضى الله عنها :  
« المنى : الماء الأعظم الذى منه الشهوة وفيه الغسل »<sup>(٢)</sup> •

ولقول على رضى الله عنه : كنت رجلا مذاء ، فسألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « فى المذى الوضوء ، وفى المنى الغسل »<sup>(٣)</sup> • وعن أنس : أن أم سليم سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن امرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل • فقال :

« من رأت ذلك منكن فأنزلت فلتغتسل » قالت أم سلمة : أو يكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، ماء الرجل غليظ أبيض • وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق — أو علا — أشبهه الولد »<sup>(٤)</sup> •

**ثانيا :** التقاء الختانين : والدليل على وجوب الغسل بالتقاء الختانين حديث عائشة رضى الله عنها الذى تقول فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا قعد بين شعبها الأربع ثم مس الختان الختان فقد وجب الغسل »<sup>(٥)</sup> •

وقالت عائشة رضى الله عنها : « اذا التقى الختانان فقد وجب الغسل • فعلته أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واغتسلنا »<sup>(٦)</sup> •

(١) الأشنان : بضم الهزة وسكون الشين المعجمة : دقاق الترمس •

(٢) أخرجه المنذرى •

(٣) أخرجه أحمد والأربعة وقال الترمذى : حسن صحيح •

(٤) أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه والبيهقى •

(٥) أخرجه أحمد ومسلم •

(٦) أخرجه الشافعى فى « الام » والنسائى وصححه ابن حبان •

وابن القطان واعله البخارى بان الأوزاعى أخطأ فيه •

والمراد بالتقاء الختائين ومسهما : تغيب الحشفة في القرج ،  
وليس المراد حقيقة اللمس ولا حقيقة الملاقاة •

**ثالثا :** انقطاع دم الحيض والنفاس : لحديث عائشة رضى الله عنها  
الذى تقول فيه : ان فاطمة بنت ابي حبيش كانت تستحاض فسألت  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

« ذلك عرق وليس بالحيضة فاذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة ،  
وإذا أدبرت فاغتسلى وصلى » (١) •

وعن عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل  
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اذا مضى للنفساء سبع  
ثم رأت الطهر فلتغتسل ولتصل » (٢) •

**رابعا :** الولادة بلا دم : وهو واجب عند ابي حنيفة ومالك على  
من ولدت ولم تر دما احتياطا ، لأنها لا تخلو من أثر دم • وقال  
أبو يوسف ومحمد والحنابلة : لا غسل عليها لعدم الدم ولأنه لا نص  
فيه ولا هو في معنى المنصوص •

**خامسا :** الموت : فقد أجمع العلماء على أنه يفترض على الأحياء  
فرض كفاية : تغسيل الميت المسلم الذى لم يقم به ما يمنع الغسل  
كالشهادة في المعركة والبعغى والقتل ظلما • لقول ابن عباس رضى الله عنهما :  
بينما رجل واقف مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعرفة فوقصته  
ناقة فمات ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اغسلوه بماء  
وسدر (٣) وكفنوه في ثوبين » (٤) •

وسبب لزومه عند الحنفيين : الحدث على الأصح لأن الموت سبب  
للاسترخاء وزوال العقل ، وهو عند الشافعية : للنظافة ، وروى عن  
مالك فلا تلزم فيه النية ويصح من الكافر والمجنون • وعند الحنابلة :  
سببه الموت تعيدا •

(١) أخرجه البخارى ومسلم • (٢) أخرجه البيهقى •

(٣) السدر بكسر فسكون : شجر النبق ، والمراد ورقه •

(٤) أخرجه مالك وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى

سادسا : اسلام الكافر : وان اغتسل قبل اسلامه ، وكذلك لو كان  
مرتدا أسلم ولو صبيا مميزا ، لقول قيس بن عاصم : « أتيت النبي  
صلى الله عليه وسلم أريد الاسلام فأمرنى أن أغتسل بماء وسدر » (١) .

\* \* \*

### مالا يوجب الغسل :

لا يلزم الغسل لأربعة أنواع :  
لا يفترض الغسل اتفاقا : لذى ، ولا لودي (٢) ولا لاحتلام  
بلا بلل . لا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة ، فاذا احتلمت بلذة  
ولم يخرج ماؤها الى فرجها الظاهر ، فلا غسل عليها .  
ولا يفترض بتغيب بعض الحشفة ولا بوطء في غير قبل ودبر ،  
ولا بسحاق - وهو اتيان المرأة المرأة بلا انزال - ولا بالتمصاق الختانين  
بلا ايلاج (٣) .

ولا يفترض عند الشافعية بخروج منى بللذة ولو حكما .  
ولا يجب عند المالكية : بمنى خرج بلذة غير معتادة ، كأن خرج  
لنزوله في ماء حار ، ولحك جرب ، وتحريك دابة ان لم يتماد فيهما .  
فان تمادى بعد شعوره باللذة من حك الجرب وتحريك الدابة وجب  
الغسل .

\* \* \*

### أركان الغسل

النية : عند المالكية ، والشافعية .  
وتعميم الجسد بالماء : عند المالكية ، وتعميم البشرة والشعر  
بالماء : عند الشافعية ، وتعميم سائر الجسد بالماء : عند الأحناف .  
وتعميم الجسد بالماء حتى داخل الفم والأنف وظاهر الشعر وباطنه  
وحشفة أغلف ان أمكن تشميرها بلا مشقة : عند الحنابلة .  
وتخليل الشعر : عند المالكية . وعند الحنفيين : لا يجب على  
المرأة نقض ضفيرتها ان بل أصابها لحديث عبد الله بن رافع مولى أم سلمة

(١) أخرجه احمد وادو والترمذى والنسائى وصححه ابن السكن .

(٢) الذى : هو الذى ينزل اثناء مداعمة الرجل لزوجه . . وليس منه

الغسل . . والودي : هو الذى يخرج من القبل قبل البول او بعد البول  
وليس منه الغسل . (٣) أى ادخال .

(٤٠) - من وصايا الرسول (

أن أم سلمة قالت : يا رسول الله •• انى امرأة أشد ضفر رأسى  
أفأنفضه للجنابة ؟ قال :

« انما يكفيك أن تحشى عليه ثلاث حثيات من ماء ثم تفيضى على  
سائر جسدك ، فاذا أنت قد طهرت » (١) •

والموالة مع الذكر والقدرة : عند المالكية •  
التسمية فى أوله : بأن يقول : باسم الله والحمد لله ، عند الحنفيين  
والشافعى • ومندوبة عند مالك ، وواجبة على العالم الذاکر عند الحنابلة •  
غسل الكفين ثلاثاً فى أوله : لقول عائشة رضى الله عنها :

« كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد أن يغتسل من  
جنابة يغسل يديه ثلاثاً قبل أن يدخلهما فى الماء » (٢) •  
والحكمة فى ذلك : أنهما آلة التنظيف فيطهران أولاً •

غسل القبل والدبر قبل الغسل ، وان لم يكن عليهما نجاسة •  
لما فى حديث عائشة رضى الله عنها الذى تقول فيه :  
« ••• ثم يفرغ على شماله فيغسل فرجه » (٣) •

ازالة ما على الجسد من نجاسة فى أول الغسل ، ولو قليلة ، لأنه  
لا يرتفع حدث ما تحتها حتى تزال هذه النجاسة •  
وأن يبدأ بغسل أعضاء الوضوء •

واقاضة الماء ثلاثاً وكذلك التيامن ، لأنه صلى الله عليه وسلم  
كما ورد : كان اذا استبرأ حفن على رأسه ثلاث حفنات ، ثم أقاض  
على سائر جسده • وأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب التيامن فى  
شأنه كله •

تخليل اللحية والشعر : أى أنه يلزم المغتسل ايصال الماء الى  
أصول شعره وايصاله الى ما تحت لحيته الخفيفة ، ويسن له تخليل  
شعر اللحية والرأس ان وصل الماء الى أصول الشعر بلا تخليل •  
والالزم عند الحنفيين • وعند الشافعية والحنابلة : يسن تخليل الشعر  
ان وصل الماء الى البشرة بدونه ، والالزم •

(١) أخرجه أحمد ومسلم والأربعة وقال الترمذى : حسن صحيح •

(٢) أخرجه السبعة • (٣) أخرجه البخارى ومسلم •

والمعتمد عند المالكية : أنه يجب تخليله مطلقا ، ولو كثيفا وصلح الماء الى ما تحته لحديث : « خللوا الشعر وأنقوا البشرة ، فان تحت كل شعرة جنابة » (١) .

تخليل الأصابع : أى أنه يسن للمغتسل تخليل أصابع يديه ورجليه عند غير المالكية ، وهو فرض عند المالكية فى أصابع اليدين والرجلين ، لحديث : « خلل أصابع يديك ورجليك » (٢) .

التثليث : أى أنه يسن فى الغسل تثليث غسل الرأس اتفاقا ، وكذا باقى الجسد عند المالكية ، لحديث : « اذا اغتسل أحدكم فليغسل كل عضو ثلاثا » (٣) .

الستر حال الغسل : أى أنه يطلب من المغتسل ستر العورة حال الاغتسال ، وأن يغتسل بمكان لا يراه فيه من لا يحل له النظر الى عورته ، لحديث : « ان الله عز وجل حيبى ستيير يحب الحياء والستر ، فاذا أراد أحدكم أن يغتسل فليستتر » (٤) .

استعمال الصدر ونحوه : أى أنه يسن فى الغسل استعمال صدره ونحوه كأشنان وصابون لحديث عائشة رضى الله عنها : أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله .. أخبرنى عن الطهور من الحيض ، فقال : « نعم .. لتأخذ احداكن ماءها وسدرتها فتطهر .. » (٥) .



## أقسام الغسل

أقسام الغسل ثلاثة :  
فرض ، وسنة ، ومندوب ؛  
فيفترض لواحد من الأسباب المتقدمة :  
وهى : انزال المنى بشهوة ولو حكما ، وتغيب حشفة فى قبل أو دبر

(١) أخرجه النسائى والترمذى .

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وقال : حسن غريب .

(٣) أخرجه الديلمى .

(٤) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى بسند صحيح .

(٥) أخرجه أحمد والبخارى وأبو داود .

ولو من كافر ثم أسلم ، وانقطاع حيض أو نفاس ولو من كافرة .  
 ثم أسلمت ، وولادة ولو بلا دم ، وموت •  
 ويلزم الغسل لازالة نجاسة أصابت كل البدن أو بعضه وخفى  
 مكانها •

ويسن لخمس أشياء :

غسل الجمعة ممن يريد صلاة الجمعة وان لم تلزمه ، وغسل  
 العيدين ، وغسل من غسل ميتا ، وغسل الاحرام ، وغسل الوقوف بعرفة •  
 ويندب الغسل لأمر ، منها :

دخول مكة ، والافاقة من جنون أو اغماء أو سكر ولم يجد بللا •  
 وللمبيت بالمزدلفة ، ورمى الجمار ، والطواف ، والزيارة ، وطواف  
 الوداع ، وصلاة الكسوف ، والاستسقاء ، والفرع ، وظلمة النهار ،  
 والريح الشديدة •

لأن هذه عبادات يجتمع لها الناس مزدحمين فيعرقون فيؤذى  
 بعضهم بعضا ، فاستحب الغسل للنظافة ودفع الأذى كالجمعة •

\* \* \*

### كيفية الغسل الكامل

وهو المشتمل على الفرائض والسنن والمندوبات • وكيفية : أن  
 ينوى المغتسل بقلبه رفع الحدث الأكبر أو استباحة الصلاة ونحوها •  
 ثم يقول : باسم الله والحمد لله ، ثم يغسل كفيه ثلاثا قبل ادخالهما  
 الاناء ، ثم يغسل ما على فرجه وسائر بدنه من الأذى ، ثم يتوضأ  
 وضوءه للصلاة ، ثم يدخل أصابعه كلها في الماء فيغرف غرفة يخلل  
 بها أصول شعره من رأسه ولحيته ، ثم يحشى على رأسه ثلاث حشيات ،  
 ثم يفيض الماء على سائر جسده ، يبدأ بالشق الأيمن ثم الأيسر ،  
 ويتعاهد معاطف بذنه كالأبطين وداخل الأذنين والسرة وما بين الإليتين  
 وأصابع الرجلين وعكن البطن وغير ذلك • فيوصل الماء الى جميع  
 ذلك ويدلك ما تصل اليه يداه من بدنه •

وان كان يغتسل في نهر أو نحوه انغمس حتى يصل الماء الى  
 جميع بشرته وشعره ظاهره وباطنه وأصول منابته •



ويستحب أن ينوى الغسل من أول شروعه فيه ، ويستحب النية الى الفراغ منه • ويكفى الظن في تعميم الجسد بالماء ، ثم يتحول من مكان غسله فيغسل قدميه ان لم يكن غسلهما أولا •

ودليل ذلك حديث عائشة الذى تقول فيه : « ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه ثلاثا ، ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم يأخذ الماء ويدخل أصابعه فى أصول الشعر حتى اذا رأى أن قد استبرأ<sup>(١)</sup> حفن على رأسه ثلاث حفنات ثم أفاض على سائر جسده ثم غسل رجليه » أخرجه الشيخان ، وفى رواية لهما : « ثم يخلل بيده شعره حتى اذا ظن أنه قد أروى بشرته أفاض عليه الماء ثلاث مرات » •

وأما عن غسل الحائض والنفساء فأجمع حديث ورد فى كفيته حديث عائشة رضى الله عنها الذى تقول فيه : ان أسماء سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض فقال : « تأخذ احداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى يبلغ شئون رأسها ، ثم تصب عليها الماء ، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتتطهر بها » قالت أسماء : وكيف تتطهر بها ؟ قال : « سبحان الله •• تطهري بها » فقالت عائشة — كأنها تخفى ذلك — : تتبعى أثر الدم<sup>(٢)</sup> •

وسألته عن غسل الجنابة ، فقال : « تأخذى ماءك فتتطهرين فتحسنين الطهور — أو أبغى الطهور — ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى يبلغ شئون رأسها ثم تفيض عليها الماء » •  
فقالت عائشة : نعم النساء نساء الأنصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين • أخرجه السبعة الا الترمذى •



### ما يحرم على الجنب

يحرم على الجنب :

- الصلاة والطواف ومس القرآن وحمله الا بغلاف منفصل •
- ويحرم عليه أيضا قراءة شىء من القرآن بقصده ولو بعض آية •

(١) استبرأ : أى رصل الماء البشرة ، وكذا (أروى) .

(٢) أخرجه أبو يعلى بسند رجاله ثقات وأخرجه أحمد مطولا .

لقول على كرم الله وجهه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
توضأ ثم قرأ شيئاً من القرآن ، ثم قال : « هكذا لمن ليس بجنب •  
فأما الجنب فلا ، ولا آية » •

ويحرم على الجنب : دخول المسجد ولو عبوراً بلا مكث الا لضرورة ،  
لقول عائشة رضى الله عنها : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه  
بيوت أصحابه ثارعة<sup>(١)</sup> في المسجد فقال : « وجهوا هذه البيوت  
عن المسجد » • ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع  
القوم شيئاً رجاء أن ينزل فيهم رخصة ، فخرج اليهم فقال : « وجهوا  
هذه البيوت عن المسجد ، فاني لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب »<sup>(٢)</sup> •

\* \* \*

فلاحظ كل هذا مع ملاحظة :

أنه لو أجنب في المسجد تيمم وخرج من ساعته ان لم يقدر على  
استعمال الماء • وكذا لو دخله جنباً ناسياً ثم ذكر • وان خرج مسرعاً  
بلا تيمم جاز • وان لم يقدر على الخروج تيمم ومكث ، ولكنه لا يصلى  
به ولا يقرأ •

وقال ابن مسعود وابن عباس والشافعية والحنابلة : يجوز المرور  
للجنب في المسجد بوضوء وبغيره ولو لغير حاجة لقوله تعالى :  
« ولا جنباً الا عابري سبيل »<sup>(٣)</sup> ، والعبور بما يكون في محل  
الصلاة ، وحماوا الأحاديث السابقة •• على منع المكث فقط ، للآية  
المذكورة ••

ومثال الجنب في ذلك الحائض ان أمن التلوّث بمرورها •• الخ<sup>(٤)</sup> •

\* \* \*

(١) أي أبوابها مفتحة فيه .

(٢) أخرجه أبو داود والبخاري في « التاريخ » .

(٣) النساء : ٤٣

(٤) راجع كل هذا باطناب في الجزء الأول من « الدين الخالص » .

# الوصية السابعة والعشرون

عن أنس رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا بنى .. ان قدرت أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل » .

ثم قال لى :

« يا بنى .. وذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

(رواه الترمذى بسند حسن)

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

فى صباحك ومساءك خالى القلب من الغش لآخوانك المسلمين فضلا عن غيرهم تنفيذا لهذه الوصية العظيمة التى أوصاك الرسول صلى الله عليه وسلم بها فى شخص سيدنا أنس رضى الله عنه ، راوى هذا الحديث الشريف .

وحسبك ترغيبا لك فى تنفيذ هذه الوصية أنك ستكون مقتديا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومتخلقا بأخلاقه ، كما أشار الى ذلك فى قوله : « ... وذلك من سنتى » ثم يرغبك فى ذلك فيقول : « ... ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

بل وحسبك تحذيرا لك من الوقوع فى شباك هذا الداء الدفين ، ما جاء فى هذا الحديث الصحيح الذى يعلن فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم براءته من الغشاش فيقول : « من غشنا فليس منا » (١) . واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذرنا من الغش ، فالغش : أخو الخيانة ، ومقترفه آثم يتجافاه الناس ويبغضونه ويحتقرونه ، نفوسهم منه مسمترة ، وجلودهم لرؤيته مقشعرة ، وقلوبهم عليه ساخطة ، وألسنتهم بذكره لاعنة .

(١) من حديث مسلم .

والغشاش أخو الكذاب ، فكلاهما مطرود من رحمة الله تعالى ،  
والإسلام ينكرهما ، والرسول صلى الله عليه وسلم منهما براء .

\* \* \*

وللغش صور متعددة :

فقد يكون - وبصورة واضحة - في الصداقة المزيفة التي لا تعتمد  
الا على جلب المصالح الشخصية التي يحرصون على تحقيقها بكل  
ما أوتوا من نفاق حتى ولو كان هذا على حساب غيرهم .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر المجرب :

وإخوان تخذتهموا دروعا فكانوها ولكن للأعدى  
وخلتهموا سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادى  
وقالوا قد صفت منا قلوب نعم صدقوا ولكن من ودادى  
وقالوا قد سعينا كل سعى لقد صدقوا ولكن في فسادى

ولهذا كان الصديق الوفى المخلص هو الذى أوصى به علقمة  
ابن لبيد ولده فى وصيته التى يقول فيها : « يا بنى .. ان احتجت  
الى صحبة الرجال فاصحب من ان صحبته زانك ، وان أصابتك خصاصة<sup>(١)</sup>  
أعانك ، وان قلت سدد قولك ، وان صلت<sup>(٢)</sup> قوى صولتك ، وان بدت  
منك ثلثة<sup>(٣)</sup> سدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته أعطاك ،  
وان تابت بك احدى المهمات واساك ، من لا تأتيتك منه البوائق<sup>(٤)</sup>  
ولا تختطف عليك منه الطرائق » .

وفي هذا المعنى أيضا يقول أحدهم :

ان أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك  
ومن اذا ريب الزمان صدعك شئت فيه شمله ليجمعك

فلاحظ كل هذا و :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة  
فربما انقلب الصديق فكان أدري بالمضرة

(٢) اى وثبت .

(٤) اى الشر والمصائب .

(١) اى فقر .

(٣) اى خلل .

و :

إذا الذئاب استنعت لك مرة فحذار منها أن تعود ذئابا  
فالذئب أخبث ما يكون إذا بدا متلبسا بين النعاج اهابا

\* \* \*

وقد يكون كذلك في اظهار الصلاح للناس والقلب منه خراب :  
وفي هذا يقول أحدهم :

أظهروا للناس نسكا وعلى الدينــــــــــــــــار داروا  
وله صاموا وصلوا وله حجــــــــــــــــوا وزاروا  
لو يرى فوق الثريا<sup>(١)</sup> ولهم ريش لطاروا

وهذا ما يعنيه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله :  
« من تخلق للناس ما ليس خلقا له شأنه الله » وقوله : « من أظهر  
للناس خشوعا فوق ما في قلبه فانما أظهر نفاقا على نفاق » •  
فاحذر الاتصاف بهذه الصفة الذميمة فانه لا عبرة بالزى الظاهر  
إذا تدنست القلوب والسرائر •

\* \* \*

وقد يكون كذلك في كتمان النصيحة ، وفي هذا يقول الرسول  
صلوات الله وسلامه عليه : « الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال :  
« لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »<sup>(٢)</sup> وعن جرير بن عبد الله  
رضى الله عنه قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على :  
اقام الصلاة وابتاء الزكاة والنصح لكل مسلم »<sup>(٣)</sup> •

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن ناصحا أميناً والا كنت شريكا  
للأثم — الذى رأيتك يرتكب منكرا ولم تتطوع بتبصيره — فى الأثم  
لأنك ستعتبر فى هذا الوقت راضياً عنه ومشجعاً له • وقد ورد فى هذا  
المعنى من أقوال سيدنا على رضى الله عنه : « الراضى بفعل قوم  
كالداخل فيه معهم ، وعلى كل داخل فيه أثمان : اثم العمل به ، واثم  
الرضا به » كما ورد فى الحديث الشريف : « المغتاب والمستمع شريكان  
فى الأثم » •

(٢) رواه مسلم .

(١) اى النجوم .

(٣) متفق عليه .

وقد يتعلق في رقبته يوم القيامة ويقول : يا رب .. خذ لى حتى  
من هذا ، لأنه رأى أفعل المنكر ولم ينهني .  
فلا تنس كل هذا أخا الاسلام واحذر الوقوع فى هذا الاثم وكن  
ناصحا أميناً لآخوانك المسلمين ، فقد ورد فى الحديث الشريف : « من  
لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يصبح ويمسى ناصحاً  
للله ولرسوله ولكتابه ولأمامه ولعامته المسلمين فليس منهم » (١) .

\* \* \*

كما يكون الغش كذلك فى البيع والشراء : فعن أبى هريرة رضى الله عنه  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة (٢) طعام فأدخل  
يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام » ؟  
قال : أصابته السماء (٣) يا رسول الله ، قال : « أفلا جعلته فوق الطعام  
حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا » (٤) . وعن أبى سباع قال :  
اشتريت ناقة من دار وائلة بن الأسقع ، فلما خرجت بها أدركنى يجز  
أزاره فقال : اشتريت ؟ قلت : نعم . قال : أبين لك ما فيها . قلت :  
وما فيها ؟ انها لسمينة ظاهرة الصحة ، قال : أردت بها سفراً  
أو أردت بها لحماً ؟ قلت : أردت بها الحج ، قال : فارتجعها ، فقال  
صاحبها : ما أردت الى هذا .. أصلحك الله ، تفسد على ؟ قال : انى  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل لأحد يبيع  
شيئاً الا يبين ما فيه ، ولا يحل لمن علم ذلك أن لا يبينه » (٥) .  
وعن صفوان بن سليم : أن أباً هريرة رضى الله عنه مر بناحية  
الحرّة (٦) فإذا انسان يحمل لبناً يبيعه ، فنظر اليه أبو هريرة فإذا  
هو خلطه بالماء ، فقال له أبو هريرة : كيف بك اذا قيل لك يوم القيامة  
خلص الماء من اللبن .

\* \* \*

وقد يكون كذلك فى الحسد المذموم الذى أمرنا الله تعالى  
بالاستعاذة منه فقال تعالى : « قل أعوذ برب الفلق » من شر ما خلق .

- 
- (١) رواه الطبرانى من رواية عبد الله بن أبى جعفر .  
(٢) أى طائفة من الطعام . (٣) أى المطر .  
(٤) رواه مسلم وابن ماجه .  
(٥) رواه البيهقى والحاكم وقال : صحيح الاسناد .  
(٦) بفتح الحاء وتشديد الراء : أرض بظاهر المدينة .

ومن شر غاسق اذا وقب • ومن شر النفاثات في العقد • ومن شر حاسد اذا حسد» (١) •

وإذا كان الحسد من أمراض القلب التي كثيرا ما تقضى عليه وعلى صاحبه الذي ابتلى به :

فهو كذلك المعصية الأولى التي عصى الله تعالى بها في السماء وفي الأرض : عندما حسد ابليس آدم فأبى أن يسجد له امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى ، وكان تعليقه لهذا هو قوله لرب العزة سبحانه وتعالى عندما قال : « ٠٠٠ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، أستكبرت أم كنت من العالين • قال أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين • قال فاخرج منها فانك رجيم • وان عليك لعنتي الى يوم الدين » (٢) •

وعندما قبل قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل ، وكانا قد : « ٠٠٠ قريبا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر » (٣) فقال له قابيل وهو الذي لم يقبل قربانه : « لأقتلك ، قال انما يتقبل الله من المتقين • لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك ، انى أخاف الله رب العالمين » (٤) • ورغم هذا التسامح الذي كان من جانب هابيل يقول القرآن بعد ذلك : « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » (٥) •

ولهذا حذر المصطفى صلى الله عليه وسلم من الحسد فقال : « اياكم والحسد ، فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (٦) •

وقال : « لا يجتمع في جوف عبد غبار في سبيل الله وفيح جهنم ، ولا يجتمع في جوف عبد الايمان والحسد » (٧) •  
والحسد المشار اليه في هذين الحديثين ، هو الحسد المذموم والمراد به : تمنى زوال نعمة الغير •

أما الحسد المحمود وهو : تمنى مثل النعمة حتى يتقرب الى الله تعالى بها مثل صاحبها ، فلا بأس به وقد ورد في الحديث الشريف

(٢) سورة ص : ٧٥ - ٧٨

(١) سورة الفلق •

(٣) المائة : ٢٧ بلفظ : « اذ ٠٠٠ » •

(٥) المائة : ٣٠

(٤) المائة : ٢٧ ، ٢٨ •

(٧) أخرجه البيهقي •

(٦) رواه أبو داود •

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا حسد الا في اثنتين :  
رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة  
فهو يقضى بها ويعلمها » (١) .

فلاحظ هذا ، واحذر أن تكون مريضا بمرض الحسد المذموم الذي  
وقفت عليه حتى لا تموت كمدا .

وإذا أردت مزيدا في رزقك فكن آخذا بالأسباب التي شرعها الله  
سبحانه وتعالى مع التوكل عليه سبحانه ، بمعنى تفويض الأمر اليه  
والاعتماد عليه « ٠٠٠ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ أمره ،  
قد جعل الله لكل شيء قدرا » (٢) .

ثم اليك كذلك هذه الأحاديث الشريفة التي أرجو أن تكون دائما  
وأبدا نصب عينيك حتى لا تصاب بداء الحقد والحسد اللذين هما  
أساس المصائب :

عن عبد الله بن عمرو قال : قيل : يا رسول الله .. أى الناس  
أفضل ؟ قال : « كل مخموم القلب صدوق اللسان » قيل : صدوق اللسان  
نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : « هو التقي النقي ، لا اثم فيه  
ولا بنى ولا غل ولا حسد » (٣) .

« لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا  
عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » (٤) .

« ان النميمة والحقد في النار ، لا يجتمعان في قلب مسلم » (٥) .

« ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر  
للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم » (٦) .

وحسبى في النهاية أن أذكرك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم  
لأصحابه : « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا ، فانى  
أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » (٧) .

بل وحسبى أن أدعو معك الله سبحانه وتعالى بقوله :

« ٠٠٠ ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل

في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » (٨) .

(٢) الطلاق : ٣

(٤) رواه البخارى .

(٦) رواه البيهقى .

(٨) الحشر : ١٠

(١) رواه البخارى .

(٣) أخرجه ابن ماجه .

(٥) رواه الطبرانى .

(٧) رواه ابو داود .



## وختاما :

اليك أذا الاسلام هذا الحديث الموضوعى الذى يتصل اتصالا وثيقا بموضوعنا ، والذى أرجو كذلك أن تنتفع به :

عن أنس بن مالك قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه بيده الشمال . فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي مثل مقالته أيضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى .

فلما قام النبي تبعه عبد الله بن عمرو — تبع الرجل — فقال : انى لاحيت أبى ، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا ، فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى فعلت . قال : نعم .

قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث ، فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه اذا تعار — تقلب فى فراشه — ذكر الله عز وجل حتى ينهض لصلاة الفجر . قال عبد الله : غير أنى لم أسمعه يقول الا خيرا .

فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أحترق عمله . قلت : يا عبد الله .. لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة . ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول — ثلاث مرات — : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت الثلاث المرات ، فأردت أن آوى اليك فأنظر ما عملك فأقتدى بك ، فلم أرك عمات كبير عمل !! فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ؟ قال : ما هو الا ما رأيت . قال عبد الله : فلما وليت دعانى فقال : ما هو الا ما رأيت .. غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه . فقال عبد الله : هذه التى بلغت بك .. رواه أحمد .

وفى رواية : « ما هو الا ما رأيت يا ابن أخى ، الا أنى لم أبت مضاعفا على مسلم » رواه البزار .

## الجزء الثامن

# الوصية السابعة والعشرون

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال :

- « كن في الدنيا كأنك غريب - أو عابر سبيل - »
- وكان ابن عمر يقول : اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك •

(رواه البخارى)



فكن أخت الاسلام :

- في هذه الدار الفانية التى تسمى الدنيا لدنوها ، أو لقلّة متاعها :
- كأنك غريب عنها ، أو عابر سبيل فيها •
  - تنفيذاً لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يوصينا جميعاً بها فى شخص عبد الله بن عمر رضى الله عنهما (١) •
  - أى : كما يقول الامام النووى عليه رحمة الله فى تفسير المراد منها : « لا تركز الى الدنيا ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها الا بما يتعلق به الغريب فى غير وطنه » •
  - واذا كان الامام النووى قد وقف على هذا المعنى الكبير بما أوتى من نور ، فقد أكدّه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « مالى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل (٢) فى ظل شجرة ثم راح وتركها » (٣) •

(١) راوى هذا الحديث •

(٢) أى استظل بها من حرارة الشمس •

(٣) من حديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح •

وقوله لأم المؤمنين عائشة رضی الله عنها : « اذا أردت اللحوق بي (١) فليكفك من الدنيا كزاد الراكب (٢) ، واياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخلفي (٣) ثوبا حتى ترقعيه » (٤) . يقول عروة معلقا على هذا : « فما كانت عائشة تستجد ثوبا حتى ترفع ثوبها وتنسكه (٥) ولقد جاءها يوما من معاوية ثمانون ألفا فما أمسى عندها درهم ، فقالت لها جاريتها : فهلا اشتريت لنا منه لحما بدرهم ؟ قالت : لو ذكرتيني لفعلت » .

وعن أنس رضی الله عنه قال : « اشتكى سلمان (٦) ، فعاده سعد (٧) فراه يبكي ، فقال له سعد : ما يبكيك يا أخي ، أليس قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أليس ؟ أليس ؟

قال سلمان : ما أبكى واحدة من اثنتين ، ما أبكى ضنا (٨) على الدنيا ، ولا كراهية الآخرة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا عهدا ما أرانى الا وقد تعديت (٩) .

قال : وما عهد اليك ؟ قال : عهد الينا أنه يكفى أحدكم مثل زاد الراكب ، ولا أرانى الا وقد تعديت ، وأما أنت يا سعد .. فأتق الله عند حكمك اذا حكمت ، وعند قسمك اذا قسمت ، وعند همك اذا هممت . قال ثابت : فبلغنى أنه ما ترك الا بضعة وعشرين درهما مع نفيقة (١٠) كانت عنده » (١١) .

وقال الحافظ : وقد جاء في صحيح ابن حبان : أن مال سلمان رضی الله عنه جمع ، فبلغ خمسة عشرة درهما . وفي الضبرانى : أن متاع سلمان بيع فبلغ أربعة عشرة درهما .

\* \* \*

- (١) أى مرافقتى فى الجنة .  
 (٢) أى ما يحتاج اليه المسافر من الزاد .  
 (٣) أى لا تتخذى ثوبا آخر بدلا منه .  
 (٤) رواه الترمذى والحاكم والبيهقى من طريقها وقال الحاكم : صحيح الاسناد .  
 (٥) أى تغسله بالماء وتطهره .  
 (٦) سلمان الفارسى .  
 (٧) سعد بن أبى وقاص .  
 (٨) أى حرصا على الدنيا وخوفا من فراقها .  
 (٩) أى تجاوزت العهد ولم أف به .  
 (١٠) تصغير نفقة ، والنفقة : اسم من الإنفاق ، أو ما ينفق من الغرامات .  
 (١١) رواه ابن ماجه ورواته ثقات احتج بهم الشيخان .

والذى نريد أن نناقشه الآن هو : لماذا يوصينا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا ، وما الذى يريده منا ؟

وهل يريد منا أن نكون متواكلين فى هذه الحياة بحيث نكون عالة على غيرنا من باقى الشعوب ؟ وهل الزهد فى الدنيا معناه الانقطاع لعبادة الله تعالى دون العمل من أجل الحياة الدنيا ؟

وللاجابة على هذه الأسئلة أستعين بالله تعالى قائلا :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا بأن نعتبر أنفسنا فى هذه الدنيا غرباء ، لأنه عرفها ووقف على خطورتها من خلال وصف الله سبحانه وتعالى لها فى قوله : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث (١) أعجب الكفار (٢) نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » (٣) .

ومن مخاطبة الله تعالى لها كما ورد فى صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام : « يا دنيا .. ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم ، لأنى قذفت فى قلوبهم بغضك والصبر عنك ، ما خلقت خلقا أهون على منك ، انى قضيت عليك يوم خلقتك : أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد » .

ولهذا كان صلوات الله وسلامه عليه يعمل دائما وأبدا على التحقير من شأنها ، وشأن محبيها فيقول : « لو كانت الدنيا تعدل (٤) عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » (٥) .  
ويقول فى حديث : روى عن الضحاک بن سفيان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا ضحاک .. ما طعامك ؟ »

(١) أى المطر .

(٢) الكفار فى هذه الآية هم الزراع .

(٣) الغرور : ما اغتر به الشخص من متاع الدنيا — والآية من سورة

الحديد : ٢٠ .

(٤) أى تزن وتساوى .

(٥) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

قال : يا رسول الله .. اللحم واللبن . قال : « ثم يصير الى ماذا ؟ »  
قال : الى ما قد علمت (١) . قال : « فان الله تعالى ضرب ما يخرج من  
ابن آدم مثلاً للدنيا » (٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر النبي صلى الله عليه  
وسلم بشاة ميتة قد ألقاها أهلها فقال : « والذي نفسى بيده للدنيا  
أهون على الله من هذه على أهلها » (٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : « الدنيا دار من لا دار له ، ولها يجمع من لا عقل له »  
رواه أحمد ، وزاد : « ومال من لا مال له » .

والرسول صلى الله عليه وسلم يريد من وراء هذا التحقير لشأن  
الدنيا وأهلها : أن يكون هناك حب للدار الآخرة التى هى دار البقاء  
التى رغبنا الله سبحانه وتعالى فيها فقال :

« قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى .. » (٤) .

وقال : « وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ، وللدار الآخرة خير  
للذين يتقون ، أفلا تعقلون » (٥) .

وقال : « .. أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ، فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ » (٦) .

وقال : « .. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى » (٧) .

كما كان صلى الله عليه وسلم يقول مشيراً الى هذا :

« من أحب دنياه أضر بآخرفته ، ومن أحب آخرفته أضر بدنياه ،  
فأثروا ما يبقى على ما يفنى » (٨) .

ولهذا كان من الفطنة أن يأخذ الانسان من هذه الحياة الدنيا  
ما يكفيه دون طمع ، ودون تعلق بها وحرص عليها حتى لا يكون لها  
مكان فى قلبه .

(١) يعنى الى عذرات وابوال .

(٢) رواه أحمد ورواه رواية الصحيح .

(٣) رواه أحمد بإسناد لا بأس به .

(٤) النساء : ٧٧

(٥) الأنعام : ٣٢

(٦) التوبة : ٢٨

(٧) الأعلى : ١٧

(٨) رواه أحمد والبخاري وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى فى  
« الزهد » وغيره ، وقال الحاكم : صحيح على شرطهما .

وفي ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه مبينا خطورة حب الدنيا والانشغال بها وما يتبع ذلك من نكبات :

« من أشرب<sup>(١)</sup> حب الدنيا القاط<sup>(٢)</sup> منها بثلاث : شقاء لا ينفد عناه<sup>(٣)</sup> ، وحرص لا يبلغ غناه<sup>(٤)</sup> ، وأمل لا يبلغ منتهاه<sup>(٥)</sup> ، فالدنيا طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يدركه الموت فيأخذه ، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه<sup>(٦)</sup> » .

وقوله : « من قضى نهمته<sup>(٧)</sup> في الدنيا حيل بينه وبين شهوته في الآخرة<sup>(٨)</sup> » ، ومن مد عينيه الى زينة المترفين كان مهينا في ملكوت السموات ، ومن صبر على القوت الشديد صبيرا جميلا أسكنه الله من الفردوس حيث شاء<sup>(٩)</sup> .

ولهذا كان العبد المؤمن خالى القلب من حب الدنيا بسبب حماية الله سبحانه وتعالى له ، وفي ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« ان الله ليحمى عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب<sup>(١٠)</sup> . وهذا يؤكد خطورتها .

وقد يكون هذا هو السر في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرص على غرس حب القناعة في قلوب أصحابه ، الى جانب التحذير من عواقب الجشع الذى ان تربح على قلب الانسان كان سببا في هلاكه ، وقد ورد في هذا :

عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينادى مناد : دعوا الدنيا لأهلها ، دعوا الدنيا لأهلها . . من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه<sup>(١١)</sup> وهو لا يشعر<sup>(١٢)</sup> » .

(١) أى اختلط حبها بقلبه مثل الشراب .

(٢) أى التصق وتعلق . (٣) أى لا ينتهى تعبته .

(٤) أى لا يشبع مهما أوتى من مال .

(٥) أى لا يدرك غايته ونهايته قبل الموت .

(٦) رواه الطبرانى باسناد حسن .

(٧) أى حقق رغبته وأدرك شهوته .

(٨) أى حرم في الآخرة من المشتبهات .

(٩) رواه الطبرانى في الأوسط والصفير .

(١٠) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(١١) أى هلاكه . (١٢) رواه البزار .

كما ورد أن رجلا قال له : يا رسول الله .. ما يكفيني من الدنيا ؟ فقال له : « ما سد جوعتك<sup>(١)</sup> ، ووارى عورتك<sup>(٢)</sup> ، وان كان لك بيت يظلك فذاك ، وان كانت لك دابة فبخ<sup>(٣)</sup> » .

\* \* \*

بل وقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون له بطحاء<sup>(٤)</sup> مكة ذهباً حتى يكون قدوة ومثلاً أعلى لأصحابه ولكل فرد في أمته الى قيام الساعة : في الزهد ، والقناعة ، والصبر والعفة ، وفي هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً ، قلت لا يارب ، ولكن أشبع يوماً ، وأجوع يوماً — أو قال ثلاثاً ، أو نحو هذا — فاذا جعت تصرعت اليك<sup>(٥)</sup> وذكرك ، واذا شبعت شكرتك وحمدتك<sup>(٦)</sup> » .

وهذا الحديث كما ترى هو الفيصل في هذا الموضوع ، ولا شك أنك قد اتفقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى الكبير الذى أشار اليه وسلط الأضواء عليه ، وقديماً قالوا : « أيام وتنقضى ، ولا يغلب الأيام الا من رضى » .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زهد في الدنيا ، وزهد فيها كما رأيت وكما جاء في قوله : « ما ترين الأبرار في الدنيا بمثل الزهد في الدنيا<sup>(٧)</sup> » . وقوله : « اذا رأيتم من يزهد في الدنيا فادنوا منه<sup>(٨)</sup> فانه يلقى الحكمة<sup>(٩)</sup> » .

(١) يعنى ما سد فراغ المعدة من الطعام .

(٢) يعنى ما ستر عورتك ، وعورة الرجل ما بين السرة الى الركبة ، وعورة المرأة جميع جسمها الا وجهها وكفيها .

(٣) بخ : كلمة تقال عند المدح والرضا . رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤) بطحاء : أى مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحمى .

(٥) أى سألتك من فضلك ضارعا اليك .

(٦) أى قيمت لك بحقك من الشكر . قال الترمذى : حديث حسن .

(٧) أى أن الزهد فى الدنيا هو أعظم حلية يتحلّى بها الأبرار ويتجملون بها .

رواه أبو يعلى .

(٨) أى اقتربوا منه وجالسوه حتى تستفيدوا بحكمته .

(٩) الحكمة هى العلم النافع المؤدى الى العمل . رواه أبو يعلى .

في الوقت الذي يدعو فيه الى ضرورة العمل في ميادين الحياة الشريفة كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم :  
 « من أمسى كالا (١) من عمل يده ، أمسى مغفورا له » (٢) .  
 وقوله : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده  
 وان نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده » (٣) .

\* \* \*

فهذا دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بزهده في الدنيا وترهيده فيها ، أن يكون هناك انقطاع لعبادة الله تعالى دون سعى على الأرزاق .

ولما كان هذا الفهم الخاطيء يتنافى مع ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه في الحض على المشي في مظالم الأرض طلبا للرزق .

فقد رأيت انتماما للفائدة ، وتبصيرا للأفتدة أن أركز في هذا العرض الموجز على توضيح معنى الزهد وحقيقة الزاهدين .

وحسبى في بداية هذا التوضيح الحيوى أن أبدأ بحديث شريف يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ، ولا اضاعه المال ، ولكن الزهادة في الدنيا : أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله ، وأن تكون في ثواب الحسنة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك » (٤) .

وعن الضحاك رضى الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله .. من أزهد الناس (٥) ؟ قال : « من لم ينس القبر والبلى ، وترك فضل زينة الدنيا (٦) ، وآثر ما يبقى على ما يفنى (٧) ، ولم يعد غدا في أيامه ، وعد نفسه من الموتى » (٨) .

\* \* \*

- 
- (١) أى متعبا .  
 (٢) رواه البخارى وغيره .  
 (٣) أخرجه الترمذى وابن ماجه من رواية عمرو بن واقد .. كما رواه الإمام أحمد في كتاب « الزهد » .  
 (٤) أى أكثرهم زهدا في الدنيا .  
 (٥) يعنى ترك ما لا يحتاج من متاع الدنيا واكتفى بالضرورى منها .  
 (٦) أى آثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية .  
 (٨) رواه ابن أبى الدنيا مرسلا .



ثم اليك هذه الأقوال المأثورة :  
 قال ابن الحلاء : الزهد هو النظر الى الدنيا بعين الزوال فتصغر  
 في عينك فيسهل عليك الاعراض عنها •  
 وقال الجنيد : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد •  
 وقال الامام أحمد : الزهد على ثلاثة أوجه :  
 الأول : ترك الحرام ، وهو زهد العوام •  
 والثاني : ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص •  
 والثالث : ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين •  
 وقال الحفنى : الزهد لغة ترك الشيء احتقارا له سواء أكان محتاجا  
 له أو لا •

واصطلاحا : ترك ما زاد على حاجته من الحلال ، والورع : ترك  
 الحرام والشبهة •  
 وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة ،  
 والورع : ترك ما تخاف ضرره في الآخرة •

وقال تلميذه شمس الدين ابن قيم الجوزية في كتابه « مدارج  
 السالكين » : هذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها •  
 وقال بعض الحكماء : من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد •  
 وذلك لأن الزهد يكون أولا في المال ، ثم في الطعام ، ثم في اللباس ،  
 ثم في الاستئناس بالناس ، ولا يزهده في الحمد مع عدم المبالاة بالذم  
 الا من كمل زهده في الرياسة ، وهو أعلى المراتب • ولذا قيل : آخر  
 ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة •

وقال آخر : الزهد هو أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود •  
 وقال الفضيل بن عياض : الزهد حرفان في كتاب الله تعالى :  
 « لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم » (١) •

وقال ابن أدهم : على القلب ثلاثة أغطية : الفرح ، والحزن ،  
 والسرور ، فاذا فرحت بالموجود : فأنت حريص ، والحريص مخروم ،  
 واذا حزنت على المفقود : فأنت ساخط ، والساخط معذب ، واذا سررت  
 بالمدح : فأنت معجب ، والمعجب محبط عمله •

\* \* \*

فمن كل هذا يتبين لك أن المراد ليس رفض الدنيا من الملك وإنما المراد رفضها من القلب •

ولهذا قال العلماء : « ليس الزاهد من لا مال عنده ، وإنما الزاهد من لم يشغل المال قلبه وان أوتى مثل ما أوتى قارون » •

كما قالوا ان الذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس راجعا الى زمانها الذي هو الليل والنهار المتعاقبان الى يوم القيامة ، فان الله تعالى جعلهما : « خلفه لمن أراد أن يفكر أو أراد شكورا » (١) •

وليس الذم راجعا الى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبنى آدم مهادا ومسكنا ، ولا الى ما أودع الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن ، ولا الى ما أنبت الله فيها من الزرع والشجر ، ولا الى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك ، فان ذلك كله من نعم الله على عباده ، لما لهم فيه من المنافع ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته ••

وإنما الذم راجع الى أفعال بنى آدم الواقعة في الدنيا لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته ، بل يقع على ما تضر عاقبته أو لا ينفع •

وأنشد بعضهم في هذا :

إنما الدنيا الى الجنة والنار طريق  
والليالى متجر الانسان والأيام سوق

\* \* \*

بل واختلف العلماء في التفضيل بين الدنيا والآخرة ، فذهب قوم الى أن الدنيا أفضل من الآخرة ، واحتجوا بأمر منها :

أن الدنيا وسيلة والآخرة مقصد ، وقد يوجد في الوسائل ما لا يوجد في المقاصد •

وأن الدنيا مزرعة للآخرة وطريق موصلة اليها ، فلا ينتهي الانسان الى الآخرة الا بعد سلوكه في دار الدنيا ، ومن زرع فيها زرعا حصده ، ومن عمل عملا وجدده • قال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٢) •

وأن الدنيا دار تكليف وعمل ، والآخرة دار جزاء وفضل ، ولا خفاء أن العمل أفضل من الجزاء لما ورد أن أهل القبور يودون أن يرجعوا الى الدنيا ليعملوا فيها خيرا لما رأوه من ثواب الأعمال .

وأن الدنيا ورد مدحها في حديث شريف قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن : عليها ينال الخير ، وبها ينجو من الشر »<sup>(١)</sup> وأنه اذا قال العبد : لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه .

وقد حدث أن ذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : « الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، ومهبط وحى الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا الذى يذمها ؟ وقد آذنت ببينها ، ونادت بفراقها ، وشبهت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ترغيبا وترهيبا ! فيا أيها الذام للدنيا الملل نفسه : متى خدعتك الدنيا ؟ أم متى استذمت اليك<sup>(٢)</sup> ؟ أم صارع آباءك فى البلى ؟ أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى ؟ كم مرضت بيديك ، وكم عللت بكفيك ؟ تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ، غداة لا يعنى عنه دواؤك ، ولا ينفعه بكاؤك » .

\* \* \*

وذهب آخرون الى أن الآخرة أفضل من الدنيا واحتجوا بأمر منها :

أن الدنيا وان عظم أمرها وتناسى فخرها بما يوجد فيها من الأعمال الصالحات فهي آيلة الى الفناء والزوال ، ومن المعلوم أن الدائم الباقي أفضل من الزائل الفانى .

وأن الآخرة يؤول فيها أمر المؤمنين الى الخلود فى الجنان والخيرات الحسان والخير العظيم والنعيم المقيم والنظر الى وجه الله الكريم وغير ذلك مما وزد فى الخبر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

\* \* \*

(١) قيل انه اثر .

(٢) أى متى صنعت اليك ما تستحق به الذم .

فلاحظ كل هذا ، وحسبك أن تقرأ هذا الحديث الشريف الذى سترى  
معى أنه يعتبر فيصلا فى هذا الموضوع :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه قال : قلنا  
يا رسول الله .. من خير الناس وأفضلهم ؟ قال : « كل مخموم القلب <sup>(١)</sup>  
صدوق اللسان » قلنا : فمن على أثره ؟ قال : « من ينشئ الدنيا  
ويحب الآخرة » قلنا : فمن على أثره ؟ قال : « مؤمن فى خلق حسن » <sup>(٢)</sup> .  
وهذا هو أمر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز <sup>(٣)</sup> حتى فى  
يوم الجمعة الذى نستريح فيه حيث قال :  
• « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل  
الله ... » <sup>(٤)</sup> .

ويقول : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور » <sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا فقال :

• « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » <sup>(٦)</sup> .  
وقال : « تسعة أعشار الرزق فى التجارة فعليكم بها » <sup>(٧)</sup> .  
وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يقول :

« ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه  
لأهلى أبيع وأشتري ، ولأن أموت بين شعبتى رحلى أضرب فى الأرض  
أبتغى من فضل الله أحب الى من أن أموت شهيدا فى سبيله لأن الله  
قدم ذاك على هذا فى كتابه فقال تعالى : « وآخرون يضربون فى  
الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ... » <sup>(٨)</sup> .

\* \* \*

كما كان صلى الله عليه وسلم يشجع الصناعة فيقول :

• « ان الله يحب المؤمن المحترف » <sup>(٩)</sup> .

(١) أى الطاهر الذى لا غل فيه ولا حسد .

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقى بسند صحيح .

(٣) كما اشرت سابقا . (٤) الجمعة : ١٠ .

(٥) الملك : ١٥ (٦) أخرجه الترمذى بسند حسن .

(٧) حديث مرسل رجاله ثقات أخرجه الحربى فى « غريب الحديث » .

(٨) المزمّل : ٢٠ .

(٩) رواه الطبرانى عن ابن عمر وكذا ابن عدى مرفوعا .

ويقول: «خير الكسب الصانع والعامل اذا نصحا» (١) .  
وعندما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وحث أهلها على  
العمل : جاءت امرأة ببردة وقالت : نسجت هذه لك يا رسول الله  
لاكسوكها ، ففرح بها وقبلها تشجيعا للصناعة .

\*\*\*

كما شجع صلى الله عليه وسلم الزراعة فقال :  
« ما من مسلم يفرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه انسان  
أو طير أو بهيمة الا كان له بها صدقة » (٢) .  
وقال : « التمسوا الرزق من خبايا الأرض » (٣) .

وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما التقى بسعد بن معاذ  
ووجد كفيه خشنتين من آثار العمل قال له : « هذان كفان يجبهما  
الله ورسوله ولن تمسهما النار » ثم قبل يده تكريما للعمل والصناعة  
وتشجيعا للكادحين .

\*\*\*

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام :  
« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ،  
وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب  
المفسدين » (٤) .

وحسبك بالاضافة الى ما وقفت عليه أن تقرأ هذه الوصية للقمانية  
التي يوصى بها سيدنا لقمان ولده فيقول : « يا بني .. استغن بالكسب  
الحلال عن الفقر ، فانه ما افتقر أحد قط الا أصابه ثلاث خصال :  
رقة في دينه ، وضعف في عقله ، وذهاب مروءته . وأدهى من هذه الثلاث :  
استخفاف الناس به » .

وقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ولا يقعد أحدكم  
عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لم تمطر  
ذهبا ولا فضة » .

وقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « انى أكره أن أرى الرجل

(١) رواه أحمد عن أبى هريرة بسند حسن مرفوعا .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى عن انس مرفوعا .

(٣) رواه ابن عسكرك عن عائشة مرفوعا . (٤) القصص : ٧٧

فارغا ، لا فى أمر دينه ولا فى أمر دنياه » •

\*\*\*

بل وحسبك تشجيعا لك على العمل أن تعلم أن جميع الأنبياء كانوا يعملون ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

- آدم عليه السلام كان زارعا •
- نوح عليه السلام كان نجارا (١) •
- ادريس عليه السلام كان خياطا (٢) •
- ابراهيم عليه السلام كان بزازا (٣) •
- اسماعيل عليه السلام كان قناصا (٤) •
- داوود عليه السلام كان يصنع العتاد (٥) •
- سليمان عليه السلام كان يصنع المكاتل (٦) •
- اسحاق كان راعيا وكذلك يعقوب وشعيب وموسى عليهم السلام •
- الياس عليه السلام كان نساجا •
- وكان محمد صلى الله عليه وسلم راعى غنم ، ثم تاجرا ، ومجاهدا فى سبيل الله •

\*\*\*

وكذلك كان أصحاب المصطفى صلى الله عليه وسلم يعملون ، وعلى سبيل المثال كذلك :

- كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه بزازا •
- وعمر بن الخطاب رضى الله عنه كان دلالا وكان له أرض بخير تدعى « تمع » •
- وعثمان بن عفان رضى الله عنه كان تاجرا •
- وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه كان عاملا ، وكان يقول مفتخرا :  
لحملى الصخر من قمم الجبال أحب الى من منن الرجال  
يقول الناس لى فى الكسب عار فقلت العار فى ذل السؤال  
وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه كان تاجرا ، وكانت ثروته  
من التجارة تعد بالملايين •

(١) وهو أول من صنع الفلك •

(٢) وهو أول من خاط الثياب وليس المخيط •

(٣) أى تاجر أتمشة •

(٤) أى صيادا •

(٥) أى السلاح •

(٦) سلال الخوص •

- وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه خياطا .
- وكان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه نبالا (١) .
- وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه جزارا .
- وكان لابن مسعود والحسن وأبى هريرة عليهم رضوان الله مزارع بالسواد يزرعونها ويؤدون خراجها .

\* \* \*

وقد سخر الله سبحانه وتعالى كل شيء في هذا الوجود لخدمة هذا الانسان الذى جعله سبحانه خليفة في الأرض ليعمرها حتى لا يجد عناء في تحصيل رزقه ، وحتى يكون شاكرا له سبحانه وتعالى ، وفى ذلك يقول تعالى :

« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار » (٢) .

ويقول : « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرا لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (٣) .

ويقول : « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٤) .

\* \* \*

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد نهى فى كتابه العزيز عن التلمى بالتجارة والبيع عن واجب الدين والعبادة فقال :

« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » (٥) .

(٢) ابراهيم : ٣٢ ، ٣٣

(٤) الجاثية : ١٢ ، ١٣

(١) أى يصنع النبال .

(٣) النحل : ١٢ — ١٤

(٥) المائدون : ٩

وإذا كان قد مدح المؤمنين المحافظين الذين لم تلههم التجارة ولا البيع عن ذكر الله فقال :

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » (١) .  
وإذا كان سبحانه قد عاتب قوما انصرفوا الى التجارة قبل فراغهم من واجب العبادة فقال :

« وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين » (٢) .

فهذا دليل على أن الله تعالى لن يبارك في الأرزاق الا اذا كان هناك حرص على أداء فرائضه سبحانه وتعالى ، والا فهو الخسران المبين .  
وقد ثبت أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. أوصني . فقال له :

« لا تتشاغل عما فرض عليك بما ضمن لك ، فانه ليس بفائتك ما قسم لك وليس بلاحق ما زوى عنك » .

\* \* \*

ولهذا قال الحكماء : اذا لم يكن في التاجر ثلاث خصال افتقر في الدارين جميعا . أولها : أن يكون لسانه نقيا من ثلاثة : الكذب ، واللغو ، والحلف . وثانيها : أن يكون صافيا من ثلاثة : الغش ، والخيانة ، والحسد . وثالثها : أن يكون محافظا على ثلاث : الجمعة ، والجماعات ، وطلب العلم في بعض الساعات .

\* \* \*

وقال حكيم : الناس في الكسب على مراتب :  
منهم : من يرى الرزق من الله ولا يدري أيعطيه أم لا ، فهو منافق شاك .

ومنهم : من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى الله لأجل الكسب ولا يؤدي حقه كما أمر الله تعالى فهو مؤمن مسمى .  
ومنهم : من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا ويخرج حقه ولا يعصى الله لأجل الكسب فهو مؤمن مخلص .

\* \* \*



وقيل لبعض الحكماء : ما خير المكاسب ؟ فقال :  
 خير مكاسب الدنيا : طلب الحلال لزوال الحاجة ، والأخذ منه  
 للقوة على العبادة ، وتقديم فضله لزيد يوم القيامة •  
 وأما خير مكاسب الآخرة : فعلم معمول به نشرته ، وعمل صالح  
 قدمته ، وسنة حسنة أحببها •  
 وأما شر مكاسب الدنيا : فحرام جمعته ، وفي المعاصي أنفقته ،  
 ولن لا يطيع ربه خلفته •  
 وأما شر مكاسب الآخرة : فحق أنكرته حسدا ، ومعصية قدمتها  
 اصرارا ، وسنة سيئة أحببها عدوانا •

\* \* \*

فلا تنس كل هذا أبا الإسلام مع ملاحظة قول الرسول  
 صلى الله عليه وسلم :  
 « من اكتسب مالا من مائثم فتصدق به أو وصل به رحمه ،  
 أو أنفقه في سبيل الله : جمع الله ذلك كله وألقاه في النار » •  
 وقد ورد عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أنه قال :  
 « لا يقبل حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة ولا عتاق ولا نفقة :  
 من ربا ، ولا رشوة ، ولا خيانة ، ولا غلول ، ولا سرقة » •

\* \* \*

فاحذر الحرام حتى لا يكون سببا في ضياع جميع أموالك ، وتأمل  
 قول القائل :  
 جمع الحرام على الحلال ليكثره      دخل الحرام على الحلال فبعثه  
 هذا الى جانب الضياع الأخرى الذي يجب أن تعمل له ألف  
 حساب •

\* \* \*

وحتى لا أطيل عليك فقد رأيت بعد هذا التقديم الهام أن أسوق  
 اليك بعض الأخبار والآثار والأشعار الموضوعية التي قد تتصل اتصالا  
 وثيقا بموضوع الوصية التي أرجو أن تنتفع بها كما انتفع بها راويها  
 عليه رضوان الله ، فقد روى أن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة  
 والسلام كان يقول : « الدنيا ثلاثة أيام : يوم مضى وليس بيدك منه  
 شيء ، ويوم يأتي لا تدري أتدركه أم لا ، ويوم أنت فيه فاغتنمه » •

وروى أن لقمان الحكيم قال لابنه : « يا بني .. ان الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله ، والأعمال الصالحة بضاعتك التي تحمل فيها ، والحرص عليها ربحك ، والأيام موجها ، وكتاب الله دليلها ، ورد النفس عن الهوى حبالها ، والموت ساحلها ، والقيامة أرض المتجر التي تخرج اليها ، والله مالكها » .  
وقال ابن عباس رضى الله عنهما :

« ما اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب كتبه الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه : أما بعد .. فان الانسان ليسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه ما لم يكن ليدركه ، فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا ، ولا لما فاتك منها ترحا ، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل : فان قد .. والسلام » .  
وذكر أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء وأنيابها بادية ، مشوهة الخلقة لا يراها أحد الا كرهها ، فتنسرف على الخلائق فيقال لهم : أتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقال لهم : هذه التي تفاخرتم بها ، وتحاربتم عليها ، ثم يؤمر بها الى النار ، فتنقول : يا رب .. أين أتباعى وأصحابى وأحبابى ؟ فيلحقونها » .  
ومعنى القائئا فى النار : لكى يراها أهلها ويرون هوانها على الله تعالى .



ومن كلام سيدنا على رضى الله عنه : اذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحته ، واذا أدركت الطالب لها قتلته .  
وقيل لزاهد : أى خلق أصغر ؟ فقال : الدنيا لأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ومن هوانها عند الله أنه خلقها ولم ينظر اليها ، ولا يعصى الا هيها ، ولا ينال ما عنده الا بتركها ، واذا أردت أن ترهد فيها فانظر هي عند من وفى يد من .  
وفى هذا يقول أحدهم وقد تصور الدنيا أمامه :

عُتبت على الدنيا لرفعة جاهل      وخفض لذى علم فقالت خذ العذرا  
بنو الجهل أبنائى لهذا رفعتهم      وأهل التقى أبناء ضرتى الأخرى  
أترك أبنائى يموتون ضيعة      وأرضع أبناءا لضرتى الأخرى

وقال حاتم الأصم : الدنيا مثل ظلك ان تركته تراجع ، وان طلبته  
تباعد .

وفي هذا المعنى يقول أحدهم :  
وما دنياك الا مثل ظل أظلك ثم آذن بارتحال

وروى عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال : الدنيا مزرعة لرب العالمين ، والناس فيها زرع ، وملك الموت منجله ، والمقبرة مدارسه ، والقيامة تدريته ، والجنة بيت أحبابه ، والنار بيت أعدائه ، وغريق في الجنة وغريق في السعير .

وقال أحد الحكماء : الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة .

وقال آخر : الدنيا ان أقبلت بليت ، وان أدبرت برت ، وان أطنبت نبت ، وان أركبت كبت ، وان أبهجت هجت ، وان ماجنت جنت ، وان سامحت محت ، وان صالحت لحت ، وان وصلت صلت ، وان بالغت لغت .

وقال آخر : سرور الدنيا أن تقنع بما رزقت ، وغمها أن تغتم لمالم ترزق .

وكان بعض الصالحين يقول : ما أصنع بدنيا ان بقيت لم تبق لى ، وان بقيت لم أبق لها (١) .

وكان بعضهم يقول : اذا أردت أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هى :

وقد شبه الحكماء حال الدنيا وأهلها والزاهدين فيها : بحال طعام صنعه صانعه من السكر وعجنه بالسم بحضور بعض الناس دون بعض ثم وضعه بين يدي من أبصره في حال صنعه ومن لم يبصره ، فان من أبصره وعلم ما فيه من الآفات لا يقرب منه ، ومن غاب عنه ذلك اغتر بما فيه من الحلاوة وحرص عليه ولا يصبر عنه .

فحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لن عقلا  
وفي هذا المعنى يقول أحدهم :

هى الدنيا تقول بملء فيها  
فلا يفرركموا منى ابتسام  
حذار حذار من بطشى وفتكى  
فتولى مضحك والفعل مبكى

(١) بقوت : الأولى بفتح القاف وتسكين الباء وضم التاء ، والثانية

بكسر القاف وفتح الباء وتسكين التاء .

وحكى أن رجلا خطر بباله وهو في الطواف طلب الدنيا فلما قام  
سمع هاتفا يقول :

أقسمت بالبيت العتيق وركنه والطائفين ومنزل الفرقان  
بما لبي ما العيش في المال الكثير وجمعه بل في الكفاف وصحة الأبدان  
وعندما اجتمع هارون الرشيد بالبهلول قال له : عطني .. فقال :  
بم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم ، ثم قال : كيف بك يا أمير  
المؤمنين إذا أقامك الحق تعالى بين يديه وسألك عن النقيير والفتيل  
والقطمير ، وأنت عطشان جوعان عريان وأهل الموقف ينظرون اليك  
ويضحكون ؟ فحنقته العبرة وأمر له بصلة ، فقال : ردها على من  
أخذتها منهم قبل أن لا تجد لهم شيئا ترضعهم به ، ثم أنشد :

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع  
ولا تجمع من المال فما تدري لمن تجمع  
فان الرزق مقسوم وسوء الظن لا ينفع  
فقير كل ذي حرص غنى كل من يقنع  
ودخل بعض وزراء المأمون عليه فوجد في يده رقعة فيها هذه  
الموعظة :

انك في دار لها مدة يقبل فيها عمل العامل  
أما ترى الموت محيطا بها يقطع فيها أمل الآمل  
تعجل بالذنب لما تشتهي وتأمل التوبة من قابل  
والموت يأتي بعد ذا بغتة ما ذاك فعل الحازم العاقل  
وقال آخر :

انما هذه الحياة متاع والغرور الغرور من يصطفياها  
ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها  
وما ألطف قول بعضهم :

ألا انما الدنيا كأحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم  
تأمل اذا ما نلت بالأمس لذة وأفنيها هل أنت الا كحالم

\* \* \*

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام ، و :

تأمل سطور الكائنات فانها من الملا الأعلى اليك رسائل  
لقد خط فيها لو تأملت سطرها ألا كل شيء ما خلا الله باطل

\* \* \*

وانظر الى من حوى الدنيا بأجمعها هل راح كل منها بغير القطن والكفن

\* \* \*

و :

كن زاهدا فيما حوته يد الورى تضحي الى كل الأنام حبيبا  
أو ما ترى الخطاف حرم زادهم فعدا مقيما في البيوت ربيا

\* \* \*

و :

تورع عن سؤال الخلق طرا وسل ربا كريما ذا هبات  
ودع زهوات دنياك اللواتى تراها لا محالة ذاهبات

\* \* \*

وكن بعد كل هذا ومع كل هذا منفذا لهذه التوجيهات التى يوصيك  
بها ابن عمر ، والتى كانت بمثابة تلخيص ختامى لأبعاد هذه الوصية  
العظيمة التى انتقع بها ، وهى :

إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ،  
وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .

وخلاصة هذا التوجيه الحيوى الذى فيه ما فيه من أبعاد : أن  
الأيام تمضى مسرعة الى العالم الآخر الذى فيه سيحاسب الانسان  
ويسئل عن كل شئ فعله فى هذه الحياة الأولى التى هى دار العمل ،  
وأنة اذا لم يكن هناك عمل صالح ينفع الانسان فى هذا الموقف الكبير  
الذى له خطورته : سيكون هذا الانسان فى حالة لا يحسد عليها :

« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت  
ترايا » (١) .

ولهذا : كان لا بد وأن تكون مستعدا للقاء الله سبحانه وتعالى  
فى كل لحظة ، فأنت لا تدري متى ستموت ولا فى أى مكان ستموت  
كما أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا فى قوله : « وما تدري نفس  
ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس باى أرض تموت » (٢) .

(١) النبأ : ٤٠

(٢) لقمان : ٣٤

(٤٢) - من وصايا الرسول (

وهذا يتطلب منك كإنسان عاقل يعرف ما له وما عليه نحو دينه ودينه : أن تأخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك • أى : إذا كنت الآن صحيحا وفي استطاعتك أن تعمل وتتحرك في جميع ميادين الخير بنشاط وقدام ، فاعمل قبل أن يأتي اليوم الذي قد تكون فيه عاجزا عن الحركة والاقدام بسبب مرضك الذي قد يفاجئك في أية لحظة ، وكذلك بالنسبة للموت الذي يأتي بغتة ، المفروض أن تعمل لما بعده حتى تكون من الذين أعد الله لهم في جنة الخلد « ملا عين رأته ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » حتى تكون مع الأبرار « الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » (١) .

\* \* \*

وقد رأيت أبا الإسلام أن أسوق اليك بعض الأمثلة الحية التي تأثرت بها شخصيا والتي ستري من خلالها أنك إذا كنت قد قدمت ولا زلت تقدم في دنياك ما ينفعك في أخراك ، فانك ستكون في يوم مماتك فرحا بلقاء الله تعالى :

فقد ورد أن بلالا عليه رحمة الله وهو يحتضر كانت ابنته تبكي وتقول : وأبتاه ، وأكرباه ، وأحزناه •• فانتهت وهي تقول هذا الكلام ، فنهرا قائلا لها : لا تقول ذلك ، لا كرب على أبيك بعد اليوم ، اليوم تلقى الأحبة ، محمدا وحزبه •

وأن أعرابيا قيل له : انك تموت • فقال : الى أين يذهب بي ؟ قالوا : الى الله تعالى • قال : وكيف أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه •

وأن معاذ بن جبل رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال : اللهم انى كنت أخافك ؛ وأنا اليوم أرجوك ، اللهم أنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا لجرى الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر •

فلما اشتد النزع به قال : وعزتك أنك لتعلم أن قلبى يحبك ، ثم أفاق ، وكان له ولد قتل شهيدا ، فقال : أتى ولدى فأخبرنى

أنه لحق بالذين أنعم الله عليهم • وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءني في مائة ألف من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، ومائة ألف من الملائكة المقربين يتلقون روحي ويصلون على ويشيعونى الى قبرى •

ثم جعل يصلح قوما لم نرهم ويسلم عليهم حتى طلعت روحه ، فلما مات رؤى في المنام على فرس أبلق وخلفه زحاه كرحام منى ، ورجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو يقول :  
 « ..... يا ليت قومى يعلمون • بما غفر لى ربي وجعلنى من المكرمين » (١) •

وقال الحريرى : حضرت الجنيد عند وفاته وهو يقرأ القرآن فختم ، فقلت : يا أبا القاسم .. فى مثل هذه الحالة ؟ فقال : ومن أولى بهذا منى ، والآن تطوى صحيفتى • واحتضر أحد الصالحين فبكت عليه امرأته ، فقال لها : ابكى على نفسك ، فأما أنا فقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة •

\* \* \*

وقال الجنيد : دخلت على السرى فى مرضه فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال :

كيف أشكو الى الطبيب لما بى والذى قد أصابنى من طبيبى ليس لى راحة ولا لى شفاء من سقامى الا بوصل حبيبى وقيل للكسائى لما حضرته الوفاة : ما كان عمك ؟ قال : لو لم يقترب أجلى ما أخبرتكم ، وقفت على باب قلبى أربعين سنة ، كلما مر عليه غير الله تعالى رددته عنه •

ولما احتضر مكحول ضحك ، وكان الغالب عليه الحزن ، فقيل له : لم ضحكت ؟ فقال : دنا فراق من كنت أحذره ، ولقاء من كنت أرجوه •

\* \* \*

وهكذا ترى أبا الاسلام أن المؤمن المقبل على الله تعالى ولا سيما عندما ينكشف له ثواب طاعته ، تراه فرحا مسرورا بهذا اللقاء الذى كثيرا ما تمناه وعمل من أجله •

بخلاف الغافل الذى كان مشتغلا بالدنيا متمتعا بزهراتها ، غفنه عند الموت كما يقولون ، يكون كسارق دخل دار الملك فجعل يأكل ويشرب ويلهو ، ونسى صولة الملك وبطشه . فاذا أخذه الملك وأزعجه عن داره ، تحسر عن مفارقة ما كان فيه من اللذات ، وانكشف له عاقبة ما قدم من الجنائيات .

أما المؤمن الذى كان يعتبر جسده سجنا لروحه ، وحياته طريقا الى مقصوده فانه اذا مات يعتبر نفسه قد خرج من هذا السجن . ولهذا — كما رأيت — لم ينزعج ولم يبالي بما تركه من الزاد بعد أن عاين مطلوبه ، ووصل الى محبوبه الذى كثيرا ما تنعم بذكره . وفى ذلك يقول تبارك وتعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » (١) . أى أن الذين آمنوا واتقوا تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند قبض أرواحهم ويقولون لهم لا تخافوا مما بين أيديكم فان مصيركم الى رحمة الله تعالى ، ولا تحزنوا على ما فارقتم من الدنيا ، فقد صرتم الى أحسن مما كنتم فيه ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون .

وقد روى أن الملائكة يقولون للمؤمن : السلام عليك يا ولى الله . . . أبشر بالجنة ، فحينئذ يجب لقاء الله تعالى . . . وقد ورد فى معنى قول الله تعالى : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » (٢) أن أبا الدرداء رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال : « ما سألتنى عنها أحد قبلك ، هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن ، أو ترى له ، واعلم أن المرء لا يموت حتى يعلم مصيره » .

\* \* \*

فاذكر كل هذا أخا الاسلام وتأمل معنى قول الحكيم :  
ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا      والناس حولك يضحكون سرورا  
فاعمل ليوم أن تكون اذا بكوا      فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

\* \* \*



وكن من أكيس الناس وأحزمهم ، وحسبك في النهاية هذا الحديث الشريف :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم  
عاشر عشرة ، فقام رجل من الأنصار فقال : يا نبي الله .. من أكيس (١)  
الناس ، وأحزم (٢) الناس ؟ قال : « أكثرهم ذكرا للموت ، وأكثرهم  
استعدادا للموت ، أولئك الأكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة  
الآخرة » (٣) .

وتأمل موعظة الحسن البصرى عليه رضوان الله التي يقول فيها :  
يا ابن آدم .. بع دنياك بأخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك  
بدنياك فتخسرهما جميعا .

يا ابن آدم .. طء الأرض بقدمك فانها عن قليل قبرك . واعلم  
أنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك .

وتأمل كذلك قول الشافعى عليه رحمة الله :

تالله لو عاش الفتى في دهره	ألفا من الأعوام مالك أمره
متمتعا فيها بكل نفيسة	متلذذا فيها بنعمى عصره
لا يعتريه السقم فيها مرة	كلا ولا ترد الهموم بفكره
ما كان هذا كله في أن يقى	بمبيت أول ليلة في قبره

\* \* \*

ثم قل مع الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

« اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى  
التي فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التي اليها معادى ، واجعل الحياة  
زيادة لى في كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر » (٤) .

\* \* \*

(١) أى اعقلهم وأشدهم فطنة . (٢) أى أكثرهم حزما .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا في كتاب « الموت » والطبرانى في « الصغير »

باسناد حسن . ورواه ابن ماجه مختصرا باسناد جيد .

(٤) أخرجه مسلم .

# الوصية الثامنة والعشرون

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضى الله عنهما  
قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال :  
« يا غلام .. انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ،  
احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا  
استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن  
ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وأن  
اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد  
كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

( رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح )

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

من المنتفعين بهذه الوصية العظيمة الجامعة التي تؤكد حرص  
الرسول صلى الله عليه وسلم على توجيه كل فرد في أمته — سواء أكان  
صغيرا أم كبيرا — الى أسباب الخير والفلاح في الدنيا والآخرة .  
وهو هنا في هذه الوصية — كما رأيت — يقول لابن عباس  
رضى الله عنهما ، وقد كان يركب خلفه صلى الله عليه وسلم على دابة :  
يا غلام (١) انى أعلمك كلمات « ينفعك الله بهن » (٢) .  
\* ( احفظ الله يحفظك ) :

أى احفظ الله بحفظ فرائضه وحدوده ، وملازمة تقواه ، واجتناب  
مالا يرضاه ، يحفظك في نفسك وأهلك ودينك ، ولا سيما عند الموت  
اذ الجزاء من جنس العمل .

\* \* \*

أما عن الفرائض فقد ورد :

عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ثائر الشعر فقال : يا رسول الله .. أخبرنى ما فرض الله على

(١) الغلام هو الصبى من حين يفطم الى تسع سنين ، وكان سنه اذ ذاك

(٢) كما في رواية أخرى .

تسع سنين .

من الصلوات ؟ فقال : « الصلوات الخمس ، الا أن تطوع شيئاً »  
 فقال : أخبرنى ماذا فرض الله على من الصيام ؟ فقال : « شهر رمضان »  
 الا أن تطوع شيئاً » فقال : أخبرنى ماذا فرض الله على من الزكاة ؟  
 قال : فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام كلها ،  
 فقال : والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ، ولا أنقص مما فرض الله على  
 شيئاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلح ان صدق  
 — أو دخل الجنة ان صدق » (١) .

ولما كانت الصلاة هي أهم هذه الفرائض التي جمعها المصطفى  
 صلى الله عليه وسلم في قوله :

« بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن  
 محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ،  
 وصوم رمضان » (٢) .

بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب عليه العبد  
 يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسدت  
 سائر عمله » (٣) .

وقوله : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » (٤) .

ولما كان الله سبحانه وتعالى قد أمر في كتابه العزيز بالمحافظة  
 على الصلوات في الحضر ، والسفر ، والأمن ، والخوف ، والمرض ،  
 فقال تعالى :

« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى (٥) وقوموا لله قانتين .  
 فان خفتهم فرجالاً أو ركبانا ، فاذا أمنتم فانكروا الله كما علمكم ما لم  
 تكونوا تعلمون » (٦) .

ولما كانت الصلاة كذلك هي : عماد الدين ، أو عموده ، كما أشار  
 المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوله :

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الطبرانى .

(٤) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

(٥) الصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما ورد في احاديث صحيحة .

(٦) البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩

« ... رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » (١) ، وهى أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات ، وبدون واسطة كما جاء فى قول أنس رضى الله عنه :

« فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودى : يا محمد .. أنه لا يبدل القول لى ، وان لك بهذه الخمس خمسين » (٢) .

فقد رأيت أن أركز فى هذا العرض الحيوى على فريضة الصلاة التى تعتبر جامعة ومذكرة بجميع الفرائض الأخرى (٣) ، حتى نحافظ على الصلاة كما أمرنا الله تعالى ، وحتى نكون من الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله :

« والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (٤) .

وقوله : « والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك فى جنات مكرمون » (٥) . وحتى لا أطيل عليك ، فاليك هذا الأيجاز .

الصلاة لغة : الدعاء ، وشرعا : عبادة ذات أقوال وأفعال مخصوصة ، مفتتحة بالتكبير ، مختتمة بالتسليم ، وهى مشتقة من الصلة ، لأنها توصل العبد الى رحمة ربه ، وهى ثابتة بالكتاب والسنة واجماع الأمة . قال تعالى : « وأقيموا الصلاة ... » (٦) .

وقال : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » (٧) أى مفروضا مقدرا وقتها فلا تؤخر عنها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل حين أرسله الى اليمن : « انك ستأتى قوما أهل كتاب فاذعهم الى شهادة أن لا اله الا الله ، وأنى رسول الله ، فان هم

(١) من حديث صحيح رواه الترمذى .

(٢) رواه أحمد والنسائى والترمذى وصححه .

(٣) وقد أشرت اليه ووضحته فى الجزء الثالث من « الوصايا » انظر

ص ١٩٤ وما بعدها من هذا المجلد .

(٥) المعارج : ٣٤ ، ٣٥

(٤) المؤمنون : ٩ - ١٢

(٧) النساء : ١٠٣

(٦) البقرة : ١١٠

أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى قد افترض عليهم خمس صلوات ...» (١) .

وقد فرضت (٢) ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ونصف ، وحكمة مشروعيتها القيام بشكر المنعم وتكفير الذنوب بأدائها ، ففي الحديث الشريف :

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون : يبقى ذلك من درنه شيئا ؟ قالوا : لا يبقى ذلك من درنه شيئا ؟ قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بها الخطايا » (٣) .

وثمرة أدائها : سقوط الطلب ، والبعد عن المخالفات في الدنيا ، ونيل الثواب في العقبى ، قال تعالى :

« وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ... » (٤) .  
وقال : « انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (٥) .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الله وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا إذا أمركم ، تدخلوا جنة ربكم » (٦) .

هذا .. ولما كانت الصلاة - كما رأيت - قد قدر الله سبحانه وتعالى أوقاتها ، كما جاء في حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أمنى (٧) جبريل عليه السلام عند البيت مرتين ، وصلى بى الظهر حين زالت الشمس وكانت قدر الشراك (٨) ، وصلى بى العصر حين كان ظل كل شيء مثله ، وصلى بى المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بى العشاء حين غاب الشفق ، وصلى بى الفجر حين حرم

(١) أخرجه الستة .

(٢) أى الصلاة .

(٣) أخرجه الشيخان .

(٤) العنكبوت : ٥٥

(٥) الكهف : ٣٠

(٦) أخرجه البيهقى والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٧) أمنى ... الخ ، أى صلى بى اماما عند الكعبة ، وكان ذلك

صبيحة ليلة الاسراء .

(٨) الشراك بكسر اوله ، أحد سيور النعل :

الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظل كل شيء مثله ، وصلى بي العصر حين صار ظل كل شيء مثليه ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بي العشاء الى ثلث الليل ، وصلى بي الفجر فأسفر<sup>(١)</sup> ، ثم التفت الى وقال : يا محمد .. هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت ما بين هذين الوقتين»<sup>(٢)</sup> .

كان من الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يحافظ على هذه الصلوات الخمس وفي أوقاتها ، والا كان من الذين قال الله في شأنهم :  
**« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا »**<sup>(٣)</sup> .

قال ابن كثير : قال الأوزاعي عن ابراهيم بن زيد : أن عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه قرأ هذه الآية ، ثم قال : لم تكن أضاعتهم تركها ، ولكن أضاعوا الوقت .  
وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلىة ، ولكن أخروها عن أوقاتها .

وقال سعيد بن المسيب ، امام التابعين رحمه الله : هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ، ولا يصلى العصر الى المغرب ، ولا يصلى المغرب الى العشاء ، ولا يصلى العشاء الى الفجر ، ولا يصلى الفجر الى طلوع الشمس . فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بـ « غى » وهو واد في جهنم بعيد قعره ، خبيث طعمه .

وحسب هذا اللاهى الغافل عن ذكر الله أن يقرأ قول الله تعالى :  
**« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »**<sup>(٤)</sup> .

قال الذهبي في « الكبائر » : قال المفسرون : المراد بذكر الله في هذه الآية الصلوات الخمس ، فمن اشتغل بماله في بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين .

(١) أسفر : أى أخره الى وقت الاسفار وهو ظهور نور الصباح جليا .  
(٢) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والبيهقى والترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم بسند صحيح .

(٤) المنافقون : ٩

(٣) مريم : ٥٩

بل وحسبه كذلك أن يقرأ قوله تعالى :

« فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون » (١) •

قال الشوكاني : أخرج الفريابي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه ، عن مصعب بن سعيد قال : قلت لأبي : أرأيت قول الله تعالى : « الذين هم عن صلاتهم ساهون ••• » أيننا لا يسهو ، أيننا لا يحدث نفسه ؟ قال : انه ليس كذلك ، انه اضاءة الوقت •

وزاد المنذر في « الترغيب » : يلهو حتى يضيع الوقت ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الصلاة :

« تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا » (٢) •

كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال :

« اذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به الى النار ، فيقول : يا رب •• لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخيرك الصلاة عن وقتها ، وحلفك بى كاذبا » •

وقد ذكر الذهبي عن بعض السلف الصالح : أنه بعد أن دفن أختا له في قبرها وانصرف بعد ذلك مع الناس تذكر أن كيس نقوده قد سقط في قبرها ، فعاد فنبشه فوجد القبر يشتعل عليها نارا . فغرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا ، فقال : يا أماه •• أخبريني عن أختي وما كانت تعمل ؟ قالت : وما سؤالك عنها ؟ قال : يا أمى •• رأيت قبرها يشتعل نارا • قال : فبكت الأم ، ثم قالت : يا ولدى •• كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها •

فاذا كان هذا يا أخى هو حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فما بالك بمن لا يصلحها نهائيا •••

ولهذا رأيت أن أسوق اليك بعض الأحكام المتعلقة بهذا الموضوع الذى هو مفتاح الجنة ، كما ورد في حديث شريف يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الجنة الصلاة » (٣) ، حتى تكون دائما

(٢) متفق عليه من حديث انس •

(١) الماعون : ٤ ، ٥

(٣) رواه الدارمى •

وأبدا محافظا عليها ومن الحريصين على أدائها في أوقاتها ، وحتى لا أظيل عليك فاليك :

من ترك الصلاة جحودا بها وانكارا لها • يعتبر كافرا وخارجا عن ملة الاسلام باجماع المسلمين ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » (١) •

أما من تركها مع ايمانه بها واعتقاده فرضيتها ، ولكن تركها تكاسلا أو تشاغلا عنها بما لا يعد في الشرع عذرا ، فقد صرح الأحاديث بكفره ووجوب قتله ، من هذه الأحاديث المصرفة بقتله ما ورد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة ، عليهن أسس الاسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » (٢) •

وفي رواية أخرى : « من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا (٣) وقد حل دمه وماله » •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله و يقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله عز وجل » (٤) •

وإذا كانت الأحاديث المتقدمة — كما رأيت — ظاهرها يقتضى تكفير تارك الصلاة واستباحة دمه ، فقد رأى كثير من علماء السلف والخلف ، منهم أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعى : أنه لا يكفر ، بل يفسق ويستتاب ، فإن لم يتب قتل حدا عند مالك والشافعى وغيرهما ، وقال أبو حنيفة : لا يقتل ، بل يعزر (٥) ويحبس حتى يصلى ، وحملوا أحاديث التكفير على الجاحد ، أو المستحل للترك ، وعارضوها ببعض النصوص العامة التى منها قول الله تعالى :

« ان الله لا يغير أن يشرك به ويفقر ما دون ذلك لمن يشاء » (٦) •

(١) رواه احمد ومسلم وابو داود والترمذى وابن ماجه .

(٢) رواه ابو يعلى باسناد حسن .

(٣) أى لا يقبل منه قرض ولا نفل .

(٤) رواه البخارى ومسلم . (٥) وهو الضرب دون الحد .

(٦) النساء : ١١٦



وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهي نائلة — ان شاء الله — من ملت لا يشرك بالله شيئاً » (١) .

وحول هذا المعنى أتشد بعضهم :

خسر الذى ترك الصلاة وخابا      وأبى معادا صالحا ومآبا  
ان كان يجحدها فحسبك أنه      أضحى بربك كافرا مرتابا  
أو كان يتركها لنوع تكاسل      غطى على وجه الصواب حجابا  
ظلالا فمعى ومالك رأيا له      ان لم يتب حد الحسام (٢) عقابا  
والرأى عندى للامام (٣) عذابه      بجميع تأديب يراه صوابا

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أخطا الاسلام ، واحذر الوقوع فى هذا الذنب الكبير ، وهو ترك الصلاة ، أو تأخيرها عن وقتها حتى لا تكون من هؤلاء الخاسرين المضيعين الذين : « أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا » (٤) .

وحسبك حتى تحافظ على الصلوات الخمس التى فرضها الله عليك أن تقرأ معى هذه الأحاديث الشريفة :

عن حنظلة الكاتب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وعلم أنهن حق من عند الله ، دخل الجنة » أو قال : « حرم على النار » (٥) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس من جاء بهن مع ايمان دخل الجنة : من حافظ على الصلوات الخمس ، على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وصام رمضان ، وحج البيت ان استطاع اليه سبيلا ، وآتى الزكاة طيبة بها نفسه ، وأدى الأمانة » قيل : يا رسول الله . . وما أداء

(١) رواه احمد ومسلم عن أبى هريرة .

(٢) أى السيف .

(٣) مريم : ٥٩ .

(٤) رواه احمد باسناد جيد ورواه رواية الصحيح .

الأمانة ؟ قال : « الغسل من الجنابة ، ان الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها » (١) .

وعن رجل من بنى عبد القيس يقال له عياض : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « عليكم بذكر ربكم (٢) ، وصلوا صلاتكم في أول وقتكم ، فان الله يضاعف لكم » (٣) .

\* \* \*

واعلم : أن « صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توجأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تنزل الملائكة تصلى عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة » (٤) .

وأن : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد (٥) بسبع وعشرين درجة » (٦) .

وأن : « من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبير الأولى كتب له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق » (٧) .

وأن : « من صلى في مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار » (٨) .

وأن : « من سمع النداء فلم يمنع من اتباعه عذر — قالوا : وما العذر ؟ قال : خوف أو مرض — لم تقبل منه الصلاة التي صلى » (٩) .

وأن : « من توجأ للصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم مشى الى الصلاة

- 
- (١) رواه الطبراني باسناد جيد . (٢) أى الزموه وواظبوا عليه .  
(٣) أى يضاعف لكم الأجر اذا أحسنتم العمل . رواه الطبراني في الكبير .  
(٤) رواه البخارى واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه .  
(٥) أى المنفرد .  
(٦) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى .  
(٧) رواه الترمذى . (٨) رواه ابن ماجه واللفظ له .  
(٩) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وابن ماجه بنحوه .

المكتوبة فصلها مع الناس ، أو مع الجماعة ، أو في المسجد الا غفر له ذنوبه» (١) .

وأن : « من غاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله » (٢) .

وأن : « الجفاء كل الجفاء ، والكفر والنفاق مع من سمع منادى الله ينادى الى الصلاة فلا يجيبه » (٣) .

وأن : « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » (٤) .

وأن : « من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء ، فانه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم » (٥) .

وأن : « من اغتسل يوم الجمعة ، غسل الجنابة ثم راح ، فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية ، فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً ، ومن راح في الساعة الرابعة ، فكأنما قرب بيضة . فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » (٦) .

وأن : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مس الحصى فقد لغا » (٧) .

وأن : « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب — ان كان عنده — ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع ما بدا له ، ولم يؤذ أحداً ، ثم أنصت حتى يلي ، كان كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى » (٨) .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٣) رواه أحمد والطبراني .

(٤) رواه البخاري والنسائي .

(٥) رواه مسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي وغيرهم .

(٦) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

(٧) قيل معناه : خاب من الأجر ، وقيل : صارت جمعته ظهراً ، وقيل :

غير ذلك . رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

(٨) رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه ورواه أحمد ثقات .

وأن : « من غسل يوم الجمعة واغتسل ، وبكر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ ، كان له بكل خطوة عمل سنة ، أجر صيامها وقيامها » (١) .

وأن : « من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير ضرورة ، طبع الله على قلبه » (٢) .

وأن : « أثقل الصلاة على المنافقين : صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم أمر رجلا فيصلى بالناس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من الحطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » (٣) .

وأن : « عمرو بن أم مكتوم رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. أنا ضريب شاسع الدار (٤) ولى قائد لا يلائمنى ، فهل تجد لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ قال : « تسمع النداء » ؟ قال : نعم ، قال : « ما أجد لك رخصة » (٥) .

فأذكر كل هذا أخا الاسلام حتى تكون محافظا على الصلوات الخمس دون تأخير أو نقصان ، وحسبك ترغيبا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« خمس صلوات افترضهن الله عز وجل ، من أحسن وضوعهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن ، كان على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، ان شاء غفر له وان شاء عذبه » (٦) .



- 
- (١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وقال : حديث حسن ، والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحكم وصححه .  
 (٢) رواه أحمد بإسناد حسن والحكم وقال : صحيح الإسناد .  
 (٣) أخرجه البخارى وأحمد ومسلم .  
 (٤) أى بعيد الدار .  
 (٥) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والحكم .  
 (٦) رواه مالك وأبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

هذا ••• ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :  
 « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » (١) •  
 ولما كان سبب وجوب الوضوء ، وجوب الصلاة ، أو ارادة  
 ما لا يحل الا بالطهارة كصلاة ، ولو نافلة أو سجدة تلاوة •

ولما كان الوضوء الحسن كما رأيت هو الأساس في صحة الصلاة  
 التي ان قبلت منك كنت من الفالحين •  
 فقد رأيت ، وفي ختام هذا الموضوع أن أقف معك على :

### كيفية الوضوء

كما هو ثابت عن المعلم الخالد صلوات الله وسلامه عليه ، فقد ورد :  
 عن حمران بن أبان نال : دعا عثمان رضى الله عنه بماء وهو على  
 المقاعد ، فسكت على يمينه فغسلها ، وفي رواية : « فأفرغ على يديه  
 ثلاثا فغسلها » ثم أدخل يمينه في الاناء فغسل كفيه ثلاثا • ثم غسل  
 وجهه ثلاث مرار ، ومضمض واستنشق واستنثر • وغسل ذراعيه  
 الى المرفقين ثلاث مرات ، ثم مسح برأسه ، وأمر بيديه على ظهر  
 أذنيه ، ثم غسل رجليه الى الكعبين ثلاث مرار • ثم قال : سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من توضأ نحو وضوئى  
 هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما ، غفر له ما تقدم من ذنبه »  
 وفي رواية : « غفر له ما كان بينهما وبين صلاته بالأمس » (٢) •

وعن عبد خير قال : جلس على رضى الله عنه بعدما صلى الفجر  
 في الرحية (٣) ، ثم قال لغلامه : ائتني بطهور ، فأتاه الغلام باناء فيه  
 ماء وطست (٤) ونحن جلوس ننظر اليه • فأخذ بيمينه الاناء فأكفأه  
 على يده اليسرى ، ثم غسل كفيه ، فغسل ثلاث مرار ، كل ذلك لا يدخل  
 يده في الاناء حتى يغسلها ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى في الاناء  
 فمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى ، وفعل ذلك ثلاث مرات ،  
 وفي رواية : فتمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا من كف واحدة ، ثم أدخل  
 يده اليمنى في الاناء فغسل وجهه ثلاث مرات ، ثم غسل يده اليمنى

(١) رواه الشيخان وأبو داوود والترمذى عن أبى هريرة .

(٢) أخرجه أحمد والشيخان . (٣) موضع بالكوفة .

(٤) اناء من نحاس .

ثلاث مرات الى المرفق ، ثم غسل يده اليسرى ثلاث مرات الى المرفق ، ثم أدخل يده اليمنى في الاثناء حتى غمرها الماء ، ثم رفعها بما حملت من الماء ، ثم مسحها بيده اليسرى ، ثم مسح رأسه بيديه ككليهما مرة • وفي رواية : « فبدأ بمقدم رأسه الى مؤخره » ثم صب بيده اليمنى على قدمه اليمنى ، ثم غسلها بيده اليسرى • ثم صب بيده اليمنى على قدمه اليسرى ، ثم غسلها بيده اليسرى ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى فغرف بكفه فشرب فضل وضوئه<sup>(١)</sup> ، ثم قال : هذا ظهور نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم<sup>(٢)</sup> •

\* \* \*

ولقد كان :

### من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في الوضوء

أنه كان : يتوضأ لكل صلاة في غالب أحيانه ، وربما صلى الصلوات بوضوء واحد •

- وكان : يتوضأ « بالمد »<sup>(٣)</sup> تارة ، وبثلاثيه تارة ، وبأزيد منه تارة •
- وكان : من أيسر الناس صبا لماء الوضوء •
- وكان : يحذر أمته من الاسراف في ماء الوضوء ، ومر على سعد وهو يتوضأ فقال له : « لا تسرف في الماء » •
- وصح عنه أنه توضأ مرة ، ومرتين مرتين ، وثلاثا ثلاثا ، وفي بعض الأعضاء مرتين وبعضها ثلاثا •
- وكان : يتمضمض ويستنشق تارة بغرفة ، وتارة بغرفتين ، وتارة بثلاث •

• وكان : يصل بين المضمضة والاستنشاق ، فيأخذ نصف الغرفة لفمه ، ونصفها لأنفه • ولا يمكن في الغرفة الا هذا • وأما الغرفتان والثلاث ، فيمكن فيهما الفصل والوصل ، الا أن هديه صلى الله عليه وآله ابن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمضمض واستنشق من كف واحدة • فعل ذلك ثلاثا ، وفي لفظ : « تمضمض واستنثر بثلاث غرفات » • فهذا أصح ما روى في المضمضة والاستنشاق •

(١) وضوء بفتح الواو ، وهو ما يتوضأ به •

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والدارقطني والدارمي بسند جيد

(٣) المد : رطلان •

وكان : يستنشق بيده اليمنى ويستنثر باليسرى •  
 وكان : يمسح رأسه كله ، بل كان اذا كرر غسل الأعضاء أفرد مسح  
 الرأس ، هكذا جاء عنه صريحا ، ولم يصح عنه في حديث واحد أنه  
 اقتصر على مسح بعض رأسه ألبتة • ولكن كان اذا مسح بناصيته  
 كمل على العمامة •

ولم يتوضأ صلى الله عليه وسلم الا تمضمض ، ولم يحفظ عنه أنه  
 أدخل به مرة واحدة •

وكذلك كان وضوءه مرتبا متواليا لم يخل به مرة واحدة ألبتة •  
 وكان : يمسح على رأسه تارة ، وعلى العمامة تارة ، وعلى الناصية  
 والعمامة تارة ، وأما اقتصره على الناصية مجردة فلم يحفظ عنه كما  
 تقدم •

وكان : يغسل رجليه اذا لم يكونا في خفين ولا جوربين ، ويمسح  
 عليهما اذا كانا في الخفين •

وكان يمسح أذنيه مع رأسه ، وكان يمسح ظاهرهما مع باطنهما •  
 ولم يحفظ عنه أنه كان يقول على وضوئه شيئا غير التسمية في  
 أوله ، وقد ورد في هذا أنه قال لأبى هريرة رضى الله عنه : « اذا توضأت  
 فقل : بسم الله والحمد لله ، فان حفظتك لا تبرح تكتب لك الحسنات حتى  
 تحدث من ذلك الوضوء » (١) • كما ورد أنه كان يقول في آخره : « أشهد  
 أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،  
 اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » • كما ورد أيضا  
 أنه كان يقول : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت ،  
 أستغفرك وأتوب اليك » •

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يقول في أول الوضوء : نويت رفع  
 الحدث ، ولا استباحة الصلاة ، لا هو ولا أحد من الصحابة عليهم جميعا  
 رضوان الله ، ولم يرو عنه في ذلك حرف واحد لا باسناد صحيح  
 ولا ضعيف •

ولم يتجاوز الثلاث قط •

\* \* \*

(١) أخرجه الطبرانى في « الصغير » بسند حسن •

واعلم أن :

السواك مستحب في جميع الأوقات لكن في خمسة أوقات أشد استحبابا : عند الصلاة ، عند الوضوء ، عند قراءة القرآن ، عند الاستيقاظ من النوم ، عند تغيير الفم • فقد ورد :

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء »<sup>(١)</sup> •  
وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »<sup>(٢)</sup> •

وعن عائشة رضی الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« السواك مطهرة للفم مرضاة للرب »<sup>(٣)</sup> •

ويحصل الاستيآك بكل طاهر خشن يزيل الوسخ والأفضل أن يكون بالأراك والزيتون لحديث أبي خيرة الصباحي ، قال : كنت في الوفد فزودنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأراك وقال : « استاكوا بهذا »<sup>(٤)</sup> • ويسن غسله بعد الاستعمال •

ويحصل فضله بالأصبع عند فقد السواك ، أو فقد أسنانه أو ضرر بفمه ، لحديث النضر بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يجزىء من السواك الأصابع »<sup>(٥)</sup> •

وعن عائشة رضی الله عنها قالت : « يا رسول الله •• الرجل يذهب فوه •• أيسئك ؟ قال : نعم • قلت : كيف يصنع ؟ قال : يدخل أصبعه في فيه »<sup>(٦)</sup> •

وأنه من مستحبات الوضوء كذلك :

استقبال القبلة • لحديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير المجالس ما استقبل به القبلة »<sup>(٧)</sup> •

- 
- (١) رواه مالك والشافعي والبيهقي والحاكم •
  - (٢) أخرجه الجماعة •
  - (٣) رواه أحمد والنسائي والترمذي •
  - (٤) أخرجه البخاري في « التاريخ » •
  - (٥) أخرجه البيهقي وقال : حديث ضعيف •
  - (٦) أخرجه الطبراني في « الأوسط » •
  - (٧) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » •



وتقديم الوضوء على الوقت لغير المعذور •  
وترك لطم الوجه وغيره من الأعضاء ، لأن كل من وصف وضوء  
النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر أنه ضرب وجهه بالماء •  
وعدم التكلم حال الوضوء ، الا لحاجة تفوته ، كأمر بمعروف ،  
ونهى عن منكر ، وارشاد ضال ، ورد سلام •

وتحريك الخاتم وما يشبهه من الأساور والخلخال ونحوها •

والبدء بتطهير مقدم الأعضاء — أى بأعلى الوجه — وأصابع اليدين  
والرجلين ، ومقدم الرأس •

واطالة الغرة والتحجيل • والمراد باطالة الغرة غسل شيء من  
مقدم الرأس وما يجاوز الوجه زائدا على المفروض غسله • والمراد  
بالتحجيل غسل ما فوق المرفقين والكعبين بأن يغسل الذراعين لنصف  
العضدين ، والرجلين لنصف الساقين لحديث أبى هريرة رضى الله عنه  
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان أمتى يأتون يوم القيامة غرا  
محجلين<sup>(١)</sup> من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليطيل »<sup>(٢)</sup>

والاقتصاد فى الماء : أى لا يقتر ولا يزيد على قدر الكفاية اقتداء  
بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد ورد :

عن عبيد الله بن أبى يزيد أن رجلا قال لابن عباس : كم يكفينى من  
الوضوء ؟ قال : مد<sup>(٣)</sup> • قال : كم يكفينى للغسل ؟ قال : صاع<sup>(٤)</sup> •  
فقال الرجل : لا يكفينى • فقال : لا أم لك ، قد كفى من هو خير منك  
رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> •

ومسح الرقبة بظهر يديه : لعدم استعمال بلتهما ، فقد ورد هذا  
من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وان كان لم يثبت فى هذا حديث  
صحيح الا أن الأحاديث الواردة فى هذا لكثرتها يقوى بعضها بعضا •  
أما مسح الحلقوم وهو مقدم العنق فبدعة اتفاقا •

(١) أى على وجوههم وفى أيديهم وأرجلهم نور •

(٢) أخرجه أحمد والشيخان • (٣) المد : رطلان •

(٤) الصاع : ثمانية أرتال •

(٥) أخرجه أحمد والبخارى والطبرانى فى « الكبير » ورجاله ثقات •

وعدم الاستعانة بالغير : فقد اتفق العلماء على أنه يستحب للمقادر أن يتولى تطهير الأعضاء بنفسه من غير معاونة ، أما الاستعانة لاحضار الماء وصبه فقد اتفق الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء السنة على اباحته .

والدعاء بعد الوضوء : لحديث عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، الا اقتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » (١) .

ويختتم الدعاء بما في حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« من توضأ فقال : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت . أستغفرك وأتوب اليك ، كتب في رق ثم طبع بطابع فلا يكسر الى يوم القيامة » (٢) .

أما ما اعتاده بعض الناس وذكره بعض الفقهاء من الدعاء عند كل عضو كقولهم عند غسل الوجه : اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، وعند غسل اليد اليمنى : اللهم أعطني كتابي بيمينى ولا تعطني كتابي بشمالى . وعند غسل اليد اليسرى : اللهم يسر ولا تعسر . فلم يثبت فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال النووي في الروضة : هذا الدعاء لا أصل له ، ولم يذكره الشافعى ولا الجمهور .

وقال ابن الصلاح : لم يصح فيه حديث (٣) .  
والشرب من فضل الوضوء قائما أو قاعدا مستقبلا القبلة : لأنه صلى الله عليه وسلم شرب قائما من فضل وضوئه ومن ماء زمزم .. كما ورد (٤) .

(١) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وزاد : « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » .

(٢) أخرجه الحاكم والنسائى وصححه وقته .

(٣) انظر « تحفة الأحوذى » ج ١ ص ٥٩

(٤) كما قرأت سابقا .

وصلاة ركعتين بعد الوضوء : فقد ورد عن أبي الدرداء رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من توضأ فأصبغ الوضوء ثم صلى ركعتين أتمهما أعطاه الله ما سأل معجلا أو مؤخرا » (١) .

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة ضرورة :

الاستبراء من البول قبل الشروع فى الوضوء ، وهو : طلب البراءة من أثر الخارج فيلزم الرجل الاستبراء حسب عادته بنحو مشى أو تنحنح أو ركض أو اضطجاع ، ولا يصح الشروع فى الوضوء حتى يطمئن بزوال الرشح لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « استنزها من البول فان عامة عذاب القبر منه » (٢) .

ولا تحتاج المرأة الى استبراء بل تصبر قليلا ثم تستنجى ولا بد من الاستنقاء أيضا ، وهو طلب النقاوة بذلك المقعدة بالأحجار حال الاستجمار ، أو بالأصابع حال الاستنجاء بالماء حتى تذهب الرائحة .

\* \* \*

وأما عن :

### حفظ الحدود وملازمة التقوى واجتناب ما لا يرضى الله

فالحدود جمع حد ، وهو فى اللغة المنع ، وأما فى الشرع فهى محارم الله وعقوباته التى قرننها بالذنوب . قال فى النهاية : « أصل الحد المنع والفصل بين الشيين ، فكأن حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام ، فمنها ما لا يقرب كالقواحش المحرمة ، ومنه قوله تعالى : « تلك حدود الله فلا تقربوها » (٣) . ومنها ما لا يتعدى كالمواريث المعينة وتزوج الأربع . ومنه قوله تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها » (٤) ، ومنه الحديث : « انى أصبت حدا فأقمه على ... » (٥) ، أى أصبت ذنبا أوجب على حدا أى عقوبة » اهـ .

(١) أخرجه أحمد .

(٢) أخرجه الدارقطنى والحاكم وصححه .

(٣) البقرة : ١٨٧ (٤) البقرة : ٢٢٩

(٥) من حديث رواه مسلم .

والمراد هنا عدم الاقتراب من محارم الله تعالى حذرا من الوقوع فيما يوجب دخول جهنم : وقد ورد في هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« أنا آخذ بحجزكم (١) أقول : اياكم وجهنم (٢) ، اياكم والحدود (٣) ، اياكم وجهنم ، اياكم والحدود ، اياكم وجهنم ، اياكم والحدود — ثلاث مرات — فاذا أنا مت تركتكم وأنا فرطكم (٤) على الحوض فمن ورد أفلح » (٥) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يغار ، وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه » (٦) .

وعن ثوبان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمال (٧) أمثال جبال تهامة (٨) بيضاء ، فيجعلها الله هباء منثورا » (٩) . قال ثوبان : يا رسول الله .. صفهم لنا ، جلهم لنا (١٠) لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، قال : « أما انهم اخوانكم ومن جلدتكم (١١) ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم قوم اذا خلوا بمحارم الله انتهكوا » (١٢) .

(١) جمع حجة وهى متعد الازار : أى مسك بها .

(٢) أى احذروا ما يوجب لكم دخول جهنم من تعدى الحدود وانتهاك الحرمات .

(٣) أى سابقكم ومتقدمكم .

(٤) يعنى من ورد على الحوض وشرب منه فقد ناز ، لان ورود الحوض دليل على حسن ايمانه ومتابعته . رواه البزار من رواية ليث بن أبى سليم .

(٦) يعنى أن يفعل ما نهاه الله عز وجل عنه من الفواحش والمنكرات .. رواه البخارى ومسلم .

(٧) يعنى سالحة من صلاة وصدقة وصيام ونحوها .

(٨) أى انها تساويها في الثقل .

(٩) أى يحبطهم ولا يثيبهم عليها .

(١٠) أى اظهرهم لنا .

(١١) أى من عشيرتكم .

(١٢) رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعن جنبتي (١) الصراط سوران (٢) فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة (٣) ، وعند رأس الصراط داع يقول : استقيموا على الصراط ولا تعوجوا (٤) ، وفوق ذلك داع يدعو ، كلما هم عبد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك (٥) لا تفتحه ، فانك ان فتحتة تلجه (٦) ، ثم فسره فأخبر أن الصراط هو الاسلام ، وأن الأبواب المفتحة محارم الله ، وأن الستور المرخاة حدود الله (٧) ، والداعي على رأس الصراط هو القرآن ، والداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب كل مؤمن » (٨) .

\* \* \*

فمن هذه الأحاديث ترى بوضوح أن الوقوف عند حدود الشرع وعدم الاقتراب منها أو تعديها يضمن لك السلامة في الدارين ، وأن اتقائك للمحارم يجعلك من أعبد الناس ، كما جاء في الحديث الشريف الذي يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : « ... اتق المحارم تكن أعبد الناس » (٩) .

\* \* \*

غير أن كل هذا لن يتحقق الا بملازمة التقوى التي تعتبر من أهم أسباب الفلاح والنجاح ، كما جاء في قوله تعالى : « ... واتقوا الله لعلكم تفلحون » (١٠) .

- 
- (١) تثنية جنبية وهي الناحية .
  - (٢) تثنية سور وهو البناء المحوط .
  - (٣) أى مسبلة .
  - (٤) أى لا تميلوا .
  - (٥) كلمة ترحم واشفاق .
  - (٦) أى تدخله .
  - (٧) التي أمر بالوقوف عندها ونهى عن تعديها .
  - (٨) وفي رواية : « مسلم » بدل « مؤمن » .
  - نكره رزين ولم أره في أصوله ، وإنما رواه أحمد والبخاري مختصرا بغير هذا اللفظ بإسناد حسن ، وعزاه السيوطي في « الجامع » بهذا اللفظ إلى أحمد والحاكم عن النواس بن سميان وقال الحاكم : صحيح ، وأقروه .
  - (٩) من حديث رواه الترمذي وقد سبق شرحه في سلسلة « الوصايا » .
  - (١٠) آل عمران : ٢٠٠ .

وهذا يتطلب دوام استحضار القلب احاطة علم الله تعالى بحركاته وسكناته ، لأن الله سبحانه وتعالى كما قال عن نفسه : لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء • وهو سبحانه « يعلم السر وأخفى » (١) ، « وهو معكم أين ما كنتم » (٢) •

\* \* \*

ولهذا :

قال ابن عطاء الله : أفضل الطاعات ، مراقبة الحق في جميع الأوقات •

وقال ذو النون المصري : علامة المراقبة ايثار ما آثر الله ، وتعظيم ما عظم الله •

وقال بعض العارفين : من راقب الله في خواطره عصمه الله جوارحه •

\* \* \*

ومن أجمل ما قرأت في هذا المعنى :

كان ابن عمر في سفر فرأى غلاما يرعى غنما فأعجبه حسن رعايته لها في الظاهر فأراد أن يختبر باطنه ، فقال له : تبيع من هذه الغنم واحدة ؟ فقال : انها ليست لي • فقال : قل لصاحبها ان الذئب أخذ منها واحدة • فقال الغلام : فأين الله • فأعجبه حسن مراقبته وصار يترنم بذلك ويقول : فأين الله •••

وحكى أن رجلا تعلق قلبه بامرأة بدوية ذهبت الى حاجة لها ، فتبعها ، فلما خلا بها في البادية ، والناس نيام حولها ، راودها عن نفسها ، فقالت له : انظر •• أنام الناس جميعا ؟ ففرح الرجل وظن أنها قد أجابته ، فقام وطاف حول مضارب الحي ، فإذا الناس نيام ، فرجع اليها وأخبرها ، فقالت له : ما تقول في الله تعالى ، أنائم هو في هذه الساعة ؟ فقال الرجل : ان الله لا ينام ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، فقالت المرأة : ان الذي لم ينام ولا ينام يرانا وان كان الناس لا يروننا فذلك أولى أن يخاف ، فاتعظ الرجل وتركها ، وتاب خوفا من الله تعالى • ولما مات رئى في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي لخوفي منه ، وتوبتي اليه •

\* \* \*

واعلم أخا الاسلام : أن من أطاع الله تعالى أطاعه في كل شيء ،  
ومن خاف الله تعالى خافه في كل شيء . ولما كان العلماء هم أخوف الناس  
من الله تعالى بدليل قوله سبحانه : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (١)

فقد رأيت أن أسوق اليك بعض الأمثلة الحية التي ستري من  
خلالها عزة العلماء وهيبتهم وكيف كان الأمراء يعملون لهم ألف حساب ،  
لا لشيء الا لأنهم كانوا ينظرون اليهم نظرة تقدير واكبار بعد أن  
رأوا منهم الاخلاص والعزوف عن الدنيا التي ان تربعت على قلب  
العالم سلبته مهابته ، وأفقدته كرامته ومكانته .

\* \* \*

ومن أجمل ما قرأت في هذا :

أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى بيت الله الحرام ، فلما دخل  
الحرم قال : ائتوني برجل من الصحابة ، فقيل : يا أمير المؤمنين . .  
ماتوا . قال : فمن التابعين ، فأتى بطاووس اليماني ، فلما دخل عليه  
خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بيا أمير المؤمنين ، ولم يكنه  
وجلس الى جانبه بغير اذن وقال : كيف أنت يا هشام ؟ فغضب من ذلك  
غضبا شديدا حتى هم بقتله ، فقيل له : أنت يا أمير المؤمنين في حرم الله  
وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك . فقال : يا طاووس  
. . ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وما صنعت ؟ قال : خلعت نعليك  
بحاشية بساطي ، ولم تسلم بيا أمير المؤمنين ، ولم تكني ، وجلست  
بنازي بغير اذن ، وقلت : يا هشام كيف أنت .

فقال طاووس : أما خلع نعلي بحاشية بساطك ، فاني أخلعتها  
بين يدي رب العزة في كل يوم خمس مرات ولا يعاتبني ولا يغضب علي .  
وأما قولك : لم تسلم علي بامرة المؤمنين ، فليس كل المؤمنين  
راضيا بامرتك ، فخفت أن أكون كاذبا .

وأما قولك : لم تكني ، فان الله عز وجل سمي أنبياءه فقال :  
يا داوود ، يا يحيى ، يا عيسى ، وكني أعداءه فقال : « ثبت يدا أبي  
لهب . . . » (٢) .

وأما قولك : جلست بازائي فاني سمعت على بن أبي طالب يقول :  
اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس  
وحوله قوم قيام • فقال : عظني • فقال : سمعت على بن أبي طالب  
رضي الله عنه يقول : ان في جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير  
لم يعدل في رعيته •

وأن الامام الأوزاعي دخل على المنصور — وقد كان شديد  
الهيبة — فقال له المنصور : عظني • فقال : اعلم يا أمير المؤمنين ••  
ان الله هو الحق المبين ومن كره الحق فقد كرهه الله ، يا أمير المؤمنين ••  
ان الملك لا يدوم لخلق ، وانما الملك لله وحده ، ولو كان يدوم لأحد  
لما وصل اليك • يا أمير المؤمنين •• ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
دعا للقصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا وهو غير متعمد •  
فقال الأعرابي : بأبي وأمي يا رسول الله •• قد أحللتك وما كنت  
لأفعل ذلك أبدا • يا أمير المؤمنين •• ان خير الكرم عند الله التقوى ،  
ومن طلب العزة بطاعة الله رفعه الله وأعزه ، ومن طلبها بمعصية الله  
وضعه الله وأذله • فلما انتهى من عظته أمر له المنصور بمال ، فاعتذر  
واستعفى من قبوله وقال : يا أمير المؤمنين •• ما كنت لأبيع نصيحتي  
بعرض الدنيا فأحرم ثوابها وأقلل من نفعها ، وما دام أمير المؤمنين  
قائما فينا بالعدل فنحن في خير الله ثم في خيره •

ونظر أبو جعفر المنصور الامام مالك رضي الله عنه في مسجد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الامام مالك : يا أمير المؤمنين ••  
لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال تعالى :  
« لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر  
بعضكم لبعض » (١) ومدح قوما فقال : « ان الذين يفضون أصواتهم  
عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة  
وأجر عظيم » (٢) وذم قوما فقال : « ان الذين ينادونك من وراء  
الحجرات أكثرهم لا يعقلون » (٣) وان حرمة صلى الله عليه وسلم  
ميثا كحرمة حيا • فاستكان له أبو جعفر •

(٢) الحجرات : ٣

(١) الحجرات : ٢

(٣) الحجرات : ٤



فبكل هذا أخوا الإسلام تكون أهلاً لرحمة الله تعالى ورعايته لك ولأهلك ومالك ودينك ودينك ، إذ الجزاء كما عرفت سابقاً من جنس العمل ، وإلى هذا يشير سبحانه وتعالى في قوله : « فاذكروني أذكركم » (١) .

وقوله : « ان تنصروا الله ينصركم » (٢) .

وقد مدح الله تعالى المتقين الحافظين لحدوده فقال : « وأزلقت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغييب وجاء بقلب منيب » (٣) .

\* \* \*

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :  
\* ( احفظ الله تجده تجاهك ) : فالمراد : احفظ الله وكن ممن « خشى الرحمن بالغييب وجاء بقلب منيب » (٤) : تجده أمامك ، أى معك بالحفظ والاحاطة والتأييد والاعانة حيثما كنت فتستأنس به وتستغنى به عن خلقه .

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

\* \* \*

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا :

\* ( وإذا سألت فاسأل الله ) أى : إذا أردت سؤال شيء فاسأل الله أن يعطيك إياه ، ولا تسأل غيره ، لأنه لا تقادر ولا متفضل غيره ، فهو أحق أن يقصد .

وقد أمر الله الناس أن يدعوه ويضرعوا إليه ووعدهم أن يستجيب لهم ويحقق لهم سؤالهم ، فقال تعالى : « ادعوني أستجب لكم » (٥)

وقال : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية » (٦) .

ولهذا كان الدعاء هو العبادة كما جاء في حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الدعاء

(٢) حمد : ٧

(٤) سورة ق : ٢٣

(٦) الاعراف : ٥٥

(١) البقرة : ١٥٢

(٣) سورة ق : ٢١ - ٢٣

(٥) غافر : ٦٠

هو العبادة ، ثم قرأ : « ادعوني أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » (١) .

وعن الحسن رضى الله عنه : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه : أين ربنا ؟ فأنزل الله : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان » (٢) .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : « أربع خصال : واحدة منهن لى ، وواحدة لك ، وواحدة فيما بينى وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادى ، فأما التى لى : لا تشرك بى شيئاً . وأما التى لك : فما عملت من خير جزيتك عليه . وأما التى بينى وبينك : فمك الدعاء وعلى الاجابة ، وأما التى بينك وبين عبادى : فارض لهم ما ترض لنفسك » (٣) .

وحتى تعرف فضل الدعاء وتكون من الحريصين عليه ، اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس شىء أكرم على الله من الدعاء » (٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يغنى حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وان البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان » (٥) الى يوم القيامة » (٦) .

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر الا البر » (٧) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض » (٨) .

\* \* \*

- (١) غافر : ٦٠ .  
 (٢) البقرة : ١٨٦ .  
 (٣) رواه ابو يعلى .  
 (٤) رواه الترمذى وابن ماجه .  
 (٥) أى يتصارعان ويتدافعان .  
 (٦) رواه البزار والطبرانى والحاكم وقال : صحيح الاسناد .  
 (٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .  
 (٨) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ورواه ابو يعلى من حديث على

هذا وللدعاء آداب ، منها :

تحرى الحلال : وهو من أهم شرائطه ، فقد أخرج الحافظ ابن مردويه عن ابن عباس قال : تليت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالات طيبا » (١) ، فقام سعد بن أبي وقاص فقال : « يا رسول الله .. ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال : « يا سعد .. أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده ان الرجل ليقتذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » .

— استقبال القبلة ان أمكن ، فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم يستسقى فدعا واستسقى واستقبل القبلة .

— ملاحظة الأوقات الفاضلة ، والحالات الشريفة : كيوم عرفة ، وشهر رمضان ، ويوم الجمعة ، والثلاث الأخير من الليل ، ووقت السحر ، وأثناء السجود ، وتزول الغيث ، وبين الأذان والاقامة . والتقاء الجيوش ، وعند الوجل ورقة القلب .

— رفع اليدين حذو المنكبين : فقد روى عن مالك بن يسار أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ، ولا تسألوه بظهورها » .

— البدء بحمد الله وتمجيده والثناء عليه ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته ولم يمجده الله تعالى ، ولم يصل على النبي فقال : « عجل هذا » ثم دعاه فقال له — أو لغيره — : « اذا صلى (٢) أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل ، والثناء عليه ، ثم يصلى على النبي — صلى الله عليه وسلم — ثم يدعو بما شاء » (٣) .

— حضور القلب واطهار الفاقة والضراعة الى الله جل شأنه وخنض الصوت بين المخافة والجهر ، قال الله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك

(٢) صلى : أى دعا .

(١) البقرة : ١٦٨

(٢) رواه أبو داود والنسائي والترمذى وصححه .

ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا» (١) ، وقال : « ادعوا ربكم تضرعا وخفية ، انه لا يحب المعتدين » (٢) .

— الدعاء بغير اثم أو قطيعة رحم : فعن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احذى ثلاث خصال : اما أن يعجل له دعوته ، واما أن يدخرها له في الآخرة ، واما أن يصرف عنه من السوء مثلها » قالوا : اذن نكثر . قال : « الله أكثر » (٣) .

— عدم استبطاء الاجابة : فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب لى » (٤) .

— الدعاء مع الجزم بالاجابة : فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ليعزم المسألة فانه لا مكره له » (٥) .

— اختيار جوامع الكلم ، مثل : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار » (٦) .

— تجنب الدعاء على النفس والأهل والمال : فقد ورد عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء يستجاب لكم » .

— تكرار الدعاء ثلاثا : فقد ورد عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا (٧) .

— البدء بالدعاء للنفس قبل الدعاء للغير : وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا فى قوله : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا

(٢) الاعراف : ٥٥

(٤) رواه مالك .

(٦) البقرة : ٢٠١

(١) الاسراء : ١١٠

(٣) رواه أحمد .

(٥) رواه ابو داوود .

(٧) رواه ابو داوود .

بالإيمان» (١) ، وعن أبي بن كعب قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه » (٢) .

— مسح الوجه باليدين عقب الدعاء وحمد الله وتمجيده والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى مسح الوجه باليدين من عدة طرق كلها ضعيفة ، وأشار الحافظ الى أن مجموعها تبلغ به درجة الحسن .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام وكن دائما وأبدا مع الله سبحانه وتعالى حتى يكون معك . . . وإياك أن تسأل غيره ، وحسبك هذه الأقوال :

قال طاووس لعطاء : إياك أن تطلب حوائجك ممن يعلق بابه دونك ، عليك بمن بابا مفتوح الى يوم القيامة وقد أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك .

وقال الفضيل بن عياض : أحب الناس الى الناس من استغنى عن الناس ، وأبغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس وسألهم ، وأحب الناس الى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره ، وأبغض الناس اليه تعالى من استغنى عنه وسأل غيره .

وقال ابن السماك : في طلب الرجل الحاجة من أخيه فتنة ، ان هو أعطاه حمد غير الذى أعطاه وان منعه ذم غير الذى منعه ، لأنه لا معطى ولا مانع فى الحقيقة الا الله .

وقال عامر بن قيس : قرأت آيات فى كتاب الله تعالى فاستغنيت بها عن الناس ، قوله تعالى : « وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » (٣) فلم أسأل غيره كشف ضرى ، وقوله تعالى : « وان يردك بخير فلا راد لفضله » (٤) ، فلم أرد الخير والفضل الا منه ، وقوله عز وجل : « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » (٥) ، فلم أطلب الرزق من غيره فأغنانى عن الناس بهذه الآيات .

(١) الحشر : ١٠

(٢) رواه الترمذى باسناد صحيح . (٣) الأنعام : ١٧ ، ويونس : ١٠٧

(٥) هود : ٦

(٤) يونس : ١٠٧

(٤٤) — من وصايا الرسول

وكان بعضهم يقع سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله اياه لأن  
السؤال فيه ذل وافتقار •  
وكان بعضهم يقول : من اجتجت اليه هنت عليه •

\* \* \*

واعلم أن السؤال مذموم اذا كان لآدمى وأما سؤال الله سبحانه  
وتعالى فينبغى للانسان أن لا يتركه في أمر من الأمور لأنه سبحانه  
وتعالى أمرنا به حيث قال : « **واسألوا الله من فضله** » (١) •  
وفي الحديث الشريف : « من لم يسأل الله يغضب عليه » •  
وحول كل هذا يقول أحدهم :

لا تسألن بنى آدم حاجة وسل الذى أبوابه لا تحجب  
الله يغضب ان تركت سؤاله وبنى آدم حين يسئل يغضب

\* \* \*

وأما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم :  
\* ( واذا استعنت فاستعن بالله ) أى : اذا طلبت الاعانة على أمر  
من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله تعالى لأنه القادر على كل شيء ،  
وغيره عاجز عن كل شيء حتى جلب مصالح نفسه ودفعت مضارها •  
وقد كتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز : « لا تستعن بغير الله يكلك  
الله اليه » • وتأمل قول القائل :

اذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وحسبك هذا الحديث القدسي الذى يقول الله تعالى فيه :

« ابن آدم •• أنزلت عليك سبع آيات ، ثلاث لى ، وثلاث لك ،  
واحدة بينى وبينك ، فأما التى لى : ف « **الحمد لله رب العالمين** » •  
والرحمن الرحيم • مالك يوم الدين » ، والثى بينى وبينك : « **اياك نصبد**  
واياك نستعين » ، منك العبادة وعلى العون ، وأما التى لك :  
« **اهدنا الصراط المستقيم** • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم  
ولا الضالين » (٢) •

(١) النساء : ٣٢

(٢) رواه الطبرانى فى معجمه « الأوسط » عن أبى بن كعب •

واعلم أن : « من اعتمد على ماله قل ، ومن اعتمد على عقله ضل ، ومن اعتمد على جاهه ذل ، ومن اعتمد على الله لا قل ، ولا ضل ، ولا ذل » (١) .

« واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقالم وجفت الصحف » (٢) .  
وهذا معناه أنه ليست هناك قوة على وجه الأرض تستطيع أن تنتفع أو تضر إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى التي درها أزالاً في لوحه المحفوظ .

وأن كل إنسان في هذه الحياة الأولى ميسر لما خلق له كما جاء في الحديث الذي رواه جابر رضى الله عنه والذي يقول فيه :

جاء سراقه بن مالك بن جعشم رضى الله عنه فقال : يا رسول الله .. بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن .. فقيم العمل اليوم فيما جفت به الأقالم وجرت به المقادير ؟ قال : فقيم العمل ؟ قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله » (٣) .

ولهذا كان من المفروض أن لا يكون هناك جبن أو خوف ، وهم أو حزن ، ما دام الله سبحانه وتعالى قد قدر كل هذا وأراده .

مع ضرورة الأخذ بالأسباب كما أمر الله سبحانه وتعالى سواء أكان هذا في سبيل الدفاع عن الدين والوطن كما جاء في قوله تعالى :  
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (٤) .

وسواء أكان في سبيل طلب الرزق كما جاء في قوله تعالى :  
« فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور » (٥) فالله سبحانه وتعالى قبل أن يأمرنا بأعداد العدة لملاقاة الأعداء ، والسعى في مناكب الأرض طلباً للرزق ، كان قد قدر أزالاً نتائج المعارك ، كما قسم الأرزاق ،

(٢) من حديث رواه الترمذى .

(٤) الأقالم : ٢٠ .

(١) من كلام سيدنا على .

(٣) أخرجه مسلم .

(٥) الملك : ١٥ .

ومع هذا كما عرفت فقد أمر باعداد العدة وطلب الرزق أخذا بالأسباب  
كما أشرت وفي هذا يقول أحدهم :

توكل على الرحمن في الأمر كله ولا ترغبن في العجز يوما عن الطلب  
ألم تر أن الله قال لمريم وهزي إليك الجزع يساقط الرطب  
ولو شاء أدلى الجزع من غير هزه إليها ولكن كل شيء له سبب

\* \* \*

وإذا كانت الوصية التي وقفت على شرحها بايجاز قد رواها الترمذي  
عليه رحمة الله فقد رواها غيره بهذا النص الذي أرجو أن تنتفع به  
كذلك وهو :

\* ( احفظ الله تجده أمامك ، تعرف على الله في الرخاء يعرفك  
في الشدة .

• واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك .  
• واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع  
العسر يسرا ) .

\* \* \*



# الْوَصِيَّةُ النَّاسِعةُ وَالْعِشْرُونَ

روى اسماعيل بن محمد عن أبيه عن جده رضى الله  
عنهم أجمعين : أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم  
فقال : يا رسول الله .. أوصنى وأوجز . فقال :

« عليك باليأس مما فى أيدي الناس فإنه أنفنى ،  
واياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وأنت  
مودع ، واياك وما يعتذر منه » .

( رواه الحاكم والبيهقى فى كتاب « الزهد » وقال الحاكم :  
صحيح الإسناد ) .

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

هذا الرجل الموفق الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
— كما عرفت — أوصنى ... فقال له ولجميع أحبائه الذين يرجو لهم  
العزة والكرامة بين الناس حتى يتحقق الايمان فيهم ، كما جاء فى قول  
الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (١) :

\* ( عليك باليأس مما فى أيدي الناس فإنه الغنى ) :

أى : اذا أردت أن تكون غنيا عن الناس لا تمدن عينيك الى ما فى  
أيديهم من حطام أو طعام ، لأن الناس عادة لا يحبون غير الذى  
لا ينازعهم فيما فى أيديهم ، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم  
هذا المعنى الواضح فى حديث شريف روى :

عن العباس سهل بن سعد الساعدي رضى الله تعالى عنه ، قال :  
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله ..  
دلنى على عمل اذا عملته أحببني الله وأحبنى الناس ، فقال : « ازهد  
فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » (٢) .

(١) المنافقون : ٨

(٢) رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة .

فبهذا وحده تستطيع أن ترفع رأسك بين الناس بالاضافة الى  
حبهم لك كما عرفت .. وفي هذا المعنى يقول أحدهم :

كن زاهدا فيما حوت أيدي المورى تضحى الى كل الأنام حبيبا

وقال الحسن البصرى رحمه الله : لا يزال الرجل كريما على الناس  
حتى يطمع فى دنياهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه .

وقال أعرابى لأهل البصرة : من سيدكم ؟ قالوا : الحسن . قال :  
بم سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم ،  
فقال : ما أحسن هذا .

وسأل كعب الأخبار عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه : ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد ما حفظوه وعقلوه ؟  
فقال : يذهبه الطمع وطلب الحاجات الى الناس . فقال : صدقت .

وقال الحسن الشاذلى عليه رحمة الله : دخل على بالمغرب بعض  
الأكابر ، فقال : ما أرى لك كبير عمل .. فيم فقت الناس وعظموك ؟  
فقلت : بخصلة واحدة وهى : الاعراض عنهم وعن دنياهم .

\* \* \*

وحسبك توضيحا لهذا المعنى أن تقرأ قول الله تعالى :  
« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا  
لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى . وأمر أهلك بالصلاة واصطبر  
عليها ، لا نسالك رزقا ، نحن نرزقك ، والماقبة للفقوى » (١) .

فقد ورد فى تفسير هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
مر بابل بنى المصطلق وقد عيست فى أبوابها وأبعارها من السمن فتقنع  
بثوبه ثم مضى ، لقوله عز وجل : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به  
أزواجا منهم .. » الآية ، ثم سلاه ، فقال : « ورزق ربك خير وأبقى »  
أى ثواب الله على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا أولى ، لأنه يبقى والدنيا  
تفنى . وقيل : يعنى بهذا الرزق ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد  
والغنائم .

وأما قوله تعالى : « وأمر أهلك بالصلاة .. » الآية ، فهو خطاب  
للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فى عمومه جميع أمته ، وأهل بيته

على التخصيص ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح الى بيت فاطمة وعلى رضوان الله عنهما ، فيقول : « الصلاة » .

ويروى أن عروة بن الزبير رضى الله عنه ، كان اذا رأى شيئاً عن أخبار السلاطين وأحوالهم بادر الى منزله فدخله ، وهو يقرأ : « ولا تمدن عينيك ٠٠٠ » الآية الى قوله : « وأبقى » ، ثم ينادى بالصلاة : الصلاة يرحمكم الله ، ويصلى . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلى وهو يتمثل بالآية .

وقال القرطبي فى قوله تعالى : « لا نسالك رزقا ٠٠٠ » الآية ، أى لا نسالك أن ترزق نفسك واياهم ، وتستغل عن الصلاة بسبب الرزق ، بل نحن نتكفل برزقك واياهم ، فكان عليه الصلاة والسلام اذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة ، وقد قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (١) .

وفى قوله تعالى : « والعاقبة للمتقوى » أى الجنة لأهل التقوى ، يعنى العاقبة المحمودة ، وقد تكون لغير التقوى عاقبة ولكنها مذمومة فهى كالمعدومة .



فلاحظ كل هذا حتى تنتفع به ، ثم اقرأ بعد ذلك قوله تعالى : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شىء عليماً » (٢) .

، فقد روى الترمذى فى تفسير هذه الآية عن أم سلمة أنها قالت : يغزوا الرجال ولا يغزوا النساء ، وانما لنا نصف الميراث ، فأنزل الله تعالى : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » . وقال مجاهد : فأنزل الله فيها : « ان المسلمين والمسلمات ٠٠٠ » (٣) وكانت أم سلمة أول طعيينة قدمت المدينة مهاجرة .

وقال قتادة : كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان فلما ورثوا وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين تمنى النساء أن لو جعل أنصباؤهن كأنصباء الرجال ، وقال الرجال : انا لفرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث ، فنزلت : **« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض »** (١) .

قال القرطبي : التمنى نوع من الارادة يتعلق بالمستقبل كالتلف ونوع منها يتعلق بالماضى ، فنهى الله سبحانه المؤمنين عن التمنى ، لأن فيه تعلق بالبال ونسيان الأجل .

وقد اختلف العلماء : هل يدخل في هذا النهى الغبطة وهي أن يتمنى الرجل أن يكون له حال صاحبه وان لم يتمن زوال حاله ، والجمهور على اجازة ذلك : مالك وغيره ، وهو المراد عند بعضهم في قوله عليه الصلاة والسلام : **« لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار »** .

فمعنى قوله : **« لا حسد »** أى لا غبطة أعظم وأفضل من الغبطة في هذين الأمرين .. وقد نبه البخارى على هذا المعنى حيث بوب على هذا الحديث : **« باب الاغتياب في العلم والحكمة »** .  
وقال المهلب : بين الله تعالى ما لا يجوز تمنيه ، وذلك ما كان من عرض الدنيا وأشباهاها .

وقال ابن عطية : وأما التمنى في الأعمال الصالحة فذلك هو الحسن ، وأما اذا تمنى المرء على الله من غير أن يقرن أمنيته بشيء مما قدمنا ذكره فذلك جائز ، وذلك موجود في حديث النبى صلى الله عليه وسلم في قوله : **« وددت أن أحيأ ثم أقتل »** .

ثم قال القرطبي : وهذا كله يدل على أن التمنى لا ينهاه عنه اذا لم يكن داعية الى الحسد والتباغض ، والتمنى المنهى عنه في الآية من هذا القبيل ، فيدخل فيه أن يتمنى الرجل حال الآخر من دين أو دنيا على أن يذهب ما عند الآخر ، وسواء تمنيت مع ذلك أن يعود اليك أو لا . وهذا هو الحسد بعينه ، وهو الذى ذمه الله تعالى بقوله :

**« أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .. »** (٢) .

ويدخل فيه أيضا : خطبة الرجل على خطبة أخيه ، وبيعه على بيعه ، لأنه داعية الى الحسد والمقت ، وقال الضحاك : لا يحل لأحد أن يتمنى مال أحد ، ألم تسمع الذين قالوا :

« يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ... » (١) .

الى أن قال : « وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ... » (٢)  
حين خسف به وبداره أمواله : « لولا أن من الله علينا لخسف بنا » (٣)  
وقال الكلبي : لا يتمن الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه ،  
ولا دابته ، ولكن ليقل : اللهم ارزقني مثله ، وهو كذلك في التوراة ،  
وكذلك قوله تعالى في القرآن : « وأسألوا الله من فضله » (٤) .

وقال ابن عباس : نهى الله سبحانه وتعالى أن يتمنى الرجل مال أخيه وأهله ، وأمر عباده المؤمنين أن يسألوه من فضله .  
ومن الحجة للجمهور قوله صلى الله عليه وسلم : « انما الدنيا لأربعة نفر : رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل به رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا أفضل المنازل . ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء ... » (٥) .

وقال الحسن : لا يتمن أحدكم المال وما يدرية لعل هلاكه فيه ، وهذا انما يصح اذا تمناه للدنيا ، وأما اذا تمناه للخير فقد جوزه الشرع .  
فبتمناه العبد ليصل به الى الرب ، ويفعل الله ما يشاء .

والمراد بقوله تعالى : « للرجال نصيب مما اكتسبوا » (٦)  
أى من الثواب والعقاب . وللنساء كذلك ، قاله قتادة ، فللمرأة الجزاء على الحسنة بعشر أمثالها كما للرجال .

وقال ابن عباس : المراد بذلك الميراث ، والاكتساب على هذا القول بمعنى الاصابة ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، فنهى الله عز وجل عن التمنى على هذا الوجه لما فيه من دواعي الحسد ، ولأن الله تعالى أعلم بمصالحهم منهم ، فوضع القسمة بينهم على التفاوت على ما علم من مصالحهم .

(٢) القصص : ٨٢

(٤) النساء : ٣٢

(١) القصص : ٧٩

(٣) القصص : ٨٢

(٥) الحديث أخرجه الترمذى وصححه .

(٦) النساء : ٣٢

وأما المراد بقوله تعالى : « **واسألوا الله من فضله** » فقد روى  
الترمذى عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسئل ، وأفضل العبادة انتظار  
الفرج » وخرج أيضا ابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « من لم يسأل الله يغضب عليه » •

وهذا يدل على أن الأمر بالسؤال لله تعالى واجب ••

وقال سعيد بن جبير : « **واسألوا الله من فضله** » العبادة ، ليس من  
أمر الدنيا • وقيل : سلوه التوفيق للعمل بما يرضيه •  
وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سلوا ربكم حتى الشبعب ، فإنه  
إن لم ييسره الله عز وجل لم ييسر •  
وقال سفيان بن عيينة : لم يأمرنا بالسؤال الا ليعطى •

\* \* \*

فلا تنس كل هذا أذا الاسلام وكن دائما وأبدا معتمدا على الله  
تعالى وحده فهو سبحانه وتعالى المعز المذل الذى بيده الخير وهو على  
كل شىء قدير •

وحسبى فى نهاية هذا العنصر أن أسوق اليك هذه الآثار التى  
تتصل اتصالا وثيقا به والتى سترى من خلالها ضرورة الاستغناء عن  
الناس :

قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم — وقد كان من العلماء  
العاملين — بعد أن استمع الى مواعظه وتأثر بها : يا أبا حازم ••  
أقم عندنا فنصيب منك ، قال : أخاف أن أركن الى الذين ظلموا فتمسنى  
النار ، قال سليمان : خذ هذا المال ، قال أبو حازم : مالى خير من  
مالكم ، قال سليمان : وما مالك ؟ قال : الثقة بالله ، والاعتماد على  
الله ، والرضا بما عند الله •

وقال ابن عباد الصيرفى البغدادى : بينما أنا نائم ، اذ قيل لى فى  
المنام : يا عباد •• قم فأغث المهوف ، فقلت : وأين هو ؟ ثقيل لى :  
اركب دابتك ، فهو حيثما وقفت • قال : فانتبھت من نومى ، وركبت  
دابتى ، وجعلت أتخلل أزقة بغداد ، حتى انتهيت الى مسجد ، فوقف  
الدابة ، ونزلت عنها ، ودخلت المسجد ، فاذا برجل مستقبل القبلة ،  
فسلمت عليه وقات : ما قضيتك ؟ قال : انى رجل ذو عيال ، ولم يكن

عندهم الليلة شيء ، فجلست ههنا ، وطلبت من الله الفرج ، قال : فأعطيته مائة دينار ، وقلت له : أنا ابن عباد الصيرفي ، فإذا احتجت الى شيء فائتني ، فقال : سبحان الله .. أترك الذي أقامك من غراثك ، وأتى بك الى في ظلمة الليل ، وأذهب الى غيره ؟ فودعته وانصرفت .

وقال الأحنف بن قيس : شكوت الى عمي وجعا في بطني فنهرني ثم قال : يا ابن أخي .. اذا نزل بك شيء فلا تشكه الى أحد فانما الناس رجالان : صديق تسوءه وعدو تسره ، والذي بك لا تشكه الى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشك لمن ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عليك ، يا ابن أخي .. إحدى عيني هاتين ما أبصر بها سهلا ولا جبلا من أربعين سنة وما أطلعت على ذلك امرأتى ولا أحد من أهلي .

وروى أن حاتم الأصم قال لأولاده : اني أريد الحج فبكوا وقالوا : الى من تكلنا ؟ وكان له بنت فقالت : دعوه يذهب فليس برازق فخرج فباتوا جياعا ، فجعلوا يوبخون تلك البنت ، فقالت : اللهم لا تخجلني بينهم ، فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه : اطلب لي ماء ، فناوله أهل حاتم ( كوزا ) جديدا وماء باردا فشرب ، فقال : دار من هذه ؟ فقالوا : دار حاتم الأصم فرمى فيها منطقة من ذهب وقال : من أحبني وافقني ، فرمى العسكر كلهم ما معهم من المال في هذا الاناء . فجعلت البنت تبكي ، فقالت أمها : ما يبكيك وقد وسع الله علينا ؟ فقالت : لأن مخلوقا نظر الينا فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق الينا !!

وحكى أن ملكين تقابلا في السماء ، فقال أحدهما للآخر : أين كنت ؟ فقال : كنت في المشرق ، اذ أرسلني ربي الى كنز في بيت رجل ، فخسفت به الأرض ، ثم قال لصاحبه : وأنت أين كنت ؟ قال : كنت في المغرب ، اذ أرسلني ربي أن أضع الكنز الذي خسفته في بيت رجل فقير ، فسمعها رضوان ، خازن الجنة ، فقال : قصتي أعجب من أمركما ، لقد أمرني ربي أن أبني قصرين في الجنة لصاحب الكنز والفقير ، ثم قالوا : يا ربنا .. أطلعنا على هذه الكرامة التي أكرمت بها صاحب الكنز والفقير ، فقال سبحانه : أما صاحب الكنز ، فانه لما خسف بكنزه صبر وقال : الحمد لله الذي جعلني راضيا بقدره . وأما الفقير فلم يبطره الكنز ، بل شكر ، وقال : الحمد لله الذي أغنانني عن خلقه ، والصابر والشاكر لهما الجنة .

وكان زيد بن مسلمة يفرس في أرضه ، فقال له عمر : أضبت ، استغن عن الناس يكن أصون لدينك ، وأكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أحبحة :

انى أقيم على الزوراء أعرها ان الكريم على الاخوان ذو مال

وجاءت ريح عاصفة في اليم ، فقال أهل السفينة لابراهيم بن أدهم وكان معهم فيها : أما ترى هذه الشدة ؟ فقال : ما هذه بشدة ، انما الشدة الحاجة الى الناس •

وسمع أحد الأدباء رجلا في الثلث الأخير من الليل يقول :

أكرم نفسى اننى ان أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فأعجبه قوله فأتاه حتى وقف على رأسه فاذا به يقم الشارع ( زبال ) ليبيع القمامة ويمون نفسه وعياله ثمنها ، فقال له : أنت تقول : أكرم نفسى ؟ فأى اكرام أنت فيه مع ما تصنع من جمع القمامة ؟ فقال له : اليك عنى •• لقد أكرمتها بهذه الحرفة عن ذل السؤال لمثلك • فقال : صدقت وقبله بين عينيه •

\* \* \*

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد حذرنا بعد ذلك من الطمع فقال :

\* (واياك والطمع فانه الفقر الحاضر) :

فحسبك هذا المعنى الكبير الذى ركز عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى •

وذلك لأن الانسان اذا ابتلى بداء الطمع لا يشبع أبدا مهما أعطاه الله من خيرات ، وقد ورد في هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغى لهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب » (١) •

ولهذا كان لابد من كسر جماح هذه النفس الأمارة بالسوء والتي ان تركها الانسان وما تشتهى أوردته المهالك ، وعلاج هذا الداء الوبيل وهو الرضا بالقليل ومحاربة هذه الشهوات النفسية التي ترجو المزيد

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس •



من حطام الدنيا ، وحسبك حتى لا أطيل عليك هذه الآثار التي أرجو أن تنتفع بها في هذا الموضوع :

روى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال : أى عبادك أغنى ؟ قال : أقنعهم بما أعطيته • قال : فأيهم أعدل ؟ قال : من أنصف الناس من نفسه •

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة •• إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار » •

وقال عمر رضى الله عنه : ان الطمع فقر ، وان اليأس غنى ، وانه من ييأس عما فى أيدي الناس استغنى عنهم •  
وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلة تمنيك ، ورضاك بما يكفيك ، وفى ذلك قيل :

العيش ساعات تمر وخطوب أيام تكرر  
اقنع بعيشك ترضه واترك هواك تعيش حر  
فارب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع : يبيل الخبز اليابس بالماء ويأكله ، ويقول : من قنع بهذا لم يحتج الى أحد •

وقال سفيان : خير دنياكم ما لم تبتلوا به ، وخير ما ابتليتكم به ما خرج من أيديكم •

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ما من يوم الا وملك ينادى : يا ابن آدم •• قليل يكفيك ، خير من كثير يطغيك •

وقال سميط بن عجلان : انما بطنك يا ابن آدم شبر فى شبر ، غلم يدخلك النار ؟

وقيل لحكيم : ما مالك ؟ فقال : التجمل فى الظاهر ، والتصد فى الباطن ، واليأس مما فى أيدي الناس •

وروى أن الله عز وجل ، قال : يا ابن آدم •• لو كانت الدنيا كلها لك ، لم يكن لك منها الا القوت ، واذا أنا أعطيتك منها القوت ، وجعلت حسابها على غيرك ، فأنا اليك محسن •

وقال ابن مسعود : اذا طلب أحدكم الحاجة ، فليطلبها طلبا يسيرا ، ولا يأتى الرجل فيقول : انك وانك ، فيقطع ظهره ، فانما يأتيه ما قسم من الرزق — أو ما رزق .

وكتب بعض بنى أمية الى أبى حازم ، يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه ، فكتب اليه : قد رفعت حوائجى الى مولاي ، فما أعطانى منها قبلت ، وما أمسك عنى قنعت .

وقال عمر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى ؟ حلتان لثتائى وقبضى ، وما يسعفننى من الراحلة لحجى وعمرتى ، وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش ، لست بأرفعهم ولا بأوضعهم ، فوالله ما أدرى أيحل ذلك لى أم لا ؟

وقال أبو محمد البريدى : دخلت على الرشيد ، فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب ، فلما رآنى تبسم . فقلت : فائدة . . أصلح الله أمير المؤمنين ! قال : وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا ، وأنشدنى :

اذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى يفتح لك بابها  
فان تهراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوات الأمور اجتنابها  
ولا تك مبدالا لقرضك واجتنب ركوب المعاصى يجتنبك عقابها

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : يا بنى . . اذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة فانها مال لا ينفد ، واياك والطمع فانه فقر حاضر ، وعليك باليأس فانك لم تيأس من شىء الا أغناك الله عنه .

ودخل على بن أبى طالب رضى الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد : أمسك على بغلتي ، فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة ، فخرج على وفى يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لعلامة الدرهمين يشتري بهما لجاما ، فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين ، فقال على رضى الله عنه : ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له .

وقيل لحكيم : ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب ؟ قال : لأنه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب .

وقيل للاسكندر : ما سرور الدنيا ؟ قال : الرضا بما رزقت منها ،  
 قيل : فما غمها ؟ قال : الحرص عليها •

ولله در القائل :

أيا من عاش في الدنيا طويلا      وأفنى العمر في قيل وقال  
 وأتعب نفسه فيما سيفنى      وجمع من حرام أو حلال  
 هب الدنيا تقاد اليك عفوا      أليس مصير ذاك الى زوال

ومن أجمل ما قرأت في هذا :

أن عيسى عليه السلام كان معه صاحب له يسيحان فأصابهما الجوع  
 وقد انتهيا الى قرية ، فقال لصاحبه : انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه  
 القرية ، وقام عيسى يصلى ، فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فأبطأ عليه  
 انصراف عيسى ، فأكل رغيفا ، فانصرف عيسى - من الصلاة - فقال :  
 أين الرغيف الثالث ؟ فقال : ما كانا الا رغيفين ، فمرا على وجوههما  
 حتى مرا بظباء ترعى ، فدعا عيسى عليه السلام ظبيا منها فذبحه ،  
 ثم أكلامنه ، ثم قال عيسى للظبي : قم باذن الله فقام ، فقال الرجل :  
 سبحان الله ! فقال عيسى : بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف ؟  
 قال : ما كانا الا اثنين ، فمضيا فمرا بنهر عظيم فأخذ عيسى بيده  
 فمشى به على الماء حتى جاوزاه • فقال الرجل : سبحان الله ! فقال  
 عيسى : بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف ؟ قال : ما كانا  
 الا اثنين ، فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منهما ثلاث  
 أحجار كبيرة من ذهب ، فقال عيسى عليه السلام : واحدة لى ، وواحدة  
 لك ، وواحدة لصاحب الرغيف الثالث ، فقال : أنا صاحب الرغيف  
 الثالث ، فقال سيدنا عيسى : هى لك كلها • وفارقه ، فأقام عليها ليس  
 معه ما يحملها عليه ، فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا الذهب • فقال  
 اثنان منهم لواحد : انطلق الى القرية فأتنا بطعام ، فذهب ، فقال  
 أحد الباقين : نقتل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا ، قال الآخر : نعم •  
 قال الذى ذهب يشتري الطعام : أجعل فى الطعام سما فأقتلها  
 وأخذ الذهب وحدى ، ففعل ما أملاه عليه شيطانه • فلما عاد بالطعام  
 المسموم أكلاه بعد أن قتلاه فماتا هما أيضا بجوار الذهب ، فمر سيدنا  
 عيسى عليه السلام عليهم بعد ذلك وعندما رآهم صرعى أشار اليهم

والى الذهب قائلًا لمن معه من الحواريين : هكذا الدنيا تفعل بأهلها  
فاحذروها •

\* \* \*

وهكذا ترى أخصا الاسلام أنه لا عز الا فى القناعة ، وأنه اذا تبرع  
الطمع على قلب العبد الغافل كان سببا فى هلاكه وحرمانه من السعادة  
فى الدارين •

ولهذا — كما رأيت — كان لا بد وأن يكون الانسان قنوعا بما  
أعطاه الله تعالى دون تقصير من جانبه فى ميدان العمل ودون تبذير  
فى أمواله حتى يظل مستورا فى حياته الأولى الى أن يموت مرفوع  
المهامة موفقور الكرامة •

وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس » (١) •

وقال : « ما عال (٢) من اقتصد » (٣) •

وقال : « ثلاث منجيات : خشية الله فى السر والعلانية ، والقصد  
فى الغنى والفقير ، والعدل فى الرضا والغضب » (٤) •

وقال : « من اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله ، ومن ذكر  
الله عز وجل أحبه الله » (٥) •

\* \* \*

فلاتنس كل هذا مع الاستفادة بقول القائل :

ان صن زيد بما فى بطن راحته (٦) فالأرض وأسعة والرزق مبسوط  
ان الذى قدر الأشياء بحكمته لم ينسنى قاعدا والرحل محطوط

والقائل :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى أن الذى هو رزقى سوف يأتينى  
أسعى اليه فيعيينى تطلبه ولو قعدت أتانى ليس يعيينى

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة •

(٢) أى افتقر • (٣) رواه أحمد والطبرانى •

(٤) رواه البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى « الشعب » من

حديث أنس بسند ضعيف •

(٥) رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله •

(٦) يعنى بها فى يده •

والقائل :

إذا طاوعت حرصك كنت ع — أبدا لكل دنيئة تدعى إليها

\* \* \*

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :

\* ( وصل صلاتك وأنت مودع ) :

فالمراد به كما هو واضح في هذا التركيز المحمدي : أن يكون هناك استعداد للقاء الله سبحانه وتعالى في كل لحظة ، وذلك حتى يظل مراقبا لله سبحانه وتعالى ومقدما لنفسه أطيب الأعمال الى أن يموت قرير العين دون غفلة أو نسيان .

\* \* \*

وحسبنا إذا أردنا أن نقف على أبعاد هذا التركيز الحيوي أن

نقرأ هذا الحديث الشريف :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : مر بى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أطين<sup>(١)</sup> حائطا لى أنا وأمى فقال : « ما هذا يا عبد الله ؟ فقلت : يا رسول الله .. وهى<sup>(٢)</sup> فنحن نصلحه ، فقال : « الأمر أسرع من ذلك »<sup>(٣)</sup> .

وفي رواية قال : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا وهى ، فقال : « ما هذا ؟ فقلنا : خص لنا وهى ، فنحن نصلحه ، فقال : « ما أرى الأمر الا أعجل من ذلك »<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

وهذا الفهم يتطلب أن يكون الانسان ذاكرا دائما وأبدا للموت دون انهماك في هذه الدنيا التى أولها عناء وآخرها فناء .

\* \* \*

وحتى نتقف على أهمية ذكر الموت وفوائده اليك ما قاله الامام الغزالي عليه رحمة الله فى كتابه « الاحياء » :

(١) طانه وطينه : اى طلاه بالطين ولطخه به .

(٢) اى ضعف وهم بالسقوط .

(٣) يعنى أنك لا تبقى فى الدنيا الى أن يسقط هذا الحائط ، بل العمر

اقصر وأسرع من ذلك .

(٤) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه

وابن حبان فى صحيحه .

اعلم أن المنهك في الدنيا ، المكب على غرورها ، المحب لشهواتها ، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره ، وإذا ذكر به كرهه ونفر منه ، أولئك هم الذين قال الله فيهم : « قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (١) .

ثم : الناس اما منكم ، واما تائب مبتدىء ، أو غارف منته :

فأما المنهك : فلا يذكر الموت ، وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويستغل بمذمته ، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا .

وأما التائب : فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية ، فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة ، وقبل اصلاح الزاد ، وهو معذور في كراهة الموت . ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم : « من كره لقاء الله كره الله لقاءه » (٢) فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله ، وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره .

وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مستغلا بالاستعداد للقاءه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقاءه . وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له ، لا تشغل له سواه ، والا التحق بالمنهك في الدنيا .

وأما العارف : فإنه يذكر الموت دائما لأنه موعده للقاءه بحبيبه ، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب . وهذا في غالب الأمر يستبطنه مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين ، وينتقل الى جوار رب العالمين ، كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم ، اللهم ان كنت تعلم أن الفقر أحب الى من الغنى ، والسقم أحب الى من الصحة ، والموت أحب الى من العيش ، فسهل على الموت حتى ألقاك .

فإن التائب معذور في كراهة الموت ، وهذا معذور في حب الموت وتمنيه ، وأعلى منهما رتبة من فوض أمره الى الله تعالى ، فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون أحب الأشياء اليه أحبها الى

(١) الجمعة : ٨

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

مولاه ، فهذا قد انتهى بفرض الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا ، وهو الغاية والمنتهى •

وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل ، فان المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت : التجافى عن الدنيا ، اذ ينفص عليه نعمه ، ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة •

\*\*\*

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » (١) •

ويقول : « أيها الناس .. استحيوا من الله حق الحياء » ، فقال رجل : يا رسول الله .. انا لنستحي من الله تعالى ، فقال : « من كان منكم مستحييا فلا يبيتن ليلة الا وأجله بين عينيه ، وليحفظ البطن وما وعى ، والرأس وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، وليترك زينة الدنيا » (٢) •

\*\*\*

وحتى تذكر الموت دائما وأبدا ولا تنس ما بعده من مواقف وأحوال اليك أيضا هذه الآثار الموضوعية التى أرجو أن تكون منتفعا بها حتى تلقى الله :

قال الربيع بن خيثم : ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت • وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه : يا أخى .. احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير الى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده • وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه •

\*\*\*

وقال كعب : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها • وقال الحسن : ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت جذرا ، وعليه حزينا •

(١) رواد الترمذى وقال : حسن ، والنسائى وابن ماجه من حديث ابى هريرة •

(٢) رواد الطبرانى فى « الاوسط » •

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء : عظمى • • فقال : لست  
أول خليفة تموت • قال : زدنى ، قال : ليس من آباءك أحد الى آدم  
الا ذاق الموت ، وقد جاءت نوبتك ، فبكى عمر لذلك •

وقال عليه رحمة الله لعنيسة : أكثر ذكر الموت ، فان كنت واسع  
العيش ضيقه عليك ، وان كنت ضيق العيش وسعه عليك •

وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبراً في داره فكان ينام فيه كل  
يوم مرات ليستديم بذلك ذكر الموت ، وكان يقول : لو هارق ذكر الموت  
قلبي ساعة واحدة لفسد •

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : ان هذا الموت قد نغص  
على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه •

وقال أبو سفيان الدارني : قلت لأم هارون : أتحيين الموت ؟  
قالت : لا • قلت : لم ؟ قالت : لو عصيت آدمياً ما اشتبهت لقاءه ،  
فكيف أحب لقاءه وقد عصيته ؟

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : اذا ذكرت الموتى فعد نفسك  
كأحدهم •



فاذكر كل هذا أخوا الاسلام وانتظر لقاء الله سبحانه وتعالى في  
كل لحظة ولا تنس أن الموت يأتي بغتة ، فقد تموت وأنت في الطريق  
وقد تموت وأنت في عملك أو بين أهلك ، وقد تموت في غربة •

وتذكر دائماً وأبداً قول الله تبارك وتعالى لنبيه وحبيبه المصطفى  
صلى الله عليه وسلم : « انك ميت وانهم ميتون » (١) •  
وتأمل قول القائل :

ولو كانت الدنيا تدوم لواحد لكان رسول الله فيها مخلداً  
وإذا كنت تريد تذكيراً بقرب منيتك ولا سيما إذا كنت شيخاً مسناً  
فحسبك هذا الخبر الذى يحكى :

أن يعقوب عليه السلام كان مؤاخياً لملك الموت عليه السلام الذى  
زاره ذات يوم فقال له سيدنا يعقوب :

انى طالب منك حاجة بحق ما بيننا من اخوة وصداقة ، فقال له  
ملك الموت : سل ولك منى أن أنفذ لك مطلبك ما دام فى المستطاع ،



فقال له : أريد منك أن تخبرني إذا دنى أجلى • فقال له ملك الموت : لك منى هذا ، ولن أرسل لك رسولا واحدا وانما سأرسل اليك رسولين أو ثلاثة •

وبعد أن اتفقا على هذا انصرف ملك الموت ، ثم عاد بعد فترة من الزمن الى سيدنا يعقوب الذي قال له متسائلا : أزاثرا جئت أم قابضا ؟ فقال ملك الموت : بل قابضا • فتعجب سيدنا يعقوب ، ثم قال له : وأين رسلك الثلاثة ؟ فقال ملك الموت عليه السلام مخاطبا سيدنا يعقوب عليه السلام : بياض شعرك بعد سواده ، وضعف بدنك بعد قوته ، وانحناء جسمك بعد استقامته ، هذه رسلى يا يعقوب الى بنى آدم •  
أما اذا كنت شابا فحسبك أن تقرأ قول القائل :

ترود من التقوى فانك لا تدري	اذا جن ليل هل تعيش الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة	وكم من غليل عاش حيننا من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم	وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسى ويصبح ساهيا	وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زينوها لزوجها	وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

\* \* \*

واعلم أنه ليس هناك انسان يموت الا بعد أن يستوفي أجله الذى قدره الله سبحانه وتعالى له ، ولهذا كان من الخطأ الفاحش أن تقول لمن تعزیه فى وفاة عزيز : « البقية فى حياتك » لأن الفقيد الذى تعزى فيه لم ينتقل الى الدار الآخرة تاركا بقية من حياته حتى تطلب اضافتها الى عمر من تعزیه •

وحتى تعزى كما كان يعزى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك أيضا هذين الحديثين الشريفين :

روى البخارى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : أرسلت ابنة النبى صلى الله عليه : ان ابنا لى قبض فأنتنا ، فأرسل يقرىء السلام ويقول : « ان الله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ، ولتحتسب » •

وروى الطبرانى والحاكم وابن مردويه بسند فيه رجل ضعيف عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أنه مات ابن له فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزیه بابنه ، فكتب اليه : « بسم الله الرحمن

الرحيم ، من محمد رسول الله الى معاذ بن جبل .. سلام عليك ، فانى  
أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد .. فأعظم الله لك الأجر  
وألهمك الصبر ، ورزقنا واياك الشكر فان أنفسنا وأموالنا وأهلنا من  
مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة ، متعك الله به فى غبطة وسرور ،  
وقبضه منك بأجر كثير ، الصلاة والرحمة والهدى ان احتسبته فاصبر  
ولا يخطب جزعك أجرك فتندم ، واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ، ولا يدفع  
حزنا ، وما هو نازل فكأن قد .. والسلام » .

والتعزية تؤدى بأى لفظ يخفف المصيبة ويحمل الصبر والسلوان ،  
والأفضل أن يقتصر على اللفظ الوارد .

وقد قال العلماء : فان عزى مسلما بمسلم قال : أعظم الله أجرك  
وأحسن عزاءك ، وغفر لميتك .

وان عزى مسلما بكافر قال : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك .  
وان عزى كافرا بمسلم قال : أحسن الله عزاءك وغفر لميتك .  
وان عزى كافرا بكافر قال : أخلف الله عليك .

وأما جواب التعزية فيؤمن المعزى ويقول للمعزى : أجرك الله .  
وعند أحمد : ان شاء صافح المعزى وان شاء لم يصابح ، واذا  
رأى الرجل شق ثوبه على المصيبة عزاه ولا يترك حقا لباطل ، وان  
نهاه فحسن .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا بالاضافة الى كل ما وقفت عليه بالنسبة الى موضوع  
ضرورة ذكر الموت والاستعداد له قبل فوات فرصة الوجود فى هذه  
الحياة الأولى .

\* \* \*

وقد يكون المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وصل  
صلاتك وأنت مودع » هو : أن يكون المصلى خاشعا فى صلاته بمعنى  
أن يكون حاضر القلب فيها ، والا كانت صلاته لا ثمرة لها ، وقد ورد  
فى هذا حديث شريف يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : « كم  
من قائم حظه من صلاته التعب والنصب » كما ورد أيضا أنه قال :  
« ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها » .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصلوات لوقتها ، وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها ، وركوعها وسجودها ، خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول : حفظك الله كما حفظتني ، ومن صلاها لغير وقتها ، ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ، ولا ركوعها ، ولا سجودها ، خرجت وهي سوداء مظلمة ، تقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، حتى إذا كانت حيث شاء الله ، لفت كما يلف الثوب الخلق<sup>(١)</sup> ، ثم ضرب بها وجهه »<sup>(٢)</sup> .

وعن أبى مسعود البدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجزىء صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود »<sup>(٣)</sup> .

وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » قالوا : يا رسول الله .. كيف يسرق من الصلاة ؟ قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها — أو قال : لا يقيم صلبه في الركوع والسجود — »<sup>(٤)</sup> .

وعن أبى عبد الله الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد » — صلى الله عليه وسلم — ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر في سجوده ، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا »<sup>(٥)</sup> .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان العبد اذا صلى فلم يتم صلاته خشوعها ولا ركوعها ، وأكثر الالتفات لم تقبل منه ، ومن جر ثوبه خيلاء أم ينظر الله اليه وان كان على الله كريما »<sup>(٦)</sup> .

(١) التقديم البالى .

(٢) رواه الطبرانى في « الأوسط » .

(٣) رواه أحمد وأبو داود واللفظ له .

(٤) رواه أحمد والحاكم . (٥) رواه الطبرانى في « الكبير » .

(٦) رواه الطبرانى .

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيه ، فصلى الرجل ، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فرد عليه السلام ، ثم قال : « ارجع فصل فانك لم تصل » فرجع فصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال : « ارجع فصل فانك لم تصل » — ثلاث مرات — فقال في الثالثة : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره ، فعلمنى • فقال عليه الصلاة والسلام : « اذا قمت الى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راکعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، وافعل ذلك في صلاتك كلها » •

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بأصحابه ، ثم جلس ، فدخل رجل فقام يصلى ، فجعل يركع وينقر سجوده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد — صلى الله عليه وسلم — ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم » (١) •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض ، فان الله تعالى أوحى الى أن أسجد على سبعة أعضاء : الجبهة والأنف والكفين والركبتين وصدور القدمين ، وأن لا أكف شعرا ولا ثوبا ، فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته » •

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام اذا أردت أن تصلى صلاة صحيحة يقبلها الله سبحانه وتعالى منك : مع ضرورة اجتناب المنهيات التى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها والتى منها ما ورد :

عن عبد الرحمن بن شبل قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه أبو بكر بن خزيمة في صحيحه .

عن نقرة الغراب ، واقتراش السبع ، وأن يوطن الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير» (١) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « أيها الناس •• انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالقيام ، ولا بالانصراف فانى أراكم أمامى ومن خلفى » ثم قال : « والذى نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » قالوا : وما رأيتم يارسول الله ؟ قال : « رأيتم الجنة والنار » (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يأمّن الذى يرفع رأسه فى صلاته قبل الامام أن يحول الله صورته فى صورة حمار » (٣) .

وعنه أيضا رضى الله عنه قال : « الذى يرفع رأسه ويخفضه قبل الامام انما ناصيته بيد شيطان » (٤) (٥) .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار - أو صورته صورة حمار » (٦) ؟

\* \* \*

والخلاصة كما ذكر الامام الغزالى فى كتابه « الاحياء » أن النبى صلى الله عليه وسلم : نهى عن الاقماء فى الصلاة ، وهو عند أهل اللغة : أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب .

وعن السدل ، ومذهب أهل الحديث فيه : أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك ، وكان هذا هو فعل اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم .

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى

(٢) رواه مسلم .

صحيحهما .

(٤) أى مقدم رأسه .

(٣) رواه مسلم .

(٦) أخرجه الخمسة .

(٥) أخرجه مالك .

وعن الكف ، وهو : أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه اذا أراد السجود ، وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال .. وكره أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يأتزر فوق القميص في الصلاة وعده من الكف .

وعن الاختصار ، وهو : أن يضع يديه على خاصرته .

وعن الصلب ، وهو : أن يضع يديه على خاصرته في القيام ويجافى بين عضديه في القيام .

وعن المواصلة ، وهي خمسة : اثنان على الامام : أن لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ، ولا ركوعه بقراءته ، واثنان على المأموم : أن يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ، ولا تسليمه بتسليمه ، وواحدة بينهما : أن لا يصل تسليمه الفرض بالتسليم الثانية ، وليفصل بينهما .

وعن صلاة الحاقن : أى من البول .

وعن صلاة الحاقب : أى من الغائط .

وعن صلاة الحاذق : أى صاحب الخف الضيق .

فان كل ذلك يمنع من الخشوع ، وفي معناه الجائع والمهتم ، فقد ورد في الحديث الشريف : « اذا حضر العشاء ، وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء » (١) .

ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه في الصلاة ، أو يفرقع أصابعه ، أو يستر وجهه ، أو يضع احدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذه في الركوع ، قال بعض الصحابة رضى الله عنهم : كنا نفعل ذلك فنهينا عنه .

ويكره أيضا أن ينفخ في الأرض عند السجود للتنظيف ، وأن يسوى الحصى بيده .

ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ، ولا يستند في قيامه الى حائط ، فان استند بحيث لو سل ذلك الحائط يسقط ، فالأظهر بطلان صلاته .

وقال بعض السلف : أربعة من الجفاء : الالتفات ، ومسح الوجه ، وتسوية الحصى ، وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك .

\* \* \*

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة .

وحتى تكون خاشعا في صلاتك بصورة تؤكد حضور قلبك فيها  
اليك هذه الآثار :

روى أن الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول : اللهم  
زوجني الحور العين ، فقال له : بئس الخاطب أنت ، تخطب الحور  
العين وأنت تعبث بالحصى •

وقيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها ؟  
قال : لا أعود نفسى شيئا يفسد على صلاتي • قيل له : وكيف تصبر  
على ذلك ؟ قال : بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان  
ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك ، فأنا قائم بين يدي ربي أغاتحرك  
لذبابه •

ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان اذا أراد الصلاة قال لأهله :  
تحدثوا أنتم فاني لست أسمعكم •

وروى عنه أنه كان يصلى يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية  
من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من  
الصلاة •

وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه اذا حضر  
وقت الصلاة يترزلق ويلتون وجهه • فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟  
فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال  
فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها •

ويروى عن على بن الحسين أنه كان اذا توضأ اصفر لونه ،  
فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون  
بين يدي من أريد أن أقوم ؟  
وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ركعتان مقتصدتان في تفكر خير  
من قيام ليلة والقلب ساه •

ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه : أنه سئل عن صلاته  
فقال : اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد  
الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقوم الى صلاتي  
وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار  
عن شمالى وملك الموت ورائى أظنها آخر صلاتي ، ثم أقوم بين الرجاء  
والخوف ، وأكبر تكبيرا بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعا

بتواضع ، وأسجد سجوداً بتخشع ، وأقعد على الورك الأيسر ، وأفرش ظهر قدمها ، وأنصب القدم اليمنى على الابهام ، وأتبعها الاخلاص ، ثم لا أدري أقبلت منى أم لا ؟

\* \* \*

فكن شبيهاً بهؤلاء الرجال في صلاتك التي قد تكون آخر صلاة لك ، حتى تكون من أهل الفلاح الذين قال الله تعالى في شأنهم : « **قد أفلح المؤمنون • الذين هم في صلاتهم خاشعون** » (١) .

ولا تنس أن الخشوع قسمان : ظاهري وباطني ، فالخشوع الظاهري : التمسك بأداب الصلاة كعدم الالتفات والعبث وسبق الامام ، ووضع اليد في الخاصرة ، وغير ذلك ، والخشوع الباطني : استحضار عظمة الله وعدم التفكير الدنيوي .

\* \* \*

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :

\* ( واياك وما يعتذر منه ) : فالمراد به — كما هو واضح — أن يكون الانسان حكيماً في كل تصرفاته الفعلية والقولية ولا سيما في معاملاته مع الناس بحيث لا يقول قولاً ، ولا يعمل عملاً ، ولا يتصرف تصرفاً مع غيره الا بعد دراسة وتفكير لكل ما يصدر منه ، وذلك حتى لا يرتكب ما يوقفه موقف اعتذار قد يقبل وقد لا يقبل ، وقد يكون سبباً في هلاكه .

وفي هذا يقول أحد الحكماء : من نظر في العواقب سلم من النوائب ، ومن أسرع في الجواب أخطأ في الصواب ، ومن ركب العجل أدركه الزلل ، ومن ضعفت آراؤه قويت أعداؤه .

ولله در علي رضي الله عنه فلقد قال أيضاً في هذا المعنى : اياك وما يسبق الى القلوب انكاره ، ولو كان عندك اعتذاره .

\* \* \*

ولما كانت الحكمة من أكبر نعم الله تعالى على العبد ، كما جاء في قوله تبارك وتعالى : « **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** » (٢) .



فقد رأيت حتى تدرك ذلك بنفسك أن أذكرك بأن لقمان الحكيم عليه السلام — كما يقولون — خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة ، وقد روى في هذا أنه كان نائما في وسط النهار فنودي : « يا لقمان .. هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض فتحكم بين الناس بالحق ؟ فأجاب الصوت بقوله : ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء ، وان عزم على فسمعا وطاعة فانى أعلم أن الله تعالى ان فعل بى ذلك أعاننى وعصمنى . فقالت الملائكة بصوت أيضا : لم يا لقمان ؟ فقال : ان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ، فان عدل نجا ، وان أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ، ومن يختار الدنيا على الآخرة تفتته الدنيا ولم يصب الآخرة ... » .

فعبجت الملائكة من حسن منطق فنام نومة ، أعطى الحكمة فيها فانتبه وهو يتكلم بها . وقد روى أن رجلا لقيه وهو يتكلم بالحكمة فقال له : ألسنت فلانا المرعى ؟ قال : بلى . قال : فبم بلغت ما بلغت ؟ قال : بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعنينى . ومن أجل هذا الخير الذى أكرمه الله سبحانه وتعالى به ، فقد أمره سبحانه بأن يشكره عليه فقال تعالى :

« ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله ... » (١) .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أخوا الاسلام حتى تكون من أهل الحكمة التى تجعلك محبوبا عند الله وبين الناس .  
واعلم أنه : يستدل على عقل الرجل بقوله ، وعلى أصله بفعله .  
وأن : اللسان وزير الانسان .  
وأن : لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه .  
وأن : المرء مخبوء تحت لسانه فاذا ما تكلم ظهر .  
وحسبك بالاضافة الى هذه الحكم الماثورة هذا الحديث الشريف الذى روى فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس : « يعجبني جمالك » قال : وما جمال الرجل يا رسول الله ؟ قال : « لسانه » .

وتأمل كذلك قول القائل :

احفظ لسانك أيها الانسان لا يلدغنك انه ثعبان  
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

\* \* \*

وقبل أن تقدم على فعل شيء استشر اخوانك ، وحسبك قول  
الله تعالى لنبيه : « وشاورهم في الأمر » (١) .  
وفي الحديث الشريف : « المشورة حصن من الندامة ، وأمان  
من الملامة » .

\* \* \*

و :

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيمًا ولا توصه  
وان بات أمر عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصه

\* \* \*

واعتصم بالنهي تفز بنعيم الدهر غضا فالعقل خير عتاد  
ان في الحكمة البليغة للروح غذاء كالطب للأجساد

\* \* \*

\* وختاما :

اليك أبا الاسلام هذه الوصية اللقمانية التي انتفعت بها وأرجو  
الله سبحانه وتعالى أن ينفعك بها كذلك ، والتي يقول فيها سيدنا لقمان  
الحكيم لولده :

يا بني .. انى موصيك بثمانية أمور :

احفظ قلبك في الصلاة .

واحفظ نظرك في بيوت الناس .

واحفظ لسانك في مجالس الناس .

واحفظ بطنك من حلقومك .

واذكر اثنين ، وانس اثنين :

اذكر الله والموت .

وانس احسانك الى الناس ، واساعتهم اليك .

\* \* \*

- وأينما اليك أخا الاسلام هذا الأثر الذي نصه :
- كان أبو محمد عبد الله بن يحيى المصعبى من أصحاب الشافعى ،  
 اماما صالحا من أهل اليمن ، وقد روى : أن ناسا ضربوه بالسيوف  
 فلم تقطع فيه ، فسئل عن ذلك ، فقال ، كنت أقرأ قوله تعالى :
- « ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلى العظيم » (١) .
- « ويرسل عليكم حفظة » (٢) .
- « ان ربي على كل شيء حفيظ » (٣) .
- « فالله خير حافظا ، وهو أرحم الراحمين » (٤) .
- « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » (٥) .
- « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٦) .
- « وحفظنا ما من كل شيطان رجيم » (٧) .
- « وجعلنا السماء سقفا محفوظا » (٨) .
- « وحفظا من كل شيطان مارد » (٩) .
- « وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم » (١٠) .
- « وريك على كل شيء حفيظ » (١١) .
- « الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل » (١٢) .
- « وان عليكم لحافظين • كراما كاتبين • يعلمون ما تفتون » (١٣) .
- « ان كل نفس لما عليها حافظ » (١٤) .
- « ان بطش ريك لشديد • انه هو بيدى • ويعيد • وهو الغفور  
 الودود • نو العرش المجيد • فعال لما يريد • هل أتاك حديث الجنود •  
 فرعون وثمود • بل الذين كفروا في تكذيب • والله من ورائهم محيط •  
 بل هو قرآن مجيد • في لوح محفوظ » (١٥) .

\* \* \*

(٢) الأنعام : ٦١	(١) البقرة : ٢٥٥
(٤) يوسف : ٦٤	(٣) هود : ٥٧
(٦) الحجر : ٩	(٥) الرعد : ١١
(٨) الأنبياء : ٣٢	(٧) الحجر : ١٧
(١٠) فصلت : ١٢	(٩) الصافات : ٧
(١٢) الثورى : ٦	(١١) سبأ : ٢١
(١٤) الطارق : ٤	(١٣) الانفطار : ١٠ - ١٢
	(١٥) البروج : ١٢ - ٢٢

## الجزء التاسع

# الوصية الثلاثون

روى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب :

« يا عباس .. يا عماه .. ألا أعطيك ؟ ألا أمنحك ؟  
ألا أحبوك ؟ ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك  
غفر الله لك ذنبك : أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطاه  
وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته .

عشر خصال : أن تصلى أربع ركعات تقرا في كل ركعة  
فاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة في أول  
ركعة وأنت قائم قلت :

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر  
خمس عشرة مرة ، ثم ترقع فتقولها وأنت راكع عشرا .  
ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا  
فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود  
فتقولها عشرا ، ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك  
فتقولها عشرا .

فذلك خمس وسبعون في كل ركعة ، تفعل ذلك في أربع  
ركعات ، أن استطعت أن تصلّيها في كل يوم مرة فافعل ،  
فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة ، فإن لم تفعل ففي كل شهر  
مرة ، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة ، فإن لم تفعل ففي  
عمرك مرة » .

( أخرجه النسائي وأبو داود وابن ماجه والبيهقي في  
« الدعوات » والدارقطني وابن عسّان والطبراني والحاكم  
وابن خزيمة في صحيحه ) .



فكن أذا الاسلام :

يا من ترجو سعادة الدارين وحسن الختام :  
من الفائزين بهذا الخير العظيم الذى أوصى به الرسول صلى الله  
عليه وسلم عمه العباس رضى الله عنه •  
وحسبك ترغيبا لك فيه : هذا التقديم الذى قدم به المصطفى  
صلى الله عليه وسلم وصيته ، وهو :

✽ ( يا عباس •• يا عماء •• ألا أعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أحبوك (١) ،  
ألا أفعل بك عشر خصال (٢) ) ، اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك :  
أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأ وعمده ، صغيره وكبيره ، سره  
وعلايته ( ••• ) •

وإذا كان ما أوصاه به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك هو :

### صلاة التسبيح (٣)

فكيفيتها : كما قرأت في نص الوصية : أن تصلى أربع ركعات  
تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة (٤) ، فاذا فرغت من القراءة  
في أول ركعة وأنت قائم قلت :

« سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، خمس  
عشرة مرة (٥) ، ثم تركع فتقولها وأنت رافع عشر (٦) ، ثم ترفع  
رأسك من الركوع فتقولها عشرا ، ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت  
ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ، ثم تسجد

(١) أى اخصك .

(٢) أى املك ما يكثر عشرة أنواع من ذنوبك .

(٣) التسبيح : أى التنزيه ، وسبحان الله : معناه التنزيه لله — هكذا

(٤) أى سورة دون تقييد .

ذكر في مختار الصحاح .

(٥) وفي رواية الترمذى من حديث أبى رافع : « فاذا انقضت القراءة

نقل : الله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا اله الا الله خمس عشرة  
مرة قبل أن تركع » اه . وفيه أن الترتيب بين هذه الكلمات غير لازم .

(٦) أى تقولها بعد تسبيح الركوع ، ففى الترمذى قال أبو وهب :

وأخبرنى عبد العزيز بن أبى رزمة عن عبد الله ( ابن المبارك ) أنه قال :

يبدأ فى الركوع : بسبحان ربى العظيم ، وفى السجود بسبحان ربى الأعلى

( ثلاثا ) ثم يسبح التسبيحات اه . وكذا التسبيح حال الاعتدال والجلوس

بين المسجدين ، يكون بعد الدعاء الوارد فيهما .

(٦٤) — من وصايا الرسول (

فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا<sup>(١)</sup> ، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات » .

\* \* \*

وإذا كانت هذه الرواية — كما عرفت — قد أخرجها النسائي وأبو داوود وابن ماجه والبيهقي في « الدعوات » والدارقطني وابن حبان والطبراني والحاكم وابن خزيمة في صحيحه وقال : إذا صح هذا الخبر ، فإن في القلب من هذا الاسناد شيئا اه .

فالصحيح أنه ثابت يطلب العمل به ، فقد صححه الحاكم وحسنه جماعة .

قال ابن حجر : لا بأس باسناد حديث ابن عباس وهو من شرط الحسن فإن له شواهد تقويه .

وقد رواه أبو داوود من حديث ابن عمرو باسناد لا بأس به .  
وإلحاكم من حديث ابن عمر .

وأما حديث ابن عمرو فلفظه :

قال لى النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ائتني غدا أحبوك وأثييك وأعطيك » حتى ظننت أنه يعطيني عطية ، قال : « إذا زال النهار فقم فصل أربع ركعات » فذكر نحوه ، قال : « ثم ترفع رأسك — يعنى من السجدة الثانية — فاستو جالسا ولا تقم حتى تسبح عشرا ، وتحمد عشرا ، وتكبر عشرا ، وتهل عشرا ، ثم تصنع ذلك في الأربع ركعات ، قال : فانك لو كنت أعظم أهل الأرض ذنبا غفر لك بذلك » قال : قلت : فان لم أستطع أن أصليها تلك الساعة ؟ قال : « صلها من الليل والنهار »<sup>(٢)</sup> .

وأما حديث ابن عمر فلفظه :

قال : وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبى طالب الى بلاد الحبشة . فلما قدم اعتنقه وقبله بين عينيه . ثم قال : « ألا أهب لك ؟ ألا أبشرك ؟ ألا أمنحك ؟ ألا أتحنك » ؟ قال : نعم

(١) ترفع رأسك ، أى من السجدة الثانية فتقولها عشرا قبل قيامك كما صرح به في رواية لابن ماجه والترمذى .

(٢) وأخرجه أيضا البيهقي من طريق أبى جناب الكلبي عن أبى الجوزاء عن ابن عمرو . وقال المنذرى : رواة هذا الحديث ثقات .

يا رسول الله • قال : « تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة • ثم تقول بعد القراءة وأنت قائم قبل الركوع : سبحان الله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، خمس عشرة مرة ، ثم ترفع فتقولهن عشرا تمام هذه الركعة . . أى وهكذا تفعل الى تمام هذه الركعة فتسبح عشرا في الاعتدال من ركوع ، وعشرا في السجود ، وعشرا في الجلوس بين السجدين ، وعشرا في السجدة الثانية وعشرا في جلسة الاستراحة — قبل أن تبتدى بالركعة الثانية تفعل في الثلاث ركعات كما وصفت لك حتى تتم أربع ركعات » (١) •

\* \* \*

ولما كان حديث ابن عباس هو موضوعنا الذي ندور حوله : فقد قال ابن حجر في « الأملی » : لا بأس باسناد حديث ابن عباس وهو من شرط الحسن ، فان له شواهد تقويه ، قال : وممن صحح هذا الحديث وحسنه ابن منده وأبو الحسن بن الفضل والمنذرى وابن الصلاح والنوى والسبكي وآخرون •

وقال المنذرى في « الترغيب » : وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة وعن جماعة من الصحابة • وأمثلها حديث عكرمة هذا • وقد صححه جماعة منهم : الحافظ أبو بكر الأجرى ، وشيخنا أبو محمد عبد الرحيم المصري ، وشيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسى •  
وقال أبو بكر بن أبى داود : سمعت أبى يقول : ليس فى التسبيح حديث صحيح غير هذا •  
وقال الزبيدى فى « ثمر الاحياء » : هذا حديث صحيح غريب جيد الاسناد والمتن •

\* \* \*

وقد قال الدارقطنى : أصح شىء ورد فى فضائل الصلوات ، فضل صلاة التسبيح •  
وقال عبد الله بن المبارك : صلاة التسبيح مرغوب فيها يستحب أن يعتادها فى كل حين ولا يتغافل عنها •

(١) قال الحاكم : هذا اسناد صحيح لا غبار عليه ، وتعقبه الذهبى بأن فى سنده أحمد بن داود شيخ الحاكم ، تكلم فيه غير واحد من الأئمة وكفبه الدارقطنى •

وقال الترمذى : وقد رأى ابن المبارك وغير واحد من أهل العلم صلاة التسبيح وذكروا الفضل فيه .

وقال الشوكانى فى « تحفة الذاكرين » : قال السبكي : صلاة التسبيح من مهمات مسائل الدين ، ولا تغتر بما فهم من النووى فى « الأذكار » من ردها ، فإنه اقتصر على رواية الترمذى وابن ماجه .

\* \* \*

والخلاصة : ما قاله ابن قدامة بعد أن ذكر حديث ابن عباس : ولم يثبت أحمد الحديث المروى فيها ولم يرها مستحبة ، وان فعلها انسان فلا بأس ، فان النوافل والفضائل لا يشترط صحة الحديث فيها .

\* \* \*

واذا كان قد علم من حديث عكرمة عن ابن عباس أن التسبيح بعد القراءة لا قبلها وأنه يسبح فى جلسة الاستراحة . كما قال جمهور الفقهاء .

فقد اختار الحنفيون وابن المبارك : التسبيح قبل القراءة وبعدها ، وترك التسبيح بعد السجدة الثانية .

وقد قال أحمد بن عبده الضبى : حدثنا أبو وهب قال : سألت عبد الله بن المبارك عن الصلاة التى يسبح فيها . قال : يكبر ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك . ثم يقول : خمس عشرة مرة : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ثم يتعوذ ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وفاتحة الكتاب وسورة . ثم يقول عشر مرات : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر . ثم يركع فيقولها عشرا ، ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا . ثم يسجد فيقولها عشرا . ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا . ثم يسجد الثانية فيقولها عشرا . يصلى أربع ركعات على هذا ، فذلك خمس وسبعون تسبيحة فى كل ركعة ، يبدأ فى كل ركعة بخمس عشرة تسبيحة ثم يقرأ ثم يسبح عشرا ، فان صلى ليلا فأحب الى أن يسلم فى كل ركعتين ، وان صلى نهارا فان شاء سلم وان شاء لم يسلم .

قال أبو وهب : أخبرنى عبد العزيز بن أبى رزمة عن عبد الله ابن المبارك أنه قال : يبدأ فى الركوع بسبحان ربى العظيم ، وفى السجود



بسبحان ربى الأعلى ثلاثا ، ثم يسبح التسبيحات (١) .  
وقال فى « المرقاة » : قال السبكى : وجلالة ابن المبارك تمنع  
من مخالفته ، وانما أحب العمل بما تضمنه حديث ابن عباس ولا يمنعنى  
من التسبيح بعد السجدين الفصل بين الرفع والقيام ، فان جلسة  
الاستراحة حينئذ مشروعة فى هذا المحل ، وينبغى للمتعبد أن يعمل  
بحديث ابن عباس تارة ، وبحديث ابن المبارك أخرى .

\*\*\*

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام واحرص على تنفيذ الوصية فى كل  
يوم مرة ، فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فان لم تفعل ففى كل شهر  
مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة .. كما أوصاك المصطفى صلوات  
الله وسلامه عليه فى شخص عمه العباس رضى الله عنه .

وحسبك تشجيعا لك كما عرفت أنها ستكون سببا فى غفران ذنوبك  
وأولها وآخرها ، قديمها وحديثها ، خطئها وعمدها ، صغيرها وكبيرها ،  
وسرها وعلايتها .

\*\*\*

واعلم أن هذا التسبيح الذى سترده فى هذه الصلاة هو غراس  
الجنة فقد ورد فى حديث الأسراء والمعراج أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مر فى السماء السابعة على سيدنا ابراهيم الخليل عليه  
السلام فقال له : « يا محمد .. أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم  
أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان : وأن غراسها : سبحان  
الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » (٢) .

\*\*\*

وأن كل شىء خلقه الله سبحانه وتعالى يسبح بحمده ، وفى ذلك  
يقول تبارك وتعالى :

- « سبح لله ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (٣) .
- « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فىهن » (٤) .

(١) أخرجه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٤) الأسراء : ٤٤

(٣) الحديد : ١

- ويقول : « ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » (١) .
- ويقول : « وأن من شيء ألا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » (٢) .
- ويقول : « يسبح لله ما في السموات وما في الأرض » (٣) .
- ويقول : « وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير » (٤) .
- ويقول : « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم » (٥) .
- ويقول : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم » (٦) .
- ويقول : « أن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » (٧) .

\* \* \*

- ولهذا كان من المفروض عليك حتى تكون عبدا حقيقيا لله سبحانه وتعالى كبقية مخلوقاته الذين يسبحونه في الأرض وفي السماء : أن تكون مسبحا له سبحانه وتعالى .
- وإذا كنت أقول : من المفروض عليك ، فأننى أعنى بهذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به في قوله : « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين » (٨) .
- وقوله : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » (٩) :
- وقوله : « فسبح باسم ربك العظيم » (١٠) .
- وقوله : « فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا » (١١) .

\* \* \*

وحسبك حتى تكون من المسبحين أن تعلم :  
أن سيدنا يونس عليه السلام لم ينقذ من بطن الحوت الا لأنه

(٢) الاسراء : ٤٤	(١) الرعد : ١٣
(٤) الانبياء : ٧٩	(٣) الجمعة : ١ ، التغابن : ١
(٦) غافر : ٧	(٥) الزمر : ٧٥
(٨) الحجر : ٩٨	(٧) الأعراف : ٢٠٦
(١٠) الواقعة : ٧٤	(٩) طه : ١٣٠
	(١١) النصر : ٣

كان من المسبحين لله تعالى ، والى هذا يشير سبحانه وتعالى في قوله :  
**« فلو لا أنه كان من المسبحين • للبت في بطنه الى يوم يبعثون »** (١) .

وكان الله سبحانه وتعالى قد أرسل يونس عليه السلام الى قومه  
 في « نينوى » لكي يدعوهم الى عبادة الله تعالى دون عبادة الأوثان ،  
 ولكنه رغم ما بذله في سبيل ذلك من اقناع لم يقابل منهم الا بالاعراض  
 والاعتراض ، مع تحذيره لهم من انتقام الله منهم فكان أن قالوا له :  
**« فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين »** (٢) .

فما كان منه الا أن قرر وبدون اذن من الله أن يتركهم الى ميدان  
 آخر راجيا أن يجد هناك من يستجيب لدعوته ويؤمن به .

وفعلا وبدون انتظار اتجه الى الشاطيء الذي وجد عنده قوما  
 يعبرون فطلب منهم أن يأخذوه معهم الى الشاطيء الآخر ، فرحبوا  
 به دون أن يطلبوا منه أجرا عندما لمحووا الصلاح على وجهه .

ولكنه ما كادت السفينة تتحرك متجهة الى منتصف البحر حتى  
 تعرضت لأمواج هائجة جعلت كل ركابها يتوقعون سوء المصير ، الأمر  
 الذي جعلهم يفكرون سريعا في حل لهذا المأزق الذي تعرضوا له ،  
 فكان أن قرروا بنفس السرعة التي فكروا بها : القاء أحدهم في اليم  
 حتى يكون فداء للباقيين .

ولكى يفعلوا ذلك دون ظلم لهذا الذي سيلقى به ، اقتنعوا فيما  
 بينهم فوقع السهم على سيدنا يونس ، فقالوا : كيف نجود بهذا الرجل  
 الذي أبينا أن نأخذ منه أجرا . ولهذا لكي تستريح ضمائرهم أعادوا  
 القرعة مرة أخرى فوقع السهم عليه كذلك ، وأعادوها مرة ثالثة فكانت  
 النتيجة هي الأولى والثانية .

فعند ذلك فهم سيدنا يونس أنه هو المقصود بهذا الابتلاء الذي كان  
 نتيجة لتسرع ، ولهذا كان لا بد وأن يستسلم ل قضاء الله ومشيئته ، فألقى  
 بنفسه في اليم لكي يكون بعد ذلك في بطن الحوت الذي كان الله سبحانه  
 وتعالى قد أمره بأن يتحرك ويسير بجوار السفينة حتى اذا ما ألقى  
 بيونس عليه السلام التقمه برفق دون أن يستعمل معه أسنانه  
 أو يهضمه ، فكان الحوت نعم المكلف .

وقد روى الطبري في هذا من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما أراد الله تعالى — ذكره — حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله الى الحوت أن خذه ولا تخذش لحما ، ولا تكسر عظما ، فأخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر ، فلما انتهى به الى أسفل البحر ، سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى اليه وهو في بطن الحوت : ان هذا تسبيح دواب البحر ، قال : فسبح وهو في بطن الحوت ، قال : فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : يا ربنا .. انا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة ، قال : ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته في بطن الحوت في البحر ، قالوا : العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ؟ فقال : نعم ، فشفعوا له عند ذلك ، فأمر الحوت بقذفه في الساحل ... » (١) .

وقد روى أنه مكث أربعين يوما في بطن الحوت يسبح الله تعالى الى أن ألهمه الله تعالى بكلمات قالهن كانت سببا في نجاة ونجاة كل من يتشبه به من المؤمنين ، وفي ذلك يقول تعالى :

« **وذا النون إذ ذهب ماضيا ظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات (٢) أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين (٣) .** »

وقد ورد في فضل هذا الدعاء : أنه لم يدع به مسلم الا استجاب الله له .

فمن سجد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا بدعاء يونس ، استجيب له » قال أبو سعيد : يريد به « **وكذلك ننجي المؤمنين** » .

وعن سعيد بن المسيب قال : سمعت ابن مالك — وهو ابن أبي وقاص — يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اسم الله الأعظم الذى اذا دعى به أجاب ، واذا سئل أعطى ، دعوة يونس ابن متى » قال : قلت : يا رسول الله .. هى ليونس خاصة أم لجماعة

(١) راجع تفسير ابن كثير لسورة الأنبياء .

(٢) قال ابن مسعود : أى ظلمة الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل .

(٣) الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨ .

المسلمين ؟ قال : « هي يونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة ، اذا دعوا بها ، ألم تسمع قول الله عز وجل : « فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين » فهو شرط من الله لمن دعاه به » .

\* \* \*

فاذكر كل هذا أخوا الاسلام بالاضافة الى هذه الأحاديث الشريفة :  
« من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياها وان كانت مثل زبد البحر » (١) .

روى أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :  
تولت عنى الدنيا ، وقلت ذات يدي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون »  
قال : فقلت : وماذا يا رسول الله ؟ قال : « قل : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله ، مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تصلى الصبح تأتيك راحة سافرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه » (٢) .

« أحب الكلام الى الله تعالى أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت » (٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » (٤) .

وعنه أيضا رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس » (٥) .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى كلاما أقوله ، قال : « قل : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ،

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٢) رواه المستغفرى في الدعوات من حديث ابن عمر .

(٣) رواه مسلم . (٤) متفق عليه .

(٥) رواه مسلم .

وسبحان الله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم «  
قال : فهؤلاء لربى فما لى ؟ قال : « قل : اللهم اغفر لى وارحمنى  
واهدنى وارزقنى » (١) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم  
يكثُر أن يقول فى ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ،  
اللهم اغفر لى » (٢) .

وعنها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى  
ركوعه وسجوده : « سبح قدوس رب الملائكة والروح » (٣) .

وعنها : افتقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فتحسست  
فاذا هو راحح - أو ساجد - يقول : « سبحانك وبحمدك لا اله الا أنت »  
وفى رواية : فوقعت يدي على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان  
وهو يقول : « اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك ، ومعافاتك من  
عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على  
نفسك » (٤) .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقال : « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف  
حسنة » ؟ فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب ألف حسنة ؟ قال :  
« يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ، أو يحط عنه ألف  
خطيئة » (٥) .

وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضى الله عنها أن النبي  
صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حتى صلى الصبح وهى فى  
مسجدها ثم رجع بعد أن أضحي وهى جالسة فقال : « ما زلت على  
الحال الذى فارقتك عليها » ؟ قالت : نعم ، فقال النبي صلى الله عليه  
وسلم : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت  
منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ،  
وزنة عرشه ، ومداد كلماته » رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم .

(١) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٥) رواه مسلم .

وفي رواية له : « سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضاء نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » .

وفي رواية الترمذى : « ألا أعلمك كلمات تقولينها : سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضاء نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته ، سبحان الله مداد كلماته » .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى — أو حصى — تسبح به فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا — أو أفضل — فقال : سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا اله الا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله مثل ذلك » (١) .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة » (٢) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال نوح لابنه : انى موصيك بوصية وقاصرها لكي لا تنساها . . أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين ، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه ، وهما يكثران الولوج على الله سبحانه وتعالى : أوصيك بلا اله الا الله ، فان السموات والأرض لو كانتا حلقة قصمتها ، ولو كانتا في كفة وزنتها ، وأوصيك بسبحان الله وبحمده فانها صلاة الخلق ، وتسبيح الخلق ، وبها يرزق الخلق . وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله وصالح خلقه منهما ، أنهاك عن الشرك بالله ، والكبر » (٣) .

\* \* \*

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٢) أخرجه النسائى والبخارى والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

وهذه الآثار :

روى أن سليمان عليه السلام بينما كان يركب ذات يوم بساطه الذي كان يحمله الريح : مر فوق فلاح يحرث أرضه فقال الفلاح عندما رأى موكب سليمان وما فيه من عظمة :

سبحان من أعطاكم ملكا يا آل داوود • فنقل الريح كلمة الفلاح الى أذنى سيدنا سليمان عليه السلام الذي أمر الريح عندئذ بأن يهبط بالبساط بجوار هذا الفلاح الذي فوجيء بعد أن قال كلمته بلحظات بالموكب في حقله وسيدنا سليمان يقول له :

ماذا قلت يا هذا ؟ فيقول الرجل وهو ترتعد فرائصه : اننى لم أقل الا خيرا ، فقال له سليمان عليه السلام بعد أن أخبره بأنه قد استمع الى ما قال ، وبعد أن هدأ من روعه : أما علمت يا هذا أن تسبيحة واحدة منك خير من ملك آل داوود ؟!

وروى أن أحد الصالحين وقد كان كثير التعبد ، بكى شوقا الى الله عز وجل ، فرأى في منامه كأنه على ضفة نهر يجري بالمسك حافظه شجر لؤلؤ ونبتة من قضبان الذهب ، فاذا بجوار مزينات ينشدن بصوت واحد :

سبحان المسبح بكل لسان سبحانه ، سبحان الموحد بكل مكان سبحانه ، سبحان الدائم في كل الأزمان سبحانه • فقال لهن : ما تصنعن هنا ؟ فقلن :

برانا اله الناس رب محمد لقوم على الأقدام بالليل قوم يناجون رب العالمين الههم وتسرى هموم القوم والناس قوم فقال : بخ بخ لهؤلاء من هم ؟ لقد أقر الله أعينهم يكن ، فقلن : أو ما تعرفهم ؟ قال : لا ، فقلن : بلى • • هؤلاء المتجددون أصحاب القرآن والسور •

وروى أن يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم ، فقال : ما أفضل ما رأيت ثم (١) من الأعمال ؟ قال : رأيت تسبيحات ابن المعتز من الله عز وجل بمكان وهي هذه : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، عدد ما خلق ، وعدد ما هو خالق ، وزنة ما خلق

(١) أى هناك في الجنة .



وزنة ما هو خالق ، وملء ما خلق ، وملء ما هو خالق ، وملء سمواته ،  
 وملء أرضه ، ومثل ذلك وأضعاف ذلك ، وعدد خلقه ، وزنة عرشه ،  
 ومنتهى رحمته ، ومداد كلماته ، ومبلغ رضاه حتى يرضى ، وإذا رضى ،  
 وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى ، وعدد ما هم ذاكروه فيما  
 بقى في : كل سنة ، وشهر ، وجمعة ، ويوم وليلة ، وساعة من الساعات  
 وشم نفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد الى أبد الدنيا وأبد  
 الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقح أوله ولا ينفد آخره .

وروى أن ابراهيم بن أدهم كان يقول في دعائه : « سبحانك  
 يا على يا عظيم يا بارىء يا رحيم يا عزيز يا جبار ، سبحان من سبحت  
 له السموات بأكتافها ، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها ،  
 وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها ، وسبحان من سبحت له  
 النخيتان بلغتها ، وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها ،  
 وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها ، وسبحان من سبحت  
 له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن ، سبحان  
 من سبح له كل شيء من مخلوقاته ، تباركت وتعاليت سبحانك ،  
 سبحانك يا حى يا قيوم يا غليم يا حلیم ، سبحانك لا اله الا أنت وحدك  
 لا شريك لك تحيى وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على  
 كل شيء قدير » .

\* \* \*

وحسبك في النهاية أن تقول مع القائل :

سبحان من لا قط يبلغ مدحه	بليغ ومن عنه الثنا متعذر
غفى الفعل فضل عن جميل صفاته	وعن ذاته كل البرايا تحيروا
تسبحه الخيتان في الماء وفي الفلا	وحوش وطير في الهواء مسخر
وفي الفلك والأملك كل منسبح	نهارا وليلا دائما ليس يفتر
تسبح كل الكائنات بحمده	سما وأرض والجبال وأبحر
جميعا ومن فيهن والكل خاضع	لهيبته العظمى ولا يتكبر
له كل ذرات الوجود شواهد	على أنه البارى الاله المصور

\* \* \*

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصانا جميعا في شخص  
 عمه العباس رضى الله عنه بصلاة التسبيح الجامعة لكل هذا الخير

الذي وقفت عليه ، والذي من أهمه كما عرفت : تكفير الذنوب التي كثيرا ما يقع الانسان فيها بسبب اغراء الشيطان له : فقد أوصانا كذلك بخيرات أخرى ، كلنا وبدون استثناء في أشد الحاجة اليها • وهذه الخيرات أو الصلوات الأخرى :

### صلاة الضحى (١)

وهي مشروعة مرغّب فيها ، نفعها عظيم ، وفضلها عميم ، وقد ورد في فضلها عدة أحاديث شريفة ، منها :

عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يصبح على كل سلامى (٢) من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليل صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزى (٣) من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » (٤) •

وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الانسان ستون وثلاثمائة مفصل عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة » قالوا : فمن الذى يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « النخامة في المسجد يدفنها ، أو الشيء ينحيه عن الطريق ، فان لم يقدر فركعتا الضحى تجزىء عنه » (٥) •

وقد قال الشوكانى في تعليقه على هذين الحديثين : « والحديثان يدلان على عظم فضل الضحى وكبر موقعها وتأكد مشروعيتها ، وأن ركعتيها تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة ، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة ، ويدلان أيضا على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتهليل ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ودخن النخامة ، وتنحية ما يؤذى المار عن الطريق وسائر أنواع الطاعات ليسقط بذلك ما على الانسان من الصدقات اللازمة في كل يوم » •

(١) الضحى بالضم والقصر : وقت ارتفاع الشمس اول النهار ، وبه سميت صلاة الضحى .  
(٢) عظام البدن ومفاصله .

(٣) يجزى — بفتح اوله — بمعنى يكفى ، أو بضمه ويكون من الاجزاء .

(٤) رواه احمد ومسلم وأبو داوود .

(٥) رواه احمد وأبو داوود .

كما روى عن النواس بن سمعان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : ابن آدم . . لا تعجزن عن أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره » (١) .

وعن عبد الله بن عمرو قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية (٢) فغنموا وأسرعوا الرجعة ، فتحدث الناس بقرب مغزاهم (٣) وكثرة غنيمتهم وسرعة رجعتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على أقرب منهم مغزى وأكثر غنيمة وأوشك (٤) رجعة ؟ من توطأ ثم غدا الى المسجد لسبحة الضحى ، فهو أقرب مغزى وأكثر غنيمة وأوشك رجعة » (٥) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أوصانى خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث : « بصيام ثلاثة أيام في كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام » (٦) .

فمن هذه الأحاديث يتبين لك أنها : عبادة مستحبة ، من شاء ثوابها فليؤدها والا فلا تثريب عليه في تركها فعن أبي سعيد رضى الله عنه قال : « كان صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى حتى نقول : لا يدعها ، ويدعها حتى نقول : لا يصلها » (٧) .

ووقتها بيندئء بارتفاع الشمس قدر رمح وينتهي حين الزوال ، ولكن المستحب أن تؤخر الى أن ترتفع الشمس ويشد الحر .

فعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : خرج صلى الله عليه وسلم على أهل قباء (٨) وهم يصلون الضحى فقال : « صلاة الأوابين (٩) إذا رمضت الفصال (١٠) من الضحى » (١١) .

وأقل ركعاتها اثنتان كما قرأت في حديث أبي ذر رضى الله عنه وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى ركعات ،

(١) رواه الحاكم والطبراني ورجاله ثقات .

(٢) أى فرقة من الجيش . (٣) انتهاء الغزو بسرعة .

(٤) أى قرب .

(٥) رواه أحمد والطبراني وروى أبو يعلى نحوه .

(٦) رواه البخارى ومسلم . (٧) رواه الترمذى .

(٨) مكان بينه وبين المدينة نحو ميلين . (٩) أى الراجعين الى الله .

(١٠) رمضت : أى احترقت ، والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة ،

أى إذا وجدت الفصال الشمس ، ولا يكون ذلك إلا عند ارتفاعها .

(١١) رواه أحمد ومسلم والترمذى .

وأكثر ما ثبت من قوله اثنتا عشرة ركعة • وقد ذهب قوم — منهم أبو جعفر الطبري وبه جزم الحلبي والرويانى من الشافعية — الى أنه لا حد لأكثرها •

فقد روى عن أم هانئ أن النبي صلى الله عليه وسلم : « صلى سبحة الضحى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين » (١) •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله » (٢) •

وقد روى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ، ومن صلى أربعاً كتب من العابدين ، ومن صلى ستاً كفى ذلك اليوم ،

ومن صلى ثمانياً كتبه الله من القانتين ، ومن صلى اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتاً فى الجنة ، وما من يوم وليلة الا لله من يمن به على عباده وصدقة ، وما من الله على أحد من عباده أفضل من أن يلهمه

ذكره » (٣) •

هذا : وحكمة مشروعية صلاة الضحى ألا يخلو كل ربع من النهار

عن عبادة الله تعالى والحكمة فى اختلاف عدد ركعاتها : التخفيف على

الأمة ليفعل ما استطاع ، وحتى يتنافس فى ذلك المتنافسون •

ويقرأ فى كل ركعة منها بالفاتحة وسورة والأفضل قراءة :

« **والشمس وضحاها** » ، « **والضحى** • **والليل اذا سجد** » (٤) •

لقول عقبة بن عامر : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن نصلى الضحى بسور منها : والشمس وضحاها ، والضحى » (٥) •

كما يستحب أن يقال بعدها ما فى حديث صهيب أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفثيه بعد صلاة الضحى بشئ فقالت :

يا رسول الله •• ما هذا الذى تقول ؟ قال : « أقول : اللهم بك أصول

(١) رواه أبو داود باسناد صحيح • (٢) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه •

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند فيه موسى بن يعقوب الزامى ،

وثقه ابن معين ، وابن حبان ، وضعفه ابن المدينى وغيره وبقيه رجاله ثقات ،

قاله الهيثمى ، وقال المنذرى : روى عن جماعة من الصحابة ومن طرق ، وهذا

أحسن أسانيده فيما أعلم •

(٤) سجد : أى غطى بظلامه كل شئ ، أو سكن أهله •

(٥) أخرجه الحاكم •

وبك أحاول (١) وبك أقاتل (٢) .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن من الحريصين على الفوز بصلاة الضحى حتى لا تكتب من الغافلين ، وحتى تكتب من المحسنين أو القانتين أو الفائزين ، وحتى لا يكتب لك ذنب في ذلك اليوم ، ويبنى الله لك بيتا في الجنة ، كما ورد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في حديث يقول فيه : لقيت أبا ذر فقلت : يا عم .. أقبسنى خيرا . فقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال : « ان صليت الضحى ركعتين لم تكتب من الغافلين ، وان صليتها أربعاً كتبت من المحسنين ، وان صليتها ستاً كتبت من القانتين ، وان صليتها ثمانياً كتبت من الفائزين ، وان صليتها عشراً لم يكتب لك ذلك اليوم ذنب ، وان صليتها اثنتى عشرة ركعة بنى الله لك بيتا في الجنة » (٣) . وحسبك أن تعلم أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ان صلاة الضحى لفى القرآن وما يغوص عليها الا غواص . قال تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو (٤) والأصال (٥) » (٦) .

وقال أيضا : طلبت صلاة الضحى في القرآن فوجدتها ههنا : « يسبحن بالعشى (٧) والاشراق » (٨) .

بل وحسبك أن تقرأ كذلك هذا الحديث الشريف :  
عن عبد الله بن جراد بن أبى جراد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المنافق لا يصلى الضحى ، ولا يقرأ : قل يا أيها الكافرون » (٩) .

- (١) أحاول : أى اسطو واقهر ، وأحاول من المحاولة وهى تطلب الشئ بحيلة ، أو التحرك والتحول ، وفى حديث آخر : « وبك أحول » .  
(٢) أخرجه ابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » بسند رجاله ثقات .  
(٣) أخرجه البيهقى .  
(٤) ، ٥) الغدو : أول النهار ، والأصال : جمع أصيل وهو آخر النهار والآية من سورة النور : ٣٦  
(٦) أخرجه ابن أبى شيبة والبيهقى فى الشعب .  
(٧) العشى : ما بعد الزوال ، والاشراق : طلوع الشمس وتمام ضوئها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى .  
(٨) سورة ص : ١٨  
(٩) أخرجه الديلمى .

وهذا الحديث القدسي الذي روى عن نعيم بن عمر العنقاني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال ربكم عز وجل : صل لي يا ابن آدم أربعاً في أول النهار أكفك آخره » (١) .

قال في « الدين الخالص » (٢) : وفي الباب أحاديث أخرى تدل على عظيم فضل صلاة الضحى والحث عليها وكثرة فوائدها ، وأنها أعظم غنيمة يفتنمها المسلم ، وينتصر بها على الشيطان ، ويرضى بها عنه الرحمن ، ويعمه بالاحسان .

كما قال : ومن فوائدها أن مصليها يكون في حفظ الله ورعايته طول يومه ، ومنها أنها تكفر صفائر الذنوب ، وتحفظ مصليها من ارتكاب الكبائر ، ومنها أنها تجزيء عن ستين وثلاثمائة صدقة المطلوبة على مفاصل البدن .

فعلى العاقل أن يهتم بتأديتها ويواظب عليها ، ويكثر من التسبيح والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر أنواع الطاعة ، ليؤدي بذلك ما عليه من الصدقات المطلوبة على أعضائه . فلا تنس كل هذا أبا الإسلام حتى تحرص على أداء صلاة الضحى التي وقفت عليها وعلى ما فيها من خيرات . وحتى تعرف وقتها بسهولة ويسر فهو : ( تقريباً ) بعد طلوع الشمس بثلاث ساعة إلى ما قبل الظهر بثلاث ساعة .

\* \* \*

ومن الصلوات الأخرى التي أرجو أن لا تحرم من نتائجها :

### صلاة الاستخارة (٣)

وهي مستحبة لمن أراد أمراً من الأمور المباحة المهمة كالزواج والتجارة وغيرهما مما لا يعلم فيه وجه الخير والشر (٤) . وهي : عبارة عن ركعتين من غير الفريضة ولو كانتا من السنن الراتبة أو تحية

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والدارمي بسند جيد .

(٢) راجع الجزء الخامس من « الدين الخالص » ص ٢٣٠ .

(٣) الاستخارة : هي طلب الخير من الله تعالى فيما يقصد من الأمور .

يقال : خار الله لك : أى أعطاك ما هو خير لك .

(٤) أما المعروف خيره كالعبادة وعمل المعروف فيفعل بلا استخارة .

والمعروف شره كالمحرم والمكروه ، فيترك بلا استخارة .

المسجد في أى وقت من الليل أو النهار<sup>(١)</sup> يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة ، ثم يحمد الله ويصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بالدعاء الذى رواه البخارى من حديث جابر رضى الله عنه الذى يقول فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها<sup>(٢)</sup> كما يعلمنا السورة من القرآن يقول :

« اذا هم<sup>(٣)</sup> أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل<sup>(٤)</sup> : اللهم انى أستخيرك<sup>(٥)</sup> بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر<sup>(٦)</sup> خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله<sup>(٧)</sup> — فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه . وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله — فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ، ثم أرضنى به — قال : ويسمى حاجته — أى يسمى حاجته عند قوله : « اللهم ان كان هذا الأمر ... » .

قال النووى : ينبغى أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له فلا ينبغى أن يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الاستخارة ، بل ينبغى للمستخير ترك اختياره رأسا والا فلا يكون مستخيرا لله بل يكون غير صادق في طلب الخيرة وفي التبرى من العلم والقدرة واثباتهما لله تعالى ، فان صدق في ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه .

وحتى تعرف قيمة هذا الدعاء المحمدى الذى وقفت عليه وتدرك

- 
- (١) حتى في أوقات الكراهة عند الشافعية لأنها صلاة لها سبب ، وقال الجمهور : تؤدي في غير أوقات النهى تقديما للحاضر على المبيح .  
 (٢) أى صغيرها وكبيرها .  
 (٣) اللهم بالأمر ارادته وهو ترجيح الفعل على الترك .  
 (٤) وهذا دليل على أنه لا يضر تأخر دعاء الاستخارة عن الصلاة ، وأنه لا يضر الفصل بكلام يسير ، وأنه لا يجزىء الايتان به في أثناء الصلاة .  
 (٥) أى اطلب منك الخيرة أو الخير .  
 (٦) يسمى حاجته هنا .  
 (٧) يجمع بينهما .

أهميته ، اليك ما ذكره امامنا الأكبر الشيخ محمود خطاب السبكي في كتابه « الدين الخالص »<sup>(١)</sup> بالحرف الواحد :

من تأمل دعاء الاستخارة الوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وجد فيه من البلاغة والأسرار والفوائد ما لا يوجد في أى دعاء يختاره الانسان لنفسه ، ثم قال : قال ابن الحاج في المدخل :

ثم انظر الى تلك الألفاظ الجليلة التي شرعها عليه الصلاة والسلام لأمته ليرشدتهم الى مصالحهم الدنيوية والأخروية وهي : « اللهم » أى أسألك بجميع ما سئلت به ، ويؤيده ما نقل : أنه اسم الله الأعظم الذى ترجع اليه جميع الأسماء « انى أستخيرك بعلمك » : أى بعلمك القديم الكامل لا بعلمى أنا المخلوق القاصر . فمن فوض الأمر الى ربه اختار له ما يصلح « وأستقدرك بقدرتك » : أى بقدرتك القديمة الأزلية ، لا بقدرتى أنا المخلوق المحدثه القاصرة ، فمن تعرى عن قدرة نفسه وكانت قدرته منوطة بقدرة ربه عز وجل مع السكون والضراعة اليه فلا شك في وجود الراحة له ، اما عاجلا أو آجلا أو هما معا ، وأى راحة أعظم من الانسلاخ من عناء التدبير والاختيار والخوض لفكرة عقله فيما لا يعلم عاقبته « وأسألك من فضلك العظيم » : فمن توجه بالسؤال الى مولاه دون مخلوق واستحضر سعة فضل ربه عز وجل وتوكل عليه ونزل بساحة كرمه ، فلا شك في نجاح سعى من هذا حاله ، اذ فضل المولى سبحانه وتعالى أجل وأعظم من أن يرجع الى قانون معلوم وتقدير « فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب » : فمن تبرأ وانخلع من تدبير نفسه وحوله وقوته ورجع بالافتقار الى مولاه الكريم الذى لا يعجزه شئء فلا شك في قضاء حاجته وبلوغ ما يؤمله ووقوع الراحة « أو قال : في عاجل أمرى وآجله » الشك هنا من الراوى في أيهما قال عليه الصلاة والسلام .

وإذا كان كذلك فينبغى للمكلف أن يحتاط لنفسه في تحصيل بركة افظه عليه الصلاة والسلام على القطع فيأتى بهما معا « فأقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه » : فمن رضى بما اختاره له سيده ، العالم بعواقب الأمور كلها وبمصالح الأشياء جميعها بعلمه القديم الذى لا يتبدل ولا يتحول فقد سعد السعادة العظمى « فأصرفه عنى واصرفنى عنه

(١) الجزء الخامس في باب صلاة الاستخارة .



واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به « فمن سكن الى ربه عز وجل وتضرع اليه ولجأ فى دفع جميع الشر عنه ، فلا شك فى سلامته من كل ما يتوقع من المخاوف ... »

فلاحظ كل هذا أذا الاسلام بالاضافة الى أن الحكمة فى تقديم الصلاة على الدعاء هو أن المراد من الاستخارة : الجمع بين خيرى الدنيا والآخرة ، لأن ذلك يحتاج الى قرع باب الملك ولا شئ لهذا أنجع من الصلاة لما فيها من تعظيم الله تعالى والثناء عليه واظهار الافتقار اليه حالاً ومالاً .

واعلم أنه من السنة أن تبدأ أولاً باستشارة من تعلم منه حسن النصيحة وكمال الشفقة والخبرة وتثق بدينه ومعرفته ، لقوله تعالى : « وشاورهم فى الأمر »<sup>(١)</sup> وقوله : « وأمرهم شورى بينهم »<sup>(٢)</sup> أى يتشاورون بينهم فيه ، وقد ورد فى الحديث الشريف : « المشورة حصن من الندامة وأمان الملامة »<sup>(٣)</sup> .

وإذا شاورت وظهر أنه مصلحة استخر الله سبحانه وتعالى بهذه الاستخارة المشروعة التى وقفت عليها<sup>(٤)</sup> .

وإذا تعذرت صلاة الاستخارة ، فاستخر بالدعاء — الذى وقفت عليه — بعد استفتاحك بالحمد لله والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وافعل بعد ذلك ما ينشرح له صدرك ، ولا تعتمد على انشراح كان لك قبل الاستخارة ، بل ينبغى كما عرفت قبل ذلك ترك اختيارك رأساً والافانك لن تكون مستخيراً لله ، بل مستخيراً لهواك .

فان لم تجد انشراحاً لشيء فى صدرك : فقد قيل : تكرر الاستخارة ثلاثاً ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا كرر الدعاء ثلاثاً .

وقيل : تكررهما سبعا لحديث أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ، ثم انظر الى الذى يسبق الى قلبك فان الخير فيه »<sup>(٥)</sup> .

(١) آل عمران : ١٥٩ (٢) الشورى : ٣٨

(٣) من كتاب « ادب الدنيا والدين » للحسن البصرى .

(٤) والجمع بين الاستخارة والاستشارة من كمال الامتثال للسنة .

فينبغى للكلف أن لا يقتصر على احدهما فان كان ولا بد من الاقتصار فعلى الاستخارة .

(٥) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس .. وهو ضعيف .

فاحرص على هذا الخير الذى وقفت عليه وحسبك ترغيبا لك فيه .  
حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الذى يقول فيه ان النبى  
صلى الله عليه وسلم قال : « من سعادة ابن آدم استخارته الله ، ومن  
سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله ، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة  
الله ، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضاه الله عز وجل » (١) .

وإذا كنت وقفت على الاستخارة الشرعية الواردة والثابتة عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أكانت بالصلاة أو الدعاء ، فهناك  
استخارات أخرى مبتدعة رأيت فى نهاية هذا العرض أن أحيطك بها  
علما حتى استخارة النوم لا تفعلها ، وهى :

### استخارة النوم

التي يعملها صاحب الحاجة أو يعملها له غيره ، بأن يقرأ الشخص  
شيئا من القرآن ويدعو الله أن يريه فى منامه ما نواه أو يريه خضرة  
أو بياضا ان كان ما يقصده خيرا ، ويديه حمرة أو سوادا ان كان  
ما يقصده لا خير فيه .

فهذه الاستخارة لم تشرع وفيها عدول عن تعليم الرسول صلى الله  
عليه وسلم ، وعن الدعاء الجامع لخيرى الدنيا والآخرة ، وهذا يتنافى  
مع كمال الايمان وحسن اليقين الذى يقتضى التخلّى عن البدع ، والتخلّى  
بالسنن .

وقد ذكر العلامة الصاوى فى تفسير آية : « **وربك يخلق ما يشاء  
ويختار** ٠٠٠ » (٢) صلاة الاستخارة ودعاها . ثم قال : فان لم يكن  
يحفظ هذا الدعاء فليقل : « اللهم خر لى واختر لى » كما روى عن  
عائشة عن أبى بكر رضى الله عنهما .

### استخارة السبحة

التي يعملها صاحب الحاجة أو تعمل له ، وطريقتها أن يأخذ  
الشخص مسبحة فيتمتم عليها بحاجته ، ثم يحصر بعض حباتها بين  
يديه ثم يعدها فان كانت فردية عدل عما نواه ، وان كانت زوجية اعتبر  
ما نواه خيرا وسار فيه .

(١) أخرجه أحمد والحاكم وأبو يعلى وابن حبان والبخاري بسند جيد ،  
والترمذى وقال : حديث غريب . (٢) القصص : ٦٨ .

وهذا يشبه ما كان يحدث في الجاهلية الأولى من اطلاق الطير في الجو وهو ما سماه الشرع الشريف : بالطيرة ، ونهى عنها •

### استخارة الفنجان

ويعملها عادة غير صاحب الحاجة ويقوم بعملها رجل أو امرأة ، وطريقتها أن يشرب صاحب الحاجة القهوة المقدمة اليه ثم يكفىء الفنجان وبعد قليل يقدمه لقارئه فينظر فيه بعد أن أحدثت فضلات القهوة رسوماً وأشكالاً يحدثها عادة كل راسب في اناء اذا انكفأ •

ثم يأخذ هذا الدجال في سرد حكايات كثيرة لصاحب الحاجة الذي كثيراً ما يتأثر بهؤلاء الدجالين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل •  
ومثلها : استخارة الورق ( الكوتشينة ) ، استخارة الرمل ، استخارة النودع ، واستخارة الكف •

فكل هذا يعتبر تضليلاً يعتمد أساساً على قوة غراسة هذا الدجال الذي يستخلص كلامه من ميول الشخص وموافقته له في بعض الأشياء •  
فاحذر الوقوع في هذا الاثم وحسبك تحذيراً لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أتى عرافاً (١) فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » (٢) •

وقوله : « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » - صلى الله عليه وسلم - (٣) •

وقد قالت عائشة رضى الله عنها : من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية : لأن الله تعالى يقول : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله » (٤) •

فتذكر كل هذا حتى تكون بعيداً عن هذا الضلال وتكون حرباً على المضلين ومنقذاً للضالين ، ولا تنسى قول الله تعالى على لسان

(١) أى ذهب اليه .

(٢) أخرجه أحمد ومسلم عن حفصة .

(٣) أخرجه أحمد والحاكم عن أبى هريرة بسند صحيح .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبرى - والآية من سورة النمل : ٦٥

تبيه صلى الله عليه وسلم : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » (١) .

وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انما أنا بشر مثلكم وانكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى على ما أسمع . فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً ، فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار » (٢) .

فلا تنتش كل هذا وحسبك ما وقفت عليه من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في الاستخارة وتذكر كذلك قوله : « طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة » (٣) .

\* \* \*

ومن الصلوات الأخرى صلاة قد تحتاج إليها كثيرا وكثيرا في هذه الدار التي لا تخلو من الابتلاءات ، وهذه الصلاة هي :

### صلاة الحاجة

فقد ورد عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من توضأ فأصبح الوضوء ثم صلى ركعتين يتمهما أعطاه الله ما سأل معجلا أو مؤخرا » (٤) .

وفي رواية أخرى أيضا عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام فصلى ركعتين أو أربعاً مكتوبة (٥) أو غير مكتوبة يحسن فيها الركوع والسجود ثم استغفر الله ، غفر له » (٦) .

قال في « الدين الخالص » : يستحب لمن أهمه أمر أو كانت له حاجة الى الحق أو الخلق يريد قضاءها أن يتطهر ويصلى ركعتين ثم يدعو بدعاء الكرب أو غيره مما يأتي . . . ثم ذكر أحاديث منها : حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : « لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ،

(١) الاعراف : ١٨٨ (٢) أخرجه الجماعة .

(٣) من خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) أخرجه أحمد بسند صحيح . (٥) أى مفروضة .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن .

لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم (١) « (٢) »  
 وحديث أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكربه أمر قال :  
 « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » (٣) .

وقول أنس : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم  
 آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار » (٤) .  
 وحديث عبد الله بن أبي أوفى قال : خرج علينا رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فقعده فقال : « من كانت له حاجة الى الله تعالى أو الى  
 أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين ثم  
 ليثن على الله عز وجل ، وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم  
 ليقل : لا إله إلا الله العظيم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ،  
 الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك (٥) وعزائم (٦) مغفرتك  
 والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، لا تدع لى ذنبا الا غفرته ،  
 ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة هي لك رضا الا قضيتها يا أرحم  
 الراحمين » (٧) .

\* \* \*

ومن الصلوات الأخرى التي قد تحتاج اليها كذلك :

### صلاة الضائع والأبق

فقد قال كذلك في « الدين الخالص » :

يسن لمن ضاع له شيء أو أبق (٨) وأراد العثور عليه أن يتوضأ  
 ويصلى ركعتين ويدعو بما ورد في ذلك :

(١) العظيم والكريم بالجر صفة للعرش . وهو الثابت في رواية  
 للجمهور ، أو بالرفع صفة الرب . أو خبر لمبتدأ محذوف . فهو نعت للعرش  
 قطع للمدح .

(٢) أخرجه الستة الا ابا داوود ، وفي رواية لمسلم : أن النبي صلى  
 الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر — أى نابه والم به أمر شديد — قال ذلك .  
 (٣) أخرجه الترمذى : وفي سنده يزيد الرقاشى ضعيف لسوء حفظه .  
 (٤) أخرجه الشيخان .

(٥) موجبات الرحمة : التوفيق والهداية الى الطريق المستقيم .

(٦) العزائم : جمع عزيمة بمعنى معزومة ، أى مقطوع بوقوعها ،  
 فالمنى : أسألك أنواعا من المغفرة يتحتم حصولها بارادتك ، أو تقطع عنى  
 كل تقصير مانع من استجابة الدعاء .

(٧) أخرجه الترمذى وقال : حديث غريب وفى أسناده مقال .

(٨) المراد : أبق أى هرب له عبد .

فعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ضاع له شيء أو أبق يتوضأ ويصلى ركعتين ويتشهد ويقول : باسم الله يا هادي الضلال ، ورااد الضالة •• اردد على ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك » (١) •

وفي رواية أخرى بلفظ : « اللهم راد الضالة وهادي الضلالة ، أنت تهدي من الضلالة ، اردد على ضالتي بقدرتك وسلطانك ، فانها من عطائك وفضلك » (٢) •

واحدراً أن تتشد الضالة في المسجد ، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشراء والبيع في المسجد وأن تتشد فيه الأشعار (٣) وأن تتشد فيه الضالة ، ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة » (٤) •

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سمع رجلاً يئشد ضالة في المسجد فليقل : لا ردها الله عليك ، فان المساجد لم تبين لهذا » (٥) •

\* \* \*

ومن الصلوات الأخرى التى أرجو أن تواظب عليها :

### صلاة الليل

فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » (٦) •

(١) أخرجه ابن أبى شيبة والحاكم وقال : رواه موثقون مذبون لا يعرف واحد منهم بجرح • (٢) أخرجه أحمد والطبرانى • (٣) الشعر المنهى عنه ما اشتغل على هجو مسلم أو مدح ظالم أو فحش ونحو ذلك ، أما ما كان حكمة أو مدحا للإسلام أو حفا على بر فلا بأس به •

(٤) رواه الخمسة وهم البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وصححه الترمذى • (٥) رواه مسلم •

(٦) قال الترمذى : هذا الحديث حسن • وهو بعض حديث أخرجه أيضا مسلم وأبو داوود والنسائى وابن خزيمة عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » •

وقد كان قيام الليل فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لقوله تعالى : « يا أيها الزمل (١) . قم الليل الا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا » (٢) .

ثم نسخ بقوله تعالى : « علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرأوا ما تيسر من القرآن » (٣) .

قال ابن عباس في تفسيره : قم الليل كله الا قليلا منه . فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وقاموا الليل كله ولم يعرفوا ما حد القليل ، فأنزل الله تعالى : « نصفه أو انقص منه قليلا » فاشتد ذلك أيضا عليهم وقاموا حتى انتفخت أقدامهم ، ففعلوا ذلك سنة ، فأنزل الله تعالى ناسختها فقال : « علم أن لن تحصوه » يعنى قيام الليل من الثلث والنصف ، وكان هذا قبل فرض الصلوات الخمس . . هـ .

وعن عكرمة أن ابن عباس قال في الزمل : « قم الليل الا قليلا . نصفه » نسختها الآية التي فيها : « علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرأوا ما تيسر من القرآن » (٤) .

وعن سماك الحنفي أن ابن عباس قال : لما نزلت أول الزمل كانوا يقرأون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها ، وكان بين أولها وآخرها سنة (٥) .

(١) أصله المتزمل أى المتلف بثيابه وهو وصف للنبي ﷺ .

(٢) أى خفف عنكم باسقاط فرض قيام الليل ، فالمراد بالتوبة : التوبة اللغوية وهى التخفيف — والآية من سورة الزمل : ١ — ٣ .

(٣) أى صلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل ولو ركعتين ، وعبر عن الصلاة بالقراءة ، لأنها بعض أركانها ، والأمر للندب . ويحتمل ابقاء القراءة على حقيقتها ، أى اقرأوا فى الصلاة ، فالأمر للوجوب ، أو فى غيرها والأمر للندب وبهذه القراءة تتلون ثواب القيام . نعم ابن عمرو بن العاص : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » .

أخرجه أبو داود — والآية من سورة الزمل : ٢٠ .

(٤) الأثر : أخرجه أبو داود والبيهقى .

(٥) أخرجه أبو داود والبيهقى ومحمد بن نصر .

وبهذا صار قيام الليل مندوبا في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمته (١) .

وبهذا قال الجمهور ، وحكى عن ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم ، وقال مالك : لم يزل قيام الليل فرضا في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عن ابن عباس والشافعي لظاهر قوله تعالى : « ومن الليل فتهدد به نافلة لك » (٢) أى فريضة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمتك .

والمعنى كما قال الجمهور : جعل التهجد نفلا في حقك زيادة لدرجاتك وشكراً منك لمولائك على ما أولاك . أما في حق الأمة فشرع تكفيرا للسيئات .

### \* \* \*

وقد ورد في فضل قيام الليل أحاديث شريفة منها :

حديث بلال : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة الى الله تعالى ، ومنهارة عن الاثم ، وتكفير للسيئات ، ومطرودة للداء عن الجسد » (٣) .

وحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل : أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ فقال : « الصلاة في جوف الليل » قيل : أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ قال : « شهر الله المحرم » (٤) .

وحديث أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وقام بالليل والناس نيام » (٥) .

(١) ويؤيده حديث رواه مسلم والنسائي والبيهقي ، قالت السيدة عائشة رضى الله عنها في آخره : « ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد أن كان فريضة » .

(٢) أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالتهجد وهو الصلاة ليلا بعد النوم .

— والآية من سورة الأنفال : ٧٩

(٣) أخرجه أحمد والبيهقي والترمذى والحاكم وقال : على شرط البخارى .

(٤) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائي .

(٥) أخرجه أحمد وابن حبان والبيهقي في الشعب والطبرانى في الكبير .

بسند رجاله ثقات .



وحدث عروة بن الزبير عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام حتى تنفطر (١) رجلاه . قالت عائشة : يا رسول الله .. أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « يا عائشة .. أفلا أكون عبدا شكورا » (٢) ؟

\* \* \*

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى تحافظ على قيام الليل والا كنت كهذا الرجل الذى بال الشيطان فى أذنه :

فقد روى فى حديث يونس عن الحسن عن أبى هريرة أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان فلانا نام البارحة ولم يصل شيئا حتى أصبح . فقال : « بال الشيطان فى أذنه » . قال يونس وقال الحسن : ان بوله والله ثقيل (٣) .

وحسبك بالاضافة الى هذا الفضل الذى وقفت عليه أنك بقيامك الليل وصلاتك فيه ستحل عقد الشيطان الثالث ، وستصبح نشيطا طيب النفس .

فقد روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا أصبح خبيث النفس كسلان » (٤) .

\* \* \*

هذا .. وقد اتفق العلماء على أن كل الليل وقت للتهجد وأن أفضله الثلث الأخير لأنه وقت الغفلة ونزول الرحمة واستجابة الدعاء . وقد اتفقوا كذلك على أنه ليس لصلاة الليل عدد مخصوص ، وأن العبد كلما زاد فيها ازداد أجره ، واختلفوا فيما فعله النبى صلى الله عليه وسلم واختاره لنفسه ، والغالب من أحواله صلى الله عليه وسلم

(١) أى تتشقق قدماه من طول القيام .

(٢) أخرجه احمد - الشيخان .

(٣) أخرجه احمد وأخرج الشيخان نحوه عن ابن مسعود .

(٤) أخرجه الشيخان وأبو داود .

• أنه كان يصلى بالليل إحدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة بالوتر .  
• وقد صلى تسعا وسبعاً لما كبر سنه .

فلاحظ كل هذا ، واعلم :

أن الأفضل في صلاة الليل أن تكون مثنى ويسن أن تفتتح  
بركعتين خفيفتين لينشط بهما لما بعدهما ، ثم يطيل القراءة والركوع  
والسجود ، وهو مخير ، القراءة بين الأسرار والجهر وهو أفضل  
ما لم يكن فيه ( تشويش ) على مصل أو نائم .

\*\*\*

وحتى تقف على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في صلاة  
الليل اليك هذا الحديث :

عن كريب مولى ابن عباس أنه أخبره أنه بات عند ميمونة زوج  
النبي صلى الله عليه وسلم - وهي خالته - قال : فاضطجعت في عرض  
الوسادة<sup>(١)</sup> واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها  
فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتصف الليل - أو قبله  
بقليل أو بعده بقليل - استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس  
ييمسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات خواتيم سورة آل عمران<sup>(٢)</sup>  
ثم قام إلى شن<sup>(٣)</sup> معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلى .  
قال ابن عباس : فقامت فصنعت مثل الذي صنع . ثم ذهبت فقامت  
إلى جنبه فوضع يده على رأسي وأخذ أذني ففعلها فصلى ركعتين  
ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر .  
ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج  
فصلى الصبح<sup>(٤)</sup> .

وقد ورد في صلاة الليل أذكار وأدعية منها :

حديث طاووس عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول : « اللهم لك الحمد

(١) الوسادة بكسر الواو : المخدة توضع تحت الرأس .

(٢) من قوله تعالى : « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل

والنهار آيات لاولى الاباب » ( الآية : ١٩٠ ) إلى آخر السورة .

(٣) الشن بفتح الشين وشد النون : القرية الخلق .

(٤) أخرجه احمد والشيخان .

وأنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيام<sup>(١)</sup> السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، والنبيون حق ، ومحمد — صلى الله عليه وسلم — حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت<sup>(٢)</sup> واليك حاكمت<sup>(٣)</sup> فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى<sup>(٤)</sup> أنت المقدم وأنت المؤخر ، أنت الذى لا اله الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بالله»<sup>(٥)</sup> .

وحديث ربيعة الجرشى قال : سألت عائشة فقالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا قام من الليل ؟ وبم كان يستفتح ؟ قالت : كان يكبر عشرا ، ويهلل عشرا ، ويستغفر عشرا ، ويقول : « اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى — عشرا — ويقول : اللهم انى أعوذ بك من الضيق يوم الحساب — عشرا — »<sup>(٦)</sup> .

\* \* \*

وكذلك يسن الاكثار من الدعاء والذكر والاستغفار فى كل ساعة من الليل ، ولا سيما النصف الأخير لقول جابر بن عبد الله : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه وذلك فى كل ليلة »<sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) قيام بالتشديد : أى قائم بشئون خلقه مدبرها ، وفى رواية : « قيوم » ، وفى أخرى : « قيم » .
- (٢) بك خاصمت : أى بما وهبت من البراهين والحجج ، خاصمت من عاند وكفرك بك .
- (٣) واليك حاكمت : أى جعلتك الحاكم بينى وبين من جحد الحق ، أو جعلت محاكمتى معه الى كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم لا الى غيرهما .
- (٤) سأل صلى الله عليه وسلم المغفرة وهو مغفور له ، تواضعا واجلالا لله تعالى ، وتعليلامته .
- (٥) أخرجه الجماعة .
- (٦) أخرجه أحمد والنسائى بسند جيد وابن حبان وصححه .
- (٧) أخرجه أحمد ومسلم .

ولحديث عمرو بن عبسة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :  
« أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر <sup>(١)</sup> ، فان استطعت  
أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن » <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وقد ورد في أذكار الليل أحاديث منها :

حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كان جنح <sup>(٣)</sup>  
الليل فكفوا صبيانكم ، فان الشياطين تنتشر حينئذ ، فاذا ذهبت ساعة  
من العشاء فخلوهم ، وأغلق بابك واذكر اسم الله ، وأطفئ مصباحك  
واذكر اسم الله ، وأوك سقاءك واذكر اسم الله ، وخر اناءك <sup>(٤)</sup>  
واذكر اسم الله ، ولو أن تعرض عليه شيئاً <sup>(٥)</sup> .

والمعنى كما قال في « الدين الخالص » :

امنعوا الصبيان من الخروج في أول الليل ، وذلك لأنهم ملوثون  
بالنجاسة التي يلوذ بها الشيطان ، ولأنهم لا يأتون بالذكر الذي يحفظ  
به الانسان من الشياطين الذين ينتشرون حين ظلمة الليل ، فاذا ذهبت  
ساعة من العشاء اشغل كل منهم ومضى الى ما قدر له التشاغل به .

وحديث ابن مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة <sup>(٦)</sup> في ليلته كفتاه <sup>(٧)</sup> » <sup>(٨)</sup> .  
وحديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فشق  
ذلك عليهم وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « الله الواحد  
الصمد ثلث القرآن » <sup>(٩)</sup> .

- 
- (١) أى حال تكون فيه رحمة الرب قريباً من العبد آخر الليل .  
(٢) أخرجه النسائي وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح على شرط  
مسلم والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .  
(٣) يعنى طائفة من الليل . (٤) تخمير الاناء : تغطيته .  
(٥) أخرجه الجماعة .  
(٦) هما قوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون »  
(البقرة : ٢٨٥) الى آخر السورة .  
(٧) وكفتاه بتخفيف الفاء : أى اغنتاه عن قيام تلك الليلة بالقرآن ،  
ووقتاه من كل سوء ومكروه . (٨) أخرجه الجماعة .  
(٩) أى سورة الاخلاص ، وأخرجه مالك والشيخان والنسائي  
وأبو داود .

وحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ مائة آية كتب من القانتين » (١) .

وحديث بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائة آية كتب له قنوت ليلة ، ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين ، ومن قرأ أربعمائة آية كتب من العابدين ، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من الحافظين ، ومن قرأ ستمائة آية كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثمانمائة آية كتب من المختبين (٢) ومن قرأ ألف آية أصبح له قنطار ، والقنطار ألف ومائة أوقية ، والأوقية خير مما بين السماء والأرض — أو قال : خير مما طلعت عليه الشمس — ومن قرأ ألفي آية كان من المؤمنين » (٣) .

وفي الباب أحاديث كثيرة كلها تدل على فضل قراءة القرآن في جوف الليل ولا سيما من سورة البقرة ، وآية الكرسي ، وسورة يس ، وحلم الدخان ، وألم تنزيل السجدة ، وسورة تبارك .

\* \* \*

فلا تنس كل هذا وكن منفاذا له حتى تكون من الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم في قوله :

« تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » (٤) .

\* \* \*

ولا تنس أبا الاسلام بعد هذا العرض الحيوى الذى أرجو أن تكون قد انتفعت به :

### صلاة التوبة

التي ورد في شأنها :

عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم

(١) أخرجه الحاكم صححه .

(٢) المختب : من الاخبات وهو التواضع .

(٣) أخرجه أحمد والنسائي ، وأخرجه الطبراني عن ابي امامة

وفيه : « ومن قرأ في ليلة ألفي آية كان من الموجبين » أى الذين وجبت لهم الجنة .

(٤) السجدة : ١٦ ، ١٧

(٤٨) — من وصايا الرسول (

يصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر له الله . ثم قرأ : « **والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله** » (١) الآية .

وفي رواية أخرى : عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب الا غفر الله له » .

وعن الحسن البصرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أذنب عبد ذنباً ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى براز من الأرض (٢) فصلى فيه ركعتين واستغفر الله من ذلك الذنب الا غفر الله له » (٣) .

\* \* \*

فاذا كنت أخا الاسلام قد أذنبت ذنباً فإنه يسن لك كما قرأت في هذه النصوص الشريفة : أن تتطهر وتصلى ركعتين ثم تستغفر الله مما جنت يدك ليغفر الله لك .

وحسبك هذه الآية الكريمة التي وقفت عليها في الحديث الأول :

فقد روى أنها نزلت لما قال المؤمنون : يا رسول الله . . . كانت بنو اسرائيل أكرم على الله منا ، كان أحدهم اذا أذنب ذنباً أصبح وكفارة ذنبه مكتوبة في عتبه بابه : اجدع أنفك أو أذنبك افعل كذا أو كذا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية (٤) .

وقال عطاء : نزلت في أبي معبد التمار ، أتهت امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال : هذا التمر ليس بجيد ، وفي البيت أجود منه ، فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها . فقالت له : اتق الله . فتركها وندم على ذلك ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له أمره فنزلت هذه الآية .

« **والذين اذا فعلوا فاحشة** » أى فعلة قبيحة لم يأذن الله بها ، والفاحشة فى الأصل تطلق على كل معصية ، والمراد بها هنا الزنا

(١) تمام الآية : « . . . فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ،

ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ( آل عمران : ١٣٥ ) .

(٢) البراز بفتح الباء وكسرهما : الفضاء الواسع ، وقيل الصحراء البارزة

(٣) أخرجه البيهقى مرسلًا . (٤) قاله ابن مسعود .

« أو ظلموا أنفسهم » باقتراف ذنب آخر • وقيل الفاحشة : الكبيرة ، وظلم النفس : الصغيرة « ذكروا الله » أى تذكروا وعيده وأنه سائلهم ومحاسبهم ، أو ذكروا الله باللسان « فاستغفروا لذنوبهم » أى طلبوا مغفرتها من الله « ومن يغفر الذنوب الا الله » استفهام انكارى بمعنى النفس • أى لا يغفرها أحد سواه ، فعن الأسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بأسير فقال : اللهم انى أتوب اليك ولا أتوب الى محمد • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عرف الحق لأهله » (١) « ولم يصروا على ما فعلوا » أى لم يستمروا على المعصية ولم يعزموا على الرجوع الى الذنب « وهم يعلمون » قبحه ، وأن من تاب قبل الله توبته ، فهم كلما ارتكبوا ذنبا تابوا منه • فعن أبى نصره سالم ابن عبيد عن مولى لأبى بكر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أصر من استغفر ان عاد في اليوم سبعين مرة » (٢) •

\* \* \*

فاذكر كل هذا أخا الاسلام وكن من الذاكرين الله المستغفرين  
لذنوبهم •

ولا تكن من المصرين على المعصية فتكون من الهالكين •

فعن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر : « ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر لكم ، ويل لأقماع (٣) القول ، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا . وهم يعلمون » (٤) •

(١) أخرجه أحمد •

(٢) أخرجه أبو داود وأبو يعلى والبزار وابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقى فى الشعب بسند حسن •

(٣) جمع تمع وهو الاتاء الذى يترك فى رؤوس الظروف لتبلاً بالمائعات ، وقد شبه اسماع الذين يستمعون القول ولا يعونه ويحفظونه ولا يعملون به بالاقماع التى لا تمى شيئاً مما يفرغ فيها •

(٤) أخرجه أحمد والبخارى فى « الادب » والبيهقى والطبرانى بسند

وحسبك حتى تتوب الى الله سبحانه وتعالى توبة نصوحا<sup>(١)</sup> وتكثر من الاستغفار أن تقرأ هذه الآيات الثلاث التي تؤكد فرضية التوبة من الذنب سواء أكان صغيرا أو كبيرا وهي :

- « يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا »<sup>(٢)</sup> .
- « وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »<sup>(٣)</sup> .
- « وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ... »<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

بل وحسبك كذلك هذه الأحاديث التي ستري من خلالها أهمية التوبة ونتائجها وضرورة التعجيل بها قبل فوات هذه الفرصة التي لازلت تتمتع بها وهي تواجدك في هذه الحياة الأولى .

عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال ابليس : يا رب .. وعزتك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني »<sup>(٥)</sup> .

وعن أنس : جاء رجل فقال : يا رسول الله .. انى أذنبت ذنبا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أذنبت فاستغفر ربك — فقالها في الرابعة — وقال : استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور »<sup>(٦)</sup> .

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، تاب الله عليه »<sup>(٧)</sup> .  
وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الاثابة »<sup>(٨)</sup> .

(١) التوبة التصوح : هي الصادقة الخالصة بان يتوب عن الذنب فلا يعود اليه أبدا . فقد قال أبى بن كعب : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التوبة النصوح فقال : « التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندايمك منه ثم لا تعود اليه أبدا » . أخرجه ابن أبى حاتم وابن مردويه .

(٢) التحريم : ٨

(٤) هود : ٣

(٣) النور : ٣١

(٥) أخرجه أحمد وابن كثير . (٦) أخرجه البزار وابن كثير .

(٧) أخرجه مسلم .

(٨) أخرجه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .



وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل بني آدم خطأ وخير الخطائين التوابون » (١) .

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم كالمستهزىء بربه ، ومن آذى مسلما كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل » (٢) .  
وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرر » (٣) .

وقال رجل من ملحان يقال له أيوب : سمعت عبد الله بن عمر يقول : « من تاب قبل موته بعام تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بجمعة تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه . فقلت له : انما قال الله : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » فقال : انما أحدثك ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٤) .

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعاله من الأرض حتى يلقي الله وليس عليه شاهد من الله بذنب » (٥) .

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى لا تياس من رحمة الله .  
وحسبك في النهاية أن تذكر قول ابن مسعود رضى الله عنه :  
ان في كتاب الله لآيتين ما أذنب عبد ذنبا فقراهما فاستغفر الله الا غفر له :  
« والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ... » الآية وقوله :  
« ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا » (٦) .

\* \* \*

- 
- (١) أخرجه احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم .  
(٢) أخرجه البيهقى وابن عساکر .  
(٣) أخرجه ابن مردويه وابن كثير .  
(٤) أخرجه ابو داوود والطيالسى وابن كثير — والآية من سورة النساء : ١٧ .  
(٥) أخرجه ابن عساکر .  
(٦) أخرجه سعيد بن منصور وابن ابى شيبة والطبرانى والبيهقى ، والآية الاولى من سورة آل عمران : ١٣٥ ، والثانية من سورة النساء : ١١٠ .

وحتى لا تمكن الشيطان منك وتكون في حصانة من وسوسته  
وكيده ، وحتى تحمل سلاح الاستغفار ضده ، اليك أيضا هذين الحديثين :  
عن عطاء بن خالد قال : بلغني أنه لما نزل قول الله تعالى :  
« ومن يَغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا » (١) صاح ابليس  
بجنوده وحثا على رأسه التراب ، ودعا بالويل والثبور حتى جاءت  
جنوده من كل بر وبحر • فقالوا : مالك يا سيدنا ؟ قال : آية نزلت  
في كتاب الله لا يضر بعدها أحدا من بنى آدم ذنب • قالوا : ما هي ؟  
فأخبرهم ، قالوا : نفتح لهم باب الأهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون  
ولا يرون الا أنهم على الحق ، فرضى منهم بذلك (٢) •

وعن عثمان بن مطرف قال : حدثنا عبد الغفور عن أبي نضرة  
عن أبي رجاء عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : « عليكم بلا اله الا الله والاستغفار ، فأكثروا منها ،  
فان ابليس قال : أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا اله الا الله  
والاستغفار • فلما فعلوا ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم  
مهتدون » (٣) فـ :

ان كنت أذنبت فقم واعتذر الى كريم يقبل الاعتذار  
وانهض الى مولى عظيم الرجا يغفر بالليل ذنوب النهار

\* \* \*

وإذا كنت يا أخا الاسلام قد وقفت على أهم وأصح ما ورد من  
الصلوات المشروعة التي ذكرتها لك تباعا بعد ذكر صلاة التسبيح والتي  
ختمتها بصلاة التوبة التي تتصل اتصالا وثيقا بصلاة التسبيح التي  
تكفر كما عرفت عشرة أنواع من الذنوب :

فهناك صلوات أخرى : غير مشروعة أرجو كذلك أن تقف عليها  
اتماما للفائدة وهي اجمالا احدى وعشرون ، وهي :

(١) آل عمران : ١٢٥ (٢) أخرجه الحكيم الترمذى .

(٣) أخرجه أبو يعلى وابن كثير وقال : عثمان بن مطرف وشيخه

## الموضوع في الرواتب :

- ومنها : من لم يداوم على أربع قبل الظهر لم تنله شفاعتي (١) .
- ومنها : من صلى ركعتين بعد ركعتي المغرب بالفاتحة والاخلاص خمس عشرة مرة فله كذا (٢) .
- ومنها : وركعتان بعد المغرب في الأولى الاخلاص خمسا وعشرين مرة وفي الثانية احدى وثلاثين مرة (٣) .
- ومنها : وركعتان بعد العشاء بالاخلاص عشرين مرة (٤) .
- ومنها : والوتر في أول الليلة سخطة للشيطان ، وأكل بسحور مرضاة للرحمن (٥) .

## وصلاة ليلة الجمعة ويومها :

فقد قيل في ذلك ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ في كل واحدة منهما بفاتحة الكتاب مرة ، واذا زلزلت خمس عشرة مرة ، هون الله عليه سكرات الموت ويسر الله له الجواز على الصراط يوم القيامة (٦) .

من صلى يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في أول ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة واحدة وخمسا وعشرين مرة قل أعوذ برب الفلق • وفي الركعة الثانية يقرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الناس خمسا وعشرين مرة فاذا سلم قال : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خمسين مرة • فلا يخرج من الدنيا حتى يرى الله عز وجل في المنام ، ويرى مكانه في الجنة أو يرى له (٧) .

(١) قال النووي : لا أصل له .

(٢) قال ابن حجر : هذا متن موضوع .

(٣) فيه سليمان بن سلمة متهم . (٤) فيه أبو سلمان يكذب .

(٥) وضعفه إبان بن جعفر البصرى ، وقد وضع على أبى حنيفة أكثر من ثلثمائة حديث مما لم يحدث به أبو حنيفة .

(٦) قال السيوطى في اللآلئ : أورده الحافظ ابن حجر في أماليه وقال :

غريب وسنده ضعيف فيه من لا يعرف .

(٧) قال السيوطى : موضوع وفيه مجاهيل .

### وصلاة ليلة السبت ويومه :

فقد قيل في ذلك ما لم يثبت ومنه :  
 من صلى ليلة السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب  
 مرة وقل هو الله أحد خمسا وعشرين ، حرم الله جسده على النار (١) .

### وصلاة ليلة الأحد ويومه :

وقد قيل في ذلك ما لم يثبت ومنه :  
 من صلى ليلة الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب  
 مرة وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ، أعطاه الله يوم القيامة ثواب  
 من قرأ القرآن عشر مرات (٢) .

### وصلاة ليلة الاثنين ويومه :

وقد قيل في ذلك ما لم يثبت ومنه :  
 من صلى ليلة الاثنين ست ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب  
 مرة ، وعشرين مرة قل هو الله أحد ، ويستغفر بعد ذلك سبع مرات ،  
 أعطاه الله يوم القيامة ثواب ألف صديق وألف عابد (٣) .

### وصلاة ليلة الثلاثاء ويومه :

قال في « التذكرة » : وفي ليلة الثلاثاء ركعتان بالاخلاص والمودتين  
 خمس عشرة مرة ، وروى أربع ركعات ، والكل باطل .  
 وفي يومه عشر ركعات بآية الكرسي مرة ، والاخلاص ثلاثا .  
 ضعيف اه .

### وصلاة ليلة الأربعاء ويومه :

قال في « التذكرة » : وفي ليلة الأربعاء ست ركعات بقل اللهم (٤)  
 ضعيف جدا . وروى أربع وثلاثين ركعة ، والكل باطل .  
 وفي يومه اثنتى عشرة ركعة بآية الكرسي مرة ، والاخلاص مرة ،  
 والاخلاص والمودتين ثلاثا . في سنده كذاب .

(١) قال السيوطى : موضوع ، وغالب رواه مجهولون .

(٢) قال السيوطى : موضوع مظلم الاسناد عامة من فيه مجهول .

(٣) قال السيوطى : موضوع .

(٤) أى بآية : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء .. » .

### وصلاة ليلة الخميس ويومه :

قال في « التذكرة » : وليلة الخميس ركعتان بآية الكرسي والاحلاص  
والمعوذتين خمسا خمسا . ضعيف جدا .  
وفي يومه ركعتان بآية الكرسي مائة في الأولى وبالاحلاص مائة في  
الثانية . ضعيف .

وفي « الذيل » : ركعتان ليلة الخميس بين المغرب والعشاء بآية  
الكرسي والاحلاص والكافرون والمعوذتين كل خمس مرات ، تؤديان  
حق الوالدين وان لم يبرهما . فيه عاصم بن مفرس متروك اه . ملخصا .

### وصلاة الأوابين :

وهي عشرون ركعة بعد المغرب ، وقد ورد في الرواتب الترغيب  
في التنفل بين المغرب والعشاء .  
قال في « الدين الخالص » (١) :

ويندب صلاة أربع ركعات بعد صلاة المغرب تضم الى المؤكنتين  
لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى بعد  
المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتي  
عشرة سنة » (٢) .

وقد ورد الترغيب في التنفل بعد المغرب والعشاء في عدة أحاديث  
منها : حديث قتادة عن أنس بن مالك في قوله تعالى : « كانوا قليلا من  
الليل ما يجمعون » (٣) قال : كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء وكذلك  
« تتجافى جنوبهم عن المضاجع » (٤) أخرجه أبو داود . وأخرجه  
ابن مردويه في تفسيره من رواية الحارث بن وحيه ، قال : سمعت مالك  
ابن دينار قال : سألت أنس بن مالك عن قوله : « تتجافى جنوبهم عن  
المضاجع » فقال : كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة ، فأُنزل  
الله فيهم : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » ، والحارث بن وحيه

(١) الجزء الثاني ص ٣٣٣

(٢) أخرجه ابن ماجه وابن خزيمة والترمذي وقال : حديث غريب  
لا نعرفه الا من حديث زين بن الحباب .. قال البخارى : منكر الحديث  
وضعفه جدا .

(٤) السجدة : ١٦

(٣) الذاريات : ١٧

ضعيف ، ثم قال في « الدين الخالص » : وفي المقام روايات كثيرة ، وإذا كان أكثرها فيه مقال ولكن لكثرتها يقوى بعضها بعضا ولا سيما أن المقام مقام فضائل أعمال .

وأما التحديد بعشرين ركعة وترتيب ثواب خاص عليها فقد قيل به ، ولكنه لم يثبت ، ومنه :

عن يعقوب بن الوليد المدائني عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعا : من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله له بيتا في الجنة .

• ويعقوب كذبه أحمد وغيره .

### • وصلاة الغفلة :

وقد قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

يا سلمان •• ما من عبد يقوم في ظلمة وغفلة الناس فيستاك ويتوضأ ويمشط رأسه ولحيته ويصلى ركعتين •• الخ ، قال السيوطي : موضوع فيه مجاهيل .

وفي قال « التذكرة » : أربع ركعات في ظلمة الليل بأربع قلائل (١) موضوع .

### • وصلاة عاشوراء :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى يوم عاشوراء ما بين الظهر والعصر أربعين ركعة ••• الخ (٢) .

### • وصلاة رجب :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى المغرب أول ليلة من رجب ، ثم صلى بعدها عشرين ركعة •• الخ (٣) .

(١) المراد بالقليل : قل هو الله أحد ، والمعونتان .

(٢) قال السيوطي : موضوع ورواته مجاهيل .

(٣) قال السيوطي : موضوع وأكثر رواته مجاهيل .

### وصلاة نصف شعبان :

قل فيها ما لم يثبت ومنه :

يا على ٠٠ من صلى مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان ٠٠٠ الخ<sup>(١)</sup>

### وصلاة الفطر ويومه :

قل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة الفطر مائة ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد مرة ،

وقل هو الله أحد عشر ٠٠٠ الخ<sup>(٢)</sup> .

### وصلاة يوم عرفة :

قل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ في كل

ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة ٠٠ الخ<sup>(٣)</sup> .

### وصلاة ليلة النحر ويومه :

قل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة النحر ركعتين يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب خمس

عشرة مرة ٠٠ الخ<sup>(٤)</sup> .

### وصلاة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم :

قل فيها ما لم يثبت ومنه :

ما من مؤمن يصلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة

الكتاب وخمسا وعشرين مرة قل هو الله أحد ثم يسلم . ثم يقول ألف

مرة صلى الله على محمد النبي الأُمى فانه يرانى فى المنام ، ومن رانى

غفر الله له ذنوبه<sup>(٥)</sup> .

### وصلاة حفظ القرآن :

قل فيها ما لم يثبت من طريق صحيح ومنه :

حديث أخرجه الطبرانى عن محمد بن ابراهيم القرشى : حدثنا

صالح عن عكرمة بن عباس قال : قال على بن أبى طالب : يا رسول الله ٠٠

(١) قال السيوطى : ليس عليها اثاره صدق .

(٢) قال السيوطى : موضوع فيه جماعة لا يعرفون .

(٣) قال السيوطى : موضوع فيه ضعفاء ومجاهيل .

(٤) قال السيوطى : عن راويه وهو أحمد بن محمد انه غلام وضاع .

(٥) قال السيوطى : ولا يصح ونفيه مجاهيل .

ان القرآن ثقلت من صدري فقال : ألا أعلمك كلمات يتفعلك الله بهن وينفع بهن من علمهن ؟ قال : بلى بأبى أنت وأمى ، قال : صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس ٠٠٠ الخ هذا الحديث الذي قال عنه السيوطي : لا يصح ، محمد بن ابراهيم مجروح ، وأبو صالح اسحاق بن نجيع متروك •

### وصلاة قضاء الدين :

قال في « التذكرة » : علمني جبريل دعاء قضاء الدين فقال : من أصابه دين فليتوضأ وليصل اذا زالت الشمس أربع ركعات • الخ ، هذا الحديث الذي قال في آخره : من نسخة نبيط بن شريك كذاب •

### وصلاة الهداية أو الفدية عن الميت :

وهي ركعتان تصليان في أول ليلة بعد دفن الميت ، ثم يدعو بهذا الدعاء : اللهم انى صليت هذه الصلاة وأنت أعلم ما أريد • اللهم ابعث ثوابها الى قبر فلان ابن فلان ، ويسمى الميت ، وهذه الصلاة لا أصل لها ولم يرد بها حديث •

### وصلاة الكفاية :

وقد ورد فيها حديث موضوع ، وصفتها : أن يصلى ركعتين ، يقرأ في كل ركعة الفاتحة وقل هو الله أحد خمس مرات ، والقدر خمس مرات • الخ • قال الشوكاني في شرحه : وهو حديث مكذوب •

\* \* \*

فلا تنس كل هذا أذا الاسلام حتى لا تكون من المبتدعين الأخرين أعمالا : « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (١) •

\* \* \*

وحسبك ترغيبا لك في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك تعالي « (٠٠٠) واتبعوه لعلكم تهتدون » (٢) •



وقوله : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويفر  
لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم » (١) .

وقوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ،  
واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب » (٢) .

بل وحسبك كذلك هذه الأحاديث :

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : « كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى » قالوا : يا رسول الله ..  
ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » (٣) .  
وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : « من أكل طيبا ، وعمل فى سنة ، وأمن الناس بوائقه دخل  
الجنة » قالوا : يا رسول الله .. ان هذا فى أمتك اليوم كثير ، قال :  
« وسيكون فى قوم بعدى » (٤) .

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » (٥) .

وعن عباس بن ربيع قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
يقبل الحجر — يعنى الأسود — ويقول : انى لأعلم أنك حجر لا تضر  
ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك  
ما قبلتك » (٦) .

وعن طائىق بن شهاب قال : قال رجل من اليهود لعمر : يا أمير  
المؤمنين .. لو أن علينا نزلت هذه الآية : « اليوم أكملت لكم دينكم  
وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (٧) لاتخذنا ذلك  
اليوم عيدا ، فقال عمر : انى لأعلم أى يوم نزلت هذه الآية . نزلت  
يوم عرفة فى يوم الجمعة (٨) .

\* \* \*

(٢) الحشر : ٧

(١) آل عمران : ٢١

(٤) رواه الحاكم وصححه .

(٣) رواه البخارى .

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود .

(٧) المائدة : ٣

(٦) رواه البخارى . وسلم .

(٨) رواه البخارى ، وهذا الحديث يؤكد أن الآية نزلت فى يوم عيد

فعلا من وجهين : لأنه يوم عرفة ، ويوم جمعة فقد اتخذناه عيدا . وهذا هو  
ما أراد سيدنا عمر أن يلفت نظر اليهودى اليه .

وكذلك اليك هذه الأقوال الموضوعية المأثورة عن الأئمة الأعلام  
الذين تبرأوا من كل عقيدة فاسدة وبدعة في العبادة :

فقالوا لأصحابهم : خذوا العلم من حيث أخذنا - أي من الكتاب  
والسنة .

وقالوا : ليس لأحد كلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،  
لأن الله لم يجعل لأحد معه كلاما ، وجعل قوله يقطع كل قول .

وقال الامام مالك رحمه الله : من استحسن بدعة فقد زعم أن  
محمدا خان الرسالة . وقال : ما لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه  
وسلم ديننا لم يكن اليوم ديننا .

وقال الامام الشافعي رحمه الله في رسالته : اذا وجدتم قولى  
يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاعملوا بقول  
رسول الله صلى الله عليه وسلم واضربوا بقولى عرض الحائط .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال ، كما ورد في الحديث  
الشريف : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » (١) .  
فحسبك هذا .

مع ملاحظة أن السنة هي : فعله وقوله وتقريره صلى الله عليه  
وسلم .

فكن من أهلها تكن من الذين يحبهم الرسول صلى الله عليه وسلم ،  
كما جاء في قوله : « من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى  
في الجنة » (٢) .

\* \* \*

(١) روى عن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .  
وهو حديث حسن صحيح .

(٢) من حديث رواه الترمذى بسند حسن .

# الْوَصِيَّةُ الْحَاوِيَّةُ وَالسَّلَاثُونَ

عن أبي ذر الغفارى رضى الله عنه قال : أوصانى  
خيلى — صلى الله عليه وسلم — بأربع كلمات هن الى  
أحب من الدنيا وما فيها ، قال لى :  
« يا أبا ذر .. أحكم السفينة فان البحر عميق ،  
واستكثر الزاد فان السفر طويل ، وخفف ظهرك فان العقبة  
كؤود ، وأخلص العمل فان الناقد بصير » •  
(رواه الامام المقدسى)

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

منتقما بهذه الوصية العظيمة التى ان تعمقت فى فهمها ووقفت  
على ما فيها من أبعاد كأبى ذر رضى الله عنه ، وغيره وغيرك من  
العقلاء ، لتبين لك كما تبين له ولهم قبل ذلك أنها ركزت على أهم  
أسباب الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة •  
ولقد رأيتنى وأنا أقرأ فى عناصر هذه الوصية المحمدية أخاطب نفسى  
قائلا بعد الصلاة والسلام على معلم البشرية جمعاء صلوات الله  
وسلامه عليه :

ألا يكفى أحدنا أن يعمل بوصية كهذه اذا أراد الفوز والسعادة  
فى عالم الدنيا والآخرة ، ويوم العرض على رب الأرباب سبحانه وتعالى •  
ألا يكفى أحدنا أن يجعل من هذه الوصية بالذات سراجا منيرا  
يضىء له الطريق الى الله سبحانه وتعالى حتى يلقاه •  
ألا يكفى أحدنا أن يعرض نفسه على كل عنصر من عناصر هذه  
الوصية حتى يتبين له اذا كان فى حاجة اليها أم لا ، وحتى يعمل  
بعد ذلك وبكل ما أوتى من اخلاص ومحبة لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم على تنفيذ كل عنصر فيها وبكل صفاء ووفاء حتى يكون أهلا لهذه  
الوصية وأخواتها من وصايا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه ، الذى لا  
« ينطق عن الهوى • ان هو الا وحي يوحى » (١) •

\* \* \*

وحتى لا أطيل عليك فإليك ما استطعت بتوفيق من الله سبحانه وتعالى أن أعبر به عن فهمي المحدود لأبعاد هذه الوصية العظيمة التي يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضى الله عنه كما قرأت في نص الوصية التي يقول أبو ذر رضى الله عنه — راوى هذا الحديث — في أولها : أوصانى خليلي صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات هن البى أحب من الدنيا وما فيها ، قال لى : يا أبا ذر . . .

\* ( أحكم <sup>(١)</sup> السفينة فان البحر عميق ) : ولعل السفينة التي يوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بأحكامها هي : العمل الصالح ، ولعل البحر الذي يشير الرسول صلى الله عليه وسلم الى عمقه هو : الدنيا .

\* \* \*

وقد استنتجت هذا من قول سيدنا على رضى الله عنه :

ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا  
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا  
جعلوها لجة <sup>(٢)</sup> واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا  
كما استنتجت ذلك كذلك من وصية لقمانية يقول فيها سيدنا  
لقمان الحكيم لولده وهو يعظه :

« يا بنى . . . ان الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيه ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها الايمان بالله تعالى ، وشرعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا » .

\* \* \*

ولما كان هذا هو المعنى الذى استقر الرأى عليه ، فقد رأيت بعد استخارة الله تعالى أن أدور حوله بايجاز حتى أصل الى المعنى الكبير الذى أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوقفنا عليه فى شخص أبى ذر رضى الله عنه ، واذا كنت سأحاول هذا مستعينا بالله تعالى فحسبى أن أقول :

إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد شبه الدنيا فى هذه الوصية بالبحر العميق ، فهذا معناه أنها دار لا أمان فيها ولا استقرار ،

(٢) أى بحرا .

(١) من الاحكام وهو الاتقان .

ومثلها في ذلك كمثل البحر الذي لا أمان له ، فقد تراه تارة هادئا ، وقد تراه هائجا . وحول هذا المعنى يقول الشاعر :

\* تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن \*

ولهذا كان لا بد وأن يقف الانسان على خطورتها حتى لا يعتر بها ، ويقع في شباكها ، وقد رأيت في أول هذا العرض أن أقف معك على بعض ما قيل في شأنها حتى تكون على بصيرة بأمرها :

قال في « الاحياء » :

ان الدنيا عدوة لله ، وعدوة لأولياء الله ، وعدوة لأعداء الله :  
أما عداوتها لله : فانها قطعت الطريق على عباد الله ، ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها .

وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل : فانها تزينت لهم بزينتها ، وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها .

وأما عداوتها لأعداء الله : فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها ، فاقتنصتهم بشبكتها ، حتى وثقوا بها ، وعولوا عليها ، فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها ، فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ، ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد ، فهم على فراقها يتحسرون ، ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون ، بل يقال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون  
« أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » (١) .

ثم ذكر بعد ذلك بعض الأحاديث التي منها :

« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » (٢) .

« الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ما كان لله منها » (٣) .

« من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه .

فأثروا ما يبقى على ما يفنى » (٤) .

(١) البقرة : ٨٦

(٢) رواه مسلم من حديث ابي هريرة .

(٣) رواه الترمذي وحسنه ابن ماجه من حديث ابي هريرة وزاد :

( الا ذكر الله وما والاه وعالم يتعلم ) .

(٤) رواه احمد والبخاري والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه .

( ٤٩ - من وصايا الرسول )

« حب الدنيا رأس كل خطيئة » (١) •

« الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادى من لا علم له ، وعليها يحسد من لا فقه له ، ولها يسعى من لا يقين له » (٢) •

\* \* \*

ثم ذكر كذلك بعد ذلك أخبارا وآثارا منها :

قال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا ، أكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة ، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة •

يا معشر الحواريين •• انى قد كبت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى ، فان من خبت الدنيا أن عصى الله فيها ، وان من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك الا بتركها ، ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها ، واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ، ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا •

وقال أيضا : بطحت لكم الدنيا ، وجلستم على ظهرها ، فلا يناز عنكم فيها الملوك والنساء ، فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا ، فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم وديناهم ، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة •

وقال أيضا : الدنيا طالبة ومطلوبة ، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا ، حتى يستكمل رزقه • وطالب الدنيا تطلبه الآخرة ، حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه •

وقال داوود بن هلال : مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام : يا دنيا •• ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وترينت لهم ، انى قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك ، وما خلقت خلقا أهون على منك ، كل شأنك صغير والى الفناء يصير ، قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد ، وان بخل بك صاحبك وشح عليك ، طوبى للأبرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ، ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ، ما لهم عندى من الجزاء اذا وفدوا الى من

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا ، والبيهقى فى شعب الايمان

من طريقه من رواية الحسن مرسلًا •

(٢) رواه أحمد من حديث عائشة •

قبورهم الا النور يسعى امامهم ، والملائكة حافون بهم ، حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي •

وروى في أخبار آدم عليه السلام :

أنه لما أكل من الشجرة ، تحركت معدته لخروج السفل ، ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهى عن أكلها • قال : فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه ، فقال له : قل له أى شيء تريد ؟ قال آدم : أريد أن أضع ما في بطني من الأذى • فقيل للملك : قل له : في أى مكان تريد أن تضعه ؟ على الفرش ، أم على السرر ، أم على الأنهار ، أم تحت ظلال الأشجار ، هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ اهبط الى الدنيا •

وروى أن جبريل عليه السلام ، قال لنوح عليه السلام : يا أطول الأنبياء عمرا •• كيف وجدت الدنيا ؟ فقال : كدار لها بابان . دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر •

وقيل : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام : يا موسى •• مالك ولدان الظالمين ، انها ليست بدار ، أخرج منها همك ، وفارقها بعقلك فبئست الدار هي ، الا لعامل يعمل فيها ، فنعمت الدار هي يا موسى ، انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم •

وقل : وأوحى الله تعالى اليه أيضا : يا موسى •• لا تركز الى حب الدنيا ، فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها •

\* \* \*

أما الآثار فقد ذكر منها :

قال على رضى الله عنه : من جمع فيه ست خصال ، لم يدع للجنة مطلباً ، ولا عن النار مهرباً :

من عرف الله فإطاعه ، وعرف الشيطان فمصاه ، وعرف الحق فاتبه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها •

وقال الحسن رحمه الله : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة

فأدوها الا من ائتمنهم عليها • ثم راحوا خفافا •

وقال أيضا رحمه الله : من نأفك في دينك فنأفك ، ومن نأفك

في دنياك فآلتها في نحره •

وقال بعض الحكماء : انك لن تصبح في شيء من الدنيا ، الا وقد كان له أهل قبلك ، وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا ، الا عشاء ليلة وغذاء يوم فلا تهلك في أكلة ، وصم عن الدنيا وأغطر على الآخرة فان رأس مال الدنيا الهوى ، وربحها النار .

وقال أبو حازم : اياكم والدنيا ، فانه بلغنى أنه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا ، فيقال : هذا عظم ما حقره الله .

\*\*\*

فاذا كان هذا هو شأن الدنيا فهو دليل على حقارتها وخطورتها ورحم الله القائل :

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها  
فلم أرها الا غرورا وباطلا  
وما هي الا جيفة مستحيلة  
فان تجتنبها كنت سلما لأهلها  
فدع عنك فضلات الأمور فانها  
والقائل :

ألا انما الدنيا كأحلام نائم  
تأمل اذا ما نلت بالأمس لذة  
فكفم غافل عنه وليس بغافل  
وما خير عيش لا يكون بدائم  
فأفنيتهما هل أنت الا كمالم  
وكم نائم عنه وليس بنائم

\*\*\*

ولذا : كان لا بد وأن يعمل الانسان العاقل على النجاة منها  
ومن شرورها حتى لا يغرق في بحرها العميق الذي غرق فيه كثير  
من عبادها الذين تأثروا بها وبملاذاتها وأهوائها .

\*\*\*

واذا كان العمل الصالح هو سفينة النجاة فيها ، وهو كذلك  
سبيل النجاة في الدار الآخرة ، بدليل قوله تعالى :  
« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في  
الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى  
لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » (١) .



وقوله : « ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ » (١) .

وقوله : « فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ، ان ريك هو القوى العزيز » (٢) .

وقوله : « ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين » (٣) .  
وقوله : « ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننج المؤمنين » (٤) .

وقوله : « فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين » (٥) .

وقوله : « والعصر • ان الانسان لفي خسر • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (١) .

وبدليل قوله صلى الله عليه وسلم : عن أبي عبد الرحمن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم .

قال رجل منهم : اللهم •• كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أعقب قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أعقب قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدرح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه •  
وقال الآخر : اللهم •• انه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس الى — وفى رواية — : كنت أحبها كأشد ما يحب الرجل النساء فأردتها

(٢) هود : ٦٦

(٤) يونس : ١٠٣

(٦) سورة العصر •

(١) هود : ٥٨

(٣) هود : ٩٤

(٥) الانبياء : ٨٨

على نفسها فامتنعت منى حتى ألت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها  
عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا  
قدرت عليها - وفي رواية - : فلما قعدت بين رجلها قالت : اتق الله  
ولا تفض الخاتم الا بحقه . فانصرفت عنها وهي أحب الناس الى ،  
وتركت الذهب الذى أعطيتها ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك  
فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون  
الخروج .

وقال الثالث : اللهم . . استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل  
واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى  
بعد حين فقال : يا عبد الله . . أد الى أجرى ، فقلت : كل ما ترى من  
أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله . .  
لا تستهزئ بى ، فقلت : لا أستهزئ بك ، فأخذته كله فاستاقه فلم  
يترك منه شيئاً ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا  
ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» (١) .

وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » (٢)  
وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم  
قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة  
من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا  
والآخرة ، ومن ستر مسلماً ، ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى  
عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه  
علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من  
بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة  
وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ  
به عمله لم يسرع به نسبه » (٣) .

وإذا كان العمل الصالح الذى هو من أهم براهين الايمان : هو  
سفينة النجاة كما عرفت ، فكذلك التقوى هى سفينة النجاة أيضاً فى  
الدنيا والآخرة ، بدليل قول الله تعالى فى كتابه العزيز :

(٢) رواه مسلم بهذا اللفظ .

(١) (٢٠٤١) متفق عليهما .

- « وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » (١) •  
 « بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم  
 بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » (٢) •  
 « فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٣) :  
 « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » (٤) •  
 « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » (٥) •  
 « ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » (٦) •  
 « وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم  
 يحزنون » (٧) •  
 « ان المتقين في مقام أمين • في جنات وعيون » (٨) •

وبدليل قوله صلى الله عليه وسلم : عن أنس رضى الله عنه أن النبى  
 صلى الله عليه وسلم دخل على ثاب وهو فى الموت فقال : « كيف تجدك » ؟  
 قال : أرجو الله يا رسول الله وانى أخاف ذنوبى ، فقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الوطن  
 الا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف » (٩) •  
 وقوله : « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن  
 فى الضرع » (١٠) •

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : ما النجاة يا رسول الله ؟  
 فقال : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » (١١) •  
 وجاء فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه :  
 « سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله » : « ... ورجل ذكر  
 الله عز وجل خاليا ففاضت عيناه » (١٢) •

(٢) آل عمران : ١٢٥

(١) آل عمران : ١٢٠

(٤) الطلاق : ٢

(٣) الأعراف : ٣٥

(٦) مريم : ٧٢

(٥) النحل : ١٢٨

(٨) الدخان : ٥١ ، ٥٢

(٧) الزمر : ٦١

(٩) رواه الترمذى وقال : حديث غريب • وابن ماجه وابن أبى الدنيا •

(١٠) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، والنسائى وابن ماجه من

حديث أبى هريرة •

(١١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن •

(١٢) الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة •

ومعلوم أن الخوف من الله تعالى من أهم صفات المتقين ، كما جاء في وصف سيدنا علي رضي الله عنه للتقوى :

« التقوى : هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيه ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل » .

وهذا لا يمنع أن يباشر الانسان أعماله الدنيوية دون مخالفة لهذا النص ، ما دام القلب عامرا بالتقوى ، فقد ورد في هذا المعنى :

عن حنظلة قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا ، فرجعت الى أهلي ، فدننت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ، ثم تذكرت ما كنا فيه ، فقلت في نفسي قد ناققت حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة ، فخرجت وجعلت أنادي : نافق حنظلة . فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : كلا لم يناق حنظلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول : نافق حنظلة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا . . . لم يناق حنظلة » فقلت : يا رسول الله . . . كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، وعرفنا أنفسنا ، فرجعت الى أهلي فأخذت في حديث الدنيا ، ونسيت ما كنا عندك عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا حنظلة . . . لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » (١) .

\* \* \*

وإذا كانت السفينة كما عرفت هي الايمان وهي التقوى : فهما كذلك السبيل الى رعاية الله سبحانه وتعالى لك ، لأنك يوم أن تكون مؤمنا وتقياً ستكون من أولياء الله سبحانه وتعالى الذين تحدث عنهم في قوله :

« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » (٢) .

لأن الله سبحانه وتعالى عندئذ سيتولاك برعايته وتوفيقه فهو  
القائل سبحانه :

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين  
كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك  
أصحاب النار ، هم فيها خالدون » (١) •

• « ... والله ولى المؤمنين » (٢) • « ... والله ولى المتقين » (٣) •

\* \* \*

بل لن يتولاك الله وحدك برعايته ان كنت تقيا ، وانما سيتولى  
كذلك ذريتك من بعدك برعايته ، وفي ذلك يقول سبحانه :  
« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم  
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » (٤) •

\* \* \*

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، ولا تنس قول القائل المؤمن :

واذا العناية لاحظت عيونها نم فالخاوف كلهن أمان  
واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد شبه الدنيا كما عرفت  
بالبحر العميق الذى هو فى مجموعه بلايين قطرات الماء التى لا يعرف  
عددها الا الله ، فقد شبه الله سبحانه وتعالى كذلك الدنيا بالماء فقال :  
« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاخלט به نبات  
الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها  
وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها  
حصيدا كان لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يفتكرون » (٥) •  
« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كداء أنزلناه من السماء فاخلط  
به نبات الأرض فاصبح هشيمًا تذرؤه الرياح ، وكان الله على كل شيء  
مقتدرا » (٦) •

« اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر  
فى الاموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه

(٢) آل عمران : ٦٨

(٤) النساء : ٩

(٦) الكهف : ٤٥

(١) البقرة : ٢٥٧

(٣) الجاثية : ١٩

(٥) يونس : ٢٤

مصفرا ثم يكون حطاما ، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله  
ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور» (١) .

\* \* \*

فصبتك أن تقف على ما قاله الحكماء في هذا (٢) : وهو أن الله تعالى انما شبه الدنيا بالماء ، لأن الماء لا يستقر في موضع ، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحد ، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا ، ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفتنى . ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها ، ولأن الماء اذا كان بقدر كان نافعا منبئا ، واذا جاوز المقدار كان ضارا مهلكا ، كذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر ، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال له رجل : يا رسول الله .. انى أريد أن أكون من الفائزين ، فقال : « ذر الدنيا وخذ منها كالماء الراكد فان القليل منها يكفى والكثير منها يطنى » .

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » .  
واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أشار في الآية الأخيرة الى أن الدنيا : لعب ، ولهو ، وزينة ، وتفاخر ، وتكاثر في الأموال والأولاد . فالمنى كما قال بعض المتأخرين (٣) : أن الدنيا « لعب » كلعب الصبيان ، « ولهو » كلهو الفتيان ، « وزينة » كزينة النساء ، « وتفاخر » كتفاخر الأقران ، « وتكاثر » كتكاثر الدهقان (٤) .  
وقيل : المعنى أن الدنيا كهذه الأشياء في الزوال والفناء .

وعن على رضى الله عنه قال لعمار : لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة أشياء : مأكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومشموم ، ومركوب ، ومنكوح ، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة ، وأكثر شرابها الماء ويستوى فيه جميع الحيوان ، وأفضل ملبوسها الديباج (٥) .

(٢) القرطبي ج ٥ ص ٤٠٢٩

(١) الحديد : ٢٠

(٣) القرطبي ج ٧ ص ٦٤٢٥

(٤) دهقن الرجل وتدهقن أى : كثر ماله .

(٥) الديباج : أى الحرير .

وهو من نسج دودة ، وأفضل المسموم المسك وهو دم فأرة ، وأفضل  
المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال ، وأما المنكوح فالنساء وهو مبال  
في مبال ، والله ان المرأة لثنتين أحسنها يراد به أقبحها اهـ (١) .

\* \* \*

وإذا كان هذا هو مثل الدنيا فقد شبهت كذلك :  
بالظل المرتحل الذي لا بد من زواله ، وقد ورد في هذا المعنى  
عن الحسن رحمه الله أنه قال :

أحلام نوم أو كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع  
كما كان الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما يتمثل  
كثيرا بهذا البيت :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترار بظل زائل حمق  
ويقال ان أعرابيا نزل بقوم ، فقدموا اليه طعاما ، فأكل ثم قام  
الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة ، فأصابته الشمس ،  
فانتبه ثم قام وهو يقول :

ألا انما الدنيا كظل ثنية ولا بد يوما أن ظلك زائل  
وحول هذا المعنى يقول أحدهم :

وما دنياك الا مثل ظل أظلك ثم آذن بارتحال

وبخياالات المنام وأضغاث الأحلام : وقد قال في هذا يونس بن عبيد :  
ما شبهت نفسى في الدنيا الا كرجل نائم ، فرأى في منامه ما يكره وما يحب ،  
فبينما هو كذلك اذ انتبه ، فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ،  
فاذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا اليه ، وفرحوا به ، وقد سئل أحدهم :  
أى شيء أشبه بالدنيا ؟ فقال : أحلام النائم .

وبامرأة تترين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم .

وقد روى في هذا : أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا ، فرآها  
في صورة عجوز هتاء ، عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تروجت ؟  
قالت : لا أحصيهم ، قال : فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك ؟ قالت :  
بل كلهم قتلت . فقال عيسى عليه السلام : بؤسا لأزواجك الباقين ،  
كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين ؟ كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ،  
ولا يكونون منك على حذر ؟

وبالعجوز المترينة التي تغدع الناس بظاهاها ، فاذا ما وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها ، تمثل لهم قبائحها ، فندموا على اتباعها ، وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهاها .

وقد ورد في هذا عن العلاء بن زياد أنه قال : رأيت في المنام عجوزا كبيرة متعصبة الجلد ، وعليها من كل زينة الدنيا ، والناس عكوف عليها معجبون ، ينظرون اليها ، فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها ، واقبالهم عليها . فقلت لها : ويلك . . من أنت ؟ قالت : أو ما تعرفنى ؟ قلت : لا أدرى من أنت ؟ قالت : أنا الدنيا . قلت : أعوذ بالله من شرك . قالت : ان أحببت أن تعاذ من شرى فابغض الدرهم .

وقال أبو بكر بن عياش : رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها ، وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون ، فلما كانت بحذائي أقبلت على فقالت : لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ، ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم الى بغداد .

وبالحية ، في لين موردها ، وخشونة مصدرها :

وقد ورد في هذا : أن عليا رضى الله عنه كتب الى سلمان الفارسي . رضى الله عنه يقول له : مثل الدنيا مثل الحية ، لين مسها ، ويقتك . سمها ، فأعرض عما يعجبك منها ، لقله ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها ، بما أيقنت من فراقها ، وكن أسرا ما تكون فيها ، أحذر ما تكون لها ، فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور أشخصه عنه مكروه ، والسلام .

وبالماشى في الماء ، في تعذر الخلاص من تبعتها بعد الخوض فيها :

وقد ورد في هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انما مثل صاحب الدنيا كالمشى في الماء ، هل يستطيع الذي يمشى في الماء أن لا يتبل قدماه » (١) .

وهذا مثل المجلاء الذين ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا

(١) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن .



بأيديهم ، وقلوبهم منها مطهرة ، وعلائقها عن بواطنهم منقطعة ، وذلك مكيدة من الشيطان (١) .

وبشارب ماء البحر ، في علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك . وفي هذا يقول عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا ، مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شربا ، ازداد عطشا حتى يقتله .

وبشهوات الأطعمة في المعدة ، في نضارة أوائلها ، وخبث عواقبها : وقد ورد في هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر الى ما يخرج من ابن آدم والى قدحه وملحه الى ما يصير » (٢) .

وقال الحسن : رأيتهم يطيبونه بالأفاويه والطيب ، ثم يرمون به حيث رأيتم . وقد قال الله عز وجل : « فليُنظر الانسان الى طعامه » (٣) . قال ابن عباس : أى الى جيفه .

وقال رجل لابن عمر : انى أزيد أن أسألك وأستحي . قال : فلا تستح واسأل ، قال : اذا قضى أحدنا حاجته ، فقام ينظر الى ذلك منه ؟ قال : نعم ، ان الملك يقول له : انظر الى ما بخلت به ، انظر الى ماذا صار .

وكان بشر بن كعب يقول : انطلقوا حتى أريكم الدنيا ، فيذهب بهم الى مزبلة ، فيقول : انظروا الى ثمارهم ودجاجهم ، وعسلهم وسمنهم .



فلاحظ كل هذا أجا الإسلام حتى لا تغتر بالدنيا التي عرفت حقيقتها ، واعمل على احكام سفينتك بصورة تمكنها من مواجهة عواصف هذه الحياة بما فيها من أخطار وأوزار .

وحسبك حتى تؤسس سفينتك تأسيسا متينا كسفينة نوح عليه السلام ، حسبك أن تلتزم بنصيحة لقمان الحكيم لولده التي قال فيها — كما عرفت — بعد قوله : « يا بنى .. ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير » :

(١) هكذا قال صاحب « الإحياء » رحمه الله .

(٢) رواه الطبراني وابن حبان بلفظ : ( ان مطعم ابن آدم قد ضرب

للدنيا مثلا ) ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ : ( جعل ) .

(٣) عبس : ٢٤

قال بعد ذلك : « فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها  
 الايمان بالله تعالى ، وشراعها التوكل على الله عز وجل ، لعلك تنجو  
 وما أراك ناجيا » .

\* \* \*

وحتى تدرك أهمية هذا الكلام وضرورة العمل على تنفيذه بكل  
 دقة واصرار ، اليك هذه الاشارات التى أرجو أن تكون دائما وأبدا  
 متربعة على قلبك ، لعلك تنجو :

الايمان بالله تعالى هو : اعتقاد وجوده سبحانه وتعالى متصفا  
 بكل كمال يليق بجلاله ، منزها عن كل نقص ، وأنه قادر على ايجاد  
 الممكن واعدامه .

والتصديق والاذعان بأن كل ما قدره الله فى الأزل لابد من وقوعه  
 وما لم يقدر يستحيل وقوعه ، وبأنه تعالى قدر الخير والشر قبل  
 خلق الخلق .

وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره .  
 وأنه تعالى متصف بصفات الجلال والكمال التى تليق بعظمته  
 تعالى الوارد فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة .  
 وأنه تعالى منزه عن كل نقص ، وعن مشابهة الحوادث تعالى الله  
 عن ذلك علوا كبيرا .

وكذلك من الايمان : أن تؤمن بوجود الملائكة ، وأنهم مكرمون  
 لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون  
 ما يؤمرون .

وأن تصدق بأن الله كتبنا أنزلها على بعض رسله الكرام عليهم  
 الصلاة والسلام ، منها :

القرآن وهو أفضلها أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،  
 والانجيل على سيدنا عيسى ، والتوراة أنزلت على سيدنا موسى ،  
 والزبور أنزل على سيدنا داوود ، وصحف سيدنا ابراهيم وموسى  
 عليهم جميعا الصلاة والسلام .

وأن تؤمن بأن الله تعالى أرسل رسلا من البشر مبشرين الطائعين  
 بالجنة ، ومنذرين المخالفين بالمعذاب الأليم ، متصفين بما يليق بهم  
 من صدق وتبليغ وخطانة ، وما لا يؤدي الى نقص فى مراتبهم العلية

ولا إلى نفرة الناس عنهم ، متزهين عما لا يليق بمقامهم من كذب وخيانة وكتمان وبلادة .

وأن تؤمن كذلك باليوم الآخر : وهو يوم القيامة الذي أوله من الموت أو البعث ، وبما اشتمل عليه من سؤال القبر وعذابه ونعيمه وبعث وحشر وميزان ونشر كتب الأعمال وتعليقها في الأعناق وأخذها باليمين لقوم والشمال لآخرين وقراءة كل كتابه ، وما إلى ذلك (١) .

وهذا هو ما أجاب به الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الايمان وكان السائل هو سيدنا جبريل عليه السلام فقال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » (٢) .

\* \* \*

والذي يعيننا الآن بعد هذا ، التركيز الموضوعي عن الايمان جملة : هو الايمان بوجود الله سبحانه وتعالى ايماناً راسخاً لا تزلزله الأحداث ، ولا تؤثر فيه بوادر الالحاد ، وانما يظل صامداً بكل اعتزاز وافتخار في مواجهة الملاحدة والمنحرفين عن طريق الحق « حتى يتبين لهم أنه الحق » وأنه سبحانه وتعالى خالق الوجود ، والملك الحق المعبود ، الذي يقول وقوله الحق : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (٣) .

\* \* \*

وحسبى ونحن في صدد الحديث عن وجود الله سبحانه وتعالى ، أن نقرأ سوياً هذه الأدلة المنطقية والعقلية على وجوده سبحانه وتعالى ، التي تحكى (٤) :

أن جعفر الصادق رضى الله عنه جادله بعض الزنادقة في وجود الله ، فقال جعفر للزنديق المجادل :

(١) اقرأ كل هذا تفصيلاً في الجزء الأول من « الدين الخالص » .

(٢) من حديث أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي .

(٣) فصلت : ٥٣

(٤) التي ذكرها صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف مستهري في كتاب

« الايمان والمؤمنون » بتصرف .

هل ركبت البحر ؟ قال : نعم ، قال : هل رأيت أهواله ؟ قال : بلى .. هاجت يوما رياح هائلة فكسرت السفن وأغرقت الملاحين ، فتعلقت أنا ببعض ألواحها ، ثم ذهب عنى اللوح ، فاذا أنا مدفوع بتلاطم الأمواج حتى دفعت الى الساحل . فقال جعفر : قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ، ثم على اللوح حتى ينجيك ، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك أسلمت نفسك للهلاك ؟ أم كنت ترجو السلامة بعد ؟ قال : بل رجوت السلامة . قال جعفر : ممن كنت ترجوها ؟ فسكت الرجل .

فقال جعفر : ان الله هو الذى كنت ترجوه فى ذلك الوقت وقد أقر به قلبك عند الشدة ، وان أنكره لسانك عند النجاة ، وهو الذى أنجاك من الغرق ، قال تعالى : « واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا آياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم ، وكان الانسان كفورا » (١)

فأسلم الزنديق ، وحسن ايمانه بالله .

وان أبا حنيفة رضى الله عنه ، وقد كان سيفاً مصلتا على طائفة الدهرية الذى هجموا عليه ذات يوم فى المسجد على حين غفلة منه ليفتكوا به ، ويستريحوا منه ، فقال لهم فى ثبات وايمان :

أجيبونى عن مسألة ، ثم افعلوا بى ما شئتم .. قالوا : سل ، فقال : ما تقولون فى رجل يقول لكم : انى رأيت سفينة مشحونة بأحمال ، مملوءة بأثقال ، قد احتوتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ، ورياح مختلفة ، وهى من بينها تجرى مستوية ، ليس لها ملاح يجويها ، ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك فى العقل ؟ قالوا : هذا شئ لا يقبله العقل ، فقال أبو حنيفة : يا سبحان الله .. اذا لم يجز فى شرعة العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها ، وسعة أطرافها ، وتباين أكفافها من غير صانع ولا موجد ؟

فبهتوا جميعا ، وقالوا : صدقت ، ثم أسلموا وانصرفوا تائبين . وبمثل هذا الأسلوب المقتنع المفحم يقول الدكتور دراز رحمه الله : قدر فى ذهنك بيتا منسق البنيان فاخر الأثاث والرياش ، قائما على جبل مرتفع ، تكتنفه غابة كثيفة ، وقدر أن رجلا جاء الى هذا البيت ،

حلم يجد فيه ولا حوله ديارا ولا نافخ نار ، فحدثته نفسه بأنه عسى أن تكون صخور الجبل قد تتناثر بعضها ، ثم تجمع ما تتناثر منها ليأخذ شكل هذا القصر البديع بما فيه من مخادع ومقاصير ، وأبهاء ومرافق ، وأن تكون أشجار الغاية قد تشققت بنفسها ألواحا ، وتركبت أبوابا وسورا ، ومقاعد ومناضد ثم أخذ كل منها مكانه فيه ، وأن تكون خيوط النبات وأصواف الحيوان وأوباره ، قد تحولت بنفسها أنسجة موشاة ، ثم تقطعت طنافس ووسائد وزرابي ، فانبثت في حجراته ، واستقرت على أرائكه ، وأن المصابيح جعلت تهوى إليه بنفسها من كل مكان ، فثبتت في سقفه زرافات ووحدا .

ألست تحكم بأن هذا حلم نائم ، أو حديث خرافة ، قد أصيب صاحبه باختلاط في عقله ؟ فما ظنك بقصر : السماء سقفه والأرض قراره ، والجبال أعمدته ، والنبات زينته ، والشمس والقمر والنجوم مصابيحها ، أ يكون في حكم العقل أهون شيئا من ذلك البيت الصغير ، أو لا يكون أحق بلفت النظر الى بارئء مصور ، حتى قيوم ، خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وصدق الله القائل : « قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تقنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » (١) .

وأن الامام الشافعي رضى الله عنه سئل : ما دليلك على وجود الصانع ؟ فقال : ورقة التوت طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد ، ولكن : تأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسيم (٢) ، والنحل فيخرج منها العسل ، والشاة فتربي اللحم وتخرج اللبن ، وتأكلها الضبابة فتغذيها وينعقد في نواجحها المسك ، فمن الذى جعل هذه الأشياء متنوعة الافرازات ، والغذاء واحد ؟

انه الله سبحانه .

وأن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : شبه كيفية الخلق ، بقلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها ، ظاهرها كالفضة المذابة ، وباطنها كالذهب الابريز ، ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير ، قال : أف يحدث هذا من ذاك بلا صانع ؟  
وعنى بالقلعة البيضة ، وبالحيوان الفرخ ، وبالفضة البياض ،

(٢) وهو العيرير .

(١) يونس : ٢٠١ .

وبالذهب الصفار ، وكيف خلق منها حيوان ( وهو الكعكوت ) يسمع ويبصر  
ويعدو ويروح •

\*\*\*

فاذا كان هؤلاء الأفاضل أخوا الإسلام قد استطاعوا بنور من  
الله سبحانه وتعالى : أن يقنعوا الزنادقة بضرورة وجود الله بهذا الأسلوب  
الواضح الذي ليس عسيرا على أصحاب العقول السليمة التي لم  
( يعيش ) فيها الشيطان الرجيم بأفكاره ، وأوزاره ، فانك تستطيع  
أنت كذلك التأكد من وجود الله بمجرد التأمل في أصغر مخلوق من مخلوقات  
الله تعالى ، فضلا عن مخلوقاته العديدة التي لا تحصى ولا تعد والتي  
لا تبصر ولا تعرف منها أو عنها غير القليل •

\*\*\*

وحسبك أن تتأمل مثلا في نملة صغيرة خرجت من جحرها باحثه  
عن قوتها ، تأمل فيها ثم تسأل : كيف ترى هذه النملة ، وكيف تتحرك  
وهل لها أمعاء ؟ ثم تابعها بعد ذلك بنظراتك حتى تصل الى قوتها الذي  
ستحمله بعد ذلك وهو أكبر منها ربما بمرة أو مرتين ، أو أكثر •  
وعندما ستعجز عن حمله ستراها تعود بعد ذلك الى جحرها دون أن  
تضل الطريق لكي تجتمع هناك بأهلها وتخبرهم بخبر هذا القوت الذي  
عجزت عن حمله ، ثم ستراها تخرج بعد ذلك من جحرها وهي تقود  
( طابورا ) طويلا من النمل الى مكان القوت الذي سيحمله جميعا  
بالتناوب كما تحمل الجنازة الى أن يصلوا به الى مخازنهم •

وهناك — كما يقولون — تقوم هذه النملة قبل تخزين هذا القوت :  
بفلق حبة القمح فلقنتين ، لأنها لو تركت كما هي لنبتت ، كما تقوم  
بفلق حبة الكزبرة أربع فلقات ، لأنها لو فلقت فلقنتين لنبتت •

من الذي علمها كل هذا ؟ انه الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد  
الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ، و « الذي خلق فسوى • والذي  
قدر فهدى • والذي أخرج المرعى • فجعله غثاء أحوى » (١) ،  
والذي تتجلى عظمته في كل شيء خلقه سواء أكان هذا في اختلاف  
الليل والنهار ، والبحار والأنهار ، والجماد والحيوان ، والملائكة والجن

والانسان ، والثمار والنبات المختلفة المذاق والألوان ، وما خلق في السماء من كواكب سيارة ، وغير سيارة ... الى آخر ذلك : من تفريق ملكه واعطاء كل ذى حق حقه دون نقص أو نسيان ، واحاطته بكل شىء علما ، واحصاه كل شىء عددا ... سبحانه ، سبحانه .

\* \* \*

بل وحسبك كذلك أن تتأمل في نفسك تنفيذا لاسارة الله سبحانه وتعالى في قوله : « وفي أنفسكم ، أفلا تبصرون » (١) ثم تتساءل مثلا وأنت تقف أمام المرأة مخاطبا نفسك ومشيرا الى جارحة من جوارحك الملموسة والتي أمامك على صفحة الوجه الذي أبدع الله صنعه وتصويره : كيف ترى هذه العين ؟ كيف تسمع هذه الأذن ؟ كيف يشم هذا الأنف ؟ كيف يتكلم هذا اللسان ، وكيف يحكم على مذاق الأطعمة مع اختلاف الأصناف والأشكال والألوان ؟ وكيف تطحن هذه الأسنان ؟ وكيف يصل الطعام الى المعدة ؟ ثم كيف تقوم المعدة بهضم هذا الطعام وتوزيع خلاصته على كل عضو من أعضاء الجسد دون جور أو تأخير ، وكيف تلفظ المعدة بعد ذلك ما تبقى من فضلات ، وكيف يحدث هذا ، وهل هناك صنوبر يفتح ، وما الذي كان يحدث لو لم يحدث هذا ... ؟ ثم تذكر وأنت تفكر في هذا الموضوع الأخير بالذات أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد خروجه من الخلاء (٢) - برجله اليمنى - : « الحمد لله الذي أذهب عنى الأذى وعافانى » (٣) .

« الحمد لله الذي أذاقنى لذته ، وأبقى فى قوته ، وأذهب عنى آذاه ، اللهم حصن فرجى ، وطهر قلبى ، ومحص ذنوبى » (٤) .

مع ملاحظة أنه كان قيل أن يدخل الخلاء - برجله اليسرى - يقول : « بسم الله ، اللهم انى أعوذ بك من الخبيث والخبائث » (٥) .

(١) الذاريات : ٢١

(٢) أى المرحاض

(٣) روى من طرق ضعيفة تقوى بعضها بعضا .

(٤) الخبيث : بضم الباء جمع خبيث ، والخبائث جمع خبيثة ، والمراد

شكران الشياطين واناثهم .

(٥) روى مالك وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى

روابن ماجه .

ثم بعد ذلك عد الى الوجه ، وتساءل : لماذا لا يطول شعر  
الرمش والحاجب كما يطول شعر اللحية والشارب ؟ ولماذا ينبت  
الشعر في مكان ثم لا ينبت في مكان ؟ ولماذا لا ينبت الشعر في داخل  
العينين أو في داخل الفم ؟ وما الذي كان يحدث لو حدث هذا ... ؟

\*\*\*

ثم قل وأنت تسجد شكرا لله الذي خلقك : « ... في أحسن  
تقويم » (١) : « ... فتبارك الله أحسن الخالقين » (٢) .

\*\*\*

ثم تسأل كذلك مع هذا الرجل المفكر (٣) :

يد من التي امتدت الى سنبله القمح غفلت حياتها حتى لا تتساقط  
في ورق غضروفى لا يحمل بللا ، وحسن كل حبة بشوكة حتى لا تكون  
غذاء للطير ، وهى مقدره أن تكون غذاء للانسان .. ؟ ! ولو أنصت  
المخلصون لسمعوا كل ذرة من دقيقها تقول : سبحان من جعلنى طعاما  
لفلان .

ويد من التي امتدت الى « كوز » الذرة فصفت حياتها صفا متقنا ،  
وثبتتها فى « قولحته » وحاطتها بأغلفة متعددة تحفظها ، ومنحتها هواء  
بواسطة أنابيب دقيقة « الشراية » ؟ !

ويد من التي امتدت الى عين الانسان فجعلتها فى علبه منخفضة  
من العظم لئلا تتعرض للتلطف والمهالك ، وظللتها برموش تدفع معاكسة  
ضوء الشمس لها ، وحاطتها بأهداب تمنع تساقط العرق فيها ، وغطتها  
بأجفان ، وجعلت لها ماء ملحا « الدموع » حولها لئلا يلحقها التنن ؟  
ويد من التي جعلت ماء الأذن مرا لئلا تتسرب الحشرات اليها  
والانسان نائم ، وجعلت ريق الفم غذاء مع أن الماء الذى تشربه  
واحد ؟ !

ويد من التي امتدت الى مفاصل الجسم فجعلت لكل مفصل قطعة  
شحم تسهل حركته بقدر معلوم ؟ !

(١) التين : ٤ - بلفظ : « لقد خلقنا الانسان ... » .

(٢) المؤمنون : ١٤

(٣) وهو صاحب كتاب « للكون اله » اثابه الله .



ويد من التي أتقنت لسان المزمارة « البلعوم » بحيث يسد قسبة الهواء عند دخول الطعام والشراب ، ويسد مسلك الطعام عند دخول النفس ؟

ويد من التي جعلت اللسان عند خروج الهواء من الجوف يضغط عليه في جوانب الفم فينتج صفيراً وهذا الصفيير يكون كلاماً منظماً يعبر عما في الضمير من معانٍ وخواطر ؟

وأى جهاز وضع في الأنف حتى يميز بين الرائحتين الطيبة والخبيثة ؟ !

وأى جهاز وضع في الأذن حتى يميز بين الأصوات المتعددة وهي قطعة من اللحم ؟

\* \* \*

نعم أخا الإسلام :

ذاك : « هو الله الذي لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق الباريء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (١) ، « الذي خلقك فسواك فعدلك . في أى صورة ما شاء ركبك » (٢) ، والذي اذا قضى أمراً فانما يقول له « كن فيكون » (٣) .

\* \* \*

فكن مؤمناً به ايماًنا خالصاً حتى تكون من المؤمنين الذين « آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » (٤) الذين : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » (٥) .

\* \* \*

(٢) الانفطار : ٧ ، ٨

(١) الحشر : ٢٢ - ٢٤

(٣) مريم : ٣٥

(٤) المحجرات : ١٥ بلفظ : « انما المؤمنون الذين ... »

(٥) البينة : ٨

واعلم أن إيمانك بالله على هذا النحو الذى وقفت عليه سيجعل سفينتك محصنة ضد جميع الأخطار التى كثيرا ما عصفت بالآلاف السفن الضعيفة الهزيلة التى لا تحمل فى طياتها وخلف ألواحها غير الشحانات الرخيضة والخسيصة التى كانت ولا تزال موضع سخط وتحذير من جانب المؤمنين العاملين الذين أنار الله أبصارهم فعرفوا كيف يشقون البحار الى الله سبحانه بسفنهم القوية المزودة بأعظم قوة وأعلى عتاد وهو : الايمان بالله !لقوى العزيز الذى يقول وقوله الحق : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » (١) .

وأما عن التوكل على الله تعالى : فهو شرط من أهم شروط الايمان بالله ، بدليل قوله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٢) .  
وقوله : « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » (٣) .  
وهو بايجاز : الأخذ بالأسباب مع تفويض الأمر الى الله سبحانه وتعالى .

ولهذا كان من الايمان أن تعتمد اعتمادا كلياً على الله سبحانه وتعالى مع اعتقادك الجازم بأنه ليست هناك قوة على وجه الأرض تستطيع أن تنفك أو تضرك الا بإرادة الله سبحانه وتعالى .

مع ضرورة الأخذ — كما عرفت — بالأسباب التى أمرت بها فى قول الله تبارك وتعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور » (٤) .

وقوله : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٥) .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام واحرص على أن يكون شراع سفينتك مصنوعا من نسيج التوكل على الله تعالى لعلك تنجو .

\* \* \*

(١) التغابن : ١١

(٢) آل عمران : ١٢٢ ، ١٦٠ ، المائدة : ١١ ، التوبة : ٥١ ، المجادلة : ١٠

(٣) المائدة : ٢٣

التغابن : ١٣

(٥) الجمعة : ١٠

(٤) الملك : ١٥

\* (واستكثر الزاد فان السفر طويل) :

وحتى تدرك أهمية هذا النصح المحمدي الحيوي : حسبك أن تفكر في هذا المعنى الكبير الذي تنطوى عليه كلمة « زاد » ، « سفر » .  
فلسوف ترى بعد تفكير ناضج أن الزاد المشار اليه ليس هو الذي تعرفه وتتفانى في جمعه وتحصيله دون أن تتحرى مصادره حتى أصبغنا — أو أغلبنا — من الذين : « يأكلون في بطونهم نارا ٠٠٠ » (١) .  
ثم يكون بعد ذلك خراءة (٢) .

\* \* \*

وانما هو الزاد الحقيقي الذي قال الله سبحانه وتعالى مشيراً اليه في كثير من آياته القرآنية التي منها : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٣) .

« وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى » (٤) .  
« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملاً » (٥) .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون » (٦) .

\* \* \*

فالعمل الصالح اذن هو الزاد الذي يجب على كل عاقل أن يتروذ به قبل انتقاله من عالم العمل الى عالم الحساب ، وقبل أن يقول : ما أشار اليه الله سبحانه وتعالى في قوله : « حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون . لعلى أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا انها كلمة هو قائلها ، ومن وراءهم برزخ (٧) الى يوم يبعثون . فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك

(١) النساء : ١٠

(٢) الخراءة ، هي العذرة كما جاء في حديث عبد الرحمن بن زيد الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

(٣) النحل : ٩٧

(٤) الكهف : ٣٠

(٥) الكهف : ٨٨

(٦) فصلت : ٨ - وغير ممنون : أى غير مقطوع .

(٧) قال في مختار الصحاح : البرزخ الحاجز بين الشيتين ، وهو أيضاً ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ .

هم المفلحون • ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون» (١) •

\* \* \*

وهكذا كما ترى في هذه الآيات البيّنات ، سيكون الموقف حرجا جدا من أول لحظات الانتقال الى العالم الآخر اذا لم يكن هناك عمل صالح ينفعه : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » (٢) •

\* \* \*

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال له رجل من الأنصار : « يا نبي الله .. من أكيس الناس وأحزم الناس ؟ قال : « أكثرهم ذكرا للموت ، وأكثرهم استعدادا للموت ، أولئك الأكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة » (٣) •

\* \* \*

فالماتل اذن هو الذي يقدم لنفسه من الأعمال الصالحة ما ينفعه من أول مراحل سفره الذي يبدأ من أول لحظة يفارق فيها هذه الحياة ، ولا سيما في حياة البرزخ التي كما عرفت هي الفترة التي بيت الموت والبعث ، التي قد تطول وتطول لمئات أو آلاف أو ملايين السنين التي ستحتاج فيها الى زاد كاف ينير لك قبرك ويؤنسك في وحدتك ، ويجعل قبرك روضة من رياض الجنة ، لا حفرة من حفر النار ، كما يشير للحديث الشريف الذي روى :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فجلس الى قبر منها فقال : « ما يأتي على هذا القبر يوم الا وهو ينادى بصوت ذلق (٤) طلق : يا ابن آدم .. نسيتي ، ألم تعلم (٥) أنى بيت الوحدة ، وبيت العربة ، وبيت الدود ،

(٢) آل عمران : ٢٠

(١) المؤمنون : ٩٩ - ١٠٣

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب « الموت » والطبراني في الصغير

بسناد حسن ، ورواه ابن ماجه مختصرا باسناد جيد •

(٤) الذلق : الذى فيه حدة ، والطلق : الفصيح العذب المنطق •

(٥) وفي رواية : ( اما تعلم ) •

وببيت الضيق الا من وسعني الله عليه» (١) ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القبر اما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفرة النار» (٢) .

\* \* \*

فاذا كان العمل الصالح هو الزاد الذي ستحتاج اليه في سفرك الطويل الى الله سبحانه وتعالى ، فحسبك أن تعلم حتى تدرك أهميته : أنك تغذى جسدك الثماني ثلاث مرات (٣) ، وتغذى روحك خمس مرات (٤) يوميا ، وهذا دليل على أن مدة الروح أطول من مدة الجسد في عالم كل منهما .

\* \* \*

ولما كانت الأعمال الصالحة لا حصر لها ولا حد كذلك لنتائجها من فضل الله تعالى وبركته ونفحاته ، فقد رأيت أن تقف على كل هذا بنفسك من خلال هذه الآيات القرآنية التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها :

« ألم • ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين • الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون • والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون • أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون» (٥) .

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير» (٦) .

« ليس ألبس أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه نوى القريبى واليتامى والمساكين وابن السبيل» (٧) والسائلين وفي

(١) وهو المؤمن لأنه يفسح له قبره ، وينور له فيه .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط .

(٣) أى عندما تتناول طعام الاقطار والغداء والعشاء يوميا .

(٤) أى بأدائك لصلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ، بخلاف

التوافل . (٥) البقرة : ١ - ٥

(٦) أى المسافر .

(٧) البقرة : ١١٠

الرقاب<sup>(١)</sup> وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ،  
والصابرين فى البأساء<sup>(٢)</sup> والضراء<sup>(٣)</sup> وحين البأس<sup>(٤)</sup> ، أولئك الذين  
صدقوا وأولئك هم المتقون<sup>(٥)</sup> .

« ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك  
يرجىون رحمة الله ، والله غفور رحيم<sup>(١)</sup> » .

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شىء فان  
الله به عليم<sup>(٢)</sup> » .



وهذه الأحاديث الشريفة التى يؤكد فيها الحبيب صلوات الله وسلامه  
عليه أهمية الاكثار من أعمال البر المتعددة التى وقفت على أهمها فى  
الآيات القرآنية السابقة والتى يشير اليها المصطفى صلى الله عليه  
وسلم والى غيرها فيقول :

عن أبى ذر جندب بن جنادة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول  
الله .. أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الايمان بالله ، والجهاد فى سبيله »  
قلت : أى الرقاب أفضل ؟ قال : « أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا »  
قلت : فان لم أفعل ؟ قال : « تعين صانعا أو تصنع لأخرق » قلت :  
يا رسول الله .. أرايت ان ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : « تكف  
شرك عن الناس ، فانها صدقة منك على نفسك<sup>(١)</sup> » .

وعنه أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :  
« عرضت على أعمال أمتى حسننها وسيئها فوجدت فى محاسن أعمالها  
الأذى يماط عن الطريق ، ووجدت فى مساوئ أعمالها النخامة تكون  
فى المسجد لا تدفن<sup>(٢)</sup> » .

(١) أى فك رقاب العبيد بشرائهم وعتقهم .

(٢) كل ما يصيب الانسان فى غير نفسه كفقده ولد أو مال .

(٣) ما يصيب الانسان فى نفسه كالمرض .

(٤) المراد به هنا شدة القتال . البقرة : ١٧٧

(٥) البقرة : ٢١٨ (٦) آل عمران : ٩٢

(٨) متفق عليه . (٩) رواه مسلم .

وعنه أيضا : أن ناسا قالوا : يا رسول الله .. ذهب أهل الدثور (١) بالأجور يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة » قالوا : يا رسول الله .. أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر » (٢) .  
وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين » (٣) .

وعن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « على كل مسلم صدقة » قال : أرأيت إن لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : « يأمر بالمعروف — أو الخير — » قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : « يمسك عن الشر فإنها صدقة » (٤) .

### \* \* \*

فسارع أخوا الإسلام إلى الله سبحانه وتعالى بهذه الخيرات التي وقفت عليها في آيات الله وأحاديث رسوله ، واستكثر منها قبل فوات هذه الفرصة السانحة التي لا زلت تعيش فيها إلى هذه اللحظة التي تقرأ فيها هذه السطور وهي : تواجدك في عالم الأشباح قبل انتقالك إلى عالم الأرواح .

و : « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » (٥) .

واعلم أنه إذا كان فعل الطاعات التي أمر الله سبحانه وتعالى بها ، والتي رغب في فعلها حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم : هي

(١) الدثور : أى الاموال .  
(٢) رواه مسلم .  
(٣) رواه مسلم .  
(٤) متفق عليه .  
(٥) رواه مسلم عن أبي ذر بلفظ : ( قال لى النبي صلى الله عليه وسلم ) .

الأعمال الصالحة التي يجب عليك أن تتروذ بها وتكثر من فعلها والتقرب إلى الله بها : فخذلك البعد عن كل شيء نهى الله سبحانه وتعالى عنه في كتابه ، وعلى لسان حبيبه صلى الله عليه وسلم : يعتبر كذلك من الاعمال الصالحة التي ستكافأ عليها يوم القيامة : « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه » (١) ولعلك لاحظت هذا في الحديث الذي قال الرسول صلى الله عليه وسلم في نهايته : « ... يمسك عن الشر فانها صدقة » .



وحسبى في نهاية هذا العنصر للحيوى الذى تبين لك من خلال عرضه ضرورة الاستكثار من الزاد الحقيقى لهذا السفر الطويل الذى قد تحتاج فيه الى القناطر المقلطرة من الحسنات التى بها تستطيع الوصول الى موقف الحساب بسلام وأمان : حسبى أن أسوق اليك هذين الأثرين اللذين سقرى من خلالهما كذلك أهمية الزاد ليوم المعاد :

روى أن أبا الدرداء رضى الله عنه — وقد كان من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم اللذين تعلموا على يديه — : « وقف ذات يوم أمام الكعبة ، ثم قال لأصحابه : أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بيزاد ؟ قالوا : نعم ، قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا : بلنا على زاده ، فقال : حجوا لعظام الأمور ، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور » .

روى أن ابراهيم بن أدهم رحمه الله — وقد كان من أساتذة العلم النافع — سئل : لم زهدت في الدنيا يا ابراهيم ؟ فقال : لثلاث : الأول : رأيت الطريق طويلا وليس معى زاد ، والثانى : رأيت القبر موحشا وليس معى مؤنس ، والثالث : رأيت الجبار قاضيا وليس معى حجة ولا من يدافع عنى .

وتأمل قول القائل :

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد





✽ (وخفف ظهرك فان العقبة (١) كؤود) (٢) :

ولعل المراد بهذا التوجيه المحمدي هو :  
 أن تعمل قبل رحيلك الى العالم الآخر على اعطاء كل ذي حق حقه حتى لا تتعرض للخيبة التي أشار الله سبحانه وتعالى اليها في قوله : « وعنت الوجوه للحى القيوم ، وقد خاب من حمل ظلما » (٣)  
 وقد روى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح فأخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » (٤) .

وعن أبي حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللقبة على الصدقة فلما قسم قال : هذا لكم وهذا أهدي الى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد .. فانى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول : هذا لكم وهذه هدية أهديت الى ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتية هديته ان كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعمر — ثم رجع يديه حتى روى بياض ابطينه ، فقلنا — : اللهم هل بلغت ؟ »

✽ ✽ ✽

ولعل المراد هو : أداء الفرائض التي ائتمنتك الله عليها .

والى هذا يشير الله سبحانه وتعالى في قوله : « انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا » (٥) .

(١) العقبة : المرمى الصعب ، الطريق فى أعلى الجبال .

(٢) كؤود : شاة الصد صعبة المرتقى .

(٣) طه : ١١٢

(٤) متفق عليه .

(٥) الأحزاب : ٧٣

وقد روى عن الضحاک عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى لآدم : يا آدم .. انى عرضت الأمانة على السموات والأرض فلم تطقها ، فهل أنت حاملها بما فيها ؟ فقال : وما فيها يا رب ؟ قال : ان حملتها أجرت ، وان ضيعتها غذيت ، فاحتملها بما فيها .. فلم يلبث في الجنة الا قدر ما بين صلاة الأولى الى العصر حتى أخرجته الشيطان منها » (١) .

ولعل المراد هو : اذاية المؤمنين والمؤمنات بالأفعال والأقوال القبيحة ، كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلف . والى هذا يشير الله سبحانه وتعالى في قوله : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » (٢) .  
وقوله : « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » (٣) .



وحسبى كذلك في ختامه أن أذكرك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع : « أما بعد أيها الناس .. فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو .. فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه . ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه . ألا وان الشحناء ليست من طبعي ولا من شأنى . ألا وان أحبكم الى من أخذ منى حقا ان كان له ، أو أظلمنى منه فلقبت الله وأنا طيب النفس ، وقد أرى أن هذا غير ممن عنى حتى أقوم فيكم مرارا » .

قال الفضل : ثم نزل فصلى الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر ، فعاد لمقالته الأولى في الشحناء وغيرها .  
فقام رجل فقال : يا رسول الله .. ان لى عندك ثلاثة دراهم .. فقال : أعطه يا فضل .

ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس .. من كان عنده شئ فليؤده ، ولا يقل فضوح الدنيا .. ألا وان فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة » .

(٢) الاحزاب : ٥٨

(١) رواء الترمذى

(٣) النساء : ١١٢

فقام رجل فقال : يا رسول الله .. عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله . قال : « ولم غللتها » ؟ قال : كنت اليها محتاجا . قال : « خذها منه يا فضل » .

ثم قال : « أيها الناس .. من خشى من نفسه شيئا فليقم أدع له » فقام رجل فقال : يا رسول الله .. انى لكذاب ، انى لفاحش ، انى لنؤوم .. فقال النبي : « اللهم ارزقه صدقا وايمانا وأذهب عنه النوم » .

ثم قام رجل آخر فقال : والله يا رسول الله .. انى لكذاب ، وانى لمنافق ، وما من شيء الا قد جنيته .

فقام عمر بن الخطاب فقال له : فضحت نفسك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا ابن الخطاب .. فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة . اللهم ارزقه صدقا وايمانا وصيرا أمره الى خير » (١) .

\* \* \*

\* (وأخلص العمل فان الناقد بصير) :  
وحسبك اذا أردت أن تحقق هذا الذى يوصيك به الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن تقرأ قول الله تبارك وتعالى :  
« .. والله بصير بما يعملون » (٢) .  
وقوله : « .. ولا تطغوا ، انه بما تعملون بصير » (٣) .  
وقوله : « .. واعملوا صالحا ، انى بما تعملون بصير » (٤) .  
وقوله : « .. ان الله بعباده لخبير بصير » (٥) .  
وقوله : « .. وهو معكم أين ما كنتم ، والله بما تعملون بصير » (٦) .  
وذلك حتى تظل مراقبا لله سبحانه وتعالى على الدوام ، في جميع أعمالك الدنيوية والأخروية .

\* \* \*

(١) من كتاب « فقه السيرة » للشيخ محمد الغزالي ( باب الرفيق الأعلى ) .  
(٢) البقرة : ٩٦ .  
(٣) هود : ١١٢ .  
(٤) سبأ : ١١ .  
(٥) طاهر : ٣٦ .  
(٦) الحديد : ٤ .

وحتى يتحقق من جانبك الاحسان الذي عناه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال :  
« ... أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك » (١) .

\* \* \*

ولكى يتحقق هذا الهدف الأسمى بإخلاص : لا بد وأن يكون هناك  
حياء من الله سبحانه وتعالى بصورة تجعلك ملتزماً بالأخلاقيات الكريمة  
التي بعث الرسول صلى الله عليه وسلم من أجلها كما أشار الى ذلك  
في قوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٢) . وحسبك حتى  
تدرك أهمية الحياء أن تقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الحياء  
خير كله » (٣) .

وقوله : « ان لكل دين خلقاً ، وخلق الاسلام الحياء » (٤) .

وقوله : « الحياء والايمن قرناء جميعاً ، اذا رفع أحدهما رفع الآخر » (٥) .

الآخر (٥) .

\* \* \*

(١) جزء من حديث صحيح رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مالك .

(٤) رواه الحاكم .

(٥) رواه مالك .

## الجزء العاشر

# الوصية الثانية والثلاثون

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال :

« كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير اسراف  
ولا مخيلة » .

(أخرجه احمد والبخارى والنسائى والحاكم وابن ماجه )

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

منفذا لهذه الوصية العظيمة التى يوصيك فيها المصطفى صلوات  
الله وسلامه عليه بما يؤهلك لشق طريقك الى الله سبحانه وتعالى قويا  
عزيزا موفورا الصحة مستورا الجسد دون اسراف ولا مخيلة (١) .  
حتى اذا ما انتقلت من هذا العالم الفانى الى العالم الآخر الباقى  
كنت سعيدا هناك بما قدمت من أعمال صالحة تقربت بها الى الله سبحانه  
وتعالى فى دنياك شكرا له سبحانه وتعالى على ما أعطاك وأولاك .  
وحتى يتضح لك كل هذا ، تعال معى نستعرض سويا فقرات  
هذه الوصية الحيوية التى يقول فيها صلوات الله وسلامه عليه حسب  
ترتيبها :

\* (كلوا واشربوا) :

والأكل والشرب عنصران أساسيان فى تكوين الجسد الانسانى ،  
وفى استمرار هذا الوجود الانسانى فضلا عن غيره من الحيوانات  
الأخرى والطيور التى غير ذلك من المخلوقات التى لا يعلمها الا الله ،  
باستثناء الملائكة (٢) فهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتصفون  
بذكورة ولا أنوثة ، وقد خلقوا من نور .

(١) مخيلة كمظيمة : المراد بها الكبير .

(٢) وقد تعمدت اشارة الى هذا حتى لا يقال : فلان نائم مع الملائكة

يأكل أرزا كما يقول الجهلاء بهذا .

وقد ورد في هذا :

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الملائكة قالوا : ربنا خلقتنا وخلقت بني آدم فجعلتهم يأكلون الطعام ، ويشربون الشراب ، ويلبسون الثياب ، ويأتون النساء ، ويركبون الدواب ، وينامون ويستريحون ، ولم تجعل لنا من ذلك شيئا فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال عز وجل : لا أجعل من خلقتة بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له : كن فكان » (١) .

وعن ابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الملائكة قالت : يا ربنا .. أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون ويشربون ويركبون ويلبسون . ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة . قال : لا أجعل صالح ذرية من خلقتة بيدي كمن قلت له : كن فكان » (٢) .

وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج (٣) من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » (٤) .

وهم كما وصفهم الله تعالى في قرآنه : « عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » (٥) .

وإذا كانوا قد : « .. قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » (٦) عندما أخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنه سيخلق آدم عليه السلام فقال مخاطبا إياهم : « انى جاعل فى الأرض خليفة » (٧) فان قولهم السابق ما كان غيبة أو اعتراضا ، وانما تعجبا واستفسارا لعدم علمهم بحكمة خلقه .

وكذلك بالنسبة لهاروت وماروت وتعليمهم الناس السحر ، على القول بأنهما من الملائكة ، فقد كان هذا ابتلاء من الله عز وجل لئلا يعتر أحد بعمل المبطلين ، وذلك : لأن السحرة كثرت في ذلك الزمان الذى ادعى فيه بعضهم النبوة ، ولهذا بعث الله هذين الملكين ليعلما الناس

(١) أخرجه ابن عساکر . (٢) أخرجه الطبرانی فى الكبير .

(٣) المارج : لهب النار الخالص من الدخان .

(٤) أخرجه أحمد ومسلم . (٥) الانبياء : ٢٦ ، ٢٧ .

(٦) البقرة : ٣٠ . (٧) البقرة : ٣٠ .

السحر حتى يتمكنوا من معارضة الكذابين ، وفي هذا يقول تبارك وتعالى :  
**« وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر »** (١) .  
 وقد قال العلماء : من عمل منه (٢) واعتقد حقيقته كفر ، ومن تولى  
 عن العمل به ، واتخذ ذريعة للاتقاء عن الاعتراض بمثله : بقى على  
 الايمان ولا يكفر باعتقاد حقيقته وجواز العمل به (٣) .

\* \* \*

وإذا كان الطعام والشراب — كما عرفت — هو اكسير الحياة  
 الأولى بنسب ومواد معينة :  
 كالالكالسيوم والفوسفور : اللذين يدخلان في تركيب الهيكل العظمى  
 والأسنان .

والحديد : الذى يدخل في تركيب الدم ، مثلاً .  
 والبروتينات : التى تصنع منها الأنسجة الأخرى كالعضلات ،  
 والجلد .

والفيتامينات : التى تعمل في بناء أنسجة الجسم وتساعد على  
 القيام بوظائفها وتعمل على سلامتها ووقايتها من الأمراض :  
 فقد تكفل الله سبحانه وتعالى وهو العليم بكل هذه الاحتياجات  
 التى يتكون منها الجسم البشرى القوى ، بايجاد كل هذه المواد المشار  
 اليها في خمس مجموعات أساسية للغذاء الصحى ، يستطيع كل انسان  
 أن يحصل عليها حسب قدرته المادية بالنسبة لكل نوع من الأنواع  
 الخمس الآتية :

### المجموعة الأولى

( أ ) خضروات نيئة مثل : الفجل ، الجرجير ، البصل الأخضر ،  
 الكبر (٤) ، الجعضيض ، البقدونس ، الشيكوريا ، الحلبة الخضراء ، الفلفل  
 الأخضر ، الخس ، البنجر ، الجزر الأصفر ، الطماطم .  
 ( ب ) خضروات مطبوخة مثل : الملوخية ، الخبيزة ، السبانخ ،

(٢) أى السحر .

(١) البقرة : ١٠٢ .

(٣) راجع موضوع الملائكة بالتفصيل اذا اردت في الجزء الاول من

« الدين الخالص » صفحة ٥٦

(٤) الكبر — بفتح الكاف والباء — : نبات معمر من الفصيلة الكبرية ،  
 ينبت طبيعياً ويزرع ، وتؤكل جذوره وسوقه ملححة ، وتستعمل جذوره في  
 الطب .

الكرنب ، الباذنجان ، القرنبيط ، البقول الخضراء ( فاصوليا ، لوبيا خضراء ) .

هذه الخضروات بنوعها تعتبر مصدرا عاما لفيتامين ( أ ) اللازم لنمو وسلامة العيون والجلد والأنسجة ، وهي غنية بالحديد اللازم لتكوين كرات الدم الحمراء ، وغنية بالكالسيوم اللازم لبناء العظام والأسنان وقوة العضلات ، والأصناف الخضراء والصفراء منها التي تؤكل نيئة تعتبر كذلك مصدرا هاما لفيتامين ( ج ) اللازم لسلامة الأوعية الدموية والأنسجة الضامة ، ونقصه في الغذاء يؤدي الى مرض الاسقرايوط فيحدث الضعف والهزال ، وآلم وورم في المفاصل ، وورم وادماء اللثة ، وأنزفة وادماء تحت الجلد والأنسجة المختلفة في الجسم ، كما يسبب تأخير التآم الجروح ، وهذا الفيتامين يتلفه الطبخ والحفظ ، فيجب أن تؤكل الأطعمة طازجة ونيئة بمجرد قطفها ما أمكن .

( ج ) برتقال ، يوسفى ، ليمون ، جريب فروت ، فراولة ، توت ، جوافة ، تين شوكى ، بطيخ ، شمام ، برقوق .

وهذه الفواكه غنية جدا بفيتامين ( ج ) الموجود في الخضروات الطازجة النيئة .

فتناول من هذه المجموعة يوميا نصف كيلو على أن تأكل ربع الكمية خضروات خضراء وصفراء (سلطة) .

مع ملاحظة : أن هذه المجموعة الأولى جعلها الله سبحانه وتعالى في متناول يدك لضمان الحصول على كمية كافية من الفيتامينات والأملاح المعدنية اللازمة لبناء الجسم ووقايتها من الأمراض ، وكذلك كمية مناسبة من الألياف اللازمة لتنشيط الأمعاء ومنع الإمساك ، وكذلك المواد القلوية المانعة لحموضة الدم .

### المجموعة الثانية

اللبن الحليب<sup>(١)</sup> ، اللبن الزبادى ، لبن السلطة ، الجبن بأنواعه ، اللبن الخريش ، اللبن البودرة ، جيلاتى باللبن . الخ .

هذه المجموعة : أهم مصدر للكالسيوم اللازم لبناء العظام والأسنان وقوة العضلات وهي غنية بالبروتين ذى القيمة الحيوية العالية واللازم

(١) الذى يكفك منه كوب واحد ، وللأطفال والمرضى كوبان يوميا .



لبناء الأنسجة وترميمها ، وكذلك فيتامين الريبوفلافين ( ب ) اللازم للنمو وسلامة العيون والجلد .

فإذا تعذر الحصول عليها : فعليك بالحلاوة الطحينية والسمن ففى غنية بالكالسيوم والبروتين .

### المجموعة الثالثة

طيور الأكل واللحوم بأنواعها ، البيض ، الأسماك الطازجة والمحفوظة ، البقول : كالفول ( الطعمية والبصارة ) العدس ، البسلة ، اللوبيا ، الفاصوليا ، السمن ( الطحينية ) ، الحمص ، اللب ، الفول السوداني ، الياميش ، واللوز ، وعين الجمل .

هذه المجموعة أهم مصدر للبروتينات اللازمة لبناء الأنسجة وترميمها ومعظمها غنى بالأملاح المعدنية مثل : الحديد اللازم لعمل الدم وبعض الفيتامينات الهامة .

ويكفيك أن تتناول من أى منها : ربع رطل يوميا .

### المجموعة الرابعة

الخبز الأسمر ، الفريك ، البلية ، الدقيق الكامل ، منتجات الدقيق الأبيض المعززة بالفيتامينات والأملاح المعدنية .

هذه المجموعة أهم مصدر لمواد الطاقة والمجهود ( الكربوهيدرات ) اللازمة للقيام بالعمل الجسماني ، والخبز الكامل ( الأسمر المحتوى على الردة الناعمة ) غنى بالحديد ، وفيتامينات مركب ( ب ) بينما الدقيق الأبيض الفاخر يفتقر إليها : فعليك بالحبوب والخبز الكامل . وتناول نصف رغيف فى كل وجبة على الأقل .

### المجموعة الخامسة

الزبد ، المسلى ، القشدة ، المسلى الصناعي ، الدهون والزيوت المعززة بالفيتامينات ( ا ، د ) .

هذه المجموعة مصدر هام للمواد الدهنية ، وهى من مواد الطاقة المركزة التى تمد الجسم بالدفء والطاقة اللازمة للمجهود ، وتعتبر مصدرا لفيتامين ( أ ) أيضا اللازم للنمو وسلامة العيون والجلد والأنسجة .

تناول من هذه المجموعة ما يعادل معلقتين شوربة يوميا .

فلاحظ كل هذا ، مع ملاحظة كذلك بأنه بحسن الاختيار يمكن انقاص عدد مجموعات هذه الأطعمة الأساسية الى أربع وحتى الى ثلاث :

فالجبن الأبيض أو اللبن مثلا : يمكن أن يقوم مقام المجموعات :  
الثانية ، الثالثة ، الخامسة •

الطعمية : مقام المجموعة : الثالثة ، الخامسة •  
والعسل بالطحينة : مقام المجموعة : الثانية ، الثالثة ، الرابعة ،  
الخامسة ، الى حد كبير •

\* \* \*

وبذلك كما رأيت اذا كنت فقيرا ولا تستطيع الحصول لك ولأولادك على المجموعات الخمس السابقة : فانك تستطيع الحصول على وجبات شعبية كاملة ورخيصة مكونة من أربعة ، أو ثلاثة أصناف فقط •

\* \* \*

فاشكر الله سبحانه وتعالى الذى يسر لك كل ما تحتاج اليه من طعام وشراب تقوى به على أداء رسالتك فى هذه الحياة من أعمال شريفة ، وعبادات مفروضة •

وحسبك حتى تقف على هذه العظمة الالهية التى أخرجت لك هذا الطعام المختلف أشكاله وألوانه ومذاقه ، والذى يسقى بماء واحد أن تقرأ قول الله تبارك وتعالى الذى يأمرك فيه حتى تكون موحدا : بأن تنظر الى طعامك نظرة عاقل ومفكر ، فيقول سبحانه :

« فلينظر الانسان الى طعامه • أنا صببنا الماء صبا • ثم شققنا الأرض شققا • فأنبتنا فيها حبا • وعنبا وقضبا (١) • وزيتونا ونخلا • وحدائق غلبا (٢) • وفاكهة وأبا (٣) • متاعا لكم ولأنعامكم » (٤) •

(١) يطلق العرب القضب : على كل نبات يقطع بعضه وهو أخضر ليؤكل ، ويخرج مكانه غيره ، كالكرات والنبات المعروف فى مصر بالبرسيم الذى تطف به الدواب •

(٢) غلبا : جمع غلباء بفتح فسكون : والغلباء هى الحديقة الضخمة الأشجار الملتفة الأغصان •

(٣) أبا : قيل هو المرعى الذى ينبت بدون تدخل زارع من البشر •

(٤) عبس : ٢٤ — ٣٢

ولعلك قد لاحظت في هذه الآية الأخيرة أن الله سبحانه وتعالى  
 ما أخرج كل هذا من باطن الأرض من أجلك وحدك ولكن من أجل  
 دوابك كذلك .

فهي من دواب الأرض التي تكفل الله بأرزاقها كما تشير الآية الكريمة  
 التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها :

« وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها » (١) .

\* \* \*

وحتى الجن ودوابه : فهما كذلك من الدواب التي تكفل الله  
 بأرزاقها ، وقد ورد في هذا :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 « أتانى داعى الجن فذهبت فقرأت عليهم القرآن . قال : فانطلق  
 بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم . وسألوه الزاد : فقال : لكم كل  
 عظم ذكر اسم الله عليه ، يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما ، وكل  
 بعرة أو روثة علف لدوابكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم من الجن » (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يحمل مع النبي صلى الله  
 عليه وسلم اداوة (٣) لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها قال : من  
 هذا ؟ قال : أنا أبو هريرة ، قال : « أبغنى أحجارا أستنفض (٤) بها  
 ولا تأتتنى بعظم ولا بروثة » فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبى  
 فوضعتها الى جنبه ثم انصرفت ، حتى اذا فرغ مشيت فقلت : ما بال  
 العظم والروثة ؟ قال : « هما من طعام الجن ، وأنه أتانى وفد جن  
 نصيبين — ونعم الجن — فسألونى الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمروا  
 بعظم ولا بروثة الا وجدوا عليها طعاما » (٥) .

هذا : ولما كان الله سبحانه وتعالى قد أمرنا في كتابه العزيز  
 بالأكل والشرب من رزقه سبحانه فقال : « كلوا واشربوا من رزق الله » (٦) .  
 كما أمر كذلك في آيات أخرى بأن يكون هذا المأكول والمشروب  
 حلالا طيبا ، فقال : « كلوا من طيبات ما رزقناكم » (٧) .

(١) هود : ٦

(٢) أخرجه احمد ومسلم .

(٣) الاداوة : اناء صغير يحمل فيه الماء ، الجمع : اداوى .

(٤) أى لاستنجى بها .

(٥) أخرجه البخارى والبيهقى .

(٦) البقرة : ١٧٠

(٧) البقرة : ١٦٠

فقد رأيت حتى تعرف الحلال من الحرام أن أدور معك حول هذا العنصر الهام الذى يجب عليك كمسلم أن تكون محيطا به وعالما بأهم ما يتعلق به من أحكام :

ولما كان السبيل الى معرفة هذه الأحكام هو العلم ، أو هو معرفة ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأنها : فقد رأيت أن أخص (١) لك أهم هذه الأحكام التى ذكرها صاحب كتاب « الحلال والحرام فى الاسلام » (٢) .

\* \* \*

وحسبى أولا أن أسوق اليك هذه التعاريف التى ذكرها فى أول كتابه حتى تكون عالما بها ، وحتى تميز بين الحلال والحرام ، وتعرف الفرق بينهما وبين المكروه :

ولولا العلم ما سعدت نفوس ولا عرف الحلال من الحرام  
وحتى لا أطيل عليك فإليك :

**الحلال** : هو المباح الذى انحلت عنده عقدة الحظر ، وأذن الشارع فى فعله .

**والحرام** : هو الأمر الذى نهى الشارع عن فعله نهيا جازما ، بحيث يتعرض من خالف النهى لعقوبة الله فى الآخرة ، وقد يتعرض لعقوبة شرعية فى الدنيا أيضا .

**والمكروه** : هو ما نهى عنه ولكنه لم يشدد فى هذا النهى ، وهو أقل من الحرام فى رتبته ، وليس على مرتكبه عقوبة كعقوبة الحرام ، غير أن التماذى فيه ، والاستهتار به من شأنه أن يجرىء صاحبه على الحرام .

وإذا كان الله سبحانه قد أحل لنا الطيبات وهى : الحلال ، كما تشير الآية التى يقول الله تعالى فيها : « يسألونك ماذا أحل لهم » **قل أحل لكم الطيبات** (٣) .

والتى يقول فيها : « اليوم أحل لكم الطيبات » (٤) .

(١) وهو الدكتور يوسف القرضاوى أثابه الله .

(٢) بتصرف كبير وإضافات موضوعية .

(٤) المائدة : هـ

(٣) المائدة : ع

فقد جرم علينا اجمالا أربعة أشياء ، وتفصيلا عشرة أشياء •  
وقد جاء الإجمال في قوله تعالى :

« قل لا أجد في ما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس (١) أو فسقا أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ريك غفور رحيم » (٢) •  
كما جاء التفصيل في قوله تعالى :

« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب (٣) » (٤) •

\* \* \*

ولا تناقض بين الآيتين لأن الأصناف الخمسة وهي :  
المنخقة : وهي التي تموت اختناقا بسبب التفاف وثاقها على عنقها ، أو لسبب دخول رأسها في مضيق أو نحو ذلك •  
والموقوذة : وهي التي تضرب بالعصا ونحوها حتى تموت •  
والمتردية : وهي التي تتردى من مكان عال فتموت ، ومثلها التي تتردى في بئر •

والنطيحة : وهي التي تنطحها أخرى فتموت •  
وما أكل السبع : وهي التي أكل السبع (٥) جزءا منها فماتت •  
فكل هذه الأصناف الخمسة تدخل في حكم الميتة وهي :  
ما مات حتف أنفه من الحيوان أو الطير ، أى مات بدون عمل من الانسان يقصد به تذكيته أو صيده •  
وكذلك ما ذبح على النصب يدخل في حكم ما أهل لغير الله به ، وهو : ما ذبح وذكر عليه اسم كالأصنام (٦) •  
وأما عن الدم المسفوح — وهو ثانی المحرمات (٧) — فالمراد به

(١) أى قذر .  
(٢) الانعام : ١٤٥  
(٣) النصب هو الشيء المنصب من أصنام أو حجارة تقام إمامة للطاغوت وهو ما عبد من دون الله — وكانت حول الكعبة .  
(٤) المائدة : ٣  
(٥) المراد به الحيوان المفترس .  
(٦) فقد كان الوثنيون اذا ذبحوا ذكروا على نبيحتهم أسماء أصنامهم كاللات والعزى .  
(٧) في الآية الثالثة من سورة المائدة كما عرفت سابقا .

السائل ، والسر في تحريمه أنه مستقذر يعافه الطبع الانساني النظيف ، كما أنه مظنة للضرر كالميتة •

وقد سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الطحال ، فقال : كلوه . فقالوا : انه دم ، فقال : انما حرم عليكم الدم المسفوح •  
وأما عن ثالث المحرمات ، وهو : لحم الخنزير فحسبك أن تعلم أنه قذر ، وأن أشهر وجباته الغذائية : القاذورات والنجاسات ، وأن الطب الحديث أثبت أن أكله ضار في جميع الأقاليم ولا سيما الحارة ، كما ثبت بالتجارب العلمية أن أكل لحمه من أسباب الدودة الوحيدة القاتلة وغيرها من الديدان •  
ومن الباحثين من يقول : ان المداومة على أكل لحم الخنزير تورث ضعف الغيرة على الحرمات •

\* \* \*

وبالنسبة للذكاة التي أشار الله سبحانه وتعالى اليها بقوله :  
«الاما نكيتم» :

فالمعنى : أى ما أدركتم من هذه الحيوانات وفيه حياة فذكيتموه ، أى أحللتموه بالذبح ونحوه •• ويكفى في صحة أدراك ما ذكر أن يكون فيه رمق من الحياة •

فقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : اذا أدركت ذكاة الموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وهى تحرك يدا أو رجلا فكلها •  
وعن الضحاك أنه قال : كان أهل الجاهلية يأكلون هذا فحرمه الله في الاسلام الا ما ذكى منه ، فما أدرك فتحرك منه رجل أو ذنب أو طرف (١) فذكى فهو حلال (٢) •

\* \* \*

وما أبيع أكله من الحيوانات البرية نوعان :  
نوع مقدور عليه متمكن منه ، كالأنعام من ابل وبقر وغنم ، وغيرها من الحيوانات المستأنسة والدواجن والطيور التى تربي في المنازل ونحوها •

(١) أى عين •

(٢) وقال بعض الفقهاء : لا بد أن تكون فيها حياة مستقرة وعلامتها انفجار الدم والحركة العنيفة •

ونوع غير مقدور عليه ولا يتمكن منه .  
وقد اشترط الاسلام لاباحة النوع الأول أن يذكى تذكية شرعية ،  
يشترط فيها :

أن يذبح الحيوان أو ينحر بأكلة حادة مما ينهر الدم ويفرى الأوداج  
ولو كان حجرا أو خشبا ، فعن عدى بن حاتم الطائى قال : قلت :  
يا رسول الله . . اننا نصيد الصيد فلا نجد سكيننا الا الظرار (١) وشقة  
العصا (٢) ، فقال : « أمر الدم (٣) بما شئت واذكر اسم الله عليه » (٤) .  
وأن يكون الذبح فى الحلق أو اللببة (٥) ، وذلك بقطع فى الحلق  
يكون الموت فى أثره ، وأكمل الذبح : أن يقطع الخلقوم والمرى (٦)  
والودجان (٧) ، ويسقط هذا الشرط : اذا تعذر الذبح فى موضعه  
الخاص ، كأن يتردى الحيوان فى بئر من جهة رأسه بحيث لا ينال حلقه  
ولا لبته ، أو يند ويتمرد على طبيعته المستأنسة ، لهذا يعامل معاملة  
الصيد ، ويكفى أن يجرح بمحدد فى أى موضع مستطاع منه . فقد  
ورد فى الصحيحين عن رافع بن خديج أنه قال : كنا مع النبى صلى  
الله عليه وسلم فى سفر فنجد (٨) بعير من ابل القوم ، ولم يكن معهم  
خيل ، فرماه رجل بسهم فحبسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« ان لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش فما فعل منها هذا فافعلوا  
به هكذا » (٩) .

وَألا يذكر على الحيوان عند تذكيته اسم غير الله ، وهذا  
مجمع عليه .

وَأَن يذكر عليه اسم الله ، ففى القرآن يقول رب العزة :  
« فكلوا مما نكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين » (١٠) .  
وفى الحديث الشريف : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه

(١) أى الحجر والمدر المحدد منه .

(٢) أى من البوص .

(٣) أى أرقه .

(٤) رواه أحمد وأبو داوود والنسائى وابن ماجه والحاكم وابن حبان .

(٥) أى النحر .

(٦) وهو مجرى الطعام والشراب من الحلق .

(٧) وهما عرقان غليظان فى جاتبي شفرة النحر .

(٨) أخرجه الشيخان .

(٩) أى هاج وقتر .

(١٠) الأتعام : ١١٨ .

فكلوا» (١) . وذهب بعض العلماء الى أن ذكر اسم الله لا يبد منه ، ولكن ليس من اللازم أن يكون ذلك عند الذبح ، بل يجزىء عنه أن يذكره عند الأكل ، فإنه إذا سمي الله عند الأكل على ما يأكل لم يكن أكلاما لم يذكر اسم الله عليه . فقد ورد في صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن قوما حديثى عهد بجاهلية قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ان قوما يأتوننا باللحمان لا ندري أذكروا اسم الله عليها أم لم يذكروا ؟ أناكل منها أم لا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذكروا اسم الله وكلوا » .

\* \* \*

مع ملاحظة : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر باحداد الشفرة وراحة الذبيحة فقال : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » (٢) .

وأمر أن توارى الشفار (٣) عن البهائم فقال : « اذا ذبح أحدكم فليجهز » (٤) ، أى فليتم .

وقد روى عن ابن عباس أن رجلا أضجع شاة وهو يحد (٥) شفرته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أتريد أن تموت موتات ؟ هلا أهددت شفرتك قبل أن تضعها » (٦) ؟

ورأى عمر رضى الله عنه رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها ، فقال : ويلك . . قدما الى الموت قودا جميلا (٧) .

وكان أهل الجاهلية يحبون (٨) أسنمة الابل — وهى حية — ويقطعون أليات الغنم ، وكان فى ذلك تعذيب لهذه الحيوانات ، ففوت النبي صلى الله عليه وسلم مقصودهم وحرم عليهم الانتفاع بهذه الأجزاء فقال : « ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة » (٩) .

(١) رواه البخارى وغيره . (٢) رواه مسلم عن شداد بن اوس .

(٣) جمع شفرة وهى السكين العظيم .

(٤) رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما .

(٥) أى وهو يقوم بسن السكين .

(٦) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى .

(٧) رواه عبد الرزاق . (٨) أى يقطعون .

(٩) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم .



وقد أحل الله تعالى لنا ذبائح أهل الكتاب وهم (اليهود والنصارى) كما أحل لهم ذبائحنا وفي ذلك يقول تبارك وتعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم » (١) باستثناء ما كان محرما لعينه كالميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير . وقد سئل الامام مالك فيما ذبحه أهل الكتاب لأعيادهم وكنائسهم فقال : أكرهه ولا أحرمه .

وهذه الكراهة من باب الورع خشية أن يكون داخلا فيما أحل لغير الله به ، وهذا بالنسبة لما يذبحونه لآلهتهم . وقد أفتى جماعة من المالكية بأنه ليس بشرط أن تكون تذكيتهم للحيوان — مثل تذكيتنا بمحدد في الحلق ...

وأن ما يروونه مذكى عندهم حل لنا أكله ، وإن لم تكن ذكاته عندنا ذكاة صحيحة ، وما لا يروونه مذكى عندهم لا يحل لنا ، والمفهوم المشترك للذكاة : هو القصد الى ازهاق روح الحيوان بنية تحليل أكله . وعلى ضوء هذا نعرف الحكم في اللحوم المستوردة من عند أهل الكتاب كالديك والبقرة المحفوظة مما قد تكون ذكاته بالضعف الكهربائي ونحوه ، فما داموا يعتبرون هذا حلالا مذكى فهو حل لنا ، وفق عموم الآية .

وأما ذبيحة المجوس ومن مثلهم : فقد اختلف العلماء فيها ، فالأكثر ممن يمنعون من أكلها لأنهم مشركون ، والبعض الآخر من العلماء يقول : هي حلال ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » (٢) . وقد قبل الجزية من مجوس هجر (٣) . والصابئون عند أبي حنيفة أهل كتاب أيضا .

وليس على المسلم أن يسأل عما غاب عنه مثل : كيف كانت التذكية ؟ وهل استوفت شروطها أم لا ؟ وهل ذكر اسم الله على الذبيحة أم لم يذكر ؟ لأن كل ما غاب

(١) المائدة : ٥

(٢) رواه مالك والشافعي ، وما ورد من تنية لهذا الحديث : « غير

ناكحى نسائهم ولا أكلهم ، نسائهم » فلم يصح عند المحدثين .

(٣) روى ذلك البخارى وغيره .

عنا مما ذكاه مسلم - ولو كان جاهلا أو فاسقا - أو كتابى :  
حلال أكله (١) .

وقد استثنت الشريعة الاسلامية من الميتة المحرمة : السمك  
والحيتان ونحوها من حيوانات الماء ، وقد روى في هذا أن النبي  
صلى الله عليه وسلم حين سئل عن ماء البحر قال : « هو الطهور ماءه  
الحل ميتته » . وفي معنى الآية الكريمة : « أهل لكم صيد البحر  
وطعامه » (٢) يقول سيدنا عمر رضى الله عنه : صيده ما اصطيد منه ،  
وطعامه ما رمى به .

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : طعامه ميتته .

وقد ورد في الصحيحين : عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى  
الله عليه وسلم بعث سرية من أصحابه فوجدوا حوتا كبيرا قد جزر  
عنه البحر - أى ميتا - فأكلوا منه بضعة وعشرين يوما ، ثم قدموا  
الى المدينة ، فأخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « كلوا  
مرزقا أخرج الله لكم ، وأطعمونا ان كان معكم » فأثاته بعضهم بشيء  
فأكله (٣) .

ومثل ميتة البحر : الجراد ، فقد رخص رسول الله صلى الله عليه  
وسلم في أكله ميتا ، لأن ذكاته غير ممكنة .  
يقول ابن أبى أوفى رضى الله عنه : « غزونا مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم سبع غزوات نأكل معه الجراد » (٤) .

وجميع الحيوانات البحرية - وهى التى تسكن جوف الماء  
ولا تعيش الا فيه - أكلها حلال ، কিমা وجدت سواء أخذت من الماء  
حية أو ميتة ، طفت أم لم تطف ويستوى في ذلك السمك والحيتان ،  
وما يسمى بكلب البحر أو خنزير البحر أو غير ذلك ، ولا عبرة بمن  
أخذها وصادها ، مسلما أو غير مسلم ، فقد وسع الله على عباده باباحة  
كل ما في البحر ، دون أن يحرم نوعا معيناً ، أو يشترط ذكاة كغيره . . .  
وإذا كان القرآن الكريم لم يصرح بتحريم شيء من الحيوانات

(١) كما جاء في نص الحديث السابق الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « سوا الله عليه انتم وكلوا » .

(٢) رواه البخارى .

(٣) المائدة : ٩٦

(٤) رواه الجماعة الا ابن ماجه .

البرية الا لحم الخنزير خاصة - والميتة والدم وما أهل لغير الله به من أى حيوان : فقد حرم الله علينا على لسان حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم جميع الخبائث ، وهى التى يستقذرها الذوق والحس العام للناس فى مجموعهم وان أساغها أفراد منهم • وفى ذلك يقول تبارك وتعالى فى كتابه العزيز عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » (١) فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم - وهو الذى لا ينطق عن الهوى :

« نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر » (٢) ، و « نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع » (٣) وكل ذى مخلب (٤) من الطير » (٥) .

وإذا كانت الشريعة قد حرمت أكل لحم الميتة : فقد أباحت الانتفاع بجلدها ، أو قرونها ، أو عظمها ، أو شعرها ، لأنه مال يمكن الاستفادة منه فلا تجوز اضاعته ، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : تصدق على مولاة (٦) ليمونة - أم المؤمنين - بشاة فماتت ، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هلا أخذتم اهابها - جلدها - فدبغتموه فانتفعتم به » ؟ فقالوا : انها ميتة ! فقال صلى الله عليه وسلم : « انما حرم أكلها » (٧) .

وقد بين صلى الله عليه وسلم السبيل الى تطهير جلد الميتة ، وهو الدباغ ، فقال فى حديث شريف : « دباغ الأديم (٨) ذكاته » (٩) أى : أن الدباغ فى التطهير بمنزلة الذكاة فى احلال الشاة ونحوها • وفى رواية أخرى : « دباغه يذهب نجسه » (١٠) • وفى صحيح مسلم وغيره عنه صلى الله عليه وسلم : « اذا دبغ الاهاب فقد ظهر » • وهذا يشتمل كل جلد ولو كان جلد كلب أو خنزير ، وبذلك قال أهل الظاهر ، وحكى عن أبى يوسف صاحب أبى حنيفة ورجحه الشوكانى •

(١) الاعراف : ١٥٧ (٢) رواه البخارى .

(٣) المراد بالسباع : ما يفترس الحيوان ويأكله قسرا كالاسد والنمر والذئب ونحوها .

(٤) المراد بذى المخلب من الطير : ما كان له ظفر جارح كالنسر والبيازى والصقر والحدأة . (٥) رواه البخارى ومسلم .

(٦) مولاة : أى جارية كانت لها واعتقتها .

(٧) رواه الجماعة الا ابن ماجه . (٨) أى الجلد .

(٩) رواه أبو داود والنسائى . (١٠) رواه الحاكم .

وإذا كانت هناك قاعدة شرعية تقول : الضرورات تبيح المحظورات ، وقال القرآن مشيراً إليها : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه » (١) . وقال : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم » (٢) فهذه الضرورة المشار إليها في الآيتين ، كما اتفق العلماء هي ضرورة الغذاء بأن يعضه الجوع ، وقد حدد بعض الفقهاء بأن يمر عليه يوم وليلة ولا يجد ما يأكله الا هذه الأطعمة المحرمة ، فله أن يتناول منها ما يدفع به الضرورة ويتقى الهلاك .

وقال الامام مالك : حد ذلك الشبع والترود منها حتى يجد غيرها . وقال غيره : لا يأكل منها الا ما يمسك الرمق ، ولعل هذا هو الظاهر من قول الله تعالى : « غير باغ ولا عاد » أى غير باغ (طالب) للشهوة ، ولا عاد (متجاوز) حد الضرورة . وضرورة الجوع قد نص عليها القرآن نصاً صريحاً بقوله : « فمن اضطر في مخمصة (٣) غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم » (٤) .

وبالنسبة للتداوى بتناول شيء من هذه المحرمات : فقد اختلف في اعتبارها الفقهاء ؛ فمنهم من يعتبر التداوى ليس ضرورة قاهرة كالغذاء ، واستند الى حديث شريف يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » (٥) .

ومنهم من اعتبر هذه الضرورة وجعل الدواء كالغذاء ، فكلاهما لازم للحياة في أصلها أو دوامها .

وقد استدل هذا الفريق — على اباحة هذه المحرمات للتداوى — بأن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في لبس الحرير لعبد الرحمن ابن عوف والزبير بن العوام رضى الله عنهما لحكة (٦) كانت بهما ، مع نهيه عن لبس الحرير ووعيده عليه (٧) .

ثم يقول بعد ذلك صاحب كتاب « الحلال والحرام في الاسلام » : وربما كان هذا القول أقرب الى روح الاسلام الذى يحافظ على الحياة

(٢) البقرة : ١٧٣

(٤) المائدة : ٣

(٦) أى جرب .

(١) الأنعام : ١١٩

(٣) أى مجاعة .

(٥) رواه البخارى .

(٧) رواه البخارى .

الانسانية في كل تشريعاته ووصاياه ، ولكن الرخصة في تناول الدواء المشتمل على المحرم مشروطة بشروط :

١ - أن يكون هناك خطر حقيقي على صحة الانسان اذا لم يتناول هذا الدواء .

٢ - ألا يوجد دواء غيره من الحلال يقوم مقامه أو يغني عنه .  
٣ - أن يصف ذلك طبيب مسلم ثقة في خبرته وفي دينه معا .  
ثم يقول أكرمه الله : على انا نقول مما نعرفه من الواقع التطبيقي ومن تقرير ثقات الأطباء : أن لا ضرورة طبية تحتتم تناول شيء من هذه المحرمات - كدواء - ولكننا نقرر المبدأ احتياطا لمسلم قد يكون في مكان لا يوجد فيه الا هذه المحرمات .

ثم يقول أيضا : وليس من شرط الضرورة ألا يجد الانسان طعاما في ملكه هو فحسب ، بل لا يكون مضطرا لتناول هذه الأطعمة المحرمة اذا كان في أفراد مجتمعه - مسلمهم أو ذميتهم - من يملك من فضل الضام ما يدفع به الضرورة عنه ، فان المجتمع الاسلامي متكامل ومتكافل كأجزاء الجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وأنا أقول : وليس هذا فحسب ، فان الاسلام هو دين الرحمة والمودة ، والمؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم مثلهم : « ... كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١) .

وفي الحديث الشريف : « ... من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » (٢) .  
وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال : « عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقيتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » (٣) .

فما بالك بالنسبة للانسان أيا كان شأن هذا الانسان : ان الانسانية التي تجمعنا جميعا في أبوة وأمومة واحدة تدعونا الى ضرورة التعاطف والتراحم فضلا عن الاسلام الذي يجعل هذا أساسا في دعوته .

(١ ، ٢ ، ٣) متفق عليه .

وأما عن الحيوانات البرية والطيور والمستطاب لحمها والغير مستأنسة للإنسان : فقد أباح الاسلام صيدها ، ولم يشترط في تذكيتهما ما اشترط في الحيوانات المستأنسة من الذكاة في الحلق أو اللبة ، وانما اكتفى في تذكيتهما بما يسهل في مثلها تخفيفا على الانسان وتوسعة عليه ، وأقر الناس في هذا الأمر على ما هدتهم اليه الفطرة والحاجة ، غير أن الاسلام أدخل عليه تنظيمات واشترطات تخضعه لعقيدة الاسلام ونظامه ، من هذه الاشرططات : ما يتعلق بالصائد ، وما يتعلق بالمصيد ، وما يتعلق بما يكون به الصيد •

أما ما يتعلق بالصائد : فانه يشترط فيه ما يشترط في الذابح بأن يكون مسلما ، أو من أهل الكتاب أو من هو في حكم أهل الكتاب •• كما يشترط فيه أيضا : ألا يكون محرما بحج أو عمرة •

وأما ما يتعلق بالمصيد : فانه يشترط فيه أن يكون حيوانا مما لا يقدر الانسان على تذكيته في الحلق واللبة ، فان قدر على تذكيته في ذلك فلا بد منها ولا يلجأ الى غيرها ، لأنها الأصل ، وكذلك لو رماه بسهمه أو سلط عليه كلبه ، ثم أدركه وفيه حياة مستقرة فعليه أن يحله بالذبح المعتاد في الحلق ، فان كان به حياة غير مستقرة ، فان ذبحه فحسن ، وان تركه يموت من نفسه فلا اثم عليه ، وفي الصحيحين : « واذا أرسلت كلبك فاذا ذكر اسم الله عليه ، فان أمسك فأدركته حيا فاذبحه » •

وأما ما يتعلق بما يكون به الصيد فهو نوعان :

( أ ) الآلة الجارحة كالسهم والسيف والرمح ، كما أشارت الآية الكريمة التي يقول الله تعالى فيها : « تنالهُ أيديكم ورماحكم » (١) •

( ب ) الحيوان الجارح الذي يقبل التعليم كالكلب والفهد من سباع البهائم ، والبارز والصرقر من سباع الطير ، قال تعالى : « قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهم مما علمكم الله » (٢) • وبالنسبة للنوع الأول ( أ ) وهو الصيد بالآلة ، فانه يشترط فيها أمران :

الأول : أن تنفذ في الجسد بحيث يكون قتلها بالنفاذ والخدش لا القتل • وقد سأل عدى بن حاتم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اننى أرمى بالمرراض الصيد فأصيبه ، قال : « اذا رميت بالمرراض

فخزق<sup>(١)</sup> فكل ، وما أصاب بعرضه فلا تأكل<sup>(٢)</sup> . وقد دل الحديث على أن المعتبر هو الخزق وان كان القتل بمثل ، وعلى هذا يحل ما صيد برصاص البنادق والمسدسات ونحوها ، فانها تنفذ في الجسم أشد من نفاذ السهم والرمح والسيف .

أما ما رواه أحمد من حديث : « لا تأكل من البندقة الا ما ذكيت » وما رواه البخارى من قول ابن عمر في المقتولة بالبندقية : « تلك الموقوذة » فالبندقية هنا هي التي تتخذ من طين فييس فيرمى بها ، فهي شيء غير البندقية تماما<sup>(٣)</sup> .

ومثل البندقية ما صيد بحصى الخذق ، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخذق<sup>(٤)</sup> وقال : « انها لا تصيد صيدا ولا تنكأ عدوا ، ولكنها تكسر السن ، وتفقأ العين »<sup>(٥)</sup> .

الثانى : أن يذكر اسم الله على الآلة عند الرمي والضرب بها ، كما علم النبي صلى الله عليه وسلم عدى بن حاتم . وكذلك بالنسبة للنوع الثانى ( ب ) وهو الصيد بالكلاب ونحوها : فاذا كان الصيد بكلب أو باز مثلا فالملطوب فيه : أولا : أن يكون معلما .

ثانيا : أن يصيد الصيد لأجل صاحبه ويعتبر القرآن : أن يمسك على صاحبه لا على نفسه .

وأصل هذه الشروط هو ما نطقت به الآية الكريمة : « يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين<sup>(٦)</sup> تعلمونهم مما علمكم الله ، فكلوا مما أمسكن عليكم وانكروا اسم الله عليه »<sup>(٧)</sup> .

وحد التعليم هو قدرة صاحب الكلب على التحكم فيه وتوجيهه بحيث يدعو فيجيب ، ويعيريه بالصيد فيندفع وراءه ، ويزجره فينجزر . . . وحد الإمساك على صاحبه ألا يأكل منه ، قال صلى الله عليه وسلم : « اذا أرسلت الكلب فأكل من الصيد ، فلا تأكل ، فانما أمسك على

(٢) متفق عليه .

(١) أى نفذ في الجسم .

(٤) وهو الرمي بحصاة ونحوها .

(٣) المعروفة في عصرنا .

(٦) أى مؤدبين ومعلمين .

(٥) رواه البخارى وسلم .

(٧) المائدة : ٤

نفسه ، فاذا أرسلته فقتل ولم يأكل فكل فانما أمسكه على صاحبه» (١) .  
 وذكر اسم الله عند ارسال الكلب كذكره عند قذف السهم أو وخز  
 الرمح أو ضرب السيف ، وقد أمرت الآية به هنا : « وانكروا اسم  
 الله عليه » كما جاءت به الأحاديث الصحيحة المتفق عليها ، كحديث  
 عدى بن حاتم .

ومما يدل على أهمية هذا الشرط : أنه لو شارك كلبه كلب آخر ،  
 فان صيدهما لا يحل . وقد ورد في هذا أن عديا قال لرسول الله صلى  
 الله عليه وسلم : انى أرسل كلبى أجد معه كلبا ، لا أدري أيهما أخذه ؟  
 فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « فلا تأكل ، فانما سميت على  
 كلبك ولم تسم على غيره » ، فاذا نسي التسمية عند الرمي أو الارسال  
 فقد وضع الله عن هذه الأمة المؤاخذة بالنسيان والخطأ ، وحسبه أن  
 يتدارك هذا عند الأكل ، كما مر في الذبح .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أبا الاسلام اذا كنت من هواة الصيد ، مع  
 ملاحظة هذه التوجيهات الهامة التى تتعلق كذلك بهذا الموضوع ، وهى :  
 ألا تكون عابثا بصيدك فترهق روحه دون قصد منك الى أكله  
 أو الانتفاع به ، فقد ورد في الحديث : « من قتل عصفورا عبثا عج  
 الى الله يوم القيامة ، يقول : يا رب .. ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى  
 منفعة » (٢) ، وفي حديث آخر : « ما من انسان يقتل عصفورا فما  
 فوقها بغير حقها الا سأله الله عنها يوم القيامة » قيل : يا رسول الله ..  
 وما حقها ؟ قال : « أن يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها فيرمى به » (٣) .  
 وإذا رميت صيدك بسهم فأصابه ، ثم غاب عنك فلم تجده بعد  
 ذلك ، أو بعد أيام ، الا ميتا فانه في هذه الحالة لا يكون صيدك حلالا  
 الا بشروط :

أولها : ألا يقع صيدك فى الماء ، فقد قال النبي صلى الله عليه  
 وسلم : « اذا رميت سهمك فان وجدته قد قتل فكل ، الا أن تجده  
 قد وقع فى ماء فانك لا تدري الماء قتله أم سهمك » (٤) .

(١) رواه احمد ومثله فى الصحيحين .

(٢) رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .

(٣) رواه النسائى والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٤) رواه البخارى ومسلم .



ثانيا : ألا تجد فيه أثرا لغير سهمك تعلم أنه سبب قتله ، فمن عدى بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله .. أرمى الصيد فأجد فيه سهمي من الغد ؟ فقال : « اذا علمت أن سهمك قتله ولم تر فيه أثر سبع فكل » (١) .

ثالثها : ألا يصل صيدك الى درجة النتن ، فان الطباع السليمة تعاف ذلك وتشمئز منه ، فضلا عما يتوقع من ضرره ، ففى صحيح مسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبى ثعلبة الخشنى : « اذا رميت سهمك فغاب (٢) ثلاثة أيام وأدركته فكل ما لم ينتن » .

\* \* \*

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام حتى تأكل حلالا طيبا كما أمرك الله ورسوله فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى وقفت عليها ، وكما ورد فى الحديث الشريف الذى يقول فيه صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى طيب (٣) لا يقبل الا طيبا (٤) ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ... » (٥) .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » (٦) ثم ذكر الرجل أشعث أغبر يمد يديه الى السماء : يا رب .. يا رب .. ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى (٧) بالحرام فأنى يستجاب له (٨) .

\* \* \*

واتماما للفائدة فقد رأيت كذلك أن أسوق اليك هذه الأحكام التى تتعلق خاصة بالشراب ، والبيع والشراء ، وهى :  
أن الخمر التى حرم الله شربها فى الآيتين الكريمتين اللتين يقول الله تعالى فيهما : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانتصاب

(١) رواه الترمذى . (٢) أى الصيد .

(٣) أى منزه عن النقائص والخبائث ، وقيل : طيب الثناء .

(٤) أى لا يتقرب اليه بصدقة حرام ، ويكره التصدق بالردىء ولا يقبل

من المال الا الطيب وكذلك بالنسبة للأعمال .

(٥) المؤمنون : ٥١ (٦) البقرة : ١٧٢

(٧) أى نبت لحمه من حرام . (٨) رواه مسلم عن أبى هريرة .

والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون» (١) •

قد حرم الاسلام الاتجار بها ولو مع غير المسلمين : وعلى هذا فإنه لا يحل لمسلم أن يعمل : مستوردا ، أو مصدرا للخمر ، أو صاحب محل لبيع الخمر ، أو عاملا في هذا المحل ، ففي الحديث الشريف : « لعن النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة : عاصرها ، ومعتصرها (٢) ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وساقيتها ، وبائعها ، وأكل ثمنها ، والمشتري لها ، والمشتراة له » (٣) •

وحرم الاسلام التداوى بالخمر وغيرها من المحرمات وقد روى في هذا أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمر : إنما أصنعها للدواء ، فقال صلى الله عليه وسلم : « انه ليس بدواء ولكنه داء » (٤) ، كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ، ولا تتداووا بحرام » (٥) ، كما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال في شأن التداوى بالمنكر : « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » (٦) •

كما حرم الاسلام اهداء الخمر ولو لغير المسلم : فلا ينبغي للمسلم أن تكون الخمر هدية منه ، ولا هدية اليه ، فهو طيب لا يهدى الا طيبا ، ولا يقبل الا طيبا • وقد روى في هذا أن رجلا أراد أن يهدى للنبي صلى الله عليه وسلم راوية خمر ، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أن الله حرمها ، فقال الرجل : أفلا أبيعها ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الذى حرم شربها حرم بيعها » فقال الرجل : أفلا أكارم بها اليهود ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الذى حرمها حرم أن يكارم بها اليهود » فقال الرجل : فكيف

(١) المائدة : ٩٠ ، ٩١ (٢) أى طالب عصرها .

(٣) رواه احمد وابوداود والترمذى .

(٤) رواه مسلم واحمد وابوداود والترمذى .

(٥) رواه ابو داود . (٦) رواه البخارى تعليقا .

أصنع بها ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « شئنا (١) على  
البيطحاء » (٢) .

وقد أمر المسلم كذلك بمقاطعة مجالس الخمر ، ومجالسة شاربها  
وقد روى في هذا عن عمر رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر  
فلا يقعد على مائدة يدار عليها الخمر » (٣) .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد سئل عن أشربة تصنع  
من العسل أو من الذرة والشعير تنبذ حتى تشتد ، فكان جوابه صلى  
الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » (٤) ، فهذا دليل  
على أن كل ما يحدث الاسكار فهو حرام ، وهو خمر مهما وضع الناس  
لها من ألقاب وأسماء ، ومهما تكن المادة التى صنعت منها ، وعلى  
هذا : فالبييرة وما شابهها حرام ، سواء أكان قليلا أم كثيرا . غفى  
الحديث الشريف : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » (٥) .

وإذا كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أعلن على  
الناس من فوق منبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن : « الخمر ما خامر  
العقل » .

فهذا دليل على أن كل ما لابس العقل أو أخرجه عن طبيعته  
المميزة المدركة الحاكمة يعتبر خمرًا حرمة الله ورسوله الى يوم القيامة ،  
ومن ذلك : تلك المواد التى تعرف باسم « المخدرات » مثل الخشيش ،  
والكوكايين والأفيون ونحوها مما عرف أثرها — عند متعاطيها — على  
العقل ، هذا الى جانب ما تحدثه من فتور فى الجسد ، وخدر فى الأعصاب ،  
وهبوط فى الصحة وفوق ذلك ما تحدثه من خور فى النفس ، وتمييع  
الخلق ، وتحلل الإرادة ، وضعف الشعور بالواجب ، مما يجعل هؤلاء  
الدممنين لتلك السموم أعضاء غير صالحة فى جسم المجتمع ، فضلا عما  
وراء ذلك كله من اتلاف للمال ، وخراب للبيوت .

وإذا كانت هناك قاعدة شرعية تقول : بأنه لا يحل للمسلم أن  
يتناول من الأطعمة أو الأشربة شيئا يقتله بسرعة أو يبطئ — كالسم

(١) أى أرقها على الأرض . (٢) رواه الحميدى فى مسنده .

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

بأنواعه — أو يضره ويؤذيه ، ولا أن يكثر من طعام أو شراب يمرض  
بالإكثار منه . وذلك لأن المسلم ليس ملك نفسه ، وإنما هو ملك دينه  
وأتمته ، وحياته وصحته وماله ، ونعم الله كلها عليه تعتبر وديعة عنده ،  
ولا يحل له التفریط فيها ، وفي ذلك يقول تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم  
إلى التهلكة » (١) ويقول : « ولا تقتلوا أنفسكم ، إن الله كان بكم  
رحيما » (٢) . وفي الحديث الشريف : « لا ضرر ولا ضرار » ،  
فهذا دليل على أن كل ما يضر ويكون سببا في هلاك الإنسان ، وضياح  
ثروته : أكله أو شربه حرام ، ويدخل في هذا بالطبع تناول التبغ (الدخان)  
لأنه كما هو واضح ومعترف به حتى من جانب شاربيه ضار جدا بالصحة  
التي جانب أنه مثلث للمال الذي ربما كانت أسرهم ، فضلا عن وطنهم ،  
في أشد الحاجة إليه .

\* \* \*

وإذا كان الله سبحانه وتعالى كما قال في كتابه العزيز قد أحل  
البيع وحرم الربا ، فقد رأيت حتى يكون مأكوك ومشروبك من مصدر  
حلل أن أقف معك على أهم ما يجب علينا أن نقف عليه في موضوع  
« البيع والربا » وحسبك أن تعلم وباختصار :

أن البيع في اللغة : مصدر باع كذا بكذا ، أى دفع عوضا وأخذ  
معوضا ، وهو يقتضى بائعا وهو المالك أو من ينزل منزلته ، ومبتاعا  
وهو الذى يبذل الثمن ، ومبيعا وهو المثلون ، وهو الذى يبذل في  
مقابلته الثمن ، وعلى هذا فأركان البيع أربعة : البائع ، والمبتاع ،  
والثمن ، والثمن . إلى أن يقول (٣) : البيع قبول وإيجاب يقع باللفظ  
المستقبل والماضى ، فالماضى فيه حقيقة والمستقبل كناية ، ويقع  
بالصريح والكناية المفهوم منها نقل الملك ، فسواء قال : بعتك هذه  
السلعة بعشرة ، فقال : اشتريتها ، أو قال المشتري : اشتريتها ، وقال  
البائع : بعتكها ، أو قال البائع : أنا أبيعك بعشرة ، فقال المشتري :  
أنا أشتري أو قد اشتريت ، وكذلك لو قال : خذها بعشرة ، أو أعطيتها ،  
أو دونتها ، أو بورك لك فيها بعشرة أو سلمتها اليك — وهما يريان  
البيع — فذلك كله بيع لازم ، ولو قال البائع : بعتك بعشرة ، ثم رجع

(٢) النساء : ٢٩

(١) البقرة : ١٩٥

(٣) أى القرطبي .

قبل أن يقبل المشتري ، فقد قال (١) : ليس له أن يرجع حتى يسمع قبل المشتري أو رده ، لأنه قد بذل ذلك من نفسه وأوجبه عليها ، وقد قال ذلك له ، لأن العقد لم يتم عليه . ولو قال البائع : كنت لاعبا ، فقد اختلفت الرواية (٢) ، فقال مرة : يلزمه البيع ولا يلتفت الى قوله ، وقال مرة : ينظر الى قيمة السلعة فان كان الثمن يشبه قيمتها فالبيع لازم ، وان كان متفاوتا : كعبد بدرهم ، ودار بدينار ، علم أنه لم يرد البيع ، وانما كان هازلا فلم يلزمه .



فلاحظ كل هذا أبا الاسلام مع ملاحظة هذه الأحكام المتعلقة بالبيع والشراء ، وهي :

أن الاتجار بكل ما جرت العادة بأن يقتنى لمعصية حظرها الاسلام ، أو يكون الانتفاع المقصود به عند الناس نوعا من المعصية : حرام ، كالخنزير ، والخمر والأطعمة والأشربة المحرمة ، والأصنام والصلبان والتماثيل ونحوها . . . فقد ورد في الحديث الشريف : « ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » (٣) .

وأیضا ورد عنه صلى الله عليه وسلم : « ان الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه » (٤) .

وأن النبي صلى الله عليه وسلم : نهى عن بيع ما في صلب الفحل أو بطن الناقة ، أو الطير في الهواء أو السمك في الماء ، وعن كل ما فيه غرر (٥) حتى لا يؤدي الى خصومة بين الطرفين أو غبن أحدهما للآخر ، كما نهى صلى الله عليه وسلم : عن بيع الثمار حتى بيدو صلاحها الا أن يشترط القطع في الحال ، ونهى عن بيع السنبل حتى يبيض ويأمن العاهة (٦) ، وقال : « رأيت اذا منع الله الثمرة ، بم يستحل أحدكم مال أخيه » (٧) .

وأنه صلى الله عليه وسلم : نهى عن احتكار الطعام بعبارات شديدة زاجرة فقال : « من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برىء الله

(١) (٢٠٦١) أي الامم ملك . (٢) متفق عليه .

(٤) رواه أحمد وأبو داود .

(٥) أي جهالة وعدم تحديد للمعقود عليه .

(٦) أخرجه مسلم . (٧) رواه البخاري وغيره .

منه» (١) . وقال : « لا يحتكر الا خاطيء » (٢) . وقال : « بئس العبد المحتكر ، ان سمع برخص ساءه ، وان سمع بغلاء فرح » (٣) . وقال : « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون » (٤) .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن بيع الحاضر للبادى وصورة هذا — كما قال العلماء — أن يقدم غريب بمتاع تغم الحاجة اليه ، ليبيعه بسعر يومه ، فيأتيه ابن المدينة ، فيقول له : نخل متاعك عندي حتى أبيعك لك على المهلة بثمن غال ، ولو باع البادى بنفسه لأرخص ونفع البلدين ، وانتفع هو أيضا . وقد كانت هذه الصورة شائعة في المجتمع الجاهلى فلما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عنها ، بقول أنس : « نهينا أن يبيع حاضر لباد ، ولو كان أخاه لأبيه وأمه » (٥) .

وقد سئل ابن عباس رضى الله عنهما ، عن معنى : « لا يبيع حاضر لباد » فقال : « لا يكون له سمسارا » (٦) . ومعنى هذا أنه اذا دله على السعر ونصح له وعرفه بأحوال السوق من غير أن يأخذ أجرا كشأن السمسارة ، فهذا لا بأس به .

وأما السمسرة في غير هذا الموطن فلا حرج فيها لأنها من نوع الدلالة والتوسط بين البائع والمشتري . ولا بأس بأن يأخذ السمسار أجره نقودا معينة أو عمولة بنسبة معينة من الربح أو ما يتفقون عليه . قال البخارى في صحيحه : لم ير ابن سيرين وعطاء و ابراهيم والحسن بأجر السمسار بأسا ، وقال ابن عباس : لا بأس بأن يقول : بع هذا الثوب فما زاد على كذا وكذا فهو لك ، وقال ابن سيرين : اذا قال : بعه بكذا ، فما كان من ربح فهو لك ، أو بينى وبينك فلا بأس به .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المسلمون عند شروطهم » (٧) . وأما عن النجش : وهو كما فسره ابن عمر : أن تعطى فى السلعة

- 
- (١) أخرجه أحمد والحاكم وابن أبى شيبة والبخارى .  
 (٢) رواه مسلم .  
 (٣) ذكره رزين فى جامعه .  
 (٤) رواه ابن ماجه والحاكم .  
 (٥) متفق عليه .  
 (٦) رواه البخارى .  
 (٧) ذكره البخارى معلقا ، ورواه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم

أكثر من ثمنها وليس في نفسك اشتراء ، ليقتندي بك غيرك ، وكثيرا ما يكون عن اتفاق لخداع الآخرين ، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه (١) .

كما نهى صلى الله عليه وسلم التجار عن كثرة الحلف بعامه وعن العلف الكاذب بخاصة ، فقال : « الحلف منفقة للسلمة ممحقة للبركة » (٢) وذلك لأن الاكثار من الحلف في البيع ربما كان مظنة لتغيير المتعاملين الى جانب أنه قد يكون سببا كبيرا في زوال تعظيم اسم الله تعالى من القلب .

وقد حرم الاسلام الغش والخداع في سائر أنواع المعاملات الانسانية ، ولا سيما في البيع والشراء ، وقد ورد في حديث شريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فان صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما » (٣) .

وقال في حديث آخر : « لا يحل لأحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ، ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه » (٤) .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم : مر ذات يوم برجل يبيع طعاما (٥) فأعجبه ، فأدخل يده فيه ، فرأى بلا ، فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام » ؟ قال : أصابته السماء (٦) . فقال صلى الله عليه وسلم : « فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟! من غشنا فليس منا » . وفي رواية أخرى : أنه صلى الله عليه وسلم مر بطعام وقد حسنه صاحبه ، فوضعه يده فيه ، فاذا طعام رديء فقال : « بع هذا على حدة ، وهذا على حدة ، من غشنا فليس منا » (٧) .

كما حرم التطفيف في الكيل والسرقة من الميزان لأن فاعل هذا يعتبر سارقا ومخادعا وغشاشا وحسبه زجرا وردعا أن يقرأ قول الله تبارك وتعالى : « ويل (٨) للمطففين • الذين إذا اكثالوا على الناس يستوفون • وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون • الا يظن أولئك أنهم مبعوثون • ليوم عظيم • يوم يقوم الناس لرب العالمين » (٩) .

(٢) رواه البخارى .

(٤) رواه الحاكم والبيهقى .

(٦) أى المطر .

(٨) الويل : هو العذاب والهلاك .

(١) متفق عليه .

(٣) رواه البخارى .

(٥) حبوبا .

(٧) رواه مسلم .

(٩) المطففين : ١ - ٦

وإذا كان الإسلام قد حرم السرقة والخداع كما عرفت ، فقد حرم كذلك : شراء المسروق والمنهوب لأن فاعل ذلك يعتبر مشاركا للمسارق والناهب ومعينا لهما على اغتصاب أموال الناس وقد ورد هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اشترى سرقة<sup>(١)</sup> وهو يعلم أنها سرقة ، فقد اشترك في اثمها وعارها » .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام وراقب الله سبحانه وتعالى في أداء ما تقوم به من أعمال حتى يكون أجرك الذى ستتقاضاه نظير ذلك حلالا .

\* \* \*

واعلم : أن الإسلام حرم الاكتساب من : كل عمل رخيص مشير للفریزة الجنسية ، كالرقص والغناء الخليع ، والتمثيل الماجن ..

وكذلك حرم الاكتساب من : صناعة التماثيل ، وقد روى في هذا عن سعيد بن أبى الحسن قال : كنت عند ابن عباس اذ جاءه رجل فقال : يا ابن عباس .. انى رجل انما معيشتى من صنعة يدي ، وانى أصنع هذه التصاوير . فقال ابن عباس : لا أحدثك الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. سمعته يقول : « من صور صورة فان الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا » فريا الرجل ريوه شديدة<sup>(٢)</sup> ، فقال ابن عباس : « ويحك .. ان أبيت الا أن تصنع ، فعليك بهذا الشجر ، وكل شيء ليس فيه روح »<sup>(٣)</sup> .

أما تصوير اللوحات والتصوير الفوتوغرافى : فهو مباح أو مكروه ، اذا لم يشتمل موضوع الصورة نفسها على محرم فى الإسلام كإبراز مواضع الفتنة فى الأئشى وتصوير رجل يقبل امرأة ونحوها ، ومثل ذلك الصور التى تعظم وتقدس كصور الملائكة والأنبياء ونحوها ، فهذا كله حرام .

\* \* \*

(١) أى مسروقا .

(٢) يعنى انتفخ من الغيظ والضيق .

(٣) أخرجه البخارى .



وأما عن :

### الربا

- وهو (١) لغة الزيادة كما يشير الآية الكريمة : « اهتزت وربت » (٢) وشرعا : الزيادة على رأس المال ، وفي ذلك يقول تعالى : « وان تبتم فلکم رؤوس أموالکم » وهو : حرام بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، قلل تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » (٣) وقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ونروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفتلوا فلننوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم : « لمن آكل الربا وموكله وشاهده وكتبه » (٥) .

وهو : من أكبر الكبائر ولم يطل في شريعة قط لقوله تعالى : « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه » (٦) . أى في الكتب السابقة ، ولم يؤخذ الله تعالى في كتابه بالحرب سوى آكل الربا . ولذا قيل : انه يدل على سوء الخاتمة والعياذ بالله .

والربا لا يحرم الا في الذهب والفضة والمطعمات لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب ، ولا الورق بالورق » (٧) ، ولا البر بالبر ، ولا الشعير بالشعير ، ولا التمر بالتمر ، ولا الملح بالملح ، الا سواء بسواء عينا بعين ، يدا بيد ، ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير ، والشعير بالبر ، والتمر بالملح والملح بالتمر كيف شئتم » ، « فمن زاد أو استزاد فقد أربى » (٨) فقد دل الحديث كما رأيت على حرمة بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة وبيع المتماثلات من الأطعمة الا بشروط ثلاثة : التماثل ، وال طول ، والقبض في المجلس ، هذا اذا اتحد الجنس فاذا اختلف كالذهب بالفضة والبر بالشعير جاز التفاضل ، بزيادة أحدهما عن الآخر لقوله صلى الله

(١) كما جاء في كتاب « الفقه الميسر » ( المعاملات ) لفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ أحمد عيسى عاشور .

(٢) البقرة : ٢٧٥

(٣) فصلت : ٣٩

(٤) البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩

(٥) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه .

(٦) الورق بكسر الراء : أى الفضة .

(٧) النساء : ١٦١

(٨) رواه الشافعي .

عليه وسلم : « اذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد » (١) .

فلا يشترط الا شرطان : الحلول والتقابض . أما التفاضل فإنه يجوز ، واذا اختلف الجنس والعة كالفضة والبر والنحاس والقماش مثلا فلا تشترط هذه الأمور فيصبح البيع حالا ومؤجلا ومتماثلا ومتفاضلا .

ثم المماثلة تعتبر في المكيل كيلا ، وفي الموزون وزنا لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق الا وزنا بوزن » (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم : « ما وزن مثل بمثل اذا كان نوعا واحدا ، وما كيل فمثل ذلك فاذا اختلف النوعان فلا بأس » (٣) . وينقسم الربا الى أربعة أقسام :

**الأول** : ربا الفضل وهو بيع الربوى بجنسه مع زيادة في أحد العوضين .

**الثاني** : ربا اليد وهو بيع الربويين ولو اختلفى الجنس مع تأخير القبض للعرضين أو لأحدهما عن الآخر .

**الثالث** : ربا النسيئة وهو بيع لأجل ولو لحظة .

**الرابع** : ربا القرض وهو كل قرض جر نفعا للمقرض . ومنه بيع الغاروقة المعروفة وهو أن يبيع شخص لآخر سلعة لمدة سنة مثلا ثم ينتفع بها المشتري فان جاء البائع بالثمن ردها اليه والا صارت ملكا للمشتري .

وقد ذكر العلماء في علة تحريم الربا وجوها (٤) :

**أحدها** : أن الربا يقتضى أخذ مال الانسان من غير عوض لأن من يبيع الدرهم بدرهمين نقدا أو نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير مقابل ، ومال الانسان له حرمة كحرمة الدم لقوله صلى الله عليه وسلم : « حرمة مال الانسان كحرمة دمه » (٥) فوجب أن يكون أخذ ماله من غير عوض محرما .

**الثاني** : أن الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب وذلك يؤدي

(٢) رواه مسلم .

(١) رواه مسلم .

(٣) رواه الدارقطني .

(٤) ذكرها الامام الرازى في تفسيره ج ٧ ص ٤ طبعة عبد الرحمن محمد

(٥) أخرجه ابو نعيم في « الحلية » .

الى انقطاع منافع الخلق ، ومن المعلوم أن مصالح العباد لا تنتظم الا بالكسب من التجارة والصناعة والزراعة ، والربا : يعطل ذلك كله .  
**الثالث** : أن الربا يؤدي الى انقطاع المعروف بين الناس فلا يقترض أحد أحدا الا بالربا ولا يواسى أحد أحدا الا بالربا ، وفي ذلك ما فيه من التدابر وانقطاع المواساة والمعروف والاحسان الى المحتاجين وأرباب الحاجات ، فيحملهم ذلك الى القرض بالربا .

**الرابع** : أن المقرض في الغالب يكون غنيا والمستقرض يكون فقيرا ، وفي جواز الربا تمكين للغنى من الفقير فيستذله ويستضعفه ويصير أسير الحاجة ، وهذا غير جائز برحمة الرحيم .

**الخامس** : أن حرمة الربا قد ثبتت بالنص فوجب القطع بحرمة .  
 ومن الآثار السيئة في تعاطى الربا أن الله تعالى يمحقه ولا يبقى عليه ولا يبارك فيه لقوله تعالى : « **يمحق الله الربا** » (١) ومن آثاره الطرد من رحمة الله تعالى ، ففي الحديث الشريف يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « **لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه** » (٢) .  
 ومن آثاره كذلك : أن آكله يقوم يوم القيامة مجنونا كمن أصابه الشيطان بجنون .

ويقول صاحب كتاب « **الحلال والحرام في الاسلام** » :  
 وإذا كانت هناك ضرورة ملحة اقتضت معطى الفائدة أن يلجأ الى هذا الأمر ، فإن الاثم في هذه الحالة يكون على آخذ الربا ( الفائدة ) وحده .

ثم ذكر شرطا لهذا ، وهو (٣) :  
 أن تكون هناك ضرورة حقيقية ، لا مجرد توسع في الحاجيات أو الكماليات . فالضرورة ما لا يمكنه الاستغناء عنه الا اذا تعرض للإهلاك كالقوت والملبس الواقى ، والعلاج الذى لا بد منه .  
 وأن يكون هذا الترخيص بقدر ما يفي بالحاجة دون أن تزيد فمتى كان يكفيه تسعة جنيهات مثلا : لا يحل له أن يستقرض عشرة .

(١) البقرة : ٢٧٦

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه النسائى وابن ماجه .

(٣) بتصرف قليل .

وعليه أن يستنفذ - قبل استقراضه - كل طريقة للخروج من مأزقه المادى ، وعلى اخوانه المسلمين أن يعينوه على ذلك فان لم يجد وسيلة الا هذا ، فأقدم عليه غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم .  
وأن يفعل ذلك ان فعله وهو له كاره وعليه ساخط ، حتى يجعل الله له مخرجا .



فلاحظ كل هذا آخا الاسلام ، واعلم :  
انه يجوز للمسلم أن يشتري ويدفع ثمن الشراء نقدا كما يجوز له أن يؤخره الى أجل بالتراضى ، وقد اشترى النبى صلى الله عليه وسلم طعاما من يهودى لنفقة أهله الى أجل ورهنه درعا من حديد (١) .  
فاذا زاد البائع فى الثمن من أجل التأجيل ، كما يفعله معظم التجار الذين يبيعون بالتقسيط : فمن الفقهاء من حرم هذا النوع من البيع مستندا الى أنه زيادة فى المال فى مقابل الزمن فأشبهه الربا ، وأجازته جمهور العلماء : لأن الأصل الاباحة ، ولم يرد نص بتحريم ، وليس مشابها للربا من جميع الوجوه ، وللبائع أن يزيد فى الثمن لاعتبارات يراها ، ما لم تصل الى حد الاستغلال الفاحش والظلم البين والا صارت حراما . قال الشوكانى : « قالت الشافعية والحنفية ، وزيد بن على ، والمؤيد بالله والجمهور : يجوز لعموم الأدلة القاضية بجوازه ، وهو الظاهر » (٢) .

ويجوز للمسلم أن يدفع مقدارا مطوما من المال حالا ليتسلم فى مقابله صفقة بعد أجل معين ، وهو المعروف فى الفقه الاسلامى « بعقد السلم » (٣) .



وفى ختام هذا العرض الموضوعى الذى كان حول أهم الأحكام التى تتعلق بالطعام والشراب ، اليك كذلك هذه الآداب المحمدية التى وردت فى نفس الموضوع والتى جاء فيها :

(١) رواه البخارى .

(٢) « نيل الأوطار » ج ٥ ص ١٥٢

(٣) راجع كل هذا باطناب فى « الحلال والحرام فى الاسلام » ص ٢٨١

عن عمرو بن أبي سلمة رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سم الله ، وكل بيمينك وكل مما يليك » (١) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ، فان نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله ، فليقل : بسم الله أوله وآخره » (٢) .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع مائدته قال : « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مستغنى عنه ربنا » (٣) .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أكل طعاما فقال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه » (٤) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البركة تنزل وسط الطعام ، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه » (٥) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » (٦) .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من طعامه قال : « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » (٧) .

وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصارى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل وشرب قال : « الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا » (٨) .

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رواه أبو داود والترمذى .

(٨) رواه أبو داود والنسائى بإسناد صحيح .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أكل أحدكم طعاما - وفي رواية (١) من أطعمه الله طعاما - فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ، ومن سقاه الله تعالى لبننا فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يجزىء من الطعام والشراب غير اللبن » (٢) .

وعن عبد الله بن يسر رضي الله عنه أنه قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي فقربنا إليه طعاما ووطبة (٣) فأكل منها ، ثم أتى بتمر فكان يأكله ويلقى النوى بين أصبعيه ويجمع السبابة والوسطى ، ثم أتى بشراب فشربه ، ثم ناوله الذي عن يمينه فقال أبي : ادع الله لنا . فقال : « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم » (٤) .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه فجاء بخبز وزيت فأكل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة » (٥) .

وعن المقداد رضي الله عنه في حديثه الطويل المشهور قال : فرجع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء فقال : « اللهم أطعم من أطعمني ، واسق من سقاني » (٦) .

وعن عمرو بن الحمق رضي الله عنه أنه سقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا ، فقال : « اللهم أمتعه بشبابه » فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء (٧) .

وعن عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال : استسقى (٨) رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بماء في جمجمة (٩) ، وفيها شعرة

(١) ابن السنن .

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن السنن وقال الترمذي : حديث

حسن .

(٣) وهي قرية لطيفة يكون فيها اللبن .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح .

(٦) رواه ابن السنن .

(٧) رواه مسلم .

(٨) قدح من خشب .

(٩) أي طلب الماء .

فأخرجتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم جملة » (١) ،  
قال الراوى : فرأيته ابن ثلاث وتسعين أسود الرأس واللحية •  
وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : « أذيبوا طعامكم بذكر الله عز وجل والصلاة والسلام ،  
ولا تناموا عليه فتقسوا له قلوبكم » (٢) •  
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى  
الله عليه وسلم أنه كان يقول فى الطعام اذا قرب اليه : « اللهم بارك  
لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار ، باسم الله » (٣) •

\* \* \*

فلاحظ كل هذا ، واعلم :

أن الأفضل أن تقول عند تناول طعامك : بسم الله الرحمن الرحيم ،  
فان قلت : بسم الله ، كفاك وحصلت السنة ، وسواء فى هذا الجنب  
والحائض وغيرهما ، وينبغى أن يسمى كل واحد من الآكلين ، فلو سمي  
واحد منهم أجزاء عن الباقيين (٤) ، وهو شبيه برد السلام وتسميت  
العاطس فانه يجزىء فيه قول أحد الجماعة •

وأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل باليد اليسرى ، وقد  
ورد فى هذا : عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه ، أن رجلا أكل عند  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال : « كل بيمينك » قال :  
لا أستطيع ، قال : « لا استطعت » ما منعه الا الكبر ، فما رفعها  
الى فيه (٥) •

ونهى عن القران بين تمرتين ونحوهما (٦) ، وقد ورد فى هذا :  
عن جبلة بن سحيم قال : أصابنا عام سنة مع الزبير فرزقنا تمرا ،  
فكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل فيقول :  
لا تقارنوا ، فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القران ، ثم  
يقول : الا أن يستأذن الرجل أخاه (٧) •

(١) « الإنكار » للنوى .

(٢) رواه ابن السنى .

(٣) رواه ابن السنى .

(٤) نص على ذلك الثامنى رحمه الله .

(٥) رواه مسلم .

(٦) اذا أكل جماعة الا بان رزقته .

(٧) متفق عليه .

وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يأكل متكئا ، وقد ورد في هذا :  
 عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم : « لا أكل متكئا »<sup>(١)</sup> ، قال الخطابي : المتكىء  
 ههنا هو الجالس معتمدا على وطاء تحته ، وقال : وأراد أنه لا يقعد  
 على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الاكثار من الطعام ، بل يقعد  
 مستوفزا مستوطنا ، ويأكل بلغة ، وأشار غيره الى أن المتكىء هو  
 المسائل على جنبه .. والله أعلم .

وعن أنس رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم جالسا مقعيا يأكل تمرا<sup>(٢)</sup> .

والمقعى : هو الذى يلصق اليته بالأرض وينصب ساقبيه .

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاثة أصابع ... وقد ورد في  
 هذا عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يأكل بثلاثة أصابع فاذا فرغ لعقها<sup>(٣)</sup> .

وكان صلى الله عليه وسلم يحب تكثير الأيدي على الطعام  
 وقد ورد في هذا عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم : « طعام الاثنتين كافي الثلاثة ، والثلاثة كافي  
 الأربعة »<sup>(٤)</sup> .

وعن جابر رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يقول : « طعام الواحد يكفى الاثنتين ، وطعام الاثنتين يكفى  
 الأربعة ، وطعام الأربعة يكفى الثمانية »<sup>(٥)</sup> .

ورد عن وحشى بن حرب رضى الله عنه ، أن أصحاب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله .. انا نأكل ولا نشبع ،  
 قال : « فاعلمكم تفرقون » قالوا : نعم ، قال : « فاجتمعوا على طعامكم  
 واذكروا اسم الله بيارك لكم فيه »<sup>(٦)</sup> .

وأما عن آداب الشرب فقد ورد منها :

عن أنس رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان  
 يتنفس في الشراب ثلاثا »<sup>(٧)</sup> يعنى : يتنفس خارج الاناء .

(٢) رواه مسلم .

(١) رواه البخارى .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٦) رواه ابو داوود .

(٥) رواه مسلم .

(٧) رواه البخارى ومسلم .



وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا واحدا كثيرا البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسموا اذا أنتم شربتم ، واحمدوا اذا أنتم رفعتكم » (١) .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلبن قد شيب بماء وعن يمينه أعرابي ، وعن يساره أبو بكر رضى الله عنه فشرب ، ثم أعطى الأعرابي ، وقال : « الأيمن فالأيمن » (٢) .  
وشيب ، أى : خلط .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال للغلام : « أتأذن لى أن أعطى هؤلاء » ؟ فقال الغلام : لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدا ، فقله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده » (٣) .

وتله : أى وضعه ، وهذا الغلام هو ابن عباس رضى الله عنهما .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا ، واعلم :

أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى فى الشرب عن أمور منها ما ورد :  
عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اختناث الأستية . يعنى : أن تكسر أفواهها ويشرب منها (٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يشرب من السقاء أو القربة (٥) .  
وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ فى الشراب ، فقال رجل : القذاة أراها فى الاناء ، فقال : « أهرقها » قال : فانى لا أروى من نفس واحد ، قال : « فأبى القدح اذن عن فيك » (٦) .

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم . (٥) رواه البخارى ومسلم .

(٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس في الأثناء أو ينفخ فيه (١) .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً ، قال قتادة : فقلنا لأنس : فالأكل ؟ قال : ذلك أشرو وأخبث (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يشربن أحد منكم قائماً ، فمن نسى فليستقيء » (٣) .

\* \* \*

وإذا كان قد ورد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : سقيت النبي صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم (٤) .

وعن النزال بن سبرة أنه قال : أتى على رضى الله عنه باب الرحبة فشرب قائماً وقال : انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما رأيتمونى فعلت (٥) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نأكل ونشرب ونحن قيام (٦) . فهذا : دليل الجواز لا الأفضلية .

\* \* \*

وقد ورد جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة وجواز الكرع وهو الشرب بالفم من النهر وغيره بغير اثناء ولا يد ، وتحريم استعمال اثناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال .

واليك أهم وأصح ما جاء في هذا من أحاديث :

عن أنس رضى الله عنه قال : « حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار الى أهله وبقي قوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخضب

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه البخارى .

(٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

من حجارة فصفر المخضب أن يبسط فيه كفه فتوضأ القوم كلهم .  
قالوا : كم كنتم ؟ قال : ثمانين وزيادة» (١) .

وعن عبد الله بن زيد رضى الله عنه قال : أتانا النبي صلى الله عليه وسلم فأخرجنا له ماء فى تور من صفر فتوضأ (٢) . المراد بالصفر : أى النحاس ، والتور كالقدح .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان كان عندك ماء بات هذه الليلة فى سنة والا كرعنا » (٣) الشن : أى القرية .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : ان النبي صلى الله عليه وسلم نهانا عن الحرير والديباج والشرب فى آنية الذهب والفضة ، وقال : « هى لهم فى الدنيا ، وهى لكم فى الآخرة » (٤) .

وعن أم سلمة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الذى يشرب فى آنية الفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم » رواه البخارى ومسلم .

وفى رواية لمسلم : « ان الذى يأكل أو يشرب فى آنية الفضة والذهب . . . » .

وفى رواية له : « من شرب فى اناء من ذهب أو فضة فانما يجرجر فى بطنه ناراً من جهنم » .

\* \* \*

وأما عن :

### اللباس

الذى يشير اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى نص الوصية بقوله :

\* (والبسوا . . .) : فالكلام فيه تعتريه أحكام خمسة (٥) :

فرض : وهو ما يستتر العورة ويدفع الحر والبرد ، وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » (٦)

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى . (٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) كما جاء فى الجزء السادس من « الدين الخالص » ص ١٧٢

(٦) الاعراف : ٣١

أى ما يستر عورتكم عند الصلاة ، ويقول : « سراويل تقيكم الحر » (١) .  
 أى والبرد .

ويكون من قطن أو كتان أو صوف أو غيرها مما يحل ، وقد لبس  
 النبي صلى الله عليه وسلم الصوف وغيره ، فعن المغيرة بن شعبه أنه  
 قال : « وضأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه جبة من  
 صوف شامية ضيقة الكمين » (٢) .

وعن أبى بريدة أنه قال : دخلت على عائشة فأخرجت لنا كساء  
 ملبدا وازارا غليظا فقالت : « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في هذين » (٣) .

**ومستحب :** وهو ما يحصل به أصل الزينة واطهار النعمة

قال تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » (٤) .

وعن أبى الأحوص عن أبيه قال : أتيت النبي صلى الله عليه  
 وسلم وعلى ثوب دون . فقال : « ألك مال » ؟ قلت : نعم . قال :  
 « من أى المال » ؟ قلت : من كل المال قد أعطانى الله تعالى .  
 قال : « فاذا آتاك الله تعالى مالا فليمر أثر نعمة الله عليك وكرامته » (٥) .  
 وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه  
 وسلم قال : « ان الله يحب اذا أنعم الله على عبده نعمة أن يرى نعمته  
 عليه » (٦) .

**ومباح :** وهو الثوب الجميل للترين ولا سيما فى الجمع والأعياد  
 ومجامع الناس : وقد ورد فى اباحة هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال : « ما على أحدكم ان وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة  
 غير ثوبى مهنته » (٧) .

**ومكروه :** وهو اللبس للتكبر والخيلاء ، وقد ورد فى هذا (٨) :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(١) النحل : ٨١ (٢) أخرجه الترمذى .

(٣) أخرجه الخمسة الا النسائى .

(٤) الضحى : ١١ (٥) أخرجه النسائى .

(٦) أخرجه البيهقى .

(٧) أخرجه أبو داوود والبيهقى وأخرجه أبو داوود عن يوسف .

ابن عبد الله بن سلام ، وأخرجه ابن ماجه عن عائشة .

(٨) بالاضافة الى نص الوصية التى تدور حولها .

« كل ما شئت والبس ما شئت ، ما أخطأتك اثنتان : سرف أو مخيلة » (١)  
**وحرام على الرجال والخنثى المكفين المختارين :** وهو الحرير ،  
 فيحرم على الرجل والخنثى لا المرأة لبسه ولو بحائل بينه وبين بدنه ،  
 وما قيل من أنه لا يحرم الا اذا مس الجلد ، فغير صحيح لا يجوز  
 العمل ولا الفتوى به ، لأنه مخالف لعموم الأدلة ، وهى :

حديث : ابن الزبير رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » (٢) .

وحديث : أبى أمامة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا ولا ذهباً » (٣)  
 وحديث : عمر رضى الله عنه الذى يقول فيه : سمعت النبي صلى  
 الله عليه وسلم يقول : « لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم  
 يلبسه في الآخرة » (٤) .

وحديث : البراء بن عازب رضى الله عنه الذى يقول فيه : نهى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن الديباج (٥) والحرير والاستبرق (٦)  
 وحديث : جويرية (٧) بنت الحارث رضى الله عنهما أن النبي  
 صلى الله عليه وسلم قال : « من لبس الحرير في الدنيا ألبسه الله  
 يوم القيامة ثوبا من نار » (٨) .

وحديث : على رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم :  
 أخذ حريرا فجعلته في يمينه ، وذهبا في شماله ثم رفع بهما يديه  
 فقال : « ان هذين حرام على ذكور أمتى » (٩) .

وحديث : زيد بن أرقم ووائلة بن الأسقع أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال : « الذهب والحرير حل لاناث أمتى وحرام على  
 ذكورها » (١٠) .

\* \* \*

- (١) أخرجه البخارى .  
 (٢) أخرجه الشيخان وأخرجه احمد والنسائى عن انس .  
 (٣) أخرجه احمد والحاكم . (٤) أخرجه احمد والشيخان .  
 (٥) ، (٦) الديباج : ما سداه ولحمته من حرير ، والاستبرق :  
 ما غلظ منه . (٧) أخرجه ابن ماجه .  
 (٨) أخرجه احمد . (٩) أخرجه احمد .  
 (١٠) أخرجه الطبرانى في الكبير ، وأبو داوود والنسائى وابن حبان  
 وابن ماجه .

ففى هذه الأحاديث : دلالة على حل لبس الحرير للنساء ،  
وتحريمه على الرجال ، وهو متفق عليه ان كان الحرير خالصا .  
وكذا اذا كان غالبا ظاهرا عند جمهور السلف والخلف ، فان الأدلة  
لم تفرق بين الخالص والمخلوط ، ولأن الأقل كالعدم .

وقال ابن عباس وجماعة : انما يحرم الحرير الصافي الذى لا يخالطه  
غيره ، فعن خصيف بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس قال :  
انما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الثوب المصمت (١) من الحرير ،  
وأما العلم من الحرير وسدى الثوب (٢) فلا بأس به (٣) . وعن  
ابن جريج عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : انما  
نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المصمت اذا كان حريرا (٤) .  
وعن عبد الله بن سعد عن أبيه قال : رأيت رجلا ببخارى على بغلة  
بيضاء ، وعليه عمامة خز سوداء ، فقال : كسانيتها رسول الله صلى الله  
عليه وسلم (٥) .

قال ابن الأثير فى « النهاية » :

الخر ثياب تنسج من صوف وابريسيم ، وهى مباحة وقد لبسها  
الصحابه والتابعون ، فيكون النهى عنها لأجل التشبه بالعجم وزى  
المترفين .

وقال المنذرى : الخز أصله من وبر الأرنب ، ويسمى ذكوه الخزر  
كصرد ، وقيل : ان الخز ضرب من ثياب الابريسيم .  
وقال القاضى عياض : الخز ما خلط من الحرير والوبر .

وأجاب الجمهور : عن حديث ابن عباس بأنه يحتمل أن يراد  
بالمصمت فيه ، الخالص أو ما غالبه حرير ، بدليل قوله : وأما العلم  
وسدى الثوب فلا بأس به . وعن حديث عبد الله بن سعد عن أبيه ،  
بأن قول الرجل فى عمامة الخز : كسانيتها رسول الله صلى الله عليه

(١) المصمت : الخالص .

(٢) السدى : ما يمد طولاً فى النسج ، واللحمة : ما ينسج عرضاً .

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود والبيهقى بسند صحيح كما قال النووى ،

ولكن خصيف ضعفه أحمد وقال : ليس بحجة ولا قوى اه . ووثقه  
ابن معين وأبو زرعة .

(٤) أخرجه الطبرانى بسند حسن والحاكم بسند صحيح .

(٥) أخرجه أبو داود والترمذى والبخارى فى « التاريخ الكبير » .

وسلم « لا يستلزم » جواز لبسها ، لجواز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم سلمها له ليجعلها خمارا لبعض نسائه كما وقع نظيره لعمر وعلى وأسامة بن زيد رضى الله عنهم ، ويحتمل أن تكون تلك العمامة متخذة من حرير وغيره وليس الحرير غالبا ، أو متخذة من وبر الأرنب كما قيل في الخز .

ومن هذا : تعلم حرمة لبس القطنى والأحزمة المتخذة من الحرير الخالص أو الغالب .

قال النووي في شرح مسلم : وأما لبس الحرير والاستبرق والديباج والقسي وهو نوع من الحرير ، فكله حرام على الرجال سواء لبسه للخلاء أو غيرها إلا أن يلبسه للحكة<sup>(١)</sup> فيجوز في السفر والخضر وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير بجميع أنواعه ، وخواتم الذهب وسائر الحلى منه ومن الفضة ، سواء الزوجة وغيرها والثأبة والعجوز والغنية والفقيرة ، هذا مذهبا ومذهب الجماهير . . .

فلا تنس كل هذا أذا الاسلام مع ضرورة ملاحظة هذه الأحكام المتعلقة بهذا الموضوع ، وهى :

أنه كما يحرم على الرجال لبس الحرير ، يحرم عليهم استعماله بغيره من أنواع الاستعمال ، فيحرم جعله وسادة أو لحافا أو تكة للسراويل أو سترا أو ملاءة : لحديث حذيفة رضى الله عنه الذى يقول فيه : نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليه<sup>(٢)</sup> .

وبهذا قالت المالكية والشافعية ، وأبو يوسف ومحمد ، وهو مشهور مذهب الحنابلة ، وروى عن عمر وأبي عبيدة وسعد ابن أبى وقاص .

وأنه ان كان الحرير مساويا لغيره أو أقل كالخز ، سداه حرير ولحمته من غيره ، فعند الحنفيين يحل استعماله للرجال ولو كانت اللحمة أقل من السدى على الصحيح ، وقيل : لا يحل الا اذا غلبت اللحمة ، وهو الصحيح عند الشافعية والحنابلة .

(٢) أخرجه البخارى .

(١) اى الجرب .

وأنه يحل للرجال اليسير من الحرير ، بأن كان قدر أربع أصابع مضمومة فأقل كعلم<sup>(١)</sup> الثوب والطراز والقيطان والسجاف لإصلاح الثوب ، سواء أكان مركبا عليها أو منسوجا فيها أو مصنوعا بالابرة . لقول سويد بن غفلة : خطب عمر رضى الله عنه بالجابية<sup>(٢)</sup> فقال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير الا موضع اصبع أو اصبعين أو ثلاث أو أربع<sup>(٣)</sup> .

وأنه يجوز لبس الحرير لحاجة كحكة ، أو مرض ، ينفعه لبس الحرير لقول أنس رضى الله عنه : رخص النبي صلى الله عليه وسلم للزبير ، وعبد الرحمن بن عوف فى لبس الحرير لحكة بهما<sup>(٤)</sup> .

وأنه يجوز للنساء لبس الثياب المصبوغة بعصفر أو زعفران دون الرجال : لقول على رضى الله عنه : نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم من التختم بالذهب وعن لباس القسى ، وعن القراءة فى الركوع والسجود وعن لباس المعصفرة<sup>(٥)</sup> «<sup>(٦)</sup> .

وأنه يجوز للنساء لبس الثوب الأحمر الخالص دون الرجال ، لقول عبد الله بن عمرو : مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل عليه ثوبان أحمران فسلم عليه فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup> . وقول البراء بن عازب : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المياثر الحمر والقسى<sup>(٨)</sup> .

أما الثوب المشرب بالأحمر وغيره كبياض وسواد وغيرهما فانه جائز للرجال والنساء وعليه يحمل حديث البراء بن عازب الذى يقول فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا بعيد ما بين المنكبين<sup>(٩)</sup>

(١) علم الثوب : رقمه وهو الطراز كما فى القابوس .

(٢) قرية بدمشق .

(٣) أخرجه السبعة الا البخارى ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٤) أخرجه احمد والشيخان .

(٥) المصبوغ بالعصفر : وهو نبت اصفر تصبغ به الثياب .

(٦) أخرجه احمد ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى .

(٧) أخرجه مالك والبخارى وابو داود والترمذى وحسنه .

(٨) أخرجه البخارى والترمذى .

(٩) أى وسطا ليس بالطويل البائن ولا القصير ، والمراد بكونه بعيد ما بين المنكبين أى عريض أعلى الظهر .



له شعر يبلغ شحمة أذنيه ، رأيته في حلة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم (١) .

وأنة يستحب لبس الأبيض وتكفين الموتى فيه ، لحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم » (٢) ، وحديث سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البسوا ثياب البياض فإنها أطيب وأطهر » (٣) وكفنوا فيها موتاكم » (٤) وحديث أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان أحسن ما زرتم الله به في قبوركم ومساجدكم البياض » (٥) .

والأمر في هذه الأحاديث محمول على الندب . أما في اللباس : فلما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه لبس غير الأبيض وأقر كثيرا من الصحابة على ذلك كما تقدم . وأما في الكفن : فلقول جابر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا توفى أحدكم فوجد شيئا (٦) فليكفن في ثوب حبرة (٧) » (٨) .

ويجوز لبس الأصفر غير المعصر والمزفر : لما في حديث عبيد ابن جريح أنه قال لابن عمر رضى الله عنهما : رأيتك تصبغ بالصفرة . فقال : انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها ، فأنا أحب أن أصبغ بها (٩) .

ويجوز لبس الأخضر : لحديث يعلى بن أمية أن رسول الله

- (١) أخرجه السبعة وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .
- (٢) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى وابن حبان وصحاحه ، وصححه ابن النطان وأخرجه الحاكم والدارقطنى بلفظ آخر .
- (٣) لأن أى نجاسة تظهر فيها فيبادر لابسها الى تطهيرها وتنظيفها .
- (٤) أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وصححه الحاكم وقيل : صحيح على شرط الشيخين .
- (٥) أخرجه النسائى وابن ماجه .
- (٦) أى وجد اهله شيئا قليلا في حال الضرورة .
- (٧) نوع مخطوط من البرود اليمانية .
- (٨) أخرجه أبو داود والبيهقى .
- (٩) أخرجه البخارى مختصرا .

- صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطجماً<sup>(١)</sup> ببرد أخضر<sup>(٢)</sup> .  
ويجوز لبس الأسود : لقول عائشة رضى الله عنها : خرج رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود<sup>(٣)</sup> .  
ويجوز لبس الأسود مخطط بما لا يلهي ، لقول أنس رضى الله عنه :  
كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبرة<sup>(٤)</sup> .  
ويستحب لبس السراويل للرجال والنساء ، لقول القاسمي :  
سمعت أبا أمامة يقول : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة  
من الأنصار ، بيض لسانم فقال : « يا معشر الأنصار .. حمروا  
وصفروا<sup>(٥)</sup> » وخالفوا أهل الكتاب « فقلنا : يا رسول الله .. ان أهل  
الكتاب يتسربلون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسربلوا  
واثثروا خالفوا أهل الكتاب .. »<sup>(٦)</sup> .  
ويستحب لبس القميص<sup>(٧)</sup> ، لقول أم سلمة رضى الله عنها :  
كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص<sup>(٨)</sup> .



وأما عن :

### العمامة<sup>(٩)</sup>

فقد ورد في فضلها عن عبد الرحمن بن عدي البهراني عن أخيه  
عبد الأعلى بن عدي أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا علياً يوم  
غدير خم<sup>(١٠)</sup> فعممه وأرخصي عذبة العمامة من خلقه وقال : « هكذا

- 
- (١) الاضطجاع : جعل وسط الرداء تحت الابطال الأيمن وطرفه على الكتف  
الإيسر .  
(٢) أخرجه أحمد والدارمي إلا النسائي وقال الترمذي : حديث  
حسن صحيح .  
(٣) أخرجه مسلم والترمذي وقال : حديث حسن صحيح غريب .  
(٤) أخرجه مسلم .  
(٥) أي غيروا الشيب بالحبرة والصفرة .  
(٦) أخرجه أحمد والطبراني بسند رجاله رجال الصحيح .  
(٧) هو ما يلبس تحت الثياب .  
(٨) أخرجه الحاكم والثلاثة وقال الترمذي : حسن غريب .  
(٩) العمامة : بكسر العين ما يلف على الرأس .  
(١٠) اسم موضع .

اعتموا على العمامة سيما الاسلام ، وهي حاجزة بين المسلمين  
والمشركين « (١) » .

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في « در العمامة » : واستفيد من  
هذا الخبر تأكيد سنية العمامة .. اهـ (٢) .

وقد ورد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس  
القلانس تحت العمامة ، ويلبس العمامة بغير القلانس ( الحديث ) (٣) .  
ولم يرو أنه صلى الله عليه وسلم لبس القلنسوة بغير العمامة .  
وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم : لبس العمامة البيضاء ،  
والسوداء ، والصفراء ، والمخططة . وأفضلها البيضاء : لعموم الأخبار  
الدالة على هذا :

قال المناوي في شرح الشمائل : والأفضل في لبسها البياض ( وصحة  
لبس ) المصطفى صلى الله عليه وسلم السواد ، ونزول الملائكة يوم بدر  
بعمائم صفراء ( لا يعارضه ) لأنه لمقاصد ومصالح اقتضاها خصوص  
ذلك المقام كما بينه بعض العلماء . فلا ينافي عموم الخبر الصحيح  
الأمر بلبس البياض وأنه خير الألوان في الحياة والمات .. اهـ .  
وقال في « در العمامة » : الأفضل في لون العمامة : البياض  
( وصحة ) لبسه صلى الله عليه وسلم العمامة السوداء ونزول الملائكة  
يوم بدر بعمائم صفر ( الظاهر ) أنه لحكمة تختص بذلك اليوم ، وهي  
إظهار أمارات السرور للمسلمين بأنهم سينتصرون على عدوهم .. الخ .  
ولم يثبت في قدر عمامة النبي صلى الله عليه وسلم حديث يصح  
الاعتماد عليه ، فالمولود عليه في حق كل واحد عادة أمثاله ...

قال الشهاب الخفاجي في شرحه على الشفاء : وكانت عمامته  
صلى الله عليه وسلم قصيرة صغيرة .. اهـ . والمراد أنها كانت مائلة  
الى القصر والصفرة ، فلا ينافي أنها كانت متوسطة .  
وفي هذا يقول القسطلاني في « المواهب اللدنية » : لم تكن عمامته

(١) أخرجه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » والديلمي ، وكذا أحمد  
وزاد : وقال : « ان الله أهدى يوم بدر وحنين بملائكة يعنون ، هذه  
العمامة حاجزة بين الكفر والايمان » .

(٢) والأحاديث في هذا كثيرة وأن كان فيها مقال فهي لكثرتها يقوى  
بعضها بعضا .

(٣) أخرجه ابن عساكر .

صلى الله عليه وسلم بالكبيرة التي تؤذى حاملها ، ولا بالصغيرة التي تنقص عن وقاية الرأس من الحر والبرد ، بل وسطا بين ذلك . . اهـ . ونحوه في « زاد المعاد » .

وقد ورد في حكم العذبة ، وهي لغة : طرف الشيء ، وشرعا : طرف العمامة المرسلة على العنق فأسفل الى نحو ذراع ، وأقلها أربعة أصابع وأوسطها شبر .

فقد ورد في حديث نافع عن ابن عمر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه . قال نافع : وكان ابن عمر يسدل عمامته بين كتفيه . قال عبد الله : ورأيت القاسم وسالما يفعلان ذلك (١) .

وورد كذلك عن علي رضي الله عنه أنه قال : عممى النبي صلى الله عليه وسلم بعمامة سدل طرفها على منكبي وقال : « ان الله أمدنى يوم بدر وحنين بملائكة معتمين هذه العمامة . وقال : ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين » (٢) .

والحاصل كما يقول شيخنا الأكبر (٣) : أن ارسال العذبة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة بقوله وفعله وأمره وتقريره صلى الله عليه وسلم ، وقد وصف صلى الله عليه وسلم ارخاء العذبة بأنه أعرى وأحسن .

ولذا : اتفق السلف والخلف على أن العمامة والعذبة من السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنهم اختلفوا في أن العذبة سنة مؤكدة أو مستحبة (٤) .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، مع ملاحظة هذه الشروط التي يجب أن تلاحظ بالنسبة لزي المرأة ، وهي :  
استيعاب جميع البدن الا ما استثني : وهذا هو ما تشير اليه الآية الكريمة التي يقول الله تبارك وتعالى فيها :

(١) أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة وأبو داود الطيالسي .

(٣) في « الدين الخالص » ج ٦

(٤) راجع كل هذا بالاضافة الى نصوص الفقهاء في الجزء السادس

من « الدين الخالص » .

« وقل للمؤمنات يفضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » (١) •

ففى الآية دليل على وجوب ستر الزينة كلها وعدم اظهار شىء منها أمام الأجنب الا ما ظهر بغير قصد منهن ، فلا يؤاخذن عليه اذا بادرن الى ستره •

وقد قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذا الجزء من الآية وهو :  
« الا ما ظهر منها » : أى لا يظهر شيئاً من الزينة للأجنب الا ما لا يمكن اخفاؤه ، قال ابن مسعود : كالرداء والثياب ، يعنى على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التى تجل ثيابها ، وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه لأن هذا لا يمكن اخفاءه ، •

وقد اختلفت أقوال السلف فى تفسيرها : فمن قائل : انها الثياب الظاهرة ، ومن قائل : انها الكحل والخاتم والسوار والوجه وغيرها من الأقوال التى رواها ابن جرير فى تفسيره ( ١٨ : ٨٤ ) عن بعض الصحابة والتابعين ، ثم اختار هو : أن المراد بهذا الاستثناء : الوجه والكفان •

قال القرطبى : « قلت ، هذا قول حسن ، الا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك فى الصلاة والحج ، فيصلح أن يكون الاستثناء راجعاً اليهما ، يدل على ما رواه أبو داود عن عائشة رضى الله عنها : أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها : « يا أسماء .. ان المرأة اذا بلغت الحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا ، وأشار الى وجهه وكفيه » ، فهذا أقوى فى جانب الاحتياط ولمراعاة فساد الناس ، فلا تبدى المرأة من زينتها الا ما ظهر من وجهها وكفيها .. والله الموفق لارب سواه » •

أن لا يكون زينة فى نفسه :

والى هذا يشير قول الله تعالى فى آية سورة النور : « ولا يبدين زينتهن » •

وسورة الأحزاب : « يقرون في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » (١)

(والتبرج) : أن تتعدى المرأة من زينتها ومطسفا ما يجب عليها سترها مما يستعدى به شهوة الرجل (٢)

وإذا كان المقصود من الأمر بالجلباب إنما هو ستر زينة المرأة ، فإنه لا يعقل حينئذ أن يكون الجلباب نفسه زينة .

ولذلك قال الامام الذهبي في كتاب « الكلبائر » ص ١٣١ : « ومن الأعمال التي تلمن عليها المرأة اظهار الزينة والذهب واللؤلؤ تحت النقلب ، وتطييبها بالمسك والعنبر والطيب اذا خرجت ، ولبسها الصباغات والازر الحريرية والأهنية القصار ، مع تطويل الثياب وتوسعة الأكمام وتطويلها ، وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة ، ولهذه الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء قال عنهن النبي صلى الله عليه وسلم : « اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء » .

أن يكون صفيقا (٣) لا يشف :

لأنه إذا كان يشف لا يقوم بواجب الستر ، وإنما قد يزيد المرأة فتنة وزينة ، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات ، على رؤوسهن كاسنمة البخت ، العنوهن فانهن ملعونات » وزاد في حديث آخر : « لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

قال ابن عبد البر : أراد صلى الله عليه وسلم النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر ، فهن كاسيات بالاسم عاريات في الحقيقة (٤) .

ولهذا قال العلماء : « ويجب ستر العورة بما لا يصف لون البشرة

(١) الأحزاب : ٣٣

(٢) كذا في « فتح البيان » ٧ : ٢٧٤

(٣) قال في « لسان العرب » : وثوب صفيق متين بين الصفاقة ،

وثوب صفيق : جيد النسج . وفي « القاموس » : وثوب صفيق ضد السخيف ، السخيف : هو القليل الغزل .

(٤) نقله السيوطي في « تنوير الحوالك » ٣ : ١٠٣

من ثوب صفيق أو جلد أو ورق ، فان ستر بما يظهر فيه لون البشرة من ثوب رقيق لم يجز لأن الستر لا يحصل بذلك» (١) .

وقد عقد ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » ١ : ١٢٧ بابا خاصا في لبس المرأة ثوبا رقيقا يصف بشرتها وأنه من الكبائر ، ساق فيه الحديث المتقدم ثم قال : « وذكر هذا من الكبائر ظاهر لما فيه من الوعيد الشديد . ولم أر من صرح بذلك الا أنه معلوم بالأولى مما مر في تشبههن بالرجال » .

### ان يكون نضفاضا غير ضيق يصف شيئا من جسمها :

لأنه وان ستر لون البشرة فانه يصف حجم جسمها أو بعضه ويصوره في أعين الرجال ، وفي ذلك من الفساد والدعوة اليه مما لا يخفى فوجب أن يكون واسعا ، وقد روى في هذا عن أسامة بن زيد رضى الله عنه أنه قال : كسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبي ، فكسوتها امرأتى ، فقال : « مالك لم تلبس القبطية » ؟ قلت : كسوتها امرأتى ، فقال : « مرها فلتجعل تحتها غلالة ، فانى أخاف أن تصف حجم عظامها » (٢) .

فقد أمر صلى الله عليه وسلم بأن تجعل المرأة تحت القبطية غلالة وهى — شعار يلبس تحت الثوب — ليمنع بها وصف بدنها ، والأمر يفيد الوجوب كما تقرر فى الأصول ، ولذلك قال الشوكانى فى شرح هذا الحديث ما نصه : « والحديث يدل على أنه يجب على المرأة أن تستر بدنها بثوب لا يصفه ، وهذا شرط ساتر العورة ، وانما أمر بالثوب، تحتها لأن القباطى ثياب رفاق لا تستر البشرة عن رؤية الناظر بل تصفها » .

### ان لا يكون مبخرا مطيبا :

وقد ورد فى هذا عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت فموت

(١) ذكره فى « المذهب » ٢ : ١٧٠ بشرح « المجموع » .

(٢) أخرجه الضياء المقدسى فى « الأحاديث المختارة » واحمد والبيهقى

على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» (١) . وعن زينب الثقفية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خرجت احداكن الى المسجد فلا تقربن طيبا » (٢) . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » (٣) .

فإذا كان هذا قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما لمن تريد الخروج الى المسجد ، فما بالك بمن تريد الخروج الى السوق والأماكن العامة ، لا شك أن هذا يعتبر أشد حرمة وأكبر اثما .

وقد ذكر الهيثمي في « الزواجر » ٢ : ٣٧ : أن خروج المرأة من بيتها متعطرة مترينة من الكبائر ولو أذن لها زوجها .

### أن لا يشبه لباس الرجل :

وقد ورد في هذا : عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » (٤) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال » (٥) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لعن النبي صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، وقال : أخرجوهم من بيوتكم . قال : فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم فلانا ، وأخرج عمر فلانا » (٦) . وفي لفظ : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال »

(١) أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي والحاكم وأحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما كما في « الترغيب » وقال الترمذي : حسن صحيح .  
(٢) (٣ ، ٢) أخرجهما مسلم وأبو عوانة في صحيحهما ، وأصحاب السنن وغيرهم .

(٤) أخرجه أبو داود ، وابن ماجه ، والحاكم ، وأحمد .

(٥) أخرجه أحمد .

(٦) أخرجه البخاري وأبو داود والدارمي وأحمد والترمذي .



وقد أورد الذهبي تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء في « الكبائر »<sup>(١)</sup> وأورد بعض الأحاديث المتقدمة ثم قال : فإذا لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابته الرجال في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ، ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أو رضى به ولم ينهها ، لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيتها عن المعصية لقول الله تعالى : « قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة »<sup>(٢)</sup> ولقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل راع في أهله ومسئول عنهم يوم القيامة » . وتبعه في ذلك الهيثمي في « الزواجر » ثم قال : « عد هذا من الكبائر واضح لما عرفت من هذه الأحاديث الصحيحة وما فيها من الوعيد الشديد ، والذي رأيته لأئمتنا أن ذلك التشبه فيه قولان أحدهما : أنه حرام ، وصححه النووي بل صوبه ، وثانيهما : أنه مكروه ، وصححه الرافعي في موضع ، والصحيح بل الصواب ما قاله النووي من الحرمة ، بل ما قدمته من أن ذلك كبيرة ، ثم رأيت بعض المتكلمين على الكبائر عده منها وهو ظاهر » .

### أن لا يشبه لباس الكافرات :

لما تقرّر في الشرع أنه لا يجوز للمسلمين رجالا ونساء التشبه بالكفار سواء في عبادتهم أو أعيادهم أو أزيائهم الخاصة بهم . وإذا كان الذي يعيننا هو موضوع التشبه بهم في اللباس ، فقد ورد فيه : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال : « ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها »<sup>(٣)</sup> .

وعن علي — رضى الله عنه — رفعه : « اياكم ولبوس الرهبان ، فإنه من تزيا بزيتهم أو تشبه فليس مني »<sup>(٤)</sup> .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم ، فقال : يا معشر

(١) صفحة ١٢٩ (٢) التحريم : ٦

(٣) أخرجه مسلم والنسائي والحاكم وأحمد وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين .

(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » بسند لا بأس به .

الأُنصار .. حمروا أو صفروا ، خالفوا أهل الكتاب . قال فقلنا :  
يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يتسربلون ولا يأترون ؟ فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : تسربلوا واثثروا وخالفوا أهل الكتاب . قال :  
فقلنا : يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يتخفقون ولا ينتعلون ؟ قال :  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فتخفقوا وانتعلوا وخالفوا أهل  
الكتاب . قال : فقلنا : يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يقصون عثانينهم  
ويوفرون سبالهم ؟ قال : فقال صلى الله عليه وسلم : قصوا سبالكم ،  
ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب» (١) .

### أن لا يكون لباس شهرة :

وقد ورد في هذا : أن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله  
ثوب مذلة يوم القيامة ، ثم ألهب فيه نارا » (٢) .

قال الشوكاني : « والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة ،  
وليس هذا الحديث مختصا بنفس الثياب ، بل قد يحصل ذلك لمن  
يلبس ثوبا يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيجتمعوا  
من لباسه ويعتقدوه . قاله ابن رسلان . واذا كان اللبس لقصد الاشتهار  
في الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها ، والموافق للملبوس الناس  
والمخالف ، لأن التحريم يدور مع الاشتهار ، والمعتبر القصد وان لم  
يطابق الواقع » .



فلا تنس كل هذا أخا الاسلام ، مع ملاحظة هذا الحديث  
الذى روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا  
أو رداء يقول : « انلهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك خيريه ، وخير  
ما وضع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » (٣) .

(١) أخرجه أحمد .

(٢) أخرجه أبو داوود وابن ماجه وأحمد .

(٣) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن .

وهذا الحديث الذي روى عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا لبستم وإذا توضأتم فابدأوا بأيمانكم » (١) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن في شأنه كله : طهوره وترجله وتغسله » (٢) .

\* \* \*

وإذا رأيت من يلبس ثوبا جديدا وأردت أن تدعوه له فحسبك ما ورد في هذه الأحاديث :

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى على عمر ثوبا فقال : « البس جديدا ، وعش حميدا ، ومت شهيدا ، ويرزقك الله قررة عين في الدنيا والآخرة » (٣) .

وعن أم خالد بنت سعيد بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بكسوة فيها خميصة (٤) صغيرة فقال : « من ترون أحق بهذه ؟ فسكت القوم فقال : « ايتونى أم خالد » فأتى بها فألبسها إياها ، ثم قال : « أبلى وأخلقى - مرتين » (٥) .

وقال أبو نضرة المنذر بن مالك : « وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له : تبلى ويخلف الله تعالى » (٦) .

\* \* \*

وأما عن :

### التحلى بالذهب والفضة

فالتأبى أنه يحل التحلى بهما للنساء ، أما الرجال فإنه لا يحل لهم غير التختم بالفضة وقد ورد في هذا :

(١) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذى بإسناد صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) أخرجه أحمد والطبرانى والنسائى وابن ماجه وابن حبان وصححه

(٤) الخميصة : كساء أسود معلم الطرفين من خز أو صوف .

(٥) أخرجه أحمد وأبو داود وكذا البخارى وأخرجه الطبرانى والبيهقى

والحاكم عن خالد بن سعيد بن العاص .

(٦) أخرجه أبو داود والبيهقى .

عن علي رضي الله عنه أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فجعله في يمينه وذعبا فجعله في شماله ثم قال : « ان هذين حرام علي ذكور أمتي » (١) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي ، وأحل لائناهم » (٢) .

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه (٣) .

وعن عمران بن حصين وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما قالوا : نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب (٤) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب وجعل فسه مما يلي باطن كفه ، ونقش فيه : محمد رسول الله ، فاتخذ الناس مثله ، فلما رأهم اتخذوه رمى به وقال : « لا ألبسه أبدا » (٥) ثم اتخذ خاتما من فضة فاتخذ الناس خواتيم الفضة . قال ابن عمر : فلبس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، حتى وقع من عثمان في بئر أريس (٦) (٧) .

وعن علي كرم الله وجهه أنه قال : « نهاني النبي صلى الله عليه وسلم عن التختيم بالذهب ، وعن لباس القسي (٨) ، وعن القراءة في الركوع والسجود ، وعن لباس المعصر » (٩) .

(١) رواه أبو داود بإسناد حسن .

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه البخاري .

(٤) أخرجه الطحاوي وكذا الشيخان من حديث أبي هريرة والترمذي

وحسنه عن عمران بن حصين .

(٥) قال ذلك لما رأى تكبرهم بلبسه أو لكونه من ذهب ، وكان

وقتئذ حرم على الرجال .

(٦) أريس كعظيم : حديقة بقرب مسجد قباء .

(٧) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

(٨) وهو نوع من الثياب مخطط من ثياب الشهرة .

(٩) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي والترمذي وقال : حسن صحيح .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، مع ملاحظة أن ما نراه عند المترفين من قلم الذهب ، ساعة الذهب ، قداحة ( ولاعة ) الذهب ، علبة الذهب للسجائر ، والشم الذهب .. الخ . حكمه كحكم الخاتم الذهب .

وأما المعادن الأخرى كالحديد وغيره فلم يرد نص صحيح يحرمها ، بل ورد في صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذى أراد أن يتزوج المرأة الواهبة نفسها : « التمس ولو خاتما من حديد » وبه استدل البخارى على خاتم الحديد .

\* \* \*

وأما عن :

### التصدق

الذى يوصينا به المصطفى صلى الله عليه وسلم فى نص الوصية بعد قوله : « كلوا واشربوا والبسوا » بقوله :

\* ( ... وتصدقوا ... ) :

فالمراد به كما هو واضح من سياق الوصية أن ( نترجم ) شكرنا لله سبحانه وتعالى على ما أنعم علينا من مأكّل ومشرب وملبس : بالعطف والاحسان على الفقراء والمحتاجين الذين لولا فضل الله علينا لكننا أفقر منهم ، ولكن شاء الله سبحانه وتعالى وهو ذو الفضل العظيم أن يفضلنا عليهم فى الرزق ، كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » (١) .

وإذا كنت أقول ( نترجم ) فاننى أعنى بهذا أن يكون شكرنا لله سبحانه وتعالى عمليا ، لا مجرد كلام معسول ، أو تقبيل للأيدى . وحسبك حتى تعرف فضل التصدق الذى وقفت على أهميته : أن تقرأ معى هذه الأحاديث الشريفة التى ستعرف من خلالها فضل هذا التصدق ومسالكه ودروبه التى ستوصلنا حتما ان سلكتناها الى جنة الله تعالى الذى يقول : « وما تتفقوا من خير فان الله به عليم » (٢) ، وحتى لا أطيل عليك فإليك :

عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل معروف صدقة » (٣) .

(٢) البقرة : ٢٧٣

(١) النحل : ٧١

(٣) رواه البخارى ومسلم .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه <sup>(١)</sup> أحد الا كان له صدقة » <sup>(٢)</sup> .

وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » <sup>(٣)</sup> .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » <sup>(٤)</sup> .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « على كل مسلم صدقة » قال : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » ، قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يأمر بالمعروف — أو الخير » ، قال : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : « يمسك عن الشر فانها صدقة » <sup>(٥)</sup> .

### \* \* \*

واذا كان الله سبحانه وتعالى يقول : « وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم ، وما تنفقوا الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » <sup>(٦)</sup> .

ويقول : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » <sup>(٧)</sup> .

فحسبك حتى يتضح لك هذا الذى أشار الله سبحانه وتعالى اليه مؤكدا آياه فى هاتين الآيتين أن تقرأ كذلك معى هذه الأحاديث الشريفة : عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله » ؟ قالوا : يا رسول الله .. ما منا أحد الا ماله أحب اليه . قال : « فان ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر » <sup>(٨)</sup> .

(٢) رواه مسلم .

(١) يرزؤه : أى ينقصه .

(٣ ، ٤) رواه البخارى ومسلم .

(٦) البقرة : ٢٧٢

(٥) رواه البخارى ومسلم .

(٨) رواه البخارى .

(٧) سبأ : ٣٩

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » (١) .

وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : أنفق يا ابن آدم ينفق عليك » (٢) .

وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل » (٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها : أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما بقى منها » ؟ قالت : ما بقى الا كتفها ، قال : « بقى كلها غير كتفها » (٤) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يقبل الله الا الطيب — فان الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه (٥) حتى تكون مثل الجبل » (٦) .

وعنه أيضا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا رجل يمشى بفلاة من الأرض ، فسمع صوتا في سحابة : أسق حديقة فلان . فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة (٧) فاذا شرجة (٨) من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فنتبع الماء ، فاذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله .. ما اسمك ؟ قال فلان — للاسم الذى سمع في السحابة — فقال له : يا عبد الله .. لم تسألنى عن اسمى ؟ فقال : انى سمعت صوتا في السحاب الذى هذا ماؤه ، أسق حديقة فلان .. لاسمك فما تصنع غيبا ؟

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

(٥) فلوه بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو : المهر بضم الميم .

(٦) رواه البخارى ومسلم .

(٧) الحرة : أرض ذات حجارة سوداء .

(٨) هى مسيل الماء .

فقال : أما اذ قلت هذا ، فانى أنظر الى ما يخرج منها فأصدق بثلثه ، وأكل أنا وعيالى ثلثا ، وأرد فيها ثلثه » (١) .

\* \* \*

وأما عن :

### الاسراف والكبر

الذين يحذر المصطفى صلى الله عليه وسلم منهما في ختام الرصية بقوله :

\* ( . . . في غير اسراف ولا مخيلة ) :

فحسبك حتى تدرك خطورة الاسراف والكبر ، أن تقرأ أولاً قول الله تبارك وتعالى :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » (٢) .

« . . . فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون .

لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، انه لا يحب المستكبرين » (٣)

\* \* \*

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من الاسراف في المأكول والمشرب فحسبك حتى تعرف أنه صلى الله عليه وسلم كان قدوة لأصحابه ولكل فرد في أمته ، في تنفيذ هذا أن تقرأ معى هذه الأحاديث الشريفة التي يحذر فيها كذلك من الاسراف :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض » (٤) .

وفي رواية : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض » (٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن » (٦)

(٢) الاعراف : ٣١

(١) رواه مسلم .

(٣) النحل : ٢٢ ، ٢٣

(٤) ، ٥) رواهما البخارى ومسلم ، وقبض : أى انتقل الى جواربه .

(٦) وفي رواية : « بطنه » .



بحسب ابن آدم أكلات<sup>(١)</sup> يقمن صلبه ، فان كان لا محالة : فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم يأكل في معى واحد<sup>(٣)</sup> ، والكافر في سبعة أمعاء »<sup>(٤)</sup> .

وعن أبي جحيفة رضى الله عنه قال : أكلت ثريدة من خبز ولحم ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت أتجشأ<sup>(٥)</sup> ، فقال : « يا هذا .. كف<sup>(٦)</sup> عنا من جشائك ، فان أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة »<sup>(٧)</sup> .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً في الآخرة »<sup>(٨)</sup> .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكل الشروب<sup>(٩)</sup> ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة<sup>(١٠)</sup> واطرأوا ان شئتم : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً »<sup>(١١)</sup> »<sup>(١٢)</sup> .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من الاسراف أن تأكل ما اشتهيت »<sup>(١٣)</sup> .

(١) وفي رواية : « لقيات » تصفير لكمة .

(٢) رواه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه وابن حبان في صحيحه

الا ابن ماجه قال : « فان غلبت الآدمى نفسه فثلث للطعام ... » .

(٣) أى يزهد فيها فلا يتناول منها الا قليلاً بعكس الكافر .

(٤) رواه مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه وغيرهم .

(٥) هو ربح يخرج من الفم مع صوت عند الشبع .

(٦) وفي رواية : « اكتف » أى نجح وابتعد .

(٧) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٨) رواه الطبرانى بإسناد حسن .

(٩) أى الكثير الأكل والشرب .

(١٠) وهو مثل يضرب لنهاية الصفر والهوان .

(١١) قال ابن كثير : أى تثقل موازينهم لأنها خالية من الخير —

والآية من سورة الكهف : ١٠٥ (١٢) رواه البيهقى ، واللفظ له .

(١٣) رواه ابن ماجه ، وابن أبى الدنيا في كتاب « الجوع » ،

والبيهقى ، وقد صحح الحاكم إسناده لمتن غير هذا ، وحسنه غيره .

صحيفة

وعن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية<sup>(١)</sup> فدعوه فأبى أن يأكل ، وقال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير »<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

وأما النهى عن الاسراف فى اللبس والخيلاء به فقد ورد فيه :  
عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء »<sup>(٣)</sup> .

وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا رسول الله .. ان ازارى يسترخى<sup>(٤)</sup> الا أن أتاعده<sup>(٥)</sup> ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انك لست ممن يفعله خيلاء »<sup>(٦)</sup> .

وعن أنس رضى الله عنه قال : حميد<sup>(٧)</sup> — كأنه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم — قال : « الأزار الى نصف الساق »<sup>(٨)</sup> فشق عليهم ، فقال : « أو الى الكعبين<sup>(٩)</sup> لا خير فيما فى أسفل من ذلك »<sup>(١٠)</sup> (١١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :  
« ما أسفل من الكعبين من الأزار ففى النار »<sup>(١٢)</sup> (١٣) .

- 
- (١) أى مشوية .  
(٢) رواه البخارى .  
(٣) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .  
(٤) أى يطول ويتقل على الأرض وذلك لنحافته رضى الله عنه فكان ازاره ينزل على حقيقه .  
(٥) أى اداوم على رفعه المرة بعد المرة .  
(٦) رواه البخارى وأبو داود والنسائى ورواه مسلم بلفظ آخر .  
(٧) هو غسيل بمعنى مغمول ، أى محمود .  
(٨) أى يكون طوله الى نصف الساق فهذه اكمل أحواله .  
(٩) يعنى لا حرج على من أطاله الى الكعبين .  
(١٠) أى فيما تجاوز الكعبين بل هو فى النار .  
(١١) رواه أحمد ورواه رواية الصحيح .  
(١٢) أى ما غطاه الأزار بعد الكعبين من قدم صاحبه فهو فى النار .  
(١٣) رواه البخارى .

وعنه أيضا : « ازرة المؤمن التي عضلة ساقه<sup>(١)</sup> ، ثم الى نصف ساقه ، ثم الى كعبه ، وما تحت الكعبين من الازاز فغنى النار »<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

هذا .. ولا مانع مع مراعاة هذه القواعد الأساسية التي أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث التي تتحدد طول الثياب الشرعي الخالي من الاسراف : أن يلبس المسلم ثوبا جديدا ونعلا حسنا وقد ورد في هذا :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » .  
فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال :  
« ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق<sup>(٣)</sup> وغمط الناس<sup>(٤)</sup> »<sup>(٥)</sup> .

وله ذر الامام مالك رضى الله عنه ، فلقد قال في هذا :

حسن ثيابك ما استطعت فانها	زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التخشن في الثياب تواضعا	فالله يعلم ما تكن وتكتم
فرتيث ثوبك لا يزيدك رفعة	عند الاله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعد أن	تخشى الاله وتتقى ما يحرم

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، ولا تنس قول الله تبارك وتعالى :  
« ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرها ، ان الله لا يحب كل مختال فخور »<sup>(٦)</sup> .

وحتى تكون معتدلا في مأكلك ومشربك وملبسك ، وتصدقك ، اليك كذلك هذا الأثر الذي روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والذي سئل فيه عن قول العرب : « حب التناهي شطط ، خير الأمور الوسط » ، وهل هو موجود في القرآن ؟ فأجاب بقوله : نعم في أربعة مواضع :

(١) العضلة : كل عصبية معها لحم مجتمع .

(٢) رواه النسائي .

(٣) بطر الحق : دفعه ورده على قائله .

(٤) غمط الناس : اى احتقارهم .

(٦) لقمان : ١٨

(٥) رواه مسلم ..

في قوله تعالى في وصف بقرة موسى : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » (١)   
 أى : وسط بين الكبر والصغر .

وفي قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مظلومة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا » (٢) أى : فتوسط بين الأمرين .   
 وفي قوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » (٣) وهذا السبيل هو الوسط .

وفي قوله تعالى في مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (٤) أى وسطا .

\* \* \*

وحتى لا يتسرب الكبر الى قلبك اليك أيضا هذين الأثرين الواردين عن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :   
 « مال ابن آدم والكبر : أوله نطفة مذرة (٥) وآخره جيفة قدرة ، وهو ما بين ذا وذاك يحمل العذرة » (٦) .   
 « مال ابن آدم والكبر : تقتله شرقة ، وتنتنه عرقة ، وتؤله بقرة » .

\* \* \*

وكذلك اليك نداء الأرض الذي روى أنها تتناديك به كل يوم خمس مرات ، وهو :

يا ابن آدم .. تمشى على ظهري ومصيرك الى بطنى .   
 يا ابن آدم .. تفرح على ظهري فسوف تحزن في بطنى .   
 يا ابن آدم .. تضحك على ظهري فسوف تبكي في بطنى .   
 يا ابن آدم .. تذنب على ظهري فسوف تعذب في بطنى .   
 يا ابن آدم .. تأكل الألوان على ظهري فسوف تأكلك الديدان في بطنى .

\* \* \*

(٢) الاسراء : ٢٩

(١) البقرة : ٦٨

(٤) الفرقان : ٦٧

(٣) الاسراء : ١١٠

(٥) مذرت البيضة والمعدة مذرا ، فهي مذرة من باب تعب : فسدت .

(٦) وحتى البول والغائط .

# الوصية الثالثة والثلاثون

عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« ضع يدك على الذى يآلم من جسدك وقل :  
باسم الله — ثلاثا — وقل — سبع مرات — : أعوذ بالله  
وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

(رواه مسلم في الصحيح)

\* \* \*

فكن أذا الاسلام :  
منتقيا بهذا الدعاء العظيم<sup>(١)</sup> الذى عالج به المصطفى صلى الله عليه وسلم هذا الصحابى الجليل : وهو عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه الذى شكى اليه — صلوات الله وسلامه عليه — وجعا يجده في جسده منذ أسلم<sup>(٢)</sup> . فكان أن أكرمه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ضع يدك على الذى يآلم من جسدك » أى : على موضع الألم منه « وقل : بسم الله — ثلاثا — أى : قلها ثلاث مرات » وقل : — سبع مرات — أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » أى : من شر ما أحسه من الألم ومن شر ما أخافه من المرض ونحوه .

وفي رواية أخرى رواها الامام مالك رضى الله عنه أوصاه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البسمة — ثلاثا — أن يقول سبعا : « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » أى : من غير قوله : وأحاذر ، ولكنها زيادة صحيحة كما عرفت في نص الرواية السابقة ، ولذا يجب اثباتها . ثم يقول عثمان في هذه الرواية الثانية بعد ذلك : ففعلت ذلك فأذهب

(١) الذى رواه كما قرأت في نص الوصية : مسلم في صحيحه ، ورواه أيضا مالك وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد وابن ماجه .

(٢) وكان اسلامه في السنة التاسعة حيث قدم مع وفد ثقيف بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك في رمضان . . ومات في خلافة معاوية .

الله ما كان بي - أي : من الألم وشفاني - فلم أزل أمر بها أهلي وغيرهم .

وفي رواية ثالثة رواها الترمذى وأبو داود مثل ذلك وقالوا في أول حديثهما : أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبى وجع قد كاد يهلكنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امسح بيمينك سبع مرات ثم قل : أعوذ بعزة الله وقدرته ... » الحديث ، أى : امسح بيمينك على موضع الألم وأنت تردد هذا الدعاء . وليس المراد كما هو مفهوم من ظاهر الحديث : أن تمسح أولاً سبع مرات ثم تدعو . فلاحظ كل هذا أخا الاسلام مع ملاحظة أن هذا الدعاء الذى وقفت عليه فى هذه الروايات الثلاث : يعتبر تعويذة عظيمة تقوم على الالتجاء والتحصن بصفتين من أعظم الصفات وهما عزة الله التى يذل لها كل شئ ، وقدرته التى لا يعجزها شئ : من كل ما يجده الانسان أو يخافه ويتوقعه من الآلام والأوجاع التى كثيرا ما يتعرض الانسان لها فى حياته الأولى .

\* \* \*

ولهذا رأيت و « الدين النصيحة ... » (١) أن أنصحك : بالانتفاع بهذا العلاج المحمدى ( المجرب ) والذى انتفعت به شخصيا مرتين . تعرضت فيهما لألم شديد كاد أن يقتلنى لولا لطف الله وبركة هذا الدعاء الذى ما كدت أردده فى كل من المرتين كما علم الرسول صلى الله عليه وسلم راويه رضى الله عنه حتى ذهب الألم وكأنه لم يكن . وذلك لأننى كنت وأنا أردد هذا الدعاء أومن ايمانا جازما بهذه النتيجة الحتمية التى لا بد منها ما دام الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا « ... ينطق عن الهوى » (٢) قد أخبر بها ، ونبه عليها . وهذا شرط أساسى فى قبول هذا الدعاء والاستفادة به وبغيره من الأدعية التى علمها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى جميع المناسبات ، وعلى سبيل المثال ما حدث : يوم أن دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد فوجد أبا أمامة يجلس فيه فى غير وقت صلاة ، فقال له صلوات الله وسلامه عليه :

(١) جزء من حديث صحيح رواه مسلم .

(٢) النجم : ٣ بلفظ : « وما ينطق عن الهوى » .

« مالى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت صلاة » ؟ قال : هموم  
لزمتنى وديون يا رسول الله • قال : « أفلا أعلمك كلاما اذا قلتة  
أذهب الله همك وقضى عنك دينك ؟ قل اذا أصبحت واذا أمسيت :  
اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ،  
وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال »  
يقول أبو أمامة : ففعلت ذلك فأذهب الله همى وقضى عنى دينى (١) •  
ويوم أن جاء رجل الى أبى الدرداء رضى الله عنه وقال له :  
قد احترق بيتك • فقال : ما احترق ، لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات  
سمعتهن من النبى صلى الله عليه وسلم من قالها أول النهار لم تصبه  
مصيبة حتى يمسى ، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى  
يصبح : « اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، عليك توكلت وأنت رب  
العرش العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة  
الا بالله العلى العظيم ، أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله  
قد أحاط بكل شىء علما ، اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر  
كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، ان ربى على صراط مستقيم » (٢) •  
فقد روى أنه ذهب فعلا بعد ذلك الى بيته فرأى أن جميع المنازل  
المحيطة ببيته قد احترقت الا بيته •

\* \* \*

وحتى يتضح لك هذا ، اليك هذا الحديث الذى ورد فى  
الصحيحين وذكره ابن القيم فى كتاب « زاد المعاد » والذى قد يتصل  
اتصالا وثيقا بموضوع الوصية وما أردت الوصول اليه وهو حتمية  
الايمان اذا أردنا الاستفادة بمثل هذا الدعاء بصفة عامة ، وحتى  
لا أطيل عليك فاليك هذا الحديث الذى خلاصته :

أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : ان أخى استطلق  
بطنه • فقال له صلوات الله وسلامه عليه : « اسقه عسلا » ، فذهب  
ثم رجع فقال : قد سقيته فلم يزد الا استطلاقا — مرتين أو ثلاثا —  
والرسول صلى الله عليه وسلم يقول له فى كل مرة : « اسقه عسلا »  
وفى المرة الثالثة — أو الرابعة — قال الرسول صلى الله عليه وسلم :  
« صدق الله وكذب بطن أخيك » •

(٢) أخرجه ابن السنى •

(١) أخرجه أبو داوود •

فهذا المريض كما هو واضح من سياق الحديث لو تناول العسل وهو يؤمن إيمانا جازما بأنه سيكون سببا في إزالة ما في بطنه من استطلاق ما دام الله سبحانه وتعالى قد أشار الى هذا في حديثه عن النحل فقال : « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ٠٠٠ » (١) ، وما دام الرسول صلى الله عليه وسلم قد نصحه بهذا .

ولكن كما يبدو لم يتناول العسل بايمان ولهذا لم يذهب ما كان يشكومنه .

وقد حدثني صديق لى - والشىء بالشىء يذكر - أن أحد الصالحين مرض فقال له أولاده : أنحضر لك الطبيب ؟ فقال لهم : أنا أعرف علاجى ، ثم أمرهم بعد ذلك بأن يحضروا قليلا من عسل النحل ، ثم يخلطوه بقليل من زيت الزيتون ، وقليل من الماء ، وهو يقول لهم : هذه ( خلطة ) مباركة أشار الله سبحانه وتعالى اليها في كتابه العزيز فقال عن عسل النحل : « ٠٠٠ فيه شفاء للناس » وقال عن الماء : « ونزلنا من السماء ماء مباركا » (٢) وقال عن شجرة الزيتون : « يوخذ من شجرة مباركة زيتونة » (٣)

وغلا تناول هذا العلاج المبارك بايمان فكان شفاء له .

\* \* \*

هذا ٠٠ واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عالج كما رأيت بالدعاء وحسن به ، فقد كان كذلك يعالج بالأدوية الطبيعية ، وقد ورد في هذا :

أنه صلى الله عليه وسلم عالج الحمى بالماء ، وفي هذا يقول الامام أحمد في مسنده : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حم دعا بقرية من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل » وثبت في الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أصابت أحدكم الحمى فانما الحمى قطعة من النار فليطفئها بالماء البارد ويستقبل نهرا جاريا ، فليستقبل جرية الماء بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس وليقل : بسم الله ، اللهم اشف عبدك ، وصدق رسولك ، وينغمس فيه ثلاث

(٢) سورة ق : ٩

(١) النحل : ٦٩

(٣) النور : ٣٥



غمسات ثلاثة أيام ، فان برأ والا خمسا وان لم يبرأ في خمس فسبع ، فانها لا تكاد تجاوز السبع باذن الله » وقد اتفق أهل الحديث أن هذا الخطاب خاص بأهل الحجاز .

وأنه صلى الله عليه وسلم — كما عرفت سابقا — عالج استطلاق البطن بالعسل ، وذلك لأن العسل فيه جلاء ودفع للفضول .  
وأنه صلى الله عليه وسلم عالج الجراحات برمد من حصير محروق لما جرح وجهه المبارك في يوم أحد .

وأنه صلى الله عليه وسلم أمر في دواء وجع العين بالسكون والراحة ، ومنع أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه من أكل الرطب في حال الرمد ، وكان لا يقرب من بها رمد من أمهات المؤمنين الى أن يحصل لها الشفاء

وعالج صلى الله عليه وسلم بالحجامة ، يوم أن وضعت له اليهودية السم في الشاة التي تناول منها ، فنطقت الشاة بما معناه : لا ترد على هذا فاني مسمومة . فاحتجم صلى الله عليه وسلم بين الكتفين في ثلاثة مواضع ، وأمر من معه بذلك ، وعاش بعد ثلاث سنين .  
وعالج صلى الله عليه وسلم لدغ العقرب بالماء والملح ، ففي مسند أبي بكر بن أبي شيبة روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقى — اذ سجد — فلدغه عقرب في اصبعه المباركة فلما خرج من الصلاة قال : لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره . ثم طلب ظرف ماء وملحا ووضع اصبعه في الماء والملح وقرأ سورة الاخلاص والمعوذتين ولم يزل يكرهن حتى زال الألم » .

وأمر صلى الله عليه وسلم في علاج القمل بطلق الرأس لتفتح المسام وتتصاعد الأبخرة وتضعف المادة التي يتولد منها القمل .

وعالج صلى الله عليه وسلم وجع القلب بتمر المدينة ، فقد ثبت في سنن أبي داود عن سعد قال : مرضت مرضا فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين يدي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي : « انك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فانه رجل يتطبب — ثم قال — : فليأخذ — يعني صاحب هذه العلة — سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليذلك بهن » .

وفي التمر خاصية عجيبة لهذا المرض ، وفي تخصيص السبع سر علم بالوحى وقال : « من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر » (١) .

وقال : « ان في عجوة العالية شفاء وانها ترياق أول البكرة » .

وكان صلى الله عليه وسلم اذا حدث برأسه صداع وضع عليه الحناء ويقول : « هذا ينفع الصداع » ، وفي سنن ابن ماجه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أصابه صداع غلف رأسه بالحناء ويقول : انه نافع باذن الله من الصداع » .

وقال صلى الله عليه وسلم في علاج عرق النسا : « دواء عرق النسا الية شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ، ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء » .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار ، وأنا أنهى أمتي عن الكي » . قال العلماء : هذا الحديث أشار الى معالجة جميع الأمراض المادية لأن المرض اما دموى أو صفراوى أو بلغمى أو سوداوى ، فان كان دمويا فعلاجه باخراج الدم ، وان كان من الأقسام الثلاثة فعلاجها بالاسهال نبه بالعسل على ذلك ، وبالمحجم على الفصد والحجامة ، وبالكى على حالة فيها يعجز الطبيب ويعيا ، وآخر الدواء الكى .

كما أمر صلى الله عليه وسلم باجتناّب معاشرّة أرباب الأمراض المعدية كما في حديث أبى هريرة مرفوعا : « فر من المجذوم كما تفر من الأسد » (٢) وضح في حديث جابر : أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « انا بايعناك فارجع » (٣) .

كما كان صلى الله عليه وسلم في بعض الأحيان يعالج البدن بالقيء ، لأنه أحد الاستفراغات الخمس التي هي أصل أنواع الاستفراغات وهي الاسهال .

(١) ورد في الصحيحين كما قال في « زاد المعاد » .

(٢) رواه البخارى في صحيحه تعليقا .

(٣) رواه مسلم في صحيحه .

كما أمر صلى الله عليه وسلم أن يعالج المريض في بعض الأحيان بالكلمات المطيبة للنفس الدافعة للحزن والغم ، فقد روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله فان ذلك لا يرد شيئاً ويطيب نفسه » (١) .

وأمر كذلك في معالجة الحزن والغم ( بالتلبينة ) وهى طعام رقيق يصنع من دقيق الشعير غير منخول ، بشرط أن يطبخ طبخاً تاماً ليكون في القوام والرقّة كالحليب ، ولذا قالوا ( التلبينة ) وله حكم الشعير الذى عليه اعتماد الأطباء في أكثر المعالجات ، وقد ورد عن عائشة رضى الله عنها : أنها كانت إذا مات الميت من أهلها وأجتمع لذلك النساء ثم تفرقن الى أهلن أمرت ببرمة تلبينة فطبخت وصنعت ثريدا ثم صببت التلبينة عليه ثم قالت : كلوا منها فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « التلبينة مجمة لفؤاد المريض وتذهب بعض الحزن » (٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم يعالج جميع الأمراض بهذا الدعاء الذى يقول فيه أبو الدرداء رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اشتكى منكم شيئاً فليقل : ربنا الله الذى فى السماء تقديس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض واغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين أنزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع ، فيبرأ بإذن الله » (٣) .

وثبت فى صحيح مسلم : « أن جبريل عليه السلام جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو وجع [ فقال : يا محمد .. اشتكيت ؟ قال : نعم ] قال : بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ، ومن كل نفس وعين بسم الله أرقيك والله يشفيك » .

وثبت أيضاً فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : « انطلق نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم

(٢) ورد فى الصحيحين .

(١) رواه ابن ماجه فى سننه .

(٣) رواه أبو داود فى سننه .

فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شئ فلم ينفعه .  
فقال بعضهم : لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعل أن يكون عندهم  
بعض شئ ، فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط .. ان سيدنا لدغ وسعينا  
له بكل شئ فلم ينفعه فهل عند أحدكم من شئ ؟ فقال بعضهم :  
أى والله .. انى لأرقى ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما  
أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطع من الغنم ،  
فانطلق يتقل عليه ويقرأ : « الحمد لله رب العالمين » (١) فكانما نشط  
من عقال ، فانطلق يمشى وما به قلبه (٢) فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم  
عليه « هذا لفظ البخارى .

وقال بعضهم : « اقتسموا ، فقال الذى رقى : لا تفعلوا حتى  
نأتى النبى صلى الله عليه وسلم فنذكر الذى كان فيه فننظر الذى يأمرنا  
به ، فقدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فذكروا له [ ذلك ] فقال :  
وما يدريك أنها رقية ؟ ثم قال : قد أصبتم .. اقسما واضربوا لى  
معكم سهما » .

\* \* \*

فاذكر كل هذا أخوا الاسلام ، وكن حريصا على الانتفاع بكل  
ما وقفت عليه من علاج روحى أو طبيعى وأنت موثق بالاجابة وحتمية  
هذه النتيجة التى نبه الرسول صلى الله عليه وسلم عليها قرين كل  
دعاء أو علاج .

\* \* \*

واعلم : أن الطب النبوى متيقن النجاح قطعا لأنه صادر عن  
الوحى الالهى ومشكاة النبوة ، وكمال العقل . وأما طب الغير غالبا  
فانه مأخوذ من الحدس والظن والتجربة ، وهذا مثار الخطر : ومن  
لا ينتفع بالطب النبوى فينبغى أن يعلم يقينا أنه من نقص ايمانه ،  
ومن تلقاه بالقبول والصدق وحسن الاعتقاد انتفع به البتة كما أن القرآن

(١) اى يقرأ فاتحة الكتاب ، لانها تشتمل على جميع معانى القرآن  
الذى قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأنه كما روى ابن ماجه فى  
مسنده : « خير الدواء القرآن » .  
(٢) اى علة والم .

الكريم شفاء لما في الصدور والقلوب ، ومن لم يتلقه بالقبول زاد مرضه ووباله •

\* \* \*

وهذا ليس معناه أن تقاطع الأطباء الآخرين : كلا ، وإنما المراد أن تستعين بالله سبحانه وتعالى مع انتفاعك بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد في جميع مجالات المعالجات كما عرفت ، مع ذهابك الى الطبيب المعالج الذي تطمئن اليه وترى فيه خيرا ، وأنت تردد قول القائل :

ذهبت أنادى طبيب الورى وروحي تناجي طبيب السماء  
طبيبين : ذاك ليعطى الدواء وذاك ليجعل فيه الشفاء  
وتأمل معي قول القائل :

ان الطبيب له علم يدل به ما دام في أجل الانسان تأخير  
حتى اذا انقضت أيام مهلته حار الطبيب وخانته العقاقير  
متعنى الله واياك بالصحة والعافية ، ونفعنى واياك بالقرآن الكريم  
يوهدى الرسول الحبيب الطبيب صلوات الله وسلامه عليه ، وختم لنا  
جميعا بالايمان •

\* \* \*

# الوصية الرابعة والثلاثون

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى  
صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا ياكل طعامك الا تقى » \*

( رواه ابو داوود والترمذى باسناد لا بأس به )

\* \* \*

فكن أخا الاسلام :

هذا الرجل الصالح الذى وجه اليه المصطفى صلى الله عليه وسلم  
هذه الوصية الجامعة التى تعتبر أساسا لاستمرار السعادة الفردية  
والجماعية .

وحسبى حتى يتضح لك هذا المعنى الكبير الذى يوصى به الرسول  
صلى الله عليه وسلم أن أدور معك بايجاز حول هذين العنصرين اللذين  
يتكون منهما مضمون هذه الوصية ، وحتى لا أطيل عليك فإليك :

\* ( لا تصاحب الا مؤمنا ) :

أى : لا تصاحب الا من اجتمعت فيه خصال المؤمنين :

« الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا نزلت عليهم آياته زادتهم ايمانا  
وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » (١) .

« الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون .  
والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على  
أزواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك  
فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين  
هم على صلواتهم يحافظون » (٢) .

وذلك لأن مصاحبة هذا المؤمن الذى تجتمع فيه هذه الصفات  
الحميدة ، ستكون نافعة لك فى كل خير وفى ذلك يقول صلوات الله  
وسلامه عليه كما ورد فى حديث شريف :

« المؤمن كله منفعة : ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ،  
وان ماشيته نفعك فأمره كله منفعة » بل وسيكون عونك فى كل

(١) الأنفال : ٢ ، ٣ بلفظ : « انما المؤمنون ... » .

(٢) المؤمنون : ٢ - ٩

خير ، وقد ورد في هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (١) .

وقال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٢) .  
وإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت قد نصح بمصاحبة المؤمن فالسبب في هذا كله هو أن المؤمن ليس خائنا ولا كذابا .  
وقد ورد في هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« يطبع المؤمن على الخلال كلها ، إلا الخيانة والكذب » (٣) .

وهو المؤمن كذلك على النفس والعرض والمال وقد ورد في هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم » .

\* \* \*

هذا بالإضافة الى أنك إذا صاحبتة تخلقت بأخلاقه العظيمة التي ما كمل ايمناته الا بها كما ورد في الحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، ان الله يكره الفاحش البذيء ، وان صاحب حسن الخلق ليلعب به درجة صاحب الصوم والصلاة » (٤) .

\* \* \*

فاذا كنت ستتخلق بأخلاقه الحميدة فقد أفلحت ، وحسبك هذا الحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان ، وجعل قلبه سليما ، ولسانه ونفسه مطمئنة ، وخليقته مستقيمة » (٥) .

\* \* \*

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصاك بمصاحبة المؤمن فإنه في نفس الوقت يحذرك من مصاحبة غيره لأن نتائج مصاحبتة ستكون عكسية للنتائج التي وقفت عليها بالنسبة للمؤمن . وإذا كانت الخيانة والغدر من أهم صفات المنافق فهو اذن الذى يحذرك الرسول

(٢) رواه مسلم .

(٤) رواه أحمد .

(١) رواه مسلم .

(٣) رواه أحمد .

(٥) رواه ابن حبان .

صلى الله عليه وسلم من مصاحبته ، وحسبك حتى تقف على خطورة المنافق أن تقرأ هذين الحديثين الشريفين :

« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أوْتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (١) .

« ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر وقال انى مسلم : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أوْتمن خان » (٢) .

\* \* \*

هذا .. ولما كان العثور على الصديق المؤمن لم يعد ميسرا ، فقد رأيت وبعد هذا الايجاز أن أضع أمامك بعض الوصايا الواردة عن حكماننا الأوائل في وصف الصديق الذى يجب عليك أن تصاحبه . كما جاء فى كتاب « احياء علوم الدين » للإمام الغزالي رحمه الله ، حتى تستنير بيا فى الحديث عن الصاحب المؤمن :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الحث على طلب التدين فى الصديق ، فيما رواه سعيد بن المسيب ، قال : عليك باخوان الصدق تعش فى أكنافهم فانهم زينة فى الرضاء ، وعدة فى البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يفلبك منه ، واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الأمين من القوم ، ولا أمين الا من خشى الله ، فلا تضحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلع على شرك ، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى .

وقال علقمة العطاردى فى وصيته لابنه حين حضرته الوفاة : يا بنى .. اذا عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك ، وان صحبته زانك ، وان قعدت بك مؤنة مالك ، اصحب من اذا مددت يدك بخير مداها ، وان رأى منك حسنة عداها ، وان رأى سيئة سداها ، اصحب من اذا سألته أعطاك ، وان سكت ابتدأك ، وان نزلت بك نازلة واساك ، اصحب من اذا قلت صدق قولك ، وان حاولتما أمرا أمرك ، وان تنازعتما آترك .

(٢) رواه مسلم .

(١) رواه البخارى .



وقال بعض الأدباء : لا تصحب من الناس الا من يكتفم شرك ، ويستتر عيبك ، فيكون معك في النوائب ، ويؤثرك بالرغائب ، وينشرك حسنك ويطوى سيئتك ، فان لم تجده ، فلا تصحب الا نفسك .  
وقال على رضى الله عنه :

ان أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفمك .  
ومن اذا زيب الزمان صدعك شئت فيه شمله ليجمعك .  
وقال بعض العلماء : لا تصحب الا أحد رجلين : رجل يتعلم منه شيئا في أمر دينك فينفمك ، أو رجل تعلمه شيئا في أمر دينه فيقبل منك ، والثالث فاهرب منه .

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أبا الاسلام وتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخال » (١) ، وقوله : « مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك ان لم يصيبك منه شيء أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يصيبك من سواده أصابك من دخانه » (٢) .

\* \* \*

\* (ولا يأكل طعامك الا تقي) :  
أى : لا تدخل بيتك الا التقي النقي الذى يراقب الله سبحانه وتعالى في كل أفعاله كأنه يراه ، والذى ان دخل بيتك لتناول طعامك — مثلا — الذى تدعوه اليه كان غاضا لبصره ، ويعيدا عن كل ما فيه جرح لشعورك ، وهتك لحرمتك .

والله در على رضى الله عنه فلقد ورد أنه قال لولده الحسن رضى الله عنه : « يا بني .. خف ثلاثا : خف الله ، وخف من لا يخاف الله ، وخف لسانك ، فانه عدوك على دينك يؤمنك الله جميع ما خفته » فمعنى خف من لا يخاف الله : أى خف من الذى لا يخاف من الله سبحانه وتعالى لأنه لن يخشى الله فيك .

\* \* \*

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيك بهذا فانه بهذا يحمي بيتك من الخراب والدمار ، لأنه اذا دخل غير التقى بيتك واختلط بأسرتك — كما يحدث الآن في هذا الزمان المريض — كان سببا في هدم سعادتك الزوجية والأسرية .

فكثيرا ما يحدث في زماننا هذا أن يذهب فلان بفلان الى بيته لمجرد صداقة عابرة ، أو زمالة مصلحة وهناك يطلب من زوجته التي قد تكون شبه عارية أن تصافح صديقه أو زميله ، وقد يحدث أن يتبادل هذا الصديق — الغير مؤمن أو تقى — النظرات الغير بريئة مع هذه الزوجة التي ربما كانت تعاني من فراغ معين ، الأمر الذي قد يحدث بعده وفي غفلة من هذا الزوج الذي قد يكون مشغولا باعداد الطعام والشراب ما عناه الشاعر بقوله :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

وذلك لأنه كما يقول الآخر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

\* \* \*

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن غيورا على أهل بيتك ولا تدخل بيتك غير التقى الذي يحفظ مثلا قول الله تبارك وتعالى :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، أن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن أو بنى أخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأرية من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون» (١) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم (١) ؟ قال : « الحم الموت » (٢) .

« لا يخلون أحدكم بامرأة الامع ذى محرم (٣) » (٤) .

« لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمسه امرأة لا تحل له » (٥) .

« العينان تزنيان ، والرجلان تزنيان ، والفرج يزنى » (٦) .

لأنه اذا كان يحفظ مثل هذه النصوص القرآنية والنبوية فإنه سيعمل من جانبه ما دام مؤمنا تقيا على ضرورة تطبيق هذا على نفسه وغيره ، حتى يكون من الأتقياء الأوفياء الذين يطبقون تعاليم الاسلام بكل اخلاص واطقان : وهو يحفظ ويطبق وصية الرسول صلى الله عليه وسلم التي يقول فيها : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » (٧) .

\* \* \*

فتذكر كل هذا أذا الاسلام ، واعمل بتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم التي تعتبر أساسا للهداية والرشاد كما تعتبر سبيلا الى السعادة الدنيوية والأخروية .

(١) وهو والد الزوج أو أخوه اللذان يعيشان معه في بيت واحد فلا بد له من الدخول على المرأة .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى ثم قال : ومعنى كراهية الدخول على النساء على نحو ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يخلون رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان » .

(٣) ذو المحرم من المرأة هو من لا يحل له نكاحها من الاقارب كالاب والابن والأخ والعم ومن يجرى مجراهم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه الطبرانى والبيهقى ورجال الطبرانى ثقات رجال الصحيح .

(٦) رواه احمد باسناد صحيح وابو يعلى .

(٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، وفي بعض النسخ : حسن صحيح

ولا تمش الا مع رجال قلوبهم تحن الى التقوى وترتاح للذكر

\* \* \*

ولا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه  
فكم من جاهل أردى حلِيمًا حين أخاه  
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه  
وللشئ من الشئ مقاييس وأشباه  
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

\* \* \*

رزقني الله وإياك حسن الخاتمة ، وجعلني وإياك وجميع المسلمين  
والمسلمات من الراشدين الموفقين .. آمين .

\* \* \*

وختاما ..

إليك أخا الاسلام هذه الوصية التي أرجو أن تنتفع بها :

قال حكيم : اجتنب سبع خصال ، يسترح جسمك ، وقلبك ،  
ويسلم لك عرضك ودينك :

\* لا تحزن على ما فاتك .

\* ولا تحمل هم ما لم ينزل بك .

\* ولا تلم الناس على ما فيك مثله .

\* ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل .

\* ولا تنتظر بشهوة الى ما لم تملك .

\* ولا تغضب على من لم يضره غضبك .

\* ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك .

والله الموفق للصواب ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

« المؤلف »

تم بحمد الله طبع المجلد الأول « من وصايا الرسول » للأستاذ الشيخ طه عبد الله العفيفي ، ويشمل الأجزاء من الأول حتى العاشر ، بمطابع دار التراث العربي للطباعة والنشر لصاحبها « أحمد حمدي أحمد شعبان » في يوم الاثنين ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢٠ ابريل سنة ١٩٨١ م .

وقام بمراجعة آياته وتصحيحه ، العبد الفقير الى الله تعالى راجي عفوه وغفرانه « محمد الأنور أحمد البلتاجي » سائلا المولى سبحانه وتعالى أن يجعل عمله في ميزان حسناته .. « يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم » ..

وجزى الله صاحبه ، الذي اجتهد فأصاب .. أفضل ما جزى به عباده المؤمنين ونسأله تعالى أن ينفع به وبكتابه المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

# محتويات الكتاب

## الجزء الأول

( ٣ - ١٠٢ )

الصفحة

١٧ الامتداء . . . . .

٥ المقدمة . . . . .

٧ صاحب الوصايا صلوات الله وسلامه عليه يقدم نفسه . . . . .

### الوصية الأولى :

العبادة المقبولة ، المحافظة على الصلاة في وقتها : النهى عن الالتفات في الصلاة وآراء الأئمة الأربعة فيه ، الحث على الصيام فرضه ونفله ، الانفاق في سبيل الله ، الترغيب في الصدقة ، الذكر وآدابه ، السمع والطاعة والجهاد والهجرة وأتسامها . . . . .

### الوصية الثانية :

المؤمنون والمؤمنات في كتاب الله ، توجيهات محمديّة هامة ، التحذير من حب الدنيا . . . . .

### الوصية الثالثة :

معنى التقوى ، المتقون وما وعدهم الله به ، فضن التلاوة وآدابها وأحكامها ، سجدة التلاوة وما يتعلق بها ، والأوقات المختارة للتلاوة وأفضلها ، التحذير من كثرة الضحك والمزاح ، المزاح البريء ، الترغيب في الجهاد في سبيل الله ، الترغيب في حب المساكين ومجالستهم ، الرضا بما قسم الله والترغيب في الشكر ، قول الحق ونماذج من مواقف أهل الحق ، التوبة المقبولة وشروطها ، من نماذج التائبين ، التدبير في الأمر وكف الأذى وحسن الخلق . . . . .

### الوصية الرابعة :

طاعة ولي الأمر الذي ينفذ أوامر الله ولو كان مجذوع الأنف ، إكرام الجار والإحسان إليه ، أداء الصلاة في وقتها والتحذير من الجمع بين صلاتين بدون عذر ، الترغيب في صلاة الجماعة وتلبية نداء المؤذن . . . . .

## الوصية الخامسة :

الترغيب في التقوى في السر والعلانية ، الحسنات يذهبن السيئات ، النهي عن سؤال الناس والترغيب في السعي على الرزق ، ماذا فعل سيدنا علي عندما جاع مع أهل بيته ، عمل سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، من قصيدة للامام الشافعي ، لا تقبض أمانة ما لم تكن أهلا للمحافظة عليها . . . . .

٤١

## الوصية السادسة :

حب المساكين يلين القلوب ، الرضا بما قسم الله هو الغنى ، الترغيب في صلة الأرحام ، الترغيب في الأكتار من قول لا حول ولا قوة الا بالله ونتائج هذا وثوابه ، الحق أولى بالصدقة ، اليأس مما في أيدي الناس هو الغنى ، الترغيب في العمل والانتاج . . . . .

٤٥

## الوصية السابعة :

زيارة القبور وما يتعلق بها من أحكام ، حكم زيارة النساء للمقابر جمعا بين الأدلة ، ما يقال من الأدعية عند الزيارة ، مواعظ هامة ومفيدة ، تغسيل الميت وكيفيته وأحكامه عند الفقهاء ، الصلاة على الجنائز وأحكامها وشروطها وأركانها وكيفيتها وأولى الناس بالصلاة على الميت . . . . .

٥١

## الوصية الثامنة :

لماذا حزن الأصحاب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أهمية التقوى ، طاعة أولى الأمر واجبة ، التمسك بالسنة ومحاربة البدعة وكلام جامع حول السنة والبدعة . . . . .

٥٦

## الوصية التاسعة :

الإخلاص في السر والعلانية ، أول من يقضى عليه يوم القيامة ، الترغيب في العدل والتحذير من الظلم ، القصد في الغنى والفقر ، المنجيات والمهلكات ، نماذج حية من عفو الرسول صلى الله عليه وسلم ، أهل الفضل ، صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، صلة الأرحام وأثرها ، فضيلة الصمت ، الترغيب في الذكر ، ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التتكر في صنع الله عبادة . . . . .

٧٢

**الوصية العاشرة :**

اغتنام فرصة الشباب ، المحافظة على الصحة ، زاد الآخرة ،  
التحذير من البطنة ، قدم لنفسك خيرا ، سؤال القبر ونعيمه  
وعذابه ، مواعظ هامة ومفيدة لمعالجة أمراض القلوب ، الترغيب  
في الاستغفار والتوبة ، ختاماً . . . . .

٨٦

**الجزء الثاني**

( ١٠٣ - ١٨١ )

**الوصية الحادية عشرة :**

التحذير من الشرك بالله وأنواعه ، التحذير من عقوق  
الوالدين ، التحذير من ترك الصلاة المكتوبة عمداً ، التحذير من شرب  
الخمير ، وما فيه من خصال مذمومة ولماذا حرم ، التحذير من معصية  
الله تعالى ، التحذير من الفرار من الزحف ، الانفاق على الأهل  
جهاد في سبيل الله ، وترقية الأبناء وحسن اختيار أسمائهم وتخويفهم  
من الله وتطبيق تعاليم الإسلام عليهم . . . . .

١١٠٦

**الوصية الثانية عشرة :**

الترغيب في تقوى الله تعالى ، الترغيب في صدق الحديث  
والتحذير من الكذب ، الوفاء بالمعهد من صفات الله تعالى ورسله ،  
الترغيب في أداء الأمانات إلى أهلها ، التحذير من الخيانة ، الترغيب  
في العطف على اليتيم والاحسان إليه والتحذير من أكل ماله ،  
الترغيب في حفظ الجوار ، وما يتعلق بالجار من حقوق هامة ،  
الترغيب في كظم الغيظ ، الترغيب في لين الكلام ، الترغيب في  
السلام وبعض ما ورد في فضله من أحاديث شريفة ، الترغيب في لزوم  
الإمام ، الترغيب في التفقه في القرآن ، وما قاله أعداء الإسلام عنه ،  
الترغيب في حب الآخرة ، الجزع من الحساب تحاشياً للعقاب ،  
قصر الأمل ، التعريف بالعاقلة المصيب ، حسن العمل دليل الإيمان ،  
التحذير من شتم المسلم ، التحذير من تصديق الكاذب ، التحذير  
من تكذيب الصادق ، التحذير من عصيان الإمام العادل ، التحذير  
من الفساد في الأرض ، الترغيب في ذكر الله عند كل شجر وحجر ،  
الترغيب في تجديد التوبة والتحذير من الإصرار على الذنب . . . . .

١١١



## الجزء الثالث

( ١٨٢ - ٢٦٥ )

المنحة

## الوصية الثالثة عشرة :

أحاديث شريفة في فضل الاستغفار ، وآية الكرسي ،  
والمعونتين ، وكذلك التهليل ، والتكبير ، والتسبيح ، والتحميد  
عقب كل صلاة ، جواز عد الذكر بالنوى والحصى وكذلك المسبحة ،  
خلاصة ختام الصلاة ، ما يقال بعد صلاة الصبح ، وصلاة المغرب  
( قبل ختام الصلاة ) المعنى الإجمالى لكلمة « اللهم أعنى » ،  
خلاصة أنواع الذكر ، الشكر ، وأنواعه ، حسن العمل بالنسبة  
لجميع الأعمال الشريفة ، وخصوصا جميع العبادات وعلى رأسها  
الصلاة . . . . .

١٨٢

## الوصية الرابعة عشرة :

مقامات العبادة ، والمعنى الحقيقي للعبودية ، وصف ضرار  
الصدائى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه - كمنودج من  
نماذج العارفين بالله ، من هو العارف بالله ؟ لماذا كانت الصلاة  
عمادا للدين ، الخشوع الناهى عن الفحشاء والمنكر ، الاستعداد  
للموت والعمل لما بعده ، الثلاثيات المباركة ، بعض الآثار الواردة  
في الترغيب في الآخرة ، والتزهيد في الدنيا ، والتحذير من عثرات  
اللسان ، الشروط التى لا يسلم المتكلم من الزلل الا بها وبعض الآثار  
الواردة في هذا الموضوع الحيوى ، التحذير من الغيبة ، وما ورد  
في هذا الموضوع من آثار ، المواضع التى تجوز الغيبة فيها ،  
التحذير من النميمة ، وما ورد في هذا الموضوع من آثار . . . . .

١٨٣

## الوصية الخامسة عشرة :

التحذير من الوقوع في المحارم ، نصوص قرآنية ونبوية جامعة  
للأوامر والنواهي ، التحذير من الوقوع في الشبهات تحاشيا لفعل  
الحرام ، التحذير من احتقار الذنب مهما كان صغيرا ، التحذير من  
تلبيس إبليس وما ورد في هذا الموضوع من آثار يجب على كل مسلم  
أن يقف عليها ، خطبة إبليس يوم القيامة بعد أن يؤمر بأهل الجنة  
الى الجنة وأهل النار الى النار كما حدثنا الله تعالى في كتابه العزيز ،  
صورة حية لتلميذ مع استاذة في حوار حيوى ، مناجاة روحية ،  
الترغيب في الرضا بما قسم الله تعالى ، والتحذير من التواكل والبعد

## الصفحة

عن أسباب الهم ، صنائع الأنبياء كما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما ، بعض الآثار المرغبة في الفناعة والمحذرة من الطمع ، الترغيب في الإحسان الى الجار ، وما ورد في هذا الموضوع من أحاديث وآثار ، الترغيب في الأخوة الصادقة ، وحب الأخ لأخيه كما يحب لنفسه ، وعرض لأهم الحقوق الواجبة على المسلم لأخيه المسلم ، وما ورد في هذا الموضوع من أحاديث وآثار وآداب لا بد وأن يقف عليها كل مسلم حتى يكون مسلماً ، الدعوة الى المساهمة في بنك المحبة ، نماذج حية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ترينا بوضوح كيف استطاع الإسلام أن يربط بين قلوبهم حتى أصبحوا قدوة لغيرهم ، بعض الأحاديث الشريفة المرغبة في الحب لله ، الترغيب في الدعاء بالرحمة والمغفرة لأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، التحذير من كثرة الضحك حتى لا يموت القلب وما ورد في هذا الموضوع من أحاديث شريفة ، وصية سيدنا الخضر لسيدنا موسى عليها السلام ، أحاديث شريفة لا بد من الإحاطة بها ( كتماذج ) حتى لا نكثر من الضحك ونكون سبياً في أضحاك غيرنا ، آراء الفقهاء في حكم التهقمة في الصلاة . . . . .

٢١٣

## الجزء الرابع

( ٢٦٦ - ٣٧٠ )

## الوصية السادسة عشرة :

بركات رمضان وتفحاته ، وغزوة بدر الكبرى ، وفتح مكة ، وليلة القدر ، وغريضة الصيام وأركانه وعلى من يجب ، وتأديب المفطرين ، وحكم من يبيع الطعام والشراب للمفطرين في نهار رمضان ، وصلاة التراويح ، وموسم الطاعلت ، خصال من الخير يوصينا الرسول صلى الله عليه وسلم بها في رمضان ، وفضل شهادة أن لا إله إلا الله ، ومعنى كلمة التوحيد ، والترغيب في الإكثار من قولها ، وفضل الاستغفار ، والترغيب في الإكثار منه ، ووصف الجنة والترغيب في طلبها ، وسوق الجنة ، وكلام الجنة والنار ، والواجب والأوجب . . . . .

٢٦٦

## الوصية السابعة عشرة :

الترهيب من نحش القول ، والصخب والسفه ، والأعمال والأقوال المخلة بآداب الصيام ، ومراتب الصيام ، وزكاة الفطر

## الصفحة

وعلى من تجب ، وقدرها ، والى من تصرف ، العيد كما فهمه سيدنا  
على بن ابي طالب رضى الله عنه ، وما يقوله الله تعالى للصائمين  
في يوم العيد ، وسنن ينبغى التحلى بها في يوم العيد وليلته ، وصلاة  
العيدين ، وكيفية صلاة العيدين وحكم الخطبة بعدهما ، آداب  
الصيام ، وما يباح للصائم ، وما يكره للصائم ، وما لا يفسد  
الصوم ، وما يفسد الصوم . . . . .

٣٢٢

## الوصية الثامنة عشرة :

اقسام الصيام ، وانواع صيام التطوع ، وآثار تتعلق بفضل  
الصيام ، وفضل ركعتي الضحى وصلاة الوتر ، وختاما . . . . .

٣٦١

## الجزء الخامس

( ٣٧١ - ٤٧٠ )

## الوصية التاسعة عشرة :

الترغيب في الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال ، من الكتاب  
والسنة وفرضية الجهاد ، واقسامه ، ومؤامرات اليهود الثابتة  
في القرآن ، وتاريخهم الاسود التى منها على سبيل المثال لا الحصر :  
محاولة قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومحاولة سم الرسول  
صلى الله عليه وسلم ، محاولة زحزحة الرسول صلى الله عليه  
وسلم عن مبعثه والتظاهر بالاسلام لتشكيك المسلمين في دينهم ،  
استغلال حادث تحويل القبلة للتشكيك في الدين ، اشاعة قتل  
الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، اشاعة التحلل وافساد  
الشباب بالميوعة ، والخمر ، والنساء ، والمال ، ويطولات اسلامية  
عربية رائدة بطلها سيد الشجعان صلى الله عليه وسلم ، وعلى  
ابن ابي طالب كرم الله وجهه ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ،  
وخالد بن الوليد رضى الله عنه ، وحمزة بن عبد المطلب عليه  
رضوان الله ، وخبيب بن عدى عليه رضوان الله ، وزيد بن الدثنة  
عليه رضوان الله ، غسيل الملائكة عليه رضوان الله ، فضل الشهادة  
والشهداء ، الجهاد بالمال ، الحرب النفسية ووصايا للجنود والقادة

٣٧١

## الوصية العشرون :

الترغيب في اداء فريضة الحج من الكتاب والسنة ، كيف حج  
الرسول صلى الله عليه وسلم ، توجيهات هامة للحاج . وختاما . . . . .

٣٥٥

## الجزء السادس

( ٤٧١ - ٥٥٤ )

الصفحة

### الوصية الحادية والعشرون :

الترغيب في التوبة ، والتعريف بها ، والتعريف بالكبيرة والصغيرة ، والترغيب في الأفعال الصالحة والتحذير من الرياء في العمل والترغيب في الذكر ومجالسه ، والتعريف بأنواعه والترغيب فيها ، وكذلك الإشارة الى آدابه وشروطه ، والترغيب في الصدقة المقبولة ، والصدقة الجارية وما يتعلق بكل هذا من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية وأخبار وآثار موضوعية لا بد من الاحاطة بها .

{٧١}

### الوصية الثانية والعشرون :

التعريف بالفضب والتحذير منه والعلاج المحمدي الوارد في التغلب عليه وما يتعلق بهذا الموضوع الحيوي من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار موضوعية لا بد من الوقوف عليها حتى يمكن التغلب على الغضب وعدم الوقوع في شباكه .

٥٢٣

### الوصية الثالثة والعشرون :

التعريف بالتقوى والترغيب فيها ، والانكار والآداب والأحكام المتعلقة بالسفر ، وصلاة المسافر من الكتاب والسنة والآثار الموضوعية ، وختابا .

٥٢٦

## الجزء السابع

( ٦٣٧ - ٥٥٥ )

### الوصية الرابعة والعشرون :

في الترغيب في حسن الظن بالله تعالى مهما كثرت الذنوب ما دام العبد قد تاب الى الله تعالى واستغفر لذنبه ، والتعريف بأرجى آية في القرآن ، والوقوف على معنى الرجاء ، والتحذير من اليأس من رحمة الله تعالى ، وضرورة الجمع بين الخوف والرجاء ، وما ورد في كل هذا من كتب الله وسنة رسوله ، وما يتعلق بهذا الموضوع الحيوي من آثار وأخبار .

٥٥٥

### الوصية الخامسة والعشرون :

في الترغيب في الزواج ، ومعرفة الباءة ، وكذلك الوقوف على أهم الصفات الواجب توافرها في الزوجة المراد الارتباط بها ، والتعريف بمعنى الزواج وحكمته ، والوصف الشرعى له ، ومتى يكون فرضا ، أو واجبا ، أو حراما ، أو مكروها ، أو مندوبا ، والتعريف بالخطبة وما يتعلق بها بالنسبة للمعتدة من طلاق رجعى ، والمعتدة من وفاة ، والفرق بين التعريض والتصريح ، وإنشاء عقد الزواج وشروطه وألفاظه ، والمحرمات تحريما مؤقتا وتأييدا ، وما يحرم من الرضاع ومقدار الرضاعة المحرمة ووقتها ، وحكم المهر المقدم والمؤخر وما يتعلق بالزفاف من توجيهات وتحذيرات وبدع ومنكرات ، وحقوق الزوج والزوجة ، والترغيب في الصوم لمن لم يستطع الباءة غضا للبصر وتحصينا للفرج ، وغسل الجنابة وشروطه وكيفية ، وما يتعلق بكل هذا من الكتاب والسنة وأحكام الأحوال الشخصية والآثار والأخبار الموضوعية ، والآراء الفقهية .

٥٧١

### الوصية السادسة والعشرون :

في الغش ، والتحذير من الاتصاف به وبعض الصور التي قد يبدو فيها كالغش في الصداقة ، والتظاهر بالصلاح ، وكمجان النصيحة ، والغش في البيع والشراء ، والتحذير من داء الحسد الذموم وما يتعلق بكل هذا من احاديث وآثار وأشعار ، وختاما .

٦٢١

## الجزء الثامن

( ٦٢٨ - ٧٤٤ )

### الوصية السابعة والعشرون :

في التحذير من الركون الى الدنيا واعتبارها وطنا دائما ، مع توضيح معنى الزهد وحقيقة الزاهدين ، واقوال العلماء في معنى الذم الوارد في كتاب الله وسنة رسوله للدنيا ، واختلافهم في التفضيل بين الدنيا والآخرة ، وتشجيع الرسول صلى الله عليه وسلم : للتاجر ، والصانع ، والزارع ، مع ذكر أمثلة من صنائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن جاء بعدهم من الصحابة الفضلاء ، والنهي عن التلهم بالتجارة والبيع عن ذكر الله وإقام

## الصفحة

الصلاة ، ومراتب الناس في الكسب ، وضرورة العمل من أجل  
الآخرة ، وما ورد في كل هذا من الكتاب والسنة والأخبار والآثار  
والأشعار . . . . .

٦٢٨

## الوصية الثامنة والعشرون :

في الحث على حفظ فرائض الله تعالى والوقوف عند حدوده  
والتركيز على الصلاة التي تعتبر جامعة لجميع الفرائض ومذكرة بها ،  
والتحذير من تأخير الصلاة عن وقتها وأقوال الأئمة في حكم تارك  
الصلاة ، وكيفية الوضوء وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ،  
وضرورة الاستبراء من البول ، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم :  
« إذا سألت فاسأل الله » ، وقوله : « وإذا استعنت فاستعن بالله »  
والحث على الاعتماد على الله عز وجل دون غيره من المخلوقين  
وما ورد في كل هذا من الكتاب والسنة والأخبار والآثار والأشعار

٦٦٢

## الوصية التاسعة والعشرون :

في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « عليك باليأس بما  
في أيدي الناس فإنه الغنى » والتحذير من داء الطمع الذي ان تريح  
على قلب الإنسان كان سببا في دوام فقره فضلا عن ضياعه وهلاكه  
بسبب تراكم الأحزان والهموم على قلبه ، والترغيب في القناعة  
التي هي أساس العز والعزة النفسية ومعنى قوله صلى الله عليه  
وسلم : « وصل صلاتك وأنت مودع » بالنسبة لاعتبارها آخر  
صلاة قد يصلحها الإنسان في هذه الدنيا ، وبالنسبة لضرورة اتقانها  
ومراعاة آدابها ، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « وإياك  
وما يعتذر منه » وما ورد في كل هذا من الكتاب والسنة والأخبار  
والآثار والأشعار ، وختاما . . . . .

٦٩٢

## الجزء التاسع

( ٧٢٠ - ٨٠٠ )

## الوصية الثلاثون :

في صلاة التسبيح ، وصلاة الضحى ، وصلاة الاستخارة ،  
وصلاة الحاجة ، وصلاة الضائع والابق ، وصلاة الليل ، وصلاة  
السوية . . . . .

٧٢٠

**الوصية الحادية والثلاثون :**

في ضرورة الأعمال الصالحة حتى تستطيع مواجهة الحياة الدنيا  
وما فيها من تيارات . . . . .

٧٦٧

**الجزء العاشر**

( ٨٠١ - ٨٨٠ )

**الوصية الثانية والثلاثون :**

حول الأكل والشرب واللباس والصدقة والإسراف والكبر  
وما يتعلق بكل هذه العناصر من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأحكام  
فقهاء وآثار وأشعار موضوعية . . . . .

٨٠١

**الوصية الثالثة والثلاثون :**

حول الطب النبوي وكيف كان النبي صلى الله عليه وسلم  
يعالج أصحابه بالأدوية والأدوية الطبيعية . . وما ورد في كل هذا  
من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وآثار وأشعار موضوعية . .

٨٦٥

**الوصية الرابعة والثلاثون :**

حول الترغيب في مصاحبة المؤمن والتحذير من مصاحبة غيره ،  
وحول التحذير من ادخال البيت غير التقي وما ورد في كل هذا من  
آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار وأشعار موضوعية ، وختاماً . .

٨٧٤

٨٨٢

\* \* \*